

TIGHT BINDING BOOK

UNIVERSAL
LIBRARY

OU_191108

UNIVERSAL
LIBRARY



مجلة تبحث في التربية والتعليم والاجتماع والاقتصاد والادب والتاريخ والآثار واللغة
وتدبير المنزل والصحة والكتب وحضارة العرب وحضارة الغرب

AL-MOKTABAS

Revue mensuelle paraissant à Damas (Syrie)

Pédagogie, sociologie, économie politique, littérature, histoire, archéologie, philologie, ménage, hygiène, bibliographie, civilisation arabe et occidentale.

أصدر في كل شهر عربي بدمشق

لنشئها

محمد كرد علي

المجلد السادس

١٩١١ - ١٣٢٩

قيمة الاشتراك في دمشق ريالان مجيديان ونصف

وفي سائر الجهات ثلاثة عشر فرنكاً

ABONNEMENT 13 FRCS

طبع بمطبعة المقتبس بدمشق

٢٠٤٨
بسم الله الرحمن الرحيم

فاتحة السنة السادسة

يفتح المقتبس سنته السادسة بحمده تعالى ان يسر له قطع شوط يصح عده شيئاً في عمر المجالات . ويقتبط اليوم ان يرى له رزماً من نفوس العلماء والادباء ومكانة من مجامعهم وانديتهم وسبيل الى الانتشار بين الخاصة في كل بلد يتكلم اهلها باللغة العربية او يرغبون في تلقفها . ويمود فيعايد قراءه على ان يتعاهدهم كل سر كما عودهم بنشر الابحاث النضيجه مشبهاً اياها برسائهم ونمحيصاً ما ساعدته بيته ومادته فينقل للشرقين ما تبرزه عقول الغربيين ويمثل للغربيين ما نتجته قرائح الشرقيين من الاقدمين والمحدثين ويعنى من المباحث عنابة خاصة بعلوم التربية والاعلم والاجتماع والاقتصاد واللغة والادب والتاريخ والآثار وتدبير المنزل والصحة والكتب . حنسارة العرب وحضارة الغرب ولا يهمل مرض للعلوم الاخرى الا بقدر ماله عارفة بأوضاعه ويتجافى عن مس العواطف الدينية والمنازع السياسية عملاً باحطة التي رسمها في اول بزم صدر منه لكي ضفاب الزيل

ولقد هيأ الزمان لهذه المجلة طائفة من العلماء الباحثين والكاتبين المفكرين احذوا الى انفسهم كما فعلوا في السنين القارة ان هو افوها اثارهم الله الشهر بعد الشهر بخلاصة ابحاثهم وعلموا الناس مما عملوا وزكوا وهذا مما يزيد الثقة بهذا العمل العلمي وعمل الجماعة امتع وانفع وعمل الفرد لا يثمن من ضعف وضوؤله . وهالك اسماءهم اقراراً بانضافهم على العلوم والآداب :

احمد بك أنيمور (القاهرة) احمد بك زكي (القاهرة) امين افندي ريجاني (نيو يورك) الشيخ جمال الدين القاسمي « دمشق » جرجي افندي الحداد « دمشق » حليل افندي رفعت « دمشق » حليل بك سعد « بيروت » رشيد افندي بقدونس « سلاينيك » رفيق بك العظم « القاهرة » زكي افندي الخطيب « سنجار » صلاح الدين افندي القاسمي « دمشق » صائبنا « بغداد » سليم افندي البخاري « دمشق » شكري افندي العملي « دمشق » المتينخ طاهر الجزائري « القاهرة » الدكتور عبد الرحمن تهيندر « دمشق » عبد القادر افندي المغربي « طرابلس الشام » نبد الله افندي مخلص « حيفا » عبد الوهاب افندي الانكليزي « الباب » عيسى افندي اسكندر معلوف « زحلة » فارس افندي الخوري « دمشق » فارس افندي فياض « دمشق » محمود شكري افندي الأتوسي « بغداد » يوسف افندي جرجسي زخم « نبراسكا »

كتاب البئر

من مصنفات امام ائمة اللغة والادب ابي عبد الله محمد بن زياد المعروف بابن الاعرابي

توفي سنة ثلاثين ومائتين رحمة الله عليه

ترجمته في ص ٢٠١ من كتاب نزهة الادباء

عني بنشره وتعليق حواشيه السيد محمود شكري الآلوسي

بسم الله الرحمن الرحيم

اخبونا الشيخ الامام ابو محمد عبد الله بن احمد بن ابي الخشاب النخعي قراءة عليه
وانا اجمع بجامع القصر من مدينة السلام يوم الجمعة ثالث شري شهر الله الاصب من
سنة خمس وخمسين وخمسمائة . فل اخبونا ابا ابي ابو الخ . محمد بن محمد بن الحسن
الفرآء قال انبأنا الشيخ ابو محمد الحسن بن علي بن محمد الجوهري . قال اخبونا ابو عمر محمد
ابن العباس بن حيويه الخزاز قراءة عليه في شهر رمضان سنة احدى وعشرين وثلاثمائة .
قال قرأ هذا الكتاب ابراهيم بن الرزاز يتي من عبد الله محمد بن احمد الحكيمي
سنة اربع وثلاثين وثلاثمائة وانا حاضر اسمع قال - حدثنا ابراهيم بن العباس احمد ^(١) يحيى ثعلب
عن ابن الاعرابي قال وقرأ الرزاز ايضا لي ابي عمر محمد بن عبد الواحد غ ^(٢)م ثعلب
علي معنى التصحيح قال : صفة البئر عن ابن الاعرابي .

قال واخذني ايضا الشيخ الامام المذهب ابو الحسن علي بن عبد الرحيم بن الحسن
ابن عبد الملك بن ابراهيم بن عبد الملك اسلمي الرقي قراءة عليه - ليلة السلام في منزله
في سبعين من سنة خمس وخمسين وخمسمائة وسعته ايضا من قراءة ته قال : اخبونا الشيخ
الحافظ ابو الفضل محمد بن الناصر بن محمد بن علي بن عمر السلامي والفقيه ابو الحسن
سعد الخير بن محمد بن سهل الانصار يقرأ عليه سيفه صفر سنة اثنين وثلاثين
 وخمسمائة فاقره قال : اخبونا الشيخ ابو الحسين ابراهيم بن عبد الجبار الصيرفي قراءة

(١) كذا الاصل وفي كتاب نزهة الالباء في طبقات الادباء - ابو العباس احمد بن

يحيى بن زيد بن سراج البهبهاني النخوي المعروف بـ ثعلب كلن امام الكوفيين سيف النخو
واللغة في زمانه الى آخر ما قال

عليه في يوم الجمعة خامس عشر صفر من سنة احدى وتسعين واربعمائة فاقربه قال : اخبرنا ابو محمد الحسن بن علي بن محمد الجوهري قراءة عليه وانا اسمع في المحرم سنة احدى وخمسين واربعمائة قال اخبرنا ابو عمر محمد بن العباس بن زكريا ابن حيوبه الحزاز قراءة عليه في يوم الاربعاء النصف من شهر رمضان سنة احدى وثمانين وثلاثمائة قال قرأ ابو الحسن الرزاز رحمه الله تعالى على ابي عبيد الله محمد ابن احمد الحكيمي سنة اربع وثلاثين وانا حاضر اسمع . قال : اخبرنا ابو العباس احمد بن يحيى ثعلب عن ابن الاعرابي وقرأه الرزاز وانا حاضر اسمع على ابي عمر محمد بن عبد الواحد غلام ثعلب على معنى التصحيح قال :

صفة البئر

عن ابن الاعرابي قراءة على ابي العباس احمد بن يحيى النخعي عن ابي عبد الله محمد بن زياد الاعرابي قال : بقار للارض اذا لم يكن فيها حفر فحفر فيها « ارض مظلومة » قال الشماخ :

وأُس رماد كالحمامة مائل ونوْيان في مظلومتين كلاهما

ويقال اذا حفر قاعدة الرجل او معدنتين قيل « حفراوة »^(١) او اوقتين « قال الشاعر
وانفمى الراعي لها بين الاوق »^(٢)

قال ابو عمر هو اوقة بالفتح وجمعها اوق كذا سماعي من ثعلب قال ابو العباس الاوقة بئر الصائد التي يستتر فيها من الوحش فاذا ابتداء حفر البئر فهي بد فاذا حفر الى اسفل قيل قد اعتمق وامتنع وحفر معيق وعميق واذا اخذ جانبها قيل قد لجف^(٣) قال الشاعر
اذا انتحى معتمقا او لجفا

ويقال لجانب البئر الجال والجول وانه لغير ذي جول اي انه قليل العقل وانه لغير

(١) وفي القاموس الاوقة الجماعة وبانضم الركبة مثل البالوعة في الارض

(٢) الرجز لرؤبة وآخره « في خيل قصباء وخيس مختلق »

(٣) المجف الذي يحفر في ناحية من البئر والتلجف التحفر في نواحي البئر ولجفت البئر تلجيفا جفرت في جوانبها وفي حديث الحجاج انه حفر حفرة للنجفها قال المعجاج يصف ثورا :

بسليبين فوق انف ادلفا اذا انتحى معتمقا اولجفا

قوله بسليبين اجم بقرنين طوليين

متماسك الجول يقال ذلك للرجل اذا كان يحقق فاذا حفرها حتى يبلغ الماء قيل قد انبطها والماء هو النبط وفطرها اذا كان هو ابتدأها واختصم الى ابن عباس رضي الله عنهما رجلان في بئر فقال احدهما بئري انا فطرتها اي ابتدأتها واستخرجتها .

فاذا انفذتها في الجبل قيل بئر خسين وهي التي خسف جبلها قال الشماخ :
من الكلى في خسف رويا

ويقال حفر حتى اعان واعين الى حتى استخرج الماء وحفر حتى اصلد اذا وقع على موضع صلب او على حجر وكذلك اكدى قال ابو نويد :

يا عثم ادركني فان ركنتي صلدت فاعيت ان تبض بمائها
وحفر فاجبل وقع على جبل واصب وقع على رمل او تراب يغلبه

ويقال اتراب البئر البغيضة والبغيضة^(١) والثيلة والثلة والسفاة قال الهذلي :

وقد ارضلوا فراطهم فثألوا قليبا سفاها كالاماء القواعد

ويقال ماء غير اذا كان بوافى الشاربة وينجع في جلودها واجسامها عذبا كان او غير ذلك قال حاتم :

وشربت بالماء النخير ولم اترك الا لطم حماة الجفر

وقال آخر :

قد جعلت والحمد لله ثقر من ماء عد في جلودها نمر

قال ابو عمر : ثقر تسكن من قولك وقر يقر اذا سكن ويقال ماء شرب عذب

وشرب ايضا ثقبيل وآء مأج وقد مؤج مؤج مؤجة ومياه مأججة

واسماء البئر

الركبة والجمع ركبا . والتليب والجمع قلب . والفقر وهي التي فقر جبلها فاتخذت حديثا . والطوي والجمع اطواء . والبدي وهي الجديدة الحفر وهي الواسعة الرأس لانها ربما نفوخت وانسع رأسها وربما كانت غير بعيدة القمر . والبدي حين تبدأ وهي

(١) قال ابو زيد نبث نبثا مثل نبش نبش وهو الحفر باليد والبيشة تراب البئر

والنهر قال الشاعر

وان نبثوا بئري نبث بئارهم وسوف ترى ماذا ترد الذبائث

وخيث نبث انباع

الفرج وقال بعض الاعراب البدي يحفر للفرس يريد الفسيل والماتح^(١) يضع رجلا على هذا الجانب ورجلا على هذا الجانب الآخر .

والبدي مربعة وهو يمتح منها يده بغير قلمة فاذا دور رأسها فهي القليب ويقال لقم البئر شعوتها وجرايها جوفها من اعلاها الى سفها ويقال بئر سديدة الجراب اذا لم تخرج ان تطوى والبئر والركبة اثنيان والقليب والطوي ذكران قال ابو عمر : القليب والطوي بذكران ويوثان والشطون من الركايا التي في جوانبها عوج لا يخرج دلوها الا بجولين . فاذا طويت بنحش فهي معروشة وقد عرشت تعرس عرمتا والمزبرة المطوية بالحجارة وغير الحجارة يقال زبرتها زبرا وضرستها^(٢) اضرها خرسا ملوحتها بالحجارة واذا استقي بالدلو من البئر باليد قيل بئر متوح واذا كانت على بكرة بنزع باليد نزع قليل نزوع ونشوط التي انما جعلها نشطة واحدة وبئر انشيط اذا اخرج دلوها بمجذبة واحدة قال ابو عمر : انما هو انشيط بالفتح جمع نشوط قال ابو محمد يوسف بن الحسن : روى الطوسي وغيره ان باط بالكسر ويجوز انشيط بالفتح جميعا ويقال ماء رفيق وهو القريب الغنى^(٣) انقصير الرشا وماء عضوض بعيد القعر وانتدنا

ايث على الماء العضوض كأنني : رقوب وما ذو سبعة برقوب

وماء مدرع^(٤) قريب من المرعى قال ابو عمر : انما هو مدرع بفتح الراء وباسط بعيد وماء مطلب اذا ابى ان يطلب وبئر مضوض وبروض ورتشوح والاصل رشوح بالجيم قال ابو عمر انما رشوخ بجاء مبهمة ومكول هي التي يجتمع ماؤها قليلا يقال قد اجتمعت فيها مكلة واذا كانت لا يؤخذ ماؤها الا غرقا فهي قدوح ويقال قدحتما اقدحها قدحا واذا كانت بأني ماؤها مرة ويذهب أخرى فهي الطنون واذا كانت اذا استقي ماؤها

(١) وفي كتاب المقعد المقيم لابن الجوزي الماتح بالتاء المشاة من فوق الذي يستقي من فوق والماتح بالثناة من تحت الذي يستقي من داخل البئر قال وهذا من اسرار اللغة بسبب موافقة اللفظ للمعنى وقد اطلب في بيان ذلك .

(٢) والفرس بضم الصاد الحجارة التي طويت بها البئر قال الراجز :

اما يزان قائل ابن ابن . الوك عن حد الضروس والابن

وبئر مضروسة وضروس اي مطوية بالحجارة .

(٣) ماء مدرع كحسن ومنظم اكل ما حوله من المرعى فباعد قليلا وماء بامسط بعيد

من الكلاء

جئت بماء آخر قيل بئر هجوم واذا كانت اذا قلت الامطار قل مأوها قيل بئر قشوع
واصاب الناس قطعة اذا غار مأوهم واقطع الماء وهو مقطوع وقاطع وقد قطع
واذا كانت البئر حبلها عن لعوج في جرابها قيل بئر بيون وبئر زوراء ودحول لذا
كان في خلقها عوج واذا كانت البئر الى جنبها بئر اخرى تضر بها قيل بئر ضيطة وبئر
مأورة مثلها وبئر سك اذا كانت ضيقة وانشدنا .

صبحن من وشيبي قليبا سكا

قال ابو عمر: وشيبي محركة وبقل بئر ذمة قليلة الماء وبئر فراط وهي التي من سبق
اليها ليس لاحد ان ينعى وبئر هجوم مريضة رجوع الماء ويقال للماء اذا خرج من عيون
فارتفع في البئر جم يجم جم والماء نفسه الجم ويقال استق من جم بترك وقال الغنوي
وسئل ما مالك فقال ساحات فيج وعين هن هن قرية مرتكض الجم اي يجم مأوها مريضا
وهن هن يهن بالماء الصواب هن هن قال ابو عمر: سألت ابا العباس عن هذا الحرف
مرارا فقال هن هن الى لفظ هدد قال واذا كان ينرف منها باليد قيل بئر غروف واذا
دام مأوها في المطر والفيظ قيل بئر وائنة وقد وثنت تن وتونا واذا كانت كثيرة
الماء قيل بئر قليدزم وانشد

ان لنا قليدما هموما يؤيدما مخنن الدلا جموما

واذا لم ينزع مأوها قيل بجرها لا ينكف ولا ينكش ولا يوبى ولا ينفض ولا
يغرض ولا يفتح وبئر سعب والخضرم والعلم الغزيرة وبئر مائة وبئر مئة كثيرة الماء
وبئر نبط التي يخرج مأوها من عرضها ويقال للبئر اذا قل مأوها غار يغور غورا وغورا
وقد نكرت ايضا قال

فطلت باعراف كان عيونها الى الشمس بل تدنوركي نواكر

أنكرت تنكز نكوراً وهي ناكر واذا اندفت ثم اخرج ترابها وابست بمجدد قيل
بئر نترول والجمع نتل واذا اندفت قيل بئر دفن ودنان واذا عطلت حتى تحوب قيل
بئر سدم والجمع اسدام فاذا كانت ثادية فالتقطت والنقايلهم اباها وقوعهم عليها قيل
بئر لقيط وبئر خفية مثلها وكانت قديمة لامة من الام فالتقطت وعد ما كان نبغه من
الارض يجم عشر قيم الى ثلاثين قامة واذا كان في هلي البئر حجر نادر فبالعقاب يقال اصلح
عقاب بترك فيخرج حجراً في الطي فيتمده ليقوم عليه قال والتعلية ان يجذب الحبل عن
حجر ناتي في جانب البئر قال :

لوان "سلي شهدت" (١) مطلي تمتع او تدلج او تلي
إذا راحت غير ذات دل

وقال آخر :

اكل يوم قاتل ابن أبن دلوك عن حد الصفيح والابن
والثمت ان تكون كالبئر الا انه لا تكون من عيون اذا انقطع حفر ذراعان او قامة
فيخرج فيشرب اياما ثم ينقطع والحسي دأثم لا ينقطع والجمع (٢) احساء وحساء . والخسي
يسمى الكبر واذا تغير الماء في القلب قيل قد عرمض وسجس الماء في القلب وهو العرمض
والصرى مقصوران يقال ماؤها صرى فاستقى من غيرها ويقال أجن وأسن يأجن
وأسن اسنا واجونا وأسن أسنا واذا غلبته جليده من طول الترك قيل ذوى يدوي تدوية
وماء داو كما ترى فاذا غلبته خضرة قيل قد طحلب وعرمض وغلفق ويقال بئر ذات
طاق اذا كن فيها دور وهي حروف نادرة وعرش البئر خشباتها التي يستظل بها عليها
يطرح الثام قال الراجز :

اكل يوم عرشها مقبلي حتى ترى المئزر ذا الفضول
مثل جناح السيد الفسيل

ويقال محشوشة وحتوا بئركم اي اكسوها وبئر مجبودة اذا نقيت حتى حماتها ويظهر
حريطينها فقد جهرت تجهر جهراً والاذاء حجر يجمل في مصب الدلو لئلا يخرق الماء الحوض
وهو في بئر الماتية والابل وفي بئر الذرع والقف والدعامة مقام الساقى في اعلى البئر
وانما سميت دعامة لانه يدعم بها طي البئر فيضفطه وها شجرتان يدعمان طي البئر
قال الشاعر :

لما رأيت انها (٣) لاقامه وانني ساق على سامه
جذبت جذبا (٤) زعزع الدعامة

والمثابة مقام الساقى انشد ابو الجراح .

ياعين بكى عامراً يوم النهل قام على مثابة زلج فزل

والشجار خشبتان على جانبي البئر عليهما عارضة ودون العارضة بقدر ذراع او ذراعين

(١) ابصرت نسخة (٢) ومنه سميت الاحساء البلدة الشهيرة قرب البحرين لكون
مياهها كذلك (٣) إنه نسخة (٤) زعزت نزعا نسخة

عارضة اخرى . والنامتان خشبتان فيما بين العارضتين في كل حنب واحدة فتانك
النعامتان وفيها المحرور والمور مشدود بجبل الى العارضة وانتعد .

لولا الزمام اقنم الاجاردا بالغرب او دق النعام الساجدا
واذا كانت نارضا البكرة وعضدا من حديد كان او خشب الواج فيها والبكرة
اذا كانت على ركية جرود فهي محالة الابل واذا قلوا تعوب فهو ختبة مدورة عظيمة
لما استبان فيها كاسن الرحي قال الشاعر .

كان صوت نايه الاذب صريف خطاف بقعوقب .

ويقال للذي يجري عليه الحبل من البكرة المحرث واذا كان الشحاران من بناء طين
او حجارة فمما الزرنوقان والقرنان قال الشاعر

تأمل القرنين ناظروهما . احجرا ام مدرا تراهما

فاذا وقع الحبل من البكرة دعضها قيل مرس الحبل وامرسته انا فيقال امرسه
اي اخرجته فلما امره .

بئس مقام الشيخ امرس مرس اما لي قعو واما اقنسن
والمرس اسم الحبل قال ابو العباس امرسه القاه بن الحد والبكرة وامرسه اخرجته
وقد مرس الحبل نفسه قال الشاعر .

ولا تلسوا لي الارض نيا دني اسف عليكم تاني حين تمرس
في نوادر ابن الاثيرابي وليس من الكتاب
ولا تلسوا لي الارض نيا فاني اخاب عليكم نبي حين تلس



هذا آخر كتاب معة البئر عن ابن الاعرابي

في ارض الجليل

من دمشق ركبنا قطار السكة الحجازية قاصدين الى بلاد الجليل فاجتازنا سهول حوران وجزءاً من وادي الأردن والغور، ثم البلاد التي مررنا بها تبعاً النفس على النظر والعين الى التحدث والتفكير على التأمل لما جرى فيها من الوقائع والحوادث في سائر الاعصار . وان ارضاً اخرجت رسولاً كالسيد المسيح عليه الصلاة والسلام فكانت مهوى افئدة اهل الامم في العالم على اختلاف الاعصار والاقطار لحرية بان زارهما شطت بتاصدها الديار فما بالك وهي الآن مناضحة سواعث في قطار انجاز . وان بلاداً ممتلى على ابناء اسرائيل الوف من السنين وهم لم يياسوا من استمرار الجديرة ان يخفف اليها كل من يروم البحث في اجتماع الأمم واقترافها

يحد بلاد الجليل شرقاً الأردن^(١) وجنوباً الكرمل وجبال افرايم وغرباً بجرالروم وشمالاً فينيقية ولبنان وتسمى هذه البلاد جليل الامم لكثرة الامم فيها وفي الجليل تربى يسوع وفيها صرف اكثر مدة خدمته جهراً فدعي جليلاً وكان تلاميذه جليليين ماندا يهوذا الاسخريوطي واشتهر الجليليون بشدة البأس فقال يوسفوس المؤرخ اليهودي الذي كان هو نفسه جليلاً انهم كانوا يقرنون على استعمال كل انواع الاسلحة منذ الصغر . وقد اشتهروا بشدة مقاومتهم للرومانيين وآل خراب اورشليم الى نجاح الجليل فاصبحت دار العلوم اليهودية ونقل اليها السندريم « مجمع الامة العظيم » فجعل اولاً في اوشته وهي الآن خربة هوتته قرب شفاعمرو ثم نقل الى سفرام وهي الآن شفاعمرو ثم الى بيت شعرايم وصفوري وطبرية وكانت الجليل مقسومة الى قسمين الجليل السفلى والعلوية من طبرية الى زبولون قرب عكا وعرضها من قرية كسالت قرب تاور الى بير سبع (غير بير سبع في الجنوب) وكان فيها على رواية يوسفوس ٢٤٠ قرية وفي اصغرها ١٥٠٠ من السكان والجليل العليا طولها من ميلون غرباً الى طلة قرب الأردن شرقاً وعرضها من بير سبع جنوباً الى بقعة على حدود ارض صور شمالاً

ومعنى الجليل بالعبيرية الدائرة او المقاطعة^(٢) وكانت تطلق خاصة على القطر الشمالي

(١) مرشد الطلاب الى جغرافية الكتاب للتس اسعد منصور

(٢) دليل الارض المقدسة الجديد - د. ب. بارنابي - P. Barnabé Meister -
mann. Nouveau Guide de Terre-Sainte ١٩٥٦

من ارض الموعد وفيها عشرين مدينة اعطاها سليمان الى ملك صور لقاء خدمه في عمارة المعبد في القدس وكان يسكن هذه البلاد جمهور من الوثنيين ومن هنا اشتق اسمها جليل الام وكانت بلاد الجليل تمتد على عهد عيسى الى ذغاف بحيرة طبرية ثم دخل فيها سهل يزرعيل «مرج ابن نامر» وفي عهد السيد المسيح كانت عبارة عن ارض عازر ونفتالي وزبولون وازياخار وظلت منسمة الى جليل الى ونايل اسفل الاول تمتد الى شمالي الحط المعبد من عكا الى كفر ناحوم والثاني يمدل فيه القسم الجنوبي

ويمكن على الجملة ان يقال ان ارض الجليل واحدة اليوم في الجهة الشمالية من بلاد فلسطين بن لواءي عكا والاس وفي الجهة الغربية من نهر الأردن ويدخل فيها قضاء صفد وقضاء طبرية وقضاء الناصرة وبعض قضاء جنين ومن اعمالها مرج ابن عامر وكانت اهم مدن الجليل بطولها مايس الي اصبحت فيما بعد عكا وصفورية بالناصرة وكفر كنا وبثولي وكفر ناحوم وسكانها كما هم الآن مزيج من امم مختلفة راعم عناصرهم اليهود والاسوريون وكان هذا الاقليم على عهد سلور النصرانية عامراً جداً بالكنع غنياً مزهراً وله حياة سياسية كما له حياة دينية وجميع انواع العبادات والمذاهب تجري فيه حرة مثلثة لاشي يخص عليهم امرها وتكثر فيه النباتات والزهود من كل نوع وفيه غابات كثيرة كان يستخرج منها خشب الفين

وعرف العرب ارض الجليل بجبل الجليل فقال ياتوت ان جبل الجليل في ساحل الشام يمتد الى قرب حمس «كنعا» كان معاوية يجلس في موضع منه من ينظر به ممن يتركقت عثمان وقال ابن الفقيه وكان منزل نوح عليه السلام في جبل الجليل باقرب من حمص في قرية تدعى سحر ويقال ان بها فار النور قال وجبل الجليل باقرب من دمشق ايضاً وهو جبل يتبل من الحجاز فما كان بفلسطين منه فهو جبل الحمل وما كان بالأردن فهو جبل الجليل ومو بدنتى لبنان ومحص سنير وهذا التعريف اقرب الى الجلاء من غيره . وقال ابن عساكر ان جبل الجليل من اعمال صيدا وببيروت من ساحل دمشق . وهو تعريف حسن في الجملة قال ابو قيس بن السات

فلاولا ربنا كننا يهوداً وما دين اليهود بندي شكول
ولولا ربنا كنا نصارى مع الرومان في جبل الجليل
ولكننا خلقنا اذ خلقنا حنيف دينا عن كل جبل

فلما ان ارض الجليل كانت معترك الامم والايان من قديم الزمان ولقد جاء عليها عهد ايام الرومان كانت فيه ملاذيار والبيع والمعابد مبهوثة في كل بقعة من بقاعه وقرية من قرىه ولما فتحها المسلمون علموا اهلها بالرفق واقرهم كل عبادتهم شأنهم في فتوحاتهم ولكن دالت الدول وكرت الاعصار وهدشت ملوك اوربا على الشرق سيوشها في القرون الوسطى وكانت الحرب الصليبية سجالا بين الملمين والصليبيين في هذه الارض مدة قرنين فلا عجب اذا شهدنا اسوار المدن مهتمة وآبار البيع والديار مغارة دائرة واشجار ذاك الصقع ونمايته مدمرة وكثيراً من مدنه قرى صغيرة او مزارع باثرة

خربت هذه الدار بادوار اتت عليها كان القول انفصل في سياسة حكومات الارض لرجال الدين وكان اهل الصليب من امم اوربا كلما ارادوا ان يرجعوا ادراجهم ويتخلوا عن هذه الارض يحزن زواجرهم حائر من القساوسة والشمامسة ومن انب لفهم من حملة الدين فيلقون نائفهم في مآزق صعدة ويركون الى نيل اوطارهم كل ذلول وصعبة فتردم جيوش المسلمين عن استباحة حى الاسلام لان فلسطين اوسورية اذا ملكها الافرنج ينسجج الاسلام المجد الاقصى يوشك ان يكون الخطر محدقاً بالحرمين الشريفين مبعث الوحي والرسالة ومحج اهل الاسلام من العالمين ولذلك هاجم الصليبيون هذه الديار بسائقى الدين ودافع عنها المسلمون بسائقى الدنيا والدين فكسبت الغلبة لاهل هذه البلاد وقتلوا ظفر مهاجم ورجع المدخله عنها مدحورين ولكن بعد ان خرب العامر والغامر واصبحت تقراء جرءاء لاتجد فيها خضرءاء ولا غضرءاء .

ولقد كانت طبرية عاصمة الجليل ولها شأن مذكور بن مدن تلك الاربابض اُسست عام ١٧ للمسيح على يد هيرود انتيباس حاكم الجليل الذي جعلها عاصمته وصماها بالاسم الذي عرفت به الى اليوم اكراما لحاميه الامبراطور طيباربوس الروماني وكانت المدينة جنوبي موقع المدينة الحالية او لاى حوالى الحمامات المعدنية ويسمى اليوم ذاك المكان بحجرة الحمام وذلك لانه اكثرت مدافن وقبور في مكان المدينة القديمة فابى اليهود ان يكفوها لان خرق حرمة المدائن بعد عندهم من الكبائر . ولم يستطع هيرود ان سكن طبرية لاول انشائها الا باناس من طبقة واثمة انعم عليهم بانواع الاحسان واغدق عليهم الاعطيات ترغيباً لهم ولما توفي عالمها عهد الامبرطور نيرون الى اغربى الفنى بالولاية اعياها سنة ٤٨ لم يكن منه الا انما استوطنت طبرية عن مكانتها واختار صفورية لتكون عاصمة الجليل ولما انتفض اليهود على الرومانيين عهد الى المؤرخ يوسيفوس ان يكون والياً على

الجليل الاسفل والاعلى فخصن طبرية وكان ينتابها ليؤيد نفوذ الدولة على الشاغرين من اهائها . واستسلم اهل طبرية لفلساسيان وفخواله ابوابها لما دام الجليل يمينه فكان ذلك سبب انعام الرومانيين عليهم بنسب الرب الاحسان بعد خراب بيت المقدس ولئن سحق الامبراطور ادريانوس الالة الاسرائيلية واسأله معبداً في طبرية اعادة الاوثان فقد ظل تنوذ اليهود مستحكما بعده . وان عد اليهود طبرية بموجب شريعة اسرائيل من المدن القديرة فان لرواين منهم اختاروها واتخذوها بلدهم المقدسة وجعلوها محجهم الجديد وفي اواخر القرن الثاني انتقل من صفريرة الى طبرية كبار رجال التلمود عندهم ونشأ منهم ربانة عظماء يقدرونهم ويمجدونهم ومنهم الذين جمعوا المبعثر من شريعة اسرائيل ودحات النعمة راية في القرن الرابع الى طبرية .

فتحت طبرية ^(١) على يد ترحيل بن حننة في سنة ٩١٣ هـ صلحا على اذنان منازلم وكناشهم وقيل انه حاصرها اياماً ثم صالح اهائها على انفسهم واموالهم وكانوا هم الا ما جلوا عنه وخلوه واعتنى لمجود المسلمين موضعاً ثم تقصوا في خلافة عمر رضي الله عنه واجتمع اليهم قوم من شواذ الروم فيد ابر عبيدة اليهم عمرو بن النماصي في اربعة آلاف وفتحها على مثل صلح شرحيل وفتح جميع الأردن على مثل هذا الصلح بغير قتال قال يافوت وهي بلدة مملعة على البحيرة المعروفة بحيرة طبرية وهي في طرف جبل وجبل الطور مطل عليها وهي من اكمال الأردن في طور الغوريه ما بين دمشق ثلاثة ايام وكذلك بينها وبين بيت المقدس وبينها وبين عكا يوم هي مستعينة الى البحيرة وعمرتها قليل حتى تاهي الى جبل صخير فعنده آخر العارة

ولما فتح الصليبيون بيت المقدس اقلع ملكها غودفري دي بوليون ولاية الجليل الى نكر يد فجعل عاصمتها طبرية فأسست مدينة حديثة شمالي القديمة وهي الموجودة اليوم وفي سنة ١١٨٢ اقبل وقمة حطين ^(٢) كان ملك طبرية ريمون الثالث كونا طرابلس فسقطت المدينة بيد صلاح الدين الا التلمعة وكان فيها امرأته اولاده فبالبت الامان من صلاح الدين فأمتهوا وانصرفت عنها تلحق بزوجها وغدت طبرية في سنة ١٢٣٩ ملكاً لاود دي موبيلارد بموجب معاهدة عقدت بين الملك الصالح ايوب سلطان دمياط و خد ملك مصر فاستعادها اذما بسد خمس سنين وزيح الحامية والحصارى فيها يقول

(١) مع البلدان

(٢) دليل الارض المقدسة

الافرنج واخذت هذه المدينة بالانحطاط حتى ان الرحالة كارسميوس لما زارها سنة ١٦٢٠ لم يرف فيها احداً من اليهود ووجد سكانها كلهم من المسلمين.

وحكم طبرية ظاهراً العمر حاكم عكا وهو الذي بنى سورها المتهدم الحالي سنة ١٧٣٨ وجدده ابراهيم باتا المصري سنة ١٨٣٣ ولكن اصبحت بعد اربع سنين من هذا التاريخ بزلزال لم يبق منها ولم يذر هناك في سبعمائة شخص وقوضت اركان المنيها كانه وقيل سكانها المسلمون ونزلها يهود من اطراف الارض وهم اليوم اكثر من ثلاثة ارباع سكانها لا يقولون عن سبعة آلاف فيهم انساوي والبولوني والروسي وغيرهم.

واهم ما في طبرية حماماتها وبحرتهما قل علي بن ابي بكر المروزي : اما حمامات طبرية التي يقال انها من عجائب الدنيا فليست هذه التي على باب طبرية على جانب البحيرة (المعروفة اليوم) فان مثل هذه كثيراً ما رأينا في الدنيا واما التي من عجائب الدنيا فهو موضع من اعمال طبرية شرقي قرية يقال لها الحسينية في واد وهي عمارة قديمة يقال انها من عمارة سليمان بن داود وهو هيكلي يخرج الماء من صدره وقد كان يخرج من انفي عشرة عينات كل عين مخصوصة بمرض اذا اعتل فيها صاحب ذلك المرض ربي باذن الله تعالى والماء شديد الحرارة جداً صاف مذهب الريح وبقصد المرابي يتدفقون به ويعون نصب في موضع كبير حار يجمع الناس فيه ومنفعته ظاهرة وما رأينا ما يشابه الا الشرميا قلنا وان ما يشير اليه من الحمامات بانه في واد بعيد عن طبرية وهو من عجائب الدنيا يشير فيما نحسب الى «الامة» الواقعة في وادي البرموك على طريق الخط الحديدي عند الكيلومتر ٩٣ و ١١٩٥) قال ابو التاسم في وصف حمة طبرية وفيها عيون ملحة حارة وقد بنيت عليها حمامات فهي لا تحتاج الى الرقود تجري ايلاً ونهاراً حارة وبترها حمة بغتمس فيها الجرب وبها مما يلي الغور بينها وبين بيسان حمة سليمان بن داود عليه السلام ويزعمون انها نافعة من كل داء اهـ

ومذمة الحمة الاخيرة اي حمة سليمان لانزال الى اليوم معروفة بحمام سيدي سليمان وهي احدى الحمامات السكاينة في جنوب طبرية على نحو كيلومترين منها ويمر الماء الى الحمامات من اربع عيون حارة واهمها ما بناه ابراهيم باتا وهو في النبل ويعرف باسمه وهو عبارة عن حوض كبير تحيط به عمد قديمة من الرخام وعلية قبة عظام وهي مشقوبة بشقوب اسطوانية يخرج منها البخار ودرجة حرارة الماء ٦٢ بالميزان المئوي وهو صاف

براق في الجملة ملح الطعام مرهوت وتبعث منه رائحة تدبده من حامض الكبريت او رائحة بيض فاسد. وهذه الحمات لماك الحكمة تؤجرها من تبرد لقاء الفليرة في السنة وفيها مغاطس في مكان آخر قد يغير صاحب الحمام مياهها في الاحايين ولكنها كسائر اقسام الحمامات الاربعه غير صحيحة لان اناسا كثيرين من ارباب الامراض المختلفة ينزلونها في وقت واحد ويخشى ان تسري جزائيم بعض الامراض الى جسم من كان منها سليما فيخسر بانفسه في هذا الماء من حيث يريد الزيج ولورثت هذه الحمامات ترتيباً صحيحاً كما هو الحال في حمامات اربنباد في انما وبورصة في الاناضول وحلوان في مصر وأنتئت هناك كما هو رأي بعض المفكرين في عمران هذه الديار للارتفاع بمصائصها الطبيعية نادق وحدائق واماكن تتوفر فيها لشروط الراحة ومرافق الحياة لجلب المستحقين في هذه الحمة من اقطار الارض كما تجلب حمامات بورصة وحلوان ومارينباد وباد وموسم الاستحمام بهذه الحمامات من اول كانون الثاني الى آخر حزيران^(١) وتختلف الحرارة في الصيف في طرية من ٢٠ الى ٤٢ ولكن الهواء حسن في الجملة فلا يؤثر في سكانها الاصلين كثيراً بقدر تأثره في الغرباء لذلك صدق ما قاله فيها ابو عبد الله اس البناء : طرية قصبة الأردن له وادي كنعان موضوعة بين الجبل والبحيرة فهي خضيرة كربة في الصيف وخمسة وربة وطولها نحو مائة فرسخ بلا عرض وسوقها من الدرب الى الدرب والمنازل الى الجبل بها ثمان حمامات بلا عقيد حارة الماء والناع في السوق كبير حسن فتره مرفوع بالحصى على اساطين حجارة موصولة ويقال ان اصل طرية شهرين بركصون من كثرة الراعيث وثرمين بلوكو. يعني البق فانه كثير عديم وشهرين بشاقفون يعني بايدهم العصي يتردون الزاير عن طعنهم وحلاوتهم وشهرين عراة يعني من شدة الحر وشهرين يزمرون يعني يمصون قصب السكر وشهرين يخوضون من كثرة الوحل في ارضهم قال واسفل طرية جسر عظيم عليه طريق دمشق وشهرين من البحيرة وحول البحيرة كله قرى متصلة ونخيل فيها سفن كثيرة وفي كثيرة الاسماك لا تطيب لغير اهلها والجيل مثل كل البلد واما عذب ليس بجواه.

ويرى اطباء العصر ان مياه طرية الحارة ترفع النساء في وظائفهن التناسلية وتؤدي في كل الشفاء من الاوجاع العصبية الحادة والمزمنة ومنه امراض الرثية « الروماتيزم » ومن ضعف المجموع العصبي ومن داء القفرس ومن البول السكري ومن المرة السوداء

«لابريخندريا» ومن امراض اعضاء التناسل ومن الاورام المتصلية التي هي في حال الوقوف كما قد تنفع في التهاب قصبة الرئة «بروثيت» المزمنة وبعض امراض الارب والمانجرة المزمنة والامراض الجلدية وعند انتظام حركة سائلة لتفاد راحة في الرحم والبول الزلالي والتدرن الرئوي وغيرها

اما بحيرة طبرية فقد قال فيها واصفوها من الامراض انها اخيض الثاني الذي يلاؤه نهر الأردن في طريقه عند انحداره من قبة بارية الى بحيرة لوط وسطح مائها على ٢٠٨٠ امتار تحت سطح البحر المتوسط وعمق البحيرة ٤٥ متراً في وسطها ولكن يبلغ ٢٥٠ متراً في الخليج المجاورة للشاطئ الجنوبي من البحيرة اي قرب سبخ التي يرك منها الى طبرية في قارب في البحيرة ساعة او يركب في مركبة الى اليا. ساعة ونصفاً.

وطول البحيرة ٢١ كيلومتراً من الشمال الى الجنوب وعرضها تسعة كيلومترات ونصف اي ان مساحتها المستطحة ٢٠ كيلومتراً مربعاً ومياهها قابلة للشرب في الفصول الاربعة وفيها كثير من السمك الجيد والجبال التي تحيط بالبحيرة في الجنوب الغربي تنفرج عنها في الشمال الغربي فيتألف منها نصف دائرة متسعة وفيها يكون سهل الورد *Jénésareth* الحبيب وليمة مائة متر من البحيرة الى الانابي عدة قرى وبينها مدينة صفد القديمة وفي الشمال من البحيرة سهل مموس *Alluvial* يشهر بمصب الأردن وفوق السهل المتوج الذي يفصل بحيرة طبرية عن بحيرة الحولة او مياه ميريم *Les eaux de Mérom* تنظر الى قن حارمون الشيخ المسكالة بالولوج ويعد البحيرة من الشرق والجنوب الشرقي متخورة عالية هائلة يبلغ علوها نحو ثمانية مترات وهي تحمل سطح الجوزان *Jaufanilide* وفي الجنوب يفرج العور ثاية فيبازره الأردن وبلون فيوئلف اضواحا *Méandre* عديدة

وكان اسم هذه البحيرة في القديم كنزيت اشارة الى شكها البيضي الذي يشبه عود الطرب واسمها بالعبرانية كنزور على ان هذا الشكل هو عام في جميع البحيرات التي تحيط بها الجبال ومينها زهانهر وكانت كنزيت معروفة قبل العبرانيين من مدن الكنعانيين وبعد سبي بابل دعت البحيرة بحيرة النذر اخذاً من اسم السهل الحبيب الذي يصل الى شواطئها من الشمال الغربي وسميت في العهد الجديد بحيرة الجليل وبحيرة طبرية وهذا الاسم هو الذي اطلقه عليها العرب

ولم يخل هذا المبدأ على حرارته من رجال في الاسلام ولدوا ونشأوا وكانت لهم

بد في خدمة المسلمين مثل الامام الحافظ سايان بن احمد بن ايوب بن مطير ابني القاسم الطبراني « احد الائمة المعروفين واخفاظ المكثرين والطلاب الرحالين الجوالين والمتنابخين المعمرين المصنفين المحدثين والثقات الاتبات المعدلين » وغيرهم ممن يقف الدهر والخلف يتناقل عن السلف اعمالهم

وكان الأردن على عهد الفتح الاسلامي احد اجزاء الشام الخمسة^١ وهي كورة واسعة منها الغور وطبرية وصور وعكا وما بين ذلك قل احمد بن الطيب السرخسي الفيلسوف هما أردنان الأردن الكبير وأردن الصغير فلما الكبير فهو نهر يصب الى بحيرة طبرية بينه وبين طبرية لمن عر البحيرة في زورق اثنا عشر ميلا تجتمع فيه المياه من حبال وعيون فنجري في هذا الهر فتسقي اكثر ضياع - بلاد الاردن مما يلي ساحل الشام وطريق صور ثم تنصب تلك المياه الى البحيرة التي عند طبرية وطبرية على طرف جبال يشرف على هذه البحيرة فهذا الهر في الاردن الكبير بينه وبين طبرية البحيرة واما الاردن الصغير فهو نهر يأخذ من بحيرة طبرية ويمر بنهر الجنوب في وسط الغور فيسقي ضياع الغور واكثر مستغلام السكر ومما يحمل الى سائر بلاد الشرق وعليه قري كثيرة منها بيسان وقرأوا وارباجا والعوجاه وغير ذلك وعلى هذا النهر قرب طبرية فطرة عظيمة ذات طائفات كثيرة تزيد على العشرين ويجمع هذا النهر ونهر اليرموك فيصيران نهرا واحدا فيسقي ضياع الغور وضياع البثينة ثم يمر حتى يصب في البحيرة المنيمة في طرف الغور الغربي وللاردن عدة كور منها كورة طبرية وكورة بيسان وكورة بيت رأس وكورة جدر وكورة صفورية وكورة صور وكورة عكا وغير ذلك . وقد فتح طبرية لما انتقضت عمرو بن العاص كما ننا فتحها الى مثل صالح شرحبيل وكذلك جميع مدن الاردن وحصونها ففتح بيسان ونايقي وجرس وبيت رأس وقدس والجولان وعكا وصور وصفورية وغلبي سواد الاردن وجميع ارضها .

في وادي الاردن بين قرية لوية وطبرية في سهل قرية حطين وقعت الواقعة الهائلة بين جيوش الصليبيين وجيوش المسلمين ورأسهم صلاح الدين التي قال فيها مؤرخو الصليبيين انها كانت في الرابع من تموز سنة ١١٨٧ م وكان جيش الافرنج موثقا من النفي فارس وخمسين الف راجل اشتد بهم انهطش لقلعة الماء هناك وبرحت بهم تباريحه قبل الواقعة بيومين وهبت عليهم ريح شرقية وهي المعروفة بالخماسين فن لم يسلم الروح

ظلم أسلمها لل سيف وانهمز الكنت ريموند صاحب طرابلس فاستولى صلاح الدين على
الأكمة وقتل من ملوكهم صاحب الكرك رنودي شاتايون الذي كان غزا الحجاز واحب
فتح الحرمين فنذر صلاح الدين ان هو ظفر به ان يقتله بيده وكذلك كان واستسلمت
سائر المواقع لارادة الجيش الصلاحي

وكان صلاح الدين قد نازل طبرية ونقب بعض اراجها ونهب المدينة واحرقها فلما
سمع الفرنج بذلك اجتمعوا للمشورة فاجمعوا الى التقدم فركبوا واشتد القتال وصبروا فريقان^(١)
ورمي جاليشية المسلمين من النشاب ما كان كالجراد المنتشر والافرنج يقاتلون سائرين
نحو طبرية أهلهم يردون الماء فلما علم صلاح الدين مقصدهم صدمهم عنه وكان بعض
المنطوعة قد التى في تلك الارض ناراً وكانت الحشيش كثيراً فاحترق وكانت الريح
فحملت حر النار والدخان اليهم فاجتمع عليهم العطش وحر الزمان وحر النار والدخان
وحر القتال فلما انهزم القمص (الكنت) سقط في ايديهم وكادوا يستسلمون ثم علموا
انهم لا ينجيهم من الموت الا الاقدام عليه فحملوا حملات متداركة كادوا يزيلون المسلمين
على كثيرتهم عن مواقفهم الا ان الفرنج لا يحملون حملة فيرجعون الا وقد قتل منهم
فوهوا لذلك وهماً فارتفع من بقي منهم الى تل بناحية حطين وارادوا ان ينصبوا خيامهم
هناك فاشتد القتال عليهم من سائر الجهات واخذ المسلمون صليهم الاعظم الذي يسمونه
صليب الصلבות ويذكرون ان فيه قطعة من الخشب التي صلب عليها المسيح عليه السلام
فيما يقال فكان اخذه من اعظم المصائب الى ان أمر المسلمون من نجا من حشد السيف
وفيه الملك واخوه والبرنس ارنلط (ارنولد) صاحب الكرك ولم يكن في الفرنج اشد
منه عداوة للمسلمين واسروا ايضاً صاحب جبيل وابن هنفري ومقدم الداوية وكان من
اعظم الفرنج شأناً واسروا ايضاً جماعة من الداوية وجماعة من الاسبتارية (الاصبتالية)
وكثير القتل والاسر فيهم فكان من يرى القتلى لا يظن انهم اسروا واحداً ومن يرى
الاسرى لا يظن انهم قتلوا واحداً وما أصيب الفرنج منذ خرجوا الى الساحل وهو سنة
احدى وتسعين واربعائة الى الآن (٥٨٣) بمثل هذه الواقعة قال ابن الاثير: ولقد
اجتزت بموضع الواقعة بعدها بنحو سنة فرأيت الارض ملاءى من عظامهم تبين على البعد
منها المجتمع بعضه على بعض ومنها المفترق فهذا سوى ما جففته السيول واخذته
السباع في تلك الآكام والوهاد

واختلفت الروايات في مقدار عسكر صلاح الدين والصحيح على انه كان نحو جيش الصليبيين اي يزيد عن خمسين الف مقاتل^(١) الا انه كان يزداد كل يوم حتى صار معه في طبرية ثمانون الف مقاتل واجتمع عسكر الصليبيين في الجليل في صحراء صفورية اولاً الى ان كانت هذه الواقعة التي لم تتم لهم بعدها قائمة وسقطت مدن الجليل بيد الجيش الصلاحي واحدة بعد اخرى مثل عكا والناصرية وقيسارية وحيفا وصفورية ومعليا والشقيف والفولة وغيرها من البلاد الجارة لمكافاة الهلاك الذي لاقوه في^(٢) وكانت الفولة احسن قلعة واجصنها واملاها بالرجال والعدد واشجعها وهي للدواية^(٣) حصن حصين ومكان مكين دركن ركنين ولم يها منيع منيع ومربع مربع ومسند مشيد ومهاد مهيد وفيها مشاتهم ومصيفهم ومقرهم ومضيفهم ومربط حيولهم ومجر ذبولهم ومجرى سيولهم وجمع اخوانهم ومشرع شيطانهم وموضع صلبانهم ومورد حجتهم ومقد جهرتهم فلما اتفق يوم المصاف خرجوا باجمعهم الى مصرعهم وابتهن بان الكدر لا يتمكن من صفو مشرعهم فلما كسروا واسروا وخسروا وتحسروا ظلت الملوكة الفولة بمحوردها اعلمها المفولة ودماه داويتها المظلوقة ولم يجتمع شمل عمودها السيوف المسلوقة ولم يبق بها الا رعايا رعا وعلمان واتباع واشياع شعاع فقدموا امكان حماية المكاتب ووجدوا امنهم في الاستئمان فسلموا الحصن بما فيه الى السكان وكانت فيه اخير الدخائر وتنافس الاعلاق فوثقوا بما احكموه من الميثاق وخرجوا ناجين بدخلوا في الزمام لاجين والسلامة راجين وتسلم جميع ما كان في تلك الناحية من البلاد مثل دبورية وجنين وزرعين والطور والنبون ويسان والقيرون وجميعها الطبرية وعكا من الولايات والزيب ومعليا والبنية واسكندرونة زمنوات

هذه هي عاصمة الجليل وهذا طرف من تاريخها وعمرانها في القديم اما اليوم فخالها حال قرية خفية لانكاد تجد فيها شجرة مع اشتهارها قديماً بكثرة الاشجار بل ان النخيل الذي كان بكثرت فيها لا تجد له الا اثراً ضئيلاً جداً كما ساء يفقد من ارض الجليل اللهم الا بعض سواحل البحر ولذلك تجد طبرية باذنة مكدة ولوحفت اراف البحيرة بالاشجار لطاب مناخها واعتدل هواؤها وراق للنواظر منظرها واصبحت مصيفاً ومشقياً على حد سواء واكرم الاهالي كسالى والحكومة لايهمها الا اخذ ما تيسر من الضرائب والعشور

(١) تاريخ سوزبة للطراش يوسف البس (٢) الفتح القبي في الفتح القدسي

(٣) اعلام فرسان الهيكلين

قال انا احد اصدقائنا من علماء دشق في الاقصاد والعمران زرت طبرية منذ اثنتين وخمسين سنة وزرتها منذ سنتين فلم اشهد فرقا في عمرانها بل رأيتها جامدة لم تحرك تولا فندق اللاماني ومستشفى الزكاكين لرسمت الطبرية نفس تلك الصورة التي علفت في ذهني منذ نصف قرن ومع ما تنكوه من بطء بلادنا في نهوضها وعمرانها نجد القراء في هذه الحقبة من الزمن قد تغيرت صورتها وابسطت رقعتها وحسنت ولو بعض الشيء بقعتها اما طبرية فهي الجرد بعينه لم يزد الا جالية من يهود الغرب نزوها مهاجرين فكان المسكن الذي ينزله خمسة انفس يؤوي الآن عشرين فضايق السكان وفسد الهواء واستوبل الماء وافقر اهل البلاد الاصليين لان لسان حال الاسرائيليين والصهيونيين خاصة مع جميع الشعوب كما قال ذلك السامري «لاماس»

كان من حق العاصرة ان يسبق الكلام عليها لانها اليوم اعمر بلاد الجليل ومهبط افئدة ام الصرانية ولكنها بلد حديث المدة لبلاد الجليل بدأ مجددا بانها كانت موطن مرهم العذراء عليها السلام وفيها عاش المسيح الى الثلاثين من عمره ولم ير لها ذكر في كلام تدماء المؤرخين بمعنى الناصرة الفرع او الزهرة وثي على ثلاثة عشر ميلا من طبرية ممتدة على شكل نصف دائرة في سفح دائرة من الآكام العالية ويوتها بيضاء نظيفة تحيط بها اشجار الزيتون والبن والصابار وبذلك تأت منها صورة مليحة لاتعب العين من النظر اليها قال رنان^(١) : «تتألف الناصرة بلدة صغيرة قائمة في طيبة ارض منسطة على متن بعض الجبال اما سكانها فانهم يبلعون اليوم اربعة آلاف نسمة^(٢) فكانها الناصرة القديمة لان المؤرخ يوسف يفسر بقوله ان اصغر قرى الجليل كان عدد نفوسها خمسة آلاف نسمة وان كان هذا القول لا يخلو من مبالغة . والبرد في الناصرة شديد في زمن الشتاء ولكن الهواء جيد جداً وكانت الناصرة في ذلك الزمن شبيهة بكل قرى اليهود يومئذ اي انها كانت مؤلفة من منازل مبنية من غير هندسة ولا نظام ومنارها شبيهة بمنظر التري الاربوية وربما لم تكن منازل الناصرة تختلف عن المنازل الحجرية المربعة القائمة في جهات لبنان العامرة والتي اذا اخيفت اليها اشجار الكرمه والبن المغروسة بجانبها كان لها منها منظر رائع .

(١) تاريخ المسيح تعريب مرح اندي الطون

(٢) هذا في زمن رنان وقد ساح في سورية وفلسطين ولبنان بين سنتي ١٨٦٠ و

١٨٦١ و. وكان للناصرة اليوم عشرة آلاف

اما المكان الذي بنيت فيه الناصرة فانه مكان شائن وليس في الدنيا كلها مكان افضل منه للأمل في السعادة والراحة . ولا تزال هذه المدينة الى اليوم مناماً جديلاً . اما سكانها فاهم قوم ألفوا اللطف والبشاشة وحدثتهم بارادة خضراء . وقد وصف « انطونين مارتير » الناصرة في اواخر القرن السادس عشر قشبه ارضها بارض الجنبه من فوط خصبها . ولا يزال في غربي المدينة اودية خضيرة ينطبق نيلها وصفه

اما العين التي كانت مركز الحركة في هذه المدينة وكثرت حولها السرور شاملاً فقد هدمت ولا يجري الآن من نهاسرى ماء كدر واما جبال النساء الاناصريات اللواتي يجتمعن حولها في المساء من ذلك الجمال الذي كان مشهوراً به في القرن السادس عشر انه لاناصريات من صريح العذراء فانه لا يزال يترقب في وجوههن فبتلك الشكل السوري الجليل في ام خلقته . .

ولا شبهة في ان العذراء كانت تفت في صباها بين اولئك النساء حول العين ومهم اناء الماء لتسقي منها . وقد قال انطونين مارتير ان نساء اليهود يكرمن المسيحيين في هذا المكان مع انهن يكرهنهم كرها شديداً في غيرهم . فكأن هواء وطن الصيد الحظ احلاقهن . واذ نشرت في البغض الديني وجدته في هذا المكان اخف منه في سائر الامكنة .

واما منظر الانق من المدينة فانه قصير ضيق واكثك اذا صعدت الى الاعلى المتسرفة عليها البسط امامك منظر جميل يسر الالباب فانه من الجهة الغربية يظهر لك جبل الكرمل ممتداً الى البحر وداخله فيه وياه غيره من الجبال بينها وادي الأردن وصهول بيريا المرتفعة . اما في جهة الشمال فتلك ترى جبال صفد متجبهة نحو البحر وهي تستر عنك عكا وتظهر لك خليج حيفا .

هذه كان افق يسوع . هذا كان في صباه المنظر الدائم امام عينيه . هذا هو مهد ملكوت الله وسرير الديانة المسيحية . فاذا بقي العالم ينجياً في مستقبل الزمان وصار أكثر احتراماً لاصول الدين واشد رغبة في استبدال الاماكن المقدسة المستوك فيها بما كان حقيقة فما عليه الا ان يبني كيسة عليه هذه الاعلى التي كان يسوع يجلس عليها ويشاهد العالم . هناك يجب ان تقام الكيسة الكبرى التي يجب ان يجمع اليها المسيحيين من جميع اقطار العالم . هناك حيث يرقد يوسف النجار والوليد من ابناء الناصرة المسيحيين يحق للفيلسوف ان يقف ويتأمل في مجرى حوادث العالم ليعزي نفسه

عما يصادفه الانسان في هذه الحياة من الفشل والخيبة في اعز ما يكون لديه ولكي يتحقق ان العالم سائر الى "غرض الهي لا يصرف شيء عنه مهما قام في سبيله من المصاعب والعثرات اهـ .

هذا ما وصف به فيلسوف الفرنسي الناصرة بلد يسوع الناصري كما كان يقال له والتي منها اشتق اسم النصارى^(١) وهو وصف ينطبق كل الانطباق على حالتها اللهم الا ما جاء عفو الخاطر فكان اشبه بتدبيره شاعر مثل قوله في مكان الناصرة انه « ليس في الدنيا كلها مكان افضل منه للتأمل في العادة والراحة » ونظن مثل هذا القول يصح اطلاقه على جبال سورية عامة بل جبال الارض كافة فهي كلها تبعث الروح على التأمل لغراغ الذهن فيها من كدورات المدن وازدحام الانفاس والانعقاد عليه العيون من المناظر الشائنة في هذا الوجود الغريب وكيف كانت الحال فيلسوف يعذر على ما قال لنشأته وتربيته التي قلما تجرد منها انسان مهما تزعم ربة النيرد والتنايد ولكن هذا الغلو لا يقدح في جمال هذا البلد الطيب واي بلاد لا تعيب لاهلها .

اما تاريخ الناصرة فله ارتباط كلي بتاريخ الجليل وبلد فلم تداهم جيوش كسرى وحولاكو وتبور هذا الالم لم يدم من غاراتهم وتخريبهم ولقد قال بعض مؤرخي الافرنج ان التسامح الذي اسداه المسلمون للمسيحيين لم يدم زمنه طويلاً حتى ان وباء الدمار لما وصل الى الناصرة سنة ٢٢٥ م لم يجد فيها كنيسة قائمة ومع هذا ذكروا بانها كان فيها سنة ٨٠٨ ثمانية عشر راعياً

وقتل الامبراطور يوحنا سيميسيس على العرب وامشولى على سورية وفلسطين واحتل طبرية عام ٩٢٥ وجبل تابور والناصرة ولكن ادخل عليه خصيانه السم فعادت الولايات التي افتتحتها فسقطت في ايدي العرب . وقد قال ساولف ان تذكرد لما فوضت اليه بدفع القدس بلاد الجليل سنة ١١٠٠ كانت معاهد الناصرة قد خربها العرب ولم يبق الا بعضها فاعاد الصليبيون بناءها واتخذوها كنيسة جامعة لهم . ولما سقطت ارض الجليل بيد صلاح الدين وبد وقمة حطين آضت الناصرة ايضاً اليه فعطف على اهلها وفي خلال هدنة العشر سنين العقودة بين الصليبيين وصاحب مصر في ٢٠ شباط ١٢٢٩ اصبح فريدريك الثاني في امبراطور المانيا الحاكم المتحكم بالطريق من عكا الى الناصرة فرم هذه المدينة على انها ما كانت قط حصناً مديناً

(١) باقوت في المعجم والمقريري في الخطوط

وفي شهر آذار ١٢٦٣ قدم من مصر في جيش هائل صاحبها الظاهر يبرس البندقداري وعسكر في منحدر جبل تابور وبث كما قال القس مسترمان برجاله ينجون البيع والاديار واطلق الحرية للمسيحيين على ان يدينوا بالاسلام ولكنهم ابوا ووقعت فيها وقعة هائلة قتلوا عن آخرهم . ولورخي الاديار اخبار يلوها واحاديث يقصونها عما لقيه القسيسون والرهبان من المظالم الى القرن الماضي ايام تنفس خناقهم بتولي الظاهر عمر امر الجليل فاصبحوا احراراً في كنائسهم وعباداتهم آمنين من عيث البدو الذي وقع مرتين على الناصرة فغزوا اهلها في عقر دارهم .

وتاريخ الناصرة هو في الحقيقة تاريخ الاديار والمعابد فيها وقد قوي سلطانهم منذ جاء بونابرت وحاصر عكا سنة ١٧٩٩ وبث باحد قواده بعسكر في الناصرة وانهايت الاحسانات على الاديار من ام النصرانية في الغرب على اختلاف لغاتهم ومذاهبهم وما منهم الا من انتشأ ببيعة حتى بلغت اربع عشرة بيعة وكنيسة ومعظمها من ضخامة البناء وحسن الهندام ما يذكر بقصور الملوك ومنازل المترفين والفرنسيسكان اقدم الرهبنة وارسخهم قدماً في الناصرة وكنيستهم مما يزار لعض الآثار التاريخية فيها ويكني انها اثر من آثار الكنائس في القرون الوسطى

وفي الناصرة يشهد التنافس بين اهل المذاهب المختلفة من المسيحيين يعلمون المذكور والاناث وبلشونهم مايتاؤون ويطبون المرنجي ويعطونهم العقاقير بلا مقابل من اي نخلة كانوا على شرط ان يستمعوا لوعظ الواعظين ونصائح دعاة الدين ولذلك قل في هذه البلدة الاميرن والجاهلون والقارئون الكاتبون من اهلها من الجنسين اكثر من كل بلد سواها في سورية يعيشون بصدقات المحسنين ويتمتعون بما تجوده ايديهم انقياء الغريبين

ولو اتصلت الناصرة اليوم بانسكة الحديدية مع خط حيفا على الاقل او لومد منها خط الى القدس لما حيج حاج من النصارى الا ونزل الناصرة يزور ويترك ولكن من ذلك للحكومة والامة فائدة مادية مهمة فمن مدن سو يسرا مايعيش طول سنه ممايفته الزوار في مصابفا افلا يجدر ببلد السيد المسيح ان يعيش اهلها من ريع ياتيهم به عشرات الالوف من جمهور المؤمنين من المسيحيين . . . « للبحث صلة »

غابات سورية

تشجير أراضي السلطنة من أهم المسائل الانتصادية المهمة التي يجب ان تصرف لها عناية العثمانيين وحكومتهم فقد جهل الناس منافع الغابات ولم تعن الحكومة بالهينة عليها حتى اتى السكان اوكدوا في اكثر الاقاليم على ما لقي لهم الاجداد من الغابات الغيباء فكان الخطر يحدق بحياة البلاد الاقتصادية ويرى ان يستفحل الخطب لهذا الاممال قال العارفون ان في المحافظة على الغابات نجاح الزراعة والتجارة والمعامل والصناعات والملاحة البحرية والنهرية والمناجم وجميع اسباب الراحة في الحياة بل وحياتنا ايضاً. ودعا المحدثون من الاقتصاديين والمفكرين في الغرب الى حفظ الغابات قائمين بحفظها من اول مصالح المجتمعات وحفظها اول الواجبات على الحكومات واثبتوا انه كلما قطعت من بلد اشجاره يسي فقيراً لان في قطع الشجر انني تفشى مخدرات الجبال وقتها ثلاث مصائب لابناء الاجيال المقبلة : قلة الونود وقلة المياه وانعدام اللادو انقيضانات المخربة فحياة البشر. منطقة الاشجار. والام التي تحب الغابات هي من الامم العاملة التي تحسب للمستقبل حابه وتندر عرافة الافراد في الاخلاق والتقاليد يجمعون لهم منها رؤوس اموال فيفلحون بها ويرثشون

ابادة الاشجار بائحة من جوائح الانان ونذير اضمحلال الامم فلاحتفاظ بالغابات والآجام هو تامين لمبدأ الدين الاجتماعي وقانون التكامل الذي يربط الاجيال بعضها ببعض قال الوزير كواهر القرندوي ذات يوم وقد رأى قبة عناية أمته بغاباتها : ان فرنسا ستهلك من قلة الحراج

وليس معنى ابادة الغابات حرمان بلادنا من اجمل - ليها بل انضاب يتابع الانهار واخلال نظامها اخلا لا فيه الهلاك والتخريب والاضرار بالصحّة العامة وتغيير وضع الارض التي تحمها بافتنا كل التربة الصالحة منها على الزمن بهجوم المياه عليها دفعة واحدة وهو من اعظم الاخطار على التربة المنحدرة . وتى عري الجبل من اشجاره يهلك الزرع والضرع معاً فتجري السيول الى التربة الجرداء تحمل معها اولا التربة الصالحة للزراعة ثم تفرج ما بين الصنهر وتجعل الاشجار ركلاً مشرقاً على الاودية ويصبح النهر مسيلاً تكثر مياهه فتفيض ايام الامطار وتنال بدون نظام مودية بكل ما في طريقها وتزهد زياده هائلة فيفيض في السهل وهناك الفيضان والطوفان وتقطع الامواج بتيلها

الاشجار والصخور وتخرب السدود وتودي بالحدود والقصور وتذك المدن من أسسها . تجري مياه الامطار على الصخر القاحل كأنها تمشي على سطح دار وتخرب المراعي وتفيض الانهار حاملة تربة الجبال وحصاها واجبارها فتطفح بها مجاري المياه وتسد مصابيها وبعد ان تفيض المسابيل كثيراً تصبح ولا ماء فيها ويختل نظام الاهوية ويكون من ذلك خراب رعاة الجبل وزراع السهل وتجار الثنور والمدن وصناعاتها . من اجل هذا صاغ لنا ان نقول انهم كلهم متضامنون في منع جرد الاشجار وتعرية الجبال .

ولقد نشأت في كل عصر مضر كثيرة من جرد الجبال من اشجارها وغاباتها قال احدهم^(١) كانت صقلية وافر بقية الثالية والمغرب الاقصى انبار رومية في القديم فاصبحت قاحلة ماحلة بما تواتر عليها من غارات الدجال والعرب التي انتهت بتعطيم الغابات وكل ما يشاهد من الخرائب العظيمة في تونس والجزائر وبعض اعمال قسنطينة وفي غيرها شاهدة ناطقة بان هذه الاقاليم القاحلة اليوم كانت زاهرة امس وفيها المدن العامرة عراها السقوط كما عرا اسبانيا من ابادة اشجارها وكم من خرائب حفر فيها وهي رمال او انقاض فشوهدت تحنها مدن كانت عامرة بمياهها المطردة وحداثتها الغياض وغاباتها الغناء فلم ثوت الا من قطع غاباتها ونسفت الرياح الرمال كي تلك المدن فاصبحت كأن لم تغن بالامس

ولقد ثبت ان فقر البلاد ولا سيما الجبلية منها ناشيء من قطعها الاشجار خاصة . وكما توغل المرء في دراسة التاريخ يجد التواهد الكثيرة على تأثير الغابات في تكثير السكان فقد كان لبلاد اليونان وهي اليوم فقيرة قليلة السكان غابات وانهار^(٢) وان اجذاب الحقول الرومانية وخرابها ناشئان من تجرد جبال الالبين من اشجارها . وجبال الالبين تقطع ايطاليا الى شطرين . وقد ناب اسبانيا انحطاط سريع من هذا الشأن فبعد ان كانت في القرن السادس عشر على عهد شارلكان وفيليب الثاني عامرة غنية محتزمة انحط عمرانها في القرن السابع عشر من دون ان يضر بها عدو او تستبيح حماها أمة غازية فلم يميز عليها قرن الا وقد رأت جميع علامات الانحطاط وقل سكانها على صورة مدهشة فنزل سكان مدريد من اربعمائة الف الى مائتي الف في اوائل القرن الثامن عشر والسبب في نزوح السكان تلك المجاعة التي حدثت من الجفاف الذي دعا اليه تعرية البلاد من غاباتها تعرية اخلت بنظام الري . حتى ان نهر المازاريس كان في القرن السادس عشر

(١) مجلة مطالعاتنا في بيوتنا (٢) جغرافية اليزة ركلوس بالفرنسوية .

قاربلا سيرا السفن في على مقربة من مدريد فاصبح اليوم جافاً . وانهم ليرجون في اقليم اراغون الرمل بالخمر بدل الماء عندما يريدو ان يجبلوا الطين . فنفس البلاد وعظمتها على نسبة غناها بغاباتها . وبلاد روسيا أكثر اوروبا غابات فان اربعين في المئة من اراضيها مغطى بالاشجار و١٦ في المئة من ارض فرنسا وارض ايطاليا مغطاة بالاشجار و٢٤ في المئة من ارض المانيا و٦ في المئة من ارض البرتغال و٥ في المئة من ارض فارس و٣ في المئة من ارض اسبانيا وبلاد اليابان أكثر بلاد الدنيا غابات . وتبلغ مساحة الغابات في الولايات المتحدة خمسة اضعاف مساحة فرنسا ويحرق منها في السنة نحو ثلثمائة هكتار وكثيراً ما يلتهب قسم من غابة فتبقى الايام مشتعلة وربما حرقت فيها قرى بسكانها كما حدث في حريق البحيرة العالية وحدث هذه السنة فدام الحريق اياماً ذهب فيه مئات الالوف من الليرات .

ليس من جميع النباتات التي تنبت في الارض ماعدا الخنطة التي هي اول المواد اللازمة لغذاء النبات ضروري لنا كالغابات نافع يحمده اثره : فللشجرة منافع كثيرة وتأثير عظيم في الانواء والحوادث الجوية في كل قطر فهي تصفي مياه الامطار وتعيدها ببطء الى الينابيع والهواء وتحول بورقها وجذوعها دون جريتها سريعاً فالاشجار لاتمسك الماء فتطبل تجذبه ثم تنظم هطول الامطار وتقلل من الفيضان وتبقى التربة في ظل الاشجار ندية خلال ايام القيظ . ونظام الغابات نظام للاهوية . فالشجرة تقي التربة من صدمات قطرات المطر والبرد فيكثر في الشتاء الثلج على قمم الجبال وتحول جذوع الاشجار واعصانها درن سقوطها وتطيل مدتها وتذوب ببطء وتغسل القشرة الرقيقة تحت سطح الارض وتمدد الينابيع وتعطي مزروعات الاودية الرطوبة اللازمة لها . وان جذوع الاشجار في العقاب والتلعات لتمسك التربة عن الانهيار وتقبض الصخور المتفككة وتحول دون انهيار التراب

وكم من اشجار هي مأوى الماشية منذ قرون وحامية حياة الانسان كما هي حامية الهوام والحيتوان وكثيراً ماتنبت الرياحين والورد في اطرافها كما ان الاشجار تملك الحمايات وتمتد رطوبة المستنقعات وتطهر هواء الاقليم بفضل حفيفها المنبعث من اكتظاظ الصخور الجرا ونقد صدق من قال من عشاق الاشجار « تأتينا الشجرة بالماء ومن الماء صيرج والمرج يفدي الماشية ومن الماشية ينشأ الساد ومن الساد الخنطة »

لاجزم ان كل من جال حولته في اوروبا واميركا يعرف مقدار حرص الفرنجة على

الانتفاع بالغابات . فقد قامت الجرائد والجمعيات في فرنسا منذ مدة تدعو الى تشجير الاراضي الوعرة او الغير الصالحة للزراعي والى تخضير الاراضي المخدرة انحداراً قليلاً ولسان حالها ينادي اننا نرجي الى انتاذ ارض الوطن والحفاظه على ارض ثروتنا وبدائنا الطبيعية ونريد تربية فكر الطفل منذ صغره على قدر حسنات الغابة . قدرها فيهاها يحسن الجو وتطرد مجاري الانهار ويخضل الشعب وبكثر غذاؤه للماشية والسائمة والجمال اجمل منظرأ والسهول اكثر ابتسامة . واقبلت الجمعيات وغيرها تنشر مندورات في فوائد التشجير وتوزعها على الفلاحين واشتغل مجلس النواب ومجلس الشيوخ بذلك مدة طويلة

وقامت انكلترا^(١) تريد تشجير كل ما يمكنها تشجيره من ارضها ولا سيما في السواحل البحرية التي تسطو عليها مياه البحر تريد بذلك ان تجدد عملا للبطالين وتقدرت اللجنة التي عهد اليها النظر في سطح الارض التي تعطي اذا شجرت اكثر مما تعطي الآن من الدخل فكانت . ٠٠ ٠٠ ٣٦٠ هكتار^(٢) من ثمانية ملايين بدون ان يمس الدخايع المغروس من الجزائر البريطانية وايرلاندا وتبين لهم ان غابات انكلترا اقل من غيرها من غابات البلاد الاوربية وان الحكومة لامتوت بناتاً ولذلك يتيسر لها ان تكمل مابدأت به من الاعمال الى الغاية المطلوبة على خلاف الافراد فان الفرد يصعب عليه ان يصرف شيئاً ربما لا يأتيه في حياته فن ثم كانت الحكومة اقدر على تشجير الغابات واستثمارها بعد سنين طويلة خصوصاً وان بيع الاحشاب والاحطاب لا يصعب على حكومة وقد رأوا ان ماتصرفه للحكومة من المال وتنتظر الحصول عليه بأتيها من الواردات بفادته مضاعفة وانه ليس من العدل ان يصرف ابناء هذا الجيل ما يتطف ثمرته ابناء الجيل القادم اي بعد ثمانين سنة وهي المدة التي لا يتأق الانتفاع بالغابات في اقل منها فاذا شجرت الحكومة كل سنة ثلاثين الف هكتار تدفع في السنة الاولى ١٦٢٥٦٠٠٠ فرنك وتكثر النفقة سنة عن سنة حتى السنة الاربعين فيكون قد بلغ ما صرفته ٣٩ مليون فرنك وتعادل النفقات الدخل بعد هذه السنة الى السنة السبعين وبعدها يزيد الدخل على الخرج فيبلغ الدخل الصافي نحو اربعة في المئة فتكون اذ ذاك ٢٤٨ مليون فرنك وتساوي املاك الحكومة من الغابات ثمانية مليارات فرنك اي انها تبلغ ملياراً ونصفاً زيادة عما كلفتها . وكل هذه النفقات والمداخيل محسوبة باسعارها الحاضرة ولم ينظر فيها الى غلاء اجور

(١) مجلة الافكار الحديثة الفرنسية (٢) الهكتار مئة آراو عشرة آلاف متر مربع

العملة وارتفاع اسعار المحاصيل ورأوا ان ما يعرض للغابات من التخريب الناشئ عن الحريق والحشرات والتلج والدوامف وغير ذلك يعادل ما ترسحه الحكومة من ارتفاع الاسعار لان ما يتفق من الغابات يزيد على ما يخرج منها الآن في البلاد المتقدمة . وهذا الشجير شغل تسعين الف رجل طول السنة عدا من يستخدمهم من ارباب الحقول موقتاً

نعم ان تأثير الغابات في المناخ وان اطمأنا وتبين الارض وتطهيرها وجمالها وفائدتها الاقتصادية والوطنية لا ينكرها الا اعنى البصر البصيرة . وما ذكره من منافع الغابات للوطن ان غابة هوسنين وهي غابة صمدية تمتد بين نهرى الرين والف . تولد قد صدت كتاب الرومانيين عن التقدم . وكذلك سلت انكثرا مسألة الغابات وهي موطن الاستقلال الشخصي واحكام الاملاك الخاصة وتنظيم الادارة المركزية لعلها بان الافراد في هذه المسائل لا يصير لهم بقدر الحكومة ولا عجب فهي الحكومة التي تغرس الغرسه اليوم وتنتظر جني ثمرها بعد قرن او قرنين هذا في البلاد القاصية فما بالك بها في عقر دارها

اليك اقل ما يجب ان يقال في وصف منافع الغابات والشجير وبدل على مبلغ عناية الافرنج بها وهم اعرف الخلق بالاشفاع من هذا الوجود . وان من يطوف العالم والمجاهل من بلاد سورية ليستشع ان عناية اجدادنا بالغابات لم تكن دون عناية الفريين بها اليوم وان كانت البقية الباقية منها لاتسد خلة ولا تغني اهلها . واذا كانت الحكومة في القرون الاخيرة لاهتمت الا لتكثير الجباية والعشر ولو باستنزاف دماء الفلاحين وكان الامن اذا ارتفعت اعلامه في بعض الاقاليم فانما يرتفع بالقرب من الحواضر والقصبات والدساكر كانت الغابات في الغالب بين الناهيين وغرساً لاسمان القطعان وفؤوس الخطابين ولم تؤسس في الدولة نثاراً للغابات الا منذ سنين قليلة وكأنها لم تكن الا لتأتي ايضاً على ما ابتته طوارق المحدثات من غاباتها الجميلة لان عملها يساعدون على تقليلها وكان الواجب عليهم ان يساعدوا على تكثيرها .

وكم من جبل في سورية اجرد امرد لأشجرة فيه كجبل قملون^(١) الذي تمشي فيه ساعات ولا تجد اثرأ للزرع ولا للشجر حتى قال احد الاغلب ممن زاروه مؤخراً :

(١) المتنبس م ٤ ص ٣٦٧ .

كنت اتمنى في حياتي ان اشاهد جبلاً أجرد من الكلاء والشجر فما قد قرأت عيني في قلوبكم بمشاهدة ما كنت اريده من الجبال الجرداء .

واكثر جبال سورية غابات فيما احسب جبل لبنان ^(١) ففيه من الاشجار الغبر المثمرة الزان والسنديان والسرو والارز والارز اهمها ومنه غابة بالقرب من قرية بشري قديمة والنائب هي التي كان يحمل من خشبها ايام الفراعنة الى مصر لبناء السفن والمعابد وغيرها فيؤتى به الى جبيل او الى طرابلس ومنهما يحمل في سفن شرعية . ولعل غابات دير القمر والباروك وعين زحلثا كانت تحمل الى صيدا ومنها نقل في المراكب . قالوا ان الحكومة في لبنان كانت تحتكر اربعة اشكال من الشجر تستثمرها لحزب بنتها وهي السرو والعرعر والارز والصنوبر وتسمح بقطع غيرها واحتطابها . وقامت الغابات في لبنان منذ نحو خمسة قرون لاحتياج السكان الى الاحتطاب واخذ القوم يتلعون الغابات ويغرسون بدلاً منها اشجار التوت والكرم . وشجرا الارز ما نفرد به جبل لبنان مزدون سائر جبال سورية ولا وجود له الا في اعالي سيرايلاد الضنية وفي وادي النجاص ففيه كثير من شجر الارز وبين سيرايلاد السكر وفي الغابة الواقعة خلف وادي جهنم ويسمى تنوب .

ويكثر شجر الشوح في جرود الهرمل وعكار وهي في الغالب من الاملاك الاميرية ينتفع بها الاهلون - فية او يدفعون ثمنًا قليلاً للاحتطاب منها كما هو الحال في جبال عجلون . وفي جرود الهرمل وعكار صنوبر وسنديان وانك لتمر في جبال طويلة عريضة لا ترى الا السنديان وكذلك جرود الضنية وعكار من اعمال طرابلس كلها حراج توضعها الحكومة

وبلى مسيرة يوم من شرقي حماة غابات من شجر البطم وهي الفستق البري بعينه تسمى النورية والباهاس وهي منازل للعربان يقطعون منها ماشاءوا ويرعون فيها ماشيتهم وقد اضيفت الى الاراضي المدورة اي الاراضي السنية فازدادت الاخرابا على خلاف بعض الاراضي التي ضمت الى الاراضي المدورة في العهد الحميدي فكان من حظها انها عمرت وارتفع فيها علم الامن .

واخبرنا احد اصحابنا ان في قرية حرمل من جبال الاميرية وسكانها تركان غابة زرعها اهل تلك القرية منذ زهاء عشرين سنة فطال كثر الماشع وحسن طلعها به .

ثلاث سنين من غرسها بما دل على ان جبال النصيرية كانت الا قليلاً مغطاة بالغابات التي لم يبق منها اليوم الا اثر ضئيل ورسم محيل . ولو توفرت عناية الاهلين في الجرود والجبال لغرسوا من الغابات ما يكون منه لائنتهم واحفادهم خير ثروة يخلفونها كما فعل اهالي الزبداني فغرسوا شجر البلوط في مكان يدعى قلعة السنديان في الجهة الغربية من الزبداني واذا امتدت هذه الغابات في سلسلة ذاك الجبل حتى تصل الى نبع بردى تأتي منها فوائد كثيرة لوادي الزبداني ووادي بردى ثم لدمشق وغوطة دمشق اذ تكثر بذلك الامطلد وتخزن المياه لنبع بردى المجاور لتلك الجبال ومن ورائها وادي القرن والحريير وفيها بعض الاشجار القليلة وهي ملك اصحابها لا الحكومة

وفي الجبل الشرقي اي في بلاد حاصبيا وراشيا غابات قليلة كما انه نقل الغابات في جبال فلسطين وفي بلاد الصلوات غابات غير قليلة ما برحت الى الانقراض ومنها غابة قرب القصبه اقتلعها الاهلون وغرسوا منها كرمًا يأتونها بالغيب الجيد بلا نزر كهنب ازميز الا انه بقي اثر منها دلالة على عظمتها تلك الغابة العظيمة . ونقل الغابات في بلاد حوران واحسبها ما كان في جبل الدروز ولذلك كثرت مياهها اكثر من غيره من الاقاليم ومثل ذلك يقال عن غابة عجولون التي تبلغ مساحة المستعمل منها خمس ساعات طولاً وثلاث ساعات عرضاً ولا ياتي عليها عشر من بين الا وانقرض عن آخرها

وبعد كتابة ما تقدم رأينا ان نأتي على ذكر الغابات من المصادر الرسمية فعملنا ان غابات ولاية سورية كثيرة واهمها ^(١) في قضاء بعلبك وتبلغ مساحتها عشرين الف جريب . والجريب يقرب من عشرة دونمات . وشجره من السنديان والعرعر ويقل فيه الصنوبر وشجاره غير صالحة للاخشاب وهي معرضة للاحتطاب منها على الدوام فلم تبتسر لادارة الغابات حراسته على ما تنضي به المادة الخامسة من نظام الحراج لقلعة الموظفين وصارت الى حالة مؤلمة وبعض هذه الغابات تدعى الاهالي ملكيته وادارة الغابات تدافعهم في دعواهم . واهم هذه الغابات غابة حلبنا ووادي نيرة وما عداها فتتسلسل منهما وليس في قضاء البقاع غابات مهمة بل ان الاهلين يجنبطون من غابات الهرمل التابعة لمصرفية جبل لبنان وهناك بعض غابات في سفوح لبنان بعضها مشترك بين البقاعيين واللبنانيين .

وحراج وادي العجم متفرقة وتبلغ مساحتها نحو ثلاثة آلاف هكتار وحراج

(١) نشكر حسن معسني بك مفتش زراعة سورية لاعطائه ايانا هذه الايضاحات

اقتضية حاصبيا وراشيا. والقنيطرة مثل حراج بعلبك تسمى باسماء القرى المجاورة لها وتقدر مساحتها بثلاثة آلاف جريب تكاد لا تكفي لاحتطاب المكان الاعلى صورة ضئيلة . وليس في قضاء الزبداني حرج جدير بالذكر سوى حرج صغير أصيب بما أصيبت به سائر الحراج ولا سيما في وادي القرن ووادي الحرير فاصبح اكثره غير صالح للاحتطاب . وليس في قضاء دوما والنبك ما يصح ان يسمى غابات سوى بعض اشجار من السنديان والبلوط متفرقة في الاودية والقمم من جبال قلمون هي ملك الاهالي يحطبون منها فتقل سنة عن سنة

هذا في الاقتضية التسعة التي هي من عمل الولاية اولائها وفي لواء حوران اهم غابات في ولاية سورية وهي من عمل قضاء عجلون طولها ٢٦ ساعة وعرضها ٢٣ ساعة وفيها ٢٣ قرية ١٣٧٥ بيتا ومزرعتان ومساحته من ٣٠ الى ٤٠ الف جريب ونصفها اليوم غير صالح للقطع يحتاج للحراسة كل الاحتياج والنصف الآخر يصلح للاحتطاب منه وعمل الفحم الا انه بعيد في بنجاد وعرة ولقلة العملة الذين ينوفرون على عمل الفحم منه اصبح كأنه لم يس . ومدينتنا دمشق يأتيها الفحم اللازم لدفعها ووقودها من غابات عجلون واذا لم تبذل العناية بوقاية الغابات مما يلحقها من المضار توشك ان تحترق بعد سنتين من الفحم فيباع قطاره الذي يباع الآن بمئة وخمسين في الشتاء بثلاثة اضعاف ثمة . فبسوء ادارة الحكومة لزمتم قطعة من هذه الغابات لا يقل المستخرج منها عن خمسين الف قنطار يبعث بالوسائل على انه ليس فيها سوى ستة آلاف قنطار . واشجار هذه الغابة لا تصلح للخشب والدفع وان كان الفلاحون هناك يعتمدون عليه في ستوف بيوتهم فمنها الصنوبر والسنديان القطلب وفي غابات عجلون نوع من شجر الزيتون البري . هذا في غرب انليم حوران وفي شرقيه اي في جبل الدروز غابات قليلة الاهالي ينتفعون بها في وقودهم

وفي لواء الكرك بعض الغابات واحمها مما كان في الصلت ومساحتها نحو ستة آلاف جريب تحتاج للترك الآن والحفاظة عليها لكثرة ما عبت فيها فأس الخطاب والنحام وفي قضاء الطفيلة غابات وابعدها عن العمران لا يرغب في الاحتطاب منها فلا يسفيد منها القرييون ولا البعيدون وجنسها من العرعر وفي بني حميدة من اعمال قضاء الكرك غابات جباد هي ملك بني حميدة

اليك ما في لواء حوران والكرك على الجملة اما لواء حماة فليس في مكره ولا في

حصص حراج والاهاالي يجلبهن احطابهم ونحوهم من حراج الهرمل في لبنان ومن غابات بعلبك ومن حراج البلعاس التي كانت من املاك السلطان السابق فاستجنت لامة . وفي نضاه العمرانية حراج متفرقة تسمى باسم القرى المجاورة لها وكذلك الحال في غابات سلمية

وقد بلغت واردات الغابات الاميرية سنة ١٣٢٢ شرقية ٤٨٤١٤٨١ غرشاً صميجاً وسنة ١٣٢٣ — ٧٠٠١٨٩ وسنة ١٣٢٤ — ٦٥٠٤٦٠ وسنة ١٣٢٥ — ٦٦٦٩٨٩ وبلغت سنة ١٣٢٦ الى آخر شهر تشرين الثاني ٦٤٨٠٨٨١ غرشاً .

هكذا في ولاية سورية اما ولاية بيروت فالحراج موفورة في اكثر الويتها واقضيئها على ضيق مساحتها ففيها بعض الغابات الصغيرة واكثرها فائدة في الانتفاع^(١) والاحتطاب ما كان منها داخل لواءي اللاذقية وطرابلس الشام في الجهة الجنوبية من مدينة بيروت في الرمل غابة من الصنوبر تقدر بألني دونم وطول اشجارها نحو خمسة اوسنة امتار ومحيطها من ٤٠ الى ٥٠ سنطياً ويعنى كل السناية بحفظها وقد ذكر التاريخ ان هذه الغابة غرست قبل سنة ١٧٦٧ هـ وقد خيف من انهبال الرمال على الارابي الزراعية . وفي قضاء صيدا ومرجعيون عدة غابات مبعثرة ينتفع بها السكان فقط

وعلى ثنائي ساعات من صور غابات في وادي المصارى وساحل علما ووادي الخنازير وهي واسعة في البجلة وشجرها من السنديان ومحيط اكبرها متر واحد ونلوها خمسة امتار لانكفي للبناء بل تنفع في الحطب والفحم وقد جرى اهلها في اقتطاعها على الاصول فلم تقل انواعها وكذلك تجب في الجهة الجنوبية من القضا غابات في وادي كركر ووادي البالون ووادي الثهور .

وفي لواء عكا عدة غابات منها واحدة في الجهة الشمالية من ناحية شفا عمرو وهي على نحو خمس ساعات من المواقي المجاورة . هي معروفة باسم الغربي ومرج وعاد والهوفي والزيب وتقدر مساحتها بنحو اربعين الف دونم وجميع اشجارها من السنديان ومعدل طولها من ٤ الى ٦ امتار ومعدل محيطها من خمسين سنطياً الى متر واذ كانت هذه الاشجار لاتكفي الصناعات والبناء جعلها اهلها للاحتطاب واخذوا يبعثون ببعضها الى الخارج . وفي قضاء حيفا على اوبعائة او خمسمائة متر عن سطح البحر غابات في جبل انكرمل ووادي العسل والعضامة والحاري والباخور تبلغ مساحة ارضها نحو ٤٢ الف

(١) تقويم (سالنامه) لولاية بيروت سنة ١٣٢٦ هـ .

دوم وهي قصيرة الطول والجسامة وهي كغابات صيدا وصور لاتنفع لنيز
الاحتطاب

وام الغابات الموجودة في لواء طرابلس في عكار والضنية تقدر مساحتها بزهاء مئة
وخمسين ألف دوم تمتد من قريتي غابات وتحفت الى آخر حدود ناحية الضنية وهي
منبثة على سطوح مائلة ويقدر معدل ارتفاعها بسبعة آلاف متر وامها القبايات وعنفث
وارمون ، عرض الحريق وروبر وجورديرين ووادي جهنم وقاطروفرم والضنية وهذه
الاشجار تنمو في سفوح الجبل والساحل وهي لاتطول وتنزع لخشب البناء وهي من
نوع السنديان والصنوبر وشرابة الرعي والعرعر وعدا هذا تجد اشجار الصنوبر والنوح
منبثة على خط مستقيم بين مسيل المياه والروابي تعلو من خمسة الى عشرة امتار ومحيطها
من متر الى متر ونصف وبتنفع باخشابها في جميع انواع الصناعات وفي كل مكان ابي
على حساب عشرة امتار مكعبة تجد اشجاراً صالحة للبناء تعادل ١٣٦ ألف متر مكعب
كما يوجد في كل مكان من الارض باعتبار عشرين متراً مكعباً وهي تعادل ٦٦٠ ألف
متر مكعب من سائر الاشجار والخشب الذي يقطع من هذه الغابات يحمل الى حماة
وحمص وطرابلس واعمالها من القرى والديسار .

والغابات الموجودة في لواء اللاذقية هي في اقضية جبلة والمرقب وصهيون وناحية
باير وبوجاق وهي من الساحل على ساعة الى احدى عشرة ساعة وامها في باير وبوجاق
وبوغدول نية وجبل حسن ايت وجبل الملك وقزل خالتي وجورتلسم وبثالي ودر بوي
تبلغ مساحتها ١١٠٠٠ دوم والاشجار الفرية من الساحل يبلغ محيطها من ثلاثين
سنتراً الى متر وطولها من ثلاثة امتار الى اربعة ومها يستخرج خشب البناء ولصنع
التوارب الصغيرة والصنوبر الاحمر والايض يستخدم في بعض الحال في الابنية وام
ما تقدم من الغابات غابات ناحيتي باير وبوجاق تقرب مساحتها من ٣٢ كيلومتراً مربعاً
والقسم الاعظم من اشجارها هي ٩٠ في المئة منها يختلف محيطه بين ٣٠ الى ٦٠ سنتراً
وطولها اربعة او خمسة امتار . وندرت الادواح العظيمة وفي الاطراف والبلاد المجاورة
تجد بعض الغابات يمكن تقديرها بثلاثة آلاف شجرة صنوبر اسود اكثرها يختطب
من اهالي القرى ويحمل بعضه الى بيروت وفي وسط هذه الغابات على تخوم اسكندرونه
غابة اسمها قوز تحيط بها اشجار الصنوبر وتقدر مساحتها بالف هكتار من السنديان

وقد بلغت مداخيل غابات ولاية بيروت ١٥٠٦٠٠ غرض بيع منها ١٦٠٠٠ ١٩٦٠

اوقه من الفحم ٩٠٠٠ اوقه من الخشب واكثر ما يبيع منها في بيروت وجوارها
وسواحل مصر . .

هذا ما لقناه من مصادر متنوعة ونختم هذا الفصل بترتيب ما كتبه شاكر بك مفتش
غابات ولاية سورية السابق وقد سأله ان ينشئ لنا شيئاً في حالتنا مع غاباتنا فكتب الينا
ما نعرفه بما يأتي وهو يصدق على غابات سورية باجمعها اي ولايات حلب وبيروت
وسورية والوبة القدس وابتان والزور قال: الغابات احدى منابع الثروة الطبيعية للدولة
والامة وربما كانت الاولى في بابها وما من ينكر استغناء احد عما ترأى به من الحطب
والفحم والخشب وغيره ولا سيما في ولاية سورية حيث تكثرت حاجات الاهالي الى الغابات
اكثر من غيرها ومع هذا فلا نرى من يلتفت الى هذا الشأن ويبحث في اسباب دفع
هذه الحاجة مما يوجب الاحسف الشديد . .

ليس من ينكر ان الغابات تنقي الهواء وتجلب الامطار وتمنع التربة الواقعة في الحقول
المسطحة من الانهيار وفيها من المنافع العامة ما ينفع في رعية الاغنام والمواشي وغيرها وكنا
نسلم باننا نطبخ كل حين طعاماً ونأكل ثيابنا وندفئ غرنا بالفحم والحطب
ولئن رأينا اليوم مواقد تحمى بالبترول ويستفاد منها بعض الشيء الا ان هذا الطباخ
لا يقوم في وقت من الاوقات بدل المنقل وكواين المطبخ على الطرز القديم وذلك لان
الطعام اذا طبخ والغسيل متى غسل تطفأ تلك الموقدة واذا فرضنا اننا اوقدناه مدة طويلة
فمن البديهي انه لا ينشر حرارة تنبته حرارة المنقل ولا الكانون بحال من الاحوال .
ثم ان من وسائل التدفئة والتسخين ان نرى بعض المواقد التي يستعمل فيها زيت البترول
وهذه لا تزيد الحرارة الطبيعية في الغرفة الى اكثر من درجة الى درجتين في الاكثر .
اما اخشاب البناء فانه يؤتى بها الى هنا من غابات اطنه وقوينه وآيدين فتباع بثلاث
ليرات واحياناً باكثر من ذلك في حين انه من الممكن زرع شجر الصنوبر والسنديان في
هذه الديار من اجود الاجناس وكل من يشغل بالزراعة يوافق على هذا الرأي

ومع ان قطار حطب الزيتون والشمس يباع من خمسة واربعين الى خمسين قرشاً
فقد كانت ترتفع اسعار قطاره الى نحو ليرة ونصف لو كان المعول في احماء الحمامات
والافران عليه

وهنا لا ارى حاجة لبيان فوائد الغابات بل اقول على سبيل المثال ان ما حرق من
الفحم من جزء صغير من غابات عجلون قد بلغ سنة ١٣٢٤ (شرقية) ٤١٣٢٠٠٠

كيلو أخذ منها رسم ١٤٥٢٠٤ غروش صحيحة أو ٦٧٢٠٣٢١ غرشاً بعمالة دمشق
الرائجة المتداولة

ولو عني الفلاحون وفقيرهم قد يملك من ثلاثين الى اربعين دونماً من الارض وهو
بتدكاً . معظم السنين في استثمارها كلها بحجة ان ليس لديه بقر او سكة او بذار ويترك
قصباً منها بوراً لو عني بزرع شطر من ارضه او على حدودها ومجاري المياه اليها اشجاراً
وحراجاً لا ظله ومواشيه وابناء الـ بيل بظلمها واستخرج من اغصانها ومن اليابس منها
حطباً لدفنه . ولو اكثر منها زيادة لاستطاع ان تخرج له خشباً وخملاً فيغني بها بعض
الشيء . وبالجملة فان كل امرئ اذا ربي غابة فكأنه اسس لنفسه مصرفاً (بتدكاً)
دائماً لان الغابات رأس مال لا ينفد في الحقيقة .

يبد ان اهل القرى لا يفكرون في هذا الامر ولا يلتفتون الى ما يصع لهم به من
قطع الاشجار بل يقطعونها من اصولها وهناك الضرر الذي لا ينكره العتلاء
ولقد جرت المداولة بشأن الحراج والغابات في المجلس العمومي هذه السنة والتي
قبلها وتهدت الحكومة ان تأتي الفلاحين ببذور الغابات لمساعدتهم ولكن لم يراجعها
احد في هذا الشأن والحكومة متكفلة بالقيام بكل انواع المعونات . ورجائي ان يعمد
الاهلون بدلاً من تخريب الغابات واستئصالها الى احياؤها وتهدتها وبذلك يحفظون
منافعهم ويحافظون على حقوق الخزينة والله الموفق



النفس الانكليزية

لم تبلغ امة من الدهاء ما بلغه الانكليز فيه وكأنه خلق استحكم فيهم مع الزمن وتوارثه الاخلاف عن الاسلاف وتسلسل فيهم حتى اتى بالعجائب ومن درس تاريخ هذه الامة يراها تصبر وتصابر لاول وهلة وقلمًا طاش لها سهم فاذا رأت الفرصة وثبت ومتى انفسح لها المجال جات .

ثبتت هذه المتدمة من مسالكين تجلى فيهما دهاء الانكليز في التاريخ وهو ان الحروب الصليبية التي دامت في سورية نحو قرنين وأهدقت فيها الدماء سيولاً لم تنته وتراجع دول النصرانية عن حرب دولة الاسلام الا بتدخل ريشاردس قلب الاسد صاحب انكلترا اذ ذاك في الامر فرض سراً ان يزوج اخته من ابي بكر بن ايوب شقيق الملك الناصر صلاح الدين بن ايوب ولورضي القسوس لما تأخر صاحب انكلترا عن اجراء هذا العقد فانظر الى دهاء هذا الرجل وهو في القرون الوسطى وفي صدد حرب دينية كيف يتسامح بزواج اخته من غير ابن نخلته حرصاً على مصالحه . قال ابو الفدا في حوادث سنة سبع وثمانين وخمسائة : ترأس الفرنج والسلطان في الصلح على ان يتزوج الملك العادل اخو السلطان باخت ملك الانكشار ويكون للملك العادل القدس ولامرأته عكا فحضر القسيسون وانكروا عليها ذلك الا ان يتنصر الملك العادل فلم يتفق بينهم حال .

هذا هو الباب الاول الذي طرقة ملك الانكليز فلم يفلح لتعصب قومه وكان قد رأى ان ملك الالمان جاء عن طريق الاستانة براً الى فلسطين في مئة الف من رجاله فهلك معظمهم في بلاد الارمن ولم يصل منهم على ما قال المؤرخون سوى الف نسمة حتى ان ملكهم هلك غرقاً في نهر في الاناضول كان انغمس فيه ليستحم فابقن ريشاردس ان امر هذه الفتن يطول وان الغنيمة التي دعا اليها بطرس الراهب ايسر استخلاص بيت المقدس من ايدي المسلمين لا توازي هذا القدر من العناء فطرق باباً ثانياً فجاء بعد ان شاهد حبل الصليبيين قد اضطرب وطلب الصلح بعد ان بنست الرسل في عنده وعجل بمخاطبة صلاح الدين في معنى الصلح فبعث في احدى تلك السفارات يقول لصلاح الدين لا يجوز لك ان تهلك المسلمين كلهم ولا يجوز لي ان اهلك الفرنج كلهم قال القاضي ابن شداد بعد ان ذكر ماعرضه ملكهم من شروط الصلح العجيبة : فانظر الى هذه الصنعة في استخلاص الغرض باللين تارة وبالقسوة اخرى وكان مضطراً

الى الرواح وهذا عمله مع اضطراره والله المسؤول في ان يكفي المسلمين مكروه فبالوا باعظم حيلة ولا اشد اقداماً منه ٥٠٠ ولقد كانت ملك انكلترا صادق جماعة من ممالك صلاح الدين ودخل معهم دخولا عظيماً بحيث كانوا يجتمعون به في اوقات متعددة وكان في كل هذا يحفظ الجذب بالزل حتى يتوصل الى مأربه الا وهو استرجاع بيت المقدس الذي استخلصه صلاح الدين منهم

ثم تذرع ذلك الدهاية الى انفاذ اهل نخلته من سر الفتنه وكان المسلمون قد ضاقوا ذرعاً بمدافعتهم وزحزحتهم عن تلك الديار فبادر صاحب انكلترا الى عقد الصلح سنة ٥٨٨ هـ وسبب ذلك كما قال ابو الفدا ان ملك الانكليز مرض وطال عليه البيكار (?) فكانت الملك العادل يسأله الدخول على السلطان في الصلح فلم يجبه السلطان الى ذلك ثم اتفق رأي الامراء على ذلك اطول البيكار وسخر العسكر ونفذت نفقاتهم فاجاب السلطان الى ذلك واستقر امر الهدنة ولم يخلف ملك الانكلترا بل اخذوا يده وعاهدوه واعتذر بان الملوك لا يخلفون وتنعم السلطان بذلك وحلف الكنديري ابن اخيه وخليفته في الساحل وكذلك حلف غيره من عطاء الفرنج ووصل ابن الهفري وباليان الى خدمة السلطان ومعهما جماعة من المقدمين واخذوا يد السلطان على الصلح واستخلفوا الملك العادل اخا السلطان والملك الافضل والظاهر ابني السلطان والملك المنصور صاحب حماة محمد بن ابي الدين عمر والملك المجاهد شيركوه بن محمد بن شيركوه صاحب حمص والملك الاحبذ بهرام شاه ابن فرخشاه صاحب بعلبك والامير بدر الدين بلدرم الباروقي صاحب تل باشر والامير سابق الدين عثمان بن الداية صاحب شيزر والامير سيف الدين علي بن احمد المشطوب وغيرهم من المقدمين الكبار

هذه هي المسألة الاولى التي تجل في الداه الانكليزي في اجلى مظاهره والمسألة الثانية وهي احدث من الاولى عهداً ولكن يخلها مئات من المسائل كلها سلسلة دهاء هي مسألة الاستعمار فان الانكليز لم تفتح امامهم مصارف جديدة للتجارة الا لما اكتشف كريستوف كولمبس اميركا ولقد تقدمت البرتغال غيرها من الدول لاستعمار الارض وتلتها اسبانيا ثم هولاندة وقد بلغت هذه الدولات الثلاث اوج مجدهن الاستعماري في النصف الثاني من القرن السادس عشر ايام كانت انكلترا لم تظهر بعد على ملعب الاستعمار ثم جاءت فرنسا فانكلترا ولكن هذه الدولة بزت بالدول

الاربع الاول واثبتت انها دولة بحرية عظمى في صالح اوترخت سنة ١٧١٣^(١) وتطمح الى الاستيلاء على البحار ولكن هذا الدهاء في تأخر الانكليز عن دخول معمران الاستعمار قد هيا لانكلترا الاستئثار بالاتجار مع اميركا . وانكلترا اقرب الدول الى العالم الجديد وشطوطها وهي تمتد على مسافة ٧٩٠٠ كيلومتر اي ضعف شطوط فرنسا واكثر الدول البحرية الاربع قرناً الى شطوط بحر الظلمات من سيبيريا الآخر فقبل سنة ١٦٠٠ ميلادية لم يكن لانكلترا مستعمرات خارج اوربا وبالدهاء السياسي افتتحت إنكلترا الجديدة وفيرجينيا والند شارلس الثاني سنة ١٦٦١ مملكة الهند وكانت سبب غنى انكلترا وعظمتها هيا اخذها اناس من تجار الانكليز دخلوا مع الهنود دخول السل في جسم العليل وكان من امرهم ما كان .

وهكذا لو نقصنا التاريخ لشاهدنا امثلة كثيرة في الدهاء الانكليزي الذي لا يشبه دهاء في الامم وايضا ان النبات والصور والثاني والسكون الذي خص به هذا العنصر هو الذي كان سبب نجاحه . في اعماله فانتشرت بجودتها على قلبها وندرته وسياسته اشتهرت بجذوقها على جفائها والتاريخ اعظم ترجم عن الامراء والامم وبه تكشف حقائق البشر وخصائص الشعوب

ولهذا الدهاء والثاني والصبر اسباب طبيعية وصناعية في انكلترا بحث فيها علماء الاجتماع والنفس فما قاله اميل بوتي من كبار علماء فرنسا^(٢) ان القوى الطبيعية هي من جملة الاسباب التي تؤثر في تربية الشعب . وهذه القوى هي صورة الارض الظاهرة وجبالها وانهارها وبرها وبحرها وقسوة مناخها او لطافتها ووفرة ثمارها الارضية او ندرتها . فان تأثيرها قديم كالانسان ولا سبيل الى ان نحد في التاريخ دوراً لم تؤثر هذه الحالات في البشر واذا كان عرض للانسان قلب وابدال فذلك ناشيء من مجموع اسباب وهذه الاسباب هي التي سماها تين العالم الفرنسي « المحيط » والبيئة والعادات والقوانين المزبورة على

(١) اوترخت مدينة في هولاندة وولاية تسمى باسمها وسكان المدينة نحو مئة وعشرة آلاف وفيها مدرسة جامعة كلية ومعامل المخمل (القطنية) مشهورة منذ القدم وفيها عقدت انكلترا وفرنسا واسبانيا وهولاندة الصلح سنة ١٧١٣ انتهت بها حرب ارث التاج الاسباني

(٢) كتاب علم الروح الانكليزية في السياسة خلال القرن التاسع عشر لامييل بوتي

• *Emile Boutmy. Essai d'une psychologie politique du peuple anglais au XIX^e siècle*

الحجر والمذاهب الدينية والاشعار القصصية وغيرها كانت لاول الامر نتيجة المحيط الطبيعي فاصبحت مع الزمن ذات تماسك وحياة خاصة وصارت تولد بذاتها شعوراً وتسرّب الى الاسباب الطبيعية العظمى ولكن هذه الاسباب الرئيسة ما برحت تنشى هذه الجمعية البشرية التي كانت هي الباعثة اليها ولها اليوم تأثير كبير حتى انها لتأتي على الاخلاق الراسخة والمواهب الارثية فتغيرها وتعمل فيها ما فعلته في اهل الاجيال الاولى

انكثرا من بلاد الشمال ولما بين بلاد الشمال مركز امتازت به فليس لاقليمها ما يماذله بين الاقاليم لانها تتمتع بمناخ يكاد لا يختلف طوره فلا ترى في الشتاء تبدلاً في الهواء من شمالي انكثرا الى جنوبيها على مسافة تسعمائة كيلومتر فيستمتع سكان بريطانيا ان يتنقلوا من ناحية الى اخرى بدون ان تتأثر اجسامهم من هذا التنقل وتختلف انكثرا عن سائر بلاد الشمال بتعرج شطوطها وخصب تربتها في حين يضعف الهواء المرء في اواسط بلاد روسيا او في شمالي بروسيا فيكتفي الروسي بما حضر لديه من حاجاته ولذلك يقل فيه فكر الاقدام على الاعمال اما الطبيعة في بلاد الانكليز فتنادي ساكنها بقولها انك يا هذا تهلك اذا تراخيت وتستمع اذا جددت • فلهواء في بلاد الانكليز رطب ولكنه صحي وثقيل بحيث يكاد يصعب استنشاقه احياناً والجسم يهزل فيه اذا لم يتغلب عليه بحركات كثيرة • وان انكثرا لتطفح بطوال القامات ضخام الاجسام اشداء البنية وفيها من المعمرين الشيوخ أكثر من كل بلد من بلاد اوروبا والارض الانكليزية بما تترطب به من الضباب او ينعموها من هطول الامطار تحتاج على الدوام الى التخفيف بالقساطر حتى لا تغدو بطائح او غابات وهي بفضل تعهدها خصبة ممرعة • ومناخ انكثرا يحتاج الى الغذاء الكثير ولا سيما اللحوم وارضها مستعدة كل الاستعداد لتربية الماشية والبحر بما ضم بطنه من الاسماك يدخل في مضائق الى ارض بريطانيا العظمى فيصبح الصيد على طرف النيام •

وبالنظر لرطوبة الهواء على الدوام واصفرار الشمس بما يداهما من الضباب الذي ينخل اشعة الشمس نخلاً لا تنال الظلمة سائدة شطراً من النهار يضطر معه ابن تلك البلاد ان يحسن لباسه ودينه ودينه ويبحث عن الاعمال التي تحتاج الى كدح وكمد فهو في حاجة الى جوخ اثيابه والى جدران غليظة لمسكنه فتراه يصرف جزءاً مهماً من وقته في النسيج والتقطير واستخراج الفحم او تراب النفط لا و *Toube* خلافاً لابن جنوبي اوروبا فانه لا يحتاج الى مثل تلك العدة ليعيش والانكليزي اذا لم يجد عامة حاجاته

في ارضه يجلبها من الخارج بواسطة المقايضة مع ماضمته احشاء بلاده من المعادن والمناجم ويسهل عليه تناول ذلك بما له من وسائل النقل السريعة الرخيصة الاجور ولذا كانت الطبيعة الخارجية للامة الانكليزية مدرسة ابداع ونشاط وحذر وتدبير فنشأت هذه الفضائل من اسباب جلب المصالح ودرء المضار وكانت من كليات الاخلاق في هذا الجنس ودعا الجهاد للحياة وهو هنا اصعب منه في كل بقعة الى ان ينسلخ عنه بالانتخاب الطبيعي كل من لم يرزقوا هذه الصفات اللازمة كالمرضى والجامدين والجهلاء والمهملين ولم يبق من هذا العنصر غير الاقوياء اهل الدراية العاملين وتواصل ذوق العمل بنشاط دائم فعال في النفوس حتى صار كأنه ارثي فيها.

قالوا ان الشعب الانكليزي شعب انتفاعي وهذا يصدق على كثير من الشعوب ولكن العامل الاكبر اليوم في هذه الامة الهوى في العمل للعمل والميل اليه حباً به . وما الحياة السياسية في انكلترا الا ناشئة من الميل الى تمرين القوة والبذل منها بطائل وبدون طائل ومن يجتاز البلاد الانكليزية يشعر بحاجة الامة الى هذا التمرين والى هذا الصرف من القوة بما يراه من الحركة على السيارات واشغال قومها بالالعاب الشاقة فيوقن بان الرياضات البدنية الشديدة ليست في انكلترا مدعاة للتسلية بل هي ضرورة لدفع حاجة طبيعية لا تقل في ميسس الحاجة اليها عن الجوع والعطش

وكل من زار لندرا يشهد الرجال من الانكليز يركضون في الشوارع عدواً كأنهم في سبيل مهم جداً يوشك ان يذهب اذا ابطؤوا عليه فيركضون نحوه بدون ان ينظروا ذات اليمين وذات الشمال للتخيلة والتسلية فهم لا يضعون نصب اعينهم غير الغاية العملية التي هي هدفهم ومنتجعهم حتى اذا وصل العامل الى مكتبه او عمله ينصرف اليه بجملة ولا يدخل فيه غيره ولا ينفث الى ما يصدده او يخطر بباله في غير ما هو بسبيله فتراه لا يقطع دقيقة عما هو مأخوذ به ولا يني في مهمته ولذلك كانت اجرة العامل الانكليزي ارقى من اجور عملة الامم الاخرى لانه لا يلهي شيء اثناء العمل ويعمل نحو ضعف ما يعمله الايرلاندي او الالماني مثلاً . وهذا المزاج الخاص يولد في جميع الفروع عملاً مدتهماً وانك لترى نساء الانكليز لا يستكفون من عمل بمعاطيته لتكوث لحياتهن غاية فيصرفن الى تأسيس جمعيات الاحسان ويخدمن في المستشفيات ويعملن اعمالاً قد تدها بعض الامم المتقدمة من الاعمال الوضيعة ولكنها تكون لخدمة الانسانية ولذا دخل خمسون الف امرأة في الحزب الحر في انكلترا وشاركن الرجال ومنهن المطالبات بحقوق الانتخاب

والمؤمنون من الانكليز بالدين لا يؤمنون به ويتصرفون عن كل شيء بل يعملون باسمين ويجهدون في الحياة لا يصدح ما اخذوا انفسهم به من الغاية عن النظر في دنياهم

وبعد فان الذوق واعتياد العمل يجب ان ينظر اليهما كأنهما خاصة جوهرية وصفة لازمة اختيارية لهذا الجنس فهما يصحبان الانكليزي حيث يذهب تشفعهما الاسباب المكتومة من نيته وهما مفتاح اسبابه وان الدواعي التي ادخلت ضرورة العمل في هذا الجنس قد اضاعته اليوم من شأنها وذلك لان كثرة الغنى العقلي والمادي قد زاد عدد الاغنياء واضعف بلى التدريج في جزء من سواد الامة الانكليزية الغريزة الارثية التي بها يعترف الانسان بقانون العمل وبقبلي به . فاصبح الكسالى والضعاف في هذا المحيط الجديد أكثر حظاً في البقاء فأنف منهم عنصر خاص تحرص حكومته على جلب المنافع اليه واهل السعة من الانكليز يبذلون الفضل من اموالهم له وكل هذا على الجملة لا يضر الصفات التي ورثها الانكليز وتواصلت فيهم مدة قرون .

للاقليم في انكلترا تأثير مهم في الشعور والمدارك فهي البلاد التي يحف هواؤها وتكثر كهر بائيتها التي تقوي الالياف وتمن الانسجة ويكون الاحساس في اهلها امرع . ومثل الحس يكون التصور الطبيعي اي حاسة تمثل المحسوسات فانها في الانكليزي متأخر ولذلك نرى الاعمال الجراحية تكون اقرب الى النجاح في الانكليزي منها في الايطالي مثلاً لان الاول قلما يضطرب كالثاني . وقد شاهد خصوم الانكليز من عسكرهم في حروب اسبانيا واوراوا وانكرمان عجباً اذ لم يكونوا يتأثرون للاعضاء تبتل والقذائف تنفجر والعظم يكسر وحشرجة الارواح تنصاعد

ان ارض انكلترا تلي ماخصت به من العبوسة والامطار الغزيرة والضباب المتواصل والطبيعة الساكنة قد اثرت في نفوس بنيتها حتى لم يجدوا في الوجود ما يشغلهم ولذا شغلوا بخاصة انفسهم وقل كلامهم كما قل شعورهم بما يأتيه من خارج والكلام كالشعور والفكر يرثي ويصفو بالرفاهية وخضال العيش وهو اثر من آثار الثروة العامة والفراغ . ولقد وصف الفيلسوف تين الشعب البريطاني بقوله من السرور الذي يشفعه السكوت وهو من اعظم ما تطمح اليه نفس كل انكليزي ان يجاهد في امر ويحمل المشاق ولا يتنازل عما نوى . وقد اعرب شاعرهم تنسون عن مثل هذا الفكر شعراً جاء معناه : ما اعظم على النفوس ان تقف دون غاية وتجعل لقواها حداً واهب تصداً كالسيف يطلق على

لحائط بدلاً من ان يلعب في يد حامله ويصفو بالاستعمال . ليس استنشاق الهواء هو الحياة بل اننا اذا فقدنا كثيراً فقد بقي علينا كثير فما كنا عليه ما برحنا فيه : قلوب ابطال شأنها التساوي بانفسها اصبحت على الزمن وبيد القدر نهب الضعف ولكنها مسلحة ارادة سديدة في مضائهم وبحبها وايجادها وان لاتلين قناتها ابداً .

نقل في العصر الانكليزي على الجملة الكفاة لتصور الافكار العامة ويكره النظريات المجردة كما يكره المذاهب المقررة فليس للانكليزي شيء من المجردات يشغله بل تراه على الدوام مأخوذاً بضرورة العمل اليس معنى هذا ان حاسة المهميات ضعيف تركيبها في انكلترا بل ان العقل عملي لا يقبل الا ما يلزمه وينفعه . يعرف كيف يضبط نفسه ويحدد حدوده حتى اذا سار بنفسه سار سيراً نافعاً لاسيراً تكرراً فعقله لا يشبه قائداً في جيش يفكر في وضع خطط الهجوم والقتال بل عقله يشبه ضابطاً يقود بعيداً عن معمان الحرب قسماً من الجند الاحتياطي المساعد فلا ترى في هذا الضابط قابلية لان يكون في الطليعة ولكنه يجيد في اتخاذ مركز له في النقط التي تجاوزها الجيش المهاجم وينظم فيها المقاومة

لا شيء يقع على عقل الانكليزي من الغرابة اكثر من انكاره القوة الطبيعية *Naturalisme* والنظريات في الالهيات والمعتقدات بل يرى ان اجنحة الفكر لم تبرح في غو ولذلك لم تستعد للطيران مسافات طويلة بل هي تساعده فقط على السير فاذا ارتفع هنيهة وحلق في الجو فذلك ليعود الى الارض بعد مدة قليلة وهذا مادعاؤه بفكر في الامور القريبة التي اكثر ما تكون مساساً به مباشرة وله من مشاغله في تحصيل ثروته وتحسين زراعته ما يصد عنه الحق ولا بفرغ ذهنه الى النظر الى الاشباح الفارغة فهي بعيدة من الارض جداً غريبة عن الحياة الدنيا غير ملتزمة مع شروطها وضرورتها ولذلك ترى الانكليزي في مسائل الدين لا يتعدى افق العالم المدقق باحوال الانفس والاخلاق الذي يبحث في المراتب وليس هو صوفياً او منكراً ولا موحداً وهو لا ينظر الى القواعد الموضوعية والالفاظ بل ينظر الى الغاية من الدين اكثر من الواسطة وهكذا هو في السياسة فلا نقوم حربته فقط على الدستور الذي يمنع الحربة على التقاليد الموروثة التي تحمي الحي الحربة القديمة المتأصلة فيه

من غريب حال الانكليزيان كثيرين من حملة العلم فيهم لم يتعلموا العلوم اللازمة للامام بالثرية العامة فهم اخصائيون لانشوبهم شائبة وان من يحاول في انكلترا ان يحدث

احد علمائهم في العلم المجرد لا يجد من يستمتع بكلامه فالعالم الطبيعي عندهم هو الذي يعرف كيف يصنع نموذجاً ميكانيكياً يطبق فيه العلم على العمل فقط حتى لنك لا ترى في كتبهم في الكهرباء الاحبال مرسومة تعلق وتمتد ومواشير يقطر منها ماء وغيرها ينتفخ وآخر ينقبض وهكذا انكثرا في مناعاتها فلا يصدر منها الا ما يقع تحت حسها ولا تقص في قصصها الا ما يماثل حالتها الطبيعية وكذلك تاريخها ورواياتها الشخصية وفلسفتها فان فلسفة اوغست كونت الحية ومخترعها فرنسوي وجدت لها اعواناً في انكثرا اكثر مما وجدت في فرنسا لانها صاغت هوى في افئدة القوم

فهذا هو الشعب الذي قدر له ان ينشر البروتستانتية بثباته وينزع من الكنيسة والكنيسة اذ كانت دين سلطة قادرة روحية تقنن وتحظر وتعاقب والناس معها مكرهون على التيام بشعاليها اما المذهب البروتستنتي فهو دين الحكومة الذاتية الوجداني فالاول مرجع النظام والقاعدة والآخر محافظ النشاط ومبدعه وهذا هو الدين الذي يناسب امة خلقت لتعمل .

ان تأخر سن البلوغ في شبان الانكليز وعفة النساء الانكليزيات وتعدد الأسر والبيوت كل ذلك من اخلاق الانكليزي الحديث كما كان قديماً من خصائص اخلاق الجرمانيين سكان انكثرا الاصاين . وامتازت الامة الانكليزية من بين الامم بانها طلت متجانسة ولم تمتزج بغيرها فالانكليز وهم اهم عنصر تألف منه انكثرا هم جرمانيون من بلاد الشمال ومن اجداد الجرمانيين انكليز وجوت وسكسونيون وكلهم من عنصر الماني واثنين جاؤا بعد لاستيطان انكثرا مثل الدانيركيين والنورمانديين هم فروع تشعبت من نفس تلك الدوحة

وان ما يرى من شدة بأس الانكليز وقوة عضلاتهم يذكرنا بما قاله اميرسون فيلسوف اميركا « قالت الطبيعة : قد اتفقت الزمان الرومانيين ومحا اسمهم من سجل الوجود واني اريد ان اوّسس مملكة جديدة وساختر عنصرأ شديد الشكيمة كلهم ذكور ولكنهم باجمعهم ذوو قوة وحشية فن ثم لا عارض فيما ارى من المانسة بين الذكور القساء المتبريرين الا فليدخل الجاموس قرن في رأس الجاموس الآخر فيبقى المرعى لاكثرها قوة فانالي عمل اريد لتمامه يحتاج الى ارادة وعضلات . » وهوؤلاء هم الانكليز الذين لا يمتزجون خارج بلادهم بغيرهم من الامم ولكنهم في ارضهم اكثر الامم حرية واكثرها اكراماً وأيسرهم لقبول الغرباء ليست انكثرا جزيرة بل هي عارمة فما من امة اشتبهت في افكار

ومنازع نأتياها من اوربا نفسها سرى انكثرا وانطلمما اقتدت بالبلاد الاخرى ولكن كان اقتداء موقتاً كأنه للتسلية او هو سطحي كأن زي من الازيا، اما سراد الشعب فلم يس بشئ في منازعه بل ظل مخلصاً لاخلاقه الاولى وباجلثة فقد كانت دواعي الاختلاط قليلة جداً بين الانكليز وغيرهم ولا سيما عامة الامة فالانكليزي اتبه بساكن الولايات في اوربا وفكره كالشراب بقي زمناً في مأمن من الاهتزاز نخثر وكشف ولم تعد له تلك الميوعة التي توله الى الاختلاط بشراب آخر

وكان لهذه الصبغة الخاصة وقلة الرقة في الاخلاق الانكليزية نتيجة مهمة شوهدت في كيفية الاستعمار البريطاني ونتجها . فما قط تماز - العنصر الانكليزي بغيره من العناصر في البلاد التي اخضعها لسلطانها فهو كالمعدن البعيد جداً عن نقطة التدويب فلا يتأق ان يجعل منه ادنى مزج وما قط ساووا بانفسهم تلك الشعوب التي افتتحو بلادها وماتلطفوا في استماله قلوبهم فلم يعرفوا الا ان يظلمهم ويستنزفوا ماديهم ويدوسهم او يفتنهم .

ابان الانكليز ابها عن عدم كفاءة في فهم مناجي العناصر المخلة وان يتقربوا اليها ليأخذوا بايديها ويقوموا ناهضين واياها بما عاملوا به ايرلاندا من المعاملة السوأي ومثل ذلك يعجلى في ادارتهم الهند ومصر . فالانكليز يأتون تلك الشعوب بثروة مادية ونظام وامن وغنى فترى سلطتهم في بلاد الهند مثلاً على احسن اريقة ونظام مدقق قوامه الحشمة والادب وهم فيها بعد قرن من الزمن لم يخرجوا عن كونهم انساناً جفاة لا يألون ولا يؤلفون وكما طال العهد تاليهم تراهم في ارضها غرباء والاصوات اول للخلاص من ربقتهم . وان يوماً يفادرون في البلاد المستعبدة لعزيز على نفوس اهليها ولو ذهبت بذهابهم الرفاهية والسلام .

فحكم الانكليزي منهاك لقوى العناصر المخلة وهو استبدادي وكثيراً ما يكون قتالاً في البلاد التي يكون فيها الالهين مجال معهم ولا يدانهم بنشاطهم واراداتهم لان هؤلاء الفاتحين لم يرزقوا حظاً من تليين وصايتهم وتاجيعها على الصغار والضعاف بل لايتحلون ولا يعتون بغير اغوانهم والمساوين لهم .

نم الانكليزي اكثر الام اغراقاً في الاتباع عن الناس والعزوف عن مجتمعاتهم فهو يشعر بأنه اقل من غيره علاقة بالمجتمع البشري وقلما يقتبس من صلاته مع غيره شيئاً يستفيد به في تركيب اخلاقه وقلما يبحث عما يفكرون فيه واذا بحث فبحث مجرد

لا يدخل نتيجة في عواطفه واعماله فهو ناسك بعيد عن العالم وعن غيره من الامم بل هو بعيد عن جاره الذي يسكنه في حي واحد والمحيط الذي يعيش فيه وما يشعر فيه نفسه فلما يكون نسخة بسيطة مما يراه في الخارج فحالة هو مثل ثمرة كبرت تمت القشرة في نوع من الصدف فهو لا يثمر كتمشيرة الخوخة وما يمر عليها من مجرى الشمس لا يزيدها اصفراراً ولا احمراراً

الانكليزي لا يعرباقل ضجر من العيش وحده ولا يجد حاجة ان يقصص ما عمله على غيره ولا يسوقه سائق نفسي ان يتف على ما عمله غيره فهو فيما خلا الشؤون التي تمسه مباشرة لا يهتم الا بما له علاقة بالمسائل الوطنية العامة التي تمسه ولكن لا مباشرة بل من طريق وطنيته . يقول اميسون : « انك تحب الانكليزي اذا اجتمع مع الاجانب اخرس فهو لا يصالحك ولا يتركك تنلر ماني عينيه في الفندق ويلفظ اسمه بحيث لا يسمع فكل واحد من هؤلاء الجزائريين جزيرة بعينها » ويقول مونتسكيو : « يصعب على الفرنسي ان يكون » لم احباب في انكلترا وكيف يجب الانكليز الغرباء عنهم وهم لا يحبون انفسهم واني يعطوننا ما نأكل وهم لا يشاءوا كلون . يجب ان نجري على خطتهم فلا نهتم باحد ولا نحب احداً ولا نعتمد على احد .

ومن الغريب ان هذه الامة العازقة عن العشرة البعيدة عن الاختلاط تراها في امورها الداخلية من أكثر الامم ميلاً الى الاشتراك وما حديث انديتها ومجامعها وشركايتها المالية بخاف عن احد . وقد ترح فلولي العالم الفرنسي سر نجاح الانكليز في الزراعة والتجارة والصناعة بقوله : « انهم بالسكوت يجمعون افكارهم وبتفرغون الى التدبير والتقدير على ما ينبغي ومحسبون دخلهم وخرجهم وبصغر فكرهم اكثر وينبعث كلامهم جلياً ومن هنا كان التدقيق والرواء رائد جميع اعمالهم العامة والخاصة » وقال كارلايل الفيلسوف الانكليزي : الانكليز شعب اخرس . تم شرح هذه العبارة بقوله : ان السكوت يزيد في علاقتهم ونظامهم مع ما بين عنه اللسان . الانكليزي يميل الى الاختفاء ولا يهجم الظهور يهجم تجويد العمل من حيث هو عمل نابع ولذلك ترى جرائد انكلترا لا يوقع كتابها على مقالاتها وهي مع هذا ارق من جرائد فرنسا التي يوقع كتابها على مقالاتهم ليقال عنهم انهم كتبوا ومن أثر الاختفاء من هؤلاء لا يلبث ان يظهر اسمه بصنوه

ان كان من خلان الانكليزي الاقدام على العظام فان حب الجهد والذوق يفي

المجهول ليس فيه الا على ضعف ايضا فالانكليزي يبقى انكليزيا ويعيش عيشا انكليزيا حيثما ينزل . والانكليزي اقل من الفرنسي والاطالي في اليأس من النجاح واكثر منهما هزواً بالمتاعب والخطاطر لعله بان لها حداً تقف عنده ولا بد من حل مشكلاتها ولما تراه يحسب حساباً لنكد الطالع فترى الشاب يتزوج من فتاة وهو في مقتبل العمر ولا يطالبها ببائة (دولة) بل بتتربن بها بلا مهر ويقدم على تأسيس أسرة فيزيد نفقاته ثلاثة اضعاف ما كانت عليه والصانع يقدم على ادخال اصلاح في عمله بجرأة ويتخذ وسائل النجح وهو يعلم انه لا يلبث ان يتم اصلاح مصاعه حتى يقوم صانع آخر بنفسه ولكنه يكون استفاد من الفكرة بين اصلاحه واصلاح منافسه وترى المهاجر منهم لا سب له ولا لبد ومع هذا ينزع ويرزح تحت اثقال المتاعب وهناك سبب آخر واعني به الهوى في العمل او التجنب فيه وفي الحركة ، الذوق في العمل من اجل انه عمل وكل ذلك مما تقتضيه حاله الطبيعية . وانا ارى المسلمين منهم يتغربون في الارض ولا يخافون بل يتعززون بما يتم على ايديهم في الاقاصي وبناءون ملجفونهم شاكرين ويمولون اعمالاً في السر ابتغاء وجه الله

ومن خلق الانكليزي انه متشدد في الاحتفاظ بالحالة الحاضرة فارباب العتول الغريبة في تصورها كثيرون وكذلك لا ترى فيهم احداً يميل الى الثورة وقد اشتهرت انكلترا بانها بلد التقليد المتعصية حتى على التبدل اللازم وثلاثة ارباع سكانها لا يشعرون بالحاجة الى اذخاال تمديل في القوانين والاخلاق والربع الاخر يقبل بالتبديل في بعض احوال مخصوصة ويتعلق بها ويلاحقها بنشاط ولذا رأينا الشعب الانكليزي قد جالده لاول وهلة ريثما أدخلت عليه اساليب الارتقاء حتى المادي منه فلما دخله صار في لحمه وعظمه وهكذا شأن الامة العنيفة تشدد في تقاليدها وتستكبر في الغالب عن قبول كل جديد الا اذا ثبت لها ما يقضه ثبوت الشمس والقمر .

مهما بلغ من انحطاط مكانة الرجل الانكليزي في المجتمع ومهما بلغت حرفته من الامتهان لا يحد من كان الى منه منزلة وله من عمله الذي يستمتع بمنافعه اعظم سلوى ولذلك قل ان مالت الطبقة العاملة في انكلترا الى تغيير نظام الاشراف في المجتمع وذلك لا اعتقادها بان الاعمال مقسمة لأن الحظوظ متباينة . وبينما ترى فرنسا تقول للوزير كن فكان مهما كان وضيعاً والنائب كن نائباً فكان مهما كان منقطعاً في اصله ولا شريف كن شريفاً فيكون تجد انكلترا لا تسمح لوضع ان يعد في حملة العظماء الا بعد ثلاثة

اجيال وذلك على نظام وترتيب تدرجي لعلم القوم بان الطبيعة في انكثرتا تلتأخر في كل شيء ولذلك اقتضى ان يكون ارتقاء الناس كذلك

من خصائص الانكليزي انه يشبه ميكانيكياً تعلم علم الحيل (الميكانيك) بالتجربة لا بالنظر فتراه مهتماً ان ينتج بما له من آلة ما يمكن من النتائج ولا يحرص على تبديل محركها او ادواتها لعلها بانه اذا فعل ذلك اقتضى عليه ان يوقف العمل وان يبذل بلا نتيجة وقتاً واهتماماً من رأس ماله المحدود وهو يدرك بانه اذا حدث للآلة ما يضر سيرها تقف حينئذ وتقطع فائده وفائدتها ولذلك يجد من نفسه داعياً الى التبول بتعديل آلة على ان يغير ادواتها القديمة بادوات جديدة ولكن بدون ان يوقف الآلة ويقلل من مغلها

يعتقد الانكليز بالضعف البشري ويتعرون بضرورة اخذ الامور بالتدريج والبدء بها من الصغير للوصول الى الكبير حتى لا تقف القاطرة في هذا الجهاد وتتهور في منحدر لا تقوم منه فهم في شرائعهم يكتفون بتعديلها واصلاحها مع الزمن وما قاط حدثهم انفسهم ان يضر بها بل لديهم عرض الحائذ ويضعوا غيرها من عند انفسهم ولكن الانكليزي مع هذا اذا رأى الخير في تعديل قانونه يصر عليه فقد رأينا اصحاب الصحف على عهد الاصلاح البرلماني الكبير قد صعب عليهم ان يصدروا منشوراتهم النقية لانه قضى عليهم ان يدفعوا عن كل نشرة طابعاً فاجموا امرهم لي ان يصدروها بدون طوابع فغرمتهم الحكومة وجبستهم ولكن جرائدهم ومنشوراتهم ظلت تصدر على عادتها بدون طوابع واصروا الابرعها فمضت اربع سنين على هذه المسألة وقد حبس لاجلها زهاء خمسمائة رجل ثم اضطرت دار التدويع ان تجيب الطلب وان كانت الحكومة تضرت من هذا القسم المهم في الميزانية

يعمل الانكليزي حياً بالعمل نفسه على حين يعدل غيره من الامم لاحراز الثمرة التي تعقب الشرف او الراحة والرفاهية والدليل على ذلك ما نراه في اهل الطبقة العالية منهم ممن لم من ثروتهم ما يعفيهم من تعاطي اي عمل كان نراه يصرفون نصف اياهم في الالعب الرياضية التديدة ولا يبالون فكأن الرياضات لهم كالفطرة المستحكة كما كانت الالعب الاولمبية في يونان ايام عزم ثم انك لتجد غنياً لا يصرف شطراً من وقته في النظر في شئون مقاطعته وابر شيته وكثيراً ما يملك قواه في هذا السبيل على حين نجد ابنه في اوستراليا او ماينتوبا يعبش مع رعاة الغنم في تلك البلاد القاصية المنفردة وابنه الآخر من المرسلين في جنوبي افريقية يعمل شاق الاعمال

وبينا نرى الانكليزي اكثر الامم تحاشياً مما فيه عبودية واحرص الناس على التناهي بالحرية الشخصية والحرية المدنية كحرية الاجتماع وحرية التكلم وحرية القول نراه في نظام أسرته قد احتفظ حتى الآن بنظام الحكم المطلق فترى الابنة تأتي زوجها بدون ان يعطيها والدها بائنة لان العادة جرت بين الاغنياء وارباب اليسار ان يحفظوا بكر الاولاد العقارات ويقسموا الاشياء المنقولة بينه وبين اخيه الاصغر منه سناً وتنال الابنة حصة من ذلك ويكون في الاغلب دخلاً قليلاً تناله من واردات ابيها . حرمت من ذلك حتى لا تنجي دار زوجها بما يرفع رأسها عليه لان الرجال يريدون ان تكون لهم السلطة التامة في بيوتهم حتى انه اذا اتفق ان ازواجهم جاؤون بشيء من المال يضيفونه الى ثروتهم ويحرمونهم حتى من الوصاية وتلك الاولاد ومن التصرف باموالهم . عادات قديمة ورثوها فحافظوا عليها واذ كان ابطال القرون الوسطي في اوربا قد لطفوا من شأن المرأة لان من عاداتهم الاخذ بايدي الضعفاء والعائرين فن انكثروا لم يدخل عليها هذا اللطف والزوجة مع زوجها وما يختار لا ما تختار هي . وترى الوالد والوالدة يريان ابنهما بعيداً عنهما ولا تأخذهما شفقة في ذلك والولد اذا غاب عن والديه يسلمهن واذا مثل بين ايديهما يحترهما .

هذه بعض صفات الانكليز ومنها انبعث ارتقاؤهم المادي والمعنوي فسبحان المعز المذل القابض الباسط رافع الامم وخافضها ومشقيها ومسهدها



الامة تحبو

نريد بالامة هنا الامة العربية او الشعوب العربية وان كان لكل قطر بل لكل كورة من اقطار بلادها وكورها حالة خاصة بها وفلسفة روحية تختلف عن جارتها وتستدعي بحثاً على حدتها ولكن ما يعتذر على التفصيل بمجرد ان يذكر على الاجمال . ننظر نظرة عامة في حال العرب ليتجلى لنا ان كانوا ناهضين نحو الرقي ام هم يسرون سيرا متثاقلا لا يعرفون الغاية ولا يهتدون الى وجه الحق سبيلا .

اذا بدأنا بمراكش وهي اقصى حدود البلاد العربية نجد انها لم تبرز على ما يلفتنا من امرها امة أمية كما كانت في اواخر القرون الوسطى وهي على استقلالها وقربها من اوربا لم تتأثر بالمدينة الغربية وما فيء اهلها يعيشون في حال التنبت بأكل كبيرهم صغيرهم ويعيش خاصتهم بعامتهم يرون السعادة كل السعادة ما هم فيه ولا يتحدثون انفسهم ان يغيروا منه بان يحضوا عن سر تفاتهم وثقاتهم وجاهليتهم .

فاهل مراكش في تقاليد مدنيتهم كالذين يتحلون الفثية اي عبادة الاصنام في افريقية بالنسبة لاهل الاديان السماوية الراقية ما زالوا على الفطرة الاصلية وليس عندهم من دواعي البقاء الا مالا غنيعة . لكل قيل مما انحطت درجة مجتمعه وهيماته ان تتوحد كلمة المراكشيين على تبان اقطارهم وامصارهم مادامت القبائل زعمادى والحكومة كل يوم في شأن وليس بين قبائل البدر في القاصية وبين اهل فاس وطنجة صلة كائنتهم من عالم آخر . اما من يسوغ ان يقال عنهم بان لهم شيئا مما يطلق عليه اسم مدينة من باب التجوز وهم سكان الامصار فالخاصة منهم لا يعرفون الا بعض المسائل الدينية والتاريخية ونقف معارفهم عند هذا الحد ومن المتعذر جداً ان ترى مراكشياً قلد الغربيين في ملبسه وعيشه ومناحيه وتصور معنى المدينة الفاضلة

وهكذا اذا جئت تبحث في حال بوادي المغرب الاوسط اي الجزائر ولولا مبادي الافرنسية يلقتها بعض الجزائر بين طوعاً او كرهاً لما رأيتهم الا كبادية مراكش حذو القذة بالقذة . اما مدن الجزائر فسائرة نحو التطبع بطابع المدينة الغربية على تشدد السكان الاصليين واستنكافهم من الاخذ بها والتمحي من الانبال في تلقف ما يضر بكيانهم من قبول تلك المدينة التي تنتمي اذا فتحت لها السبل كلها بصيرورتهم فرنسيات كما هي ارادة الحكومة والقوم معها ابدوا من المثانة مسيئة بمجاناة الاوضاع الافرنسية

تضطرنهم بقوة ولو بعد نصف قرن ان يتبلوا بكل ما تعرضه حكومتهم عليهم من الاوضاع والمنازع التي ترى لها ولم سعادة بدوا . والجزائريون لا يستطيعون على تلك الحال ان يدرسوا ولا يحكمهم استعماري حتى ولا مبادئ لغتهم لما يحول دون امانيتهم من العوائق ذلك ما يقال . ركائنا بالجزائر اذا دام امر المسلمين فيها في تراجع وقد اصيبت فرنسوية في كل حال من احوالها وانك لترى بعض اهلهما يهاجرون منذ سنين ويتحلون بطبيعة الهجرة عن عروضهم وعقارهم وينزل مكانهم اناس من الفرنسيين والاطليان والاسبان وغيرهم يستعمرون الارض ويتكئون الدبر والعمار ويقبضون على ازمة التجارة . وقسم من الاهلين يقلد الافرنج فيشلم على طريقتهم ويحسن لغتهم وينسى لثنته وتضعف وطنيته وجنسيته وعقيدته فهذا واولاده من بعده لا يحجون افرنجيا صرفا ان لم يكن في الجيل الثاني ففي الثالث والقسم الآخر من السكان وهو الماهم الآن وفيه كثير من ارباب الفنى والفكر يجمعون الاقلية بين الاخذ بمذاهب المدنية الحديثة مع المحافظة على تاليدهم واوضاعهم وهو لاء خير طبقة يرجى منها النفع الآجل والعاجل وهناك قسم آخر يحرفهم سيل المدنية الحديثة فيقبلونها رضوا ام لم يرضوا

وانا اذا حسبنا ان تعلموا الافرنسية اليوم من الجزائريين ولم يتعلموا لغتهم مائتي الف نسمة من اصل نحو خمسة ملايين بعد ان حكمت فرنسا هذا القار زهاء سبعين سنة فسئرى عددهم يربو على ذلك اضعاقا بعد نصف هذه الحقبة من الزمن . اذ ان الدورات الدينية والدية تكون ضئيلة في الغالب لاول اسرها ثم تقوى كالنار اصلا باس شرارة ثم يمتد لحياتها وتلتهم البعيد والقريب منها . ويخشى ان يكون حال الجزائر مع من يهاجرونها من ابنائها حال الجو في انكلترا مع سكانها فقصى قاعدة الانتخاب الطبيعي وقانون الوراثة على العاجزين والخالطين وبقي التهرب الى الجملة من الاقوياء الاشداء العاملين الناهضين . نعم نحاذر ان نقذف الجزائريين بالخالطين الذين سدت في وجوههم مذاهب المعاش وان تستعيب عنهم بالعاملين من الغريبيين او من الجزائريين انفسهم الآخذين بمذاهب الحياة اخذ الاوربيين .

من اجل هذا سألنا ان نقول ان مستقبل الجزائر ان دام على هذا المتوال مثلما يحزن ومثلها تونس وان كان الامل بنبوض هذا القطر اقرب من بعض الوجوه لان طرز حكومة الحماية يختلف بعض الشيء عن طرز حكومة المستعمرة لوجود حاكم من ابناء البلاد في العمرة ولان بعض المتورين من اهلهما لم يسهم بعد طول الروية الا

التسبب الى الرقي بأسبابه المتخلفة وادب من طويل ومعنى بذلك ان العلم كلى الناحية الأوروبية وعدم اغفال التعاليم النورية والمذهبية . وهذه الزرة كلى صفرها لا بد ان يأتي يوم عليها تكبر فيه دوحها وتتر في ارضي قرطاجنة .

اما اقليم رقة او ولاية طرابلس الغرب فتأنها بنى اتساع رقعتها وكثرة سكانها متبأن البلاد المتأخرة دأ وجردها في الاحد بذاع الحضارة جهود المغاربة الراكشين وبلادهم حتى الحوانس . بها رادية اكثر منها متحضرة وقلا تجد نهضاً الى العلم الحقيقي فيهم واليهاء منهم رون الاكتفاء بان يملكو امبادي العلوم في مدارس الحكومات المتولفت في خدمتها اما سائر مذهب الامة فبقا لثقله وانك صعبان تناول منهم اجمع انما يغفل يقوم ويتعد او يجو ويدب

جئنا الى مصر وهى مرقدة الآمال في مستقبل هذه الامة لان توسطها بين الشرق والغرب ومركزها التجاري انما ينافى الى اختلاطها بالامم الاخرى كسائر اقطارها . وبها غناها وكثرة سكانها كثرة قلا يأتي لود كوادى النيل ان يثوي . فبقا لثقله من الرقي واليهاء منهم رون الاكتفاء بان يملكو امبادي العلوم في مدارس الحكومات المتولفت في خدمتها اما سائر مذهب الامة فبقا لثقله وانك صعبان تناول منهم اجمع انما يغفل يقوم ويتعد او يجو ويدب

وانما حظ الزمان لمصر طمة منظمة في الارض وفيها المدين قلده الراقص من الغربيين بعيشهم ومناحيهم وادبهم ورويتهم . وعندنا ما يلزم لامة من ادوات الرقي على اتمه الا قليلا . واذا انشأت لبعث ابنائها رغب في تلقف العلوم الطبيعية والصناعية كما ارسلوا بالعلوم الادبية والسياسية تصبح بعد بضع وعشرين سنة امة اوربية رانية وربما فاقت الآن وهي بالها وارثاتها في قارة مفر بيه بنزلة اميا ارغوا في تجارة اوربا كثيرا من الهوب المخططة في جنوبي اربا

الاسوية فقد تأملنا في هذا انصح ان نسميها كذلك وكما يتلوها بتاون مصادرها مخلفة اخلافها وبناتها وعناصر سكانها فالثراك يلقونها عنهم منهم ستياء

الدولة العلية عليها ولكنهم لم يفتوا الا بتعليم افراد في بعض البلاد قضت عليهم مصالحتهم التجارية كأهل حلب ومناحورها مثلاً بتعليمها او غرامهم بالوظائف العملية والعسكرية والملكية كأهل دمشق وطرابلس وبيروت ان يتلقفوها اما الذين تأثروا من ابناءها بالمدينة الغربية المنبثقة من المدارس الفرنسية والاميركانية والانكليزية والروسية وغيرها فوافر عدداً وان لم تكن تلك المدارس اقدم زمناً وارسخ قدماً في كل الاقطار فهي في فلسطين ابي في جنوبي سورية اقوى . با في شمالها وفي غربها اكثر مما هي في شرقها فجد الناشئة الجديدة على المناحي الغربية في القدس وبافا وحيفا وعكا والناصره وصور وصيدا وبيروت ولبنان وطرابلس والاسكندرونة اكثر مما تجد منهم في نابلس وصفد ودمشق وحمص وحملة وحلب واللاذقية . وكلما اكثر في بلد سواد المسلمين كان البعد عن الاخذ بمدينة الغرب اكثر من غيره من المدن الخمسة باديانها وتباين اغراض المعلمين فيها

وعندنا ان الحكومة تحسن صنفاً اذا نشطت في هذا القطر الافرقة العربية اكثر من اللغة التركية او على الاقل جعلتها مثلاً ليكون لها من ابناءها اكفاء في صد تيار المدارس الاجنبية التي تعد الناس للبحر اكثر من تحييب بلادهم في اعينهم اما السعي في تترك العرب في سورية وفي غيرها من الاقاليم العربية كاليمن والحجاز والعراق والجزيرة فسمي باطل ايس فيه - حير للبلاد ولا للدولة لان تعليمهم بغير لسانهم يطول معه زمان فهو ضخم الحقيقي والاتراك ليسوا بمدنيتهم على مستوى الفرنسيين والانكليز في الرقي ومعرفة المدخل والمخرج مثلاً حتى يفيضوا من علمهم على العناصر الاخرى ولذلك كان عمل الحكومة عتياً في نشر التركية فقط في البلاد العربية والدليل على ذلك ان الولايات التركية احط بكثير من بعض الولايات العربية فولايته سورية وبيروت ارقى ولا شك من ادرنة وبورصة كما يؤكد ذلك من طافوا هذه الولايات الاربع وخذروا قراها كما خبروا مدنها اما درجة التهذيب والتعليم في سورية فارقي من بلاد الاكراد وارمينية وولايات آسيا الصغرى اي الاناضول ولذلك جاز انما هنا ان ندعي ان السوريين كالطفل بدأ ينجو من المدنية الا انه لم يعين له خطة معينة حتى الآن وحالته مناط بفناء نوابه بل نواب العرب وكفاءتهم في مجلس النواب واذا احسنوا النيابة نالت هذه البلاد حقوقها الادارية والعملية والعراية والانتقي في حالة التذبذب

اما لائثر الاقطار العربية فلا يدوغ لنا ان نقول انها اخذت تجبو مادامت الفن

تهلك قواها وذلك مثل. بعض انحاء العراق ونجد واليمن فان الامن لم يكبد يتقرر في نصابه في قطر من اقارها مدة طويلة ومنذ نحو اربعين سنة لا تجلو سنة الا وتنتشر الفتن في بقعة من بقاع اليمن وكذلك جنوبي سورية ونجد والعراق ولولا بقايا مدنية نذرها الهند على خليج فارس فينال منها البصرة وبغداد شي لا قليل او تلك الآثار الضئيلة التي يلقبها الراحلون الى الشرق من اهل الغرب على بعض موافي البحر من جهة الجزيرة العربية لقلنا ان هذه لم تختلف حالتها عن بضعة قرون الا ما كان من خلال الامن فيها

وبعد فان حال هؤلاء الملايين في اليمن والحجاز والبصرة وبغداد والجزيرة والشام وطرابلس الغرب يدل على ان الانتفاع من قليل منظم خير من كثير ممتد وان اهل سويسرا وهم ليسوا سوى جزء من عشرين جزءاً من العرب المنشرين من شواطئ بحر الظلمات الى شواطئ المحيط الهندي اكثر اثراً في المدنية من العرب اليوم وهم لا يقعون عن ستين مليوناً. واما ذلك الا لبعدها اقطارهم واختلاف الاغراض في حكوماتهم فبقدها اما الى اليقظة الغربية او الى الاهمال المدهش . افراط او تفريط وكلا هذين ان زاد قتل .

اما سائر البلاد العربية كرنجبار والسودان واواسط افريقية فخلها تبع للاقدار وهي اقرب الى الانصباغ بصيغة الحاكمين عليها لان اهلها على الغلب ليست لهم في الاصل مدنية راقية زالت ثم بدأت تعود ولأن اقاليم الحارة تفعل في عقولهم فخلها كما تفعل الاقاليم الباردة في عقول الساكنين فيها فتشطها وتبعث منهم قوة الارادة واللبات وتطلب منهم مطالب كثيرة تضطرم الى تنوع اساليب العمل

وبعد فليس كمصر بين البلاد في رقيها فهي ام الاقطار العربية وسوف تعلم غيرها كما نعلت فترسل اشعة انوارها على الافطار ولا سيما اذا نالت استقلالها الاداري واصبحت ذات دستور يحل شؤونها ونهوض البلاد بحسب طبائع الحكومات التي تشولاها

والمدنية كتيار قوي لانقذف في وجهه سدود الحكومات مها ضغطت . ورابطة اللغة والدين اقوى الروابط لانتزها القوانين اليوم مها جارت والامة الآن تحب وتوسك ان تمشي مشية الشاب القوي العضلات التام الادوات والصفات . خصوصاً اذا تعاطفت وتعارفت اكثر مما تعاطفها الآن وتعارف وعندنا ان الصلات الاقتصادية اي التجارة اذا قويت بين هذه البلاد اكثر مما هي الآن ورحل التاجر الراقي من العراق الى تونس وجاء المراكشي الى الشام ونهض الياباني نحو مصر وكثرت الصلات والمواصلات واشتدك المنافع واتحدت بتأني ان نقول ولو بعد قرن او قرنين - والقرن والقرنان لا هــ

شيئاً في حياة الام — ان هناك امة عربية ذات كيان يذكر لا ينسى عن كيان العالمين
والامان او اليابان والاميركان والمصر مصر تكوين الوطنيات بالانانية واحياء ما ندرش
من القوات بنسب شملها بعد الستات ولا سبيل الى ان يوشن الاباحياء الثامنة والآداب
وتذكير الالباء بما فعل الآباء والافتن هذه الامة الكثرة الصا لواردة البتاع
والاصقاع امام المدنية الغربية اقرب الى الانساق منها الى البناء حتى اذن مرها
بتعذر بروها . سبحان من يحيي المظالم ومي رهم

العفة

ومتدح العرب بها

العفة خلق يعصم صاحب . عن تناول ما لا يحل : ناذا عرض له ملذذ محرم . او سخط
له شهوة محظورة حل هذا الحلال . انكره منه وبين الثلوث بها . فمدح . استعمل كلمة
« العفة » اني تجنب قاذورة الزنا . ومن انكره نفسه عن ملذذ القذورة كان في منجاة من
حزني الدنيا . وعذاب الآخرة . ويكني الزاني غزياً في دنياه ان يكون محترماً في ذوبه
معدماً للعاهات والامراض الحينة . وان يصيب مدرة سيئة . فاعيد وولده في سلوك
هذا الطريق المستووم . وفي اعرف . لا ابل بهذه الرذيلة فك ان له في كل يوم حيلة
يختلف اليها . وينفق من رزقه شيئا عليها . وتكون له زينة وولادة فلم يكن امره ليخفى
عليهم مهما بالغ في التكنم . ونا بال اكبر او ذده من الرمال الى هذا المكر وغمانية .
حب الفاحشة . فجعل يسافر من بلد الى بلد في تطالب انتيمات . وتمهين . وادانفاش عليين .
وكيف يكون مرقب الاب ابناء على اب . هذا ؟ اترام يتدرب ككج جماعه وارداءه
عن غيه . واتداعه بان ما هرفيه يدادي الى تيج الاحدونه . وضياح التمرن . وحوار
الصحة . وعذاب الآخرة فاذا سمح له اوم يمتل هذا القول ماذا يكون جواب ابته
له ياترى ؟ وفي مثل هذه القصة نال الشار في المثل الشر .

اذا كان رب البيت بالطل خاربا . فلي تلم الصبيانه فيه . حتى الرقص
وقديما ما تمتدح العرب بالخج بالانفة . والابتعاد عن الموث بالقذورة النهر . بل
تجنب كل ما يلحق بهم . لمة . او يدعو . لمة غامة . ففان الدم لا يزد اسرابة
جاره في غيبة زوجها تأثماً وتكرماً .

واذا كان جواداً مثل ماتم الطائي . وكان له جار بادي الخصاصة . احتال في إرفاد زوجته أثناء غيبته من دون ان يلم بها . او يدخل بيتها وقد دل حاتم كى خلاته هذا في قوله :

رما تستكفي جارتى غير اني اذا غاب عنها بعلمها لأزورها
سيلمها خيرى ويرجع بعلمها اليها ولم تسبل علي ستورها
قوله وما تستكفي . اي لا يكتفى ان تستكفي الى نساء الحي فنقول : ان حاتمًا بخل علي . ومنع عني معروف . في غياب زوجي . لانهول ذلك لما اني كنت لا اقصر في فعل كل ما ينعم عيشها . ربكي حاتمها . الا الزيارة فيني كنت ادعها مدة غياب زوجها . وقوله (سيلمها خيرى) اي يصل اليها مردي ورفدي ولا ازال كذلك حتى يرجع زوجها من دون ان ادخل خدرها . وتسبل علي ستورها .
وقال حاتم ايضاً في هذا المعنى :

ناري ونار الجار واحدة واليه قبلي تنزل القدر
يقول ان جاري لا يضر ناراً لنفسه وإنما تكون ناري له ناراً فيأكل هو وعائلته مما يطبخ ليها . بل ان القدر تنزل عن النار وتقدم اليه ليتناول منها حاجته قبلي
ماضري نار اجاوره ان لا يكون لبابه ستر
لأنبالي ان لا تكون ستارة لي باب بيت ناري . وذلك لاني عفيف العن فلا اخشى تل نفسي التلح ان ادخل البيت . والنظر الى النساء الرئي فيه .
اعش اذا ماجرتي برزت حتى يوارى جارتى الخدر

هذا البيت كأنه جواب لسؤال يوجه الى حاتم : فيقال له احسنت اذ لم ترسل نظرك الى الخانة من خلال السنور الى نساء نارك ولكن كيف تصنع اذا برزت الجارة من خدرها وتمشت بين المندارب وايوت . فقال اني اذ ذاك (اء و) اي اغض عيني او انمضهما فلا اعود ابرهما حتى تدخل خدرها . وتتوارى فيه . واصل (العشى) متصور من دون همز - ان يضعف بصره . فلا يعود يبصر في الليل . وان كان يقدر على الابصار في النهار . والوصف منه اعشى . وبه سمي الشاعر المشهور « والناقة العشواء » التي لا تبصر امامها نهي تخط بيديها كل شيء يعترضها . وتسف الطرق على غير هدى .
ومن المثل فلان يخط خط عشواء

وقد تجوز حاتم فاستعمل « العشي » هنا بمعنى غض العين : او تخزير الجفن بحيث لا يمود يبصر الا كما يبصر الاعشى الضعيف البصر .

وقد اعطانا هذا العربي الكريم في شعره درساً جليلاً في الاخلاق وفي آداب معاملة النساء . يجدر بنا ان نحفظه . ونحتذي مثاله . فلا تعرض الى النساء الاجنبيات . ولا سارقهن النظرات الخائفات

وقد افتخر حميد بن ثور الهلالي بما افتخر به حاتم فقال :

واني لعف عن زيارة جارتني واني لم تنو الى اغتيابها

(مثنو) مبغض مكروه . يقول انه يكره ان يزورها لثلاثا يساء به الظن فيها . كما يكره ان يغتابها لثلاثا يقال انه تنزل لما فسد النسوان .

اذا غاب عنها يعلم لم يكن لها زواراً ولم تنبج علي كلابها

« زوار » على وزن غراب بمعنى كثير الزيارة ومن مادة الزيارة سمي الرجل الذي يكثر من زيارة النساء وغشيانهم ومجاستهم « زير » وبه سمي المهمل اخو كليب « الزير » ويقال فلان « زير نساء » اذا كان مولعاً بمجالستهم وتصبينهم

وما انا بالداري احاديث بيتها ولا عالم من أي حوك ثيابها

« حوك » مصدر حاك الثوب حياكة وزير النساء . عمل على تعرف احوالهن وتسقط اخبارهن فيدري . اذا جرى بينهما وبين جاريتها او خادماتها . وماذا رأت او سمعت في العرس او المأتم الذي ذهبت اليه . وقد يستخبر منها عن نسيم ثوبها . وس اي صنف او جنس هو . ومن اين اشترته . وعند أية خياطة خاطته — كل هذه الاسئلة لأجل ان يكون له مادة للحديث يشغلها به حينما يزورها او بصادفها . فشاعرنا العربي لم يقصر في درس طباع هؤلاء الازيار « جمع زير » ومعرفة غريب حيلم . فهو يفتني عن نفسه ان يكون فاسقاً مثلهم او يشتغل بالنساء اشتغالهم .

ومثله في ذلك عقيل بن علفه المري الذي يقول من ايات :

ولست بسائل جارات يقي اغياب رجالك ام حضور

(غياب) جمع غائب . وقوله (رجالك) اصله (رجالكن) بالنون لان الخطاب

للجارات وهن جمع . قالوا ان هذا الخنف او الخطاب بالمعرّد جائز في الشعر فقط :

يقول : انه لا يسألهن هذا السؤال ليتوصل به الى محادثتهن . او انه لا يسألهن اياه

ارادة الدخول عليهن . وقضاء لبانة . منهن

ولست بصادر عن بيت جاري صدور العير غمره الورود
(العير) حمار الوحش . ووروده بجيئه الماء يريد الشرب وصدوره رجوعه عنه
بعد شربه منه . و (غمره) بتشديد الميم من التغمير . وهو ان يرد حمار الوحش الماء
فيشرب اول الشرب ثم يحس بالصائد الكامن له على الماء فيرجع نافرأ غير متلبث وبه الى
الماء حاجة ونفسه تدعوه الى العودة .

فالشاعر يقول اني لا ادخل بيت جاري ابتغاء الريبة . وارده كما يرد غير الوحش
منهل الماء . حتى اذا ثلث بان الجار في البيت صدرت ورجعت مسرعاً كما يفعل غير
الوحش متى احس بالصائد القانص اذ ينقلب عن المنهل مغمرأ تغميراً . وهو شديد
الظم اليه .

ولا مابق لذي الودعات سوطي الإعباء وربته اريد .
(ذو الودعات) هو الصبي الصغير الذي يعلنون عليه الودع خشية العين وميس
الجن . وقوله (ربته) تأنيث (رب) وضميره يرجع لذي الودعات . ويعني بربته امه :
لانها تربته وتملك امره وتصلح من شأنه . حتى يبلغ كماله . والتربية مأخوذة من
هذه المادة .

وقد زاد الشاعر هنا معنى لم يقله زميله الشاعر السابق : فهو يقول انه ليس بالوقح الذي
يتوصل الى مغازلة النساء ومحدثهن بمناعة اطفالهن وملاعبتهم . فاذا رأى طفلاً مع
امرأة حسناء او خادمة وسيمة التي الى طفلها سوطه او سميته او فم سيكارته يظهر من
نفسه الرحمة بالاطفال وشدة العطف عليهم . والامر ليس كذلك وانما هو فاسق يريد
صاحبة الطفل . ويغني بها السوء .

واسلوب هذه الايات يعطي ان قائلها يريد التعريض بعدو منافس له : كأنه يقول
اني لا انزل لامثال هذه الشناعات وانما ذاك خصمي فلان هو الذي اعتاد فعل ذلك .
ومثل قوله الاخير قول الآخر

لا آخذ الصبيان التهم والامر قد يفرى به الامر
(يفرى) من غزا قصد . ومنه غزوا العدو . لان الغازي يقصدهم في موضعهم .
ومنه ايضاً (مغزى) الكلام . و (مغزى) القصة اي المعنى المتصود منهما . فلثم
الصبيان هنا ليس مقصوداً لذاته وانما هو امر قصد به امر آخر . وهو تحميش المرأة
والثفك بحسنها وجمالها . وشكلها ودلالها .

ولا اريد بـ «الزكل» هنا الهيئة والصورة وانما هو بمعنى الفنج والدلال وشينها
تفتح وتكسر . شكات المرأة كفرحت فهي مشكلة .
اما «التجميش» فلا ابج لنفسى التصريح باصل اشتقاقه . وانما اكنفي بتفسيره
بالمغازلة .

وخطر لي الآن ان المغازلة — ويراد بها محادثة النساء بكلام الحب — مشتقة من
غزل القطن والصوف . وانما سميت هذه المحادثة بهذا الاسم . لان الزير يجلس الى
المرأة وهي تغزل فقد يساعدها بالغزل او يحل الخيوط المعقدة او يسألها عن غزلها وما تريد
ان تنسج به مثلاً ويكون الزير بصنيعه هذا كأنه شاركها في الغزل . ولذلك جاء فعله
(مغازلة) عَلَى بناء المشاركة . ثم يتوصل الزير بهذه المشاركة الى احداث اخرى يعلمها
الازيار . ومن لطائف المتأخرين قول بعضهم .

وزان بحب الزنا مغم اماط راء الحيسا واطرح
يقبل اولادهن الصفا رومن عشق الدن باس القدح
المغربي

اخبار وافكار

الجمعية الخلدونية

في الشام ومصر وتونس جمعيات اسلامية كثيرة غايتها تعليم ناسئة الامة وبث روح
العلم والفضيلة في النفوس واهمها فيما نرى جمعية مآثر التربية والمقاصد الخيرية في بيروت
والجمعية الخيرية في القاهرة وجمعية العروة الوثقى في الاسكندرية والجمعية الخلدونية
في تونس . وامامنا الآن الخطاط السنوي لرئيس الخلدونية القاه في الاجتماع السنوي
لا انتخاب رئيس واحد عشر عضواً كما يقضي بذلك نظامها قال فيه انه لا تسمو كلمة الامة
ولا يتقدم لها شأن الا باشتراكها في السعي والعمل والقول والفكر وانه من اجل هذا
تألقت في العالم التمدن الشركات والجمعيات الادبية والعلمية واتحدت افراداً اعلى شعوراً
واحساساً . فرغبة في الحصول عَلَى هذه الغاية الشريفة سعى نخبة من فضلاء الامة التونسية
فوقفوا لتأسيس الجمعية الخلدونية العلمية التي مضى عليها الآن مدة تاهز اربعة عشر
عاماً لم تزل في غصونها دائبة عَلَى القيام بوظيفتها من توسيع نطاق المعارف ونشر العلوم

العصرية بين الشبيبة التونسية عامة وتلامذة الجامع الاعظم خاصة لاعتبار هذا المعهد العلمي كفرع للكلية الزيتونية .

ومع قيامها بتلك الوظيفة السامية لم تنزل ايضاً تبحث عن الوسائل الموصلة لاستكمال ذلك وترتب الدروس في الفنون غير المزاولة بالجامع الاعظم زيادة على التاريخ والجغرافيا والحساب والهندسة من بقية العلوم الرياضية والطبيعية التي لا يحسن الجهل بها في الاوقات الحالية .

وقال : ان مادة بقاء الجمعية هي اعانة المشتركين من ذوي النيرة والمروءة الذين قدروا المشروع حق قدره واستمروا على مساعدته بما لهم وعلمهم . وعناية اعضاء اللجنة ادارتها ورؤسائها الفضلاء السابقين الذين يحق للجمعية ان تفخر بحزمهم وسعيهم في ترقية الجمعية وتسييرها من ارقى الجمعيات العلمية في شمالي افريقية وخص من بينهم بالذكر سيدي محمد الاصرم الذي بذل جهده في هذا السبيل واتفق وقتاً ثميناً من حياته لتحسين تراتيبها واساليب تعليمها . ثم اهتمام السادة المدرسين الذين قاموا بما ينيط بهم احسن قيام وساعدوا الجمعية على نشر العلوم التي كانت مغمودة في تونس وترجمتها من اللغات الاجنبية الى لغتنا العربية ونذكر في مقدمتهم سيدي البشير صفر والسيد حسن عبد الوهاب والسيد صادق الثلاثلي والسيد عبد الرزاق الغطاس وغيرهم .

وقال : ان اهم نتيجة لعمل اللجنة في السنة السالفة مضافة لاعانة المالية المخصصة للجمعية من ادارة الاوقاف وماقررت بموافقة الجلسة العامة من تخير مدة التعليم وتسييرها عاين بعد ان كانت عاماً واحداً حرصاً على ان يكون المتخرجون من مدرسة الجمعية اكثر علماً وافر استعداداً لتلقي الدروس العالية او مباشرة الخدم المعاشية ومن تنظيم نظام التعليم بما يشمل بعض فنون عصرية كالحكمة والكيمياء وحياة الحيوان والانشاء العربي ومبادئ اللغة الفرنسية الخ .

هذا اهم ماورد في خطاب الرئيس ولعل بعض قرائنا يودون الاطلاع على الغرض الحقيقي من تأسيس هذه الجمعية الراقية فنقول لهم نقلاً عن تقريرها لسنة ١٩٠٦ وهو يصدر باللغة الافرنسية ان اول من اقترح تأسيسها المسيور بيليه المحقق العسكري بالمقيم العام في تونس وكان من المتجربين في المسائل الاسلامية والواقفين على حركة النهضة المصرية فوقع في نفسه ان في مكنته شبان تونس المتعلمين في المدارس الفرنسية ان ينشروا في القطر التونسي الاساليب الحديثة المتبعة في بعض بلاد الشرق ويصلحوا جامع

الزبونة على ما يناسب حال النهضة العلمية الحديثة فاذا صلحت حال هذا الجامع الاعظم يصبح كما كان مبعثاً للنور في العالم الاسلامي ولاسيما في شمالي افريقية . وهكذا صعد الى تأسيس هذه الجمعية فانشأها زمرة من الفضلاء والمفكرين ودعواها بالخلدونية نسبة الى ابن خلدون المؤرخ الفيلسوف الذي وضع في مقدمته اصول التعليم والاصلاح العلمي .

ومن نظامها فتح دروس والنأ محاضرات في التاريخ والجغرافيا واللغة الافرنسية والاقتصاد السياسي وحفظ الصحة والطبيعة والكيمياء خاصة وان تسهل على من فيهم استعداد لسلك سبل الارتقاء في العلوم ونشط على احداث خزائن كتب وان تنشي مجلة بالاربية والافرنسية تعرف العرب بالمدنية الفرنسية والفرنيس بالحضارة العربية

وبعد تأسيسها بمدة اعطيت مدرسة من المدارس القديمة جعلتها محلاً لصفوفها ومساهماتها ومكتبتها التي كانت تحتوي سنة ١٩٠٦ على ٦٩٠ مصنفاً بالاربية والافرنسية وقعت في ١١٥٣ مجلداً وفيها الاهات المهمة ولاسيما ما يتعلق بتاريخ تونس وعمرانها ومدنية الاسلام

وقد لقي هذا المشروع ما كسات قوية باديء بدءه وكثرت فيه الظنون والتخربات على نحو ما يلقي في العادة كل مشروع في الشرق ولكن عرف القوم بمد حين ملاءمة قصد القائمين وسكنت الالسن عن تناول الخلدونيين بسوء خصوصاً لما يرون من حماية سمو الباي والدولة المستعمرة لجمعيةهم ولان المتخرجين في مدرستها اذا كانت بايديهم شهادة يفضلون على غيرهم في الوظائف

والدروس والمحاضرات التي تلقى في تلك المدرسة هي الحساب والهندسة والتاريخ والجغرافيا والطبيعة والكيمياء وقد اقاموا مملاً كيمواياً في مكتبة المدرسة ليطبقوا العلم على العمل ثم اضافوا الى هذه الدروس علم المساحة ورسم الاراضي (الطوبوغرافيا) والرسم والجبر . وام ماتدور عليه المحاضرات تدبير الصحة العلمية والنظام القضائي في تونس وقانون العقارات وعلم الحقوق الاسلامي والفرنسوي والاقتصاد السياسي والاقتصاد الزراعي يلقها في الغالب اعضاء الجمعية وفيهم العلماء والكاتبون والباحثون باللغة العربية وكان يستمعون قلائل جداً باديء الرأي فلما ثبتت الجمعية ارتقوا من العشرات الى المئة والمئتين وكانت واردات الجمعية سنة ١٩٠٦-٦٨٨٩ فرنكا ونفقاتها كذلك ولا شك انها زادت الآن بحسب حاجة العصر وارتقاء مدارك اهله . وقد انتخب لرائسة الخلدونيين هذه السنة السيد عبد الجليل الزاوش من علماء تونس وارباب الافكار فيها .

الجمعية الخيرية الإسلامية بمصر

بلغ مجموع ايراد هذه الجمعية الخيرية في سنة ١٩١٠ — ٢٢٣٤٠ جنيهًا و ٧٦ ملياً منها ٩٩٧ ج و ٢٠٠ م انتراكات و ٧١٧٢ ج — ٢٢٥ م ايجار اطيان و ٢٩١٧ ج و ٨٩١ م للاحتفال السنوي منه مبلغ ٢٢٣٧ ج و ٣٧٦ م لسنة ١٩٠٩ و ٥٢٤ ج و ٦٧٢ م تبرعات و ٢٠٣ م ايجار مباني الجمعية ببني مزار و طنطا و ٧٥ ج مرتبات خيرية و جنيه و مائة مليه ايرادات متنوعة عمومية و ٦٧٢٣ ج و ٥٠٠ م أجور تعليم و ١٣٧٨ ج و ٥٦١ م ثمن كتب وأدوات مبيعة و ١٤٥٠ ج مرتبات خيرية و ٨٢ ج و ٣٧٥ م ايراد وقف المرحوم احمد الفندي شاكر و ٦٦٣ ج و ٧٨٠ م تبرعات و ٤٥ ج جازتنا المرحوم علي باشا مبارك و حضرة عبد الرحمن بك رضا و ٥٥ ج و ٧٦٥ ملياً و بلغ اجمالي المصروفات ١٨٥٥٢ ج — ٦٤٨ م و بلغ الباقي بعد نفقات سنة ١٩١٠ وهي نفقات التعليم الاعانة والصدقة المخصوصية والنفقات العامة ١١٠٣٤ جنيهًا و ٢٢٨ ملياً

المعلم الديني

نشر الميسر كومباري من علماء الفرنسيين مقالة في مجلة المجلات الباريزية بشأن التعليم الديني (العلماني) في فرنسا وحاضره ومستقبله جاء فيها ان حكومة الجمهورية تصرف كل سنة ١٢٠ مليون فرنك على المعلمين والمعلمات عدا ما تنفقه على بناء البيوت لمعلمي المدارس ومعلماتها وان عددهم يبلغ ٥٣٢٧٦ معلماً و ٥٩٣١٥ معلمة بحسب احصاء سنة ١٩٠٥ يتخرجون ويتخرجن من ٧٥ داراً للمعلمين يتقنون فيها ما يلزمهم تخرج الصبيان والبنات وكان عدد المعلمين سنة ١٩٠٧ في مدارس الحكومة الدينية ٤٦٥٤٢٠٦٣١ ففي وفاة ماعدا ٥٢٢٩٤٧ ولد في مدارس الامهات العامة و ٨١١٢٣١ تليداً في المدارس الخاصة و ٢٢٨٢١٣ في مدارس الرهبان وهكذا زادت فرنسا مدارسها في الثلاثين سنة الاخيرة فكثرت فيها كما كثرت كنائسها في الترون الوسطى وانتشرت المدارس حتى في القرى البعيدة فكان عدد مدارس القرى والمدارس الشريفة سنة ١٨٤٣ — ٣٨٠٠ مدرسة فاصبحت سنة ١٩٠٧ — ٦٨١٢٨ مدرسة

ومع ما بذل من العناية لم توفق فرنسا الى اخراج الامة كلها من ظلمات الامية فكان عدد الاميين من الجنود الذين كانوا تحت السلاح سنة ١٩٠٨ — ٩٨٥٣ لا يقرأون ولا يكتبون و ٤١٧٥ يقرأون فقط على حين كان في الجند العامل سنة ١٨٧٢ — ٥٦٠٠٠ أي وفرنسا مع كل ذلك لم تبلغ مبلغ جاراتها في قلة عدد الاميين في ابنتها فان شيك

الجيش السويسري العامل وقدره ٢٨ ألفاً عشرين ألفاً فقط وفي الجيش الألماني واحد في الالف يعد في الآمين والسبب في كثرة الآمين في فرنسا بالنسبة لغيرها جهل بعض الآباء واممال الاولاد على كثرة تشديد المعارف والبلديات على اولياء الاولاد الذين يهملون ارسال اولادهم الى المدارس الابتدائية يتعلمون ثلاث سنين ما يخرجهم عن حد الأمية والسبب الاجتماعي الذي يدعوا في الغالب الى تخلف الاولاد عن دخول المدارس قلة ذات ايدي آبائهم فلا يستطيعون ان يظهروا في بزة تناسب حاطم بين اتراهم ولكن الحكومة تداركت الامر وانشأت منذ مدة مدارس يضع فيها المحسنون صدقاتهم ومنها ينفق على الاولاد المحاويج ما يلزمهم من كسوة وطعام مغذ في الشتاء ولكن لم تم هذه الطريقة اقطار فرنسا كلها وبلغ عدد الصناديق المدرسية ١٧ ألف صندوق ٣٧١ ألف مديرية ومقاطعة

وبعد ان قال ان الفقر هو من الدواعي الكبرى التي تعول بين اولاد الفلاحين والاختلاف الى المدارس ذكر ان بعض الذكور يحتاجون ان يعملوا ليطعموا بعض أسرهم ومن الاناث من يقمن على تربية اخواتهن واخوتهن مدة تغيب والداهن في الحقول وان اولاد الفلاحين ينقطعون عن المدرسة لانك تراهم معظم السنة يشتغلون بحش الحشيش او الزرع او الحصاد او قطف الكروم

ومن اعظم مايحول دون تعمير المدارس الديوية ضخمة رجال الدين فانهم حرموا في فرنسا من يختلف الى مدارس الحكومة لانها لا تعلم الدين وطرودوا اولاداً لم يرهم امرهم ومنعوا تلاوة كتب لم تؤولف على هواهم فالتعليم الديوي لم ينجح على ما يجب به وضع الوازع الاخلاقي ولانه من الصعب ان تعلم امة باسرها تعاليم العقل وتطبق نفسها على نظامه واشرب التعليم الاخلاقي الآن لفنيان صغار في عقولهم لا يتأتى لهم ان يقدروا نتائجها حتى قدرها

ومن الطرق التي ارتأها بعض الاساتذة في اصلاح هذا الحال ان يعلم الكبار الذين لم يسعدهم الحظ بدخول المدرسة في صغرهم كما تفعل المانيا في تعليم جندها الامي حتى يكون القرن العشرون قرن العناية بالشبان كما كان القرن التاسع عشر عصر العطف على الاطفال .

ويرون ان خطط الدروس الابتدائية كثيرة المواد يختلط بها ذهن التلميذ فالارلى الالال منها ما امكن وطبع صورة اجمالية في ذهن التلميذ تعد فقط لمبادئ ماغيفة

لا يتعب بها ذهنه وتكون برزخاً له الى الانتقال الى تعلم الصناعات المفيدة او التعليم الثانوي فالعالي

وقد نصح الكتاب للاساتذة ان لا يدخلوا غمار السياسة ولا يسمعوا لكلام من ساء هم فصل الحكومة عن الكنيسة ويطمحون الى ان ترفع الحكومة يدها من التعليم وتمنح المعارف استقلالاً حتى تكون الامة مباشرة يريدون بذلك ان يجعلوا حكومة سيف حكومة فقال لهم ما قاله جول فري مؤسس التعليم الديني لبعض الاساتذة « اياكم ان تأملوا ان يكون منكم رجال سياسة فغير لكم ان تنشؤا عشرين وطنياً صالحاً من ان تساعدوا علي انتخاب نائب في مجلس الامة » .

وليس معنى المدارس الدينيّة انها ضد الاديان بل معناه انها علي الحيطة لا يجب القائمون باسرة الامة ان يلقي العلم في المدرسة رأياً خاصاً له او رأياً من الآراء التي تروج في التسوابع والازقة بل تريده علي ان يترك من موكل اليه تعليمهم ان يفكروا كما يشاؤون فاذا خالف ذلك واورد لهم مبدأً دينياً يخون وطنه وامته فالمدارس الدينيّة ليست مدارس الحاد فاذا كانت لا يذكر فيها اسم الله فليس الغرض منها انها تخالف الله .

البعثة العلمانية

اصدرت البعثة العلمانية او الدينيّة في بيروت مجلة يكون لسان حاملها بالغات الثلاث العربية والتركية والفرنسية سمتها « الرابطة » وكل قسم من اقسامها منفصل عن الآخر فقرأنا فيها مطالب هذه البعثة في الشرق وقد أسست لتنفيذها مدارس في القاهرة والاسكندرية وسلاطية وبيروت وغيرها من البلاد والحوائر . وهي ترجوان « تعدد في هذه البلاد التي فرقها التعصب دهرأ طويلاً المدارس العلمانية مدارس التساهل والاتحاد والسلم التي يجتمع علي مقاعدها الموسوي والعيسوي والمحمدي سجداً الى جنب فيتعلمون كيف يجب بعضهم بعضاً وكيف يحترم بعضهم دين بعض وشريعة بعض فلا يكونون من بعد اعداء يباغض بعضهم بعضاً ويخادع بعضهم بعضاً ويتضارسون ؟ !

وقد جاء في هذه النشرة ان البعثة العلمانية الافرنسية أنشئت لنشر التعليم اللاديني في غير فرنسا سنة ١٩٠٢ وعدد اعضائها من الفرنسيين اليوم نحو عشرة آلاف يقسمون الى عدة فروع منهم من يدفع فرنكين في السنة ومنهم من يدفع خمسة ومنهم من يدفع عشرة ومنهم عشرين والغرض من ذلك بث التساهل لا الطعن بالاديان وتعلم الحضارة الافرنسية والحضارة الشرقية بحسب حالة البلاد وان عملها انساني تقصد به تحسين حالة

النشأة في الماديات والمعنويات وتكيل الانسانية في المعتقدات والاجتماعيات. وذكرت كلاماً للفيلسوف ادغار كينيه (١٨٠٣ - ١٨٧٤) احد المبشرين الأول بالتعليم العلماني قال في الجمعية العلمانية: انها تعيش بمبدأ حب الوطنيين بعضهم بعضاً بتطوع النظر عن معتقداتهم فحسبي ان تكون كما قال واكدته مئات بعده من انصار الجمهورية واحباب الاستعمار وبث الافكار

فلسفة اديسون

خالف، هذه المرة اديسون الاميركاني مخترع الكهرباء بائية جميع الفلاسفة الالهيين في الاعتقاد بخلود النفس فصرح ولم يجمع باعتقاده النادي وانكر الخلود محولاً ان يورد حجة على دعواه في حوار له مع احدهم فقال: ليس الانسان انساناً بذاته بل هو بالخلايا التي فيه فالدماع الانساني هو كآلة فلا سبيل لنا من ثم الى الاعتقاد بخلود الروح كما لا سبيل الى الاعتقاد بخلود اسطوانة من اسطوانات آتني الفوتوغرافية على اننا لم نجد حتى الآن احداً قال بخلود الاسطوانة فلماذا نبال به للادعة او للقوة التي فيها. لا جرم ان ذلك ناشئ من كوننا لانعرف هذه القوة التي نعتقد بخلودها اذا فلنحكم بان الكهرباء خالدة ايضاً لانها قوة نجمها.

هذا ما قاله الفيلسوف بالحرف وقد احدثت تصريحاته اضطراباً شديداً في الولايات المتحدة وانطلقت الاسن في شرح اقواله في الاندية وقد صرح اديسون في خلال مقالته ان خصومه يعثرون على جميع توهم مدعاه في كتاب من تأليف الدكتور طومسون اسمه «الدماع والشخصية» الا ان مصنف هذا الكتاب نفسه مثل عن رأيه في هذا الشأن فأجاب جواباً لم يكن ينتظر منه. فقال ان آراء اديسون مخالفة للعالم فالامة التي لاتعتقد بخلود النفس يخل امرها وقد رد بعض القسيسين على اديسون في معنى الخلود بقولهم اذا كان الانسان كما يدعي اديسون مجموع مواد مختلفة متلاحمة من الخلايا فلا يكون اديسون مخترع الفوتوغراف بل مجموع خلايا فقط.

الفقراء في المانيا

نشأ عن كثرة الولادات وقلة الوفيات في المانيا ان كانت هذه الامبراطورية سنة ١٨٧٠ اربعين مليوناً فصيرت الآن اربعة وستين مليوناً وتزيد الولادات عن الوفيات تسعمائة الف في السنة ولذلك نرى الفقراء كثراً فيها وكذلك الاشتراكيون لان معامل البلاد وصناعاتها وزراعتها لانعول سوى اربعين مليوناً فقط ولذا يتوسل الالمان بجميع

ما لم من الاسباب ان يقللوا من الشقاء في المدن والقرى فما تقوم به المانيا في برلين مثلاً لتخفيف شقاء الفقراء انها افتتحت اربعة اسواق لاتباع فيها اللحوم الا من الفقراء ويحظر رجال الشرطة والتحة دخولها على غيرهم من اهل السعة . والسبب في هذا الحظر هو ان اللحوم كلها سواء كانت لحم بقر او عجل او خروف او خنزير لا تخلو من شبهة ولذلك لا يسمح ببيعها من الفقراء الا اذا جعلت في معمل كيمياوي يعقمها التعقيم العلمي فيقتل منها الجراثيم الضارة . وهذه الرخصة بالسماح ببيع اللحوم الملوثة قد لا يسمح بها في البلاد الراقية ولكن الالمان بالعلم اقساموا ان ينتفعوا حتى مما يضر ولا يضر حوضاً شياً مهما بلغ من نفاثته وبذلك ينتفع جماهير المحاويج بتناول اللحوم اللازمة لهم في جهاد الحياة هناك

تدلم اللغات

اقرب طريقة لدرس لغة من اللغات ان يثقفها الطالب من افواه ابنائها او ممن يحسنها كاحدهم ولما كان هذا متعذراً على بعض الاشخاص ممن لم يسعفهم الحظ بوجود معلم ليدرهم اللغة التي يطلبونها في بلدهم اخترع احد الاميركيين آلة على نسق الحاكي يستطيع ان يدرس ابن اميركا اللغة الافرنسية والانانية والاسبانية والاطالية بواسطتها مع قليل من الكتب دون ان يتكبد نفقات الاستاذ او عناء السفر الى تلك البلاد ليدرس لغاتها

اصل التصوير الشمسي

اخترع روجر باكون سنة ١٢٩٧ م الغرفة السوداء المستعملة للتصوير الشمسي وسيف سنة ١٥٥٦ لاحظ بعض الكيماويين تأثير النور في الفضة وقام بروغام بعد حين وادعى امكان حصول التأثير في العاج الحساس وذلك بمحلول الفضة .

والذي اخترع اكتشاف التصوير الشمسي في الحقيقة هما رجلان فرنسيان اسمهما نيبس وداكر ونالا جائزة من حكومة فرنسا جزاء نشرهما طريقتهما واقدم الصور الفوتوغرافية محفوظة في متحف شالون سورسون في فرنسا مسقط رأس نيبس وكان دوروتي دراير اول شخص رسم بالتصوير الشمسي وكذلك شقيقه رسم سنة ١٨٢٩ . وظل التصوير الشمسي يرثي الى ايامنا هذه حتى اعلنوا مؤخراً اختراع طريقتين جديدتين للتصوير البارز الناقى وانهما نجحتا واعلنوا خبر اختراع التصوير الملون وهكذا لا ينتهي الاكتشاف والاخترع مادام العقل البشري يعمل ويفكر

اسباب الهجرة النبوية^(١)

ايها السادة

كلني اليكم اليوم في اسباب الهجرة النبوية ونتائجها الادبية تعلمون ان كل مصلح قام في العالم سواء كان من الانبياء الكرام او العلماء الاعلام ناله من قومه اضطهاد ولاقت دعوته في بادئ الامر صدىً واعراضاً والكذب الالهية والتوازيخ الاجتماعية شاهد حق على ما نقول

ان امام المصلحين وخاتم النبيين الذي نحتفل بعيد هجرته الشريفة اليوم لاقى كذلك فوق ما يلاقيه كل مصلح للهيئة الاجتماعية وعاني من اهل الحسد والبغضاء من بني عمه وغيرهم مالم يعاناه نبي من قبل ومع هذا فقد كان منذ بعث الى ان هاجر صابراً على الاذى لا يفتأ يدعو قومه الى الاسلام ويعرض نفسه على قبائل العرب في مواسم الحج ويدعوهم الى دينه وحمايته من حسد قومه ليتمكن بعد المنعة من بث الدعوة ونشر دين الهدى والحق ووضع قواعد التبرقي الاجتماعي على اساس مكين

لكن الذين يريدون الحقيقة لنفسها وبقبول الحق لانه حق قليلون في البشر لاسيما في ذلك العصر وفي قوم حالم من الجهالة معروف لذا لم تصادف دعوته قبولا الا من جماعة قليلين من قريش وغيرهم الا انه كان فيمن اتبعه من قريش نفر من وجوههم واهل المكانة والعقل فيهم مثل ابي بكر وعمر بن الخطاب وعثمان بن عفان وعلي بن ابي طالب واشباهم من السابقين الاولين وصناديد قريش الذين ايدوا الدعوة المحمدية ورفعوا بعد ذلك شأن الامة العربية بل شأن الشرق كله على وجه بهر انظار العالم وقلب نظام الاجتماع في كثير من انحاء الارض على ما تعلمون

كان في اسلام هؤلاء ما يكفي ان يثير غيظ قريش وغضبهم وخوفهم على اوثانهم فاشتدوا في اضطهاد النبي صلى الله عليه وسلم واصحابه فأجأوه في نهاية الامر للهجرة الى المدينة مع ذلك النفر من المؤمنين .

وذلك بعد ان دعا جماعة من الاوس والخزرج من سكان المدينة الى الاسلام في احد المواسم سنة عشر للبعثة وجاءه في السنة القابلة والتي بعدها جماعة منهم ببينة قومه فبايعوه ببيعة العقبة الثالثة وقيل هي الثانية واسترثق له منهم عمه العباس بن عبد المطلب

(١) خبطة لرفيق بك العظم القاها في حفلة الاحتفال برأس السنة الهجرية

في القاهرة

فأقسموا على نصرته وعاهدوه على تأييد دعوته ثم نصروه بالقول والفعل وسموا بعد ذلك انصارا ونعم هذا الاسم وحذا الفخر بنصرة الحق والحقيقة والمعدل امر بعد ذلك اصحابه بالمجرة الى المدينة فأخذوا يهاجرون ارسالا الى جماعات مستخفين الا بطل قريش واشيخ شجعانهم المجاهر بدعوة الحق رغما عن انوف المكابرين فخر الامة الاسلامية بل فخر التاريخ عامة عمر بن الخطاب فانه اعلن هجرته وخرج مهاجراً على ملاء جبابرة قريش فلم يسعهم منه او الوصول اليه بسوء

اتصل بعد ذلك بالبي خبر تأمر قريش على قتله فاتفق مع صاحبه ان يكره الخروج في نزع تلك الليلة التي عينوها لقتله وترك على فراشه علياً ابن عمه وخرج والنوم برصده فزاغت ابصارهم عنه وانقذه الله منهم رحمة بالاذانية واتناداً لكثير من الامم من ظلمات الشرور

وكان خروجه عليه السلام في مثل هذا اليوم المبارك ومن جميل الاصدات ان كان يوم الاثنين كيومنا هذا الذي نحتفل فيه وذلك سنة ثلاث عشرة لبعثة مسلمة الله وصاحبه من كيدهم وبلغ مأمنه بسلام في قصة طويلة معروفة في التاريخ هذه اسباب المجرة فما هي نتائجها الادبية ؟

عجيب ايها السادة امر هذا الانسان القوي الضعيف بينا يتطال احباما الى ان يتناول بمداركه كل ما تحت السماء ينحط حيناً آخر الى حضيض الغبراء . فحمد صلى الله عليه وسلم انما كان يريد حياة هؤلاء القوم ولكنهم كانوا يريدون قتله فما هذا التباين العظيم وكيف بلغت بهم قوة التمييز من الضعف هذا الحد ؟

اريد حياته ويريد قتلي ولو علم الحقيقة ما اراد

نعم جهلوا حقيقة النبي لا لنقص في ذكائهم الفطري واستعدادهم لقبول الفضيلة لان مظهر منهم بعد بضع سنين من ذلك التاريخ يؤيد انهم كانوا اذكي الشعوب واعظمها قابلية للخير والفضيلة لكن الانصراف الى عبادة الاوثان يدعو من طبعه الى الانصراف عن التفكير في خالق الوجود ويوجد الكمال في الطبيعة فيقف بالفكر عند حد محدود من التصور ويصده عن درك كثير من الحقائق عند عرضها عليه او مفاجأته بما لم يألفه منها وهكذا كان شأن قريش والعرب عامة مع النبي صلى الله عليه وسلم في بادئ الامر

ولقد تحققت بعد لقريش وللعرب والناس كافة ان سلامة النبي من غائل قريش

في ذلك اليوم واستقرار الدعوة في مدينة يثرب هو مبدأ سعادة قريش انفسها وسعادة مئات الملايين من البشر ونهاية النقص في قسم عظيم من الارض على عبادة الاوثان وعلى سلطة افراد من سدنة الهياكل وكنبها، سلطة لا احد لها لا على النفوس فقط بل على الضمائر والعقول ايضا . اقول على الضمائر والعقول لان احتكار العلم الذي يراد به احتكار السيادة الدينية ما عرف الا بين جدران الهياكل حيث كانت تقيم طائفة من الناس تزعم انها وارثة ايزيس واوزيريس وبعل وجوبيتر واللات والعزى وما لا يعد من الالهة تسحر هذه الطائفة بما احتكرته من العلم عقول الشعب فتقوده حيث تشاء ولا تعطيه منه الا بمقدار ما يستطيع مئات الالوف من البشر ان يبذروا هيكلًا للشمس او قبرا لابن الشمس مكرهين مسخرين

ان الخلال تلك الهياكل الفخمة وبقايا تلك القبور الهائلة الماثلة الى اليوم تدل على ان ذلك النور الضئيل الذي كان ينبعث من وراء جدران الهياكل انما كان من اجل الهياكل لا من اجل الشعب ولا ابالغ ان قلت ان بعض المدينيات القديمة للام البائدة احر بها ان تسمى مدينيات الهياكل بفضل اولئك السدنة الذين كانوا يحجبون عن العقول نور العلم الصحيح ونور الحقيقة الالهية استعباداً للنفوس والارواح وقد اخبرتنا الكتب المقدسة واخبرنا التاريخ من احاديث اولئك الطائفة من الناس بما يغني عن طول الشرح هذا هو السر في أن قريشاً وهي سدنة البيت العتيق اهترت اعصابها واستشعرت الخطر على سيادتها الدينية لاول دعاء دعا به النبي وهو التوحيد اي قول لا اله الا الله ولا عبودية لاحد سواه . فآظفروا له العداوة والبغضاء وما زالوا به حتى الجأوه واتباعه الى الهجرة عنهم ولو علموا ان هذه الدعوة محبوبة لهم تحتها فوق ما يزعمون من السيادة الوهمية وهي سيادة العلم والمدينة والسلطان العظيم في الارض بما سيكون اليعم من ميراث الامم لما فعلوا معه ما فعلوه ولكن اكثر الناس اعداء ما جملوه

ومها كان الحال فقد كانت هجرته الشريفة خيراً لقريش وللعرب والانسانية جمعاء اذ تمكن بعد امتناعه بالانصار من جمع كلمة العرب ووضع قواعد شريعته الغراء التي قيدت فيه دعبودية البشر للبشر وفسحت للعقل مجال النظر في الكائنات فجمعت العلم متاعا بين بني الانسان من كل الطبقات فندبت عامة الناس الى تعلم الم وتعلم اللغات والاستفادة من نواميس الكون وأسرار الطبيعة وجمعت قاعده التفاضل بين المسلمين التتوى والعلم فلا يفضل عالم جاهلا الا بعلمه ولا يفضل تقي شقياً الا بعمله

فكان من هذا نذير عظيم بالبدل العتيد لشكل المدنية القديمة والعلم الناقص انتفض له جسم الانسانية الهامد تحت ضغط الخرافات الوثنية التي شبت بها علوم الاقدمين ونشطت النفوس الى تناول حقها الطبيعي من هذا الوجود بما قرره الاسلام من مبادئ الاشتراكية العامة الصحيحة التي مبنها ان العقل رأس مال كل فرد فن حق كل فرد ان يتناول من العلم ما استطاع ليتساوى مع اخيه في الاشتراك بمرافق الحياة

وهذا هو السر في ان المدنية العربية كانت ارقى مدنية سبقتها وان العرب فعلوا في قرنين مالم يفعله غيرهم في قرون وكانوا اسرع الامم سيرة في سبيل المدنية وتبسطا في الحضارة فما لبثوا بفصل الاسلام جيلا موبعض جيل آخر حتى نشروا نبيادتهم ودينهم ولقنهم في احسن اجزاء المعمور ولما توطدت لهم دعائم الملك على عهد الدولتين دولة الخلفاء الراشدين ودولة الامويين وقبضوا على زمام السيادة السياسية في معظم الممالك القديمة صرفوا عنايتهم للاخذ بأزمة السيادة العالمية فلم يكفهم ما كتبوه واشتغلوا به من علوم الشريعة والادب واللغة والتاريخ وسائر فنون العربية بل اهتموا بترجمة كتب اليونان في الفلسفة والفلك والهندسة والكيمياء والطبيعة وغيرها فكان اهتمام عامتهم ينقل هذه العلوم الى اللغة العربية كاهتمام خاصتهم وخلفائهم ووزرائهم فكما كان الخليفة المأمون يعطي حنين بن اسحق المترجم عن كل كتاب ينقله الى العربية زنته ذهباً مثلاً بمثل ما كان بنو موسى بن شاكر الهندسون وهم من عامة الشعب يعطونه كل شهر خمسمائة دينار من اجل الترجمة هذا فضلا عما كانوا ينفقونه من الاموال على الكتب التي كانوا ينفذون في طلبها من بلاد الروم والاصقاع البعيدة بالثمن الباهظ

وكما كان كذلك محمد بن عبد الملك الزيات الوزير ينفق على المترجمين من ماله الخاص نحو التي دينار في الشهر وكثيرون غير هؤلاء من الخلفاء والوزراء والعلماء من كانوا ينفقون على استحضار كتب العلم وترجمتها

لم يقف بهم الامر عند هذا الحد من قلم العلم وتعليمه ونشره عملا باوامر صاحب العجوة وواضع اساس المدنية الصحيحة عليه الصلاة والسلام بل عمدوا الى تأسيس المدارس فأنشأ العباسيون هاول كلية جامعة في بغداد على عهد الرشيد والمأمون سمي دار الحكمة وكانت تدرس فيها سائر العلوم الحكيمة كاللغة والطب والكيمياء والهندسة والفلك وغيره ثم المدرسة النظامية ثم المستنصرية في بغداد ايضا وحذا حذوهم في ذلك الامويون في الاندلس والناطليون في مصر حتى وصلوا سلسلة المدينة المنقطعة من عهد قسطنطين

دولة الرومان بملقة من المدينة العربية كان لها الفضل العظيم على العالم المتمدين لهذا العهد لانها كانت الصلة المتممة لترقي الانسان وترقي المدنية بما مهدته له علماء اوربا من سبل المدنية الحديثة عجيب امر هذه الامة ايها السادة ولقد يكاد يظن القاري لآخبارها ان رقيها السريع من الحوارق وما هو كذلك بل هو نتيجة الافراج عن العلم واخراجه من بين اسوار الهياكل وجعله مشاعاً مشتركاً بين الناس يتناول عقل كل فرد نصيبه منه وحقه ان يتناول ذلك مادام العلم ثمرة من ثمرات العمل

عرف المسلمون في ابان مجدهم ومدنيتهم هذه القاعدة وحرصوا على مهدي الاستراكية العامة فلكي لا يكون العلم محتكراً لطائفة او قاصراً الى فريق دون فريق تغالوا في انشاء المدارس المتنوعة بتنوع المتارب والعلوم تغالوا لم تجارهم فيه امة من قبل فجمعوا مدارس لتلقي علم الحديث سموها دور الحديث ومدارس لفروع الشريعة على عدد المذاهب فدارس الشافعية غير مدارس الحنفية ومدارس المالكية غير مدارس الحنابلة ثم مدارس الحكمة التي يدرس فيها الطب والفلسف والرياضيات والفلك وغيره من العلوم الحكيمية وكانت اكثر هذه المدارس داخلية ذات غرف يأوي اليها الطلبة ولم يكن التعليم فيها مجاناً فقط بل كلف للطلبة فوق ذلك جرايات ومرتبات تمنعهم عن العمل لغير العلم

ومن ادلة تعالي هذه الامة في انشاء امثال هذه المدارس كتاب خطي موجود في مكتبي اليوم في نحو الـ١٥ صفحة وهو خاص بمدارس دمشق وحدها من القرن الخامس الى التاسع وفيه تاريخ مائتي مدرسة او تزيد على ذلك منها ثلاث مدارس طبية أنشئت في عصر واحد في مدينة واحدة من المدن الكبرى الاسلامية فما بالك ايها السادة بنهرها من المدائن الشهيرة التي كانت مراكز الحضارة الاسلامية كحلب والموصل وبغداد وسمرقند والقاهرة ونونس ومراكش وجليطة واتبيلية وغرناطة وغيرها من المدن الشهيرة التي كانت تفيض انوار العلم والمدينة الى الشرق والغرب

اما تأثير هذه المدارس وعلوم العرب وآدابهم التي كانت تدرس فيها في اهل الغرب وعلوم المدنية الحديثة فما لا يتسع لذكره هذا المقام وبكفي فيه شهادة علماء الافرنج انفسهم فاذا سمحتم لي اتلو عليكم شيئاً من شهادة عالم محقق كبير من علماء اوربا فيما للعرب من الفضل على المدنية وهو العلامة سديو صاحب تاريخ العرب

قال هذا النصف الحق في مقدمة كتابه المذكور بعد ان اثني على اخلاق نبينا وعمله الجليل في جمع كلمة الرب :

« واما تواريخ الخلفاء الراشدين وكذا الاموية في دمشق وقرطبة والعباسية في بغداد والفاطمية في مصر ووصف تمزيق الممالك الاسلامية التي طار عليها المغول فدونها الافرنج ندوبنا حسنا واضفا اليها ماتركوه من اصولها وهو وصف المدينة العربية التي تمكنت اصولها في آفاق الدنيا القديمة اقوى تمكن ولا تزال الى الآن نرى آثاره حين نبحث عن مستمد مبادئ ما نحن عليه من المعارف الاوربية فان العرب في غاية القرن الثامن من الميلاد تركوا صفاتهم الحربية وشغفوا بنيل المعارف حتى اخذت عما قليل مدائن قرطبة وطليطلة والقاهرة وفاس ومراكش والرقّة واصفهان وسمرقند تباخر بغداد في حيازة العلوم والمعارف وقرئ ما ترجم الى العربية من كتب اليونان في المدارس الاسلامية وبذل العرب همهم في الاشتغال بجميع ما ابتكرته الافهام البشرية من العلوم والفنون . وشهروا في غالب البلاد خصوصا البلاد المصرية من اوربا ابتكارات تدل على انهم آمنوا في المعارف

ولنا شاهداً صدق على علو شأنهم الذي يحبله الافرنج من ازمان مديدة الاول ما أثر عنهم من تواريخ القرون المتوسطة واخبار الرحل والاسفار وقواميس ما اشتهر من الامكنة والرحال والمجاميع التساملة لكثير من الفنون الفاخرة . والثاني ما كان لديهم من الصناعات الفائقة والمباني الفاخرة والاستكشافات المهمة في الفنون وما اوسعوا دائرته من علوم الطب والشاريع الطبيعى والكيمياء الصحيحة والفلاحة والعلوم الصحية التي مارسوها بناية النشاط من القرن التاسع الى القرن الخامس عشر من الميلاد اي من القرن الثالث الى القرن العاشر الهجري »

الى ان قال بعد تخطئة بعض علماء الافرنج الذين قالوا ان الهنود والصينيين اقدم من العرب :

« واما المدرسة البغدادية المدونة للعلوم التمدنية في الفترة التي بين عصر برناب الاسكندرية والاعصر الاخيرة فكانت مساعدة على استيقاظ اهل اوربا من رقدة الجهالة ونشر انوار المعارف في جميع ممالك آسيا »

وبعد ان ذكر كيفية انتقال العلوم من العرب او بواسطتهم الى ممالك آسيا . الصين . الهند . والتركتان وغيرها قال :

« ثم اطلع اهل الغرب من اوربا على اسرار تلك العلوم فأخذوا يشتغلون بها حتى جددوا في البلاد الافرنجية المدنية واللغة العربية وفنونها الادبية التي اخذت كل يوم

في زيادة الانتشار بين الافرنج وما زلنا الى الآن نستكشف اموراً مهمة (يريد من القضايا العلمية) من الكتب العربية القديمة وان عزي ابتكارها زوراً الى بعض المتأخرين من الافرنج

هذه شهادة عالم اجنبي عن اوطاننا ولغتنا وديننا تشعر ان المدنية العربية وآدابها عمت منافعها الشرق والغرب وان العرب كانوا اساتذة العالم بلا نزاع وبالتالي كان لهم الفضل على العالم اجمع وقد شهد كثير من علماء اوربا ومحققها مثل هذه الشهادة كالعلم دساي والعالم دربي والعالم كوستاف لبون وغيرهم ولمن كان الفضل في هذا كله؟ كان لصاحب الشريعة الاسلامية الذي نحتفل بميد هجرته اليوم ولائته النجبية التي خدمت العلم والمدنية والانسانية جمعا خدمة لا ينكرها الا العوام الجاهلون الذين سيف قلوبهم مرض وعلى ابصارهم غشاوة فهم لا يبصرون
فسلام علي يثرب و سلام علي ساكنها العظيم و سلام علي امته النجبية وعليكم اجمعين

رأس السنة الهجرية

هلّ الهلال فحيوا طالع العيد
يا حرف شك ستلقانا على ثقة
كأن حسنك هذا وهو رائعا
لله في الخلق آيات وعجبا
حيوا البشير بتحقيق المواعيد
وقد عقدنا المني في نون توكيد
حسن ابكر من الافكار مولود
تجدد روعتها في كل تجدد

فتيان مصر وما ادعوا بدعوتكم
سوى الاهلة من علم ومن ادب
المستسر شعار المتشددين به
في العين رمز لميقات يحده به
ما زال من مبداء الدنيا ينبئنا
فان تسيروا الى الغايات سيرته
سوى مجيبين احرار منا جيد
مؤمنين لفضل غير مجحود
العاملين بمنزلة منه مقصود
وفي النهي رمز جد غير محدود
ان التمام بمسعاة ومجهود
الى الكمال فقد فزتم بمنشود

(١) تحليل افندي مطران من كبار شعراء سورية نزلاء مصر قالها في رأس هذه السنة الهجرية والاحتفال بها

اليوم عيد به معنى السرور لكم
رسالة الله لانهى بلا نصب
رسالة الله لو حلت على جبل
ولو تحملها بحر لشب لظى
فليس بدعاً اذا ناء الصفي بها
ينوي الترحل عن اهل وعن وطن
يكاد يمكث لولا ان تداركه
ولم يكن بدؤه يوماً لتعيد
يشقى الامين وتغرب وتكيد
لانك منها وصحى بطن اخدود
وجف وانها في كل جلود
وبت في الم منها وتسيد
جاراً عليه بقلب منه مكمود
امر الاله لامر منه موعود

فاذ غلا القوم في ابدائه خطلا
دعا الموائين ازماً لهجرته
مضى هو البدء والصدق يحبه
مولياً وجهه شطر المدينة في
حتى اذا اتخذ الغار الامين حنى
حننا عليه فما مثواه منه سوى
بالعقيدة والصدق في سهر
ان العقيدة ان صحت وزلزلها
اما الذين بقوا من صحبه فتلوا
ما جندة صرا وكسرى اذا افتخروا
كانهم في الدجى والنجم شاهد
في حيطه الله ما شئت استنهم
وشردوا تابعيه كل تشريد
فلم يحبه سوى الرهط الصناديد
يقامر الحزن في قفراء صنجود
ليل اغر على الادهار مشهود
ونام بين صفاء نوم مجود
مشوى الجبين من البكرة الرود
تؤذيه انعى ويكي غير منجود
مفني القرى فهي حصن غير مهدود
سارين في كل مسرى غير مرصود
كهولاء الاعزاء المطاريد
فرسان رؤيا لشأن غير معبود
فوق الظلال على المهرية القود

عاني محمد ما عاني بهجرته
وكم غزاة وكم حزب تجشمها
كذا الحياة جهاد والجهاد على
ادنى الكفاح كفاح المرء عن سفه
وضل زاعم سوء لا اضطلاع له
ليغم العيش طلقاً كل مقتم
لأرب في سبيل الله محمود
حتى يعود بتكسين وتأيد
قدر الحياة ومن فادى بها فودي
الاحفاظ بعمر رهن تحديد
فالمجد اذ قال من يخلف فقد عودي
وليبغ في الارض شقا كل رعيد
الجزء ١ (١٠) المجلد ١

ومن عدا الاجل المحتوم مطلبه عدا الفناء بذكر غير المحمود

لند علمت وما مثلي ينبغيكم
ما انتجت هجرة الهادي لامتة
وسودتها على الدنيا باجمها
بدا وللشرك اشيع توطده
والجاهليون لا يرضون خالقهم
مؤلهون عليهم من صنائعهم
مستكبرون أباه الضيم غر حتى
لا ينزل الرأي منهم في تمزقهم
ولا يضم دعاء من اوابدهم
ولا يطيقون حكماً غير ماعدا
باي حلم مبيد الجبل مرهقه
اعاد ذاك الفتى الأمي امته
لذلك تالية الفرقان في عجب
صعبان راضهما توحيد معشرهم
وزاد في الارض تمهيداً لدعوته
وبدئه الحكم بالشورى يتم به
هذا هو الحق والاجماع ابده
اي مسلمي مصر دين الجدد دينكم
طال التقاعس والاعوام عاجلة
هبوا الى عمل يجدي البلاد فما
سعيًا وحزماً فود العدل ودمكم
لا تنعبوا لانملوا ان ظلماتكم
تعلموا كل علم وانبعوا وخفوا
فكرو العقول من التصفيد تنظلتوا
مصر الفؤاد فان تبغوا سلامها

لكن صوتي فيكم صوت ترديد
من صالحات اعدتها لتخليد
طوال ما خلقت فيهم. ا بتسويد
في كل مسرح باد كل توطيد
الا كهبد لم في شكل معبود
بعض المعادن او بعض الجلاميد
ثقال بطش لدان كالاً مالميد
الا منازل تشتيت وتبديد
الا كما صبح في عفر ابايد
لذي لواء على الاهواء معقود
واي عزم مذل القادة الصيد
شمالاً جميعاً من الغر الاماجيد
بل آية الحق اذ يغني بتأكيد
واخذهم بعد اشراك بتوحيد
بعده للمسيحين والمهود
ماشاء الله عن عدل وعن جود
فن يفنده اولى بتفتيد
وبش ما قبل شعب غير مجدود
والعام ليس اذا ولي بمرود
يفيدها قائل بأمتي سودي
وان رأى العدل قوم غير مودود
الى غدير من الاقوام مورود
بكل خلق نبيه اخذ تشديد
وما نبالون اقداماً بتصفيد
فالشرق ليث وقد صحت بمفود

الشرق نصف من الدنيا بلا عمل سوى المتاع بما يضي وما يوردي
 الغرب يرقى وما بالشرق من هم سوى التفات الى المامي وحديد
 تسكو الحفارة من جسم اشل به شلر يمد وشر غير معدود

ابناء مصر عليكم واجب جليل لبعث مجد قديم العهد مفتود
 فليرجع الشرق مرفوع المقام بكم واتره مصر بكم مرفوعة الجيد
 ما أجل الدهر اذ باقي وأربعا حقيقة الفل والذكري تتمجيد
 والشرق والغرب معوانان قد خلصوا من حاسد كائد كيداً لمحدود
 صنوان بران في علم وفي عمل حران من كل تقيد وتعيد
 لافل يخطي فيه الخير بعضهما الا تداركه الثاني بتسيد
 ولا خصومة الا في استباقهما لما يعم بنفع كل موجود

...

هذي الثار التي يرحو الانام لها من روضكم كل نام ناسر العود
 لمصر والشرق بل للخافتين معاً دع زعم كل عدو الحق مريد
 جوزوا على بركات الله عامكم فقد تبدل منحوس بمسعود
 رجأؤكم ابداً ملئ النفوس فما ينفي بحسن ولا يوهى بتهديد
 بدا الفلاح وفي هذا الهلال لكم بشري التمام لوقت غير محدود
 غدا نرى البدر في ارض السماء محاً بخاتم النور زلات الدجى السود

الصيد في انكلترا

لا يخفى ما في الصيد من المنافع الاقتصادية فان بعض الافطار نتوقف حياتها على الاكثار منه فان في انكلترا مثلاً ٤٥٦ سرب كلاب وتكلف النفقة الى كل واحد منها ٢٥ الف فرنك في السنة وبقدر ما يصطادون من المرات في الاسبوع : فاذا صادوا اربع مرات في الاسبوع مثلاً يكلف في السنة ١١٠٠ فرنك كل سرب من الكلاب ومجموع ما تنفقه انكلترا على كلابها ١٨٥٢٥٠٠٠ فرنك ويلزمها ما اثنا الف حصار للصيد وثن كل واحد منها تعدل قيمته بالف وخمسائة فرنك فمجموع قيمتها اذا اثنا عشر مليون فرنك وتكلف نفقة كل حصار في السنة ١١٠ فرنك اي ثمانية ملايين فرنك من حيث المجموع ويقدر ان ياتي من ارباح الصيد في انكلترا للتجار وارباب المزارع وغيرها

بخمسين مليون فرنك يستفيد منها الفلاحون وتجار الخيل والسياس والسروجيون واخياطون وسكك الحديد والحوذلين وارباب الفنادق والتصابين والحراس وغيرهم واذا بطل الصيد يفقد هؤلاء ملايين من الفرنكات ينتفعون بها لقوام حياتهم

طابة السوريين

بلغ عدد طلاب سورية الذين يتلقون العلوم المختلفة في مدارس اوربا ولاسيا في فرنسا خمسين طالباً اكثرهم من دمشق وبيروت

تسدل الاهوية

لا يزال الشيوخ في بلاد الشام يذكرون ان الامطار الثلوج كانت تتصل سلسلتها منذ خمسين عاماً اياماً والى ان تمتع الناس عن الخروج في الاسواق في المدن والفلاحين عن تعهد حقولهم وحدائقهم في القرى مدة طويلة وقد بطل ذلك اليوم فتبدلت تلك الثلوج والامطار الغزيرة برد وجليد بدوم اسابيع فيهلك الزرع والضرع كما حدث في الشهر الماضي فدام الجليد المضي زهاء شهر ونزات درجة الحرارة الى سبعة تحت الصفر في الحال المعتدلة كدمشق مثلاً وذلك بالميزان المئوي وهلك نحو ثلث الماشية في بعض انحاء سورية لقلة المراعي وتضررت المزروعات الشتوية والاشجار المثمرة بالجليد المتصل وقلة الامطار المتعشة واذا دام الحال في احتطاب الغابات على هذا الموال تمنح سورية جرداء مرداء على ماورد في مبحث غابات سورية من هذا الجزء . وهناك الضرر العظيم في قلة المياه في الصيف فيجف الجداول والانهار وتصبح اكثر الاصقاع المخصبة قاحلة كل هذا والحكام غافلون او متغافلون والسكان جاهلون او متجاهلون

شجرة الماء

بحث بعض العلماء في اميركا هذه الآونة في شجرة الماء التي بكثرة وجودها في الاصقاع القطبية من اميركا وذكرها كثير من ارباب الرحلات في سياحتهم وهي شجر كالهبار يحتوي جذعه كمية مهمة من الماء الذي يشرب واسم هذه الاشجار شجرة البيزنكا . وفيها عصير مائي بكثرة ويستخرج الماء منها باداة حادة من مدية او فأس تقطع بها رأس الشجرة واذا لم يجد السائح اداة قاطمة بكسر الاشواك منها ثم يحطم رأسها بجحر كبير وبهذا ترفع طبقة غلظ من ١٥ الى ٢٠ سنتمراً فينزع لبا مغشى في ثقب يحوي نحو عشرة لترات من الماء فيستحقن اللب باليدين فيخرج منه سائل لذيد يروي الظما وهو ارق

من الهواء . وفي كل ضبارة لترالى ثلاثة لترات من الماء، ويتخذ هنود اميركا من هذا الشجر مايروون به ظلام بعض اشهر السنة و يفضلون ماءها على كل ماء، وبسته مملونه لطبخ البط وغيره من الطيور التي يصيدونها في تنقلاتهم . ومن هذا الشجر نوع اسمه ساكوارو له مثل خاصية الشجر المتقدم ذكره ولكن يمازج ماءه شيء من المواد المرة . قالت الجالة التي نقل عنها وقد دلت التجارب ان السياح لو كان معهم انبيق او آلة للتقطير لما صادفوا في سبيلهم صعوبة في اختيار الماء الجيد . وقد صنع احدهم آلة تحمل مع المائح تني بهذا الغرض فيقطر بها في الحال من ثلاثين الى اربعين لتراً من الماء المقطر السالم من مضار الماء الملوث في مثل هذه الواحات .

هجرة الاوربيين

الظاهر ان قد اكتفت الولايات المتحدة الاميركية بمن نزحوا من الاوربيين مهاجرين اليها منذ قرن اذ قد خف معدل قاصديها من اهم الممالك الاوربية . فقد كان عدد من هاجر اليها من النمسا وانجر سنة ١٩٠٧ — ٣٠٠ الف فاصبح سنة ١٩٠٩ — ١٧٠ الفا وكان عدد المهاجرين من ايطاليا ٢٨٥ الفاً تلك السنة فنزل الى ١٨٣ الفاً وكان المهاجرون الروسيون ٢٥٨ الفاً فتناقص الى ١٢٠ الفاً والانكليز من ٥٦ الفاً الى ٣٢ وانفرنسيس من ٩٧٠٠ الى ٦٧٠٠ وسكان حنوبي اوربا يقصدون في الغالب الجمهورية الفضية في جنوبي اميركا ففي تلك الجمهورية نصف مليون من الاسبانيول وثلاثمائة الف من الطليان في حين ان سكانها لا يتجاوزون السبعة ملايين منهم خمسة ملايين من الاهالي الاصليين

مدرسة الفنادق

عزمت باريزان تنشي لها مدرسة لتعليم ارباب الفنادق وليست باريز هي التي ابتكرت هذا الفكر بل سبقتها اليه سويسرا والمانيا وايطاليا يعلمونهم كيف يرفهون السائحين والنازلين ويستجمعون صفات الراجة والهناء وفيها تاتي دروس نظرية وعملية يفهمها كل سامع فيتعلم فيها الطلبة علم سرعة الاستملاء والحساب والجغرافيا الوصفية وبعد دراسة ثمانية اشهر يطبقون ما تعلمونه بالنظر على العمل تحت نظارة العارفين والفاضلين البساط المندفي

اخترعوا بساطاً من نسيج اسلاك الحديد اشبه بهربة معدنية ذات حلق مسردة

يمد على ارض الغرفة التي يراد تدفئة ارجل الجلوس فيها خصوصاً الزوار الذين يدخلون
مخدع الضيوف وارتجلهم ترتبف من البرد . وهذا البساط يمس الحرجى الكهربائي بواسطة
آلات التنوير او الجرس الكهربائي . وهذه الآلة مغتاة بنسيج ملطف يمنع المدن
مما يضر به . ونفقة هذا البساط في الساعة لا تتجاوز الخمسة سنتيمات . وهكذا لم يكشف
اهل الغرب بما لديهم من ادواة الدفء من الموائد المتنوعة ومنها بالكهرباء وأخرى بالغاز
وبعضها بالبترول وأخرى بالفحم الحرجي او بالحطب بل رأوا ان تدفأ الارجل ايضاً في
الحال وما ندري ماذا يهدهم اليه البحث بعد ذلك للرفاهية والراحة

المعارف في يابان

بلغ عدد المدارس الابتدائية في يابان ٢٨ الف مدرسة وعدد مدارس المعلمين للتسم
الابتدائي ٦٤ وعدد المدارس الثانوية ٣٧٠ و٣ مدارس عالية لتخريج معلمي المدارس
الابتدائية والثانوية و٨ مدارس عالية للطالبة الذين لا يريدون الدخول الى كليات
طوكيو وكيوتو الثمين تحتويات على ١٢ مدرسة عالية . هذا عدا ٤٩ مدرسة عالية
للبحرية والحربية والطب والصناعات المختلفة . وعدد المدرسين في هذه المدارس كلها
١٢٥ الف مدرس وعدد الطلبة ٥٥٥٦٥٤٩٥ طالباً منهم ٥١٤٤٦٠٠٠ في المدارس
الابتدائية الاجبارية . ولا يعلم الدين في مدارس الحكومة

تدبير الغذاء

الصحة هي الثروة الاولى التي يجب الدفاع عنها ولا سبيل الى ذلك الا بالتدقيق في
تدبيرها بالتغذية المعقولة والسير في العمل والراحة على ما يقتضيه تركيبنا وما خص به
الخالق بني البشر من القوى الطبيعية والعقلية . فنحن لا نحسن استنشاق الهواء ولا
السير على الاقدام ولا المنام للراحة ونهمل امر عضلاتنا ونسي استعمال اعصابنا فنفتح
بصنعنا الباب الى الجراثيم الضارة نتهاجمنا وتحيط بنا خصوصاً وهي مستعدة الى التسرب
على الدوام الى خلايانا لتعذب بها وتعيث . ولكن اذا احسننا الغذاء والعمل والراحة
والنزهة والنوم وكانت لنا ارادة قوية يكون لنا من الصحة ما نتغلب به في معارك هذه
الحياة الاجتماعية

فقد قال الحكميم اليوناني : اعرف نفسك فاذا عرفت نفسك وعرفت مزاجك تضع
لها تدبيراً صحيحاً من الغذاء والملاينة يتفعها . ومعلوم ان امزجة الناس اربعة المزاج اللغواوي

او البلغمي والمزاج الدموي والمزاج العصبي والمزاج الصفراوي . ومن النادر ان يخرج الانسان عن احد هذه الامزجة الاربعة بل يكون مزاجه مؤلفاً من اثنين او ثلاثة منها ويكون احدها متغلباً على الآخر وهذا هو الذي يجب مراعاته في تدبير الغذاء والاعمال . والمهل بالمادة الغذائية من كل طعام من الامور التي لا تحتقر ومعرفتها اهم في قوام البنية مما يتوهم بعض العامة وذلك من الوجهتين الصحية والمنزلية .

وما المعدة الا بيت نار وقوده الاطعمة وعملها اكيماوي مع استنشاق الهواء يحدث الحرارة اللازمة لبقاء الجسم وتحويل ما يدخل فيه وما يخرج منه بقدر ما يتناول من الغذاء . وقد حسب علماء منافع الاعضاء هذه الحرارة بحساب الكالوري فهم يقدرون معدل ما يلزم لرجل بالغ اسنده من ٢٨٠٠ الى ٣٠٠٠ من الكالوري اوقياس الحرارة . واليك الآن كميات الكالوري التي تنشأ من الطعام الاكثر استعمالاً وهي مقدرة بمئة غرام اي انك اذا تناولت ١٠٠ غرام من السمك تحصل ١١٣ من الكالوري : ففي السلطة ١٢ من الكالوري وفي الملفوف ٢٧ وفي الثمار اليابسة ٣١ وفي البقول الحنصرة ٣٧ وفي اللبن (الحليب) ٦٢ وفي البطاطا ٨٣ وفي اللحم ٩٤ وفي البيض ١٥٣ وفي الخبز ٢٥٥ وفي الارز ٣٤٥ وفي البقول اليابسة ٣٦٢ وفي السكر ٣٨٠ وفي التوكولاتا ٤١٥ وفي الجبن ٤٦٦ وفي الزبدة ٧٥١ .

فلك ان تحصل على ٢٨٠٠ من الكالوري اذا تناولت ٦٠٠ غرام من الحيز او المنجعات يكون منها (١٥٣٠) من الكالوري و ٢٨٠ غراماً من اللحم منها ٣٦٣ و ٥٠ غراماً من السمك و ٣ من البيض و ٢٠٠ من البقول الطرية و ٥٠ من البطاطا و ٤٠ من البقول النشوية و ٤٠ من الثمار و ٢٠ من الزبدة و ١٠ من الجبن و ٢٠ من السكر الخ اي نحو كيلوغرامين من الغذاء كل يوم وهو ما يلزم المرء في الاربع وعشرين ساعة

ويستثنى من هذا التدبير من يعمل وهو جالس فان تناول هذا القدر ضارٌّ به بل يلزمه ٣٥٠ غراماً من الخبز و ١٥٠ من اللحم و ١٠٠ من البقول الطرية و ٢٠٠ من البطاطا و ٢٥٠ من اللبن و ٤٠ من السكر و ٢٥ من الزبدة و ١٥ من الارز و ١٠٠ من الثمار اي ما يكون منه ٢١٠٠ كالوري وعلى العكس فيمن يعمل اعمالاً تحتاج الى اتعاب الجسم فانه يحتاج ان يرفع درجة الكالوري من ٣٢٠٠ الى ٣٦٠٠ لا بزيادة ما يتناوله من اللحم فانه لا يحصل منه سوى عشرة في المئة مما يجب لفوام بنيتنا من الدمن والكربون والزال بل يتناول الخبز واللبن والبيض واللوبياء والعدس والفواكه والسكر وفيها ٢٣ في المئة مما

يجب لنا . وان كيلوغراماً واحداً من البقول كالباذلاء واللوبيا والبندس والحمص لتساوي ثلاث لبرات ونصفاً من اللحم والليرة خمسمائة غرام

ويحتوي الخبز والابن والبيض على جميع المواد اللازمة للتغذية فهي غذاء تام ثم يجي^١ الارز واللحم على اختلاف انواعه والبقول الطرية وهي اقل في التغذية من الاصناف الثلاثة الاولى والسكر غذاء العامل ومولد القوة والمعوض عما فقده الجسم من التعب . والسلمك نافع في التغذية لما فيه من الفوسفور والفسفور دخل في تركيب بيتاوعاصبات فمن كانت استغلام عقلية او من كانوا في سن الطفولة من الاولاد ينبغي لهم ان يتناولوا من السلمك اكثر من غيرهم يساعد ذلك على نموهم . ويقول الدكتور مشنكوف الشهير ان من يشرب مص الحليب كل يوم يطول عمره ولا يهرم بالشيخوخة لان فيه باشلساً او جراثيم صغيرة تهلك المجرائيم المضرة التي يعيش منها ملايين في الاحشاء

والحرشف (الارضى شوكي) تكثر فيه المادة القابضة وهو مقو يمنع الاسهال ومدر للبول . والملفوف صعب الهضم لا يلائم المدد الضعيفة . والسبانخ ملين للبطن وبسميه الافرنج مكسنة الاحشاء ومن خصائصه هو والكرات انهما يصفيان اللون . والبقلة الحامضة (الحميض) تسهل الهضم ومن كان فيهم استعداد لمرض الحصاة ينبغي لهم الامتناع عنها بالكلية . والبندورة مقبلة ومرطبة وعلى المصابين بالنقرس والحصاة والرثية (داء المفاصل) ان يمتنعوا عن تناولها . والكرفس الذي عسر الهضم والاخذ منه باعتدال يقوي من ضعف اعصابهم . واذا تناول منه المصاب بالنقرس يكون له كالتوابل اللطيفة . والهابون مدر للبول ويجب تناوله طرياً . والبطاطا ناعمة لارباب المعد القوية وارباب المعد المتعبة ينبغي لهم تناولها ممرودة . والحس مرطب ونافع لالتهاب الاحشاء وامراض السكلى . والبقدونس مقو مهبج معرق مدر للبول قاتل للديدان دافع للحصى يقوي الشهوة للطعام ويسهل الهضم . وياك ان تسلق البقول بالماء الغالي جداً لئلا تفقد املاحها وموادها الازوتية المركبة منها وفي التوت الافرنجي (الفريز) كمية من حامض الساليسيليك ينفع المصابين بضعف المجموع العصبي وداء المفاصل . ومنقوع التوت الافرنجي من احسن المتويات للاعصاب وهو من افيد ما يكون لمن انهم كسهم الاشغال العقلية . والتوت الشوكي كالتوت الافرنجي وهو ايسر على الهضم . والكرات نافع للمصابين بالسويداء (هستيريا) بمقاوم للرثية . والحوخ نافع للمصابين بالبول السكري وللمصابين بقروح في المعدة . والتفاح نافع في تشنج الاعصاب ومعرق . ويكثر في الثين الاصل المهضم (البيسين

(pepsine) وهو نافع للمصدورين . والاجاص تغلب عليه البرودة فيضر ببعش المعد . والليمون بقي من الحمى واذا اضيف الى القهوة ينفع كثيرا تنفع الكينا . وهو احد علاج لفساد الدم . والبرتقال اخف الفواكه على المعدة . واللوز اليابس غذاء وهو غذاء طبيعي نادر المثال . ويرى الدكتور اوندريهيل ان لب العنب يؤكل وحده اذا كانت صحة المرء حسنة فاذا كان في البطن اطلاق يؤخذ اللب مع القشر ويطرح البزر واذا كانت المعدة منقبضة ويراد به تسهيل الطبيعة يتناول اللب والزر ويطرح القشر وبهذه الواسطة يكون العنب دواء وفاكهة لا نظير لها .

والقهوة تورث الجسم قوة فهي من مضادات السموم . وقوية للقلب والتاي في صباح يقوي ويورث نشاطا ويسهل التنفس واذا شرب بعد المشي او عمل متعب يورث راحة سريعة وينبه الذناط والاقدام . وارباب الامزجة الباغمية يتطلبون مواد مقوية تصلح اجسامهم فعليهم بلحم البقر والخنم . وياولحوم الارانب والحمل والتدرج (الديك البري) وان يتناولوا الخبز ناضجا جدا بكمية وافرة وبتولامرة سهلة وبتملون من المواد الانشائية وتضر بهم الاطعمة الغير الناضجة والخس والهندباء والسبانخ والجوز وجميع البقول المرطبة والمسهلة . وعلى ارباب الامزجة الدموية ان يعتدلوا في ما كلهم ويتشفوا بحيث لا يزيدون الكريات الحمراء في دهمهم ويتناولون اللحم العجل والفراخ والارنب واللبن ويكثررون من البقول والثمار لمزة وتنفعهم القهوة الخفيفة ويتخلون عن الازار والبقول وكل ما يورث الحرارة في الجسم واذا كانوا مستعدين للعرق فالاولى ان لا ياتوا عملا من شأنه منع .

وعلى ارباب الامزجة العصية ان يستعملوا المواد اللطيفة اللذيذة لغذائهم مثل البيض والفراخ واللبن المطبوخ واسماك الانهار ويمتنعوا عن المبهجات مثل القهوة والشاي وغيرها والخس والكرفس من انفع البقول لهم فان في عصير الخس مسكنا لاعصابهم وفي الكرفس النيء وقاية لهم من الاضطرابات فهو يقوي الاعصاب ووربما تنفع في ضربات القلب . وعليهم ان يقللوا من تناول الطعام اي يعتدلون جدا ولا يأخذون مالا يوافق اذواقهم من الطعام بته .

ولكى ارباب الامزجة الصفراوية ان يفضلوا الاطعمة الغليظة ويمتنعوا عن المواد الدهنية والنشائية ويتناولوا من البقول والارز ولا يتناولون القهوة . والثمار الناضجة اللذيذة توافق امزجتهم . والخس والبندورة نافعان لهم والبندورة محسنة الكبد .

والاجدر بسكان البلاد الحارة ان يكثرنا من البقول وبسكان البلاد الباردة ان يكثرنا من اللحوم والمواد الدسمة نافعة لهم ايضا .

والخبز الطري غير نافع للصحة لانه لايجود عنك فيه سر على المعدة هضمه وربما
احدث مع الزمن اضطراباً في الدورة الدموية او اوجعاً في الرأس وآلاماً في المعدة وسوء
هضم . والخبز السخن الذي يتناوله بعضهم في الصباح وتليه شيء من الزبدة سم نافع .
ومن المشبهات للطعام الثريد البارد الحالي من الدهن يتناول قبل الاكل بساعة
فيكثر به سيلان اللعاب في المعدة فتستدعي الطعام ورأى بعض العلماء ان احس بمقبل
ما يعمل من منقوع ملعقتين من بزر الجزر في نصف لتر من الماء الغالي يؤخذ بين الطعام
والطعام تحلى بالعسل فيجود الهضم وتزيد الشهوة للطعام

واذا ساء الهضم معك فخير دواء سريع قريب ان تشرب شرباً حاراً . فقد قالت
احدى المجلات الطبية ان - خصائص المشروبات الحارة ان تسكن الغشاء المخاطي
في المعدة ويعدل احيانا التأثيرات المؤلمة التي يشعر بها بعد الاكل فهي تقوي الوظائف
المعدية . والظاهر ان اليابانيين بلغوا مابلغوه من الصبر وجودة الصحة باستعمالهم الاشربة
الحارة لانهم يتناولون في كل المواسم ماء حاراً او شرباً حاراً ويقولون ان الماء البارد يشد
الاطراب والرعى (فص الكبد) والرئة ويحدث السعال ويطفي الحرارة الطبيعية
التي تديم الحياة

وعليك يا هذا ان تنظم اوقات طعامك فبذلك يسهل على الحواس ان تأخذ
حظها من الطعام والهضم وتعمل عملها وتستعد لقبول غيره اذا وقت لها وقتاً وعليك
ان لا تسرع في خضم طعامك وقضمه بل ان تمضغ كثيراً حتى لا تضطر المعدة ان تعمل
ما كان من شأن اسنانك ان تعمله من طحن الطعام . ومن الضروري ان تقلب اسنانك
على اللقمة عشرين مرة وكل طعام عليك جيداً كان اكثر في التغذية من طعام اورد
ازدرداً سريعاً فقد ورد في الامثال الافرنجية من تأني في اكله طال عمره وهاك الآن
معدل الساعات اللازمة لهضم انواع الطعام الاكثر استعمالاً .

دقيقة ساعة

١	الارز	
٣٠	١ البيض النيء . السمك المنقوش وسمك سليمان	
٤٥	١ الخنازير المسلوق	
٣٠	٢ اللوبيا والبطاطا المقلوة . الدجاج الهدي والبط المشوي	
٤٥	٢ البيض المسلوق والفراخ المحمص	

٣	الابن المطبوخ ولحم الضأن المستوي والبفتيك
٣ ١٥	الفقائق الباردة
٣ ٣٠	السماك المقلي ولحم البقر المشوي
٣ ٣٠	الحبز الطري والبيض المقلي والجبن

ولحم الصيد، امعدا الطيور ثقيل على المضم يحتاج الى ٤ الى ٥ ساعات . هذا ما لفتنا به من اقوال احدث علماء الصحة من الغربيين وتلى الرء ان يكون حكيم نفسه في تحميل معدته ومنزاجه ما يطيق وان يراقب خروج الطبيعة مراقبة تامة فان امراض التهاب الكلي وسوء المضم والتهاب الامعاء والزائدة الدودية كلها تنبأ من انقبض واذا رأى الخروج قد ابطأ في الصباح فعليه ان يستعمل التمسيد قبل ان يقوم من سريره وذلك بان يضع رجله تحت ظهره ويضع يده على بطنه فيبدأ بفنم الموضع التريبه من السرة ثم صل الى الخالب فيمر يده على صورة قوس حتى ينتهي الى الخالب الايسر .

وهنا امر يجب التنبيه له لانه داخل في صحة الجسم وهو ان المسكرات على اختلاف انواعها ضارة بالصحة بحسب رأي علماء اوربا انفسهم يضر قليلها وكثيرها خلافاً لما يهرفون بما لا يعرفون ويقلدون على العمياء وهم جاهلون ولا سيما في هذه البلاد المعتدلة الجيدة المياه القليلة الغش في الماء كولات الى الجملة .

مخطوطات ومطبوعات

المنهج الاحمد

ألف العرب يوم كان علماءهم يحسنون التأليف طبقات لرجال كل فن وعلم ذكر منهم صاحب كشف الغنون طبقات الادبا . (مطبوع) لاسن الانباري المتوفى سنة ٥٧٧هـ وطبقات الاصبهانية لابن حبان البستي (٣٥٤) وطبقات الاصوليين للسيوطي (٩١١) وطبقات الاطباء (مطبوع) لابن ابي أصيبعة (٦٦٨) وطبقات الامم صاعد ولاسن سمييد المغربي وطبقات الاولياء لابن الملقن (٨٠٤) وطبقات البيانيين للسيوطي وطبقات التابعين لابن النجار (٦٤٣) وطبقات النعابي الموسوي والطبقات الجلالية للجلال الدواني (٩٠٨) وطبقات الجنان وطبقات الفاظ (مطبوع) للذهبي (٧٤٨) وطبقات الحكماء لابن صاعد (٥٤٨) وطبقات الحكماء (مطبوع) للنفطي (٦٤٦) وطبقات النبيلة وذبولها وطبقات السنية

وذبولها وابتقات الخناطين للسيوطي وطبقات الخراسان الزبيدي (٧٩٣) وطبقات الرواة
 خليفة بن خياط ومسلم بن حجاج والطبقات السنوية في تراجم الحنفية للشمس الغزي
 (١٠٠٥) وابتقات الشافعية للسبكي (ط) وذبوله وطبقات الشافعية للبخاري (٨٩٤)
 وطبقات الحمراء لابن قتيبة (٢٩٦) ويدخل فيها كتب كثيرة مثل شعراء الزمان وقلائد
 العقيان (مطبوع) وعقود الجمان وإشارة والاماء الشواعر وكتاب النساء الشواعر
 واصداف الاوصاف وطرف الاداء وروج الزمان والباهر وانموذج الشعراء وحنى الجنان
 والفرقة الثالثة والدرر الناصعة ومعجم الشعراء وشعراء الاندلس والكتب المؤلفة في
 الشعراء كثيرة منها قيمة الدمر (مطبوع) للتحالي ودمية القصر (مطبوع) للبخاري وزينة
 الدهر في لطائف شعراء العصر للخضرى وفريدة القصر للاصفهاني والملح المصرية
 لابن العطاء والاموذج في شعراء الاندلس وان لا ين رشيقي والحديقة لابي الصلت أمية بن
 عبد العزيز ورسر السرور للغزنوي وكتاب عمارة اليمن في شعراء عصره والخنار في النظم
 والثر لابن بشر بن الحنظلي وابتقات الشعراء بالاندلس لابن ربيعة (٣١٠) والبارع
 والبيئة والحريدة ومعلقاتها وخبايا الزوايا والباهر وفحول الشعراء والدرر والفرر والحديقة
 وطبقات الصحابة والتابعين للبصري (٢٣٠) وطبقاتهم لابن مندة (٣٩٥) واسد الغاة
 (مطبوع) وطبقات ابن سعد (مطبوع) والطبقات الصدرية وطبقات الصوفية للنيسابوري
 (٤١٢) وطبقات الطالبين للحميري (٥٨٨) وطبقات العلماء لابن حميدة (٦٣٠) وطبقات
 العلوم للابووردى (٥٠٧) وطبقات عماد الدين بن كثير (٧٧٤) وطبقات الفرسان لابن
 مثنى (٢١٠) وطبقات الفرضيين للسيوطي وطبقات الفقهاء للهمداني (٥٢١) ومثله لابن
 حبيب الماكي (٢٤٠) وطبقات الفقهاء والمحدثين للهيثم بن عدي (٢٠٧) وطبقات
 فقهاء ورؤساء الزمان لابن سمر الجعدي (٥٨٦) وطبقات القراء للداني (٤٤٤) وصنف
 فيها الجزري (١٧٣٣) اجمع كتاب في هذا النوع والذهبي (٧٤٨) وذيله غيرهم وطبقات
 الكتاب للسيوطي وطبقات اللغويين والنحاة له (مطبوع) وآخر للاشبيلي (٣٧٩) وطبقات
 الفقيه للسكسكي وطبقات القاضي وطبقات المائكية لابن فرحون (مطبوع) (٧٩٩)
 وابتقات المتكلمين لابن فورك (٤٠٦) وللتاضي عياض بن موسى الجصبي سماه ترتيب
 المدارك والمزباني اخبار المتكلمين وابتقات المجتهدين لابن كمال باشا (٩٤٠) وطبقات
 المحدثين لابن الملقن (٨٠٤) وطبقات المعريين لابن الخلال وابتقات المعتزلة (طبع قطعاً
 من) لا اضي عبد الجبار وطبقات المفسرين للسيوطي وغيره وطبقات النحاة للمبرد (٢٨٤)

وطبقات النسابين للحسيني «٥٨٨» وطبقات النساك لابن الاعرابي «٣٤٠» وطبقات همدان لابن الانطالي وغير ذلك مما هو مطبوع مثل وفيات الاعيان لان خلا كان وذيله للصالح الكندي وفي خزنة الكتب الظاهرية بدمشق كتاب طبقات الخبابة لابن رجب قال كاتب جلبي : طبقات الخبابة لابي الحسين محمد بن محمد بن الحسين ابي يعلى الخبلي القراء الشيب سنة ٥١٦ صاحب المجرى في مناقب الامام احمد وقد جعل هذه الطبقات على سبع الطبقات الاولى والثانية على حرف الميم وما بعدهما على تقديم العمر والوفاء وانتهى فيه الى سنة ٥١٢ ثم ذيله الشيخ زين الدين عبد الرحمن بن احمد المعروف بان رجب الخبلي المتوفى سنة ٧٩٥ وصل فيه الى سنة ٧٥٠ ثم ذيله العلامة يوسف بن حسن بن احمد الخبلي المقدسي مرتباً على الحروف فرغ من تأليفه سنة ٨٧١ وذيله ايضا الشيخ نقي الدين مفلح اه .

والغالب ان عبد الرحمن بن محمد العمري العاجي الخبلي من اهل القرن العاشر ذيل على ما ذيله ابن مفلح في مجلد ضخيم^(١) سماه المنهج الاحمد في تراجم اصحاب الامام احمد ونحن الآن نتكلم عليه وستتكم في فرصة أخرى على طبقات ابن رجب . قال العليمي في مقدمة كتابه بعد البسملة والحمدلة : اما بعد فهذا مختصر استغثت الله تعالى في جمعه وترتيبه وسأله المعونة لي بفضلته وتهذيبه يتضمن نبذة من ترجمة امامنا المجل والحبر المفضل الرباني ابي عبد الله احمد بن محمد بن جندب الشافعي امام اهل السنة . وآخر المجتهدين من الائمة رضي الله عنه وارضا وجعل الجنة منتقاه وشواه راحواله ومناقبه وذكر محنته وتاريخ مولده ووفاته وتراجم اصحابه رحمة الله عليهم فاذا ذكر اولاً ما تيسر من مناقب الامام رضي الله عنه ثم اذكر اصحابه الذين عاصروه فأبدي بذكر من توفي منهم قبله ثم اذكر من توفي بعده ثم اذكر من لم تورخ وفاته وعند انتهاء اسماء الاصحاب من الطبقة الاولى ابين منهم من اشتهر من اعيان اصحابه من الفتناء الذين كانوا على مذهبه في الاصول والفروع وتلقوا عنه الفقه ونقل عنهم الى من بعدهم الى ان وصل الى بنا وأمررد اسماءهم متواليه لتمييزوا عن غيرهم من اصحابه الذين قرأوا عليه الحديث وغيره ورووا عنه من غير المشهورين بالتذهب بمذهبه في فروع الفقه ثم ذكر اسماء الاصحاب من بعد الطبقة الاولى مرتباً على الطبقات والوفيات ومن لم اضلع على تاريخه ونات ذكرت اسمه وما وقفت عليه من ترجمه والعصر الذي كان موجوداً فيه ان علمناه وواجزت لفظة حسب الامكان وحذفت الاسانيد مما رويته فيه من الاحاديث الشريفة في بعض التراجم

طلباً للاختصار وسميته بالنهج الاحمد في تراجم اصحاب الامام احمد
وقد وقع هذا الكتاب في زهاء ٨٥٠ صفحة من قطع الوسط وكان الفراغ من نسخه سنة
١١٩٥ . الى يد عبد الفناح سطحي البغدادى . وعليه خطوط بعض بني الطي وقد قال
المؤلف في آخره : وهذا آخر ما تسر ذكره من فقهاء الخنابلة رحمة الله تعالى عليهم اجمعين
ولم اترك ذكر احد ممن يصلح ان يذكر في الطبقات الا من لم اطلع على امره فتذكرت في هذا
الختصر جماعة من المتقدمين لم يذكرهم القاضي ابو الحسين وجماعة من المتوسمين لم يذكرهم
الحافظ ابن رجب وجماعة من المتأخرين لم يذكرهم القاضي التضاة برهان الدين بن مفلح
وهذا الكتاب مجموعة نفيسة لعلماء هذا المذهب في ألف سنة وفيه تراجم كثير من
المشاهير ففيه عدا ترجمة الامام احمد - حجة ابن الجوزي وابن قيم الجوزية وابن تيمية
والقاضي ابي يعلى والقاضي يحيى بن أكثم والوزير ابن هبيرة وعشرات غيرهم من كانوا
مفخره احمد بن حنبل وعنوان انتقى العلم وسعة التأليف والوعظ والارشاد . وتراجم
من لقوا الا لاتي في سبيل تأييد مذاهبهم ولا سيما في الامتناع عن القول بخلق القرآن
وهي المسألة المختلف فيها بين العلماء على عهد المأمون الخليفة العباسي ومن بعده وذلك
مثل احمد بن نصر الذي قتل في خلافة الواثق لامتناعه عن القول بخلق القرآن اخذه
الواثق فقال له ما تقول في القرآن قال : كلام الله قال : اقري ربك في القيامة . قال :
كذا جاءت الرواية وانظر . الواثق في الخطاب وقال له : ما يصبي . ندعا الواثق
بالصمامة وقال : اداقت اليه نزل يقوم من احد معي فاني احتسب خطاي الى هذا الكافر (?)
الذي يعبد رباً ولا تعبد له ولا تعرفه بالصفة التي وصفه بها ثم امر بالنطح فاجلس عليه
وهو مقيد وامر بتد رأسه بحبل وامرهم ان يمدوه ومشى اليه حتى ضربت عنقه وامر
بحمل رأسه الى بغداد فنصب في الجانب الشرقي اياماً وفي الجانب الغربي اياماً .
وفيه امثلة من الشدة عرمل بها الخنابلة وعاملوا بها في قرون مختلفة ولا سيما في القرون
التي اثار ثأرها التعصب المذهبي وامثلة من معتقد رؤساء المترجمين في المسائل المختلف
فيها مثل قول ابي بكر بن ابي داود السجستاني من قصيدة :

وقل غير مخلوق كلام مليكننا بذلك دان الانقياء وانصحو

ولا تغل في القرآن بالوقف قائلا كما قال اتباع ائمتهم واسبحوا

الى ان يقول بعد ايراد ما يجب الاعتقاد به

ولا تكفرن اهل الصلاة وان عصوا فكلمهم يعوي وذو العرش يصفي

ولا تعتقد رأيي الخوارج انه مقال لمن يهواه يردى ويفضح
ولا تك مريباً لعوباً بدينه الا انما المرجي بالدين يرح
ومثل ذلك قول ابي الخطاب البغدادي في هذا المعنى من قصيدة
وان كتاب الله ليس بمحدث على السن لتلو وفي الصدر يجمع
وما كتب الحفاظ في كل مصحف كذلك ان بصرت او كنت تسمع
ومثل ذلك قول ابي الخطاب الكلاوذني من قصيدة

قالوا فهل لله عندك مشبه قلت المشبه في الجيم الموصد
قالوا فهل هو في الاماكن كلها قلت الاماكن لا تحيط بسيدي
قالوا فتزعم ان على العرش استوى قلت الصواب كذاك خبر سيدي
قالوا فما معنى استواء ابن لنا فاجبتهم هذه سؤا المعندي
قالوا فانت تراه جسماً قل لنا قلت الجسم عندنا كالمالحد

ومن اطلال في ترجمتهم الوزير ابن هبيرة العالم الذي عصف في وزارته كتاباً في ذكر مسائل
الفقه المتفق عليها والمختلف فيها بين الائمة الاربعة المشهورين وجمع عليه ائمة المذاهب ووافدهم
من البلدان اليه لاجله بحيث انه انفق كي ذلك مائة الف دينار وثلاثة عشر الف دينار
وحدث به فجمع الحاق العنايم لسماعه عليه وكتب به نسخة لخزانة المستنجد وبعث ملوك
الاطراف ورزراؤهم وعلماؤهم فاستنسخوه نسخاً وتتلوها اليهم حتى السلطان نور الدين الشهيد
واشتغل به الفقهاء في ذلك الزمان كي اختلاف مذاهبهم يدرسون منه في المدارس والمساجد
هذا بعض ما حواه الكتاب من الفوائد وحذا لو صحت حمة الخابلة على طبعه بعد
ان طبع التافعية والمالكية والخفية والامامية طبقات رجالهم فكثرت الطبقات مفيدة
من عدة وجوه وليس احسن في تصور حال زمن من الرجوع الى سير رجاله وما قالوه
وفعلوه وحدث لهم واحداثه

عبر الأردن

ظهرت في عالم المطبوعات في ألمانيا ثلاث مجلدات للحاليتين الالمانيين برونو ودمانكي
في وصف اصقاع عبر الأردن فجاءت متممة للحالات التي كتبها الاوربيون على فلسطين
وما والاها وقد وصف الصقع الواقع في لواء الكرك اليوم وهو من نهر الزرقا الى بتراي وادي
موسى وصفاً جغرافياً مدققاً والطريق الروماني من مادبا الى وادي موسى والطريق
المتشعبة منه ووصفاً وادي موسى واذرح والطريق الروماني من اذرح الى عين هدة

والعقبة . ومن الجرائب الرومانية واليونانية والعربية والنبطية . ما لم يشر اليه السائحون في تلك الاربابض من قبل . ومن الآثار التي وصفت مع صورها محطة الحج وهو حصن روماني قديم وكثيرة وذات رأس وطوان واذرح وفي هذه . سكر روماني وكنيسة يونانية وقد استغرق الكلام على وصف وادي موسى زهاء ثلثمائة صفحة وفي المناظر التي اوردها السائحان في كتابهما تتمثل للقاريء الاربعة صخور الرئيسة المطلة على الوادي ثم وصفا اشكال النواويس المحفورة في الصخر وسفها تاريخيا والابرار المحفورة هناك هي بيوت كان يسكنها سكان وادي موسى . ومعظم القبور التي حفرت على مثال قبور الحج يرد عهدهما الى الملك ارتياس الرابع (٩ و ٣٠ سنة قبل المسيح وبعده) وليس في وادي موسى اعمدة من قبل الحكم الروماني عليها . ووصفا قصر فرعون وخزنة فرعون ورجع بما رأياه من صور ابي الهول وايزيس ورؤوس الحملان ان تلك البلاد تأثرت بالمدنية المصرية والمسلتان الموجودتان في الحجر تمثلان ربي النبطيين دوزارس واللات ويستدل منها انها كانت مركز عبادة النبط قبل العهد اليوناني بستة قرون على الاقل . وقد دخلت المدينة اليونانية الى وادي موسى على عهد البطالسة وبذلك استدل على اختلاط العنصرين المصري والسوري . ولم تستقل مملكة النبط هذه الا في اواخر القرن الثاني عند ما انحطت دولة البطالسة والسلاويين ونزل التول الفعيل فيها للمدنية اليونانية الى عهد ارتياس الرابع (٨٥ - ٦٠ ق م) ولما تجزأت المملكة النبطية الى ولايات رومانية بقيت محتفظة بكانتها . وفي اواخر القرن الثالث للمسيح عاد الى وادي موسى استقلاله . والغالب ان غارات الساسانيين الفرس الى هذه البلاد اضطر بتران ان تنقطع عن انشاء القبور وصك النقود . وقد وصف المؤلفان ٨٥١ مصنعا من مصانع بتران مثل القبور والمعابد والمذابح واجادا في وصف جبل هرون ووادي صبرة والحدود الشرقية من هذه الولاية العربية من معان في الجنوب الشرقي من بتران الى بصرى واطلقا عنان القلم لوصف ما وقعت انظارهما عليه من العاديات والمصانع ووصفا بلاد حوران ولاسيما درعا والسويداء واتيل وثمرات وقرى اللجاة وما فيها من الآثار مع بيان المسافات وطبائع البلاد ورسومها ونقاويمها بالصور والمصورات وتفعلا كتابهما ببيان تخوم البلاد العربية وتقسيم مدن سورية وفلسطين وليبية والعربية كما كانت في عصور مختلفة لكل ذلك مع اسماء الملوك الاقدمين الذين حكموا البلاد .



المفتى

الفتوى في الاسلام

هذا بحث علمي ادبي، تاريخي اجتماعي، يهيم كل نبيه، درايته، كما يجب على كل فقيه معرفته ودراسته، لاسيما من يتولى منصب القضاء، او وظيفة الافتاء، فان هذا البحث من اهم ما يحتاج اليه، واعظم ما يضطر للوقوف عليه، كيف لا ومنه يعرف شعائر الحق في الاقضية والاحكام، ويتوصل به الى فيصل الامور بالعدل في نوازل الانام، فهو على التحقيق لباب الفقه في الدين، وسر الاصعاد الى ذروة الاجتهاد في مقاصد الشرع المتين،

لانريد ان نبحث في الفتوى من حيث يعرفها الناس انها وظيفة من الوظائف ومنصب من المناصب يتولاه من يوظفه من الاستانة شيخ الاسلام، ليعول على فتواه عند توقف الحكم، لانقصد هذا لان سبيلها المذكور معروف معلوم، لا حاجة الى ان يكتب فيه ما كان يكتب ايام استعمار العلوم، وانما نروم الكشف عن منشأ الفتوى في الاسلام، وكيف كانت في القرون الثلاثة العظام، ثم فيما بعدها الى العصور الوسطى ومن كان يتولاها ايام استنحال العلم واتساع مناحيه، ووفرة رجال الفضل وائمة الاجتهاد فيه، ثم ما اشترط في اولي الفتوى وما ذكر من آدابهم وآدابها، وآداب من يستفتى ويرجع الى اربابها،

يتبع هذا مباحث متنوعة ضافية الذبيل، وافرة النقول، ربما بقل في سبرها مجلدات. ولا كثرة في العلم كما لاسراف في الخيرات. بيد انا نقتصر من هذا البحث على اللباب. ليكون نموذجاً ومدخلا لنجباء الطلاب.

مما يدهش المنقب على اصول الفتوى ما بلغته من عناية الائمة في مطالبتها ومقاصدها وما تفتنوا به من استنباط واجباتها واستثمار فوائدها. فيعجب مما كانت في العصور الاولى عليه

وما آت بعد اليه . ولئن كان لضعف العلم في القرون الاخيرة مدخل في هذا التباين الا ان اليد العاملة فيه اختلاف سياسة الدول في الاخذ بالعلوم النافعة وانهاض رجالها . ونشر التعليم المفيد والتهديب ونوسيد الامور الى حكمائها وابطلها . فقد تختلف السابقة عن اللاحقة في هذا المضمار . وتختلف امة غيرها فتقودها بعاداتها وتأخذها بنظامها فتستل منها الافهام والافكار . ويرجع هذا الى فناء طريقة تالدة في طريقة طريفة . كما تفنى في امة غالبية قوية أمة مغلوبة ضعيفة . فتدرس آثارها وعلومها . وتمحو عاداتها وسومها ولاختلاف الدول ونعاقبها على الممالك . مدخل عظيم في اختلاف قوانين العلم والعلماء في جميع المسالك .

مأسذكره من احوال الفتوى لا يدربه الانقابة في التاريخ درأكة في علوم الاجتماع بصير بالماضي والحاضر . خبير بالحديث والعار .

ومن المؤسسان تنبذ هذه المعارف ظهريا . وتصبح في هذا الجيل نسياً منسياً . فكلم في بحر الاوهام من غاد ورائح . يزعم ان هذه الحالة هي في عهد السلف الصالح . فلا يدري شيئاً من تأثير الدول . ولا يعرف امراً من آثار الاول .

ان الباحث عن الموازنة بين السلف والخلف في شؤون الاجتماع وطبيعة العمران يعثوره من مصاعب التفتيق ومتاعب العمل واجهاد الفكر ما لا يدربه الا من عانى ما عاناه . وانفق من دم قلبه وقوة عقله ما مائده او دانه . ولذا ساعد ما كتبناه في هذا البحث من اعظم الدروس التي القيت الى عالم العلم في هذا العصر . يذكر ماسلف لهذا الموضوع من جليل الشأن في كل قطر ومصر . ويعرفهم ما ترك الاول للآخر . وما حفظته لنا من الكنوز ذخائر قدماء الاكابر . فرحمة الله على السلف الناصحين . وايد الله من تبعهم باحسان من المصلحين .

ولنشرع في البحث مفصلاً ومبواباً . ومنوناً جملاً ومرتباً . والمستعان بالله ولا حول ولا قوة الا بالله

(اول من قام بمنصب الفتوى في الاسلام)

قال الامام ابن القيم في اعلام الموقعين : لما كان التبليغ عن الله سبحانه يعتمد العلم بما يبلغ والصدق فيه لم تصلح مرتبة التبليغ بالرواية والفنبا الا لمن انصف بالعلم والصدق فيكون عالماً بما يبلغ صادقاً فيه ويكون مع ذلك حسن الطريقة مرضي السيرة عدلاً في اقواله وافعاله متشابهاً السر والعلانية في مدخله ومخرجه واحواله واذا كان منصب التوقيع عن الملوك بالحل الذي لا ينكر فضله ولا يجهل قدره وهو من اعلى المراتب السنيات

فكيف بمنصب التوقيع عن رب الارض والسماوات فحقيق بمن اقيم في هذا المنصب ان يعد له عدته وان يتأهب له أهيته وان يعلم قدر المقام الذي أقيم فيه ولا يكون في صدره حرج من قول الحق والصدع به فان الله ناصر وهاديه وكيف لا وهو المنصب الذي تولاه بنفسه رب الارباب فقال تعالى (ويستفتونك في النساء قل الله يفتيكم فيهن وما يتلى عليكم في الكتاب) وكفى بما تولاه الله بنفسه تعالى سرفاً وجلالة اذ يقول في كتابه « ستفتونك قل الله يفتيكم في الكلاله » وليعلم انفتي عمن يزوب في فتواه وليوقن انه مسؤول غداً وموقوف بين يدي الله

واول من قام بهذا المنصب الشريف سيد المرسلين وامام المتين وخاتم النبيين عبد الله ورسوله وامينه تلى وحيه وسفيره بينه وبين عبادته فكان يفتي عن الله بوحيه المبين وكان كما قال له احكم الحاكمين « قل ما سألكم عليه من اجر وما انا من المتكلمين » فكانت فتاويه عليه السلام حوامع الاحكام ومشتملة على فصل الحجاب وهي في وجوب اتباعها وتحكيمها واتخاذكم اليها تانية الكتاب وايس لاحد من المستير العدول عنها ما وجد اليها سبيلا وقد امر الله عباد بالرد اليها حيث يقول « فان تنازعتم في شئ فردوه الى الله والرسول ان كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ذلك خير واحسن تأويل »

(كتابة الفتوى من العهد النبوي)

عن ابي هريرة قال : لما فتحت مكة قام رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكر الخطبة خطبة النبي صلى الله عليه وسلم قال فقام رجل من اليمن يقال له ابو شاه فقال يا رسول الله اكتبوا لي فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اكتبوا لابي شاه : يعني الخطبة ، وعن ابي هريرة قال : لم يكن احد من اصحاب محمد اكثر حديثاً مني الا عبد الله بن عمرو فانه كتب ولم اكتب ، وعن عبد الله بن عمرو قال : كنت اكتب كل شيء اسمعه من رسول الله صلى الله عليه وسلم اريد حفظه فنهتني قريش وقالوا : اكتب كل شيء اسمعه ورسول الله صلى الله عليه وسلم يتكلم في الرضا والغضب فامسكت عن الكتاب فذكرت ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم فارمأ با- بعه الى فيه وقال : اكتب فوالذي نفسي بيده ما يخرج منه الا حق .

اخرجها الحافظ ابن عبد البر في كتاب جامع العلم في باب الرخصة في كتاب العلم وعرضها بأثار عدة منها عن سعد بن ابراهيم قال : امرنا عمر بن عبد العزيز بجمع السنن فكتبناها دفترًا دفترًا فبعث الى كل ارض له عليها سلطان دفترًا .

(المفتون من الصحابة وطبقاتهم في الفتيا)

قام بالفتوى بعد النبي صلى الله عليه وسلم علماء الصحابة رضوان الله عليهم قال ابن القيم : والذين حفظت عنهم الفتوى من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم مائة ونيف وثلاثون نفساً ما بين رجل وامرأة

وكان المكثرون منهم سبعة عشر من الخطاب ، وعلي بن ابي طالب ، وعبدالله بن مسعود ، وعائشة ام المؤمنين ، وزيد بن ثابت ، وعبدالله بن عباس ، وعبدالله بن عمر ،

قال ابو محمد بن حزم : ويمكن ان يجمع من فتوى كل واحد منهم سفر ضخيم قال : وقد جمع ابو بكر محمد بن موسى بن يعقوب بن امير المؤمنين المأمون فتيا عبدالله بن عباس رضي الله عنهما في عشرين كتاباً ، رابو بكر محمد المذكور احد ائمة الاسلام في العلم والحديث

والماتوسطون منهم فيما روي عنهم من الفتيا ابو بكر الصديق ، وام سلمة ، وانس بن مالك ، وابو سعيد الخدري ، وابو هريرة ، وعثمان بن عفان ، وعبدالله بن عمرو بن العاص ، وعبدالله بن الزبير ، وابو موسى الاشعري ، وسعد بن ابي وقاص ، وسلمان الفارسي ، وحابر بن عبدالله ، ومعاذ بن جبل ، (قال ابن حزم) فهو لاء ثلاثة عشر يمكن ان يجمع من فتيا كل واحد منهم جزء صغير جداً ويضاف اليهم طلحة ، والزبير ، وعبد الرحمن بن عوف ، وعمران بن حصين ، وابو بكرة ، وعادة بن الصامت ، ومعاوية ابن ابي سفيان ،

والباقون منهم مقلون في الفتيا لا يروى عن الواحد منهم الا المسألة والمسألان والزيادة اليسيرة الى ذلك ، يمكن ان يجمع من فتيا جميعهم جزء صغير فقط بعد التقصي والبحث

(حالة الفتوى في عهد التابعين وتابعيهم)

كان المرجع بعد الصحابة في الفتيا الى كبار التابعين وكانوا منتشرين في البلاد التي عمرها المسلمون بفتوحاتهم ، وقد عد الامام ابن القيم في اوائل اعلام الموقعين عدداً كثيراً منهم كما ان كثيراً من الحفاظ الف في طبقاتهم اجزاء ومجلدات واما حالة الفتيا في عهدهم فقد نه عليها ولي الله الدهلوي في الحجة البالغة ^(١) بما

(١) في باب الفرق بين اهل الحديث واصحاب الرأي

مثاله : اعلم انه كان من العلماء في عصر سعيد بن المسيب و ابراهيم و الزهري وفي عصر مالك و سفيان و بعد ذلك قوم يكرهون الخوض بالرأي و يهابون الفتيا و الاشتباط الا لضرورة لا يجيدون منها بدأ ، وكان اكبرهمهم رواية حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم مثل عبدالله بن مسعود عن شيء فقال : اني لأكره ان احل لك شيئاً حرمه الله عليك او احرم ما احله الله لك ، وقال معاذ بن جبل : يا ايها الناس لاتعجلوا بالبلاء قبل نزوله فانه لم ينفك المسلمون ان يكون فيهم من اذا سئل مرد و روي نحو ذلك عن عمر و علي و ابن عباس و ابن مسعود في كراهة التكلم فيما لم ينزل و قال ابن عمر الجاهل بن زيد : انك من فقهاء البصرة فلا تفت الا بقرآن ناطق او سنة ماضية فانك ان فعت غير ذلك هلكت واهلكت

وقال الامام الدهلوي ايضاً^(١) بعد ان مهد نزروب الاختلاف بين الصحابة في بعض الفتاوى ما مثاله :

فاختلفت مذاهب اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم و اخذ عنهم التابعون كذلك كل واحد ما تيسر له فحفظ ما سمع من حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم و مذاهب الصحابة و عقلها و جمع المختلف على ما تيسر له و رجح بعض الاقوال على بعض و اضطلع في نظرم بعض الاقوال فعد ذلك صار لكل عالم من علماء التابعين مذهب على حياله فانصب في كل بلد امام مثل سعيد بن المسيب و سالم بن عبدالله بن عمر في المدينة و بعدهما الزهري و القاضي يحيى بن سعيد و ربيعة بن عبد الرحمن فيها و عطاء بن ابي رباح بمكة و ابراهيم النخعي و الشعبي بالكوفة و الحسن البصري بالبصرة و طاوس بن كيسان باليمن و مكحول بالشام فافظاً الله اكباداً الى علومهم فرغبوا فيها و اخذوا عنهم الحديث و فتاوى الصحابة و اقاويلهم و مذاهب هؤلاء العلماء و تحتيتاتهم من عند انفسهم و استفتى منهم المستفتون و دارت المسائل بينهم و رفعت اليهم الاقضية

وكان سعيد بن المسيب و ابراهيم و امثالهما جمعوا ابواب الفقه اجمعها و كان لهم في كل باب اصول تلقوها من السلف : و للبحث تنمة بدعية فاذلروها

و جل فتاوى الصحب و التابعين مروية في الموطآت و المسندات و السنن من كتب الحديث التي لم تشتط تخريج المرفوع وحده من الاحاديث النبوية عدا ما جمع على حدة منها

(١) في باب اسباب اختلاف الصحابة و التابعين في الفروع

(المفتون بالشام من التابعين)

قال الامام ابن القيم في اعلام الموقعين : وكان من المفتين بالشام ابو ادريس الخولاني وشرحبيل بن السمط وعبد الله بن ابي زكريا الحزامي وقبيصة بن ذؤيب الخزاعي وحبان ابن امية وسليمان بن حبيب الحاربي والحارث بن عميرة الزبيدي وخالد بن مهادان وعبد الرحمن بن غنم الاشعري وجبير بن نفير ثم كان بعدهم عبد الرحمن بن جبيرة بن نفير ومكحول وعمر بن عبد العزيز ورجاء بن حيوة :

وفيه استقصاء التابعين المفتين من معظم البلاد فانظره وقد استقرأت في كتابي (تعطير الشام بمآثر دمشق الشام) كل صحابي وتابعي نزل دمشق من المشاهير واثرته عن جمع في هذا الشأن من الحفاظ عليهم الرحمة وكثير منهم حفظ عنه انه قال وافق مجتهداً برأيه وقائماً على الاصول فيما لم يجد فيه نصاً

(حالة الناس في الفتيا قبل المائة الرابعة وبعدها)

قال الامام ولي الله الدهلوي في الحجة البالغة تحت هذا العنوان ما مثاله :

اعلم ان الناس كانوا قبل المائة الرابعة غيـر مجمعين على التقليد الخالص لمذهب واحد بعينه قال ابو طالب المكي في قوت القلوب : ان الكتب والمجموعات محدثة والقول بقالات الناس والفتيا بمذهب الواحد من الناس واتخاذ قوله والحكاية له من كل شيء والتفقه على مذهبه لم يكن الناس قديماً على ذلك في القرنين الاول والثاني انتهى قال الدهلوي وبعد القرنين حدث فيهم شيء من التخرج غير ان اهل المائة الرابعة لم يكونوا مجمعين على التقليد الخالص على مذهب واحد والتفقه له والحكاية لقوله كما يظهر من التتبع بل كان فيهم العلماء والعامه

وكان من خبر العامة انهم كانوا في المسائل الاجتماعية التي لا اختلاف فيها بين المسلمين او جمهور المجتهدين لا يقلدون الا صاحب الشرع وكانوا يتعلمون صفة الوضوء او الغسل والصلاة والزكاة ونحو ذلك من آدابهم او معالي بلدانهم فيمشون حسب ذلك واذا وقعت لهم واقعة استفتوا فيها اي مفت وجدوا من غير تعيين مذهب

وكان من خبر الخاصة انه كان اهل الحديث منهم يشتغلون بالحديث فيخلص اليهم من احاديث النبي صلى الله عليه وسلم واثر الصحابة مالا يحتاجون معه الى شيء آخر في المسألة من حديث مستفيض او صحيح قد عمل به بعض الفقهاء ولا عذر لتارك العمل به او اقوال متظاهرة بجمهور الصحابة والتابعين مما لا يحسن مخالفتها

فان لم يجد احدهم في المسألة ما يطمئن به قلبه ارض النقل وعدم وضوح الترجيح ونحو ذلك رجع الى كلام بعض من مضى من الفقهاء فان وجد قولين اختار اوثقهما سواء كان من اهل المدينة او من اهل الكوفة

وكان اهل التخريج منهم يخرجون فيما لا يجدونه ممرحاً ويجتهدون في المذهب وكان هؤلاء ينسبون الى مذهب اصحابهم فيقال فلان شافعي وفلان حنفي وكان صاحب الحديث قد ينسب ايضاً الى احد المذاهب لكثرة موافقته له كالتسائي والبيهقي ينسبان الى الشافعي

فكان لا يتولى القضاء ولا الافتاء المجتهد ولا يسمى الفقيه المجتهداً ثم بعد هذه القرون كان ناس آخرون ذهبوا يميناً وشمالاً وحدث فيهم امور (منها) الجدل والخلاف في علم الفقه (ومنها) انهم اطمانوا بالتقليد ودب التقليد في صدورهم ديب النمل وهم لا يشعرون وكان سبب ذلك تراحم الفقهاء وتجادلهم فيما بينهم فأنهم لما وقعت فيهم المزاخمة في الفتوى كان كل من افتي بتيء نوقض في فتواه ورد عليه فلم ينقطع الكلام الا بسير الى تصريح رجل من المتقدمين في المسألة (وايضاً) جور القضاة فان القضاة لما جار اكثرهم ولم يكونوا امناء لم يتبل منهم الا مالا يريب العامة فيه ويكون شيئاً قد قيل من قبل (وايضاً) جهل رؤوس الناس واستفتاء الناس من لاعلم له بالحديث ولا بطريق التخريج كما ترى ذلك ظاهراً في اكثر المتأخرين وقد نبه عليه ابن الهمام وغيره وفي ذلك الوقت يسمى غير المجتهد فقيهاً

(ومنها) ان اقبل اكثرهم على التعمقات في كل فن فنهزم من زعم انه يؤسس علم اسماء الرجال ومعرفة مراتب الجرح والتعديل ثم خرج من ذلك الى التاريخ قديمه وحديثه ومنهم من تفحص عن نوادر الاخبار وغرائبها وان دخلت في حد الموضوع . ومنهم من كثر القيل والقال في اصول الفقه واستنبط كل اصحاب قواعد جدلية فاورد فاستقصى . واجاب ونقصى . وعرف وقهم فخر . طول الكلام تارة وتارة أخرى اختصر . ومنهم من ذهب الى هذا بفرض الصور المستبعدة التي من حتمها ان لا يتعرض لها عاقل وبفحص العمومات والإيماءات من كلام المخرجين فمن دونهم مما لا يرتضي اسماً . عالم ولا جاهل .

وفتنة هذا الجدل والخلاف والتعمق قريية من الفتنة الاولى حين تشاجروا في الملك

وانتصر كل رجل لصاحبه فكما اعقت تلك ما كما عضوًا ووقائع صماء عمياء . فكذلك اعقت هذه جهلا واختلاطًا وشكوكا ووهما ماله من ارجاء^(١) فنشأت بعدهم قرون على التقليد الصرف لا يميزون الحق من الباطل ولا الجدل عن الاستنباط فالفقيه يومئذ هو الثرثار المتشدد الذي حفظ اقوال الفقهاء قويمها وضعيفها من غير تمييز وسردها بشقشقة شديقه والمحدث من عد الاحاديث صحيحها وسقيمها وهذه كهد الاسمار بقوة لحية

ولا اقول ذلك كليًا مطردًا فان لله طائفة من عباده لا يضرم من خذلهم وهم حجة الله في ارضه وان قلوا ولم يأت قرن بعد ذلك الا وهو اكثر فتنة واوفر تقليدًا واشد انتزاعًا لالامانة من صدور الرجال حتى اطمأنوا برك الخوض في امر الدين وبأن يقولوا انا وجدنا آباءنا على أمة وانا على آثارهم مقتدون والى الله المشتكى وهو المستعان وبه الثقة وعليه التكلان انتهى كلام ولي الله الدهلوي

(ماروي من تهيب الساف للفتيا)

قال الامام النووي في مقدمة شرح المذهب : اعلم ان الافتاء عظيم الخطر كبير الموقع كثير الفضل لان المفتي وارت الانبياء صلوات الله وسلامه عليهم وقائم بفرض الكفاية لكنه معرض للخطأ ولهذا قالوا : انفتي موقع عن الله تعالى : وروينا عن ابن المنكر قال : العالم بين الله وخلقه فليظرك كيف يدخل بينهم .

وروي عن السلف وفضلاء الخلف من التوقف عن الفتيا اشياء كثيرة معروفة نذكر منها احرفا رويها عن عبد الرحمن بن ابي ايلى قال : ادركت عشرين ومائة من الانصار من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يسأل احدهم عن المسألة فيردها هذا الى هذا وهذا الى هذا حتى ترفع الى الاول وفي رواية ما منهم من يتحدث بمحدث الا ود ان اخاه كفاه اياه ولا يستفتى عن شيء الا ود ان اخاه كفاه الفتيا وعن الشعبي والحسن وابي حصين (بفتح الحاء) رحمهم الله قالوا : ان احداكم ليفتي في المسألة ولو وردت على عمر بن الخطاب رضي الله عنه لجمع لها اهل بدر وعن سفيان بن عيينة وسحنون : اجسر

(١) قل الدهلوي قبل ذلك فاي مذهب كان اصحابه مشهورين وسد اليهم القضاء والافتاء واشتهرت تصانيفهم في الناس انتشر في اقطار الارض ولم يزل ينتشر كل حين واي مذهب كان اصحابه خاملين وبولوا القضاء والافتاء ولم يرغب فيهم الناس اندرس بعد حين اه

الناس على الفتيا اقلهم علماً : وعن الشافعي رضي الله عنه وقد سئل عن مسألة فلم يجب فقيل له فقال حتى ادري ان الفضل في السكوت او في الجواب وعن الاثرم سمعت احمد ابن حنبل رحمه الله يكثر ان يقول لا ادري : وذلك مما عرف الاقاول فيه وعن الهيثم بن جميل قال شهدت مالكاً سئل عن ثمانين واربعين مسألة فقال في اثنتين وثلاثين منها لا ادري وعن مالك ايضاً رحمه الله : ربما كان يسأل عن خمسين مسألة فلا يجيب في واحدة منها وكان يقول : من اجاب فينبغي قبل الجواب ان يعرض نفسه على الجنة والنار وكيف خلاصه ثم يجيب وقال ابو حنيفة رحمه الله : لولا الفرق من الله تعالى ان يضع العلم ما اقتبت يكون لهم المنأى وعليّ الوزر واقولهم في هذا كثيرة معروفة وقال الصيرفي والخطيب : قل من حرص على الفتيا وسابق اليها وثابر عليها الاقل توفيقه واضطرب في امره واذا كان كارهاً لذلك غير مؤثر له ما وجد عنه مندوحة واحال الامر فيه على غيره كانت المعرفة له من الله اكثر والصلاح في جوابه اغلب واستدلاً بقوله صلى الله عليه وسلم في الحديث الصحيح : لا تسأل الامارة فانك ان اعطيتها عن مسألة وكلت اليها وان اعطيتها عن غير مسألة اعنت عليها

(معنى الفتوى اللغوي)

قال الراغب : الفتيا والفتوى الجواب عما يشكل من الاحكام ويقال استفتيت فافتاني بكذا قال « ويستفتونك في النساء قل الله يفتيكم فيهن » « فاستفتهم » « افتوني في رؤياي »

وفي (النهاية) : يقال افتياه في المسألة يفتيه اذا اجابه والاسم الفتوى . وفي الحديث : ان اربعة تقاتوا اليه عليه السلام : اي تحاكموا من الفتوى ومنه الحديث : الاثم ما حاك في صدرك وان افتاك الناس عنه وافتوك : اي وان جعلوا لك فيه رخصة وجوازا وفي (المصباح) : الفتوى بالواو يفتح الفاء وبالياء فتضم اسم من افنى العالم اذا بين الحكم ويقال اصله من الفنى وهو الشاب القوي ^(١) والجمع الفتاوى بكسر الواو على الاصل وقيل يجوز الفتح للتخفيف انتهى وعبارته تفيد ان الفتوى بالفتح لا غير خلافا لما يقتضيه كلام القاموس من جواز الضم والفتح فقد نوقش فيه ولذا قال شارحه العلامة الفاسي : المصرح به في امهات اللغة واكثر مصنفات الصرف ان الفتيا بالياء لا تكون الا مضمومة وان الفتوى بالواو لا تكون الا مفتوحة :

(١) فكان المفتي يقوي السائل بجواب حادثه

وفي (اساس البلاغة) : وفلان من اهل الفنوى والفتيا وتعالوا فقاتونا وتقاتوا اليه
تجأكموا قال الطرماح :

هلم الى قضاة العوث فاسأل
برهطك والبيان لدى القضاة
انح بفناء اشدق من عدي
ومن جرم وهم اهل التفاتي
وقال عمر بن ابي ربيعة

فبت افاتيها فلا هي ترهوي
بجود ولا تبدي اباء فنجلا
اي اسائلها

(وراثته المفتي للمقام النبوي)

قال الامام ابو اسحق الشاطبي^(١) المفتي قائم في الامة مقام النبي صلى الله عليه وسلم
والدليل على ذلك امور (احدها) النقل الشرعي في الحديث ان العلماء ورثة الانبياء وان
الانبياء لم يورثوا ديناراً ولا درهماً وانما ورثوا العلم : وفي الصحيح : بينا انا نائم أتيت
بقدرح من لبن فشربت حتى اني لارى الري يخرج من اضفاري ثم اعطيت فضلي عمر
ابن الخطاب قالوا فما اولته يا رسول الله قال العلم : وهو في معنى الميراث وبعث النبي صلى
الله عليه وسلم نذيراً لقوله تعالى « انما انت نذير » وقال في العلماء « فلولوا نفر من كل فرقة
منهم طائفة ليتفقهوا في الدين ولينذروا قومهم » الآية واشباه ذلك (والثاني) انه نائب
عنه في تبليغ الاحكام لقوله : الا يبلغ الشاهد منكم الغائب : وقال بلغوا عني ولو آية
وقال تسمعون وبسمع منكم وبسمع مني سمع منكم : واذا كان كذلك فهو معنى كونه قائماً
مقام النبي (والثالث) ان المفتي شارع من وجه لان ما يبلغه من الشريعة اما منقول عن
صاحبها واما مستنبط من المنقول فالاول يكون فيه مبلغاً والثاني يكون فيه قائماً مقامه
في انشاء الاحكام وانشاء الاحكام انما هو للشارع فاذا كان للمجتمع انشاء الاحكام بحسب
نظره واجتهاده فهو من هذا الوجه شارع واجب اتباعه والعمل على وفق ما قاله وهذه
هي الخلافة على التحقيق^(٢) بل القسم الذي هو مبلغ فيه لا بد من نظره فيه من جهة فهم المعاني
من الانفاذ الشرعية ومن جهة تحقيق مناطها وتنزيلها على الاحكام وكلا الامرين راجع
اليه فيها فقد قام مقام الشارع ايضاً في هذا المعنى وقد جاء في الحديث : ان من قرأ القرآن
فقد ادرجت النبوة بين جنبيه : وعلى الجملة فالمفتي مخبر عن الله كالنبي وموقع للشريعة على
انعال المكلفين بحسب نظره كالنبي وأنذامهم في الامة بمنشور الخلافة كالنبي ولذلك

(١) في الموافقات جزء ٢ (٢) يشير الى حديث اللهم ارحم خلفائي

سما اولي الامر وقرنت دامتهم بطاعة الله ورسوله في قواه تعالى « يا ايها الذين آمنوا اطيعوا الله واطيعوا الرسول واولي الامر منكم » والادلة على هذا المعنى كثيرة

(بيان ان المفتي والعالم والمجتهد والفقيه الفاظ مترادفة في الاصول)

قال الشهاب ابن قاسم العبادي في شرح قول امام الحرمين في الورقات « وصفة المفتي الخ : والمجتهد والمفتي واحد . وقال في شرح قوله « وليس للعالم ان يقلد » اي المجتهد المطلق فانه المراد من العالم كالمفتي حيث اطلق في الاصول وقال ايضا في شرح قول المحلي : والمفتي هو المجتهد : يحتمل ارادة اتحادها مفهوماً وارادة اتحادها ماصداً ولعل الثاني اقرب انتهى

وقال السبكي في جمع الجوامع والمجتهد الفقيه : قال المحلي : كما قال فيما تقدم نقله عنه في اوائل الكتاب : والفقيه المجتهد لان كلا منهما يصدق على ما يصدق عليه الآخر : قال العطار اي فهو ليس من قبيل التعريف وانما هو من قبيل بيان الماصدق فتساوى الافراد واختلف المفهوم

وفي فتح القدير لابن الهمام : قد استقر رأي الاصوليين على ان المفتي هو المجتهد فاما غير المجتهد ممن يحفظ اقوال المجتهد فليس بمفت والواجب عليه اذا سئل ان يذكر قول المجتهد على وجه الحكاية فعرف ان ما يكون في زماننا من فتوى الموجودين ليس بفتوى بل هو نقل كلام المفتي ليأخذ به المستفتي وطريق نقله لذلك عن المجتهد احـد امرين اما ان يكون له فيه سند اليه او يأخذه عن كتاب معروف تداولته الابد في نحو كتب محمد بن الحسن ونحوها لانه بمنزلة الخبر المتواتر او المشهور .

(ما اشترطه الاصوليون في المفتي)

قال الامام الصيرفي : موضوع هذا الاسم يعني المفتي لمن قام للناس بامر دينهم وعلم جمل عموم القرآن وخصوصه وناسخه ومنسوخه وكذلك السنن والاستنباط ولم يوضع لمن علم مسألة وادرك حقيقتها فن بلغ هذه المرتبة سموه بهذا الاسم ومن استحقه افني فيما استفتي

وقال ابن السمعاني : المفتي من استكمل فيه ثلاث شرائط الاجتهاد والعدالة والكف عن الترخيص والتساهل^(١)

وقال الامام الشاطبي^(١) المفتي البالغ ذروة الدرجة هو الذي يجعل الناس على المجهود الوسط فيما يليق بالجمهور فلا يذهب بهم مذهب الشدة ولا يميل بهم الى طرف الانحلال والدليل على هذا انه الصراط المستقيم الذي جاءت به الشريعة ومقصد الشارع من المكلف الحمل على التوسط من غير افراط ولا تفريط فاذا خرج عن ذلك في المستفتين خرج عن قصد الشارع ولذلك كان ماخرج عن المذهب الوسط مذموماً عند العلماء الراشدين وايضاً فان هذا المذهب كان المفهوم من شأن رسول الله صلى الله عليه وسلم واصحابه الاكرمين وقد رد عليه السلام التبتل وقال لمعاذ لما اطال بالناس في الصلاة : افتان انت يا معاذ : وقال : ان منكم منفريين . وقال : عليكم من العمل ما تطيقون فان الله لا يمل حتى تموتوا . وقال احب العمل الى الله ما دام عليه صاحب . وان قل ورد عليهم الوصال . وكثير من هذا وايضاً فان الخروج الى الاطراف خارج عن العدل ولا تقوم به مصلحة الخلق اما في طرف التشديد فانه مهلكة واما في طرف الانحلال فكذلك ايضاً لان المستفتي اذا ذهب به مذهب العنت والخرج بغض اليه الدين وادى الى الانقطاع عن سلوك طريق الآخرة وهو مشاهد واما اذا ذهب به مذهب الانحلال كان مظنة للمشي مع الهوى والشهوة والشرع انما جاء بالنهي عن الهوى واتباع الهوى مهلك والادلة كثيرة

فعلى هذا يكون الميل الى الرخص في الفتيا باطلاق مضاداً للمشي على التوسط كما ان الميل الى التشديد مضاد له ايضاً وربما فهم بعض الناس ان ترك الترخص تشديد فلا يجعل بينهما وسطاً وهذا غلط والوسط هو معظم الشريعة وام الكتاب ومن تأمل موارد الاحكام بالاستقراء التام عرف ذلك واكثر من هذا شأنه من اهل الانشاء الى العلم يتعلق بالخلاف الوارد في المسائل العلمية بحيث يتجرى الفتوى بالقول الذي يوافق هوى المستفتي بناءً منه على ان الفتوى بالقول المخالف لهواه تشديد عليه وخرج في حقه وان الخلاف انما كان رحمة لهذا المعنى وليس بين التشديد والتخفيف واسطة وهذا قلب للمعنى المقصود في الشريعة فان اتباع الهوى ليس من المشتقات التي يترخص بسببها وان الخلاف انما هو رحمة من جهة اخرى وان الشريعة حمل على التوسط لاعلى مطلق التخفيف — والا لزم ارتفاع مطلق التكليف من حيث هو خرج ومخالف للهوى ولا على مطلق التشديد فليأخذ الموفق في هذا الموضع حذره فانه منزلة قدم على وضوح الامر فيه انتهى

وقال الامام ابو اسحق السيرازي في الملع^(١) في باب صفة المفتي والمستفتي وينبغي ان يكون انفي عارفاً بطرق الاحكام وهي الكتاب والذي يجب ان يعرف من ذلك ما يتعلق بذكر الاحكام والحلال والحرام دون ما فيه من التخصص والامثال والمواضع والاختلاف ويحيط بالسنن المروية عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في بيان الاحكام ويعرف الطرق التي يعرف بها ما يحتاج اليه من الكتاب والسنة من احكام الخطاب وموارد الكلام ومصادره من الحقيقة والمجاز والعلم والخاص والمجمل والمفصل والمبني والمقيد والمنطوق والمفهوم ويعرف من اللغة والنحو ما يعرف به مراد الله تعالى ومراد رسوله صلى الله عليه وسلم في خطابهما ويعرف احكام افعال رسول الله صلى الله عليه وسلم وما تقتضيه ويعرف الناسخ من ذلك والمنسوخ واحكام النسخ وما يتعلق به ويعرف اجماع السلف وخلافهم ويعرف ما يعتد به من ذلك وما لا يعتد به ويعرف القياس والاجتهاد والاصول التي يجوز تعميلها وما لا يجوز والاصواف التي يجوز ان يعال بها وما لا يجوز وكيفية انتزاع العلل ويعرف ترتيب الادلة بعضها على بعض وتنديم الاولى منها ووجوه الترجيح ويجب ان يكون ثقة مأموناً لا يتساهل في امر الدين انتمى

وقال الامام النووي في مقدمة شرح المذهب : وينبغي ان يكون المفتي طاهر الورع مشهوراً بالديانة الظاهرة والصيانة الباهرة (ثم قال) : شرط المفتي كونه ثقة مأموناً منزهاً عن الفسق وخوارم المروءة فقيه النفس سليم الذهن رصين الفكر صحيح التذكار والاستنباط متيقظاً سواء فيه اجر والعبد والمرأة والاعمى والاخرس اذا كتب او فهمت اشارته

قال الشيخ ابو عمرو ابن الصلاح : وينبغي ان يكون كالراوي في انه لا يرثر فيه قرابة وعداوة وجرنفع ودفع ضرر ولأن المفتي في حكم مخبر عن الشرع بما لا اختصاص له بشخص فكان كالراوي لا كالشاهد وفتواه لا يرتبط بها الزام بخلاف حكم القاضي (قال) وذكر صاحب الحاوي ان انفي اذا نابذ في فتواه شخصاً معيناً صار خصماً معانداً فترد فتواه على من عاداه كما ترد شهادته عليه اذا وقعت انتهى

(فتوى الفاسق والمستور واهل الاهواء والخوارج)

قال الامام النووي في مقدمة شرح المذهب : نقل الخطيب البغدادي اجماع المسلمين

(١) من اهم كتب الاصول وقد طبع مع بعض تعليقاتنا عليه

عَلَى ان الفاسق لاتفصح فتواه (لغيره) وانه يجب عليه اذا وقعت له واقعة ان يعمل
باجتهاد نفسه

واما المستور وهو الذي ظاهره العدالة ولم تختبر عدالته باطنا ففيه وجهان احدهما
جواز فتواه لان العدالة الباطنة يعتبر معرفتها عَلَى غير القضاة والثاني لانتجوز كالأهادة
قال الصيرري : وتصح فتوى اهل الاهواء والخوارج ومن لا يكفر ببدعته
ولا بفسقه :

(بحث الفتوى للقاضي)

قال الامام النووي : والقاضي كغيره في جواز الفتيا بلا كراهة هذا هو الصحيح
وقيل له الفتوى في العبادات وما لا يتعلق بالقضاء وفي القضاء وجهان لاحدنا احدهما
الاجواز لانه اهل والثاني لا لانه مريض بتهمة وقال ابن المنذر تكره الفتوى في مسائل
الاحكام وقال شريح انا اقضي ولا افني :

(تقسيم المتأخرين المفتي الى مستقل وغير مستقل)

قال الامام النووي قال ابو عمرو — ابن الصلاح — المفتون قسمان مستقل وغيره
فالمستقل شرطه مع ما ذكرناه ان يكون نقيها بمعرفة ادلة الاحكام الشرعية من الكتاب
والسنة والاجماع والقياس وما التحق بها عَلَى التفصيل وقد فصلت في كتب الفقه ففسرت
وان يكون عالما بما يشترط في الادلة ووجوه دلالتها وبكيفية اقتباس الاحكام منها وهذا
مستفاد من اصول الفقه وعارفاً من علوم القرآن والحديث والناسخ والمنسوخ والنحو
واللغة والصرف واختلاف العلماء وانفاهم بالقدر الذي يتمكن منه من الوفاء بشروط
الادلة والاقتباس منها = ذا دربة وارتياض في استعمال ذلك = عالما بالفقه ضابطاً
لامهات مسائله وتفاريعه فمن جمع هذه الاوصاف فهو المفتي المطلق المستقل الذي يتأدى
به فرض الكفاية وهو المجتهد المطلق المستقل لانه يستقل بالادلة بغير تقليد وتقليد
بمذهب احد

قال ابو عمرو : وما شرطناه من حفظه لمسائل الفقه لم يشترط في كثير من الكتب
المشهورات لكونه ليس شرطاً لمنصب الاجتهاد لان الفقه ثمرته فيتأخر عنه وشرط الشيء
لا يتأخر عنه وشرطه الاستاذ ابو اسحق الاسفراييني وصاحبه ابو منصور البغدادي
وغيرهما واشترطه في المفتي الذي يتأدى به فرض الكفاية هو الصحيح وان لم يكن كذلك
في المجتهد المستقل .

ثم لا يشترط ان تكون جميع الاحكام على ذهنه بل يكفيه كونه حافظاً لمعظمها ممكناً من ادراك الباقي على قرب

وهل يشترط ان يعرف من الحساب ما يصحح به المسائل الحسابية الفقهية حتى ابو اسحق وابو منصور فيه خلافاً لاصحابنا والاصح اشتراطه .

ثم انما يشترط اجتماع العلوم المذكورة في مفت مطلق في جميع ابواب الشرع واما مفت في باب خاص كالمناسك والفرائض فيكفيه معرفة ذلك الباب كذا قطع به الغزالي وصاحبه ابن برهان (بفتح الباء) وغيرهما ومنهم من منعه مطلقاً واجازه ابن الصباغ في الفرائض خاصة والاصح جوازه مطلقاً

(القسم الثاني المفتي الذي ليس بمستقل) ومن دهرطويل عدم المفتي المستقل وصارت الفتوى الى المنتسبين الى ائمة المذاهب المتبعة ^(١)

ولمفتي المنتسب حالات « احدها » ان لا يكون مقلداً لآمائه لا في المذهب ولا في دليله لاصافه بصفة المستقل وانما ينسب اليه لسلوكه طريقه في الاجتهاد وادعى ابو اسحق هذه الصفة لاصحابنا وحكي عن اصحاب مالك واحمد وداود واكثر الحنفية انهم صاروا الى مذاهب انتمهم تقليداً لهم

والشيخ الذي ذهب اليه المحققون مذهب اليه اصحابنا وهو انهم صاروا الى مذهب الشافعي لاتقليده له بل لما وجدوا طريقه في الاجتهاد والقياس اسد الطرق ولم يمكن لهم بد من الاجتهاد سلكوا طريقته وطلوا معرفة الاحكام بما ربيق الشافعي « قال النووي » قلت هذا موافق لما امرهم به الشافعي ثم المزي في اول مختصره وغيره بقوله : مع اعلاميه نهيه عن تقليده وتقليد غيره

ثم فتوى المفتي في هذه الحالة كفتوى المستقل في العمل بها والاعتداد بها في الاجماع والخلاف

« الحالة الثانية » ان يكون محتهداً متلداً في مذهب امامه مستقلاً بتقرير اصوله بالدليل

« ١ » نقل العلامة السفاريني الحنبلي في بعض رسائله عن العلامة ابن حمدان انه قال : ان الاجتهاد المطلق الآن ايسر منه في الزمن الاول لان الحديث والفقه قد دوتا وكذا كل ما يتعلق بالاجتهاد من الآيات القرآنية والآثار النبوية واصول الفقه والقرية وغير ذلك لكن الهم قاصرة والرغبات فائرة ونار الخير والجد خامدة وعين الخشية والفكرة جامدة اكتفاء بالتقليد وخلوداً الى الراحة وعدم التسديد وبالله التوفيق اه

غير انه لا يتجاوز في ادائه اصول امامه وقواعده وشرطه كونه عالماً بالفقه واصوله وادلة الاحكام تفصيلاً — بصيراً بمسالك الاقيسة والمعاني — تام الارتيان في التخرج والاستنباط فيما بالخلاف ما ليس منصوصاً عليه لامامه باصوله « الى ان قال النووي » ثم ظاهر كلام الاصحاب ان من هذا حاله لا يتأدى به فرض الكفاية

ثم قد يستغل المقلد في مسألة او باب خاص كما تقدم وله ان يفتي فيما لانص فيه لامامه بما يخرج به على اصوله وهو الذي عليه العمل واليه يفرع المفتون من مدد طويلة ثم اذا فتي بتخرجه فالمستفتي مقلد لامامه لانه هكذا قطع به امام الحرمين في كتابه الغنياتي قال الشيخ ابو عمرو: ينبغي ان يخرج هذا على خلاف حكاية الشيخ ابو اسحق التيرازي وغيره ان ما يخرج به اصحابنا هل يجوز نسبته الى الشافعي رحمه الله والاصح انه لا ينسب اليه

ثم ذكر النووي بقية حالات المفتي المنتسب اضربنا عنها لقلة جدواها ولانها فرعت لزمان غير هذا الزمان

وقال العلامة الفناري في فصول البدائع في مسائل الفتاوى: يجوز الافتاء للمجتهد اتفاقاً ولحاكي قول مجتهد حي سمعته منه متافهة لان علياً رضي الله عنه اخذ بقول المقداد عن النبي عليه السلام في المذي ولذا يجوز للمرأة ان تعمل في حيضها بنقل زوجها عن المفتي

اما الافتاء — لحاكي قول ميت فمنعه الاكثرون اذ لا قول للميت لان افتاء الاجماع مع خلافه وانما صنف كتب الفقه لاستفادة طرق الاجتهاد من تصرفهم ومعرفة المتفق عليه والخلاف فيه قال في المحصول: والاصح عند المتأخرين جواز لوجهين «الاول» انعقاد الاجماع على جواز العمل بهذا النوع من الفتوى وله معنيان «١» ان احكام الشريعة الحمديدية باقية الى آخر الزمان لكونه خاتم النبيين وكل من المجتهدين يثبت الحكم على انه كذلك فهم وان اختلفوا في تعيين الحكم مجمعون ضمناً على بقاءه وجواز تقليد من بعدهم «٢» ان المجتهدين السابقين المختلفين اجمعوا صريحاً على ان من بعدهم اذا اضطروا الى تقليد الميت لعدم الاجتهاد جاز لهم ذلك «الثاني» اذا كان المجتهد الميت ثقة عالماً والحاكي عنه ثقة فاهماً معنى كلامه حصل عند العاصي ظن ان حكم الله تعالى ما حكامه والذين حجة حتى لو رجع الى كتابه موثوق به جاز ايضاً كذا في التحصيل

قال في فتاوى العصر في اصول الفقهاء لابي بكر الرازي رحمه الله فاما ما يوجد من

كلام رجل ومذهبه في كتاب معروف به قد تداولته النسخ يجوز لمن نظر فيه ان يقول قال فلان كذا وان لم يسمعه من احد نحو كتب محمد بن الحسن وموطأ مالك لان وجودها على هذا الوصف بمنزلة خبر المتواتر والاستفاضه لا يحتاج مثله الى اسناد

وتوفية الكلاب فيه ان انير المجتهد ان يفتي بمذهب مجتهد ان كان اهلاً لا ينظر والاستنباط مطلقاً على المأخذ في اقول امامه اي مجتهداً في ذلك المذهب ومعنى الافتاء الاستنباط بمتنقى قواعده لا الحكاية « وقيل » عند عدم المجتهد « وقيل » يجوز مطلقاً ومعنى الافتاء اعم من الاستنباط والحكاية وهو المنقول عن المحصول آنفاً « وقال » ابو الحسين لا يجوز مطلقاً « لنا » تكرر افتاء العلماء الغير المجتهدين في جميع الاعصار من غير انكار « للمجوز » انه ناقل فلا فرق فيه بين العالم وغيره كلاحاديث « قلنا » جواز النقل متفق عليه والنزاع فيما هو المعتاد من تخريجه على انه مذهب ابي حنيفة او الشافعي رحمه الله كذا في المختصر والفهوم من غيره ان سيف الحاكى عن الميت خلافاً « للمانع » لوجاز لجاز للعاجي لانهما في النقل سواء « قلنا » الدليل هو الاجماع وقد جوز للعالم دون العاجي والفارق علم المأخذ واهلية النظر

ثم عن اصحابنا سيف ذلك روايات ذكر في التجنيس سئل محمد بن الحسن رحمه الله : متى كان للرجل ان يفتي : قال اذا كان صوابه اكثر من خطاه « وقال » ظهير الدين التمرناشي رحمه الله : لا يجوز للفتي ان يفتي حتى يعلم من اين قلنا قلنا هل يحتاج الى هذا في زماننا ام يكفي حفظه قال يكفي الحفظ نقلنا عن الكتب المتحجة « وقال » نعم الائمة البخاري رحمه الله : الحفظ لا يكفي ولا بد من ذلك الشرط .

وفي عيون الفتاوى : قال عصام بن يوسف رحمه الله . كنت في مأتم قد اجتمع فيه اربعة من اصحاب ابي حنيفة زفر وابو يوسف وعافية وقاسم بن معن فاجمعوا على انه لا يلح لاحد ان يفتي بقولنا ما لم يعلم من اين قلنا اه كلام الفخاري

(حكم المقلد يفتي بما هو مقلد فيه)

قل النووي : « فان قيل » هل لمقلدان يفتي بما هو مقلد فيه « قلنا » قطع ابو عبد الله الحليجي وابو محمد الجويني وابو الحسن الروياني وغيرهم بتقريره وقال القفال المروزي يجوز : قال ابو عمرو قول من منعه معناه لا يذكره على صورة من يقوله من عند نفسه^(١) بل يضيفه الى امامه الذي قلده « قال » فعلى هذا من عدناه من المقتنين المقلدين

« ١ » في النفس شيء من هذا المعنى ويؤيده كلام صاحب الحاوي الآتي

ليسوا بمفتين حقيقة لكن قاموا مقامهم وادرا عنهم عدوا معهم وسبيلهم ان يقولوا مثلاً من مذهب الشافعي كذا ونحو هذا ومن ترك منهم الاضائة فهو اكتفاء بالمعوم من الحال عن التصريح ولا بأس بذلك

وذكر صاحب الحاوي في الكافي : اذا عرف حكم حادثة بني علي دليلها ثلاثة اوجه « احدها » يجوز ان يفتي به ويجوز تقليده لانه وصل الى علمه كوصول العالم « والثاني » يجوز ان كان دليلها كتاباً او سنة ولا يجوز ان كان غيرها « والثالث » لا يجوز مطلقاً وهو الاصح هذا ما قاله ائمة الشافعية وتقدم عن الفناري ما للحففة

(احكام المعين)

« الاول »

قال النووي : الافناء فرض كفاية فاذا استغنى وليس في الناحية غيره تعين عليه الجواب فان كان فيها غيره وحضر فالجواب في حقه فرض كفاية وان لم يحضر غيره فوجهان اصحهما لا يتعين والثاني يتعين وهما كالوجهين في مثله في الشهادة ولو سأل عابي عما لم يجب — لم يجب جوابه

« الثاني »

اذا افتى بشيء تم رجوع عنه فان اعلم المستفتي برجوعه ولم يكن عمل بالاول لم يجز الحل به وان كان عمل قبل رجوعه فان خالف دليلاً قاطعاً لزم المستفتي نقض عمله ذلك وان كان في محل اجتهاد لم يلزمه نقضه لان الاجتهاد لا ينقض بالاجتهاد وهذا التفصيل ذكره الصمري والخطيب وابو عمرو واتفقوا عليه ولا اعلم خلافاً وبلم يفتي اعلامه قبل العمل وكذا بعده حيث يجب النقض واذا عمل بفتواه في اتلاف فبان سطوءه وانه خالف القاطع فعن الاستاذ ابي اسحق انه يضمن ان كان اهلاً للفتوى ولا يضمن ان لم يكن اهلاً لان المستفتي قصر كذا حكاه الشيخ ابو عمرو وسكت عليه وهو مشكل وينبغي ان يخرج الصمان علي قولي الفرور المعروفين في باب الغصب والنكاح وغيرها او يقطع بعدم الضمان اذ ليس في الفتيا الزام ولا الجاء^(١)

(الثالث)

يحرم التساهل في الفتوى ومن عرف به حرم استفتاؤه فمن التساهل ان لا تثبت

(١) فرقوا بين الفتيا والقضاء فان الفتيا لا الزام فيها واما القضاء ففيه الزام ووجهه

ان المفتي مخبر عن الحكم والقاضي ملزم به

ويشروع بالفتوى قبل استيفاء حقها من النذر والفكر فان تقدمت معرفته بالمسئول عنها فلا بأس بالمبادرة وعلى هذا يحمل ما نقل عن الماضين من مبادرة ومن التساهل ان تحمله الاغراض الفاسدة على تتبع الحيل المحرمة او المكرومة طلباً للترخص لمن يروم نفعه او التخليط على من يريد ضرره واما من صنع قصده فاحتسب في طلب حيلة لاشبهة فيها ليخلص من ورطة يمين ونحوها فذلك حسن جميل عليه يحمل ما جاء عن السلف من نحو هذا كقول سفيان (انما العلم الرخصة من ثقة) واما التشديد فيحسنه كل احد ومن الحيل التي فيها شبهة ويذم فاعلها الحيلة في سد باب الطلاق

(الرابع)

ينبغي ان لا يفتي في حال تغير نطقه وشغل قلبه بما يمنعه التأمل كغضب وجوع وسجن وفرح غالب ونماس او ملل او حر من عجز او مرض مؤلم او مدانعة حدث وكل حال شغل فيه قلبه ويخرج عن حد الاعتدال فان افتى في بعض هذه الاحوال ونحو يرى انه لم يخرج عن الصواب جاز وان كان مخاطراً فيها

(الخامس)

الخيار للبصدي للفتوى ان ينبع بذلك ويجوز ان يأخذ عليه رزقا من بيت المال الا ان ينبغي عليه وله كفاية فيحرم على الصحيح
ثم ان كان له رزق لم يميز اخذ اجرة وان لم يكن له رزق فليس له اخذ اجرة من اعيان من يفتي على الاصح كالحاكم
واحتمل الشيخ ابو حاتم القزويني من اصحابنا فقال له ان يقول يلزمي ان افليك قولا ، واما كتابة الخط فلا فان استأجره بكتابة الخط جاز
قال التميمي : لو اتفق اهل البلد فجلوا له رزقا من اموالهم على ان ينفق لفتاويهم جاز

(واما المدية) فقال ابو المظفر السمعاني له قبولها بخلاف ما حكاه
قال ابو عمرو : ينبغي ان يحرم قبولها ان كانت رشوة على ان يقنيه بما يريد كما في الحاكم وسائر ما لا يقابل بعوض

قال الخطيب : وعلى الامام ان يفرض لمن نصب نفسه لتدريس الفقه والفتوى في الاحكام ما يغنيه عن الاحتراف ويكون ذلك من بيت المال ثم روى مسنده ان عمر بن الخطاب رضي الله عنه اعطى كل رجل من هذه صيفته مائة دينار في السنة

(السادس)

لا يجوز ان يفتي في الايمان والافرار ونحوهما بما يتعلق بالالفاظ الا ان يكون من اهل بلد الالفاظ او منزلاً منزلتهم في الخبرة بمرادهم من الفاظهم وعرفهم فيها انتهى كلام النووي . وهكذا نقل ابن فرحون في التبصرة عن القرافي انه ينبغي للفتي اذا ورد عليه مسنفت لا يعلم انه من اهل البلد الذي فيه المفتي ان لا يفتيه بما عادة . يفتي به حتى يسأله عن بلده وهل حدث لم عرف في ذلك اللفظ اللغوي ام لا وان كان اللفظ عرفياً فهل عرف ذلك البلد موافق لهذا البلد في عرفه ام لا وهذا امر متيقن واجب لا يخناف فيه العلماء وان العادتين متى كانتا في بلدين ليسا سواء ان حكمهما ليس سواء انما اختلف العلماء في العرف واللغة هل يقدم العرف على اللغة ام لا والصحيح تقديمه . لانه ناسخ والناسخ مقدم على المنسوخ اجاباً فكذا هنا انتهى

(السابع)

لا يجوز لمن كان فتواه نقلاً لمذهب امام اذا اعتمد الكتب ان يعتمد الا على كتاب موثوق بصحته وبانه مذهب ذلك الامام فان وثق بان اصل التصنيف بهذه الصفة لكن لم يلق هذه النسخة معتمدة فليستظهر نسخ منه متفقة (قال النووي) قلت : لا يجوز لفت اذا اعتمد النقل ان يكتبي بمصنف او مصنفين ونحوهما من كتب المتقدمين واكثر المتأخرين لكثرة الاختلاف بينهم في الجزم والتخريج

(الثامن)

اذا افتي في حادثة ثم حدث مثلاً فان ذكر الفتوى الاولى ودليلاً بالنسبة الى اصل الشرع ان كان مستقلاً او الى مذهبه منتسباً فتى بذلك بلا نظر وان ذكرها ولم يذكر دليلاً ولا طراً ما يوجب رجوعه فتيل له ان يفتي بذلك والاصح وجوب تجديد النظر ومثله القاضي اذا حكم بالاجتهاد ثم وقعت المسألة وكذا تجديد الطلب في التيمم والاجتهاد في القبلة وفيهما الوجهان

قال القاضي ابو الطيب في تعليته في آخرباب استنبال القبلة : وكذا العامي اذا وقعت له مسألة فسأل عنها ثم وقعت له فيلزمه السؤال ثانية — يعني على الاصح — الا ان تكون مسألة أكثر وتوعها ويشق عليه اعادة السؤال عنها فلا يلزم ذلك ويكفي السؤال الاول .

(التاسع)

ينبغي ان لا يقتصر على قوله في المسألة خلاف او قولان او بيان او رد ايهما ، ترجع الى رأي القاضي او نحو ذلك وهذا ليس بجواب متصور المستفتي بان ما يعمل به فينبغي ان يجزم له بما هو الراجح فان لم يعرفه ترقب حتى يظهر او يترك الفنيا كما كان جماعة من كبار اصحابنا يمدعون عن الافناء .

هذا ما نقله النووي في شرح المذهب

(آداب الفتوى)

(الاول)

قال النووي . يلزم المفتي ان يبين الجواب بياناً يزيل الالة كل ثم له الانتصار على الجواب شفاها فان لم يعرف لسان المستفتي كفاه ترجمة تامة واخذ لانه خبر وله الجواب كتابة وان كانت الكتابة على خطر وكان القاضي ابو حامد كثير الحرب من الفتوى في الرقاع

قال الصميري : وليس من الآداب كون السؤال بخط المفتي فاما بالمداد وتهدبه فواقع وكان الشيخ ابراهيم الشيرازي يكتب السؤال على ورق له ثم يكتب الجواب

واذا كان في الرقعة مسائل فلاحسن ترتيب الجواب الى ترتيب السؤال ولو ترك الترتيب فلا بأس

واذا كان في المسألة تفصيل لم يلمات الجواب فانه خذلاً ثم له ان ينفصل السائل ان حضر . يكتب السؤال في رقعة أخرى ثم يجيب وهذا أولى والله ان يقتصر على جواب احد الاقسام اذا علم انه الزايع للسائل ثم يقول هذا اذا كان الامر كذلك وله ان يفصل الاقسام في جوابه ويذكر حكماً ثم قسم لكن هذا كرهه ابن الحسن التائب من ائمة المالكية وغيره وقالوا : هذا نعلم لاننا في الجواب واذا لم يجد المفتي من سأله فصل الاقسام واجتهد في بيانها واستيعابها

(الثاني)

ليس له ان يكتب الجواب على ما عمله من صورة الرقعة اذا لم يكن في الرقعة ترش له بل يكتب جواب ما في الرقعة فان اراد جواب ما ليس فيها فليقل ان كان الامر

كذا وكذا فجوابه كذا واستحب العلماء ان يزيد نفي ما في الرقعة بما له تعلق بها مما يحتاج اليه السائل لحديث : هو الطهور ماؤه الحل ميتته :^(١)
(الثالث)

اذا كان المستفتي بعيد الفهم فليرفق به ويصبر كل تفهم سوءه وتفهيم جوابه فان ثوابه جزيل

(الرابع)

ليتأمل الرقعة تأملاً شافياً وآخرها أكد فان السؤال في آخرها وقد بتقيد الجميع بكلمة في آخرها ويغفل عنها

قال النعماني : وقال بعض العلماء ينبغي ان يكون توقف في المسألة السهلة كالصعبة ليعتاده وكان محمد بن الحسن يفعل

واذا وجد كلمة من جهة سؤال المستفتي عنها ونطبا رشكها وكذا ان وجد لها فاستأ او خطأ يحيل المعنى اصلحه وان رأى بياضاً في اثناء السطر او آخره خط عليه او شغله لانه ربما قصد المفتي بالزيادة فكذب في البياض ما يفسدها كما يلي به القاضي ابو حامد المرزوي^(٢)

« الخامس »

يستحب ان يقرأها على حائرها من هاهنا اهل لذلك ويشاورهم ويأخذ منهم رفق وانصاف وان كانوا دونه والامذته للاقتداء بالسلف ورجاء ظهور ما قد يخفى عليه الا ان يكون فيها ما يوجب ابداءه او يؤثر السائل كتمانها او في اشاعته مفيدة^(٣)

(١) اي فانه سئل عليه السلام عن ماء البحر فاجاب عنه وزاد حكم ميتته بجديته هذا

(٢) ما ذكره بذلك لي انه كانت الفتاوى تنوارد الى العلماء بخطوط المستفتين فلذا نبه من كتب في ادب الفتوى الى مثل ما ذكره كيلا يقع في محذور وان كانت الفتوى من عهد السلطان سليم صارت توجه الى عالم واحد الا انه لم يزل في ضراحي البلاد وبعض الاقاليم رجوع كثير من الناس الى فتاوى العلماء بدون تقيد بالمفتي الموظف فهذه الشروط والتوجيهات تفيد مثل اولئك حتى الان اهمه

(٣) ليتأمل التنبيه على المساورة في الفتوى والاستدلال بحال السلف على الشورى فيها وطرحها على انظار الرايحين بل ومن دونهم وليوازن بين هذا وما آت اليه من

(السادس)

ليكتب الجواب بخط واضح وسط لادقيق خاف ولا يليظ جانب ويتوسط في سطورها بين توسيعها وتضييقها وتكون عبارته واضحة صحيحة بفهمها العامة ولا يزدريها الخاصة واستحب بعضهم ان لا تختلف اقارمه وخطه خوفاً من التزوير ولثلا يشته خطه قال النيسيري : وفي ما وجد التزوير عن المفتي لان الله تعالى حرس امر الدين واذا كتب الجواب اعاد نظره فيه خوفاً من اخلال وقع فيه واخالف ببعض المسئول عنه

(السابع)

اذا كان هو المبتدئ فالعادة قديماً وحديثاً ان يكتب في الناحية اليسرى من الورقة قال النيسيري وغيره : وان كتب في وسط الرقعة او في حاشيتها فلا عيب عليه ولا يكتب فوق البسملة بحال وان يدعو اذا راد الاناء وجاء عن مكحول . اللهم صل على النبي صلى الله عليه وسلم وبقول من الشيطان ويسمي الله تعالى ويحمد ويصلي على النبي صلى الله عليه وسلم وليقل « رب اشرح لي صدري الآية » ونحو ذلك

قال النيسيري وعادة كثيرين ان يبدؤا فداء بهم : الجواب وبالله التوفيق . وحذف آخرون قال النووي : اختار قول ذلك مطلئاً واحده . يقول الحمد لله حمدت : كل امر ذي بال لا يبدأ فيه بالحمد لله فهو اجذم . وينبغي ان بقوله بلسانه ويكتبه قال النيسيري : ولا بدع ختم جوابه بقوله وبالله التوفيق او والله اعلم او والله الموفق (قال) ولا يفتح قوله : الجواب عندنا او الذي عندنا او الذي يقول به او نذهب اليه او نرا : كذا لانه من اهل ذلك (قال) واذا اغفل السائل الدعاء للمفتي او الصلاة على رسول الله صلى الله عليه وسلم في آخر الفتوى الحق المفتي ذلك بخطه فان العادة جارية به

قال النووي : واذا ختم الجواب بقوله والله اعلم ونحوه مما سبق فليكتب بعدد :

الاستئثار رأيي او الاستبداد بكتاب ولا حول ولا قوة الا بالله وقد نقل ابن عبد البر في كتاب جامع العلم عن المسيب بن رافع قال : كان اذا جاء النبي من القضاء ليس في الكتاب ولا في السنة يرفع الزمراء فجمع له اهل العلم فما اجتمع عليه رأيهم فهو الحق (ص ١٩٠)

كتبه فلان او فلان بن فلان الفلاني فينسب الى ما يعرف به من قبيلة او بلدة او صفة فان كان مشهوراً بالاسم او غيره فلا بأس بالاختصار عليه.

قال الصميري وينبغي اذا تعلق بالفتوى بالسلطان ان بدعو له فيقول : ولي ولي الامر والسلطان اصلحة الله ازسده وقوى الله عزيمه واحمل به او شد الله ازره ولا يتال اطل الله بقاءه فليست بالفتوى السلف

(قال الزوي) نزل ابو جعفر الخراساني عن ائمة العلماء في كراهة قول اطل الله بقاء وفي صحيح مسلم في حديث ام حبيبة رضي الله عنها اسارة الى ابنه الاولى ترك نحو هذا من الدعاء بطول البقاء واشباهه
(الثامن)

ليختصر جوابه ويؤن بجيث يفي به العامة قال . احب الخاوي . يقول يجوز او لا يجوز اذ حق ارباطل وسكى شيخه الصميري عن شيخه الزاوي ابي حامد انه كان يختصر ناية ما يمكنه واستغنى في مسألة آخرها يجوز ام لا فكتب لا وبالله التوفيق انتهى

قلت استجاب الاختصار ليس آلي الملائمة بل هو في امر جللي لا حاجة الى الانتداب فيه او في جواب اهائي رهوما تغلب فيه الفتاوي راما الفتاوي في المسائل المهمة فلا يستكثر فيها مجلد الا ان التمت هنا ليس في امنائنا
(التاسع)

قال الصميري والحايب : اذا سئل عن قال : نا اصدق من محمد بن عبد الله او الصلاة لعب وشبه ذلك : فلا يادر بقوله : هذا حلال الدم او عليه القتل بل يقول ان صح هذا باتراراه او بالينة استنابه السلطان فان تاب قبلت توبته وان لم يتب فعل به كذا وكذا وبالغ في ذلك راسبه

(قال) وان تكلم بشي' يحتمل وينوها يكفر ببعضه دون بعض قال يسأل هذا القائل فان قال : اردت كذا فالجواب كذا

(العاشر)

ينبغي اذا ضاق موضع الجواب ان لا يكتبه في رقعة أخرى خوفاً من الحيلة ولهذا قالوا يصل جوابه بآخر سطر ولا بدع فرجة لئلا يزيد السائل شيئاً يفسدها واذا كان موضع الجواب ورقة ملصقة كتب علي الاصاق

(الحادي عشر)

إذا ظهر للفتي أن الجواب خلاف غرض المستفتي وانه لا يرضى بكتابته في ورقته فليقتصر على مشافهته بالجواب

وليجذر أن يميل في فتواه مع المستفتي أو خصمه ووجوه الميل كثيرة لا تحصى ومنها أن يكتب في جوابه ما هو له ويترك ما هو عليه

وليس له أن يبدأ في مسائل الدعوى والبيّنات بوجوه الخالص منها وإذا سأله أحدهم وقال: بای شيء بندفع كذا وكذا لم يجبه كيلا يتوصل بذلك الى ابطال حتى^(١) وله

أن يسأله عن حاله فيما ادعى عليه فإذا شرّحه له عرفه بما فيه من دافع وغير دافع (قال الصميري): وبذبحي للفتي إذا رأى للسائل طريقاً يرشده اليه أو يذبحه عليه:

يعني ما لم يضر غيره ضرراً بنير حق (قال) كمن حلف لا يتفق على زوجته شهراً يقول تعطيها من صداقها أو قرضا أو يبعثها أو يكرها أو كما حكى الرجل قال لا بي حنيفه رحمه

الله: حلفت اني اطأ امرأتي في شهر رمضان ولا اكفر ولا اعصي: فقال: سافرها: (الثاني عشر)

قال الصميري: إذا رأى المفتي المصلحة أن يفتي العامي بما فيه تليظ وهو مما لا يعتقد ظاهره وله فيه تأويل جاز ذلك زجراً له ولا مثاله من قل دينه ومروته

(الثالث عشر)

يجب على المفتي عند اجتماع الوقائع بمحضته أن يقدم الاسبق فالاسبق كما يفعله القاضي في الخصوم^(٢) وهذا فيما يجب فيه الافشاء فان تساوا أو جهل الساب قدم بالقرعة

والصحيح انه يجوز تقديم المرأة والمسافر الذي شد رحله وفي تأخير ضرر بتخلفه عن رفقه ونحو ذلك على من سبقهما الا اذا كثر المسافرون والنساء بحيث يلحق غيرهم بتقديمهم

ضرر كثير فيعود الى التقديم بالسبق او القرعة

(١) ليعتبر بذلك بعض المحامين وامانة الفتوى وكتاب المحاكم الذين يلقنون الخالص بأجر أو بغير اجر وليذكروا ما أخذ عليهم في ميثاق الايمان من النصيحة للخلق والقول

بالحق والقيام بالقسط والشهادة بالعدل اه منه

(٢) هذا الادب من اهم ما يجب العناية به لاسيما على القاضي وارى للقاضي وقت حضوره لسماع الدعاوي ان يقف على بابه حاجباً يدخل عليه مدعياً بعد آخر وفي ذلك

بله الترتيب وانتظام امر مجلسه وراحة البال قيامه بما يجب من سماع الدعوى باصفاء تام

(الرابع عشر)

قال الصميري وابو عمرو: اذا سئل عن ميراث فليست العادة ان يشترط في الورثة عدم الرق والكفر والقتل وغيرها من موانع الميراث بل المطلق محمول على ذلك بخلاف ما اذا اطلق الاخوة والاخوات والاعمام فلا بد ان يتواءم في الاخوات من اب وام او من اب او من ام

واذا كان في المذكورين في رقعة الاستفتاء من لا يرث افسح بقتوله يقال: وسقط فلان وان كان سقوله في حال دون حال قال وسقط فلان في هذه الصورة او نحو ذلك لئلا يتوهم انه لا يرث بحال

قال الصميري وغيره: وحسن ان يقول: نقسم التركة بعد اخراج ما يجب لننديه من دين او وصية ان كانا

(الخامس عشر)

اذا رأى المفتي في رقعة الاستفتاء خطأ غيره ممن هو اهل للفتوى ^(١) وخلاه فيها صحيح موافق لما عنده قال الخطيب وغيره: كتب تحت خطه «هذا جواب صحيح وبه اقول» او يكتب «جوابي مثل هذا» وان شاء ذكر الحكم بعارة الخص من عبارة الذي كتب وما اذارأى فيها خطأ من ليس اهلا للفتوى فقال الصميري: لا يفتي معه لان في ذلك تقرير المنكر بل يضرب على ذلك ^(٢) بامر صاحب الرقعة وله انتهاز السائل وزجره وتعريفه فبح ما اتاه وانه كان واجبا عليه البحث عن اهل الفتوى وطلب من هو اهل لذلك ^(٣) (قال) والاولى في هذا الموضع ان يشار على صاحبها بابد الها فان ابى ذلك احابه شفاها (قال ابو عمرو) اذا حاف فئة من الضرب على فتيا العاد الاهلية

وسكون المجلس مما يشوش عليه في شأنها وتفرغ قلبه للقضاء فيها وتوحد وجهه اليها واما ما عليه الآن من دخول مدع باثر آخر بعتب سائل وتزامم المدعين والكتاب فذاك مما يجب التفكير باصلاحه وارى ايضا ان يعلن القاضي عدم قبول الزيارة لاحد ما كائنا من كان وقت جلوسه للحكم والقضاء وعسى ان يتفكر في ذلك ان شاء الله اه منه

(١) اي على القاعدة القديمة من توارد العلماء شيوخهم على فتوى واحدة قبل احتكارها بفرد في القرون الاخيرة اه منه

(٢) اي يعلم بالقلم عليه بخط مستأيل اشارة الى عدم صحته اه منه

(٣) سياأتي بيان ذلك مفصلا في آداب المستفتي اه منه

ولم تكن خطأ عدل إلى الامتناع من الفتيا معه فان غلبت فتاويه لثقله على منصبها بجاه او تلبس او غير ذلك بحيث صار امتناع الامل من الفتيا ضاراً بالمستفتي فليفت فان ذلك اهلون الضررين وليتلف مع ذلك في اشهار قصوره لمن يجمله

اما اذا وجد فتيا من اهل وهي خطأ مطلقا لمخالفتها القاطع او خطأ على مذهب من يفتي ذلك المفتي على مذهبه قطعاً فلا يجوز له الامتناع من الفتيا تاركاً للتنبيه على خطاها اذا لم يلق ذلك غيره بل عليه التمسك عليها عند تدبيره والابدال او تقطيع الرقعة باذن صاحبها او نحو ذلك واذا تعذر ذلك وما يتوهم قتله كتب صواب جوابه عند ذلك الخطاء ثم ان كان الخطي اهلًا للفتيا فحسن ان يعاد اليه باذن صاحبها اما اذا وجد فيها فتيا اهل الفتوى وهي على خلاف ما يراه هو غير انه لا يتطعم بخطاها فليقتصر على جواب نفسه ولا يتعرض لفتيا غيره بخطئة ولا اعراض قال صاحب الحاوي : لا يوغى ملفت اذا استفتي ان يتعرض لجواب غيره رد ولا تحطئة ويحجب بما عنده من موافقة او مخالفة^(١)

(السادس عشر)

اذا لم يفهم المفتي السؤال اصلاً ولم يحضر صاحب الواقعة قال الصميري كتب : يزداد في الشرح للنجيب عنه او لم افهم ما فيها فاجيب (قال) وقال بعضهم لا يكتب شيئاً اصلاً (قال) ورأيت بعضهم كتب في هذا يحضر السائل لخطابه شفاها . قال الخطيب : ينبغي له اذا لم يفهم الجواب ان يرشد المستفتي الى مفت آخر ان كان والا فليمسك حتى يعلم الجواب .

قال الصميري : واذا كان في رقعة الاستفتاء مسائل فهم بعضها دون بعض او فهمها كلها ولم يرد الجواب في بعضها او احتاج في بعضها الى تأمل او مطالعة اجاب عما اراد وسكت عن الباقي

(السابع عشر)

ليس بتكر ان يذكر المفتي في فتواه الحجة اذا كانت نصاً واضحاً قال الصميري : لا يذكر الحجة ان افتي عامياً ويذكرها ان افتي فقيهاً (قال) ولم تجر العادة ان يذكر

(١) ليتأمل اللبيب كلام الامام النووي هذا المأثور عن هؤلاء الاعلام وكيف لم يسوغوا لمن كان من اهل الفتوى ورجاها ان يتعرض لفتوى غيره وواجبوا ان يحجب بما عنده ولينظر من يشغل على فتاوي الاعلام يرد او تحطئة ويثبت وبين مقامهما بعد الثريا عن الثرى وليعتبر وليستعبر اه منه

في فتواه طريق الاجتهاد ووجه القياس والاستدلال^(١) الا ان يتعلق الفتوى بقضاء قاض فيومي فيها الى طريق الاجتهاد ويلوح بالكتمة وكذا اذا افنى غيره فيها بلفظ فيفعل ذلك او ينه على ماذهب اليه

وقد يحتاج المفتي في بعض الوقائع الى ان يشدد ويبالغ فيقول : وهذا اجماع المسلمين او لا اعلم في هذا خلافا او فن خالف هذا فتد خالف الواجب وعدل عن الصواب او فقد اثم وفسق او ولى الامر ان يأخذ بهذا ولا يهمل الامر وما اشبه هذه الالفاظ على حسب ما تقتضيه المصلحة وبوجه الحال
(الثامن عشر)

قال الشيخ ابو عمرو : ليس له اذا استفتي في شيء من المسائل الكلامية ان يفتي بالتفصيل بل يمنع مستفتيه وسائر العامة من الخوض في ذلك فان كانت المسألة مما يؤمن في تفصيل جوابها من ضرر الخوض^(٢) كان الجواب تفصيلا وعلى هذا ونحوه يحمل ما جاء عن بعض السلف من الفتوى في بعض المسائل الكلامية وذكر امام الحرمين في كتابه الغياثي ان الامام يحرص ما امكنه على جمع عامة الخلق على سلوك سبيل السلف في ذلك^(٣) (للبحث صلة) جمال الدين القاسمي

- (١) يعني الفتاوى الموجزة لعامي او من لا يرغب الا في الحكم وحده واما الفتاوى التي طلب فيها الاسهاب في ذلك فليس الكلام فيها كما بيناه قبل اه منه
(٢) كأن كانت لتحقيق حق او فصل خلاف او اراد المستفتي الوقوف على اطراف المسألة وماذهب اليها ارباب المقالات فلا مانع من التفصيل بل هو من اهم مايجب لتحيص الحق كما فعل شيخ الاسلام ابن تيمية في فتاويه من بسطه المقال في ذلك وكذلك غيره ممن توسع في ذلك من ائمة الفتوى والاجتهاد اه منه
(٣) اسهب حجة الاسلام الغزالي في ابثار مذهب السلف والدعوة اليه في كتابه الجلام العوام عن علم الكلام وكذا الامام الذهبي في كتابه العلو وقبله شيخه شمس الدين ابن القيم في كتابه اجتماع الجيوش الاسلامية على حرب المعطلة والجهمية وكلها مطبوعة مندولة بحمده تعالى اه منه

في ارض الجليل

نقطة ماورد في الجزء الاول

جبلان في هذا الصقع بقدمهما المسيحيون لما لما من الشأن في تاريخ الدين وهما من اجل الجبال يبعثان النفوس الى عبادة الخالق الى وتوحيده ونعني بهما جبل الطور وجبل الكرمل . فالاول على مقربة من الناصرة قائم في الجو وسط سهل يزرعيل يعلو ٤٠٠ خمسمائة مترو يعلو عن سطح البحر ٦٠٢ مترين وهو جميل المنظر ومحله عجيب في انبائه وروائه وتجده في مخدراته شجر السديان والخروب والبطم والمصطكي وغير ذلك . وقد ذكر بعض سياح الافرنج الذين زاروا هذه الديار في القرن التاسع للميلاد انه كان يصعد الى قمة الجبل من سلم طوله ٤٣٤٠ درجة والطريق الى القمة يدل على ذلك ومسطح الفتنة ١٢٠٠ متر طولاً و ٤٠٠ متر عرضاً وفي احد سفوح الجبل آثار مدينة عبرانية قديمة تسمى الدبورة او ابو عمود وكانت مظلة على الوادي الذي كان طريق الزوار والجيوش المصرية قديماً فوقعه من احسن المواقع الحربية وفي سفح جبل تابور وفي سنة ٥٣ م حدثت ملحمة كبرى بين اسكندر بن اريستوبول وازليسوس كابينوس احد قواد بومينوس الامبراطور الروماني وبعد قرن عند ما انتفض اليهود على الرومانيين احدث يوسفوس قلعة على قمة الجبل وكذلك فعل المسلمون في القرن الثالث عشر للميلاد فاقاموا حصناً منيعاً تجدد اليوم بعض آثاره وتند تقاسم الروم واللاتين لعهدها سطح الجبل وجبلوه ادياراً .

كان جبل الطور ذا شأن عظيم على عهد الصليبيين لاسرافه على بلاد الأردن . قال ياقوت : والطور جبل بعينه مطلق على طهيرة الأردن بينهما اربعة فراسخ على رأسه بيعة واسعة محكمة البناء موشة الارحاء يجتمع في كل عام بحضرتها سوق ثم بنى هنالك الملك المعظم عيسى بن الملك العادل ابي بكر بن ايوب قلعة حصينة وانفق عليها الاموال الجمة واحكمها غاية الاحكام فلما كان في سنة ٦١٥ هـ وخرج الافرنج من وراء البحر طالبين للبيت المقدس امر بجربها حتى تركها كأمير الدابر .

وبقول مؤرخو الصليبيين ان الذين خرجوا من وراء البحر من الافرنج طالبين للقدس سنة ١٢١٢ م كانوا اندراوس الثاني صاحب البحر وليفوبولد دوق النمسا وغلبيوم

كونت فلاندر ولس الباناري، ويوحنا دي بريان ملك القدس وهوج دي لوزنيان صاحب قبرص جاءوا في خمسة عشر الفا من رجالهم وحبّلوا مرتين فتح قلعة الحار فارتدوا عنها خائبين فرأى الملك العادل قذلاً لا ليماعهم وحرصاً على السلام ان يدك ذاك الحصن بعد خمس سنين من بناءه وفي سنة ١٢٦٣ جاء الظاهر بيبرس اليه بقداري من مصر في جيش ضخم وعسكر في مندر جبل الطور وخرب فيما قيل الا ما كن المدينة التي كانت فيه وجعل الميم اسما لها وفي سنة ١٦٣١ نال اتصال دوقية طوسكانيا في صيدا من الامير نجر الدين المنجي رغبة تميز لرغبة الاخرات الناصرين ان يقيموا في جبل الطور ومنذ ذاك العهد اصبح هذا الجليل معاهد للعبادة والنسك

هذه لمعة من تاريخ الطور ويتصل له جبل القيلي كما يقال له جبل تاور . اما الكرمل فيه ايضا من الحصون المهمة قال ياقوت : كرمل بالكسر ثم السكون وكسر الميم ولام هو حصن على الجبل الشرف . حيفا بسواحل بحر الشام وكان قديماً في الاسلام يعرف بمسجد سعد الدولة . ولذا يغلط الناس اليه في فتحهم كاف الكرمل والتصحیح كـ . ره ما هذا الجبل اطول من الطور يمتد من الشمال الغربي الى الجنوب الغربي على ناول ٣٤ كيلومتراً ويمتلك عرضه من ٥ الى ٨ كيلومترات ولا يبلغ علوه في الشمال الغربي اكثر من ثلاثة امتار على سطحه يبلغ في الوسط ٥٤٠ متراً وهو مشرف على البحر من جهة وتلى سهل من سهل الفسيح من جهة أخرى

ومعنى كرمل بالعبرانية الخديقة ورد ذكره في التوراة اشارة الى الجمال والخصب وهو من اشهر الجبال غربي الأردن يثدي من رأس قرب حيفا وينتهي بوادي الملح متابلاً بعام طوله نحو ١٢ ميلاً واطلى رؤوسه عند عسفيانحو ١٧٢٩ وعرف هذا الجبل بمجل النبي الياس لانه اقام فيه وكان الكرمل في كل عصر موطن التفكير والزوف عن الدنيا وذلك في ايام الوثنية والنصرانية حتى ان الفيلسوف فيثاغورس اليوناني كثيراً ما كان يذهب للتدين والتفكير في الكرمل المقدس وفي عهد دارا بن يستاسب ملك الفرس (٥٢١ - ٤٨٥ ق م) كان يعبد في الكرمل كوكب المشتري وقال بعض مؤرخي الرومان ان الكرمل نفد كان يعبد فلم يكن فيه معبد ولا هيكل بل ليس فيه الا مذبح وعباد يتعبدون وكان في النصرانية معبداً لرجلها حتى نشأت في القرون الوسطى فيه رهبنة الكرمليين المشهورة في المشرق والمغرب وهو اليوم مقسم بين

اهل المذاهب المختلفة من المسيحيين اقاموا فيه الاديار ونسروه بانواع الاشجار واستعملوا به حتى لا يبلرغه المارق الا يجعل او اذن وهو مطل بئى حيفا وعكا ناظر الى بلاد الجليل ولا سيما سهل يزرييل او مرج ان عامر المعروف في التوراة ببقعة مجدو وبقعة مجدون ووادي يزرييل وهو "مرج" واسع واقع بين جبال الجليل وجبال الناصرة طوله من الشرق الى الغرب ٢٤ ميلا وعرضه من ميلين الى ١٢ ميلا وهو مثلث الشكل وقاعدة هذا المثلث ضلعه الشرقي وهو خط يمتد من جبل جلبوع والذي وتابور الى جبال الجليل او الناصرة ومن هذه القاعدة يتفرع ثلاثة فروع نحو الشرق فرع بين جلبوع واللاجي وفرع بين الدحي وتابور وهو الاخصب والاشهر فرع بين تابور وجبال الناصرة وعند هذه القاعدة ترتفع الارض فيتحول مجرى الماء الى الشرق والغرب وبشق هذا السهل من الشرق الى الغرب نهر تقيشون المسمى الآن المقطع ومع كل ما هو عليه من الاهمال الآن لا يزال هذا السهل في غاية الخصب وكان اعظم ساحة حرب في هذه البلاد .

نعم ان العناية بهذا السهل قليلة لان اصحابه اغنياء كانوا ابتاعوه فيما بلغنا بحيلة ورشوة وذلك ان قراء كانت لاناس من الفلاحين ضعاف ارادت الحكومة منذ نحو اربعين سنة ان تسجل قراهم لتتقاضى منها ضرائب وكان الفلاح يرتعش من سماع الضرائب ويحاف ان يعرف بانه مالك ارض فابوا ان يسجلوها باسمائهم تفاديا من الظلم الذي كان يبال الفلاح يرمنذ فازرع والى سورية اذ ذاك ان يبيع تلك القرى او سهل يزرييل يرهنه باعتباره من الاراضي الاميرية المحولة فما كان من اولئك الاغنياء الا ان احنالوا لباع كلها صفقة واحدة وثم ثمان عشرة قرية لا يقطعها الفارس في اقل من ثمان ساعات طولا وذلك حتى لا يتيسر لاحد الاهالي ان يشربها فرشرا الرالي فيما قيل بثلاثة آلاف ليرة وابتاعوها باقل من خمسة عشر الف ليرة ولسوا يلبون باليسر مع الوالي في دارهم ولم يمض الهزيعان الاولان من الليل الا وقد خرج الرالي كما دخل صفر اليدين من المال الذي ناله من طريق الرشوة فاضر بالامانة والدولة بما لان اولئك الاغنياء محسروه في القمار ليلا ما كان ناله منهم رشوة في النهار . وهكذا حرم اصحاب هذه القرى الحقيقيون منها يجبرهم وسوء ادارة الحكومة اذ ذاك وتشبهوا في البلاد وبعينهم استخدموا اجراء في قرى الاغنياء وكانوا من قبل في نعمة ولكن من بأخذ البلاد

بغير حرب يهون عليه تسليمها فان اولئك المالكين زهدوا فيما ملكوا لانهم بعيدون عنها والارض لمن يقوم على تعهدها فهو مالكيها الحقيقي لامن يكنفي من ربهما بما حصل . فاباع بعض اولاد اولئك الاغنياء ما ورثوه من آباءهم واكثرها انتقلت الى ايدي الجمعية الصهيونية وبوسك ان يباع ما بقي ولكن بمئات الالوف من الليرات لارتفاع الاسعار ولان الصيونييين آوآ على انفسهم ان يملكوا فلسطين وارض الميعاد . وبذلوا فيها مهما كلفتهم

ولابأس هنا من الاشارة الى الجمعيات الاسرائيلية وما ترمي اليه من المقاصد فهي عدة جمعيات منها جمعية احباء فلسطين وهي منتشرة في عامة الاطراف ومنها تفرع جمعية معاونة فلاحى اليهود وصناعهم في فلسطين وسورية وهذه الجمعية ردية ولها تبين الجمعيتين فروع كثيرة في القدس ويافا واعمالها وحيفا واعمالها وصفد وبلاد بشارة وحوران وعبر الأردن وبتذر الحبيرون عدد افرادها بمئة وخمسين الف نسمة يزيد عددهم كثيراً بما ينضم اليهم كل شهر من اخوانهم الاوربيين الذين يرحلون بدينهم من اوربا الى الارض المقدسة . وعدا هاتين الجمعيتين فان للامريائيين اناساً من مشهوري اغنيائهم مثل روتشيلد وبرك وفليرو وفتيفوري وغيرهم ممن ابتاعوا الاراضي لانباء نحتهم وامدوهم بالمال ليتوفروا على استثمارها على نحو ما تشاهد في زمارين مما يدل بلسان حاله ان الصيونييين سيعيدون مجد آباءهم في فلسطين ويستولون ثايلها وهالك ما قوله العارفون بهذه المسألة التي يهتم لها كل من يعرف تاريخ السياسة ويغار على مصلحة البلاد فتد قال احدهم ^(١) ان آمال اليهود في استرداد فلسطين بلاد آباءهم واجدادهم واعادة مجدهم وملكهم اليها قديم يعود الى عهد الرومان وتوآيده حروبهم العديدة مع المملكة الرومانية وفي كل واةة منها في حروب اليهود ليوسيفوس آيات بينات على ذلك ولكن هذه الآمال غاضت بعد ان شتمهم في الارض ادرينانوس في القرن الثاني بعد المسيح وفرق جامعتهم وابعدهم عن صهيون او اورشليم او القدس عاصمة مملكتهم القديمة ومدينة هيكلهم العظيم واكنسها المابث ان ظهرت في صورة التني في عهد قسطنطين الذي اذن لم بالدنو مرة في السنة من اسوار بيت المقدس ليندبوا مجدهم الزائل وما زالوا الى يومنا هذا يدنون من حائل الحرم الشريف الخارجى المسعى بالبراق ويتذكرون مجد ملوكهم وظمة هيكلهم ومدينتهم ويطلبون من الله ان يعيد ما خسروه

ولكن رسال الخة منهم لم يفوا عهد حد اتني تأنف الدكتور هارنيل الجمعية الصهيونية التي جعلها عمها الوحيد جيم المال وتوحيد كثة اليهود على اختلاف اناتهم وبلدانهم وحتهم في بلد واحد ابن يحنونه اعظم نحصر بحيث لا يستطيع احد مهاجرتهم وفاوض الدكتور المذكور حكومة عدل في ذلك لما ينجح فهدت الجمعية الصهيونية الى الايك بالاستعمار التي ريجي كبا عمال الى جمعية الانجناد الاسرائيلي (اليانس اسرائيليات) بالمهذيب والتعليم رقيت تعمل على جمع المال وتوحيد كلمة اليهود واقناع رجال الحكومة الدستورية بكون مقاصدها

نعم ان الخية " الصهيونية اليهودية ورفضها لجمعيات ايكا وفاعوليه اليانس وغيرها ساعيات في اسرار دايع فلسطين الى وعدتهم بهار بهم في الانحاح الثاني والثلاثين من ارميا من الكتاب النقدس الباحث عن اسر بابل لليهود والذاكر وعد لرب رجوعهم الى فلسطين بتوله في آخرة :

« يشترىون الحقول بفضة ويكتبون ذلك في صكوك ويختمون و يشهدون شهوداً في ارض بنيان و يرو الى اورشليم وفي مدن يهودا و مدن الجبل و مدن السهل مدن الجنوب لاني ارد سبيهم يقول لرب اء » وذلك بعد ما سبهم حكومة الكلدان على انهم لم يستطيعوا البقاء من بعد ذلك لانهم اصبحوا محل النزاع بر حكومة الرومان في مصر وحكومة الرومان في اطاكية ثم انزرو ولم يبق لهم ملك ولا دولة والآت عملاً بهذه الآية تسرون الاراضي في فلسطين الى حداب الفضة و تسردون البيع الى ان يكون اثنين فضة ويكتبون الصكوك و يهدون وهكذا تراهم لا يفترون طرفة عين وهم يجسسون الاحبار من الدين تأخرت الماتية من اهل هذه البلاد وهي عبارة عن لواء عكاه باجمه رولراء القدس ولواء نابلس وقسم من لواء الكرك وبعض من قضاء عجلون ويسلمون البائع باثن الفاحش ويكتبون الصكوك ويشهدون عليها ويسجلونها عند محرر المتاولات وعد بعض التصيليات وكانت الحكومة قبلاً منعت استعمارهم ولكن بما بذلوا من لدنايد التي تسخر الباب الخائنين من الحكام ولما يتخدمين استطاعوا ان يستولوا على ثلاثة ارباع قضاء طبرية و نصف قضاء صفد واكثر من نصف قضاء يافا والندس دانهم الميم من نفس حيا و ابن قراها واليوم سعون الدخول الى قضاء الناصرة استولوا على سهل شارون ويزرعيل المذكور بالتوراة والمعروف

(١) شكري افندي السلي

اليوم برج بني عامر الذي يشقه الخط الحجازي من الغرب الى الشرق وكل ذلك باسماء العثمانيين وبدلالة سميتهم الخائنين الذين بمدون انفسهم من سرقة القوم واجساد البلاد وهكذا استبدوا الكثير من القرى واستولوا عليها وهم لا يخلطون العثمانيين ولا يتعربون منهم شيئاً ولم ينكحوا فلسطين بقرضهم . بفائدة لا تتجاوز الواحد في المائة في السنة وقد جعلوا كل قرية ادارة فيها مدرسة وكل قضاء مديرية ولكل جهة مدير عام ولم ياتوا لونها ازرق وفي وسطها خاتم سليمان وتمتد كلمة عبرانية معناها « صهيون » لانه جاء في التوراة ان اورشليم ابنة صهيون ويرنمون هذا العلم . لكن العلم العثماني سيف اعيادهم واجتماعاتهم ويتربون بالتشديد الصهيوني وقد احتلوا الى الحكومة فتيدوا انهم عثمانيين في سبيل النفوس كذباً وبهتاناً وهم لا يزالون حاملين الجوازات الاجنبية التي تمنحهم وعندما يصيرون الى الحاكم العثمانية يطهرون جوازاتهم وبدعون الحماية الاجنبية ويحولون دعاويهم واحتلافاتهم فيما بينهم بعرفة المدير ولا يراجعون الحكومة ويعلمون ابناءهم الرياضة البدنية واستعمال السباح وتربيتهم طائفة بالاسلحة وفيها كثير من الممارتين ولم يربد خاص وطوايح خاصة وغير ذلك مما يبرهن على انهم بدأوا بتأسيس مقاصد السياسية وتأليف حكومتهم الخيالية فاذا لم تضع الحكومة حداً لهذا السيل الجارف لا يمضي الى فلسطين زمن الا وتراها أصبحت ملكاً للجمعية الصهيونية ورفيقاتها او شعبها المذكورة

اليك بعض ما يقال في الاستعمار الصهيوني وعواقبه الاجتماعية والاقتصادية والسياسية وهو مضر باتفاق العقلاء المجردة نفوسهم عن الاغراض وهناك استعمار آخر في فلسطين والجليل وهو اقل منه خطراً ونعني به قدوم الجالية من الاوربيين ليتخذوا هذه البلاد موطناً لهم على ان لا ينسوا مساكن رؤسهم . ويظنوا من تبة دولهم كالاتمات في فا وحيفا مثلاً

فقد اتت عشرات من الأسرار الالمانية في النصف الثاني من القرن التاسع عشر وزلت سيف ذيك البلدين فارة بدنها من المانيا الى هذه الارض المقدسة وهي من دائمة حرة اسمها شيعة الميكلين او احباب اورشليم أنشئت سنة ١٨٦٢ في اماراة ورتمبش في المانيا عقيب الحركة الدينية التي احدها هوفمان الذي ذهب الى ان الرأي الحالي في دين النصرانية لا يكون سبيلاً الى ان يحيا المتدينون بها حياة مسيحية حقيقية فاخذ اشياء الى انفسهم ان يقبوا ملكوت الله في الارض بان يبدؤوا بذلك من ارض

الوعد ومنها يذبحون في اوربا ليجددوا حياة الكنيسة والمجتمع وهم يفسرون نبوءات العهد القديم تفسيراً حسناً فشرعوا سنة ١٨٦٨ بإنشاء مستعمرة في حيفا وفي الوقت نفسه أنشأوا مستعمرة لهم في يافا وهذه الطائفة الآن أربع مستعمرات بناها سكانها ١٣٠٠ وقد ساعدت على انشاء البلاد وفتحت الالمان باب التدخل في شؤوننا أحياناً .

. ولو عقل من يساكنون هؤلاء الالمان من اهل حيفا ويافا لقلدوهم في نشاطهم وتنظيم بيوتهم وحدائقهم . زرّحي الالمان او مستعمرتهم في الشمال الغربي من حيفا وألقى عليها نظر المتدبر تجدهم لايزيدون عن سبعمائة نسمة ولهم مدرستان وعبدان . مخرج رائد الحارث في تلك الطرق المعبدة المنسقة والبيوت الدائمة على نظام واحد تحيط بها الحدائق الصنرى الخاصة بكل غرض ويانع المستوفية شرط المرافق والمناقع وتعال معي بعدها ننظر الى ماني جوارها من بيوت الوطنيين وإحيائهم فماذا تجد ؟ تجدها بوثرة الاوساخ وشمال الخال ونموذج الاتكال وراموز اليهود والحمود . طف واستبر بناتهم العالمات وبنايات المساملات ثم انصفنا وانصفهم منا . هل نرى رجالنا في اقتدارهم على مستوى بناتهم سيف تربيتهم ونشاطهم . اما التنظيم بين رجالنا ورجالهم فهذا لايقول به حتى اضيق الناس عقلا

مترددة من الملهة دن من بلادهم نزلوا بلادنا فقراء معدمين لايلكون غير مضائهم وبعض حرف يحسنونها فساعدتهم بعض موسرهم على ابتياع عشرات من الافدنة من ارض بلادنا فعمروها كما ترى على النسق الالماني ولم تمض بضعة سنين حتى وفوا بذلتهم ديونهم اثروا ولا انراء ابن البلاد الذي ورث مئات الافدنة واصبحوا يغبطون حتى من كبار اغنيائنا ونحن من امرهم حائرون باهتون لانعمل ولا نحرك كأن القدر قد كتب علينا والغرور مسجل في صحائف حياتنا وكأنهم خلقوا من طينة غير طينتنا وعقل ! تخيل علينا ان نلتقي سآؤه .

وما ننس لاناس تلك الحديقة التي زرناها في المستعمرة الالمانية في حيفا وقد تجلى لنا فيها المضاء الغربي في اجلى مظاهره حتى لظنننا في حديقة من حدائق فرنسا او المانيا . حديقة لا تبليغ مساحتها فدائاً دميئاً^(١) وفيها معظم مايجود في الارض الحارة من صنوف البقول والاشجار جعلت مساكن وقسمت طرقاً وقد قيل اننا ان دخل صاحبها منها لايقبل عن خمسين الف قرش في السنة فلم يسعنا الا ان نقول سبحان الله السرفي

(١) الفدان الدميئ ٢٤٠ قصبة مربعة والقصبة مربعة اذرع في مثلها

السكان لافي الممكن . نعم السر في السكان ولاعجب اذا رأينا الامان في مقدمة ول
الارض بلومهم وصنائعهم واخذائهم في الفنون وعندهم متن هذا الشعب الذي يط الذي
يعلم بعمله اهل الشاطئ من الامم دروسا سامية بما ياك به مع الخاملين .
وعلى ذكر حيننا لا بأس بارساد نبذة موجزة من تاريخنا لتسلسله الى عالمنا اليوم
فبقول :

كانت حيفا قديماً تسمى تلون وليس لها ذكر في التوراة وتاريخنا القديم غاض
لاشأن له . ولقد كان الساحل من نصيب قبيلة عازر ولما وصل الاسرائيليون الى هذه
البلايا لم يستطعوا ان يتولوا على مدينة من المدن الساحلية ومن جملة الملوك الذين
عليهم جوزوي في شمالي فلسطين كان الملك حوشامان ملك الكرمل والكرمل كانت كما
يقول المؤرخ بلين الى الجبل المسمى باسمها وكان اسمها قديماً اكبتان وكان في جوار
حيفا او قلون مدينة اسمها سيكامينوس اي مدينة الصبار كثرة هذا الصبر في ارضها
فكانت قلون وسيكامينوس مدينتين تتنافسان في العمر والارلى وتحترب الثانية وهكذا كانت
المنافسة بينهما سجلاً الى النرون اوسطى وقد زالت سيكامينوس من لوح الوجود ابد
الدهر . فتاريخ المدينتين كما قال ربنا به يد تتران مروج بعضه في الآخر . ولقد روى
التاريخ ان بطليموس لاثير : كم جزيرة قرص بعد ان طردته امه كليو بارا من مصر
جاء سنة ١٠٤ ق م لنجدة نكا وكانت يحصرها اذ ذاك اسكندر : الى ملك يهودا
فانزل جنده وكان ثلاثين الفا في مدينة سيكامينوس وفي ارائل التاريخ المسيحي لم تكن
سيكامينوس ذات شأن هي وسائر المدن المجاورة لها وكانت مدينة سكان الى رأيه
سترابون ارقى تلك البلاد وتحتج بعدها قيسارية *Caesarea*

وكثيراً ما يذكر اسم الكرمل وبعض المدن مثل : كايينوبوليس وبيكولوبوليس
وكروكوديبوبوليس وغيرها وذكر المؤرخ بلين اموراً كهذه . وقد ازهرت مدينة
سيكامينوس ومدينة قلون في القرن السادس للميلاد .

وعنى حيفا بامبرانية الرأس او الارض الداخلة في البحر لانها اُنتشئت في جوار
الكرمل وهو لما معتمهم ولجأ وحيفا القديمة كانت في مكان لا يبعد كثيراً عن حيفا
الجديدة عرفت آثاره كما ان مدينة سيكامينوس تبين انها على اربعة كيلومترات من
حيفا القديمة وقد اكتشفت بعض آثارها اعداياتها وهي رومانية يونانية
ولقد كانت حيفا في الاسلام من جملة الحصون المشرفة على البحر الرومي لاسيما وانها

موازية لجزيرة قبرص ولم تنزل^(١) في ابدي المسلمين الى ان تغلب عليها كوفرى الذي ملك بيت المقدس سنة ٤٩٤ وبقيت في ايديهم الى ان فتحها صلاح الدين يوسف بن ايوب في سنة ٥٧٣ (١١٨٧) وكانت حيفا من نصيب الملك تنكرد الذي اصبح اميراً على بلاد الجليل من طبرية الى حيفا ولما سيطرت عكا في ابدي الافرنج سنة ١١٩١ خرب صلاح الدين حيفا نكابة بالصليبيين حتى لا ينالهم منها الا الخراب . ولكن هؤلاء جددوا بنائها ولما غادروا سورية سنة ١٢٩٢ ظلت حيفا خاملة الذكر الى ان كان القرن الثامن فاستولى عليها الشيخ ظاهر العمر كما استولى على ارض الجليل ودكها فجعل عاليها سافلها ثم اعاد بناءها وبنى عليها سوراً وانتأ له قصرآ من جنوبها يطل عليها .

والظاهر عمر هذا كان من أسرة بدوية اسمها بني الزبادنة ورث من ابيه الحكم على مدينة دند و استولى على طبرية سنة ١٧٣٨ م وعلى عكا سنة ١٧٤٩ فاصبح شيخاً على اعمال الجليل كلها وكانت يميل الى العمران بمحوت يشبه باعماله الامير نجر الدين المعني امير الدروز في القرن الحادي عشر للهجرة وقد ثقاتل الشيخ ظاهر العمر مع ابنائه انفسهم ثم غدر به احد رجاله احمد بانسا الجزار واستولى على الحكومة دونه . واستولى بونارت على حيفا سنة ١٧٩٩ وبعد بضعة ايام ضربه الاسطول الانكليزي ضربة قاضية وفي سنة ١٨٣٧ احتلت عساكر ابراهيم باشا المصري مدينة حيفا وفي سنة ١٨٤٠ اُصيبت حيفا ولا سيما حصنها باضرار جسيمة من قذائف الاساطيل الانكليزية والنمساوية والعثمانية وند غادرها الجيش المصري ظلت بلا حامية الى المدة الاخيرة وقد جعلت قضاء واخذت بعض السفن التجارية ترسو فيها قليلا فتقتل اليها البريد والبضائع وتحمل منها حبوب حوران وحاصلات الجليل وقد زادت مكانة بجعلها سنة ١٣٢٠ م بدأ للسكة الحديدية الحجازية فانشتت في ضاحيتها محطة مهمة ومعامل وانابير فاخذت المدينة تعمر بذلك حتى كادت بما بلغت تنسي ذكر المواني المجاورة لها . وبقدر سكانها الآن بنحو عشرين الف نسمة نحو نصفهم اسرايليون مهاجرون لم يقيدوا في دفاتر الحكومة سوى ستمائة م .م والباقيون مسلمون ومسيحيون ويقف عليها مدعى السنة زهاء ٣٠٠ باخرة و ٧٠٠ مركب ويحمل منها زهاء عشرين الف طن من الحبوب والدررة والسمسم والزيت ويصدر اليها ما يبلغ حمولته عشرة آلاف طن من البضائع وماء البارد من آبار فيه بعض الملوحة وقد كان يمكنها الاستغناء من بنابيع بترجها

ولاسيما من نهر المنطع او قادشا الفاصل بين ارض الجليل ونيقية او بين ارضها وارض عكا
لوصحت العزيمة على ذلك . وهو اوها جبد ومنظرها الطبيعية راقية وبكثر فيها النخيل .
اما عكا وهي الآن مركز اللاواء وقضاء لبرية وقضاء صند وقضاء الناصرة من
اعمالها وبعبارة ثانية هي قاعدة الجليل التي ما اصحابها من الانحطاط الشديد . وبوخذ
مما ورد في سفر القضاة ان عكا^١ اي عكا لم تكن مدينة اسرائيلية ولم تصبح مستعمرة
يهودية الا بعد ازمان طويلة . وكان اليونان يربطون عكا بفلسطين ثم دعيت بعد
باسم بطولماس نسبة الى احد بنات مصر وربما كانت بطليموس ابن لاغوس وذكر
مؤلفو الرومان والفتود التي عثر عليها . ثم ان عكا كانت مستعمرة الامبراطور
كلوديوس وكانت ذات مينة من حيث هي مدينة بحرية واستولى عليها العرب سنة
٦٣٨ ففقدت اذ ذاك اسمها اليوناني

قال ياقوت السمكة الرملية سميت تليها الشمس وعكة اسم بلد على ساحل بحر الشام
من عمل الأردن وهي من احسن بلاد الساحل في ايامنا هذه وانتموها قال ابو عبد الله
محمد بن احمد بن ابي بكر البناء البتاري : عكة مدينة حصينة كبيرة الجامع فيه غابة
زيتون يقرم بسرجه وزيادة ولم تكن تلي هذه الحصانة حتى قدمها ابن بلون وكان قد رأى
صور واستدارة الحائط التي مناهسا فاحب ان يتخذ لعكة مثل تلك الميناء فجمع صنائع
الكور وعرض عليهم ذلك فقبل له لا يتهدى احد الى البناء في الماء في هذا الزمان .
ثم ذكر له جدنا ابو بكر البناء وقيل له ان كان عند احد فيه علم فهو عنده فكتب اليه
وأثني به من القدس وعرض عليه ذلك فاستهان به واتمس منهم احضار فاق من خشب
الجميز غليظة فلما حضرت عمدا ينفها تلي وجاء الماء بتدريج الحصن البري ونم بعضها الى
بعض وجعل لها بابا عظيما من ناحية الغرب ثم بنى عليها الحجرة والتيد وجعل كلسا
بنى خمس دوامس ربطها باعمدة غلاط ايشتمد البناء وجعلت القلن كلسا ثلثت نوات
حتى اذا علم انهم قد استقرت الى الرمل تركها حولا كاملا حتى اخذت قرارها ثم عاد
فبنى من حيث ترك وكلما بلغ البناء الى الحائط الذي قبله ادخله فيه وحده به ثم جعل
على الباب قنطرة والمراكب كل ليلة تدخل البناء وتجبر سلسلة بينها وبين البحر الاعظم
مثل صور قال فدفع اليه الف دينار سوى الخلع والمركوب واسمه عليه مكتوب الى
اليوم قال وكان العدو قبل ذلك يغير على المراكب

وفتحت عكا في حدود سنة ١٥ على يد عمرو بن العاص ومعاوية بن أبي سفيان وكان لمعاوية في فتحها وفتح الدواخل اثر جليل ولما ركب منها الى غزوة قبرص رهسا واعاد ما آتت منها وكذلك فعل بصورة ثم خربت فجددها هشام بن عبد الملك وكانت فيها صناعة بلاد اردن وهي محسوبة من حدود الأردن ثم نقل هشام الصناعة منها الى صور فبقيت على ذلك الى قرابه ايام الامام المنذر ثم اختلفت ايدي المتغلبين عليها وعمرت عكة احمين عمارة وصارت بها الصناعة الى يومنا ذا وهي الان فرنج قال ياقوت : وكانت قديما بيد المسلمين حتى اخذها الامرنج ومندهم بغدوين صاحب بيت المقدس من زعم الدولة بن ابي الجيوش وسبوا الى ابي الجيوش بدر الجمالي وابنه وكان فيها من قبل المصريين نقصدها الافرنج برأ وبجرأ في سنة ٤٩٧ فقالتهم اهل عكة حتى عجزوا عنهم اقصور المادة بهم وكان اهل مصر لا يمدونهم شيئا فلموها اليهم وقتلوا ما باخلنا كثيرا وسبوا جماعة اخرى حملوهم الى خلاط البحر وخرج زعم الدولة حتى وصل الى دمشق ثم عاد الى مصر ولم تزل في ايديهم حتى افتتحها صلاح الدين يوسف بن ايوب في جمادى الاول سنة ٥٨٣ ونخبها بالرجال والعدد والميرة فعاد الافرنج ونزلوا عليها وخندقوا دورهم خندقا وباءهم صلاح الدين ونزل دونهم واقام حولهم ثلاث سنين حتى استمادها الافرنج من المسلمين عنوة في سابع جمادى الآخرة سنة ٥٨٧ واحضروا اسارى المسلمين وكانوا نحو ثلاثة آلاف وحملوا عليهم حملة واحدة فشلوهم عن آخرهم . والنسبة اليها عكي وقد نسب اليها قوم وقد رسمها عماد الدين الاصفهاني في الفتح القسي بالالف المقصورة تارة « عكا » وبالالف المدودة أخرى

وقد استولى بودوين الاول على عكا سنة ١١٠٤ م بمعونة اسطول جنوي له وجعلها الصليبيون ميناء مهمة لا لانزال جيوشهم بل ميناء تجارية فكانت ترسو فيها سفن الجنو بين والبناقة والبرانيين وبعد وقعة حطين سقطت عكا بيد صلاح الدين وفي سنة ١١٨٩ حاصرها من البر الملك كي دي لوزيان ومن البحر اسطول بيزاني واستولى عليها ريتاردس قلب الاسد ملك الانكليز سنة ١١٩١ م فاصبحت منذ ذاك الحين الجادة العنسي للصراية في فلسطين وكانت معسكر انفرسان ردعوها باسم احدى فرقهم وكانت تدعى القديس يوحنا فقالوا عنها St-Jean d'Acre وفي سنة ١٢٩١ استولى عليها الملك الاشرف بعد مقاومة شديدة فتفنى بالاستيلاء عليها على سلطة الافرنج من هذه البلاد . فبقيت عكا اهم ميناء ينزل فيه حجاج الغريين الى الارض

المقدسة وفي حوالى منتصف القرن الثامن عشر استولى الشيخ ظاهر العمر على الجليل الاسفل وعلى جزء عظيم من الجليل الابنى واتخذ عكا مقرا مارتته فعادت اليها نضرتها وخلفه في الامارة احمد باشا الجرار الذي وسع حدود امارته فامتدت شمالا الى نهر الكلب وبعابك وجنوبا الى قيسارية واشتهر بمبانيه التي جلب لها المواد من عسقلان وقيسارية وغيرها . وبدأ الفرنسيين سنة ١٧٩٩ يحاصرون عكا وبعد ثمانية وقائع سالت فيها الدماء الى الابطاح اضطر نابوليون ان يرجع عنها واستولى ابراهيم باشا سنة ١٨٣٢ على المدينة فنهبت وخربت ولكنها عادت فنهبت من كبوتها وفي سنة ١٨٤٠ خربت الاساطيل الانكليزية والنسايوية ثغر عكا فخرّب بذلك كل اثر من آثارها الندية ثم تعاقب الخراب الاقتصادي عليها فكانت تجارتها رائجة لانها كانت سوق الحبوب التي ترد اليها من الداخلية ولا سيما من حوران فسقطت من هذه الوجهة خصوصا لما مات بعض موافى سورية مثل بيروت وطرابلس وحيفا وبفا تنازعها في مكانتها وأنتشت سكك حديدية ربطت معظم هذه الموافى بالمدن الداخلية وبقيت عكا في نجوة من الارض ضعيفة في تجارتها وهاجرها كثير من اهلها ومنهم اناس من كبار تجارها وارباب الاملاك بها .

وقفنا على سورها نطل على ثغر عكا الذي اهرقت في سبيل الاستيلاء عليه دماء غزيرة ذاك السور الذي اعجز بمناعته صلاح الدين وجيوشه وتديره فارتد عنها غير ما مرة واهرق الصليبيون دماءهم في بسط ايديهم عليها ثم زحزحوا عنها بعد وقائع تشيب لهولها الرؤوس وهكذا طمح فيها الفاتحون لانهم كانوا يتبرونها مفتاح سورية . ولطالما كانت عكا ترمي من برها وبجرها بالفتدائف والذيران وكانت مجزرة يهلك فيها الانسان الانسان .

وقفنا على اسوارها ننظر الى المدينة التي اعجزت الملك الناصر والملك الظاهر بونارت وتبأمل في ارباضها الفاحلة اليوم . كم جثة دفنت فيها وفي بجرها وهو يحدها بعينه الزرقاء كم ابتلع من اسطول بما فيه . وقفنا وفكرنا مليا في حال البشر يقتتلون على بسط سلطانهم وتكبير رقعة بلدانهم ويرتكبون كل منكرو في سبيل المجد والفخار رأيناهم في القديم يقتتلون بحجة دينية واليوم هم كذلك ولكن حجبتهم مدنية وانسانية وما المقصود في الواقع ونفس الامر الا الاستيلاء والتغلب وتوسيع نطاق الحكم والسلطان

وقفنا على اسوار عكا نندب في نفسنا الضعف البشري وقد استولى على النفس جلال

ذلك البلد وذكرنا ارواح الخلق تباع في كل عام يبيع السماح ولو اردنا ان نأتي هنا على لغة من تاريخه لاقتضى له مجلد رأسه . وعاك الان نموذجاً واحداً مما جرى لاجلها في القرون الوسطى قاله ابو الفدا حاضرها بنفها : ان الملك الانرف سار بالعساكر المصرية الى عكا وارسل الى العساكر الشامية وامرهم بالحضور وان يحضروا صحتهم المجانيق فتوجه الملك المظفر صاحب حماة وعمه الملك الافضل وسائر عسكر حماة صحبة الى حصن الاكراد وتسلطوا منه فنجحوا في ما يسمى المنصوري حمل مائة عجلة ففرقت في السكرا لوي وكان المسلم الي منه عجلة واحدة لاني كنت اذ ذاك امير عشرة وكان مسيرنا بالبدجل في اوانر فصل الشتاء فانفق وقوع الامطار والثلوج علينا بين حصن الاكراد دمشق فقايسنا من ذلك بسبب جر العجل وضعف البحر وموتها بسبب البرد شدة عظيمة وموتنا بسبب العجل من حصن الاكراد الى عكا شهراً وذلك مسير نحو ثمانية ايام للخيال تلى الادة وكذلك امر السلطان الملك الاشرف بجر المجانيق الكبار والذخائر ما يتجمع كى غيرها واستند سايها القتال ولم يلق الا فرنج غالب ابوابها ان كانت مغلقة وهم يقابلون فيها وكان يحسرا اليها مراكب مقيمة بالخشب الملبس جلود الجواميس وكانوا يرمونها بالثياب والجروح ومازوا بها حتى فتحت وكان في داخل البلد عدة ارجة ناصية بمنزلة قلاع دسلم - عالم عظيم من الفرنج وتحتوا بها - وقتل المسلمون وغنوا من عكا شيئاً يفوق الحصن من كثيره ثم استنزل السلطان جميع عساكره بالاربعة ولم يتأخر منهم احد فامرهم فضربت اعتاقهم عن آخرهم حول عكا ثم امر بمدينة عكا فهدمت الى الارض ودكت دكا ومن عجائب الاتفاق ان الفرنج استولوا على عكا واخذوها من صلاح الدين اهر يوم الجمعة سابع عشر جمادى الآخرة سنة سبع وثمانين وخمسائة واستولوا الي من بها من المسلمين ثم قتلهم فقدر الله عز وجل في سابق علم انها تفتح في هذه السنة (٦٩٠) في يوم الجمعة سابع عشر جمادى الآخرة على يد السلطان الملك الاشرف صلاح الدين فكان فتوحها مثل اليوم الذي ملكها الفرنج فيه وكذلك لقب السلطانين .

وهذا القول يثبتك بمكانة عكا واعتباط المؤرخ باستقلالها من الاعداء . ومن مدن الجليل صفد ولم يتيسر لنا زيارتها لانظر المنهائلة وبلوقها في قمة جبل وهي ترى من طبرية وعلى بضع ساعات منها ومعظم سكانها يهود وبعض المسلمين من مهاجرة الجزائر وليس في اهلها العريق فيها للسبب الذي اورده ابو الفدا في حوادث

سنة ٦٦٤ قال وفي هذه السنة خرج الملك الظاهر بعساكره المتوافرة من الديار المصرية وسار الى الشام وحجز عسكراً الى ساحل طرابلس ففتحوا القلعات وحلباً وعرفاً ونزل الملك الظاهر على صفد تامن سبعان وضابقتها بالزحف والآلات الحصار وقدم اليه وهو على صفد الملك المنصور صاحب حماة ولاصق الجند القلعة وكثر القتل والجراح في المسلمين وفيها في تاسع عشر شعبان المذكور بالامان ثم قتل اهلها عن آخرهم .

ولقد كانت صفد في القرن السابع مملكة يقال لها مملكة صفد ومضافاتها^(١) وصفد حصن بقبة جبل كنعان في ارض الجرمق كانت قرية فبني مكانها حصن سميت صفت ثم قيل صفد وهو حصن . ينبع وكان بها طائفة من الفرنج يقال لهم الداوية فحصرهم الملك الظاهر ركن الدين يبرس الصالحى وفتحها وقتل كل من فيها الى رأس تل بالقرب منها ثم رمها وبني في وسطها برجاً مدوراً سماه قلة ارتفاعه في السماء مائة وعشرون ذراعاً وقطره سبعون ذراعاً والى سطحه طريقان يصعد في الطريق الى اعلاه خمسة افراس صفا بلا درج في ممشى حلزوني وهو ثلاث طبقات ابنية ومنافع وقاعات ومخازن وتحتته كله بئر للماء من الشتاء يكفي لاهل الحصن من الحول الى الحول اشبه بمقارة اسكندرية وبهذا الحصن بئر تسمى الساقورة وعمقها مائة وعشرة اذرع في صفة اذرع بذراع النجار والدلاء التي لها بتاتي من الخشب تسع البتية نحو قلة من الماء وهما بئيتان في جبل واحد يسمى سرباق كغلظ زند الانسان وكما وصلت بتية الى الماء وصلت الأخرى الى رأس البئر وكما وصلت واحدة الى رأس البئر وصلت الأخرى الى الماء وكلى رأس البئر ساعدان من حديد بكفين واصابع تنعلق الاصابع في حافة البتية الملائنة وتجذبها الكفان فينصب الماء في حوض يجري فيه الى مقرة فاذا انصب الماء من البتية حصل القصد والجاذب لاهتين البتيتين مرمة هندسية بقسي ودوائر وحركات ولا يزال ذلك السرباق راكباً على بكرته يتردأ وعكساً يمتد ويسر ودول المرمة بفال معلمات تدور بذلك فاذا سمع البقل الدائر خرب الماء وجر السلسلة انقلب راجعاً الى عقبه ودار يمشي في مرتبته بخلاف ما كان يمشي الى ان يسمع خرب الماء وجر السلسلة فينقلب دأراً على مغلاف دورته كذلك وهي من اعاجيب الدنيا فاذا وقف واقف وتكلم كلمة واحدة في رأس البئر سمع رجع صوته بتلك الكلمة نازلاً نحو لحظة جيدة حتى يلمغ الماء ثم يعود اليه فيسمعه كما قالها فان صاح وغلب سمع دويأ واضطراباً بذلك الصياح كالرعود لبعده الماء وعمقه . ومن اعمال صفد

(١) نخبة الدهر في عجائب البر والبحر لشمس الدين الانصاري المعروف بشيخ الربوة

مرج عيون وارض الجرمق وهي مدينة قديمة عادية كانت بها طائفة من العبرانية ينسبون اليها يقال لهم الجرامة والكنعانيون بوادي كنعان ابن نوح ومن عملها جبل بقيعة وبـ قرية يقال لها البقيعة لها امواه جارية ولها سفرجل مليح وبه قرى كثيرة الزيتون والفواكه والكرم وجبل الزابود مشرف على صفد والزابود قرية وبها ايضا قرى كثيرة

وفي بلاد الجليل او عمل الأردن قرى دائرة ذكر بعضها ياقوت في مجمعه مثل (كفر صبت) وهي قرية عند عتبة طبرية و (كفر عاقب) وهي قرية على بحيرة طبرية من اعمال الأردن ذكرها المنهني فقال:

اتاني وعيد الاديعاء وانهم اعدوا لي السودان في كفر عاقب
ولو صدقوا في جدهم لحذرهم . فهل فيء محدي قولم غـ سـ مـ ذـ بـ

ومثل (كفر مودة) قرية بين عكا وطبرية بالأردن يقال لها مدين المذكورة في القرآن والمتهور ان مدين في نمرقي الطور وفي كفر مودة قبر صفوراء زهجة موسى عليه السلام وبه الجب الذي قلع الصخرة من عليه وسقى لها والصخرة باقية هناك الى الآن ! عصر ياقوت) وفيه ولدان ليعتوب يقال لها اشير ونفثالي

و (دبورية) بليد قرب طبرية من اعمال الأردن قال احمد بن منير

لئن كنت في حلب ثاوياً فنجني الغبير بدورية

و (دير التجلي) على الطور زعموا ان عيسى عليه السلام علا عليهم فيه و (خيارة) قرية قرب طبرية من جهة عكا قرب حطين بها قبر شعيب النبي عليه السلام عن الكمال بن العجمي و (عفر بلا) بلد بنور الأردن قرب بيسان وطبرية و (الصنبرة) موضع بالأردن مقابل لعقبة افيق بينه وبين طبرية ثلاثة اميال كان معاوية يشتو بها و (أربد) بالفتح ثم السكون والباء الموحدة قرية بالأردن قرب طبرية عن يمين طريق المغرب بها قبر ام موسى بن عمران عليه السلام وقبور اربعة من اولاد يعقوب عليه السلام وهم وان وايساجار ونزبولون وكاد فيما زعموا و (اسكندرونة) قال ياقوت وجدت في بعض تواريخ الشام ان اسكندرونة بين عكا وصور و (اكسال) قرية من قرى الأردن بينها وبين طبرية خمسة فراسخ من جهة الرامة ونهر ابي خنيس لها ذكر في بعض الاخبار كانت بها وقعة متهورة بين اصحاب سيف الدولة بن حمدان وكافور الاخشيدي فقتل اصحاب سيف الدولة كل متثلة . و (معليا) من نواحي الأردن بالشام و (الزيب) قرية كبيرة على ساحل بحر الشام قرب

عكا و (صفورية) كورة و بلدة من نواحي الأردن بالشام و قرب طبرية و (الاقحوانة) موضع بالأردن من ارض دمشق . شامي و بحيرة طبرية حدث هناك من الوليد عن ابيه قال خرج قوم من مكة نحو الشام و كنت فيهم فبينما نحن نسير في بلاد الأردن من ارض الشام اذ رفع انا قيسر فقال بعضنا لبعض لو ملنا الى هذا التصرف فاقامنا بفائه حتى نستريح ففعلنا فيما نحن كذلك اذ انفتح باب القصر وانفج عن امرأة مثل النزال العطشان فرمقنا كل منا بعين و اق و قاب عاشق قتالت : من اي التباثل انتم و اي البلاد قلنا :

نحن اساميين من ههنا و هناك فتالت ايكم من اهل مكة قلنا : نعم . فأتأت نول

من كان يسأل عنا اين منزلنا فبالاقحوانة منا منزل قري

وان قصر من هذا ما به وطني لكن بمكة امسى الاهل والوطن

اذ نللس العيش صفوا ما يكره . قول الوفاة وما يذو الزمن

من كان ذا شين بالشام يراه نبالا بطمح امسى الهم والحزن

ثم شئت شقة وخرت مغتية عليها فخرجت بجوزة من القصر فنهضت الماء الى وجهها وجعلت نول في كل يوم لك مثل هذا مرات . تا الموت خير لك من الحياة فتلما ايتمها العجوز ما قصتها فتالت : كنت لرجل من اهل مكة فبأنها فني لاتزال تنزع اليه حنيناً و شوقاً .

هذا ما تيسر نقله مما تأثرت به النفس في رحلة قصير الى تلك الكورة في الشهر الماضي .

ولو وفق اهالي عكا الى تحقيق ما يفكرون به و يلمسونه من الحكومة من الخلق لوائهم

بولاية سورية لاصبحت مدينتهم او حيفا ميناء مهمة لدمشق ومورد التجارات من ابرما

ومصدر الغلات من بلادنا ولما اذ لبلاد الجليل بها وها القديم ولما اضرت ذلك بعمران

بيروت وطرابلس ضرراً يذكر اذ كل بلد ينال اذ ذلك الحظ من الرقي . وقد كان الفكر

التشائعي يوم بوسر بعد شعبة من السكة الحجازية من حين ان تسقط بيروت عن مكانتها

التجارية فأربابها بعد ان تم ذلك الخلا قد زادت بيروت مكانة ولم ينادرها من التجار

الا افراد قلائل وعمرت حيفا بعض الشيء واذا جعلت لهذه ميناء ترسي فيها السفن

آمنة كما هي الحال في بيروت تراقي ايضاً زيادة ولا تضرب بغيرها

وامهران كالكورة لا يخلو وينفع الا اذا كان موزا بين البلاد على التساري وحبذا

يوم يكون فيه اكل ميناء من مواني سورية صفة كانت او كبيرة مرثاً امين لا دفن وخط

حديدي يصلها بالبلاد الداخلية ولو بخطوط زراعية ضيقة يومئذ يقال ان سورية

دخلت في دور العمران

اخبار وافكار

اللبن الرائب

كتب الاستاذ مثنكوف بحثاً في مجلة المجلات الفرنسية ابان فيه مزاياء اللبن
الائب او الحامض في معالجة بعض الامراض افتتحها بقوله ان الناس كانوا يفزعون من
الهواء الاصفر ويموتون منه الوقايم لم يكن كوخ قد اكتشف ميكروباؤه فلما اكتشفها
سهلت على الناس الوقاية فصاروا يتخذون المياه الجيدة فيمنجون منه ومن لم تساعدهم
الحال على استعادة المياه كاهالي بلسبرج عمدوا الى غلي الماء فنجوا من فتكات هذا المرض
الويل به مثل ذلك مثال في جرائم الطاعون والحمى وغيرها من الامراض فانها لما
ظهر السبب فيها بطل العجب وذكر انه جرب وجرب كثير من فوائد اللبن الرائب للصابين
ببعض امراض المعدة فثبتت فئدتها كل الثبوت في المستشفيات والمنصاع ونفع في الحمى
التيفوئيدية ايضاً وقال ان في احشائنا جرائم سادة لا يهتها الا حامض اللبن وانه جرب
ذلك منذ ١٢ سنة في نفسه وكان في الثالثة والخمسين من عمره فامتنع عن جميع المشروبات
الراحية وانصهر على الماء واللبن الرائب والشاي الخفيف والطعام المطبوخ وامتنع عن
كل ما هو في فحاحات صحته على كثرة مشاغله وبعدت همته بحيث يعمل ساعات طويلة
عملاً متواصلاً بدون ان يعرّوه ملل بذلك فهو يوصي الزبان ان يجروا على طريقته في
تناول اللبن الحامض اذ تساعدهم سنهم على الانتفاع منها وربما اطالت حبل آجالهم
كما رفع لحائلك عمره مئة وثلاث سنين بحثوا عن معيشته فرأوه على اقتصاده في مأكله
يتناول بكثرة الملفوف المختمر Choucroute وفي شيء من الحامض اللبني والخلاصة
فان الاستاذ المشار اليه بقرع منذ سنين آتى هذا الترتيب من بيان منافع اللبن وقد وافقه
الآن على رأيه بعد التجارب الطويلاء كثير من اعياء الروس والبولونيين والالمايين
والفرنسيين وغيرهم ولا يعد ان يترجموه فيدخل اللبن الرائب على الطريقة العربية
والاركية والمصرية والبلغارية الى بلاد لم يكن يد لها من قبل بفضل هذا الترتيب به

الطباخة

كانت البعثة الاثرية الإيطالية عثرت في جزيرة كريت منذ سنين على اسرار من
التراب مكتوب عليه كتابة مدورة فثبت لها ان تاريخها يرد الى سنة ١٦٠٠ قبل المسيح

وقد توصل العلماء الآن الى حلها بعض الشيء فبين لم انها تقرأ من اليمين الى الشمال وهي عبارة عن نشيد للصلاة وانها اشبه بالخط الهريفي ارا المند المصري وانها اول اثر مطبوع ظهر به مما دل ان الطباعة في شواطئ البحر الرومي قديمة كما كانت في الصين

الرهينات

روت المجلة الباريزية ان عدد الرهينات الدينية التي وقفت انفسها على بذل الاحسان ومعاونة البائس من نوع الانسان ما برحت آخذة بالانتشار في المانيا وقل عدد البراستنتية منها فلرهينة الدياكوني او الشمسية ٨٤ ملجأ منها ٥٤ في المانيا والباقي في غيرها وهي مؤلفة من ٢٥٠٠ اخ و ٢٥٠٠٠ اخت الا انه قل في العهد الاخير انخراط النساء في هذا السلك لانه قل الاعتماد عليهن في الميشتفيات كما كان سابقا ولكن يزيد عدد من يمرضن المرضى في بيوتهم عن ذي قبل الرهينات الكاثوليكية تنو اكثر من غيرها فقد كان في بروسيا منذ ٢٥ سنة ٧٤٦ ملجأ فيها ٧٠٠٠ اخ واخت فندت سنة ١٩٠٧ ٢١٣ ملجأ اعضاؤها ثلاثون الفا منهم اربعة آلاف اخ وستة وعشرون الف اخت اي ان الرهينات الكاثوليكية قد زادت اضعافا مضاعفة

قتلى الاكحول

اعظم المسائل الاجتماعية التي يتعاضدها ارباب البخر والنظر في الغرب مسألة انتشار الاكحول بين الجمهور حتى انهم حاربوا ما عند فرنسا من اماكن لبيعها فبلغت ٤٧٧٠٠٠ يصيب كل ثمانين نسمة منها محل واحد او محل لكل ثمانين بالغا ومعهم منها من الخمر القتالة المزورة وكل يوم يفتح في فرنسا ستة اماكن للبيع بحيث تهلك هذه الامة عما قريب اذا لم تنظر في امرها وبذلك تنو هت الخلق وضعفت الاجسام حتى اضطرت الحكومة ان تترك كثيرا من الذين دعتهم لحل السلاح لعدم اقتدارهم عليه وكثر عدد المنحرفين فزاد عددهم اربعة اضعاف ما كان عليه قبل اربعين سنة وكذلك عدد المجانين وزادت الجرائم حتى قدروا ان ثلثي المجرمين هم من الكسكين او من ابناء الكسكين والامة هناك تحارب الاكحول كما تحارب الاعداء بما تتوفر على نشره من الكتب والرسائل والنشرات والمجلات والجرائد والمحاضرات والخطب ولا بد ان توفق الى تقليل وطأتها كما وقفت سويسرا وغيرها من الممالك الصغرى

آثار مصرية

اكتشفت بعثة المانية في مصر الوسطى في الحفريات التي قامت بها في مكان اسمه ابوصير الملك كثيراً من الاواني والمدى المعمولة من الصوان والعظام والعاج المنحوت وتاريخ هذه الذخائر يرد الى زمن عرف فيه التاريخ اي سنة ٢٥٠٠ قبل الميلاد .

الآداب الانكليزية

منح احد نبلاء بريطانيا عشرين الف جنيه لكتية كبرج في انكلترا لتؤسس بها درساً في الآداب الانكليزية تسميه درس الملك ادوارد السابع . وانتأوا في انكلترا جمعية دخلها الناس في كل البلاد التي تكلم فيها بالانكليزية غابها اشرب القلوب حب الشعر اذ نبت ابن المدنية المادبة الحالية لا تحلوا الا اذا احتفظ الناس فيها بالخيال في الحياة

معهد كارنيجي

افاد لسان البرق ان المستر كارنيجي الغني الاميري الشهير قد تبرع بمشرة ملايين دولار أخرى للمعهد الذي انتأه على اسمه في نيويورك ببلغ مجموع ما تبرع به من ماله خمسة وعشرين مليون ريال اميري فأكرم بامته فيها من غذا الكريم وبلاد تخرج مثل هذا الغني الذي لا يكاد يصدق ان التبرع اولاً صدوره عن قوم لا يتكلمون الا عن عقل ولا يميلون لغبر المحسوسات . اما هذا المعهد الذي احفل مؤخراً بافتتاحه فليس له نظير في العالم وسيكون له شأن كالجمع العلمي الذي انتأه باستور على اسمه في مدينة باريز . ومعمل باستور يعني خاصة بعلم الجراثيم (بكتريولوجي) والمعالجة بالمصل *Serotherapy* والكيمياء الحيوية والامراض السارية اما معهد كارنيجي فهو ضرب من ضروب المستشفيات العجيبة لا يقبل فيه الا المرضى الذين تخلى عن طبهم الاطباء وقطعوا بانهم اقرب الى الموت منهم الى الشفاء وهو قصر عظيم جداً يذكر باعظم قصور ملوك الشرق الاقدمين وفيه من مظاهر الرفاهية والراحة والجمال احسن ما ابرزته عقول الغربيين وهو يطل على نهر فتشرف النفوس من ورائه على مناظر تأخذ بمجامع القلوب وهو مؤلف من احدى عشرة طبقة يصعد اليها بمصاعد وادراج واسعة وفيها ردهات وغرف وحجر فسيحة . وليس طول الغرف الخاصة بالمرضى اكثر من ١٦ متراً وعرضها ٨ امتار وفي كل واحدة منها سبع سرر فقط وليس للغرف زوايا وقرب بل هي ابنية مدورة

ذات قباب وذلك حتى لا يعلق الغبار زواياها على ان العناية في النظافة ليس وراءها غاية فاليوت تفتح من تلقاء نفسها مجرد مس الدراع او الرجل او الركبة لها مساً خفيفاً وبذلك لا ينال الايدي شيء من الجراثيم وهناك محل عظيم للمداواة المرضى بالآء البارد والذئير الجسماني *Metabolisme* وآخر للتصوير الشمسي ورابع للراديوم وللمسة في زانة كتب عظيمة جعلت تحت امر اطبائء المحل وتلامذته وله اناس موظفون للخدمة والاشراف على الاعمال وكلهم من خيرة القوم وسيأتي على هذا المعهد العلمي الانساني يوم نسمع بالاخرعات والاكتشافات التي تتم فيه بفضل تلك العقول الراجحة التي اجتمعت تحته واناقتعت الى خدمة الانسانية فيه بفضل المحسن الاميركي وريض اياديه

قراءة الدماغ

بعد ان اتقن الغربيون علم قراءة الافكار بالمتنويم المغناطيسي قام اليوم احد علماء الانكليز بعد البحث الطويل بكتشف تركيب الدماغ الانساني وميزاته وذلك بتياس الذهن بطرق وحسابات لاحتطية فيمكنه ان يعرف طاقته عمل الدماغ معرفة اكيدة بالوقوف على درجة المقاومة في المجرى العصبي وذلك في الجزء الاسفل من مجموع الدماغ

المداواة بالراديوم

اكدا احد جراحي الانكليز انه شفي بمقتصر الراديوم الذي اكتشف منذ اثني عشرة سنة بعض الامراض مثل فاح الوجه والالام العصبية والرنية وامراض الجلد والسرطان والصلع . وادعى طبيبان من كلية كنتنغهام ان الراديوم يشفي من الهواء الاضرر والحقاق .

واكد احد اطباء الروس ان الراديوم يشفي الالكه والاعمى . واذا تم ذلك فلا يبقى على العلم الا اختراع دواء لاهياء الموتى تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً

برابرة بوليفيا

بوليفيا او بيرو العليا احدى جمهوريات اميركا الجنوبية بلاد واسعة البقاع تبلغ مساحتها ١٦٢٢٢٠٢٨٠ كيلومتراً مع ان سكانها لا يتجاوزون ٢٦١٥٩٠٠٠ وما برحت بعض اصقاعها على حالتها من الهمجية الاولى ومن السكان الذين راى الرحالة هرزوك في بوليفيا الشرقية وثبت له من اخلاقهم انهم من عنصر واحد هم وكوارايوس قبائل السيريانوس فان هؤلاء الهمج لم يرتقوا درجة واحدة في الحضارة منذ العصر الحجري فهم يستعملون

الحدبد وادواتهم القاطعة هي من الصدف الذي تقذف به الشواطي^١ وبها يقطعون
وينحون يعيشون عيش البادية في الغابات وتمتد الاصقاع التي ينزلونها الى ريوغرانده
وسان ميكل الى الشرق مما وراء ريو بلانكو . وهم لا يلبسون ثياباً وزينتهم الوحيدة
عبارة عن عقد يتخذونه من اسنان القروء ومن حبوب يسلكونها في اسلاك بدون ان
يخرقوها بألة ما . واكوأخهم وقلاً بأوون اليها مؤلفة من اغصان النخيل واوراقه يدعمها
جذع من الشجر وليس لهم من السلاح غير اقواس من خشب النخل طولها متران وسهام
منه ايضاً طولها ثلاثة امتار ورأسها محدد . ولا يعرف اصل هذا الشعب معرفة أكيدة .

المانيا وكنياتها

كان للكنيات في المانيا خلال النصف الاول من القرن الماضي عمل عظيم في حياة
تلك الامة العقلية والاخلاقية والسياسية ففي سنة ١٨١٠ رأى فريدريك غليوم الثالث
صاحب بروسيا ان تستعيز المانيا عن القوى المادية التي افقدها اياها نابوليون بقوى
ادبية فأسس كلية برلين ليلقي في قلوب ناشئة الامة فكراً عالياً سليماً ويعلمهم بالكلام والمثال
ان يخلصوا ارواحهم للعلم وقلوبهم للوطن . ومن مجتمعات الطلبة نشأت الدعوة الى الوحدة
الالمانية وكانت المانيا الى ذاك العهد مقسمة الى امارات مشتهة الكلمة ضعيفة السلطان
فقادى الطلاب في هذا السبيل بكل عزيز ولطالما جنحوا الى الثورات وقتلوا وقتل منهم
في سبيل تأييد دعوتهم . فمن الكليات نشأت الانقلابات الكبرى في الفلسفة والدين
والعلم وكان الالمان الى ذاك العهد امة فكر وشعر يقولون في انفسهم انهم تركوا البر
لجارتهم (فرنسا) تنصرف فيه على ماتشاء والنجر لأخرى (انكلترا) تعمل ماتريد
ولم يبق لهم الا الاحتفاظ بالسماء وهي منزل العقل . وهذه الوحدة السياسية التي كان
يراهم بمضهم من الخيال قد تحققت في العلم والعمل بفضل الكليات التي كانت مراكز
الحياة الوطنية . وانا اذا صرفنا النظر عن اهل الادب والصناعات نجد جميع كبار
الرجال في المانيا من اساتذة تلك الكليات . ولما نتجت الافكار على تلك الصورة قام
بسمرك قبيل الحرب الالمانية الفرنسية ووجد بين تلك الامارات وعلم اولئك العاملين
ان النشرات والدعوات تعمل الى حد محدود ولا بد لتحقيق الغرض بعد ذلك من
النار والبتار . انتهى عمل الكليات السياسي سنة ١٨٧٠ ولكنها ظلت صاحبة الحق في
حفظ تراث الاجداد وقديم الابداء التي تعلم الناس التجديد ولكن مع النظر الى
القديم ابدأ .

كان في اواخر القرن التاسع عشر ثلاثة انواع من الكليات في اوربا الكلية الانكليزية التي هي اصل الكلية الاميريكية والكلية الفرنسية والكلية الالمانية التي اقبست اسلوبها بلاد السكندباوين او الدانيرك واسوج ونروج وروسيا الا قليلا .

فالكلية الانكليزية تقرب من نسق القرون الوسطى لاعلاقة لها مع الحكومة بل هي مستقلة في ادارة شؤونها ومداخيلها واسانذتها وتنفذ الى التربية العلمية بل الى التهذيب العام الذي يجب للمهذب Gentleman ان يكون له منه نصيب . اما الكلية الفرنسية فهي تابعة للحكومة مباشرة على نحو ما اراد معدل نظامها نابوليون الاول وغايتها اعداد الطلبة لان يتعلموا ما ينفعهم في ميدان الحياة الاستقلالية والكلية الالمانية نشأت بين الكليتين الانكليزية والفرنسية فاخذت من هذه ومن تلك ^(١)

والغاية منها ان لا تخرج علماء صرفاً ولا رجال صناعات ممتازين بل ان تهذب طلابها تهذيباً يتيسر لهم معه ان يستعدوا لدخول المجتمع والتصدر فيه ، فليست الغاية اذاً ان تخرج تلك الكليات اسانذة وحكاماً ورجال دين للحكومة ولا ان تعد محامين واطباء للامة بل ان تعلمهم تعليماً عالياً وتلقنهم الخطة التي يجب عليهم ان يسيروا عليها وتطلعهم على اساليب البحث والنقد وتقوي فيهم اخلاق العلماء كاللغة وخلو الغرض وسعة الفكر وتلقنهم شيئاً من العلوم المساعدة وان ينظروا نظرة اجمالية في الميدان الذي يجب عليهم ان يحجروا فيه وبالجملة نوهلهم الى ان يتموا هم بانفسهم مابداً به اسلافهم . فالطالب المتخرج من كلية المانية يتعلم ماهو العلم اذا اقترن بعلم خاص فلا يكتفي بشهادة ينالها فيحق له بها ان يقضي او يشفي او يعلم او يلتن الدين لمواطنيه بل يقضى عليه ان يترن سنة في الفرع الذي يريد الاختصاص فيه ثم يقدم فخصاً بعد ان تكون المدرسة قد اعدته للنظر الاجمالي في الحياة العلمية . ولرجال الدين والاسانذة والمحامين والقضاة والموظفين والاطباء في المانيا الذين يخرجون من الكليات طبقة خاصة ومنزلة سامية بين قومهم لا ينالها الا الضباط لاسباب خاصة ولكن الصيارف والتجار وارباب الصناعات والاملاك مهما بلعوا من الغنى والذكاء والاعتبار وخدموا المصلحة العامة فهم دون اولئك الذين تخرجوا من الكليات بمنزلتهم . وتناغي القوم في الاعمال الحرة علم طبقات الامة الالمانية

(١) تتألف الكلية الالمانية من اربع جامعات جامعة اللاهوت (برستانتية او كاثوليكية) وجامعة الحقوق وجامعة الطب وجامعة الفلاسفة وهذه الجامعة الاخيرة اثل في فرنسا جامعة الآداب والعلوم

ان ارباب الصناعات والتجارات وغيرهم من طلاب المال والغنى لا يعيرون مهمما بلغوا من الذكاء الا للثروة ولذلك تكون منزلتهم في الانظار دون العاملين بافكارهم وعقولهم

يقولون ان العلم لا ينبجج الا باطلاق الحرية للتعلم يتعلم على ما يشاء وللمعلم يعلم كما يشاء وهذا موجود في الجملة في الكليات الالمانية فان الاساذ وان كان امر تعيينه يرجع الى الحكومة وتنحكم هذه في اختيار من يعرضون عليها فهو لا يعيش من رواتب توديعها اليه الحكومة بل انها تدفع له جزءاً صغيراً والباقي يتكفل به الطلبة فيدفعون اجور الدروس التي يحضرونها والطلبة لا يفحصون آخر السنة بل هم احرار وعمدة الكليات مستقلة تدبر شؤونها بذاتها وينظر في انتخاب الاساذ الى قيمة ما يحسنه من العلم لا الى ما يمتاز به من صفات التعليم مثل جودة الالتقاء وسهولته والمعلم لا ينبغي في التاء دروسه لانه يعلم تلاميذه بالعلم اكثر من النظر

وفي المانيا طبقة من الاساتذة مستقلة عن الحكومة كل الاستقلال ولم الحق ان يدرسوا في الكلية التي يريدونها ويقضوا من طلبتهم اجور دروسهم ويختاروا موضوعات مسامراتهم ومحاضراتهم ويشرعون وينتهون من دروسهم في الاوقات التي يختارونها وترى الطالب في الكلية لا يماج لشيء سوى ان يدفع المخصص لها وسواء حنصر ام لم يحضر تعلم ام لم يتعلم لا يسأل عن عمله ويكاد لا يفحص الا في بعض المواد القليلة كما انه حر في الدروس التي يختارها

يعلم الالماني ان اطلاق الحرية للطالب على هذا النحو لا يخلو من حمله على الكسل ولكن يرون ان لها فوائد اخرى فان الطالب يكون قد قضى في المدارس الابتدائية والوسطى نحو عشرين سنين تابعا لنظامها المدقق حتى اذا بلغ العشرين او نحوها كانت حرياً في الكلية ان يتعلم كيف يعمل بنفسه ويجب اليه عمله بدون سائق يسوقه وكيف بوجه وجهته ويحدد رغبته في التعلم فيعمل على ذوقه برضاه لا مدفوعاً بسائق فخص يجب عليه ان يتخطاه . فالكليات الالمانية تضمن للطالب فيها تهذيب العقل من جهة وتربية الارادة والخلق من جهة أخرى وذلك باعلاقها حرية طالبها فتعامله معاملة رجل حر عاقل له حق التصرف باحواله ولسان حالها « اعمل ما يروقك واعلم فقط انك ستجني ما زرعت »

كثير في الاغاني الالمانية ما يشير الى ان حرية الطالب اثن شيء وانها من اوصافه

الخاصة به فالفتى لا يحضر دروس الكلية للحصول على معارف تنفعه للقيام بمهرفة ما في المستقبل وما هذا المطلب الا ثانوي بل ان الغاية التي يسعى وراءها في سنيه الثلاث في الكلية هو ان يصبح رجلاً وتكون له شخصية . يعني على ذلك اساتذته واتوابه ومن هنا نشأت فائدة جمعيات الطلبة لان الطالب يتعلم فيها امرين مهمين الطاعة واحترام الناس له . والطلبة المتقدمون يطبعون على ذلك الطلبة المتأخرين او المحدثين بحفاظتهم على قواعد لم يسبقونها وبالحفاظ على انفسهم في الطالب شعور الشرف وعزة النفس في الحياة المشتركة وتقوى ارادته على الصدمات فهو اذا خلع من سلطته في منزله بين ابويه يكون لتلك الجمعيات عليه شيء من السلطة الادبية فبالكلية لا يصبح رجلاً عالمًا ومهذباً فقط بل صاحب اخلاق . ولقد صدق احد من وصف الكليات في الغرب فقال ان الكليات الفرنسية تنقصها الحربة والكليات الانكليزية يعوزها العلم وفي الكليات الالمانية لا ينقص هذا ولا ذاك

قام مجد المانيا قديماً بن نبغ فيها من الفلاسفة ثم بن نبغ فيها من القواد والجند ومجدها اليوم مناط الا قليلا بارباب الصناعة والتجارة من ابناءها . ومعلوم ان حاجة المدينة الحديثة ماسة للاخصاء في العلوم والفرد في الصناعات والمانيا لا تجهل ان قوتها في جهاد الامم السلمي بن لديها من الاحصائيين والكثيرين كثرة لا نظير لها عند الامم الاخرى ولذا بذلت العناية للمدارس الفنية والاختصاصية حيث يتعلم الشبان علوماً توجد لهم مراكز في الصناعة واذ جعلوا في اواخر القرن الماضي من حق هذه المدارس ان تمنح لقب دكتور للتخرج بها كما تمنح الكليات فقدت هذه بعض الاتمال عليها ان لم يزد كما هو المأمول وبعد فما يرجع الاساندة الذين اوجدوا في الكليات روح الوحدة الالمانية وربوا رجال الامة تلك التربية السياسية المهمة يتوفرون على الاحتفاظ بهذه الوحدة حتى صح على الالمان ولا يزال صحيحاً ما كان قاله بسمرك وقد رأى جماهير الطلبة سنة ١٨٩٥ تحمي^١ لتهنئته بعيد الثمانيني : منذ رأيت هذه البلوطات الالمانية الحديثة (ويعني بها الشبان الالمان) لم يبق عندي اقل قلق على مستقبل المانيا .

صور تنغني وتتكلم

ان النجاح الذي صادفته الصور المتحركة بتمثيل الاشباح على الستار قد جعل المفكرين بدأبون لتدعيم الفائدة باضافة آلة الفونوغراف او الحاكي ليتهاي لجمهور المشاهدين التمتع بروية الاشباح ومماع اصوات ممثلها في آن واحد . وقد وفق مؤخرًا الكاتبين كواد

الفرنساوي للجمع بين عرض صور الممثلين واسماع الجمهور اصواتهم بحيث تأتي حركاتهم واصواتهم طبقاً للألوف من اصوات الممثلين الحقيقيين وحركاتهم وطريقه ذلك ان يتكلم الممثل اولاً أو يغني ويؤثر امام آلتى الفونوغراف والتصوير فيأخذ الحاكى اصواته على حدة وترسم آلة التصوير حركاته الموافقة لاصواته، ثم يوصل بين هاتين الآلتين بقضيب من حديد لغتم المواصلة الكهربية بينهما . وتوضع آلة التصوير وراء الجمهور حسب المعتاد . ويوضع الحاكى بالقرب من الستار ويدبرها معاً بحرى كهربائي فتتحرك الآلتان بسرعة واحدة فتنفق بذلك الاصوات التي تصدر من الحاكى مع الحركات التي تدبر صورها آلة السينماتوغراف او الصور المتحركة . فيرى المشاهد اشخاصاً ترقص او تمشي او تركض او تتحرك بحركات غير هذه ويسمع ، متفوه به من الاصوات المطابقة فيخالها اشخاصاً طبيعية لها قوة الحركة والنطق

قفل يفتح بصوت صاحبه

في جملة الاختراعات الحديثة قفل للابواب والصناديق له فوهة مثل فوهة آلة التلفون وله جهاز خاص فلا يفتح الا اذا تكلم صاحب القفل او غيره في الفوهة كلمة اصطلاحية يفتح بها القفل بمجرد دخول الصوت المركب من مقاطع تلك الكلمة . فاذا زادت المقاطع اوتقصت تغير فعل الصوت في آلة القفل فيمتنع على الفاتح غير ان لهذا الاختراع عيوباً اخصها عدم انفتاح القفل اذا كان الصوت ابعج ولذلك فاذا أصيب صاحب القفل بركام شديد فلا يبقى بامكانه ان يفتح بابه او صندوقه لم يطلع صدقاً له على كلمة السر ليلفظ بها في فوهة القفل وفي ذلك ، ما فيه من الاعنات وكشف السر

تلميح التربة بالبكتيريا

درس بعضهم خواص نوع من البكتيريا فوجد ان له خاصية امتصاص عنصر النيتروجين من الهواء وغيره وبذء في التربة التي يعيش فيها . وامتحن تلقيح الارض بهذا النوع من البكتيريا فوجد انه يزيد بها خصباً وانه يحسن غلتها خصوصاً اذا وضع في التربة شيء من المواد التي ينمو فيها هذا الميكروب من مثل البوتاس والحامض الفسفوريك والكلس . وسيكون لهذا الاكتشاف شأن عظيم في الزراعة

آلة لتطهير هواء المنازل

اخترع الاستاذ شارل ريشه من باريس آلة تنقي هواء المنازل مما يكون فيه من

الغبار والجراثيم الحيوية . وهذه الآلة تذف قطرات صغيرة من الغليسرين يعلق بها الغبار فتحمله ساقطة به الى الارض . ولها مروحة تجذب الهواء اليها ليسهل رشه بالغليسرين فيتهافت جميع هواء البيت شيئاً فشيئاً الى اتجاه المروحة فيتطهر بهذه الطريقة السهلة

شعر الرأس

يمكن شعرة عادية من شعر الرأس ان تحمل ثقلاً يزّن ست اواق طبية . ويبلغ معدل شعر الرأس نحواً من اثنين الى ثلث شعرة ويمكنه ان يحمل ثقلاً يزّن عشرة قناطر واذا فشل معانيه يحمل ثلث الى ربع قدر ذلك ايضاً . ولذلك فان نساء قوطاجنة الحرائك كن يقدمن شعرهن الكثير عندما - صر الرومانيون مدنيتهن ليصنع منها حبال قوية تذف بها الحبار من البنايات

بندنية بدون صوت

تمشى بيارود بدون دخان

اخترع المستر ديام برسي مكسيم الاميركاني انبوباً - خيراً بباطم البندقية فيضعف قوة صوت البارود حتى يكاد لا يسمع البندقية صوت عند الاطلاق . وهذا الانبوب عبارة عن قطعة مجوفة من الفولاذ قرباً من انبوب تباط وتنفذ اولاً نحو خمسة قراريط ولها في جوفها حلقات معدنية لولبية نائمة من - بدرانها الداخلية تعمل الغاز الذي ينفلت من البارود عند الملاقاة بدور في هذه الحلقات قبلما يخرج الى الفضاء . فيفقد بذلك قوته ويخرج من فم الانبوب ضعيفاً لا قوة له على تمزيق الهواء واحداث الصوت المعروف وذلك لان صوت البنادق انما يحدث من غاز البارود الذي ينفلت من فوهة البندقية حالما يخرج منه الرصاصة فيحلق في الهواء اي اذ يخرج بهيئة حلقات لها شكل القطر . فتدفع هذه الهواء دفعاً شديداً تمزقه فيها تمزقاً فيسمع له الصوت الذي نعرفه اما بواسطة هذا الانبوب الذي يدخل فيه فم البندقية ادخالاً محكماً فيدور غاز البارود في الحلقات اللولبية في باطنه فيفقد قوته لانه لا ينطلق تواءً . فيخرج وله صوت ا يماثل صوت الغاز اذا اطلق من زجاجة « كازوزه » بعد ان تزحزح الفاية قليلاً بدأبون لثنت ضعيف القوة بحيث لا يسمع له صوت الا على بعد بضع خطوات لشدة ضعفه . برؤية الاكل جرب المخترع هذا فحشا عدة بنادق بيارود لادخان له واطلقها جميعاً على

هدف بحضور جم غفير فكان رصاصها يحترق الهدف والمشهدون لا يرون دخاناً ولا يسمعون صوتاً الا صوت وقع الرصاص على الهدف . واذ رأت الحكومة الاميركية خطورة هذا الاختراع وتعرض الناس بواسطته لاعتداء القنلة الاشرار اذا تمكنوا من التسليح بهذا السلاح الذي يأمنون معه افتضاح امرهم عمدت الى قانون تسنه منعاً لما عساه ان يترتب على هذا الاختراع من الضرر والاخلال بالامن العام

طبقات الهواء العليا

وجد بالاتحان ان حرارة الهواء تقل كلما صعدنا في الجو حتى نبلغ علو نحو عشرة آلاف متر (٣٣ الف قدم) ومن ثم تأخذ الحرارة بالازدياد قليلاً ازدياداً قانونياً . وقد وجد ان هذه الطبقة العليا السخنة تم جميع الجهات فوق المناطق الاستوائية المعتدلة والمتجمدة شمالاً وجنوباً . فهذا التناقض في حرارة اعالي الجو يدل على امكان اختلاف تركيب طبقات الهواء السفلى من طبقة العليا وتقدم بعض الكيمين زجاجات من الهواء من طبقاته المتعددة الى علو يتجاوز ٤٦ الف قدم وحلل ذلك فوجد ان عنصر الهاليوم يختفي بتاتاً عن علو ٤٦ الف قدم وبما اذكر ان ركاب المناطيد قد كشفوا طبقة هادئة في اعالي الجو وسيكون وراء درسيها نفع في الاسفار الجوية

السم الاسمر واللحم الابيض

في جملة الحيوانات السمراء لحم البقر والغنم والخيول والخنزير البرية والوعول والارانب والحمام والبط والاوز وسمك سلبان او سمك المان اراهم . وبما يكون لحم بعض هذه الحيوانات داكناً . اما المجمول والخنزير الداجن والارانب اذليفة وسمك السبوط وابو منقاد والكر كند والسرطابين فلحمها ابيض او كفي اللون . واما الطيور فلحمتها اي صدورها بيضاء اللحم وانفاذها سمراء اللون . وبالفرد من ذلك الضفادع فان انفاذها بيضاء اللحم وما بقي منها اسمر اللون . وكثير من اصناف السمك كالخنكليس وغيره يجمع بين اللونين الاسمر والابيض . وقد تبين من الابحاث العلمية ان لهذه الالوان علاقة بالقوة والنشاط . فتكون العضلات الكفيفة اللون على الجملة اكثر نشاطاً من التي لونها احمر او اسمر لانها تنقلص بسرعة ولكنها تكل قبل العضلات السمراء اذ انها تفرز مقداراً اعظم من الحامض اللبنيك (او الالينيك) وهو نتيجة التعب والدليل عليه

ولذلك فيمكننا ان نحكم على نشاط الحيوان وعلى مقدار ما يتحملة من التعب بالنسبة الى غيره من لون لحم عضلاته . والقاعدة لذلك ان ما كان لحمه ابيض كان كثير الحركة والنشاط وما كان احمر اللحم او اسمره كان اقل نشاطاً في حركته ولكنه اكثر تحملاً للالتعب

تعزيز نمو النبات

كانت الطريقة المعول عليها لانماء النبات انماء صناعياً ان يعالج بالاثير فيسرع نموه وتنضج ثماره قبل اوانها . غير ان العلامة موليبيدوم قد كشفت طريقة اسهل من هذه واقل نفقة وهي : ان يغمس مايراد انماؤه من النبات مغلولاً في ماء تبلغ درجة حرارته بين ٣٠ و ٣٥ بمقياس سنتيغراد . ويبقى مغموساً مدة تسع ساعات الى اثنتي عشرة ساعة وبعد ذلك ينتقل الى غرفة مظلمة رطبة حرارتها تبلغ درجة ٢٥ ويبقى هناك الى ان تبشدي الاوراق تطهر فينتقل حينئذ الى مغرس زجاجي ويعامل معاملة النباتات التي تربي في المغارس الزجاجية الدافئة . واتمحن احدهم هذه الطريقة في الزنابق فازهرت بعد نحو اربعين يوماً مع ان ماغرس منها غرساً عادياً لم يظهر اوراقه في هذه المدة مما يدل على شدة تعزيز نمو النبات بهذه الطريقة السهلة الاجراء القليلة النفقة

ثمن الراديوم

كان يمكن قبلاً ان يشترى الجزء من الف من الغرام من الراديوم بعشرة فرنكات اما في سنة ١٩٠٩ وما بعدها فبلغ ثمن هذا الجزء خمسا واربعين ضعفا اي ٤٥٠ فرنكا . وبما ان الراديوم يستخرج من الاتربة الزئبقية قرب الزفت في ضواحي معمل كورنش بالقرب من لندن يساوي ثمناً يفوق ثمن تراب الذهب والماس

شباك الصيد

دل اختبار صيادي السمك في جهات متفرقة على تأثير لون الشباك بالاسماك فصار من المقرر ان من يستعمل شبكة زرقاء اللون يصيد اكثر كثيراً من يستخدم الشباك العادية السمراء اللون . وذلك لان لون الشبكة الزرقاء يماثل لون ماء البحر فيفتني بذلك خوف السمك من العدو منها

آلة جديدة للحلاقة

اخترعت في امريكا آلة جديدة تحلق شعر الوجه بموسى مجهزة بآلة كهربائية بدون

ان تمسها يد انسان . وللموسى واق من المطاط وغيره بقي الحد من الجرح . ولا نظن ان هذا الاختراع يسر الخلاقين عندنا اذا تهاوت الناس على شراء هذه الآلة وصاروا يخلقون لحام بواسطة الكهربية ويأمنون شر جراح المواسي التي قد تنقل الدوى من مصاب بمرض جلدي في وجهه الى الاصحاء .

عضو جديد للحرس

اكتشف فرتر في المرة عضواً خاصاً للحرس مؤلفاً من بضع شويكات نائمة في الجلد بجانب رسي قائمتيها الاماميتين . وكانت هذه الشويكات قد وجدت في حيوانات عديدة غير المرة من مثل القواضم والحيوانات الدرداء (التي لا اسنان لها) والمفترسة وذوات الاربع السافلة في سلم الاحياء . وتوجد هذه الحاسة خاصة في الحيوانات التي تتلف طعامها باكفها والتي تزحف او تنسلق الاشجار . ولكنها لا توجد في القرود لانها تمتاض عنها بما لها من الامتياز في استعمال يديها وللان لم يمكن الاستدلال على وجود هذه الحاسة في الكلاب

سفينة لرصد المغنطيسية

عزم بعض محبي العلم في اميركا على السياحة في جهات القطبة الجنوبية وغيرها لرصد مغنطيسية الارض فاباءوا سفينة خالية من الحديد والفولاذ . فصنعت جدرانها ومساميرها وسائر ما فيها من الخشب منعاً لتأثير ما قد يكون فيها من المواد المعدنية في المغنطيسية التي تقاس بالآلات خاصة في السفينة

خليل سعد

طنين الآذان

تختلف الاهتزازات التي يسمعها المصابون بالصمم او بطنين الآذان فيظنون تارة انهم يسمعون صغيراً حاداً واخرى انهم يسمعون جلبة مثل صوت الزيز والصرصور والجرادة وطوراً يسمعون صوت انغام من جوقه، وسيقية فيها الطبل والطنبور والجلاجل والصنوج او رنة اجراس وتغريد طيور شديدة بحيث يتراءى للسامع بانه في بيت حمام وقد تمر الشهور والمصاب بالصمم او بطنين الاذن يسمع هذه الاصوات فتحول دون سماعه الاصوات الخارجية . والمصابون بالصمم والخرس معاً ليسوا عرضة لهذا المرض بل ان جميع المصابين بالتهاب الشرايين *leos arteria - scléreuse* هم على الجملة مصابون به وتختلف درجاته فيهم . وقد بحث الدكتور ماراج الفرنسي

في اسباب هذا المرض فقال ان اكثرها ناشئة من اختلال وضع سلسلة الكعب وان التعميز (التمسيد) نافع في اكثر حالات هذا المرض .

تعايم الجغرافيا

الجغرافيا كلمة يونانية معناها رسم الارض او صورة الارض عرفها العرب بتقويم البلدان او رسم الارض وكان لها أن من عنايتهم ونبغ فيها مشاهير خدموها خدمة جلي في القرون الوسطى ^(١) وعدم عناية من يشتغلون بالعلوم الاسلامية بها في القرون الاخيرة . نشأت من هذه امور مضرّة ومنها ما يضحك حتى ان كثيراً من جرائدنا العربية بل ومجلاتنا تغلط في ايراد اسماء البلدان والانهار والجبال والاقطار وكثير منها لا يعرف جغرافية مملكته . بل قلّ جداً من خاصتنا اليوم من يحسن جغرافية قطره فالسوري مثلاً لا يستطيع ان يحدد لك بلاد فينيقية ولا جبال سنير والجليل وموآب واللحم ولا يعرف كم في سورية من بحيرات او من مدن عامرة وكذلك المصري قلما يعرف مركز الوجه البحري من الوجه القبلي واي بلاد الاقاليم اعمر وفيها يوجد القطن وتوجد اثراً للصناعات وهكذا الحال في ابن العراق وابن تونس وابن الحجاز وابن اليمن دع عنك ما يلزم العثماني خاصة معرفته من احوال الولايات العثمانية كلها حتى ان من القوا في الجغرافية من الاتراك خلطوا في اسماء الاعلام خلطاً يكاد يرفع الثقة من كل ما كتبوه وكذلك الحال فيمن كتبوا من المصريين واطلعوا عليه من كتبهم وان من الاسف ان يرد في احدى مجلاتنا المعتمدة ان سورية هي ن آسيا الصغرى كما من الاسف ان تقول بعض جرائدنا ان بلاد نجد خضعت لاحكام الدولة العلية مع ان نجداً قطر عظيم له اميران الآن ابن سعود وابن الرشيد فخلطه الكاتب مع لواء اسمه نجد من اعمال البصرة وقالت احدى جرائدنا ان ولاية وان من الولايات القريبة من الاساتنة مثل بورصة مع ان وانا هي في اقصى تخوم الولايات العثمانية الى الحدود الفارسية والروسية وقالت أخرى انهم انشأوا خط تلفون بين غلطة واسقودرة فمررت Scutari باسقودرة مع انها اسكندار احدى احياء الاساتنة ويا بعد ما بين اسقودرة والاساتنة وقالت احدى جرائد الاساتنة الكبرى ان والي بيروت زار جبلة مركز جبل الدروز مع ان جبلة الى الساحل من اعمال بيروت وجبل الدروز في داخلية سورية لاعلاقة لها مع والي بيروت الى غير ذلك مما يقع امثاله لصحافتنا كل يوم وهم يبحثون في بلادهم فما بالك بهم اذا تجاوزوها .

الى الصين والهند واوستراليا واميركا واوربا وافريقية . وربما لا يخطب بعضهم عند كلامه على جغرافية الولايات المتحدة او فرنسا وانكلترا مثلاً بقدر ما يخطب في كلامه على ولايته نفسها اذ يكون قد درس جغرافيتها في مدارس الفرنسيين والاميركان والانكليز حتى الدراسة في كتب جيدة ونظر الى كرة الارض او المصورات فذا بقى ما قرأه في الكتاب على المشاهد

ولكن علماء الجغرافيا في اوربا اليوم يرون تعليم هذا الفن على تلك الصورة متعباً للذهن لا يلبث الطالب ان ينسأه متى خرج من المدرسة واذا ذكره منه فلا يذكر الا اجماليات لا تعني من التفصيل شيئاً فقالوا اي فائدة للطالب ان تذكر له ان في المقاطعة الفلانية كذا من الانهار والرؤوس وشبه الجزر والجبال والمدن والساكنين وهو يعتقد بان ما يتناوله من هذا العلم هو من الكماليات لا غناء . ثم لا بقدر ما يفي حشنة الحبل والرياضة الجسمية وكم من عالم ردي الخط ومن ادب لا يحسن لعب على الحبل ولا يتفهم مترين ولا يستطيع السير على قدميه ساعة او التصعيد في جبل .

يبدو ان فن الجغرافية نافع في التربية نفع الرياضيات فهو علم تعقل وتدبر هو علم صلات الارض بالانسان ولذلك كان له شأن في تثقيف العقل فهو يدرك المرء جسمامة البحر المحيط وعظم غابات اميركا واحلاق زنوج افريقية ويعرّفنا النظر الى البلاد التي نعيش فيها ولا نعرف من امورها الطبيعية شيئاً فلا نقدر ابعادها ولا قممها ووديتها ومضائقها وجوفها ولا لم كانت الاشجار الفلانية تجود في الساحل ولا تجود في الداخلية كل ذلك مما تعلمه الجغرافيا اليوم فيها نعرف تركيب طبقات الارض واشكال النواقي والمناخ وكيف تجمعت المياه واشكال ما يعيش فيها من الحيوانات والنباتات والانسان . وتدل كيف ان المرء مستعد لقوى العالم واسير في الارض وانى له ان يجاهدها ويتغلب عليها ويبين الصلة المتبادلة بين الارض والانسان

وفي القرن الماضي بدت الجغرافيا في مظهر جديد بما توفر لها من علوم طبقات الارض والطبيعة واصول الشعوب وعلم قياس البحار وعلم الاحداث الجوية والحيوان والنبات والاقتصاد السياسي ورحلات من وصفوا الامم وصفاً مجرداً ووصفوا بلادهم وصفاً دقيقاً وتمت لها اكتشافاتها ولم يبق الا شيء يسير من الارض يحاول العلماء اليوم ان يكتشفوه ونعني به القطب الشمالى والقطب الجنوبي . وكما ذهب في هذا السبيل من رجال وصرفت فيه من اموال .

فعدا هذا العلم بحث في مختصراته ومطولاته عن الحوادث الكبرى في الجغرافيا الطبيعية والجغرافية الاقتصادية ولكن علماء الجغرافيا ينتقدون اليوم تلك الطريقة التي كانت مثل الرجوع بعد تلاوة الكتاب الى المصوّرات اورسها كما هو الحال في بعض مدارس الشرق النظامية قائمين ان الجغرافيا لا تعلم في قاعة الدرس وهي متغلة على هذه الصورة وان احسن الطرق في تلقينها ما تعلمه الطالب في الارض التي يتعلم جغرافيتها فيطوف فيها مع استاذة ويريه سهولها وجبالها وبحيراتها وانهارها وخليجاتها وبركانها وقالوا ان تبعه تدريس الجغرافيا على هذا النحو عظيمة لانها في الغالب تضطر الاستاذ ان يصحب معه ثلاثر او اربعين طالبا الى اماكن وعرة ولكنها جميلة وقد جرب بعضهم هذه الطريقة في التدريس فكانت طريقة النجح في الاستظهار وتطبيق التعلم على الحس اكثر من تلاوة كتاب والنظر الى مصور فيحيط الطالب بالصقع وكل ما فيه من ظواهر الطبيعة اكثر من يسمعون وهم في القطار لا يعرفون من البلاد الا ما يكتب لهم ان يطلعوا عليه من نوافذ مركبتهم . والاساندة الذين يمثلون صقعا للامم يذمهم بالتصوير الشمسي اورسم المسطحات او الطواف في الضواحي يفرسون فيها ذوق النظر والتشبيه ويضمنون لهم الفرح الكبير فاذا علمت الجغرافيا على هذه الصورة ولا سيما ما كان منها مختصا بمملكة المتعلم يكون لها شأن عظيم في تربية قوى المتعلمين فلا تدخل في عقولهم مبادئ مهمة فقط بل تعلمهم النظر والتدبر فيكون منها مجموعة تتكون منها احسن اداة في التربية العامة واكثر عامل في التعليم العملي فيتلقى الطالب من تعليمها على هذه الصورة اصولا ينفع بها في حياته يوم خروجه من المدرسة .

انتشار الالمان

قالت احدى المجلات الانكليزية المعتبرة : اخذت المانيا ترمي جهارا الى تكبير بلادها في الشرق والغرب فان الحالفة الالمانية التساوية تقوى كل يوم وتقترب روسيا منها باتباعها عن انكلترا ويزيد الالمان في مداحلتهم في البلاد كلها بانهم يؤسسون فيها المدارس والجرائد ويمثلون الروايات ويقومون الحفلات الموسيقية ويمحتكرون التجارة بالتدريج وقد فتحوا حديثا في مدريد مدرسة نجحت نجاحا كبيرا وللالمان في البلاد العثمانية صحابة خاصة والمانيا تتقدم من جهة تحومها القرية بخطاسر يمة ولكنها ثابتة متينة وكأنابا بالبحيك وقد اصبحت عما قريب جزءا متما لا لجزء المملكة الجربية وسيكون شأنها شأن امارتي بافيرا وسكسونيا وقد كادت مدينة انفرس وهي سوقها الكبرى تصبح جربية بمشاريعها

ورؤوس اموالها ونفوذها وتنظر المانيا جهاراً الى بلاد القاع (هولاندة) واستثمرات الهولاندية تريد ان تضحها اليها وان المانيا على ما يترأى من حالها قد اختطت لها خطة ستضم بها اليها اراضي جديدة وسيكون ذلك في اول فرصة متى حدث بينها وبين فرنسا او انكاثرا مشكل

النسر عند السوريين

في مجلة تاريخ الاديان الفرنسية ان الناظر في التواويس والقبور في سورية القديمة يجد صورة نسر وغراب وتاج محفورة في الحجر . وحيث لا يشاهد صورة غراب او تاج ولكن قلما شوه ناوروس مهم^٣ الا وقد زيرت عليه صورة نسر تارة منفرداً وحده وجناحه مبسوطان وأخرى بين ذراعين اشارة الى الصلاة وطوراً يحمل الميت على ظهره بكل ما في جناحيه الواسعين من قوة . وانا لنشاهد هذا النسر على القبور الرومانية في عصر الامبراطورية بحيث يدعو ذلك الى الظن بان النسر السوري قد نقل على هذا الوجه الى المدافن الرومانية ومنه نشأ الرمز الامبراطوري اى علم النسر الذي تحمله الكتائب . اما وجود النسر في القديم فذلك لانه يعتبر في بعض الاديان السامية خادماً للشمس وهو الذي يحمل اليها الارواح التي انفصلت عن الاجسام المستعبدة على الارض . وانتقل هذا المعتقد السوري الى رومية حيث كانوا يذهبون الى ان النسر يحمل الامباطرة الى السماء . والنسر هو الحيوان المقدس للرب المشتري دام هذا الاعتقاد طويلاً وقد عثر على مسلة من القرن الرابع تمثل صورة امباطور يسير في النعش وامامه نسران بدلانه على الطريق وكانت هذه الحالة امتيازاً للقياسة يمتازون به عن الشعب . وهكذا نرى نفوذ الاديان السامية الاولى مؤثراً في معتقدات العالم الروماني

الحركة التجارية في روسيا

يؤخذ من بيانات سنة ١٩١٠ في روسيا ان روحاً جديدة اخذت تدب في التجارة ففي تقرير ادارة الرسومات عن ستة الأشهر الاولى من السنة المذكورة انه بلغت الزيادة في اثمان البضائع الداخلة الى البلاد ما يربو على ١٢٥ مليون ريال . والاصناف التي زاد ورودها بكثرة هي الحديد والخشب وزادت صادرات الجلود ٢٥ بالمائة عما كانت عليه . والمعلوم ان زيادة طلب الحديد دليل على حركة صناعية

تجارية فالقسم الاوفر من الحديد هو لمد خطوط حديدية في سنة ١٩٠٨ زيد الى مجموع ما عند روسيا من الخطوط الحديدية ٢١٥ ميلاً وفي سنة ١٩٠٩ زيد ١٣٧ ميلاً واما في السنة الاشهر الاولى من سنة ١٩١٠ فقد زيد الى مجموع ما عندها من السكك الحديدية ٢٧٥ ميلاً وهي عازمة الآن على بناء ٣٦٠٠٠ ميل

الانتفاع بالكلاب بعد التربية

الكلاب من جملة الوسائل التي تختارها جمعية الصليب الاحمر لتخليص الجرحى من ساحة الحرب ولفرع الجمعية في فرنسا ادارة خاصة بتربيتها لهذه الغاية فهم يعلمونها ان تفنن عن الجرحى في التليل او اتناء البار فاذا حبلت هذه الكلاب بجريح يأتي اما ببندقية او بعبته الى حيث يقيم الراهبات فعندها يرتد جماعة منهم الى مكان الجريح وقد اتخذ المدرسون لتلك الكلاب الوسائل الفعالة في تربيتها حتى لا تنبج عندما تظفر بجريح لثلاثا تزججه بنباحها واما في المانيا فهم يبرنون الكلاب لي ان تقيم بجانب الجريح عند ما تظفر به وتنبح الى ان يأتي من يأخذها من جماعة الراهبات

ساعة من الزهور

زار حديثاً الموسيو فالير رئيس جمهورية فرنسا مدينة بيرن من اعمال سويسرا وهي من اشهر المدن في العالم لصنع الساعات فتدبت اليه ساعة مصنوعة من الزهور الطبيعية قطر دائرتها ٦ اقدام وهي معمولة من البنفسج والشتاق وعقاربها من زهور مختلف لونها عن لون دائرتها والارقام من زهور يختلف لونها عن الجميع والزهور كلها مفروسة في اصاصي « غلب » صغيرة وقد احكم صانها ضبط حركتها الى درجة انها لا تنقل في ضبط الوقت عن احكم الساعات

ازالة الثلج

البخار احدث طريقة لازالة الثلج عن الخطوط الحديدية وذلك بتوليد البخار في المحطة يسحب في انبوبين من حديد يمر كل واحد منهما تحت احد قضبي السكة فاذا نزل الثلج يذوب للحمالة الحديد

الموسيقى عن بعد

وفق حديثاً احد سكان سان فرنسيسكو قاعدة ولاية كليفورنيا من الولايات المتحدة لان ينقل صوت الفونوغراف بواسطة الهاتفون الى مسافة ٥٠٠ ميل وقد جرب ذلك

جماعة من الخبيرين بفن الكهرباء فكان الكل يسمعون صوت الفونوغراف عن بعد يخرج الالحان بكل وضوح

اكبر مزرعة حمام في العالم

اكبر مزرعة لتربية الحمام في العالم هي في ولاية كليفورنيا وهذه المزرعة مؤلفة من ثمانية افدنة من الارض شيدت عليها حظائر الحمام . وقد بلغ عدد ما تنتجه من الحمام ٤٥٠٠٠٠ طير في السنة لا يقل عدد المفرخين منها عن ١٠٠٠٠٠ طير ومعدل الثمن الذي يباع فيه ذلك الحمام من ربالين الى اربعة ربالات ومع ذلك فلم تعد بفائدة عظيمة على صاحبه لكثرة ما يتركبه من النفقات فبقي كل يوم تأكل ٦٠٠٠٠ اوقية انكليزية من الحبوب عدا اجور المستخدمين الذين يقومون بخدمتها ويحافظون عليها وعلى صغارها من الجرذان والفيران والطيور الجوارح

الافيون

قالت مجلة الاجتماع الاميركية : بلغ ثمن ماصدر من الافيون من الهند الانكليزية الى الصين من سنة ١٨٥٥ الى سنة ١٩٠٤ ما قيمته ٨٥٦٢٢٠ مليون روبية اي اكثر من ١٠٠ مليون روبية كل سنة وكان كل ما ربحته بلاد الهند من الافيون الصادر الى آسيا الشرقية عامة من سنة ١٧٧٣ الى سنة ١٩٠٦ ٤٣٦٦٠٠٠٠٠٠٠ جنيه وابتدأت تجارة الافيون في الصين سنة ١٧٦٧ فصادت مقاومة شديدة من الحكومة والشعب الصيني معاً ولكن الحكومة الانكليزية ارغمت الجميع على قبول دخول الافيون الى بلادهم

المواشي والمراعي

اشتهرت استراليا بتربية الماشية وكثر عددها في تلك البلاد حتى اصبح الكلا غير كاف لاطعامها فعمد الاستراليون الى سقي الاراضي لتنتج عشباً يفي بالمطلوب ولما كان ماء الانهر لا يمكنه ارواء كثير من الارض حفروا آباراً ارتوازية فاصبحت الارض التي تسقى من ماء تلك الآبار ٣٦٠٠٠٠٠٠٠ فدان .

اموال الانكليز

بلغت الاموال التي اقترضها الانكليز الى غيرهم من الامم حتى آخر السنة الماضية ٢٦٦٩٣٠٧٣٨٠٠٠٠ جنيه ودخلهم منها ١٣٩٠٧٩١٠٠٠٠ وقد اقترضوا في السنين الثلاث الاخيرة ما بلغ مجموعه زيادة على المجموع السابق ٥١٦ مليون ليرة انكليزية فبلغ

ماقرضه الانكليز لسكان الولايات المتحدة ٦٨٨ مليون جنيه وما اقرضوه للجمهورية
الفضية ٢٦٩ مليوناً وللمكسيك ٨٧ مليوناً والبرازيل ٩٤ مليوناً ولشيلي ٤٦ مليوناً
ولاوراغي ٣٥ مليوناً ولبيرو ٣٢ مليوناً ولسائر جمهوريات جنوبي اميركا ٢٣ مليوناً
ولمصر ٤٤ مليوناً ولروسيا ٣٨ مليوناً وللدولة العلية ١٨ مليوناً ولاسبانيا ١٩ مليوناً
ولايطاليا ١١ مليوناً ونصفاً ولبرتغال ٨ ملايين وفرنسا ٧٠٠٧١٠٠٠ ج ولالمانيا
١٠٦١٠٠٠ ج ومجموع مايدينه الانكليز من اموالهم للبلاد الخارجية ١٠٦١٠٠٠ ج
وللستعمرات والمهند ١٠٥٤١٠٥٢١٠٠٠ ج او ثمانون مليار فرنك هذا مع ان
المشهور بان فرنسا اكثر الدول غنى واوسع الامم في بسط يدها بالدين لمن يريد مع ان
ديونها لاتبلغ سوى اربعين مليار فرنك اقرضتها لغيرها في البلاد الخارجية

الجرذان

لاشك في ان الجرذان تسبب كثيراً من الامراض الوافدة كالطاعون فقد فكر
الكثير في طريقة لمحوها مع ان اليوم يفتك في عدد واثر منها كل سنة ومع الاسف ان
الصيادين في اميركا يقتلون كل ماعثر الواحد منهم عليه في فرنسا والمانيا حموا هذا الطير
عدو الجرذان الطبيعى فبرهنت التجربة فائدته للزارعين والصيادين معاً

اكبر مرسة

اكبر مرسة في العالم وزنها ١٥ طناً ووزن سلسلتها ١٠٠ طن وهي لاكبر باخرة
في العالم عرضت في معرض الهندسة والمكانيكيات في لوندرا

طاعم الاولاد الصغار

لاشك في ان الاولاد الصغار احوج من غيرهم الى الاطعمة الوافرة الغذاء ولكن
هذا لايتيسر وقت الظهر لاغلب اولاد المدارس العمومية في المدائن الكبرى لعدم
استطاعة الاولاد الذهاب الى بيوتهم لتناول الفطور وجلبهم من أسرهم فقيرة لاتستطع
ان تطعمهم في المطاعم قرب المدرسة شيئاً من الطبخ لغلاء اثمان الطعام فيها فهم يعطون
اولادهم بضعة درهمات يتعاون بها شيئاً من الكمك والشاي والقهوة او الشوكلاته
ليسدوا بها رمقهم فكثرت الآسنة مايبيل كثير من الشهيرات بفن تدبير المنزل العملي في
حال اولئك الاولاد وان هذا الطعام لايقوم بما فيه من الغذاء بحاجة اجسامهم فطلبت
الى لجنة المعارف في مدينة نيويورك بان تجرب مطعماً في احدي المدارس العلية بتناول

ثروة الأمم

الجزء باقراءة

المجلد ٦

التلاوة آونة الفراغ . وتأثير البيان كل يوم في نفوس الناس مشاهد محسوس فاذا تركنا التمثيل جانباً الآن الانرى ان القاء الخطيب لخطابه يزيد في تأثيره في القلوب .
الا تلاحظون كيف يعنى الاستاذ عند ابراده جملة من الكلام البليغ يذكره بالصورة التي تلي بها

فلقد ادرك القارئون على التربية في كل زمن مكانة الجهر بالتلاوة فكان في آئذنة اول معلم يتولى تربية الطفل رجلاً يعرف قليلاً من النحو كانت مهمته الاولى ان يدرسه اقوال التمرء فكان يترقى بالتدرج في انتاد جملة بعد جملة من كلام هوميروس او از بودوس والتلامذة يرددون مايقول وكانت تلاوة الاسفار المقدسة في الكنائس المسيحية بصوت جهوري من اهم الاجزاء الجوهرية في العبادة في كل زمن . ونرى اليوم علماء التربية قد اقرؤا على فائدة التلاوة الجهرية . واتفق لي ان تأكدت مالهذا الثمرين من الشأن في المدارس الالمانية فان له ولاسيما في مدارس البنات الشأن الاول فيقصدون ان ينهوا في العقول الشعور الوطني بتأثير النطق والمهارة في انتقاء الكلام وتنبيه الافكار الى الشعور بالجمال وبيان مكانة المؤلفين من الذكاء

وما برح عندنا (فرنسا) اجل رجال الادارة والتعليم والصحافة يعنون كل العناية ببعث النفوس في المدارس على حب القراءة فقبلت وعملت في هذا السبيل امور جميلة من العبث ان تحدثوا بها واكتفي في هذه المسامرة ان ابين تأثير القراءة الجهرية وكيف ينبغي للقاري ان يقرأ حتى يتجلى هذا التأثير فاقول : ان القراء تبعث في الخطاب روحاً . وفي هذه الكلمة جواب سؤالنا الاول ولكن ما هو سر هذه الحياة واي معنى لهذه الاستعارة ؟ فقد شبه افلاطون الخطاب بالتصوير في قوله : « ان الحال في الكتابة كما هو في التصوير فان الصورة تتراى للانظار حية ولكن اذا سألتها لاتيخبر جواباً وهكذا الحال في الخطب المكتوبة فاذا سمعتها تظن انها تفكر ولكن اذا سألتها بعض ايضاح عن الموضوع الذي تخوض عبا به تجبك جواباً واحداً ابداً . وان خطاباً اذا اهبين واحتر ظلاً يحتاج على الدوام لعونة من ابني عذره اما هو فعاجز عن الدفاع عن نفسه »

ومعنى ذلك ان المؤلف اذا لم يكن مستصحباً لكلامه لافائدة من تصوراته فهو اذا تلا كلامه يحفظ في ذهنه حوادث وافكاراً واحكاماً وتجارب وتحقيقات ادت به الى تلك النتائج ولذلك تحف حول كل فكر عبر عنه بالكتابة مواكب غير مرئية من الافكار التي تشرح

الكلام وهي من نوابه . والخطاب المكتوب وحده لا يقوم بالافصاح عن تلك المعاني المستترة وصوت الانسان هو الكفيل باثارة فكر الحضور على الانتباه لما فيه من الدقائق فان الوقف من صور الكلام ليست سوى شروح تعين على ادراك القصد من الافكار والصلات بينها وتعارض الاشكال وتقاربها والصورة الخاصة بالاشياء والغاية التي ينتهي اليها الفكر بل هو العمل بذاته الذي انصرف اليه الكاتب الذي يتجدد في فكر القارئ والمستمع بل هو الذكاء الراقد في غشائه المادي يتنبه ويحيي النفس . هذا هو التأثير الاول من الجهر بالتلاوة وهو من أكد الطرق وافعلا في تفهيم الكلام بجلاء والتعمق في اسراره .

لا ادري ما في الصوت البشري من سر يرسل الى الانسان فيبلغ شغاف قلبه . هذا السر اشبه بما يحى في الطبيعيات الاهتزازات الحادثة في آن واحد . فترى القارئ والسماعين يهتزون معاً واضطراب الاول يفعل في الآخرين وبالعكس وتأثير العقل الذي يذكرون صنعه تنشأ هذه الظاهرة فهو الذي يحيا فيهم وحيه للحقيقة والجمال وها اصل المكتوم من افكاره ينبعث في روح احبابه . وهكذا لا يفهم القارئ غيره بل يحب المؤلف الى ساهي كلامه فسمع صوته يضيغ اللسان المكتوب ماله من الكثافة والمادة ويفقد رمزاً حالصاً ويتسبب بالاندرج الى النفوس الباحثة ويصبح كالحلقة والعائد بين تلك الارواح نفسها . وبننا نترنخ الاعطاف تفتح ابواب النفس على ما ينبغي ويشرع العقل يخاطب عقلاً آخر مثله

وعلى هذا فان التلاوة بصوت جهوري تعلم وتشعر بنشاط غريب . وما الفهم والشهور بقوة الاباء على الارادة الا قليلا ومن صحت ارادته كان حرياً بان يبدأ بالعمل . فمن تلاوة المصنفات الجليلة تنشأ افكار سامية يكون من اثرها ان نرقى نحن الى مستواها ونفهم مغازيها فتفعل في افكارنا وافعالنا

اما كيفية القراءة فقد قال لي رجل مشهور بالفن والرياضات ان احسن الطرق لاجادة القراءة هو ان يتلفظ الانسان على وجه الصحة محافظاً على الخارج بحسب ما يعطيه الكلام والخطاب يفعل في النفوس كما تشاء ويفكر فيه الذهن بذاته وان من يحاول ان يشرح فكر المصنف يحشر نفسه بينه وبين المؤلف حشراً على غير داع . ولمثل هذا الفكر انشأ بعض نوابغ الشعراء منذ بضع سنين تمثيل روايات اللعب المعروفة Marionnette حرصاً منهم على سلامة هذا الفن وممثلو هذه القصص لا يحاولون على الاقل ان يقوموا مقام المؤلف .

ومن المحقق ان الواجب ان يقرأ ما في النص وان لا يحداد عما فيه فان بعضهم يحرفون ما يجدونه مسطوراً امام اعينهم خفة منهم او عادة لم القوها ان يكتبوا بما حصل او لقلة لين في ملكتهم او لاهتمامهم بالموضوع تاركين ما تقتضي به الامانة للتأثير في فكر السامع بقدر ما يعطيه 'الكلام' .

وانه ليجرم على المربي ان يزيد وينقص من عنده ليلفت بذلك النظر الى نفسه كما يفعل بعض الممثلين فيزبدون من عندهم قحة منهم واعتداء ليجزوا استجدان الحضور لهم . وان ينجح مرب يقصد من تلاوته أي تلاميذه ان يعجبوا بقرينة وكذا ان لا تكون تلاوته لتسليته سامعية كما يفعل بعض العامة فان الافكار العالية واللهجة الجميلة ليست من ادوات السرور والحظ بل يتوخى فيها ان يشترك سامعها بالحياة العالية المبعثة من فكر قائمها . وليس للقاري ان يتطلب إعجاب السامعين به فيصفتوا له ويشكروه بل عليه ان يفنى امام من يتقل قوله بلسانه فيكون لسان حاله الامين فقط وهو وسامعوه على مستوى واحد من هذه الوجهة فليس له الا ان ينكر نفسه وبذلك يضمن له النجاح .

ولا تنأى للقاريء افادة سامعية الا اذا شعر بما يقرؤه واحبه ليحبه الى النفوس اما التصنع من المربي فهو اسلوب مضر متى فاجأ فيه تلاميذه تفقد منه الثقة والالفة اللتان هما شرط في نفوذه عليهم وليس اجدر من السير مع الفطرة والطبع في التلاوة وان يتحد بروح المؤلف وذاته وجوهه

بنظر في كلام المؤلفين الى العصور التي قالوها فيها ليعلم انهم ثمرة تلك القرون التي عاشوا فيها فلا يأبى عليهم القاري ذلك لئلا يخدعهم وبغشهم واكن كلام الاعاظم نافع في كل زمن لانهم يكتبون كتابة تنفع على غابر الدهر يكتبون والمستقبل نصب اعينهم متوخين الكمال المطلق وعلى هذا فعلى القاريء ان لا يكتفي باطلاع احساسه الخاص بل ان يظهر الامور التي يذهب الكتاب على جليتها ولا يتيسر له ان يستعبد سامعية الا اذا خاطب حواسهم كما يخاطب قلوبهم واذهانهم وان يبهجهم بثقة لسانه ولا يفوته ان الاسن خلفت اثنكم فقد كتب البشر اللغة المحكية قبل ان ينطقوا باللغة المكتوبة

ولجودة الصوت شأن عظيم في التلاوة فالواجب ان تخرج الكلمات على اسر وجه ورزين واطلاق وان يتلو الانسان منتصباً على رجليه ما امكن او مستنداً على مؤخر كرسيه وان يفتح الكلام بقدر ما يعطى من دون اكراه ويكون جرسه صريحاً غنياً

لطيفاً رخيماً • وغريب كم للطف الصرت من تأثير في مجامع قلوب السامعين واعدادهم
لثاني الافكار فان من اهم الاجزاء الجوهرية في الالتقاء جـ دة التنفس فالواجب ان يكون
التنفس حراً لا قليلاً ولا كثيراً لطيفاً لا يشعر به •

ثم تجب العناية بالتلفظ ومعلوم كم هو ينفع ويضر • ورب خطاب جميل اضر به فساد
اللفظ ولاختلاف التلفظ في علائق الناس نفوذ حقيقي كثيراً ما لا يتقبل النسبة مع قدر
هذا الخلق العقلي • والتلفظ على وجه عام يدل على المحيط الذي عاش فيه الانسان والقدر
من التربية التي بلغها فهو نمام ينم عليك لمن لم يعرفك • اذاً فينبغي صرف الجهد ان
يكون اللفظ صريحاً صحيحاً ظريفاً • واهم جزء في هذا الباب اخراج الحروف من مخارجها
وهناك امر له دخل في احسان التلاوة وهو الاجمال اللائق بالكلام واظهاره في مظهر
متناسب مع سائر اجزاء الخطاب فيجب اولاً ان يضم ما يجب ضمه وبغية ما يمثل من
الجمال افكاراً متخالفة فيتردد التالي بين الوصل والقطع في البارات فالوقف المهم ينم
عليه اللفظ • قال كوت *Not* ان الوقف واخراج الحروف من مخارجها هما من اهم
الشروط الاساسية في جودة القراءة • وكمن وقف يقوم مقام وصل في اللفظة الواحدة
تجذب المخارج المختلفة الى واحد منها وتقطع الجملة بعد كلمة او بضع كلمات والقطعة بعد
جملة والخطاب بعد ايراد بعض افكار عامة • وتجب اعادة النغمة وتوزيعها على ما يليق
بنظام وقلة تكلف ويعد في الاحيان الى السداجة في النطق على الترتيل والتخمين وان يتأني
في الالتقاء لئلا يطيل المرة الخطاب على السامع من حيث يريد اختصاره • ويزن الكلام
فيبدأ بعد الوقف بسكون ثم يجر رويداً رويداً فن الوزن قانون الحياة اذا وقع تطبيقه
في الخطاب يملك صاحبه نفوس المخاطبين ويستهو بهم ويدب الروح فيما يعرضه على سامعيهم
وينتج من هذه الملاحظات سواء كانت علمية او عامة ان لاتنأى القراءة بصوت
عال بدون ان يعد القاري ما يريد تلاوته فان الارتحال في القراءة كما قال كوت
لنلاميزه هي الليالي القمرية في الخطاب اي ان نورها مشكوك فيه لانظر كل حين
ولا يجب ان يستعد القاري فقط بل ان يعد سامعيه ايضاً فيبدوه باعطاء ما يلزم
من الشروح ثم يتلو بلا انقطاع فان الشرح اثناء الالتقاء ينقص من بهجة الكلام •
ويستدل القاري على نجاحه في تلاوته من السكوت وقلة الحركة بين الجمع المستمع فاذا
سادا فهناك الاستحسان والا فان الجلبة والحركة لاتنشأ الا من توزع النشاط الذي
لا سبيل اليه بين اناس منبهين حقيقة

تأجير الغرف

جربوا في احدى المدارس بانكلترا طريقة لتطهير الغرف وذلك انهم يبلون كمية من نشارة الخشب بسائل مضاد للعدوى فتنتثر تلك النشارة في ارض الغرفة مساءً وعند الصباح تكنس فكانت النتيجة ان صحة التلامذة والمعلمين تحسنت عما كانت عليه .

الفقر في انكلترا

ذكر بعض علماء الاحصاء ان انكلترا قد نهضت منذ اربعين سنة كما نهضت البلاد الأخرى في العلم والصناعة والتربية وتدبير الصحة والاسعافات والمعونات فهي وحدها تنفق على التربية والصحة واعانة البائسين اربعين مليون جنيه بالنسبة لسنة ١٨٧١ وكان يرجى ان تخفف هذه النفقات الشقاء ولكن الامر زاد تفاقمًا على العكس فكانت انكلترا تنفق سنة ١٧٧٦ — ١٦٥٠٧١٠٠٠ جنيه في السنة على الفقراء فصارت تنفق سنة ١٩٠٦ — ١٤١٧٨٦١٠٠٠ ج وهي اليوم تعول ١٦٧٠٠٠٠٠ من السكان منهم ٥٣٨٦٠٠٠ تعولهم مدى حياتهم و ٥٣٠٦٠٠ تعولهم مدة طويلة و ٦٤٠ ألفًا تعولهم من شهر الى سنة . وان البالغين من الرجال منذ السنة السادسة عشرة الى الخامسة والستين المحتاجين للمعونة ليزيد عددهم أكثر من النساء ومن الدواعي الى ذلك كثرة انهيار الناس من القرى الى المدن . ويرى الكتاب ان انكلترا تساعد على انتشار البؤس بما تقدمه الى اهله من المعونات فيكسبون ويرتكبون المحرمات على انها اذا سنت قانونًا للشيوخ نقل في بلادها بواعث الشقاء بالدرج

الحسبة في الاسلام (١)

نشرت المجلة التونسية الفرنسية مقالة في الحسبة جاء في خاتمتها ان العرب باختلاطهم مع الرومانين والبيزنطيين والفرس والهنود صفت اذهانهم واقتبسوا الصناعات والفنون وهكذا جلبت الى افريقية انواع الترميد الملون والاقمشة الحريرية والجوخ الدقيق والالبسة الجميلة ونقل العبيد يون الى القيروان وتوزن صناعات مصر . وجاء بعدهم ملوك الصنهاجيين ولا سيما الامير ابو الحسن بن علي بن تميم المعز بن باديس وبعد ان عقدوا هدنة مع ملوك النصارى في صقلية اخذوا يتبادلون الهدايا والاعلاق النفيسة وذلك سنة ٥٢٩هـ .
وانشأ بنو حفص في تونس ابنية جميلة ونشروا العلوم والصناعات وملاوا خزائن

الكتب بالاسفار الكثيرة فوهب ابو زكريا الحفصي ٣٦ الف مجلد من كتبه وانشأ المدارس ومنها مدرسة الشاعين ومسجد القصة ومنارته الحالية حيث لا يزال اسمه منقوشاً على حائطها الى اليوم وهو الذي انشأ الاسواق الموجودة الى عهدنا في تونس والمتأفة الشهرة فانشأ سوق العطارين والشوسة اى سوق الحفصي ومات سنة ٦١٤ هـ في غنى ونعمة.

وفي ايامه تزح الى تونس اناس من الاندلسيين ممن طردوا من اسبانيا فاكرم عثمان باي وفادتهم ومد المحتسب لهم يد المعونة فجعل فقراءهم عند اناس من اهل البلاد يعملون لهم واذن لغيرهم ان يسكنوا حيث ارادوا فابتاع اولئك النازحون املاكاً واسعة وارضى ذات يابيع غزيرة وانشأوا فيها ابراجاً وتنازلوا ونزل معظمهم مدينة تونس بحيث يسوغ لنا ان نقول انهم مدنوا اهلها بما حملوه اليهم من مدينتهم وصناعاتهم بل قد أسسوا مدناً مهمة مثل سليمان وبالي ونيانو وقرموباليا وتوركى وجديده وزغوان وطوبوربة وجريش الواد(?) ومجاز الباب وتاستور وسلوقية والعالية وقلعة الاندلس وغرسوا الزيتون والتين وانشأوا الحدائق وعمروا الطرق ودمشوها بما اتوا به من بلادهم الاصلية من محادل (ملاسة) وما برج هؤلاء المهاجرون الى اليوم يمتازون بن غيرهم وهم في تونس طبقة الاحرار.

وقد انتهت الحال بان جعلت بعض اعمال المحتسب في تونس بيد مجلس العشرة الاعيان وكلهم ينتخبون من اهل تونس ومن اصل اندلسي ماحلا اثنين يكون احدهما من صفاقس والثاني من جربة ويجب ان يكونوا كلهم من اهل المذهب المالكي ومن معلمي الشواشية اى صناع الطرايش ما خلا الجربي والصفاقسي واليههم يرجع الامر في فصل قضايا التزوير في الشواشية والاشراف على عملها وان يكون صباغها جيداً وكان نقيب حرفة الشواشية تحت امرهم

وكان من خصائص مجلس العشرة النظر في غش البضائع وهو يحكم على الجيد منها والعاطل فيما اذا حدث اختلاف بين البائع والمشتري وذلك بواسطة امين التجار ولم يكن اعضاء هذا المجلس يقبضون راتباً ولا يحضر عضو جربة وصفاقس في مجلس العشرة الا اذا عرضت مسائل تجارية. وكان لاعضاء هذا المجلس امتيازات خاصة كأن يكون لهم حق التصدر على سائر التجار ويجلبون في بعض الاحوال بالقرب من الباى. وقد تولت محكمة العرف اليوم ما كان يتولاها مجلس العشرة سابقاً من امور الاحتساب يحكمون فيما يعرض من المسائل كما يحكم اهل الخبرة وهذه المحكمة مؤلفة من امين التجار وعشرة معاونين. وقد اخذ شيخ المدينة ينظر في بعض الاعمال التي كان يتولاها المحتسب

مابقاً فهو يرأس نقباء الحرف وحكمه لا يلب النقض والابرام فيما يحدث من الاختلافات في مسائل الصناعات وهو المكلف بحجز اموال المفلسير ويبيعها في تونس وتوزع ما حصل من اتمانها على ارباب الديون على اختلاف تابعيتهم وهو يبيع الاملاك التي رهنها بعض التونسيين ومسايج الحارات هم اليوم مضطرون الى ان يقدموا بياناً مطبوعاً بمن يولد ويتوفى في احيائهم من الوطنيين وهؤلاء المشايخ اليوم صورة مصغرة من المحاسبين اس للانسان والمدينة

نشرت مجلة الاقتصاد الانكليزية مثالة جاء فيها انه يستدل من الاحصاءات بان معدل تولد البشر اقل في الاغنياء مما هو بن الفقراء وانقص بين ارباب الاشغال العقلية مما هو بين الأميين ارباب الصناعات والعملة بحيث يسوغ لنا ان نقول على الجملة بان بين كثرة النفوس والمدينة عداوة حتى ان الحضارة يوم تبلغ اوجها لا يبقى على الارض احد يستمتع بها . وقد اوردت المجلة ارقاماً لا ثبات حجة هذه الدعوى فقالت ان الامراض التناسلية هي في الاغنياء اكثر منها في الفقراء وفي المدن ولا سيما الكبرى اكثر منها في الارياف حتى انه ليمعذر من اجلها على اناء ان يلدن كثيراً وان يكسفين بولد واحد . وكذلك يحدث مثل هذا التأثير من الامراض العصبية والعقلية التي هي تابعة لارتفاع المدينة كما يتبع الظل الجسم . والسبب الرئيسي في قلة الولادات قلة الرغبة في ان يرزق الناس اولاداً لان المدينة كلما تقدمت ينظر الى الاولاد بانهم حمل وضيق على ابويهم

طعام الاقوياء

قل من المسائل التي تضاربت فيها الآراء تضاربها في تعيين كميات الطعام وكيفيته على ما يليق بالانسان وادت الابحاث الحديثة الى ان طعام الانسان يختلف باختلاف الجنس والمهنة والمناخ ولكن الدكتور سيبرت قد اجتاز هذا الحد وهو يؤكد بعد مشاهداته الشخصية مدة خمسين سنة لاشهر مصارعي اميركا ان كل اذ ان يحتاج الى طعام خاص به فقد قال من مقالة ان اقوى رجل عرفه هو المصارع الشهير سيجفريد اتي الى محلي — لان الدكتور المذكور مؤسس محل يأتي اليه المصارعون ويعيشون تحت نظارته — وهو في العشرين من عمره وبعد ان تمرن مدة ثلاثة اشهر زادت قوته زيادة عظيمة وكان الطعام الذي يختاره لنفسه اغلب ما يكون من الخضر والحليب والخبز مع قليل من اللحم وكان عشاءه قليلاً من الحليب مع شيء من السكر وقطعة من الخبز مدهونة بزبدة

وعلى هذا الطعام اصبح على شيء من القوة في اطرافه وظهره جعلته من اشهر المصارعين مع قلة اشتهاره بالحذق وخفة الحركة وكثيرون ممن اعرفهم ارادوا ان يخذوا حذوه في طعامهم فكان اغلامهم يصابون بسوء الهضم وهكذا المصارع يتروس باريوثر كان في صباه ولدأمة مبروداً لا يأكل في اغلب الاوقات سوى شيء من الخبز الناشف لفقره وبعد ان قضى مدة في الخدمة العسكرية اتخذ الصراع مهنة وفي السابعة والعشرين من عمره اثبت انه اقوى رجل من وزنه فهو يرفع وزنه من الارتفاع الى فوق رأسه سواء كان يده اليمنى او اليسرى وهو معتدل في اكله يفضل الاطعمة البسيطة . وقد شاهدت كثيراً ممن يأكلون اكثر من هذين الرجلين ويتناولون اللحم بكثرة وهم دونهما يبراحل في القوى واحتمال التعب . اهـ معرباً عن مجلة العلم الاميركانية

تواريخ

المكتشف والمستعمر من البلاد والجزر في العالم

اكتشف كولبس اميركا في ١١ تشرين الاول سنة ١٤٩٢ . اكتشفت جزائر (اندريئوفزي) بين آسيا واميركا سنة ١٧٦٠ . استعمر البرتغاليون « انغولا » سنة ١٤٨٢ ثم استعمرتها انكلترا سنة ١٦٥٠ . ادخلت انكلترا غرس الشجر الى (انغولا سنة ١٦٥٠) . استعمرت انكلترا « أنتيفو » سنة ١٦٣٢ . اكتشف المكان المعروف بممر رئيس الملائكة سنة ١٤١٩ . استعمرت هولاندا جزيرة (اربوبا) سنة ١٦٣٤ . اكتشفت مملكة البرتغال جزيرة (ازورس) سنة ١٤١٩ . اكتشف خليج (بافن) سنة ١٦٢٢ . اكتشفت جزائر (باهاما) سنة ١٦٥٩ واستحوذت عليها انكلترا سنة ١٧١٨ . اكتشفت (تيرروس) واستعمرت سنة ١٦١٤ . استعمرت انكلترا جزيرة (بربودا) سنة ١٦٢٨ . اكتشفت جزيرة (بارينفن) في جزيران سنة ١٧٩٣ . حصنت هولاندا مدينة باتافيا جزيرة في جاوه سنة ١٦١٨ . اكتشفت جزر (برمودا) واستعمرت سنة ١٦١٢ . بدي باستعمار بوسطن اماس في الولايات المتحدة سنة ١٦٣٠ . مرت مراكب الانكليز في خليج (باي) لأول مرة في ٢١ آذار سنة ١٧٨٧ . عمرت فرنسا جزيرة (يوربون) سنة ١٦٧٢ . اكتشفت برازيل سنة ١٤٨٦ وعمرها السبانيول سنة ١٥١٥ . ثم استعمرتها هولاندا سنة ١٦٢٤ . ثم تولتها برتغال سنة ١٦٥٤ . اكتشفت جزيرة بريطانيا نحو سنة ٩٠ للمسيح . عمرت (كالديوية) في اميركا سنة ١٦٩٩ . اكتشفت كلفرنيا في اميركا سنة ١٥٤٣ . اكتشف (قابون) كندا سنة ١٤٩٩ .

ثم اكتشفتها فرنسا سنة ١٥٠٨ . اكتشفت جزائر كاناريا سنة ١٣٤٤ واهديت الى اسبانيا سنة ١٣٩٣ . اكتشف رأس بلانكو في افريقية سنة ١٤٤١ . اكتشف بريطانيا رأس بريطانيا سنة ١٥٨٤ ثم استحوذت عليه فرنسا سنة ١٦٣٢ ثم استرجعته انكلترا سنة ١٧٤٥ ثم استرجعته فرنسا سنة ١٧٤٨ ثم استردته انكلترا سنة ١٧٥٨ . اكتشف رأس جزائر (دي فرد) سنة ١٤٤٧ . اكتشف رأس الرساء الصالح سنة ١٤٨٧ واستعمرته هولاندا سنة ١٦٥١ . طافت السفن حول رأس (هورن) لاول مرة سنة ١٦١٦ . اكتشفت (كارولينا) احدى الولايات المتحدة سنة ١٤٩٧ واستعمرت سنة ١٦٢٩ . اكتشفت جزائر (كريبي) سنة ١٥٩٥ . اكتشف كولباس جزيرة (المهره) في سنة ١٤٩٢ . استعمرت فرنسا جزيرة سايني سنة ١٦٣٥ . اكتشفت جزيرة سيلان سنة ١٥٠٦ . اكتشفت جزيرة (خاتام) في حزيران سنة ١٧٩٣ . اكتشفت اسبانيا (شيلي) في اميركا سنة ١٥١٨ وغزاهها الاسبانيون سنة ١٥٤٠ . يم البرتغاليون الصين لاول مرة سنة ١٥١٧ وحكم في سنة ١٦٣٥ النتر بعض مقاطعاتها . اكتشفت جزيرة القديس خريستوفورس سنة ١٥٩٥ وعمرتها . انكلترا سنة ١٦٢٦ . اكتشفت مملكة « الكونغو » سنة ١٤٨٢ واستعمرتها برنقال سنة ١٤٨٦ . استعمرت روسيا القريم سنة ١٧٨٤ . اكتشفت كوبا سنة ١٤٩٢ واستعمرت سنة ١٥١١ . استعمرت هولاندا (كوركو) سنة ١٦٣٤ . استعمرت (دريني) سنة ١٧٠٠ . اكتشف مضيق (دفس) سنة ١٥١٢ . اكتشف كولباس جزيرة (دبسيدا) سنة ١٤٩٤ . اكتشفت جزيرة القديس (دومينكو) سنة ١٤٩٢ . اكتشف كولباس « دومينكا » في سنة ١٤٩٣ . اكتشفت جزيرة الشرق سنة ١٧٢٢ . اكتشف البرتغاليون شرقي الهند سنة ١٤٩٧ وأما الانكليز في سنة ١٥٩١ ثم الهولنديون في سنة ١٥٩٥ ثم رط من انكلترا سنة ١٦٠١ ورط من فرنسا في السنة نفسها ثم رط من الدانيرك في سنة ١٦١٢ . اكتشفت جزائر (فولك لاند) في سنة ١٥٩٢ . اكتشف « القبطان قابون » فلوريدا في اميركا سنة ١٥٠٠ واستعمرت سنة ١٧٦٣ . اكتشف « مضيق مرويشيه » سنة ١٥٥٨ . اكتشفت جزيرة الثعالب في شمالي المحيط الباسيفيكي سنة ١٦٠٠ . اكتشف جزائر « كالا باغوس » سنة ١٧٠٠ اسس القائد (اوغلتراب) مستعمرة جورجيا الولايات المتحدة سنة ١٧٣٩ . استعمرت هولاندا جزيرة كوري سنة ١٦١٧ . استعمرت فرنسا جزيرة « غرناوا » سنة ١٦٥٢ . اكتشفت (غرينلاندا)

في سنة ١٥٨٥ واستعمرت في عاين ٧٢١ و ١٧٣١ اكتشف كولبس جزيرة (غودلوب) سنة ١٤٩٣ واستعمرتها فرنسا سنة ١٦٥٣ اكتشف البرتغاليون شاطئ « غينيا » سنة ١٤٨٢ وباشتر القبطان هاوكن في « افلشن » من نواحي ذلك الشاطئ بتجارة الدقيق سنة ١٥٦٣ اكتشفت جزيرة القديسة هيلانة سنة ١٥٠٢ وملكتها انكلترا سنة ١٦٠٠ وعمرتها سنة ١٦٥١ اكتشفت جزيرة « هودو » في المحيط الباسيفيكي في حزيران سنة ١٧٩٣ اكتشف القبطان هدمن خليج هدمن المسمى باسم مكتشفه سنة ١٦٠٧ اكتشف « ايسلاندا » احد قطاع السبل من الدنيار كين سنة ١٨٦١ اكتشف كولبس « جاميكا » سنة ١٤٩٤ واستعمرها الاسبانيون سنة ١٥٠٩ اكتشف يابان سنة ١٥٤٣ وزارها جماعة من الانكليز سنة ١٦١٢ اكتشف الروسيون « كامسكانكا » سنة ١٧٣٩ اكتشفت جزائر « لدرن » سنة ١٥٢١ اكتشفت جزيرة « ليرودش » في مقربة من جزيرة « فوكايد » السابق ذكرها سنة ١٦٣٧ اكتشف الفرنسيين « بوزيانا » في الولايات المتحدة غربي نهر مسيسيبي العظيم سنة ١٦٣٣ واستعمرها سنة ٧١٨ وسلموها الى الولايات المتحدة او تنازلوا عنها سنة ١٨٠١ اكتشف البرتغاليون مدغشكر سنة ١٥٠٦ اكتشفت جزيرة (مديريا) في سني ١٣٤٤ و ١٤١٨ اكتشفت « نيلان » سنة ١٥٢٠ اكتشفت جزيرة « مرغلانت » سنة ١٤٩٣ استعمر اللورد بلتيهور « مركندا » سنة ١٦٣٣ وبلغت نفقات استثماره ٤٠٠٠٠ ايرة انكليزية اكتشفت جزيرة « موريتوس » سنة ١٥٩٨ واستعمرت سنة ١٧٢١ احكم الاسبانيون المكسيك سنة ١٥١٩ = ١٥٢١ اكتشف منتريال كندا سنة ١٥٣٤ و استعمرت سنة ١٦٢٩ اكتشف كولبس « مونتسرت » في غربي بلاد الهند سنة ١٤٩٣ واستعمرتها انكلترا سنة ١٦٣٢ استعمرت انكلترا « نيفس » سنة ١٦٢٨ اكتشفت « كلدونية » الجديدة سنة ١٧٧٤ استعمرت انكلترا الجديدة سنة ١٦٢٠ اكتشف قايون « فوناندا » الجديدة سنة ١٤٩٧ واستعمرت سنة ١٦١٤ اكتشفت « غويونه » سنة ١٦٩٩ اكتشف الهولنديون « هولاندا » الجديدة سنة ١٦٢٧ واستعمرتها انكلترا سنة ١٧٨٧ استعمر الاسوجيون « نيوجرمي » في الولايات المتحدة سنة ١٦٣٧ اكتشفت اسبانيا المكسيك سنة ١٥١٨ اكتشفت « زيلاندا » الجديدة في سنة ١٦٦٠ ثم في سنة ١٧٦٩ « بريت » و استعمرت سنة ١٦٢٠ استعمرت نيويورك في الولايات المتحدة سنة ١٦٦٤ اكتشف المر الشمالي الشرقي الى روسيا سنة ١٥٥٣ استعمرت « نونا مقوئية » سنة ١٦٢٢ اكتشفت نونافزومية سنة ١٥٥٣ اكتشفت

جزائر جورجيا الثلاث في ١٨ حزيران سنة ١٧٦٥ اكتشفت جزيرة «هايها» حيث قتل القبطان كوك سنة ١٧٧٨ اكتشف خرائب مدينة النخل في صحراء سورية سنة ١٦٧٨ استعمرت «باناما» سنة ١٥١٦ اكتشفت «بارغواي» سنة ١٥٢٥ استعمرت بنسلفانيا الولايات المتحدة سنة ١٦٨٠ اكتشفت «بيرو» سنة ١٥١٨ اكتشف الاسبانيون جزائر فيليبين سنة ١٥٢١ اكتشف مضيق «بث» في غربي الهند في ٣٠ نيسان سنة ١٧٦٠ اكتشفت «بورتوريكو» سنة ١٤٩٧ استعمرت هولاندا «سابا» سنة ١٦٤٠ استعمرت «سالم ماس» في الولايات المتحدة سنة ١٦٢٨ اكتشفت جزائر «سندوبش» في المحيط الباسيفيكي سنة ١٧٧٨ استعمرت سفانا سنة ١٧٣٢ اكتشف شاطي «سيراليون» سنة ١٤٦٠ اكتشفت جزائر «سوشي» في المحيط الباسيفيكي سنة ١٧٦٥ اكتشفت جزيرة سليمان في امريكا سنة ١٥٢٧ اكتشفت جزائر سومور سنة ١٥٢٧ اكتشفت هولاندا جزيرة القديس «يوسفينس» سنة ١٦٣٢ اكتشف نهر سانت لورانس واستعمره الفرنسيين سنة ١٥٠٨ اكتشفت جزائر سوفولك سنة ١٧٦٤ استعمرت انكلترا «سورثيم» سنة ١٧٦٤ واستعمرت (سورت) سنة ١٦٠٣ اكتشفت جزائر «ثائي» شرقي الهند في ٢٩ حزيران سنة ١٧٩٥ استعمار الهولنديون «توباغو» سنة ١٦٤٢ اكتشف الاسبانيون جزائر بترقارس سنة ١٥٨٣ استعمار الاسبانيون «بترافيرمه» سنة ١٥٢٤ اكتشفت جزيرة «ترانيدان» سنة ١٤٩٨ استعمرت روسيا «برقثي» سنة ١٧٥٢ اكتشف السر والتر فرجينيا سنة ١٥٨٤ اكتشف كولبس غربي الهند سنة ١٤٩٢

اميدكا : يوسف جرجس زخم

تفنن العرب

صرح احمد بك زكي في المؤتمر الدولي الذي عقد في الشهر الماضي بمصر لتحسين حالة العميان ان علماء العرب قد سبقوا الاوربيين الى اختراع طريقة الكتابة بالحروف البارزة الخاصة بالعميان فانخص كتاب «نكت الجمعيان في نكت العميان» لصالح الدين الصفدي وقال انه يرجع الى ابن الشرق الفخر في وضع طريقة الكتابة بالحروف البارزة للعميان واذا كان صحيح عليه السلام يقول اعطوا ما لقيصر فليصير فيجب ان نعترف بان اول مخترع لطريقة الكتابة بالحروف البارزة هو شرقي عربي هو علي بن احمد بن يوسف بن الخضرم المشهور بزين الدين الامدي الذي فقد بصره في اول عمره وشرح طريقة معرفته لاثمان جميع الكتب التي كانت في مكتبته بانه كان كلما

اشترى كتاباً لف ورقة على شكل حرف من الحروف ولصقها في الكتاب وكانت هذه الحروف هي التي يستعين بلسانها على معرفة ثمن الكتاب واستطرد الى القول بان زين الدين الآمدي المتوفى سنة ٧١٢ هجرية او ١٣١٢ ميلادية سبق «برايل» الى اختراع طريقة الكتابة بنحو ستمائة سنة لان برايل الفرنسي لم يخترع طريقته الا منذ ستين عاماً فقط .

قلنا وعجيب تغاني المصريين في احياء المدينة العربية فاذا اثبت صديقنا احمد زكي بك ان العرب اخترعوا طريقة الحروف البارزة فقد اثبت في السنة الماضية صديقنا احمد تيمور بك ان العرب سبقوا الاوربيين في الطيران فقال :

مها نسينا او تناسينا فلن ينسى التاريخ ابا القاسم عباس بن فرناس حكيم الاندلس كلما ذكر زبلن وسنجر واضرابها فان من يرجع البصر في صفحاته يجد بين من خصهم الله بواهب في استخراج العلوم واستنباطها اسم هذا الحكيم مقروناً بالغرائب والمدهشات فهو اول من استنبط بالاندلس صناعة الزجاج من الحجارة وصنع الآلة التي تعرف بها الاوقات على غير رسم ومثال ومثل في بيته السماء بنجومها وغيومها وبروقها وعودها تمثيلاً يخيل للناظر انه حقيقة فقال مؤمن بن سعيد الشاعر بداعبه

سماه عباس الاديب ابي الفنا مـ ناعمك حسن رائقها

من ايات تركت ذكرها لقذاعة هجوها . وهو الذي احتال في تطيير جثائه فكسا نفسه الريش ومد له جناحين طار بهما في الجو مسافة بعيدة ولكنه لم يحسن الاحتياـل في وقوعه فتأذى في ظهره لانه لم يعمل له ذنباً ولم يدر ان الطائر انما يقع على زمكه وفيه يقول الشاعر المتقدم ذكره من ايات

يطم على المتقاء في طيرانها اذا ما كسا جثائه ريش قشع

فترى من ذلك ان الرجل كان من اسبق الفائزين بالطيران من بني الانسان ولا يفض من اختراعه نقصه عن الشأ والبعد فيه فذلك شأن كل مشروع في بدآته وحسبنا ان منتحلي هذه الصناعة مع مآسر آلائهم من القرون لم يزالوا دون الغاية المطلوبة منها الى اليوم افلا يكون من الانصاف التنويه بذكر هذا المخترع

طول الحياة

ثبت ان مدة الحياة البشرية آخذة بالازدياد فقد كان مهدها في اوربا خلال القرن السادس عشر لليلاد لا يتجاوز العشرين سنة فبلغ الآن ٤٠ عاماً وربما ٤٤ سنة ولذلك رأى

معظم شركات ضمان الحياة ان يعبدوا النظر في قوانينهم ويتساعلوا في سمانة النفوس وسبب هذه الزيادة في الاعمار ما بلغت العلوم الطبية في الخمس والعشرين سنة الاخيرة من الارتفاع فتغلبت على الامراض السارية فالنشاء الذي كان يصيب حجرة الطفل المصاب بالخلات كان فيما مضى يردى يمينا، وهو اليوم لا يزيج الجراح لما فيه من وسائل الشفاء العاجل بفضل الحقن تحت الجلد بمصل الخناق وغير ذلك من التدابير وبقل اليوم المصابون بالحمى التيفوئيدية والقرمزية وذات الجنب أكثر من الزمن السالف والسبل يعالج بوسائل تظهر نتائجها الحسنة اليوم بعد اليوم والتهاب السحايا الدماعي ال وكي *α meningite cérébro spinal* لم قد قل عدد الملائكين المصابين به عن خمس اوست سنين الى ثلاثة ارباع . وقد تغلبت الوسائل التحفظية والطبيعية في مقاومتها لانواع الفساد البكتيري فظهرت بها نتائج مؤثرة بحيث تمكنت بالتدريج لاغراز السميات المرضية المسببة للحمى

ومع هذا فان بعض المتشائمين من الامير كمين قد نشروا هذه الايام متكررة تبعت على القلق حسبو فيها معدل عدد الوفيات في الولايات المتحدة وغيرها من بلاد العالم الجديد والقديم وحققوا اسباب الوفاء فصرحوا بان الارقام التي يستشهد بها في دعوى طول الحياة ليست صحيحة اذ يقتصر فيها على احصائيات الاولاد فقط لان هؤلاء يبلغون في الواقع من القوة ولكن الاضطرابات التي تبدو في تراكيبهم في سن الشباب تظهر مؤثراتها في الحال . فالمتقاعد يدل الآن على ان الاولاد تتسل الوفيات فيهم ولكن من بلغوا من الرجال سن الشيخوخة قلانل .

ومن رأي الاستاذ فيشر في نيو يورك انه ينذر وجود اشخاص هم في مأمن من الاوجاع المهلكة مثل النقرس والرتية « الروماتيزم » وسوء الهضم والبول السكري ومرض برايت والزائدة الدودية قال ان الرجال والنساء عرضة لعوادي الاعداء المستترين على اختلاف في الدرجات فالحياة بالنسبة الى كل واحد منهم ليست في الحقيقة طويلة بل هي متسعة ومعنى ذلك ان الرفاهية التي تحيط بالحياة تتصغر حبلها . ومن جملة تلك السعة في الرفاهية التغيير الذي طرأ على الطعام فان الناس بالغوا في التأنق فيه حتى انهم ليقنلون انفسهم وهم لا يشعرون . وقد بلغ من هذه التبدلات انك لا تجد امرأة حتى في العيال المستورة يقنع بالاقفال من الطعام علم النحو الذي كانوا عليه فيما غير . فنشأ من هذا التنفن في الطعام اضطرابات عضوية لا يحتاج لها بل يسعى الناس الى زيادة شرورها مختارين .

فالناس يكثرون من تناول الاطعمة وكثيراً ما يفرطون ويحشون عن الاطعمة المحضرة انواع التخصير اللذيذ وكثيراً ما يشفعونها بالمتبلات والاسربة الكحولية ويتعرضون لما ينجم عنها من المضار بل يستقبلون عن رضى الامراض المعدية وما يتبعها من الاوصاب . ولقد افحشوا في التأنق فترامهنون كل العناية بالولد فيحظرون عليه كل ما يضر به حتى اذا نجا من اخطار الطفولية واصبح رجلاً هلي بقى بنفسه كل يوم مختاراً في هذه المهالك وهو لا ييالي . الناس كلهم يطعمون في الحياة ما خلا بعض شذوذ ولكنهم لا يهتمون بما يجب القيام به لاطالة جبل الحياة

وبعد فان فيشر وجمهور علماء الصحة يعلقون شأننا عظيم على مجموع التراكيب التي تؤثر في حركة الطعام في التركيب الناي لتجعله صالحاً للقيام بجميع الوظائف اللازمة لانقاذ الحياة ونشؤها بل اطلتها . متى ازدرت الاطعمة على ما ينبغي ووزعت في الافنية والاحشاء على النحو الذي بوجه علم منافع الاعضاء فالتدبير الغذائي يجري على نظام راسخ فلا يحدث ادنى عارض ويطل الجسم سالماً يقاوم الطواريء فتضي السمون وهو صحيح وتكون الشبخرة قليلة المزيجات على صاحبها . اما اذا تمت حركة الطعام على طريقة معتلة رائدها الاهال وقائدها الاختلال ولا سيما فيما يختص بعمل الآلة الهاعمة فتنتأ من ذلك اوجاع لا تلبث ان تكون مزمنة تضعف تركيب الجسم وتسلمه الى الامراض الباغنية

لا يكتفي المرء ان يأكل ليعيش بل الواجب لحماية الحياة وجعلها مقبولة واطالة جبلها ان يعلم كيف يقوم بعلم الاكل ولا يعد هذا فناً فقط بل هو علم وهوراس فلتنسر الاميركاني هوراس الدعاء الى هذه الطريقة في عدم الاسراف في الطعام وتجوهد القضم والضم ليجود المضم فتد كان هو نفسه مستخدماً في بيت تجاري في شغاي وكان كمواطنيه من الاميركان يجب الرياضات البدنية وله صحة جيدة قوي العضلات ينصرف الى الشاق من الرياضات في الهواء الطلق مثل المشي والركض والقفز والركاء وغيرها من الالاعاب وهو هلين اعصابه . وكان من نتائج زناطه ومعرفته ان جمع ثروة مهمة فحدثه نفسه ان يغير طرز حياته وبذوق من جميع اللذات التي يسمح له بها كيسه فقال الى تخبر الاطعمة الفاخرة وآثر القصف على انتصد فاخذ بطعم على خوانه كل يوم من الاوان المتبله واللحم الغريش الخنيزد والخبور الجيدة ماسات باستعماله معدته وكان يقضي الليالي في التدخين وتعالجي الاشربة فظهر الاثر السعي في هذه الطريقة من

استعاضته عن المشي على الاقدام بالركوب في العجلات فسمن سمنًا مفرطًا حتى لم يمض الا قليل من الزمن الا وقد انكره اصحابه فكثرت دمه وتورمت خدوده وثخنت رقبته واخذت تظهر على سطحه اعراض الاستعداد لداء الصرع

وفي ذات يوم اصيب عقيب اكله اكلها بفطور في جسمه دعاه الى التفكير في صحته فازمع بما فيه من عزيمة ان يعدل عن طريقته في التغذية و يختار غيرها تكون اشد في الانتظام وان يتخلص من السمن والربالة لما ينشأ عنهما من الضرر وطفق يسير بجسمه الى نظام مضمون ذاهبا الى ان الجسم لا تغذيه كمية الغذاء ولا كيفيته بل شروط المهضم فيه وتبين له ان ذلك مناط بلوك الطعام فمن هذه القاعدة وهي : « على من يريد ان يعمر طويلاً ان بلوك طعامه كثيراً » . هدته التجارب الى هذه الطريقة التي نسبت اليه فسميت الطريقة الفلنشرية وهي عبارة عن خمس نصائح « ١ » ان ينتظر المرة الشهوة للطعام « ٢ » ان تستأثر الشهوة للطعام في اختيار الاطعمة « ٣ » ان يمتنع الطعام بحيث تستخرج منه جميع المادة المغذية وتترك القيمة تسوخ الى المعدة من نفسها « ٤ » ان يخصص للطعام ما يقتضي له من الوقت ولا يجعل في ازدراده وان يذكر الانسان ابداً انه في صدد تناول طعامه فيصرف ذهنه الى ما هو بسبيله على وتيرة منظمة ويطرد عن نفسه كل ما يلقيا في اضطراب « ٥ » ان يقتنع ان كل وجبة هي عمل واجب في الحياة وان يحسن التيام به بحيث يتوفر له الوفاء بهذه الغاية .

بالغ فلنشر بذاته في التدقيق بهذه القاعدة فلم تمض الا بضعة اسابيع الا وتغير تركيبه . وعاد فازهر شبابه والحلف قوامه وخف ثقله فامسى ٨٠ كيلو غراماً بعد ان كان ١٨٠ ثم ما عثم ان عاد اليه بعودة قوته الطبيعية نشاطه العقلي . وزال ذاك التعب الذي كان يزعجه به ايام كان سميناً شحمياً وشعر بضرورة المشي على الاقدام وان يعود الى ما كان اخذ نفسه به من انواع الرياضات في شغاي . فظهر له ان قد تغير كيانه وعادت قواه الى نشاطها في صباه وصفا ذهنه ورأى من نفسه استعداداً الى العمل وبالجملة شعر كأنه رجع عشرين سنة في عمره الى الوراء . وانه سيمر طويلاً بعد . كل هذا نشأ من تدقيقه في تلك الفوائد الخمس التي سنهأ ومباغتته في الاحتفاظ بها والجري عليها واخذ يقلل من كمية غذائه بدون ان يقتصر منها على ما يسهل هضمه وخضمه كما يفعل بعض من يمتنعون عن اللحم ويكفون بالقول وان يمتنع عن المشروبات الروحية امتناع الزهاد بل كان ينتفع بما يدخل جوفه ويتخذ اسباب حسن الهضم فيما يأكل ويشرب فلا يدخل

في بلعومه غذاء الا اذا اجد لوكه جيداً . ولم يكن فلتشر بما وصل اليه من هذه التجارب الصحية الذقعة بل اراد ان يع استعمال هذه الطريقة فكش ما جرى له في الجرائد والمجلات ونشره في كرايس وزعها بلاثن على قومه فحكوا منه بادي الرأي الا ان علماء الصحة اضطروا بعد حين الى امان النظر فيما اتاه الرجل وجربوا بانفسهم طريقته فاسفرت لهم عن نجاح واوصى الناس بها حتى صار اتباع المذهب الفلشيري اليوم يهدون بالملايين في الغرب .

وقد تبع فلشيري في طريقته الاستاذ باول الروسي منذ سبع سنين فتبين له ان الخدعة الحسنة متوقفة على الشهوة الى الطعام وهذه هي الباعث الاقوى على هضمه والانتفاع به في الجسم فالجوع يجب الى النفوس الاطعمة على اختلاف ضرورها والاطعمة لا تفيد الا اذا رغب فيها النفس . ولا يحسن ما على المائدة من الصحاف وينفع تناول منها الا اذا كان هذا في فراغ من الدهن يمكنه من تقدير الالوان حق قدرها . فسروا الموائين وطيب الاحداث من العوامل النافعة في الهضم . والسرور على الخواص لا ينشأ من اجادة الطبخ والتنطع في اختيار الالوان بل بما يبدو على وجوه المجتمعين على الطعام من الابتسام

ومعلوم انه يتقضي للجسم لتجديد الانسجة وتوليد الحرارة الحيوانية اللازمة كل يوم لحفظ مرونته والقيام بوظائفه التنفسية كمية محدودة من المواد الدهنية والزالية وعلماء الصحة والاجسام والاعضاء على اختلاف منهم في ذلك فمنهم من يقول بالاقلال من تناول اللحوم والاقصا على البقول والالبان والثار والبيض والارز والزبدة ومنهم من يرى تناول اللحوم ضرورة لكل عامل يعمل بعضلانه والحقيقة ان التوسط في الامر خير وابقى . فالأكثر من اللحم يسم الجسم وربما حدث منه في كثير من الاحوال مضار في الصحة منهية القوة العصبية ومنهكة قوى الكبد والكلى وعلى المكس في تناول البقول فان الاقتصار عليها يؤدي الى اضطرابات هاضمة من شأنها ان تحدث ضرراً في المعدة وعليه فاكل اللحم لا يؤذي بقدر ما يهضمه بمضم بل لا يؤذي الا عدم الوقوف عند حد في تناوله .

وقد رأى احد علماء منافع الاعضاء من الالمان انه يكفي لغذاء الفرد كل يوم ١١٨ غراماً من اللحم وغيره من المواد الدهنية وقال لا بأس بمجعلها ١٤٥ غراماً لمن يعمل يديه قال غيره لاهرج من ابلاغها الى ٥٠ غراماً . ثم أكد احد علماء انكليز بان من

عمد الى استعمال طريقة فلتنشر في الاقتصاد في الطعام واجادة مضغه يتأتى له ان ينقص
نحو الثلث مما يأكل وتجد صحته

وقد جرب اساتذة من اميركا طريقة تنقيص وجبات الاكل فخلصوا من امراض
كانت تؤلمهم مثل اوجاع الرثية « الروماتيزم » والشقيقة والمرة السوداء فعادت اليهم
صحتهم ونشاطهم ومنهم من كان اصيب بالسل في الدرجة الاولى فأتخذ طريقة فلتنشر
فنجما من الموت واصبح يستطيع ان يتعاطى اعماله العقلية ساعة او ساعتين متواليتين
بدون عناء

وقصارى القول انه قد ذكر من اعتمدنا عليه من الافرنج في نقل هذا البحث ان الحياة
هي عمل مجموع الوظائف التي تقاوم الموت . واحسن طريقة في تأثير هذه المقاومة
هي ان يتعلم الانسان علم الاكل والقيام عليه . فالحياة هي علم معرفة التغذية . فمن لنا
بشيوع طريقة فلتنشر في بلادنا فيزيد الممتعون بصحتهم ويكثر النشاط على الاعمال
البدنية والعقلية ويستغنى عن الطب الا في الامراض التي يستحيل الآن زوالها من العالم
ان لتعليم الناس تدبير الصحة اثرأ معروفاً عند الامم في نهوضها وهو من شأن الصحف
والمدارس فالصحافة في هذه الديار قائمة على قدر الامكان بما يفرض عليها في هذا الشأن
ولو سار التعليم الابتدائي في الشرق على نحو ما هو عليه في الغرب لانتفع الناس بما يتلى عليهم
ويكتب لهم اكثر مما ينتفعون ولا سبيل الى ذلك الا بتلقين المدارس مثل هذه القواعد
فعلى اساتذة مدارسنا ومديرها ان يلقوا على الاولاد مثل هذه القواعد فتتشر بها نفوسهم
منذ الصغر لتتفعهم وتفع عيالهم في الكبر .

مَنْحُورُ طَبَقَاتِ طَبَقَاتِ

ذيل

على طبقات الخنايلة

اطلعت في الجزء الاول من المجلد السادس من مجلة المقتبس على ما كتبتموه عن (المنهج الاحمد في تراجم اصحاب الامام احمد) فسرني عنايتكم بالخنايلة كما نعنون بغيرهم لما انت اليه حالم في هذه العصور الاخيرة من قلة رجالهم وندرة كتبهم وانطاس اخبارهم بعد ان ازهرت بهم مدارس بغداد ومصر والشام وغيرها وافهمت بتأليفهم خزان الكتب المشهورة وصدعت باحكامهم اركان البدع المنتشرة الى ما لا يقوونه من الفتن والحن (الى يومنا هذا) قال ابو الوفا ان عتيل البغدادي المتوفى سنة ٥١٣ وهو ما هو وقد مثل عن الخنايلة (هم قوم خذون نقلصت اخلاقهم عن الخالطة وغالط طباعهم عن المداخلة وغلب عليهم الجذوقل عندهم الهزل وعزت نفوسهم عن ذل المراياة وفزعوا عن الآراء الى الروايات وتمسكوا بالظاهر تحرجاً عن التأويل وغلبت عليهم الاعمال الصالحة فلم يدققوا في العلوم الغامضة بل دققوا في الورع واخذوا ما ظهر من العلوم وما وراء ذلك قالوا الله اعلم ولم احفظ على احد منهم تشبيهاً انما غلب عليهم (الشناعة لايمانهم بظواهر الآي والاخبار من غير تأويل ولا انكار) والله يعلم اني لا اعتقد في الاسلام طائفة محقة خالية من البدع سوى من سلك هذا الطريق والسلام) .

هذا وقد رأيت ان اكتب اليكم عن ذيل صنف بعد الكتاب المنوء به للسيد محمد جمال الدين الغزي مفتي الشافعية بدمشق المتوفى سنة ١٢١٤ في نسخة خطية عندي ذكر في مقدمة سبق الي الحسين محمد ابن القاضي الكبير ابي يعلى انقرا الى وضع طبقات الخنايلة واختصار شمس الدين محمد بن محمد القادر النابلسي المقدمي له (ولم نره كذلك الجمال يوسف بن عبد الهادي المقدسي وذيل نقي الدين بن مفلح) وتذيل الحافظ زين الدين بن رجب عليه وجمع العلمي كل ذلك في المنهج الاحمد طبقاته المذكورة ثم ابتداء الغزي ذيله من اول القرن العاشر حيث وقف سلفه العلمي حتى وصل الى آخر القرن الثاني عشر في ١٨٠ صفحة فجاء فيه من رجال العلم والدين امثال جمال الدين يوسف بن عبد الهادي المقدسي صاحب المؤلفات الحنبلية والطبية والتاريخية المدهشة

المتوفى سنة ٩٠٩ وشرف الدين موسى الحجاوي مفتي الحنابلة بدمشق وصاحب متن
الافتاح المتوفى في حدود سنة ٩٦٠ والشيخ مرعي الكرمي المقدسي ثم المصري صاحب
التآيف في كل فن المتوفى سنة ١٠٣٣ وابي الفلاح عبد الحلي العسكري الدمشقي صاحب
شذرات الذهب في اخبار من ذهب الذي بدأه من الهجرة الى سنة الف منها وبني
مفلح وبني الشويكي وبني الرحيمي وبني البلباني وبني الجراعي وبني المواهي واعلام من
الديار النجدية والناهلية رحمهم الله تعالى .

وقد وقع في نفسي ان اجمع تراجم رجالنا في هذه المائة سنة الاخيرة وصلاً لهذه
السلسلة البديعة فوفقت والله الحمد لجمعها في ٤٦ صفحة

وحبذا لو صحت الاحلام بطبع طبقات العليبي فذيله المنوه به غير انه بالنظر لعظم
هذا المشروع الذي يحتاج فيه الى التعاون على نفقات الطبع الباهظة وقلة الحنابلة في
دمشق بحيث لا يتجاوزون اصابع الكف ارى من الواجب على من عرف تاريخهم ووقف
على سيرهم ان يشتركوا بسهام الطبع لا كون اولم اقداماً واعظمهم سهماً واشكرهم .

دمشق : محمد جميل الشطي

مجموعة

المحررات السياسية والمفاوضات الدولية عن سورية ولبنان اثر ريب الشيخين فيليب
وفريد الخازن

بمطبعة الصبر في جونية من لبنان سنة ١٩١٠ و ١٩١١ المجلد الاول ص ٤٦٢ والثاني
ص ٤٨٠

اجاد المربران الفاضلان في نقل هذه المفاوضات والرسائل السياسية من الافرنجية
الى اللغة العربية لانها مادة تاريخية مهمة وادلة يصح بها نقل الناقل ورواية الراوي
وكلام المتكلم خصوصاً وقد قلت الكتب السياسية التاريخية التي وقع فيها ذكر سورية .
والجلدان وان كان اكثر ما يدور عليه محورهما له مسيس شديد بسياسة لبنان الا ان سائر
اقطار سورية له علاقة قوية بذلك خصوصاً وادي التيم والبقاع ودمشق وغيرها من
البلاد التي نشبت فيها تلك الفتنة المتوامة المعروفة بفتنة الستين « ١٨٦٠ م » التي انتهت
بمنح لبنان استقلالاً ادارياً بمساعدة فرنسا وانكلترا . ومعلوم ان السياسيين لا يجوز لهم
ان يشعروا اموراً تتعلق مباشرة بسياسة دولهم الا اذا مضى عليها خمسون سنة ولذلك
ساغ لاختلاف اولئك السياسيين الاجانب الذين كان لهم دخل في سياسة سورية على

ذاك العهد ان ينشروا ما كتب في هذا الشأن ليكون تاريخاً . فالشكر كل الشكر لناشري هذا السفر النافع ومعريه ، وعسى ان يترجم العارفون باللغات كل ماله مساس بحالة هذا القطر لنعم به الفائدة ونعرف ماذا بقول فينا خصوصاً او اولياؤنا لنا اولينا

فصل القضاء

في الفرق بين الضاد والظاء تأليف احمد عزت افندي طبع في مطبعة الشابتدر
بيغداد سنة ١٣٢٨ (ص ١٦٨)

جمع واضع هذه الرسالة نحو ١٨٥٠ لفظة عربية قد يشبهه التفريق بينها فيما اذا كانت تكتب بالضاد او الظاء مرتباً لها على حروف المعجم مترجماً لها الى اللغتين العثمانية والفارسية وقد قال في المقدمة ان جمعاً من العلماء الاعلام صنفوا في هذا الشأن كالامام ابن مالك والحريي وابن سهل النحوي وغيرهم لكنهم لم يرتبوا ما صنفوه على حروف الهجاء فصعب استخراج المقصود على من يعني بهذا الغرض . فنشكر للمؤلف عنايته بسد هذه الثلمة ونرجو ان يجد وحذوه في التأليف كل من اوتوا طرفاً من العلم وشدوا شيناً من الادب

سيرة الفاتح

تأليف نامق كمال بك وتعريب عبد الله افندي مخلص طبع في مطبعة الكرميل
بجيفاص ١٣٢

اجاد صديقنا بتعريب هذه السيرة لرجل العثمانيين العظيم فاتح القسطنطينية وحذا لو توفر على تعريب غير ذلك من الآثار التاريخية عن اللغة التركية خاصة لانه كاتب مجيد باللغتين . وهذه اللغة قليلة النقل عن التركية كما ان هذه قليلتها عن العربية . والام لا نتعارف الا اذا تعاورت النقل احداها عن الاخرى . وعلى كل فنشكر العرب ونرجو له التوفيق الى اتمام خدمته العلمية

الجازبية وتعليمها

لجميل صدقي افندي الزهاوي طبع بمطبعة السلام في بغداد سنة ١٣٢٦ ش و ١٩١٠ م
ص ٧١

اعتاد الاستاذ صاحب هذا الكتاب ان يأتي الحين بعد الآخر بمبتكرات من افكاره تدل على طول باع وذكاء جنان كما فعل في كتابه الكائنات وفي مقالاته التي اراد بها

تغيير الخط العربي وابداله بحروف له اخترعها واسقاط القوافي من الشعر العربي وجعل كل بيت من القصيدة ذا قافية واحدة وآخر كتبه هذه الرسالة اللطيفة في الجاذبية خالف فيها اهل هذا الفن في الغرب وقال ان الجاذبية في الحقيقة هي دافعية تنشأ من دفع الاجسام بعضها لبعض وان ما يترآى للناس انه جذب انما هو في الحقيقة تغلب قوة دافعة على قوة دافعة اضعف منها فالبحر يسقط على الارض لان الاجرام التي في السماء تدفعه الى جهتها والارض تمنع بحيلولتها دفع السماء من الجهة المقابلة . وهذه الرسالة وان حوت مالا يقره عليه اهل الفن فانها دلت على ان المؤلف ضرب في العلوم المادية بسهم وانه جري في كل اصلاح يحاوله . والشجاعة الادبية مما يتمتع كثيراً من الكتابين فله منا الشكر على هديته ومن العربية الثناء على خدمتها في الفنون كما يخدمها في الآداب

ابحاث واقتراحات في التشريع المصري الحالي

الف اميل افندي بولاد احد رجال المحاماة في القاهرة رسالة في اصلاح المجالس الحسبية وتناقض الاحكام الاهلية ولزوم انشاء محكمة نقض وابرار مدنية وضوابط صحيفة الاستئناف بالقانون الاهلي والدعوى العمومية والصلح الجنائي القضائي وغير القضائي وقانون النفي الاداري واخطار تطبيقه وكل هذه المباحث تهتم ابن وادي النيل اكثر من غيره لان قضاءه وان كان ممزوحاً بالقضاء الاسلامي والقضاء الفرنسي الا انه خاص بامة لها اصطلاح خاص وعادات خاصة فنشكر لوطنها المحامي غيرته على الحق والبلاد التي يسكنها

دليل السلام

اصدرت ادارة جريدة السلام في بونس ايرس عاصمة الجمهورية الفضية هذه السنة ايضاً دليلها هذا وهو يحتوي على عناوين التجار السوريين في الارجتين والارغواي والبرازيل وتشيلي وكثير من الفوائد التجارية والاحصائية بعضه بالعربية واكثره بلغة تلك البلاد

حديقة الجنان في تاريخ لبنان

تأليف الخوري اسطفان ضو طبع بالمطبعة الجامعة في البترون (لبنان)

سنة ١٩١١ ص ١٤٤

لم يخدم جبل من جبال المملكة العثمانية بتاريخه وجغرافيته وعمرانه بمثل ما خدم به

جبل لبنان فلاّ هله غرام بذلك وعادة بالتوفر على اظهار محاسنه ومن الكتب الجديدة في هذا الشأن كتاب حديقه الجنان (؟) وهو مختصر في تاريخ الجبل وما وقع فيه من الحوادث وطراً عليه من اختلاف الاحكام والحكام السابقين منذ سنة ٦٠٠ الى سنة ١٧٨٨ ويليه الجزء الثاني . ولو كان المتورون من اهل كل بلد يعنون بتدوين تاريخ بلادهم واصقايعهم ما امكن لما بقي مكان مجهول حاله في هذه الديار فانا نرى اناساً دونوا وقائع طرابلس وآخرون عنوا بتاريخ حماه وغيرهم سطروا تاريخ حمص وبعضهم ذكروا لبنان فليت اهل كل بلد بدونون ما يجب عليهم لبلدهم من هذا القليل واذا فعلوا يخدمون التاريخ العام

دروس الصرف والنحو

تأليف الشيخ محي الدين الخياط يشتمل على اولايات الصرف واولايات النحوطبع بالمطبعة العصرية في بيروت ص ١٠٤

اقتضت طبيعة النهضة في سورية ان تؤلف لها الكتب المدرسية بحسب ذوق العصر حسنة التنسيق والتبويب ومن يتوفرون على هذا الشأن مؤلف هذا الكتاب احد فضلاء بيروت وفيه تمارين عملية يفهمها الطالب الصغير فشكراً له على هذه العناية ووفق الى اتمام هذه الاقسام لنفع طلاب الآداب

وجوب الحمية عن مضار الرقية

تأليف السيد ابي بكر بن عبد الرحمن بن شهاب الدين العلوي الحسيني الحضرمي الامتاذ بمدرسة دار العلوم في حيدر اباد دكن بالهند طبع بمطبعة الاما في سنقافورا سنة ١٣٢٨ ص ١١٢

كان السيد محمد بن عقيل من افاضل الحضارمة في سنقافورا الف كتاباً سماه النصائح الكافية لمن يتولى معاوية اتى فيه بالبرهان التاريخي والديني اموراً اقره عليه بعض العلماء وانكرها عليه بعضهم ومن الف في الانتصار له الاسناذ ابو بكر المشار اليه ففند بما قاله بعضهم ممن رموا السيد ابن عقيل بالتشيع وقال ان المسألة مسألة تاريخية دينية لا نقدح بمذهب من يقول الصريح فيها واورد لذلك نصوص المؤرخين وغيرهم بعبارات رشيقة وانا لارجو ان تكون هذه الرسالة آخر ما يؤلف في موضوع فرغ منه او كاد وان تصرف تلك القرائح فيما ينهض بالامة من عثارها اليوم . ومعاوية ان توليائه اولم تنزله فقد لقي حسابه وجزاءه

لباب الحيار في سيرة المختار

تأليف الشيخ مصطفى الغلاييني طبعة ثانية فيها زيادات وفوائد طبعت على نفقة المكتبة
الاهلية في بيروت ص ١٣٦

نشر المؤلف هذا الكتاب لتعاليم ناشئة المسلمين سيرة صاحب شريعهم عليه الصلاة
والسلام وقد صدره باجمال عن العرب قبل الاسلام ووصف بلاد العرب واخلاقهم وعاداتهم
وجميع ما يتعلق بسيرة صاحب الرسالة وآدابه وغزواته ونشر دعوته . ونسقه على عادته
تنسيقاً يحبب تلاوته الى القارئ بعبارة سهلة جزلة وقد قدر المؤلف مساحة جزيرة
العرب بمليون ومئة الف ميل مربع او ٣٦١٥٦٥٥٨ كيلو متراً مربعاً او ١٢٦ الف
فرسخ مربع وعمل حسابها بالميل والكيلومتر والفرسخ فجاء الحساب مثقارباً وقد ر
نفوسها باثني عشر مليوناً وقيل عشرة ملايين . والكتاب لا يستغني عنه طلاب
المختصرات ولذلك عوت المدارس الاسلامية على تدريسه ونعما فعلت

العادات

خليل افندي مركيس طبع بالمطبعة الادبية سنة ١٩١١ ص ١٦٠
صاحب هذا الكتاب هو مؤسس جريدة لسان الحال البيروتية وصاحب المطبعة
الادبية خدم الطباعة العربية زمناً وهو اليوم بكتابه هذا يريد ان يخدم العادات العربية
بوضعه لها مختصراً في مصطلحات الزيارات والولائم والاعراس . المآتم وآداب المخافل
وغيرها مما هو جار عند الشعوب المتقدمة كتبه لطبقة خاصة من الامة العربية بل اخص
من الخاصة لان معظم ما فيه من العادات يتعذر القيام به الا على من القوة من اهل الطبقة
الراقية في الغرب فما اورده من هذا القبيل لا يتأتى تطبيقه الا على المرأة المسلمة مثلاً
لان الشرط الاول مفقود عندهما وهو اختلاط الرجال بالنساء . ويتعذر كل التعذر العمل
به عند غير المسلمين اذ يجب ان يكون لهم محيط يساعد عليه ومال يتوسعون في البذل
منه وكنا نود لو قال المؤلف ان هذا كتاب في عادات الغربيين فطبقوا به ما يمكن تطبيقه .
على ان ما كتبه يحتوي على فوائد مهمة لا يستغني عنها انسان في مجتمع مهما انحطت
مكانته وقلت نعمته ومدنيته



المفتى

الفتوى في الاسلام

تابع لما في الجزء الماضي

(آراء المستفتي وصفته واحكامه (١))

« الاول »

المستفتي كل من لم يبلغ درجة المفتي فهو فيما يسأل عنه من الاحكام الشرعية مستفت بتقليد من نفسه

والمختار في التقليد انه قبول قول من يجوز عليه الاصرار على الخطاء بغير حجة على عين ما قيل قوله فيه

ويجب عليه الاستفتاء اذا نزلت به حادثة يجب عليه علم حكمها فان لم يجد ببلده من يستفتيه وجب عليه الرحيل الى من يفتيه وان بعدت داره وقد رحل خلأئق من السلف في المسألة الواحدة الايام والليالي

« الثاني »

يجب عليه قطعاً البحث الذي يعرف به اهلية من يستفتيه للافتاء اذا لم يكن عارفاً باهليته

فلا يجوز له استفتاء من انتسب الى العلم وانتصب للتدريس والاقراء وغيرها من العلماء بمجرد انتسابه وانتصابه لذلك

ويجوز استفتاء من استفاض كونه اهلاً للفتوى وقال بعض اصحابنا المتأخرين : انما

« ١ » عن مقدمة شرح المذهب للنووي

يعتمد قوله انا اهل للفتوى لاشهرته بذلك ولا يكتفى بالاستفاضة ولا بالتواتر لان الاستفاضة والشهرة من العامة لا يوثق بها وقد يكون اصلها التلبس واما التواتر فلا يفيد العلم اذ لم يستند الى معلوم محسوس : والصحيح هو الاول لان اقدمه عليها اخبار منه باهليته فان الصورة مفروضة فيمن وثق بديانته ويجوز استفتاء من المشهور المذكور باهليته

قال الشيخ ابو اسحق الشيرازي رحمه الله وغيره : يقبل في اهليته خبر العدل الواحد قال ابو عمرو : ينبغي ان يشترط في المخبر ان يكون عنده من العلم والبصر ما يميز به التلبس من غيره فلا يعتمد في ذلك على احد العامة لكثرة ما يتطرق اليهم من التلبس في ذلك واذا اجتمع اثنان او اكثر من يجوز استفتاءهم فهل يجب عليه الاجتهاد في اعيانهم والبحث عن الاعلم والاورع الا يثق ليقوده دون غيره فيه وجهان (احدهما) لا يجب بل له استفتاء من شاء منهم لان الجميع اهل وقد استفتنا الاجتهاد عن العاي وهذا الوجه هو الصحيح عند اصحابنا العرافيين (والثاني) يجب لانه يمكنه هذا القدر من الاجتهاد بالبحث والسؤال وشواهد الاحوال وهذا الوجه قول ابي العباس ابن سريج واختاره النفال المرزوي وهو الصحيح عند القاضي حسين والاول اظهر وهو الظاهر من حال الاولين

قال ابو عمرو رحمه الله : لكن من اطلع على الاوثق فالأظهر انه يلزمه تقليده كما يجب ارجح الدليلين واثق الروايتين ثم هذا يلزمه تقليد الاورع من العالمين والاعلم من الورعين فان كان احدهما اعلم والآخر اورع قلد الاعلم على الاصح وفي جواز تقليد الميت وجهان (الصحيح) جوازه لان المذاهب لا تموت بموت اصحابها (والثاني) لا يجوز لفوت اهليته كما فاسق (قال النووي) وهذا ضعيف لاسيما في هذه الاعصار

(الثالث)

هل يجوز للعامي ان يتخير اي مذهب شاء قال الشيخ ينظر ان كان منتسبا الى مذهب بنيته على وجهين حكاهما القاضي حسين في قول ان العامي هل له مذهب ام لا (احدهما) لا مذهب له لان المذهب لعارف الادلة فعلى هذا له ان يستفتي من شاء من حنفي وشافعي وغيرهما (والثاني) له مذهب فلا يجوز له مخالفته وان لم يكن منتسبا بني على وجهين حكاهما ابن برهان في العامي هل يلزمه ان

لتمذهب بمذهب مفت يأخذ برخصه وعزائه « احدهما » لا يلزمه كما لم يلزمه في العصر الاول ان يختص بتقليده عالمًا بعينه فعلى هذا هل له ان يستغني من شاء ام يجب عليه البحث عن اسد المذاهب واصحابها اصلاً ليقلد اهله فيه وجهان مذكوران كالوجهين السابقين في البحث عن الاعلم والاثق من المفتين « والثاني » يلزمه وبه قطع ابو الحسين الكيا^(١) وهو جار في كل من لم يبلغ رتبة الاجتهاد من الفقهاء واصحاب سائر العلوم

« الرابع »

اذا اختلفت عليه فتوى مفتين ففيه خمسة اوجه للاصحاب « احدها » يأخذ باغظها « والثاني » ما خفها « والثالث » يجتهد في الاولى و يأخذ بفتوى الاعلم لا الاورع كما سبق واختاره السمعاني الكبير ونص الشافعي رضي الله عنه على مثله في القبله « والرابع » يسأل مفتياً آخر فيأخذ بفتوى من وافقه « والخامس » يغتني بأخذ بفتوى ايها شاء واختاره ابو اسحق الشيرازي وجماعة

قال التيخ ابو عمرو : المختار ان عليه ان يبحث عن الارجح فيعمل به فانه حكم التعارض فيبحث عن الاوثق بين المفتين فيعمل بفتواه :

وقال النووي : الذي اختاره الشيخ ليس بقوي بل الاظهر احد الالوجه الثلاثة وهي الثالث والرابع والخامس والظاهر ان الخامس اظهرها لانه ليس من الاجتهاد وانما فرضه ان يقلد عالمًا اهلاً لذلك وقد يفعل ذلك بأخذه بقول من شاء منهما والقرن بينه وبين مانص عليه في القبله ان اماراتها حصرية فادراك صوابها اقرب فيظهر التفاوت بين المجتهدين فيها والفناوى اماراتها معنوية فلا يظهر كثير تفاوت بين المختلفين والله اعلم

« الخامس »

قال الخطيب البغدادي : اذا لم يكن في الموضع الذي هو فيه مفت الا واحد لزمه فتواه وقال ابو المظفر السمعاني : اذا سمع المستفتي جواب المفتي لم يلزمه العمل به الا بالتزامه « قال » ويجوز ان يقال انه يلزمه اذا اخذ في العمل به وقيل يلزمه اذا وقع في نفسه صحته « قال السمعاني » وهذا اولى الالوجه قال الشيخ ابو عمرو : لم اجد هذا ابره وقد حكى هو بعد ذلك عن بعض الاصوليين انه يلزمه الاجتهاد في اعيان المفتين ويلزمه الاخذ بفتوى من اختاره باجتهاده

(١) بكسر الكاف وفتح الياء لفظ عجمي معناه الكبير القدر المتقدم بين الناس (ابن خلكان)

قال الشيخ : والذي نقضه القواعد ان يفصل فيقال : اذا افتاء المفتي نظر فان لم يوجد مفت آخر يلزمه الاخذ بقنواه ولا ينوقف ذلك على التزامه لافي الاخذ بالعلم به ولا بغيره ولا ينوقف ايضاً على سكون نفسه الى صحته وان وجد مفت آخر فان استبان ان الذي افتاء هو الاعلم الاوثق لزمه بناء على الاصح في تعيينه وان لم يستبين ذلك لم يلزمه ما افتاء بمجرد افتائه اذ يجوز له استفتاء غيره وتقليده ولا يعلم انفاهما في الفتوى فان وجد الاتفاق او حكم حاكم لزمه حينئذ

« السادس »

اذا استفتى فافتى ثم حدثت تلك الواقعة له مرة أخرى فهل يلزمه تجديد السؤال فيه وجهان « احدهما » يلزمه لاحتمال تغيير رأي المفتي « والثاني » يعمل به وهو الاصح لانه قد عرف الحكم اولا والاصل استمرار المفتي عليه وخصص صاحب الشامل الخلاف فيما اذا قلد حياً وقطع فيما اذا كان ذلك خبراً عن ميت فانه لا يلزمه والصحيح انه لا يختص فان المفتي على مذهب الميت قد يتغير جوابه على مذهبه

« السابع »

له ان يستفتي بنفسه وله ان يبعث ثقة يعتمد خبره ليستفتي له وله الاعتماد على خط المفتي اذا اخبره من يثق بقوله انه خطأ او كان يعرف خطه ولم يشك في كون ذلك الجواب بخطه

« الثامن »

ينبغي للمستفتي ان يتأدب مع المفتي ويجله في خطابه وجوابه ونحو ذلك ولا يوميئ يده في وجهه ولا يقل له ماتمخض في كذا او ما مذهب امامك ولا يقل ان اجابه هكذا قلت لنا ولا يقل افتائي فلان او غيره بكذا ولا يقل ان كان جوابك موافقاً لمن كتب فاكتب والا فلا تكتب ولا يسأله وهو قائم او مستوفز او على حالة ضجر او هم او غير ذلك مما يشغل القلب

وينبغي ان يبدأ بالاسن الاعلم من المذنبين وبالاولى فالاولى ان اراد جمع الاجوبة في رقعة وان اراد افراد الاجوبة في رقاع بدأ بمن شاء وتكون رقعة الاستفتاء واسعة لتتمكن المفتي من استيفاء الجواب واضحاً لا مختصراً مضرراً بالما تنفي ولا يدع الدناء لمن يستفتيه قال الصيمري : فان اقتصر على فتوى واحد قال مائقول رحمك الله اورضي عنك او وقلك الله اوسدك ورضي عنك والديك وان اراد جواب جماعة قال مائقولون

رضي الله عنكم او ما نقول الفقهاء سددهم الله تعالى ويرفع الرقعة الى المفتي منشورة ويأخذها منشورة فلا يحوجه الى نشرها ولا الى طيها

« التاسع »

يذبحي ان يكون كاتب الرقعة ممن يحسن السؤال ويضعه على الغرض مع ابانة الخط واللفظ وصيانتها عما يتعرض للتصحيف « قال الصيمري » يحرص ان يكون كاتبها من اهل العلم وكان بعض الفقهاء ممن له رياسة لا يفتي الا في رقعة كتبها رجل فقيه من اهل العلم ببلده

وينبغي للعالم ان لا يطلب المفتي بالدليل ولا يقل لم « قال النووي » : فان احب ان تسكن نفسه لسماع الحجة طلبا في مجلس آخر او في ذلك المجلس بعد قبول الفتوى مجردة وقال السمعاني : لا ينع من طلب الدليل وانه يلزم المفتي ان يذكر له الدليل ان كان مقطوعا به ولا يلزمه ان لم يكن مقطوعا به لان تقاربه الى الاجتهاد ويقصر فهم العالم عنه

(العاشر)

اذا لم يجد صاحب الرقعة مفتيا ولا احدا يتنزل له حكم واقعته لا في بلده ولا في غيره قال الشيخ - ابن الصلاح - هذه مسألة قرة الشريعة الاصولية وحكمها حكم ما قبل ورود الشرع والصحيح في كل ذلك القول بانتفاء التكليف عن العبد وانه لا يثبت في حقه حكم لا ايجاب ولا تحريم ولا غير ذلك فلا يؤخذ اذن صاحب الواقعة باي شيء صنفه فيها والله تعالى اعلم

هذا ما اثرناه عن شرح المذهب للنووي

(من افتي بالحديث الصحيح مخالفا لمذهبه)

قال الامام النووي ^(١) صح عن الشافعي رحمه الله انه قال : اذا وجدتم في كتابي خلاف سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم فقولوا بسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ودعوا قولي : وروي عنه : اذا صح الحديث خلاف قولي فاعملوا بالحديث واتركوا قولي : او قال : فهو مذهبي : وروي عنه هذا المعنى بالفاظ مختلفة

وقد عمل بهذا اصحابنا في مسألة الثوب واشتراط التحليل من الاحرام بعذر المرض وغيرها مما هو معروف في كتب المذهب

وتدحكي ابو اسحق الشيرازي في ذلك عن الاصحاب فيها من تحكي انه افتي بالحديث

(١) في مقدمة شرح المذهب

من اصحابنا ابو يعقوب البوطي وابو القاسم الدارلي ، ومن نص عليه ابو الحسن الطبري في كتابه في اصول الفقه ، ومن استعمله من اصحابنا المحدثين الامام ابو بكر البجلي وآخرون

وكان جماعة من متقدمي اصحابنا اذا رأوا مسألة فيها حديث ومذهب الشافعي خلافا عملوا بالحديث وافتوا به قائلين : مذهب الشافعي ما وافق الحديث : انتهى وفي شرح الهداية لابن الشحنة - من كبار الحنفية - : اذا صح الحديث وكان على خلاف المذهب عمل بالحديث ويكون ذلك مذهبهم ولا يخرج مقولته عن كونه حنفيا بالعمل ! فقد صرح عنه انه قال : اذا صح الحديث فهو مذهبي وقد حكى ذلك ابن عبد البر عن ابي حنيفة وغيره من الائمة ^(١)

وقال الامام السندي في حواشي على فتح القدير - من كتب الحنفية - ^(٢) : الحديث حجة في نفسه واحتمال النسخ لا يضر فان من سمع الحديث الصحيح فعمل به وهو منسوخ فهو معذور الى ان يبلغه النسخ ، ولا يقال لمن سمع الحديث الصحيح لا يعمل به حتى يعرضه على رأي فلان وفلان فانما يقال له انظر هل هو منسوخ ام لا ، اما اذا كانت الحديث قد اختلف في نسخه فالعامل به في غاية العذر فان تطرق الاحتمال الى خطأ المفتي اقوى من تطرق الاحتمال الى نسخ ما سمعه من الحديث ، قال ابن عبد البر : يجب على كل من بلغه شيء ان يستعمله على عمومته حتى يتبين عنده ما يخصه او ينسخه ، وايضا فان المنسوخ من السنة في غاية القلة حتى عده بعضهم احدا وعشرين حديثا ، واذا كان العامي يسوغ له الاخذ بقول المفتي بل يجب عليه مع احتمال خطأ المفتي كيف لا يسوغ له الاخذ بالحديث اذا فهم معناه وان احتمل النسخ ، ولو كانت سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يسوغ العمل بها بد صحتها حتى يعمل بها فلان وفلان لكان قولهم شرطا في العمل بها وهذا من ابطال الباطل وقد اقام الله تعالى الحجة برسوله صلى الله عليه وسلم دون آحاد الامة ، ولا يعرض احتمال الخطأ لمن عمل بالحديث وافق به بعد فهمه الا واضعاف اضعاف حاصل لمن افق بتقليد من لا يعلم خطؤه من صوابه ويجري عليه التناقض والاختلال ويقول القول ويرجع عنه ويحكي عنه في المسألة

(١) نقله العلامة ابن عابدين في رد المحتار

(٢) نقله الامام الفلاني المحدث الشهير ذوالاسناد العالي في كتابه ابقاظ الهمم

عدة اقوال ، وهذا كله فبين له نوع اهلية اما اذا لم يكن له اهلية ففرضه ما قال الله تعالى « فاسألوا اهل الذكر ان كنتم لا تعلمون » واذا جاز اعتماد المستفتي على ما يكتبه له المفتي من كلامه او كلام شيخه وان علا فلان يجوز اعتماد الرجل على ما كتبه الثقات من كلام رسول الله صلى الله عليه وسلم اولى بالجواز ولو قدر انه لم يفهم الحديث فكما لو لم يفهم فتوى المفتي يسأل من يعرفها فكذلك الحديث انتهى كلام السندي لمختصا وقد اطال من هذا النفس العالمي رحمه الله ورضي عنه .

(ايثار الفتوى بالاثار السلفية)

قال ابن القيم في اعلام الموقعين : اعلم ان فتاوى الصحابة اولى ان يؤخذ بها من فتاوى التابعين وفتاوى التابعين اولى من فتاوى من بعدهم ، وكلما كان العهد بالرسول صلى الله عليه وسلم اقرب كان الصواب فيه اغلب ، وهذا الحكم بحسب الجنس لا بحسب كل فرد فرد من المسائل فان عصر التابعين وان كان افضل من عصر تابعيهم فاما هو بحسب الجنس لا بحسب كل شخص شخص ولكن الفضلون في العصر المتقدم اكثر من الفضلين في العصر المتأخر وهكذا الصواب في اقوالهم اكثر من الصواب في اقوال من بعدهم : وتمة كلامه درر لا يستغنى عن مراجعتها

(عناية المفتي بتعليل الاحكام وبيان اسرارها)

قال الغزالي في المستصفي : ان في معرفة باعث الشرع ومصلحة الحكم استمالة للقلوب الى الطمانينة والقبول بالطبع والمسارة الى التصديق فان النفوس الى قبول الاحكام المعقولة الجارية على ذوق المصالح اميل منها الى قهر التحكم ومرارة التعبد ولمثل هذا الغرض استحب الوعظ وذكر محاسن الشريعة ولطائف معانيها . وكون المصلحة مطابقة للنص وتلي قدر حذقه يزيدا حسننا ونأكيدها ومن احسن المؤلفات في اسرار الشريعة اعلام الموقعين وحجة الله البالغة .

(حذر الفتوى بنسخ نص الابنص)

قال الامام ابو محمد بن حزم في مقدمة المحلى : ولا يحل لاحد ان يقول في آية اوفي خبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ثابت هذا منسوخ وهذا مخصوص في بعض ما يقتضيه ظاهر لفظه ولا ان لهذا النص تأويلا غير مقتضى ظاهر لفظه ولا ان هذا الحكم غير واجب علينا من حين وروده الا بنص آخر وارد بان هذا النص كما ذكر

او باجماع متيقن بانه كما ذكر بضرورة حس موجبة انه كما ذكر والا فهو كاذب انتهى
وقال العلامة ابو النصر القزاني^(١) القورصاوي في كتابه الارشاد : ان الاعتصام
بالكتاب والسنة اصل اصيل من اصول الدين والناس رفضوا هذا القطب حتى حسبوا
ان الحديث الموجب للعمل مفقود ، وان السبيل دون الوصول اليه مسدود ، ولما كانت
هذه بدعة عم في الدين ضررها ، واستطار في الخلق شررها ، وجب كشف الغطاء
(الى ان قال) فيقال لهؤلاء المخترعين هذا القول الذي وصفناه هل تجدون هذا الذي
قلتم عن احد يلزم قوله والا فعملوا دليلا على ما زعمتم

فان ادعوا قول احد من علماء السلب بما زعموا من كون الاخبار الثابتة بنقل الثقات
حجة على المجتهدين لا تلي غيرهم طولوا به ، ولن يجدوا هم ولا غيرهم الى ايجاده سبيلا ،
وان ادعوا فيما زعموا دليلا يحتاج به يقال ماذلك الدليل . فان قالوا ان الحديث
يحتمل الوضع يقال ليس الذي يقوم حجة خبر كل من نصب نفسه محدثا بل مارواه
واسنده الائمة المعتبرون المعروفون بالصدق والامانة والثقات الراسخون في العلم عن قوم
مراضين عندهم وصححوه مثل مالك بن انس ومسلم بن الحجاج ومحمد بن اسماعيل البخاري
ومحمد بن ادريس الشافعي واحمد بن حنبل ومحمد بن عيسى الترمذي وسليمان بن اشعث
السجستاني وغيرهم من الائمة المعروفين ، وكتبهم باسانيدهم بين العلماء معتمدة مشهورة
حتى قالوا ان الحديث اذا نسب اليهم فكأنه اسند الى النبي صلى الله عليه وسلم
لانهم قد فرغوا من الاسناد واغنوناه عنه ، ومن ثم لم يزلوا يخذلوا بنص احدهم على صحة
السند او الحديث اضعفه فكما ان المجتهد يعتمد على خبره على الاسناد من جهة
الثقات فكذلك غيره ، وكما ان خبر الواحد الثقة عن الواحد الثقة حجة يلزم به العمل
على المجتهد وهو محجوج به فكذلك غيره ، وكما يجب علينا الانقاء من حديث لا يعرف
صحة مخارجه والستارة في ناقله فكذلك على المجتهد

وايضا ان الخبر يقين باصله لانه من حيث انه قول الرسول عليه السلام لا يحتمل
الخطأ وانما الشبهة باعتبار النقل حيث يحتمل السهو والنسيان ، وقول الفقيه يحتمل

(١) هو عبد النصير بن ابراهيم البلقاري كان من كبار علماء قزان الخنفية ومن
الداعين الى الكتاب والسنة وسلوك طريق السلف له مؤلفات عديدة منها كتابه هذا
السمي بالارشاد للعباد طبع في قزان ١٣٢١ مع كتاب آخر في تراجم رجاله اسمه المرصاد
في تراجم رجال الارشاد

الخطأ باصله اذ هو يجتهد فينطىء ويصيب واما باعتبار نقله فاكثره خال عن السند اصلا فكما ان وضع الخبر محتمل وصحة الاسناد يدفعه فكذلك وضع الرواية محتمل ولا اسناد حتى يدفعه

والصحابه رضي الله عنهم كانوا متفقين على ترك الرأس بالسنه وهو حجة شرعية فكيف لا يترك التقليد بها وهو ليس بحجة اصلا

فالواجب على من بلغه الحديث ان يعمل به هذا في فقهاء الصحابة رضي الله عنهم فكيف فيمن دونهم وقد صح عن الشافعي رضي الله عنه انه قال : اذا صح الحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم فاتركوا قولني فانه مذهبي : وقال علي بن محمد القاري : وهذا مذهب كل مسلم .

واما قولهم : الحديث محتمل النسخ والتأويل : قلنا اذا ظهر ناسخه فلا نزاع في سقوط العمل به وان لم يظهر فلا يترك العمل بالدليل الثابت لاحتمال النسخ بل يعمل به حتى يظهر ناسخه ، ولو صار الدليل متروكا بكل احتمال لم يبق دليل معمولاً به الا ترى الى ما نقله اصحاب الاصول عن ابى حنيفة ومحمد وحسن بن زياد رضي الله عنهم ان الحديث وان كان منسوخاً لا يكون ادنى درجة من الفتوى ما لم يبلغه النسخ ، وايضا قد شاع عن الفقهاء الرجوع عن قول الى قول فهذا القول الذي يخالف الخبر الصحيح يجوز ان يكون قولاً مرجوحاً عنه فيكون كلا قول فكيف يترك الحديث الثابت باسناده لاحتمال النسخ ولا تترك الرواية الخالية عن السند لاحتمال رجوع قائلها بل الظاهر انه لم يبلغه الحديث ولو بلغه لرجع اليه او كان ذلك المروي مذهبه قبله الحديث وترك مذهبه بالحديث ورجع اليه احساناً للطن به فانه ان خالف الحديث لقلة المبالة والتهاون به سقطت عدالته فلا تقبل روايته وفتواه

وكذلك قولهم : بترك النص لاحتمال كونه مؤولاً : قلنا احتمال التأويل اما ان يكون ناشئاً عن قرينة او خفاء فيه كما اذا كان متبركاً او مشكلاً او مجملأ مثلاً اولاً فان كان الثاني فلا عبرة لاحتمال اصلا اذ المراد من الكلام ظاهره عند خلوه عن قرينة تصرفه عنه والعقلاء لا يستعملون الكلام في خلاف الاصل عند عدم القرينة والا لبطل فائدة الخطاب ، والغفرار عن ظل جدار غير مائل لتوهم السقوط ينسب الى السفه ولا كذلك اذا كان مائلاً ، وان كان الاول فان قدر على ترجيح احد المعاني المحتملة بالرأي فيعمل بما ترجح عنده وان لم يقدر على الترجيح وكان جواب المسألة مما استهر

وظهر وانجلي عن اصحابنا ارجوان يسع الاعتماد عليه والعمل به ان شاء الله تعالى ،
الا ترى الى قول العلماء ان التمسك في الاصول بالكتاب والسنة واجماع الامة مع
المجانبة عن الهوى والبدعة وفي الفروع بالمجمع عليه ثم بالاحوط ثم بالاوثق دليلا ثم
بقول من ظن انه اعلم واورع

وايضا كما ان التأويل محتمل في الحديث كذاك يحتمل في فتوى الفقيه فان جاز
فهم المراد من الفتوى لظهوره جاز فهم المراد من الحديث ايضا لظهوره ، وليس الفقيه
باقدر على الفهم من النبي صلى الله عليه وسلم ، فهذا القول الذي احدثوه وحكيانه عنهم
من لزوم الاعراض عن سنن النبي واحاديثه صلى الله عليه وسلم بالشبه التي وصفنا بها
احقر واصغر من ان ينقل ويثار ذكره اذ هو قول محدث وكلام خلف يستنكره اهل
العلم وجبهم داحضة عند العقلاء ، واما الحق فلا يلقت اليهم فلا حاجة في رده
باكثر مما شرحنا اذ قدر المقالة وقائلها القدر الذي وصفناه والله المستعان على دفع ماخالف
السنة ومذهب اهل السنة وعليه النكلا انتهى كلامه بحجوفه

(وجوب تحري المفتي من الاقوال ارجحها)

ان مما يدعو للنظر والتروي في الفتيا كثرة المذاهب والاقوال في المسألة فليس
مذهب احق من مذهب ولا قول ارجح من آخر الا بالدليل والبرهان الذي يدعمه
ويؤيده ويبيته اجلى بيان

وقد اتفق الاصويون كافة على وجوب اتباع المفتي الاقوى دليلا والاقوم برهانا
من اي مذهب كان قال الامام النووي في مقدمة شرح المذهب : ليس للمفتي ولا للعامل
في مسألة القولين ان يعمل بما شاء منها بغير نظر بل عليه العمل باربعهما :

وقال العلامة ابو النصر القراني الحنفي^(١) في كتابه الارشاد : وليس للمفتي الفتوى
باحد القولين او الوجهين من غير نظر بل عليه العمل بالارجح والجمهور من المحققين
قالوا : ان العمل والفتوى بالمجمع عليه ثم بالاحوط ثم بالاوثق دليلا ثم بقول من ظنه
اعلم واورع ولذلك ترى المنتسبين الى مذهب يفتون بخلاف قول امامهم كالحنفية يقلدون
ابا حنيفة فيما لم يظهر على خلاف قوله دليل اقوى من دليله واذا ظهر الدليل الراجح على
دليله يفتون ويعملون على خلاف قوله ويقولون الفتوى على قول ابي يوسف او على
قول محمد او على قول زفر مثلا وينقلون قول ابي حنيفة رضي الله عنه في ظاهر الرواية

على خلافه وكذلك ابو يوسف او محمد مثلاً ممن ينتسبون للمذهب ابى حنيفة فانهم يقلدونه فيما لا دليل عندهم واذا قام الدليل على خلافه يفتنون بغير قوله لان الواجب متابعة الدليل الراجح عند قيامه والتقليد انما يصار اليه عند الضرورة مقدرة بقدرها انتهى

وقال الامام ابن هبيرة في الابيضاح : اذا خرج^(١) من خلاف الائمة المجتهدين متوخياً مواطن الاتفاق ما يمكنه كان آخذاً بالحزم عاملاً بالاولى وكذلك اذا قصد في مواطن الخلاف توخي ما عليه الاكثر منهم والعمل بما قاله الجمهور دون الواحد فأنه يأخذ بالحزم مع جواز عمله بتول الواحد الا انني اكره له ان يكون مقتصرأ في حكمه على اتباع مذهب ابيه او شيخه مثلاً فاذا حضر عنده خصمان وكان ما شاجرا فيه مما يفتي الائمة الثلاثة بحكمه نحو التوكيل بغير رضا الخصم وكان الحاكم حنفياً وعلم ان مالكا والشافعي واحمد اتفقوا على جواز هذا التوكيل وان ابا حنيفة يمنعه فعدل عما اجتمع عليه هؤلاء الائمة الثلاثة الى ما ذهب اليه ابو حنيفة بمفرده من غير ان يثبت عنده بالدليل ما قاله ولا اداه اليه اجتهداه فاني اخاف عليه من الله عز وجل ان يكون اتبع في ذلك هواه ولم يكن من الذين يستمعون القول فيتبعون احسنه (وكذلك) ان كان القاضي مالكياً واختصم اليه اثنان في سؤر الكلب فقضى بطهارة مع علمه بان الفقهاء كلهم قد قضوا بنجاسته (وكذلك) ان كان القاضي شافعيًا واختصم اليه اثنان في متروك التسمية عمداً فقال احدهما هذا مني من بيع شاة مذكاة وقال آخر انما منعه من بيع الميتة فقضى عليه بمذهبه وهو يعلم ان الائمة الثلاثة على خلافه (وكذلك) ان كان القاضي حنبلياً فاخصم اليه اثنان فقال احدهما لي عليه مال فقال الآخر كان له علي مال ولكن قضيه فقضى عليه بالبراءة مع علمه بان الائمة الثلاثة على خلافه فهذا^(٢) وامثاله مما ارجو ان يكون اقرب الى الخلاص وارجح في العمل اه

وقال الامام ابن عبد البر في جامع العلم : الواجب عند اختلاف العلماء طلب الدليل من الكتاب والسنة والاجماع والقياس على الاصول على الصواب منها وذلك لا يعدم فان استوت الادلة وجب الميل مع الاشبه بما ذكرنا بالكتاب والسنة فاذا لم يبين وجب التوقف ولم يجز القطع الا بيقين فان اضطر احد الى استعمال شيء من ذلك في خاصة نفسه

(١) يعني الحاكم او المفتي القلند والا فالمجتهد لا يمشي الامع الدليل واذا عني القضاة والمفتون بما قاله ابن هبيرة ففتح للامة مخارج من مهام كثيرة وابواب تقضيها سماحة الاسلام (٢) اي الرجوع الى العمل بما قاله الجمهور اه منه

جاز له ما يجوز للعامة من التقليد واستعمل عند افراط التشابه والتشاكل وقيام الادلة على كل قول بما يعضده قوله صلى الله عليه وسلم البر ما طمأنت اليه النفس والاثم ما حاك في الصدر فدع ما يريك الى ما لا يريك : هذا حال من لا ينعم النظر وهو حال العامة التي يجوز لها التقليد فيما نزل بها وافتاها بذلك علماؤها

واما المفتون فغير جائز عند احد من ذكرنا قوله لا ان بغني ولا يقضي حتى يبين له وجه ما بغني به من الكتاب او السنة او الاجماع او ما كان في معنى هذه الالوجه انتهى وهو خلاصة الخلاصة ولباب الباب وما الطب قول الماوردي : يلزم الاجتهاد في كل حكم طريقته الاجتهاد انتهى والمجتهد فيه قال الغزالي هو كل حكم شرعي ليس فيه دليل قطعي وقد ذكر الامام ابن القيم في اعلام الموقعين ان من افنى بقول يعلم ان غيره ارجح منه انه خائن لله ورسوله وللإسلام اذ الدين النصيحة (قال رحمه الله) وكثيراً ما ترد المسألة معتقد فيها خلاف المذهب ولا يسعنا ان نفني بخلاف ما معتقده فنحكي المذهب ثم نحكي المذهب الراجح ونقول هذا هو الصواب وهو الاول ان يؤخذ به وههنا لا بد من التنبيه على انه ليس كل ما يقال عنه ضعيف هو ضعيف حقيقة فندسرى التقليد في كل شيء حتى في التضعيف وليس القول الضعيف مضعف فقيه رأيه انهم مخالفة قاعدة عنده اوقياس او نظير كلا ان الضعيف ما خالف دليلاً صحيحاً من نص او قياس قويم وكمن قول مضعف هو صحيح برهانا ونظرا ووافق للصحة والحكمة الشارع ويرحم الله القائل

وكمن من عائب قولاً صحيحاً وأفد من الفهم السقيم

فعلى المفتي ان يمحص الاقوال ولا يغتر بمجرد التضعيف بل يجري وراء الاسد برهاناً الاصلح عمرانا وقد قال تعالى « يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر »

(الجذر من الفتاوى في تحسين البدع ووجوب الرجوع الى ما آخذها)

قال الامام ابن الحاج المالكي رحمه الله في كتابه المدخل : وليحذر ان يغتر العالم او يميل الى بدعة لدليل قام عنده على ابحاثها من اجل استثناس النفوس بالعوائد او بفتوى مفت قد وهم او نسي او جرى عليه من الاعذار ما يجري على البشر وهو كثير بل اذا نقل اباحة شيء من هذه الامور عن احد من العلماء فيذبحي للالم بل يجب عليه ان ينظر الى ما أخذ العالم المسألة وجوازها اياها من ابن اخترعها وبكيفية اجازته لها لان هذا الدين

والحمد لله محفوظ فلا يمكن ان احداً يقول فيه قولاً بغير دليل ولو فعل ذلك لم يقبل منه وهو مردود عليه وتمتة نفيسة فليرجع اليه^(١)

وقال الامام محمد البلاطنسي في خلال فتوى له : ان الواجب على الشخص ان يلزم طريق السنة ويجتنب سلوك البدعة ولا يغتر بكثرة الفاعلين لها ولا يكون العامل بها والمواظب عليها عائناً او مرموقاً بعين الصلاح

وقال الامام ابو شامة الدمشقي : واكثر ما يؤتى الناس في البدع بهذا السبب يكون الرجل مرموقاً بالاعين فيتبعون اقواله وافعاله فتفسد امورهم مع تمادي العهد ونسيان اول هذا الامر كيف كان وقال شيخنا البلاطنسي رحمه الله : ان اهل الزمان انما اتوا من قبل انهم يفتنون في كل ما يسألون عنه ولا يدرون اصابوها ام اخطأوها والمناكر الفظيعة لا يمتصونها لها ولا ينكرونها مثل الامام مالك رضي الله عنه عن ثمانين واربعين مسألة فقال في اثنين وثلاثين منها لا ادري فאלله المستعان تلى هؤلاء الذين شهواتهم غالبية على ديانتهم ويفتون بما يفتقد في اذهانهم ولا يقررون انفسهم عما لا يعرفونه واكثرهم ينطبق عليه الحديث الذي في الصحيح من قوله صلى الله عليه وسلم : ان الله لا يقبض العلم انتزاعاً ينتزعه من الناس ولكن يقبض العلم بقبض العلماء حتى اذا لم يبق عالماً اتخذ الناس رؤساء جهالاً فسئلوا فأفتوا بغير علم فضلوا واضلوا .

(قال الامام ابو بكر الطرطوشي) فتدبروا هذا الحديث فاذ يدل على انه لا يؤتى الناس من قبل علمائهم فقط وانما يؤتون من قبل انه اذا مات علماءهم افتى من ليس بعالم فيؤتى الناس من قبله

قال وقد صرف عمر رضي الله عنه هذا المعنى تصريحاً فقال : ما خان امين قط ولكنه او ثمن غير امين فخان (قال) ونحن نقول ما ابتدع عالم قط ولكنه استغنى من ليس بعالم فضل واخذ انتهى

(استفتاء القلب)

روى الامام احمد والدارمي في مسندهما عن وابصة بن معبد رضي الله عنه قال اتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال جئت تسأل عن الر قلت نعم قال « استفت قلبك الر ما اطمانت عليه النفس واطمان اليه القلب والاثم ما حاك في النفس وتردد في

(١) ايتأمل في هذا من يؤلف في بعض البدع وبظهرها بقال شرعي في زعمه ترفلاً الى العامة وتغانياً في العادات ومعاذة لمن افتى يدعيها مكابرة وفحة اه منه

الصدر وان أفتاك الناس وأفتوك » يشير الى التورع عما هو حلال في الفتوى بحسب ظاهر الحال ولكنه يجد حزازة في قلبه فكل من وجد حزازة واقدم مع مايجده في قلبه فذلك يضره لانه مأخوذ في حق نفسه بينه وبين الله تعالى بفتوى قلبه وتفصيل ذلك في كتاب الحلال والحرام من احياء علوم الدين

(تغير الفتوى بتغير الاحوال والرد الى المصالح)

عقد الامام ابن القيم في اعلام الموقعين فصلا لتغير الفتوى واختلافها بحسب تغير الازمنة والامكنة والاحوال والنيات والعادات « وقال » هذا فصل عظيم النفع جداً وقع بسبب الجهل به غلط عظيم على الشريعة اوجب من الحرج والمشقة وتكليف مالا سبيل اليه مايعلم ان الشريعة الباهرة التي في اعلى رتب المصالح لاتأتي به فان الشريعة مبناها واساسها على الحكم ومصالح العباد في المعاش والمعاد وهي عدل كلها ورحمة كلها ومصالح كلها وحكمة كلها فكل مسألة خرجت عن العدل الى الجور وعن الرحمة الى ضدها وعن المصلحة الى المفسدة وعن الحكمة الى العبث فليست من الشريعة في شيء وان ادخلت فيها بالتأويل الخ والبحت جدير بالارجعة وللامام نعم الدين الطوفي ببحث واف في المصالح المرسلة لا يستغني عن مراجعته مفت ولا حاكم^(١)

(بحث قولهم في الفتوى هذا حكم الله او فما حكم الله في كذا)

المستفتي اما ان يسأل عن حكم منصوص عليه او مجتهد فيه ففي الاول لاختلاف في جواز قوله : فما حكم الله : وقول مفتيه هذا حكم الله : لان حكم الله كما قال الغزالي في المستصفي خطاب مسموع او مدلول عليه بدليل قاطع وفي الثاني اعني المجتهد فيه ان قلنا على رأي الجمهور ان الله فيه حكماً معيناً يتوجه اليه الطلب وقد يصيبه المجتهد وقد يخطئه فلا يسوغ ان يقال فما حكم الله ولا هذا حكم الله لانه مغيب وهو مثل دفين يثر عليه المجتهد بالاتفاق فلن نثر عليه اجران ولن نخطئه اجر واحد لاجل سعيه وطلبه وان قلنا على رأي غيرهم انه ليس في الواقعة التي لانص فيها حكم معين بل الحكم يتبع الظن والفرض على كل مجتهد ماغلب على فانه ان يقول ما حكم الله بمعنى ماشرعه واذن فيه وذلك هو ماغلب على ظن المجتهد

وقد تلخص هذه المسألة العلامة العضد في شرح مختصر المصنف بقوله المسألة اما لا قاطع

(١) طبع في مجموعة متون في الاصول

فيها من نص او اجماع او فيها قاطع اما التي لا قاطع فيها فقد اختلف فيها فقال القاضي — ابو بكر الباقلاني — والجبائي كل مجتهد مصيب بمعنى انه لا حكم معينا لله فيها وحكم الله فيها تابع لظن المجتهد فما ظنه فيها كل مجتهد فهو حكم الله فيها في حقه وحق مقلده^(١) وقد قيل لله فيها حكم والمصيب واحد وهو المجموع

وقد استدلل للجمهور بمحدث برودة^(٢) قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا امر اميراً على جيش او سرية او صاه في خاصته بتقوى الله ومن معه من المسلمين خيراً ثم قال له واذا حاصرت اهل حصن فارادوك ان تنزلم على حكم الله فلا تنزلم على حكم الله ولكن انزلم على حكمك فانك لا تدري اتصيب فيهم حكم الله ام لا قال المجتهد ابن تيمية وهو حجة في ان ليس كل مجتهد مصيباً بل الحق عند الله واحد^(٣)

وكذلك بمحدث اذا اجتهد الحاكم فاصاب فله اجران وان اخطأ فله اجر فدل ان فيه خطأ وصواباً

وقد اجيب عن الحديث الاول بما حكاه العلامة الشوكاني في نيل الاوطار قال وقد قيل ان هذا الحديث لا ينتمض للاستدلال به على ان ليس كل مجتهد مصيباً لان ذلك كان في زمن النبي والاحكام الشرعية اذ ذاك لاتزال تنزل وينسخ بعضها بعضها

(١) اي فهو مصيب بمعنى انه ادى ما كلف به لانه بذل وسعه واللازم في الاجتهاد ليس الا بذل الوسع لانه المقدر عليه فكل مجتهد مصيب اي اذا اتى بشيء فقد اصابه

(٢) رواه الامام احمد ومسلم والترمذي وصححه

(٣) ومن ذهب الى ذلك شيخ الاسلام ابن تيمية فقد حكى عنه تلميذه شمس الدين ابن القيم في اعلام الموقعين سماعاً انه قال حضرت مجلساً فيه القضاة وغيرهم فجرت حكومة حكم فيها احدهم بقول زفر فقلت له ماهذه الحكومة فقال هذا حكم الله فقلت له صار قول زفر هو حكم الله الذي حكم به والزم به الامة قل هذا حكم زفر ولا تقل هذا حكم الله او نحو هذا من الكلام وصدر ابن القيم هذا البحث في الجزء ٣ ص ٤١٨ بقوله لا يجوز للفتي ان يشهد على الله ورسوله بانه احل كذا او حرمه او اوجبه او كرهه الا لما يعلم ان الامر فيه كذلك مما نص الله ورسوله على اباحته او تحريمه او ايجابه او كراهته بخلاف ما وجدته في كتابه الذي تلقاه عن قلده الى آخر ما ذكره وقد علمت مبنى الخلاف في هذه المسألة اهـ منه

ويخصص بعضها ببعض فلا يؤمن ان ينزل على النبي صلى الله عليه وسلم حكم خلاف الحكم الذي قد عرفه الناس :

واجاب الامام الغزالي في المستصفى عن الحديث الثاني بقوله والجواب من وجهين «الاول» ان هذا هو القاطع على ان كل واحد مصيب اذ له اجر والا فالخطي^١ الحاكم بغير حكم الله تعالى كيف يستحق الاجر (الثاني) هو انا لانكر اطلاق اسم الخطي على سبيل الاضافة الى مطلوبه لالي ماوجب عليه فان الحاكم يطلب رد المال الى مستحقه وقد يخطئ ذلك فيكون مخطئاً فيما طلبه مصيباً فيما هو حكم الله تعالى عليه وهو اتباع ماغلب على ظنه من صدق اليهود وكذلك كل من اجتهد في القبلة يقال اخطأ اي اخطأ ماطلبه ولم يجب عليه الوصول الى مطلوبه بل الواجب استقبال جهة يظن ان مطلوبه فيها (ثم قال) «فان قيل» ولم كان للمصيب اجران وهما في التكليف واداء ما كلفا سواء «قلنا» لضاء الله تعالى وقدره وارادته فانه لو جعل للمخطئ اجرين لكان له ذلك وله ان يضاعف الاجر على اخف العاملين لان ذلك منه تفضل ثم السبب فيه انه ادى ما كلف وحكم بالنص اذ بلغه والاخر حرم الحكم بالنص اذ لم يبلغه ولم يكلف اصابته لعجزه فقانه فضل التكليف والامثال

والبحث جدير بالعناية وقد جوده حجة الاسلام الغزالي في المستصفى فارجم اليه

(الحذر من رد النص بالتأويل)

قال الامام نبي الدين ابن دقيق العيد من ائمة الشافعية^(١) : ان الفقه في الدين منزلة لا ينبغي شرفها وعلاها ولا تحتجب عن العقول طوالها واضواها وارفعها بعد فهم كتاب الله المنزل للبحث عن معاني حديث نبيه المرسل اذ بذلك تثبت القواعد ويستقر الاساس وعند يقوم الاجماع ويصدر القياس لكن شرط ذلك عندنا ان يحفظ هذا النظام ويجعل الرأي هو المأموم والنص هو الامام وترد المذاهب اليه وترد الآراء المنتشرة حتى تنف بين يديه

واما ان يجعل الفرع اصلا ويرد النص اليه بالتكلف والتخيل ويحمل على ابد المحامل بلطافة الوهم وسعة التخيل ويرتكب في تقرير الآراء الصعب والدول ويحتمل من التأويلات ما تنفر منه النفوس وتسنكره العقول فذلك عندنا من اردء مذهب واسوء طريقة ولا نعتقد انه يحصل معه النصيحة للدين على الحقيقة وكيف يتبع امر مع

(١) في خطبة شرح الامام كما نقله عنه السبكي في طبقاته في ترجمته اه منه

رجحان منافيه وانى يصح الوزن بميزان مال احد الجانبين فيه ومتى ينصف حاكم ملكته غفبة العصبية واين يتبع الحق من خاطر اخذته العزة بالحمية الخ

(الفتوى في امر لم يقع)

قال الامام ابو شامة رحمه الله في كتابه (المؤمل في الرد الى الامر الاول) ما مثاله : كان الصحابة اذا نزلت بهم النازلة بحثوا عن حكم الله تعالى فيها من كتاب الله وسنة نبيه وكانوا يدافعون الفتوى ويد كل منهم لو كفاه اياها غيره وكان جماعة منهم يكرهون الكلام في مسألة لم تقع ويقولون للسائل عنها : اكان ذلك : فان قال لا قالوا : دعه حتى يقع ثم نجتهد فيه : كل ذلك يفعلونه خوفاً من الهجوم على ما لا علم لهم به واستغفالا بما هو الاعم فاذا وقعت الواقعة لم يكن بد من النظر فيها قال الحافظ البيهقي : وقد كره بعض السلف للعوام المسألة عما لم يكن ولم يمض به كتاب ولا سنة وكرهوا للمسؤل الاجتهاد فيه قبل ان يقع لان الاجتهاد انما ابيح للضرورة ولا ضرورة قبل الواقعة وقد يتغير اجتهاده عند الواقعة فلا يفهم ما مضى من الاجتهاد واحتج في ذلك بما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم : من حسن اسلام المرء تركه مالا بعينه : انتهى

(المواضع التي يجب فيها على المفتي المناظرة او يستحب وشرح فوائدها)

قال حجة الاسلام الزالي في المستصفي : المحصلون يعتقدون وجوب المناظرة لترضين واستجوابها لستة اغراض

(اما الوجوب) ففي موضعين (احدهما) انه يجوز ان يكون في المسألة دليل قاطع من نص او مافي معنى النص او دليل عقلي قاطع فيما يتنازع فيه في تحقيق مناط الحكم ولو عثر عليه لامتنع الظن والاجتهاد فعليه المباحثة والمناظرة حتى ينكشف انتفاء القاطع الذي يأثم ويعصى — المجتهد — بالغفلة عنه (الثاني) ان يتعارض عنده دليلان ويعسر عليه الترجيح فيستعين بالمباحثة على طلب الترجيح فانما وان قلنا على رأي انه يتخير فلانما يتخير اذا حصل اليأس عن طلب الترجيح وانما يحصل اليأس بكثرة المباحثة

(واما التدب) ففي مواضع (الاول) ان يعتقد فيه انه معاند فيما يقوله غير معتقد له وانه انما يخالف حسداً او عناداً او نكراً فيناظر ليزيل عنهم معصية سوء الظن ويبين انه يقوله عن اعتقاد واجتهاد (الثاني) ان ينسب الي الخطاء وانه قد خالف دليلاً

قاطعاً فيعلم جهلهم فيناظر ليزيل عنهم الجهل كما ازال في الاول معصية التهمة (الثالث) ان يبه الخصم على طريقه في الاجتهاد حتى اذا فسد ما عنده لم يتوقف ولم يتغير وكان طريقه عنده عتيداً يرجع اليه اذا فسد ما عنده وتغير فيه ظنه (الرابع) ان يعتقد ان مذهبه اثقل واشد وهو لذلك افضل واجزل ثواباً فيسعى في استنجار الخصم من الفاضل الى الافضل ومن الحق الى الاحق (الخامس) انه يفيد المستمعين معرفة طرق الاجتهاد وبذلك لم يسلكه ويحرك دواعيهم الى نيل رتبة الاجتهاد ويهديهم الى طريقه فيكون كالمعاونة على الطاعات والترغيب في القربات (السادس) وهو الامن ان يستفيدوه وخصمه تذليل طرق النظر في الدليل حتى يترقى من الظلمات الى ما للحق فيه واحد من الاصول فيحصل بالمناظرة نوع من الارتياض وتشجيد الخاطر وتقوية المنة في طلب الحقائق ليترقى به الى نظر هو فرض عينه ان لم يكن في البلد من يقوم به او كان قد وقع اليك في امر من الاصول او الى ما هو فرض على الكفاية اذ لا بد في كل بلد من عالم مليء بكشف معضلات اصول الدين وما لا يتوصل الى الواجب الا به فهو واجب متعين ان لم يكن اليه طريق سواء وان كان اليه طريق سواء فيكون هو احدى خصال الواجب فهذا في بعض الصور يلتحق بالمناظرة الواجبة

فهذه فوائد مناظرات المحصلين اه وهو من احسن ما كتب فيها وبه يعلم ان الدخول في المناظرة انما هو للمجتهد وقد صرح به حجة الاسلام عليه الرحمة ايضاً في بحث آداب المناظرة من كتاب العلم في الاحياء واما المقلد فقد قال عليه الرحمة في كتابه فيصل التفرقة : ان شرط المقلد ان يسكت ويسكت عنه : في كلام بديع بديعي مراجعته وما اللطف قول ابن سهل : فما اضيع البرهان عند المقلد والله اعلم

(نموذج من فتاوى القرن السابع وتوقيع عدة مفتين على فتوى واحدة)
في فتاوى تاج الدين الفزاري الزهير بابن الفركاح — من ائمة الشافعية — امامه
(واقعة)

قرية موقوفة على شخصين على سبيل الاشاعة الوقف الصحيح الشرعي فوضع شخص يده على نصف الارض واستغلها وبقي النصف الآخر في يد الشريك فهل يكون الحاصل من مغل النصف الباقي بين الشريكين ام لا

اجاب الشيخ شمس الدين عبد الرحمن ابن نوح المقدسي ^(١) اذا كانت مشاعة غير

(١) من كبار علماء دمشق مدفون في مقبرة الصوفية المعروفة بالبرامكة

مقسومة فالغصب واقع عليهما ومغل ما لم توضع عليه اليد بينهما لا يختص به الشريك الذي هو في يده

وصحح علي جوابه عبد الكريم الانصاري

وكتب قاضي الحنفية الصدر سليمان : نعم يكون بينهما الا ان يكون ثناء ملكه

وكتب بعض الحنابلة : نعم يكون ذلك بينهما علي حسب شرط الواقف

وفيها ايضاً ما مثاله

(حادثة)

وقعت لتقيب الاشراف بدمشق سنة (٦٦٦) كان قد حوسب فخرج عليه في الحساب

سنة آلاف فقال : صرفتها في المداراة عن الوقف : فقال الاشراف : مانع ما

المداراة بين لنا اردت به : فقال : ما يلزمني ذلك شرعاً : فكتب في ذلك سؤال

فكتب تاج الدين : ان لم يكن المتولي حاكماً فعلياً ببيان جهة المداراة ويكون

ضامناً ان اصر علي الامتناع من البيان . وساعده النجم الموقافي على ذلك

وكتب البرهان المراغي : انه لا يلزمه بيان المداراة :

فلما كان يوم الجمعة السادس والعشرون من شوال من السنة المذكورة عقد مجلس

بالعادية عند قاضي القضاة ابن خلكان وحضر القيب وقال : ان الفقهاء افتوا انه

لا يلزمه بيان المداراة : فناظره الشيخ^(١) في ذلك فرجعوا الى قوله وهذا لان المداراة

من غير الحاكم لا بد من تفسيرها لانها في مظنة الاجتماع فانه قد يعتقد مصلحة

ما ليس مصلحة الخ

وفيها ايضاً ما صورته :

(واقعة)

كان بدمشق شخص يعرف بناصر الدين ابن مجاور في سنة (٦٧٣) وقف غراساً

على مغارة الدم بجبل قاسيون ظاهر دمشق واشهدنا بالوقفية ولم يكتب كتاب وقف

فلما توفي كان لبيت المال في ميراثه نصيب فتنازع وكيل بيت المال في الغراس فكتب

محضر مضمونه ان ابن مجاور وقف ذلك الغراس علي مغارة الدم وعلى مصارفها وفقاً

صحيحاً شرعياً فقال الوكيل المصارف مجهولة وكتب في ذلك سؤال

(١) يعني تاج الدين الفزاري صاحب الفتاوى المنقول عنها

فكان الجواب ان المصارف الجهات المعنية في كتاب وقف مغارة الدم المقدم على وقف هذا الغراس

ولما حضر الشهود عند القاضي كانت صورة شهادتهم : انهم يشهدون على اقرار ابن مجاور انه وقف ذاك الغراس على مغارة الدم : ولم يقولوا وعلى مصارفها . فتوقف القاضي لذلك في الحكم ونازع الوكيل وقال : ان هذه الشهادة لا تقبل : فكشِب في ذلك سؤَال

اجاب تاج الدين فيه بان هذه الشهادة ثبتت بها الوقف ويحكم الحاكم بالوقف بها مستنداً على ذلك بانهما شهدا على اقراره بالوقف ومطابق الاقرار بالوقف محمول على الصحيح والصحيح ما اجتمع فيه الشرائط المعتبرة فيه وساعده على ذلك البرهان المراغي والشيخ محي الدين النواوي وغيرها وفيها ايضاً ماناه

(واقعة)

وقف وفقاً صحيحاً شرعياً على بعض جهات البر وحكم به حاكم من حكام المسلمين واستثنى الواقف النظر فيه لنفسه مدة حياته وله ان يفوض ذلك الى من يرى في حياته وبعد وفاته وكذلك كل من آل اليه النظر في هذا الوقف له ان يفرضه الى من يراه اهلاً لذلك في حياته وبعد وفاته ولم يجوز هذا الواقف لتاخر من النظر في هذا الوقف ان يفوضه الا الى من يعلم عدالته وامانته وصلاحه ويختار من هو على هذه الصفات من اقرب الناس الى الواقف ثم الاقرب فالاقرب الى الاعلى من نسله فان لم يكن من عصبته احد موصوف بهذه الصفات فعند ذلك يفوض الى من هو على هذه الصفات من عشيرة هذا الواقف فان لم يوجد منهم احد فوض الى من هو على هذه الصفات من الاجانب على حسب ما يراه وان كان الابدع على هذه الصفات والاقرب عرياناً عنها فيقدم الموصوف بهذه الصفات على الاقرب ومتى عاد الاقرب الى هذه الصفات وانصف بها عاد النظر اليه ومتى مات الناظر من غير وصية ولا تفويض كان النظر بعده مفوضاً الى الاقرب فالاقرب الى الواقف من الموصوفين بهذه الصفات على الشرط المذكور فان مات الناظر ولم يفوض الى احد ولم يبق من عشيرة الواقف المذكور احد موصوف بهذه الصفات كان النظر في الوقف مردوداً الى كل حاكم يتولى الحكم بمدينة كذا فاسند الواقف النظر في ذلك الى اخيه زيد ثم ان اخا الواقف اسند النظر الى ولده عمرو اذ لم يكن

للاواقف احد اقرب منه ثم ان عمراً اسند الى ولده بكر مع وجود من هو اقرب الى الواقف فهل يصح اسناد عمرو ام لا واذا لم يتبع فيكون النظر الى اقرب الناس للواقف بشرط الوقف واذا كان الاقرب الى الواقف امرأة وهي موصوفة بالصفات المشروطة في النظر فهل يعود النظر اليها لكونها اقرب الى الواقف ام لا

اجاب الزين ابن النجما الحنبلي : لا يصح اسناد عمرو الى ولده مع وجود من هو اقرب منه الى الواقف واذا مات عمرو ولم يحمل النظر الى من له جعله كان النظر الى الاقرب الى الواقف الموصوف بما ذكر واذا كان الاقرب امرأة موصوفة بما شرط وكان الوقف لا يتضرر بنظرها لقيامها بالواجب فيه اما بنفسها واما بنائبها كان النظر اليها وكتب :
كتبه ابن النجما الحنبلي

وكذلك بعده ابراهيم بن احمد بن عقبة الحنفي

اجاب التقي ابن تيمية الحنبلي : لا يصح اسناد عمرو والحالة هذه بل يكون النظر الى اقرب الموجودين الى الواقف من المصنفين بالصفات المشروطة بمقتضى شرط الواقف اذ التفويض الفاسد كلا تفويض وسواء كان رجلاً او امرأة لان نظام العموم لها وقد فوض عمر رضي الله عنه وقفه الى حفصة وكتب : كتب به احمد بن نبيمة ،

ووافقه على ذلك الشرف المقدسي الشافعي

هذه نموذجات من فتاوى القرن السابع وهكذا ما قبله فيرى الواقف ان الوقائع والنوازل والافضية كانت تعرض على انظار عدة من اولى العلم ليرى كل فيها ما يؤيده اليه اجتهداه وقد يدلي بعضهم بحجة أقوى وبرهان اقوم فيني الى فتواه من افنى بخلافه وقد رأيت في هذه الفتاوى — فتاوى الفزاري — من رجع بعد فتواه الى ما كتبه مفت آخر في واقعة وعبارتها فيها : فلما افنى الشيخ بذلك وكتب خطه رجع التقي ابن حياة اليه ورجع عما كان كتبه مع الجماعة واعتمد عليه انتهى وهكذا يكون العلم الصحيح والسعي وراء الحق في المسائل دين تعصب لامام او نقيد بمذهب والله يقول الحق وهو يهدي السبيل (للبحث صلة) جمال الدين القاسمي

الكلمات الدخيلة

منذ اخذت الصحف تصدر في العربية اي مد زهاء ثمانين سنة شعر الكتاب والمترجمون بالحاجة الى ترجمة بعض الالفاظ الافرنجية الى العربية فبدأ بذلك الشيخ احمد فارس الشدياق صاحب الجوائب ووضع بعض الالفاظ العربية لمدلولات افرنجية شاعت اليوم حتى عدت كأنها من متن اللغة الاصلي ثم تبعه من جاء بعده ولا سيما المترجمون في مصر وسورية ومن جملتهم الشيخ ابراهيم اليازجي صاحب الطيب والبيان والفضياء الذي عرّب بعض الالفاظ وغيرهم من اللغويين المعاصرين

وفي سنة ١٣١٠ عقد في مصر مؤتمر لغوي مؤلف من بعض العلماء واللغويين تليت فيه بعض الكلمات لبعض الالفاظ الشائعة مثل «مرحي» لكلمة برافو و«برحي» على النقيض من الاولى و«مدره» للمحامي و«المسرة» للتلفون و«عم صباحاً» لبونجور و«عم مساء» لبونسوار و«البهو» للصالون و«القفاز» للجوانتي او الكفوف و«الثمرة» للثومرو و«الوشاح» للكوردون و«الطنف» للباكون و«الحراقة» لمركب الثور يبدو و«الجديلة» للمودة و«المرب» للكلوب و«الحذاقة» لشهادة البكلوريا و«العاطف والمعطف» للبالاكو وحصب الارض بالحصباء للأكادام و«المشجب» للشاعة اوبور تمانتو

ثم انفرط عقد ذلك المجتمع وكان عبد الله انندي البستاني من لغويي بيروت وضع لفظة (آتسة) المداموازيل و«عقيلة» للمدام ثم وضع احمد بك تيمور^(١) ثلاثين كلمة وهي «ملة القلم» المدة يضم اوله وهي ما يملق بالقلم من المداد بعد غمسه في الدواة

«بوبة الجزم او طلاء الاحذية» اليزندج او الارندج بفتحين وهو السواد يسود به

الخف

«صحبة الورد» الطاقة وهي الحزمة من الريحان ونحوه ولعلها اقرب لفظة لمعنى الصحبة وقد اصطلح الكتاب على تسميتها بالباقة وهو خطأ لان الباقة خاصة بحزمة البقل

«نشان التعليم» الدريئة بفتح فكسر وهي الحلقة يتعلم الراي عليها.

«الكشك» اصله بالفارسية كوشك وهو القصر الصغير وقد عربوه بالجوسق.

«العطفة» الرذب بفتح الروء وسكون الدال وهو الطريق الذي لا ينفذ.

«العديل» السلف او الظأب من المظابة وهي ان يتزوج انسان بامرأة و يتزوج آخر باختها . اما الثجاب بتشديد الباء من باب الضفاعل فهو ان يتزوج كل من الرجلين باخت الآخر .

« قشرة الجرح » الجلبة بضم فسكون وهي القشرة تعلو الجرح عند البرء .
« الطاقية » السكبة بفتح فسكون وهي خرقه نقور للرأس كالشبكة .

«ناظر العارة او مقدم الفعلة » الوهين كامير وهو الرجل يكون مع الاجير يحثه على العمل .

« اليشمق » اللغام بكسر اواء وهو الثقاب يكون على طرف الانف فان كان على الفم فهو اللثام

« السردين » الصبر بكسر اواء وهو كما في القاموس السميكات المملوحة يعمل منها الصحناء وفسو الصحناء بانه ادام يتخذ من السمك الصغار مشه مصلح للمعدة . فعلى هذا يجوز اطلاق الصحناء على كل ما يقدم امام الطعام من المشبهات كالصير ونحوه المسمى عند الاعاجم *Cordeau* يمكن ان يسمى السردين ايضاً بالطريخ كسكين وهو سمك صفار تعالج بالملح وتؤكل

« العزبة » كأنها محرفة عن العزوبة بالفنح وهي الارض البعيدة المضرب الى الكلاء وصوابها الضيعة او هي الارض المغلة وقد استعملت قديماً بمعنى « العزبة » واظنهم استعملته الى الآن بهذا المعنى بالبلاد التامية

« مضرب الكورة » الطباطابة بفتح فسكون وهي خشبة عريضة يلعب بها بالكرة ويقال لها ايضاً الميجار بكسر اواء وهو كما في المخصص الصولجان الذي تضرب به الكرة « المزنة » النقل بالفنح او بالتحريك وهو ما يبعث به التارب او يتنقل به على شرابه من فاكهة ونحوها . والعامة تقول نقل بضم فسكون وهو خماً قديم نيه عليه ائمة اللغة .

« اللباس الرسمي » السواد وهو لون اتخذه بنو العباس شعاراً لهم ثم اطلق عندهم على لباس اسود خاص بالامراء والعلماء وذوي الاخطار وكان الرجل اذا اراد الذهاب الى ديوانه او مقابلة خليفته قال لغلامه ، على بسوادي وسيني .

« ثياب الحزن » السلاب بكسر اواء وهي ثياب سود تلبسها النساء في المأتم واحدها سلبة بفتح ثين وتسلبت المرأة وسلبت بتشديد اللام اذا ابستها وهو مثل احدثت الا ان الاحداد يكون على الزوج خاصة والنسلب على الزوج وغيره .

« الحبل الحاجز في الطريق » عند اصلاحها او في احتفال كبير . الماصر وهو كما في
مختصر العين للزبيدي حبل على طريق او نهر تجس به السفن او السابلة . واقتصر في
اللسان على انه الحبل يلتقي في الماء لمنع السفن عن السير .
« المعدة » المعبر كذبر وهو المركب الذي يعبر به .

« عقدة وشنيطة » الانشودة بضم فسكون وهي عقدة يسهل انحلالها اذا مددت باحد
طرفيها انحلت . ونقول نشطت الانشودة من باب نصر اذا عقدتها وانشطتها اذا حللتها
« الحصان البوني *Prenet* او *Poney* » المكبون والانشى المكبونة وهو الفرس
الفصير القوائم الرحيب الجوف الشخت العظام ولا يكون المكبون اقعس ومعنى الاقعس
في الخيل المطمئن الصهوة المرتفع القطاة .

« الشال » الطيلسان وقد فسرهُ اللغويون بانه ضرب من الاكسية واقتصروا على
ذلك الا ان الشيخ ابراهيم السيجيني فسرهُ في كتابه المسمى بالعلمي الاكبر في عين من
انكر لبس الاصفر بانه ثوب طويل عريض كالرداء يجعل على الرأس فوق نحو عمامة
ويغطي اكثر الوجه ثم يدار طرفه تحت الحنك الى ان يحيط بالرقبة ثم يلتقي طرفاه على
الكتفين اه وهو كما تري قريب جداً من معنى الشال .

« رخو الكرباج » الشيب بكسر اوله وهو سير السوط . وفي اللسان وشيба السوط
سيران في رأسه وشيب السوط معروف عربي فصيح اه

« الجرسون او السفرجي » لم اقف على لفظ مفرد يدل دلالة تامة على « الجرسون »
وقد ذكر اللغويون الندل بضمتهين وفسره بخدم الدعوة قالوا سموا ندلا لانهم يتقلون
الطعام الى من حضر الدعوة واصله من ندل اذا تناول اه . الا انهم لم يذكروا
مفردة فارجو ممن وقف على لفظة اخرى او على مفرد الندل ان يفضل بنشره افادة
للجمهور . على اني رأيت بهامش اللسان ان هذا اللفظ وجد مضبوطاً بخط الصاغاني
بفتحتين وعليه فلا يبعد ان يكون اسم جمع لنادل كخادم وخدم الا ان مثل هذا لا ينبغي
الحكم فيه الا بالنص الصريح .

« القطن الزهر » اصطلاح المصريون على تسمية القطن قبل حبلجه بالزهر وعريته
الفصيحة المكمل بصيغة اسم المفعول وهو كما في القاموس القطن مادام فيه الحب والقطن
الحليج كأميزه وما استخرج حبه ويسميه المصريون بالشعر . اما شجرة القطن فتسمى
الزعبل بفتح اوله وثالثه وسكون ثانيه

« السنارة » التص بفتح اوله او كسره وهي حديدة عقفاء يصاد بها السمك واما الصنارة بكسر الصاد المهملة وتخفيف النون ومنع في اللسان تشدها فهي الحديدة الدقيقة المعقفة التي في رأس المغزل فاستعارتها العامة لمصيدة السمك وابدلوا صاها سبأً ولا داعي للاستعارة متى وجدت الكلمة الموضوعه

• « الجاكية *Jaquette* » اصطلاح الكتاب على تسمية « الباطو » بالمعطف ومن المعلوم ان الجاكية كالباطو الصغير فلا حرج اذا سميناها بالعطيف تصغير ترخيم للمعطف • « البيرة السوداء » البيرة خمر التعير وعربتها الجملة وزان هبة فيوزان يقال الجملة السوداء الا ان العرب سمت الخمر السوداء بام ايلي فما المانع من اطلاقها على هذا النوع من البيرة

« عمود الغاز » الماثلة وهي منارة المسرجة كما في القاموس

« البونية *Coup de poing* » الجمع بضم فسكون وهو من الكف حين تقبضها قال طرفه بن العبد

بطي عن الجلى سريع الى الخنا ذلول باجماع الرجال ملهد

و يقال فيه ايضاً الصقب بفتح فسكون وصقه اي ضرب: بجمع كفه •

وبقيت الحال على هذا الماوال تشدد الحاجة الى مفردات عربية كلما كثرت المترجمون وكان لبعض المجالات عمل مهم في هذا الشأن فوضع اربابها ومؤازروها الفاظاً كثيرة منها ماشاع ومنها لم يرزق الحظوة من الشيوع بين الكتاب الى ان قام في السنة الماضية اعضاء نادي دار العلوم في القاهرة وهم من الغيورين على خدمة اللغة لان معظمهم ممن احكموا كتابتها وقواعدها وبيانها احكاماً يكاد لا يكون وراءه غايه وهم الحلقة الموصلة بين اهل التربية الحديثة واهل التربية القديمة بل هم مثال التربية العربية العصرية فقرأوا نفع الله بهم العربية ان يختاروا بعض الاكفاء منهم يؤلفون لجنة علمية لتتوفر على هذا الغرض من وضع الالفاظ العربية للمفردات العامية او الاجنبية التي سرت الى لفتنا من لغات اوربا او من اللغتين الفارسية والتركية فوضعوا حتى الآن طائفة صالحة من هذه الالفاظ وما نحن نثبتها فيما يلي ايذاناً بفضل اولئك العاملين وبياناً للمشغولين باللغة من اهل الاقطار العربية الاخرى عسى ان ينظروا فيها نظرة ثانية او ان يقرروا الجملة على ما وضعت وان كانت المصريون هم في الحقيقة ائمة اللغة والقائمون على تعهدها اكثر من غيرهم من الشعوب

وهاك مافقرته اللجنة حتى الآن من الالفاظ :

« استمارة » يرى اعضاء النادي استعمال استمارة وقد وجدت هذه الكلمة في الكتب القديمة بلفظ استييار بالتسهيل وحذف التاء ولكنهم رأوا اثبات التاء لالتزامها في الاستعمال الحاضر وعدم المانع منه والكلمة مرة من استأمر اي اخذ امره .
« انفييتازو » ترجمت بلفظ مدرج منذ زمان وقد كاد اختيار الاعضاء يجمع عليها .

« بلوك نوت » تعربها اضمامة ومعناها الاوراق منضمة .
« بويه » نظرت اللجنة فيما يستعمل للتلوين فوجدته على نوعين : نوع يغخل اجزاء الاجسام فاختارت له كلمة صيغ كصيغ الثياب والورق وما اشبهه . ونوع يعلو السطوح فاختارت له كلمة طلاء كطلاء المباني والاواني وغير ذلك
« نخته بوش » وهو مايسميه الافرنج « *Vérandas* » وتعريبه نخيرة فقد جاء في لسان العرب ان النخيرة سقيفة من خشب ليس فيها نصب ولا غيره .
« تربيزة او طاولة » رأّت اللجنة من هذا المسمى انواعاً : فمنها ما هو للاكل وهذا خوان ويسمى حين وضع الاكل عليه مائدة . ومنها ما توضع عليه الاشياء المختلفة وهذا منضدة مشتقة من النضد وهو جعل المتاع بعضه فوق بعض ويخصه بعض اللغويين بمر المتاع وخياره . ومنها ما هو للكتابة خاصة وهذا يطلق عليه كلمة مكتب المستعملة .
« ترسنه » ان ما يخرج عن البناء منه ما هو مغطى وهذا يسمى كنه ومنه ما هو مكشوف وهذا طنف والكلمتان في العربية موضوعتان لما يخرج من الاجنحة في الدار . علي ان هناك لفظة توّدي المعنى وهي شرفة وقد كثر استعمالها وورد في الاغاني بهذا المعنى كلمة مستشرف

« جول » اختارت لها اللجنة لفظة مرمى على ان كلمة محج الشائعة في سوربة توّدي نفس المعنى

« خارطة » وصحیحها خريطة

« دوسيه » تعربها ملف

« شماعه او تعليقة » وجدت اللجنة لما تعلق عليه الملابس نوعين اولها ذو عمود متوسط وشعبات بارزة فاختارت له كلمة غدان وهو في اللغة قضيب تعلق عليه الثياب والثاني يثبت في الحائط فاختارت له لفظة شجباب

« طابور » الكلمة عربية حُرِفَتْ وصحّحها نابور

« كارت فيزيت » سبق اختيار بطاقة الزيارة ولا مانع من الاستثناء عن المضاف اليه فيقال بطاقة كما يقول الافرنج كارت

وقد رأَت اللجنة أيضاً استبدال « سيناتوغراف » بكلمة خيالة وهي كل ما تراءى لك من الصور و « فونغراف » بالحاكي « وميموغراف » بمطبعة النضج و « تمبر بتر » بمطبعة الازرار لانها اتخذت قاعدة عامة في قسمة المطابع وهي ان تستعمل كلمة مركبة من مطبعة مضافة الي اكبر مميز لتلك المطبعة . على ان كلمة الآلة الكاتبة او الكاتبة فقط اقرب من مطبعة الازرار

« استبالية » قالت اللجنة : كان من الممكن ان نجاري المتقدمين في اختيارهم كلمة بيارستان ولكن رأينا ان كلمة مستشفى مع ادائها المعنى تماماً اسهل نطقاً من الكلمة الاولى واكثر دورانا على الالسة والافلام

ونرى ان كلمة مستوصف اولى بالتعبير عن « الكلينيك »

« وبوفه Buffet » اختارت اللجنة لهذا المعنى كلمة متصف — وقد سبق استعمالها لان معنى القصوف في اللغة الاقامة في الاكل والشرب وهذا هو معنى بوفه اما استعمال القصف في اللهو فغير عربي .

اما خزانة الطعام والشراب فقد استعمل لها المتقدمون كلمة سكردان

« بريمة Tire-bouchon » بزال ومعناه في اللغة : حديدة يفتح بها الدن

وهو قريب من البريمة الحالية ففي هذا الاطلاق توسع

« تلفراف » استحسنَت اللجنة الكلمة المستعملة برق ورسالة برقية

« تباشير » الكلمة عربية محرفة وصحّحها طباشير

« ديبلوم » شهادة عالية وقالت لم توافق اللجنة على الشهادة النهائية ولا على الشهادة

العليا لان الديبلوم ليست كذلك بل بعدها ما هو اعلى منها . اما « شهادة الخدافة » التي

اشار اليها احمد نيمور بك فربما وضعت بعد لما هو ارقى من تلك الشهادة

« عفارم » اختارت اللجنة كلمة مرحى وهي كلمة تقولها العرب للاصابة في الرمي

فيمكن التوسع فيها .

« قومسيون » استنسبت كلمة لجنة المستعملة لان معنى اللجنة الجماعة يجتمعون في

الامر ويروضونه وذلك معنى القومسيون

« اتومبيل » سيارة . كلمة استعملت وتعارفها الكتاب فوافقت اللجنة على استعمالها .

« أكسبرس » قطار سريع مع كثرة الاستعمال يستغني عن الموصوف ويكتفي بالسريع

كالعناد . « بدره » غنمة . في القاموس الغنمة الاسفيداج والغنمة تظلي بها المرأة وجهها وهو موافق لمسمى بدره . « بزر . ييط » هجين . لمن ابوه خير من امه . مقرف . لمن امه خير من ابيه . محطاط . اذا لم تلاحظ الخيرية في احدى الجهتين . « بنطلون » سروالة . « ترتوار » طوار . في القاموس طوار المدار ويكسر ما كان ممتدا معها وهذا ممتد مع الشارع . « تمر جي » ممرض كلمة عربية مستعملة في معنى التمرجي . « تملي » دائمى . « جهجهون » جزاف استعملها الفقهاء للبيع من غير كيل او وزن ولم تر اللجنة بأصاً بالتوسع فيها . « دوناتمة » اسطول . كلمة استعملها المتقدمون من المؤرخين في معنى الدوناتمة . « رومانترم » رثية . في القاموس الرثية وجع المفاصل واليدين والرجلين . « زنبلك » دوترة . في القاموس يقال لكل مالم يتحرك ولم يدور دواترة وفواترة بفتحهما فاذا تحرك ودار فهو دواترة وفواترة والزنبلك متحرك فرأت اللجنة ان الدواترة اقرب الكلمات العربية الى معنى الزنبلك . « هالون » بهو . استعمل الكتاب كلمة بهو في الصالون والمعينان منقاربان . « صندوق القمامة » صندوق القمامة . « قشلاق » ثكنة . في القاموس الثكنة مركز الاجناد ومجنهمهم على لواء صاحبهم وان لم يكن هناك لواء ولا علم جمعه ثكن كصرد . « ميكخانه » حواطه . لحل الاكل . مطعم . لوكاندة الاكل . « برجل » دواترة . فرجار . بركار . في القاموس الدواترة الفرجار وقد ارتضتها اللجنة لانها عربية محضة والكلمات الاخرى من تعريب علماء الهندسة المتقدمين وقد استعملنا كثيرا في كتبهم فرأينا ان نبقى عليهما . « كروكي » رسم تقريبي . قد اخذ ترجمة الكلمة غير العربية بما يودي معناها لعدم اتصال علم اللجنة بكلمة عربية تؤدى هذا المعنى . « هدم » ملابس . اصل الهدم التوب البالي او المرقع او خاص بكساء الصوف جمعه اهدام وهدام فاستعمل العامة مفردة في غير ماوضع له وجمعوه على غير وجهه وكلمة ملابس نودي المعنى المراد . « ناموسية » كلمة . في القاموس الكلمة غشاء رقيق يتوقى به من البعوض وهي الناموسية بعينها اما الحجلة فلم ترضها اللجنة لانها خاصة بما تجلى فيه العروس . (نوته) مذكرة ، كناشة ج كناشات اشتق كلمة مذكرة من الفعل المقصود من هذا الالام وهو التذكير وهذا مااخترته اللجنة واما كناشة فقد اختارها الاستاذ الشيخ حمزة وقد قال صاحب شرح القاموس ومنه الكناشة لاوراق تجعل كالدفتر يقيد فيها

الفوائد والشوارد للضبط هكذا يستعمله المغاربة واستعمله شيخنا في حاشيته على هذا الكتاب كثيراً وتري اللجنة انها تستعمل لما قاله صاحب شرح القاموس (اچنده) (قماش) نسيج اصل القماش ماعلي وجه الارض من فئات الاشياء حتى يقال لذاله قماش وليس هذا المعنى هو المراد بكلمة قماش وانما يريدون بها المنسوجات فكلمة نسيج طبقه (قومندان) قائد اصل الكلمة اعجمية وكلتها العربية قائد يقال قائد الجيش وقائد الفرقة وقائد الفرسان وقائد المساة (قراص) حاجب استعمت حاجب النوادي معنى قواص وهي موافقة (طرحه) خمار الخمار النصف وهي مانعطي به المرأة رأسها وقد كانت الطرحة مستعملة قديماً في الطيلسان وقد يقولون الطراحة فالخمار اقرب الى المعنى المقصود من الطرحة (حزورة - فزورة) احجية قال في القاموس كلمة محجة مخالفة المعنى للفظ وهي الاحجية (شنطة) عيبة قال في اللسان العيبة وعاء من ادم يكون فيها المتاع (شادوف) شادوف جميع الكلمات التي وردت للجنة ليس فيها مايدل على مسمى شادوف مع استعمالها في معان اخرى وهذه الكلمات هي (١) دالية وهي المنجون والناعورة والمنجون الدولا ب يسئق عليه او الحالة يسئق عليها والحالة البكرة العظيمة وكل هذا بعيد عن معنى الشادوف (٢) السانية وهي الغرب واداته والناقعة يسئق عليها والغرب الدلو العظيمة

لهذا رأث اللجنة ان تستبقي كلمة شادوف بازاء ذلك المعنى المعروف وخصوصا ان الصيغة عربية كثيرة الورد وقال الاستاذ الشيخ حمزة انها كلمة مصرية معروفة عند العرب (فانار) منار المنار موضع النور ويظهر ان كلمة فنان مغلطة من الكلمة العربية منار والكلمة اليونانية فان (فرشة) فرجون محبة من وضع الاستاذ الشيخ حمزة قال في القاموس: الفرجون كبرزون المحسة وقال في مادة حس: الحس نفث التراب عن الغابة بالمحسة للفرجون (كاشة) كاشة قال في القاموس الكمش ضرب من صرار الابل وصرار الابل شد ضرعها صرعا بصرها صرا وهو نوع من القبض الذي يراد به التمكن من الشيء فرأث اللجنة ان هذا من التجوز الذي يتسع مثله ولا حاجة بعد الى تغيير كلمة مثل هذه والذهاب الى الكلمات العامة مثل ملقط ومقبض وما شاكل ذلك (كالون) قفل وغلقي اختير الغلطي لذلك الذي نسميه العامة «كالون» والقفل يستعمل عند العامة في مسمى معروف فيبقى دالاً على ذلك المسمى وهو المنفصل عن الباب ويستعمل له عروتان يربطهما القفل بلسانه (برميل) برميل ورد للجنة

تسع كلمات لم تر واحدة منها صالحة لان تطلق على مسمى البرميل وهي (١) الزبيل ومعناها كما في القاموس القفة او الجراب او الوعاء والقفة والجراب مسماها مخالف لمسمى البرميل شكلا ومادة والوعاء عام (٢) الزكرة زق للخمر والخل والزق السقاء او جلد يحز ولا يفتف للشراب وغيره وايس معنى البرميل هذا (٣) فطاس ومعناه حوض السفينة يجتمع فيه نشافة مائها وسقابة لها من الالواح يحمل فيها الماء العذب للشرب ولا تزال الكلمة مستعملة في معناها مع التوسع (٤) مخزن وهي عامة لكل ما يخبز فيه الشيء اي يحرز (٥) المقلد وهو الوعاء فهو عام (٦) العس وهو القدح العظيم (٧) الحب ومعناه الجرة والضخمة منها او الحشبات الاربع توضع عليها الجرة ذات العروتين (٨) الدن وهو الراقود العظيم او الطول من الحب او اصغر وله عس لا يتعد الا ان يحفر له وهو المعروف بالزامة او الخاية (٩) الراقود وهو مثل الدن

رأت اللجنة بعد نظرها هذه الكلمات ان تقر على استعمال كلمة برميل لانها ادل على مسماها ولم يوجد من الكلم العربية امامها ما يقو مقامها وقد قال الاستاذ الشيخ حمزة ان برميلا بكسر الباء عربية صحيحة . « حرملة » . انب ومثبة حرملة . في القاموس الانب والمثبة ككنيسة برد يشق فتلبسه المرأة من غير جيب ولا كمين وهو قريب من معنى الحرملة . وقد بحثت اللجنة عن اصل هذه الكلمة وكيف استعمالها الناس مع الطلاوة العربية فوجدت ان الحرملة شجرة نشق جراؤها عن البين قطن ويحشى به مخاد الملوك خلفه ونعومته فلا بعد ان هذه الحرملة كانت تحشى بهذا القطن للتدفئة فسميت باسم شجرتها وكبر اسمها ولذلك ابقتها اللجنة . « البشورة » الطلاسة . في القاموس الطلاسة خرقه يمسح بها اللوح . « شخير الائم » غطيظ . غط النائم صات « الدوربة اليلية » عسس . عس طاف بالليل وهو نفض الليل عن اهل الريبة وهو عاس جمعه عسس . « الرغاوي » الرغاوى — الزبد . وضعت اللجنة كلمة الزبد وقال الاستاذ الشيخ حمزة الرغاوى اي الرغوة اي الزبد والجمع رغاوى كل ذلك عربي صحيح . « طازره » طازج . طازج تعريب طازه وكان من عادة العرب في التعريب ان يحقوا بالكلمات المنهية بمثل هذه الهاء جيا كما قالوا فالزوج وغودج وغير ذلك . « الدش » الرشاش . الرش نفض الماء والرشاش مثنى منه

« عفش » اثاث . الاثاث متاع البيت . (حجو الحمام) نسفة . في القاموس النسفة حجارة سود ذات فخار يب يحك بها الرجل سعى به لانتسافه الوسع من الرجل

(طاولة اللعب) نرد • (عمام) غمص ان سال • رمص ان جمد • الغمص
 ما سال من الرمص غمعت العين كفرح فهو اغمص والرمص وسخ ايض • يجتمع في
 الموق رمصت عينه كفرح فهو ارمص والتقييد من وضع الاستاذ الشيخ حمزة
 « عود القرن » محش • المحش حديدة تحش بها النار اي تحرك كالحمشة
 « متلحة القرن » المطردة • المطردة خرقه تيل ويمسح بها التنور ومثلها الطريدة
 (هلب السفينة) انجر كلوب • الانجر مرسة السفينة وهو خشبات يفرغ بينها
 الرصاص المذاب فتصير كصخرة اذا رست • معرب انكر • والكلوب من وضع الاستاذ
 الشيخ حمزة قال في شرح القاموس ومن المجاز كلاليب الباز مخالبه جمع كلوب
 (هلب البئر) حصرم • الحصرم الحديدية يخرج بها الدلو من البئر •
 (هباب المبة) سناج • السناج اثر دخان السراج في الحائط •
 (مضرب الكرة) طبطابة • الطبطابة خشبة عريضة يلعب بها الكرة
 (فارة النجار) مسحج • المسحج المبراة يبرى بها الخشب • (تصبيرة) لجة • اللجة
 ما يتعلل به قبل الغداء • (ابعدية) ضيعة • الضيعة العقار والارض المغلة
 (قزان) مرجل • المرجل القدر من الحجارة والنحاس مذكر
 (اضبش) غطمش النطمش الكليل البصر اما الضبش فلم نره • (الرمش) الهدب
 الهدب شعر اشعار العينين وهو ما ترده العامة رمش • (دوخة) دوار الدوار شبه
 الدوران يأخذ في الرأس • (فلينة — سداد الزجاج) صمام صمام القارورة سدائها •
 (مصفاة نحو ابريق الشاي) فدام الفدام المصفاة و ابريق مفعلة عليه مصفاة
 (البريشون) الترب في القاموس الثرب شحم رقيق يغشى الكرش والامعاء جمعه
 ثروب واثرب وتعرفه العامة بهذا الاسم ولكنهم يدلون شاء تاء فيقولون ترب
 (اوزى) حمل في القاموس من معاني الحمل الجذع من اولاد الضأن فادونه والجمع
 حملان واحمال • (قشرة البيض الخارجة) قبض في القاموس القبض القشرة العليا
 اليابسة على البيضة • (القشرة الداخلة) غرق في القاموس الغرق القشرة الملتزمة
 ببيض البيض • (بياض البيض) الزلال • (صفار البيض) المح في القاموس من
 معاني المح صفرة البيض • (المضيفة) الثوي في القاموس الثوي كغني البيت المهيأ
 له اي للضيف • (شبشب) كوث في القاموس الكوث القفش الذي يلبس في الرجل
 والقفش خلف القصير • (موضة) بدع — بدعي في القاموس البدعي الامر المبدع

والبدع الامر الذي يكون اولا جمعه ابداع . (انتيكة) عادي . في القاموس العادي
 الشي القديم — كأنه منسوب الى عاد . (خريطة الحجر) رهانج في القاموس الرهانج
 كتاب الطريق وهو الكتاب يسلك به الرابانة الحجر ويمتدون به في معرفة المراهي وغيرها
 (طقة واحدة) وجبة القاموس الوجبة الاكلة في اليوم واليلة او اكلة في اليوم الى
 مثلها من الغد . (وش الفرش) ظهارة الظهارة تقيض البطانة وظاهر بينهما طابق .
 (صيخ الشواء) سفود في القاموس السفود حديدة يشوى بها وتسفيد اللحم نظمه فيها .
 (مونة البناء) ملاط الملاط الطين يجعل بين سافي البناء وملط به الحائط اي يطلي
 والساف كل عرق من الحائط والعرق كل صف من اللبن والاجر في الحائط والساف
 المدمالك . (نقاوي) بذر البذر ما عزل للزراعة من الحبوب جمعه بذور وبذر
 (الوجاق) الوطيس الوطيس الثنور . (الصنفرة) السفن من معاني السفن
 قطعة خشاء من جلد ضب او سمكة يسحج بها القدح حتى تذهب عنه آثار المبراة
 (الدربكة) الكوبة الكوبة الطبل الصغير المختصر . (الطهارة) الخنثان .
 (الاستراد) المنصة المنصة في الاصل ما ترفع عليه العروس واستمير لذلك المكان
 المرتفع الذي يصعد اليه بדרך لالقاء درس مثلاً . (الدرزين) الدرزين ورد ذكر
 الدرزين في القاموس تفسيراً للجلفق واختيرت الكلمة لاستعمالها وغرابة الاخرى
 (النجفة) الثريا اصل الثريا علم لمجموعة من النجوم متضامة استعملت لهذا المعنى
 لما بينهما من التماثل في الغضام والانارة . (ضيان) متين المثانة الصلابة والكلمة
 العامية تستعمل في الشيء ذي الصلابة والتحمل فهو معنى متين . (النفير) البوق البوق
 بالضم الذي ينفخ فيه ويؤمر . (سباطه) قنقن القنقن الكباشه جمعه اقناء وقنوان والكباشه
 بالكسر العذق والعذق هو ما تعبر عنه العامة بالسباطه امام معنى السباطه لغة فهي الكناسة
 تطرح باقية البيوت . (المقشة) المقشة قش الرجل اكل من هم او همنا ولف ما قدر
 عليه من الخوان والشيء جمعه وكله مناسب لما تضمنه تلك الاداة والقشيش والقشاش
 اللقطة . (معية) حاشية الحاشية اصل الرجل وخاصته والاخير نص في المعنى المراد
 بعية . (بدلة) حلة الحلة ما تتركب من ثوبين ازار ورداء وكذلك البدلة دائماً .
 « ياقة القميص » زيق زيق القميص بالكسر ما حاط بالعنق منه . « سوارى »
 فرسان . (الاسنيك) النوط معلق كل شيء . (شلثة) حشية الحشية الفراش
 الخشبو .

كتاب المدهش

الحافظ أبو الفرج ابن الجوزي هو محدث حافظ مفسر فقيه واعظ اديب قال فيه العليمي في طبقاته انه استاذ الائمة حبر الامة بحر العلوم سيد الحفاظ فارس المماني والفاظ فريد العصر قريع الدهر شيخ الاسلام قدوة الانام علامة الزمان ترجمان القرآن قانع المبتدعين سلطان المتكلمين ولد سنة احدى عشرة وخمسمائة لانه وجد د بخطه تصنيف له في الوعظ ذكر انه صنفه سنة ثمان وعشرين وخمسمائة وقال (ولي من العمر سبع عشرة سنة وكان يحجز مجلسه في الوعظ علي الدوام بعشرة آلاف او خمسة عشر الفا قال علي البئر في آخر عمره كتبت باصبعي هاتين التي مجلد وتاب على يدي مائة الف واسلم على يدي عشرون الف يهودي ونصراني اجتمع فيه من العلوم ما لم يجتمع في غيره سئل عن عدد مصنفاته فقال زيادة على ثلثمائة واربعين مصنفاتها ما هو عشرون مجلداً ومنها ما هو كراس واحد ولم يترك فتاً من الفنون الا وله فيه مصنف . وقال بعضهم انه كان يحضر مجلس وعظه مائة الف او يزيدون وهذا مبالغة لا يستطيع انسان يوصل صوته اليهم ولا جامع او ساحة ان تجمعهم والمقصود انهم كانوا الوفا من المستمعين وقد قال عن نفسه انه صنف وله من العمر ثلاث عشرة سنة وقيل عنه انه كان يراعي حفظ صحته وتلطيف مزاجه وما يفيد عقله قوة وذمته حدة وجل غذاءه الفرائج والمزاوير وبعثاض عن الفاكهة بالاتربة والمجونات واباسه الابيض الناعم المطيب

والمدهش من جملة كتبه ورد ذكره في قائمتها وهو في مجلدين ^(١) مكتوب بخط مشرقى مشكول كله وقد دفعناه الى صديقنا السيد عبد القادر المبارك فكتب عليه مايلي :

من المخطوطات القديمة لابن الجوزي كتاب المدهش قال كاتبه في خاتمه كان الفراغ من نسخه في العشر الاوسط من شهر ربيع الاول سنة تسع واربعين وسبعمائة جاء في مقدمته بسم الله الرحمن الرحيم رب يسر يا كريم

(١) منه نسخة في خزانة كتب السيد عبد الباقي الحسني الجزائري من فضلاءه .

واشرافها ولا نعرف لها ثانية

قال شيخ الامة وعلم الائمة ناصر السنة جمال الدين نجر الاسلام زين الانام ابو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد بن علي ابن الجوزي قدس الله روحه ونور ضريحه: الحمد لله الذي لامنتهى لعطاياه ومنحه حمداً يقوم بالواجب في شكره ومدحه وصلى الله على اشرف نبي وافصحته وعلى آله واصحابه وازواجه ما استن طرف في مرجه (اما بعد) فاني قت بمحمد الله في علم الوعظ بالصحة والمجهر وآثرت ان انتقي في هذا الكتاب من ملحه والله الموفق في كل عمل لاصاحه وقد قسمته خمسة ابواب . الباب الاول في علوم القرآن وبيانه . الباب الثاني في تصريف اللغة وموافقة القرآن لها . الباب الثالث في علوم الحديث . الباب الرابع في عيون التواريخ . الباب الخامس في ذكر المواعظ وهذا الباب ينقسم قسمين . قسم فيه ذكر التخصص وقسم فيه المواعظ مطلقاً والله الموفق اه

وذكر في باب علوم القرآن وبيانه ستة فصول يقع كل فصل منها في نحو صفحة واحدة فذكر في الفصل الاول اقسام الخطاب في القرآن وفي الثاني ماورد فيه من ضروب الامثال وفي الثالث ما جاء فيه اخص واحسن مما بمعناه من الكلمات التي تدور على الالسنه وفي الرابع ما اتحد من الآيات المتشابهة في المعنى واختاب في اللفظ وفي الخامس ما تغاير من الآيات بزيادة بعض الحروف والكلمات او نقصانها وفي السادس ما تغاير من الآيات بتقديم او تأخير

ثم ذكر بعد هذه الفصول اربعة وعشرين باباً سماها ابواباً منتخبة من الوجوه والنظائر ذكر فيها معاني هذه الكلمات : او . ادنى . الانزال . الارض . الامر . الانسان . الباء . الحق . الخير . الدين . الذكر . الروح . الصلاة . عن . الفتنة . في . القرية . كان . كلا . اللام . لولا . من . الواو . الهدى .

. ثم اتى على الباب الثاني في تصريف اللغة وموافقة القرآن لها وقسمه على ثلاثة عشر فصلاً قال في اول فصل منه : لما كانت اللغة تنقسم قسمين احدهما الظاهر الذي لا يخفى على سامعيه ولا يحتمل غير ظاهره والثاني المثل على الكتابيات والاشارات والنجوزات وكان هذا القسم هو المستعمل عند العرب نزل القرآن بالقسمين ليتحقق عجزهم عن الاتيان بمثله فكأنما قال عارضوه باي القسمين شئتم ولو نزل كله واضحاً لقالوا هلا نزل بالقسم المستعمل عندنا ومتى وقع في الكلام اشارة او كناية او استعارة او تعريض او تشبيه كان احلى واحسن قال امرؤ القيس

وما ذرفت عيناك الا لتضربي بسهميك في اعشار قلب مقتل
 فشبه النظر بالسهم فلي عهد السامع وقال ايضاً :
 فقلت له لما تمطى بجوزه وأردف اعجازاً وناءً بكل كل
 فجعل الليل صلباً وعجزاً وصدرأ على جهة التشبيه وقال غيره
 من كميّت اجادها طابخاها لم تمت كل موتها في القدور

اراد بالطابخين الليل والنهار . فنزل القرآن على عادة العرب في كلامهم ومن عاداتهم
 التجوز . وفي القرآن « فارجت تجارتهم . يربد ان يقض . ومن عاداتهم الكناية .
 ولكن لاتواعدوهن سرا . اوجاء احدكم من الغائط » واكثر الفصول الباقية ترجع الى
 بيان سعة اللغة وفقهاها على اسلوب فقه اللغة لابي منجهور الثعالبي

والباب الثالث في علوم الحديث وجله يتعلق ببيان اسماء المحدثين والمحدثات وتتميز ما يكثر فيه
 الالتباس وبيان المتنق والمفترق ويقال له ايضاً المؤلف والمختار ثم انتقل الى الباب
 الرابع في عيون التواريخ اتى فيه على نبذ من امهات المسائل التاريخية فمنها قوله : كان اول
 ملوك الارض ملك فارس وملوكهم دارا ملك نحو مائتي سنة ثم ملك بعده خمسة وعشرون
 ملكا فيهم اسرأتان وكان آخر القوم يزدجرد هلك في زمن عثمان رضي الله عنه فكان
 ملكهم خمسمائة سنة وكسراً وكان اطرفهم ولاية ذو الاكتاف فانه لا يعرف من ملك
 وهو في بطن امه غيره لان اباه كان قد مات ولا ولد له وانما كان هذا حملا فقال
 الجميعون هذا الحمل يملك الارض فوضع الناج على بطن الام وكتب الى الآفاق وهو
 جنين وسمي سابورا وانما سمي ذا الاكتاف لانه حين ملك كان ينزع اكتاف مخالفيه
 وهو الذي بني الايوان وبني نيسابور وسجستان والسوس وما زال الملك يشغل بعده فيهم
 الى ان ملك انوشروان وكان آخرهم وكان له اثنا عشر الف امرأة وجارية وخمسون
 الف دابة والف فيل الا واحداً وفي زمانه ولد النبي صلى الله عليه وسلم ومات لثان
 مضين من مولد نبينا صلى الله عليه وسلم ولما دبل المسلمون المدائن احرقوا ستر باب
 الايوان واخرجوا منه الف الف مثقال ذهباً .

قال ومن العجائب انه ولد في ليلة السبت لاربع عشرة بقيت من شهر ربيع الاول
 سنة تسعين ومائة المأمون ومات الهادي واستخلف الرشيد وفيه اجذبت الارض في سنة
 ثمانى عشرة وكانت الريح تسفي ترابا كالرماد فسفي عام الرمادة وجعلت الوحوش تأوي
 الى الانس فألى عمر رضي الله عنه ان لا يذوق سمّاً ولا لبناً ولا لحماً حتى يمحي الناس

واستسقى الناس بالعباس فسقوا وفيها كان طاعون عمواس مات فيه ابو عبيدة ومعاذ وانس
وفي سنة اربع وتسعين وقع طاعون بالبصرة وماتت ام اميرهم فما وجدوا من يحملها وفي
سنة ست وتسعين كان طاعون الجارف هلك في ثلاثة ايام سبعون الفا ومات فيه لانس
ثمانون ولداً وكان يموت اهل الدار فيطبق عليهم الباب وفي سنة احدى وثلاثين ومائة
مات اول يوم في الطاعون سبعون الفا وفي اليوم الثاني سبعون الفا وفي اليوم الثالث
خمدت ؟ الناس وفي سنة تسع عشرة وثلاثمائة ذبح الاطفال واكلت الجيف وبيع
العقار برغيفين واشترى لمز الدولة كرو دقيق بعشرين الف درهم

وقد عقد المؤلف رحمه الله في الباب الرابع في عيون التواريخ فصلا مستقلا افرد
بذكر الزلازل والآيات المستمثلة على دواعي العبر والمواعظ والزواجر وما هو بنص
حروفه

زلزلات الارض على عهد عمر رضي الله عنه في سنة عشرين ودامت الزلازل في
سنة اربع وتسعين اربعين يوماً فوقعت الابنية الشاهقة وتهدمت انطاكية . وفي سنة
اربع وعشرين ومائتين زلزلات فرغانة فمات منها خمسة عشر الفا . وفي السنة التي تليها
رجفت الاهواز وتصدعت الجبال وهرب اهل البلد الى البر والسفن ودامت ستة عشر
يوماً . وفي السنة التي تليها مطر اهل تباء مطراً وبرداً كاليض فقتل بها ثلاثمائة
وسبعون انساناً وسمع في ذلك صوت يقول : ارحم عبادك اغفر عن عبادك ونظروا الى
اثر قدم طولها ذراع بلا اصابع وعرضها شبران والخطوة الى الخطوة خمسة اذرع او ست
تبعوا الصوت فجعلوا يسمعون صوتاً ولا يرون شخصاً . وفي سنة ثلاث وثلاثين ومائتين
رجفت دمشق رجفة انتفضت البيوت على سكانها فمات منهم خلق كثير وانكفأت
قرية بالخطوة على اهلها فلم ينج منهم احد الا رجل واحد . وزلزلات انطاكية فمات منها عشرون
الفا . وفي السنة التي تليها هبت ريح شديدة لم يعهد مثلها فاقامت نيفاً وخمسين يوماً
وشملت بغداد والبصرة والكوفة واسط وعبادان والاهواز ثم ذهبت الى همدان فاحرقت
الزرع ثم ذهبت الى الموصل فموتت الناس من السعي فبطلت الاسواق وزلزلات هراة
فوقعت الدور . وفي سنة ثمان وثلاثين ومائتين وجه طاهر بن عبد الله الى الموكل
حجراً سقط بناحية طبرستان وزنه ثمانمائة واربعون درهما وفيه صدع وذكر انه سمع
لسقوله هدة مسيرة اربعة فراسخ في مثلها وانه ساخ في الارض خمسة اذرع . وفي سنة
اربعين ومائتين خرجت ريح من بلاد الترك فمرت بمرور فقتلت خلقاً كثيراً بالزكام ثم

صارت الى نيسابور والى الري ثم الى همدان والى حلوان ثم الى العراق فأصاب اهل بغداد (وسر من رأى) حى وسعال وزكام وجاءت كتب من المغرب ان ثلاث عشرة قرية من قرى القيروان خسف باهلها فلم ينج منهم الا اثنان واربعون رجلا سود الوجوه فاتوا الى القيروان فاخرجهم اهلها وقالوا لهم انتم مسخوط عليكم فبنى لهم العامل حظيرة خارج المدينة فنزلوا فيها .

وفي سنة احدى واربعين ماجت النجوم في السماء وجعلت تنطير شرقا وغربا كالجراد من غروب الشمس الى الفجر ولم يكن مثل هذا الا عند ولادة رسول الله صلى الله عليه وسلم . وفي السنة التي تليها رحمت قرية يقال لها السويداء بناية مصر بخمسة احجار فوقع حجر منها على خيمة اعرابي فأحرقها ووزن منها حجر فكانت زنته عشرة ارطال . وزلزات الري وجرجان وطبرستان ونيسابور واصبهان وقم وقاشان كلها في وقت واحد . وزلزات الدماغان فهلك من اهلها خمسة وعشرون الفا ونقطعت جبال ودنا بعضها من بعض وسمع للسماء والارض اصوات عالية وسار جبل باليمن عليه مزارع حتى اتى مزارع قوم آخرين . ووقع طائر ابيض دون الرخمة وفوق الغراب على دلبة بحلب لسمع مزين من شهر رمضان فصاح يامعشر الناس اتقوا الله حتى صاح اربعين صوتا ثم طار فجاء من الغد فذبح اربعين صوتا وكسب صاحب البريد بذلك واشهد خمسمائة انسان سمعوه . ومات رجل في بعض كور الاهواز فسقط طائر ابيض على جنازته فصاح بالفارسية والحوزية : ان الله قد غفر لهذا الميت ولن شهده . وفي سنة خمس واربعين ومائتين زلزات انطاكية فسقط منها الف وخمسمائة دار ووقع من سورها نيف وتسعون برجاً وسمع اهلها اصواتا هائلة من كوى المنازل . وسمع اهل تنيس صيحة هائلة دامت فوات منها خلق كثير وذهبت جبله باهلها . وفي سنة خمس وثمانين ومائتين مطرت قرية حجارة ييضا وسودا . وفي سنة ثمان وثمانين زلزلت دنبل (كذا) فاصبحوا ولم يبق من المدينة الا اليسير فاخرجوا من تحت الهدم خمسين ومائة الف بيت . وفي سنة تسع عشرة وثلاثمائة عدل الحاج عن الجادة خوفاً من العرب فرأوا في البرية صور اناس من حجارة ورأوا امرأة قائمة على التنور وهي من حجارة والخبز الذي في التنور من حجارة . وفي سنة ثمان وسبعين وثلاثمائة هبت ريح بقم الصالح شهبهت بالتنين جرفت دجلة حتى ذكر انه بانث ارضها واهلكت خلقا كثيراً واحتملت زورقا منحدرافيه دواب فطرحته في ارض جوجا (كذا)

وفي سنة عشرين واربعائة جاء برد هائل وقعت برده حذرت ثمانية وخمسين رطلا
فكانت كالثور النائم . وفي سنة اربع وثلاثين زلزلت تبريز فهدم سورها وقلعها وهلك
تحت الهدم خمسون الفا . وفي سنة اربع واربعين واربعائة كانت بارجان زلازل
انقلعت منها الحيطان فحكى من يعتمد على قوله انه كان قاعداً في ابوان داره فانفجر
صنقه حتى رأى السماء من وسطه ثم عاد . وفي سنة ستين واربعائة كانت زلزلة بفلسطين
هلك فيها خمسة عشر الفا وانشقت صخرة بيت المقدس ثم عادت فالتأمت وغاب البحر
فساح في الارض فدخل الناس يلتمعون فرجع عليهم فاهلك منهم خلقاً كثيراً . وفي
سنة اثنتين وستين خسف بابل . وفي سنة ست وخمسمائة سمع ببغداد هدة عظيمة في
اقطار بغداد . قال شيخنا ابو بكر بن عبد الباقي : انا سمعتها فظننت حائطاً قد وقع ولم
يعلم ما ذلك ولم يكن في السماء غيم فيقال رعد . وفي السنة التي تليها وقعت زلزلة بناحية
الشام فوقع من سور الرها ثلاثة عشر برجاً وخسف بسمسطا وقلب بنصف القلعة .
وفي سنة احدى عشرة وخمسمائة زلزلت الارض ببغداد يوم عرفة فكانت الحيطان
تمر وتجي . وفي سنة خمس عشرة وقع الثلج ببغداد فامتلات منه الشوارع والدروب
ولم يسمع نبله بمثله . وفي سنة ثلاث وثلاثين وخمسمائة كانت زلزلة بحيرة
انت على مائتي الف وثلاثين الفا فاهلكتهم وكانت في مقدار عشرة فراسخ في مثلها .
وفي السنة التي تليها خسف بحيرة وصار مكان البلد ماء اسود وقدم النجار من
اهلها فلزموا المقابر ليكون على اهلهم . وزلزلت حلوان فقلع الجبل واهلك خلقاً كثيراً .
وفي سنة اثنتين وخمسين وخمسمائة كانت زلازل بالشام في ثلاثة عشر بلداً من بلاد
الاسلام فمنها ما هلك كله ومنها ما هلك بعضه . اهـ

وهنا انشأ المصنف رحمه الله الباب الخامس في ذكر المواعظ فبدأ في القسم الاول
منه بقصة آدم وبناء الكعبة وقصة نوح وعاد وثمود والخليل والذبيح وذوي القرنين ولوط
ويوسف وايوب وشعيب وموسى والحضر وبامام وقارون وداود ومريم وعيسى وسليمان
وزكريا ويحيى واهل الكهف وبداية امر نبينا محمد عليه وعلى جميع الانبياء الصلاة
والسلام وقصة الغار واهل بدر وذكر اسماء من شهدها مرتبة على حروف المعجم ثم من
يعرف بالكنية دون الامم وختم هذا القسم من الوعظ بفصل ذكر فيه بناء علي بن ابي
طالب بالسيدة البتول فاطمة الزهراء رضي الله عنهما وها انا ذا انقل للقراء اقصى قصة
من تلك القصص السمة والشرين لتكون انموذجاً يشرف به اسلوبه الغريب في بابه

قال في قصة ثمود مانسه : لما اعرضت ثمود عن كل فعل صالح بعث اليهم للاصلاح صالح فتمت عليه ناقة هو احم يطلب ناقة فخرجت من صخرة صماء نقبب ثم فصل عنها (اي خرج منها) فصيل يرغو فارتعت حول نهي (بكسر فـ يكون اي غدير ماء) نهيم عنها في حمي حماية (ولا تمسوها بسوء) فاحتاجت الى الماء وهو قليل عندهم فقال حاكم الوحي « لها شرب ولكم شرب يوم معلوم » وكانت يوم وردها نقضي دين الماء بما درها فاجتمعوا في حلة الحيلة الى شاطيء غدير الغرور فدار قدار « ابن سالف عافر ناقة صالح الذي هو اشقى ثمود » حول عطن (فتعاطى فقتر) فصب عليهم صبيب صاعقة العذاب المون فحين دنا ونددن دمنهم دار (فدمدم عليهم ربهم بذنبهم) فأصبحت المنازل لهول ذلك النازل كان لم نغن بالابس اه .

والقسم الثاني يشتمل على مائة فصل كمقامات الزخشمري في اطواق الذهب وعبد المومن الاصفهاني في اطباق الذهب من حيث الموضوع والتفنن في الاساليب الناجعة المؤثرة في الموعوظ وهذا القسم يستوعب نحواً من خمسة اسداس الكتاب وقد أكثر فيه من الاشعار مستشهداً بها على حسب ما يقتضيه المعنى الذي يريد تصويره في تخيلة السامع وربما كان الشعر في هذا القسم مساوياً للثرأو يزيد وكله او جله من نظم غيره وانما يذكره تمثلاً واستشهاداً

قال في الفصل السادس والسبعين

ذكر الاحباب والوطنا	والصبا والالاف والسكنا
فبكى شجواً فحن له	مدنف بالشجوا حلف ضنى
ابعدت مرمى بد رجعت	من خراسان به اليمنا
من لمتناق تميل به	ذات سمع ميلت فننا
لم تعرض في الحنين بمن	مسعد الا وقلت انا
لك يا ورفاء اسوة من	لم تذيقي طرفه الوسنا
بك انسي مثل انسك بي	فتعالى نبد ما كئنا
نتساكى مايجن فان	نحت شجواً صحت واحزنا
انا لانا البعيد هوى	انا لانا الغريب هنا
انا فرد يا حمام وما	انت والالاف القرين ثنى
اسرحا راد النهار معاً	واسكنا جنح الدجى غصنا

وابكيا يا جارتى لما لعبت ابدي الفراق بنا
 اين قلبي ما صنعت به ما ارى قلبي له سكننا
 كان يوم النفر وهو معي فأبى ان يصحب البدنا
 أبه حادي الفراق حدا ام له داعي الفراق عنى

ومن قوله في بعض الفصول : ويحك اجتنب حلواء الشره فانها سبب الحمى وخلخل
 البخل فانه يؤذى عصب المروءة . ان عوجلت امراضك فعولجت والا مللت
 وامللت . لو احميت عن الخطا لم تنجح الى طبيب . من ركب ظهر الغريظ نزل به
 دار الندامة

ومن قوله في هذا الفصل : كان داود اذا اراد النياحة نادى ناديه في اندية المحزونين
 فيجتمعون في مأتم الندب فتزداد الحرق بالتعاون

يا بعيد الدار عن وطنه مفرداً يبكي على تنجنه
 كلما جد النجيب به زادت الاسقام في بدنه
 ولقد زاد الفؤاد جوى هائف يبكي على فتنه
 شاقه ما شاقني فبكي كلنا يبكي على مكنته

يامذنبين مصيبتنا في التفريط واحدة وكل غريب للغريب ذئب . ومن قوله في
 فصل آخر :

اخواني انتبهوا من رقعات الاغمار وانتموا لحظات الاعمار وقاطعوا الكسل فقد
 قطع الاعذار الاعذار واسمعوا زواجر الزمن فما داجى الدجى ولقد نهر النهار وخذوا
 بالحزم فتد شقي من رضي بشفا جرف هار . ومنه : واعجبا : أمل الحيوان الهيم العواقب
 وانت لا ترى الا الحاضر ما تكاد تهتم بمؤنة الشتاء حتى يقوى البرد ولا بمؤنة الصيف
 حتى يشتد الحر ومن هذه صفته في امور الدنيا فهو في الآخرة اعشى واخل سبيلا .
 ومنه : ما دامت النفس حية تسعى فهي خيبة تسعى . اول فعل لها تمزيق العمر بكف
 التبذير كالخرقاء وجدت صوقاً . اخل بها في بيت الفكر ساعة وانظر هل هي معك او
 عليك . نادها بلسان التذكرة بانفس ذهب عرش بلقيس وبلي جمال شيرين وتمزق
 فرش بوران . وبقي ذلك رابعة

ومنه : يا صبيان التوبة طيبكم متلطف تارة بالتشويق وتارة بالتخويف هذه الطير
 اذا انشقت يبضها عن الفراخ علم الاب والام ان حوصلة الفرخ لا تجتمل الغذاء فينفجان

الريح في حلقه لتتسع الحوصلة ثم يعلم ان الحوصلة تحتاج الى دبع وتقوية فبأكلان من صاروج الحيطان وهو ثي فيه ملححة كالسج ثم يزقانه اياه فاذا اشتدت الحوصلة رقيه الى الحب فاذا علما انه قد اطاق اللقط منهاء بعض الميع فاذا جاع لقط فاذا رأياه قد استقل باللقط ضرباه بالاخذه اذا سألها الزق فتأملوا تدبيري لكم في المواعظ . ومنه : الدنيا غرارة غدارة مكاره . نطن مقيمة وهي سياره . ومصلحه وقد شنت الغارة

نخ عن نفسك القبيح وصنها وتوق الدنيا ولا تأتمنها
لا تثق بالدنيا فما ابقث الدنا يا لحي ودبعة لم تخنها
انما جتمتها لتستقبل المو . ت واسكنتها لتخرج عنها
تستحل الدنيا وما لك الا ما نيلت او تزودت منها
وسبقني الحديث بعدك فانظر خبز احدثه تكون فكنها

ومن فصل آخر :

ياساعياً لنفسه في المهالك . دنا الرحيل ونضو النقلة بارك . متى تذكر وحشتك
بعد ايناسك . متى تقتدي من ناسك بناسك . كأنك بك قد خرجت عن اهلك
وولدك . وانفردت عن عددك وعدوك . وقتلك سيف الندم ولم يدك (يدفع ديتك)
ورحلت ولم تحصل من ندمك الا على عض يدك

كأنك لم تسمع باخبار من مضى ولم تر في الباقي ما يصنع الدهر
فان كنت لاتدري فلك ديارم محاهها مجال الريح بعدك والقطر
على ذلك مروا اجمعين وهكذا يبرون حتى ينشرونهم الحشر
فنام لا نتمحو وقد قرب المدى وحتى لا ينجاب عن قلبك السكر
بلى سوف اصحو حين ينكشف الغطا وتذكر قولي حين لا ينفع الذكر

ومن فصل آخر : كان محمد بن المنكدر كثير البكاء فسئل عن ذلك فقال آية من
القرآن ابكتني : (وبدا لهم من الله ما لم يكونوا يحتسبون) كيف لاتذهب العيون من
البكا وما تدري ماذا اعد لها سبقت السعادة لحمد صلى الله عليه وسلم قبل كونه ومضت
الشاوة لابي جهل قبل وجوده . وخوف العارفين من سوابق الاقدار قلقل الارواح
هبة . لاتسل مع تحكم (ولو شئنا لا تيناكل نفس هداها) قوي قلق العلماء

اترى سئلوا لما رحلوا ماذا فعلوا ام من نزلوا
احليف اليوم اقل اللوم فعندي اليوم لهم شغل

ادنى جزعي لم يبق معي قلب فيعي منذ احتملوا
جلدي سلبوا جسدي نهبوا كمدي وهبوا كبدي تبلاوا
هيئات افيق اذليس تطيق هذا ايليق فما العذل
لما ذرفت عيني وقفت اترى عرفت مايني الابل
ولحى اللاحي وهو الصاحي وهمو راحي وانسا الثمل

ومن فصل آخر : ياتائها في ظلمة ظله . ياموغلا في مفازة تيهه . ياباحثا عن مدية حتفه .
ياحافرا زية هلكه . يامعمقا ههواة مصرعه . بشسا اخترت لاحب الانفس اليك . ويحك
تطلب النجاة ولست على الطريق . هن الزنان بوعظه فآ فاسمعت : لينذر من كان حيا
ومنه :

الى اي حين انت في زي مجرم وحتى متى في شقوة والي كم
والا تمت تحت السيوف مكرما تمت وتلاقي الذل غير مكرم
فنب واثقا بالله وثبة ماجد ترى الموت في الهياجاني النحل في الفم

ومن فصل آخر

تبني وتجمع والآثار تدرس وتأمل اللبث والارواح تختلس
ذا اللب فكرنا في الخلد من طمع لا بد ما ينتهي امر وينعكس
اين الملوك وابناء الملوك ومن كانوا اذا الناس قاموا هيبة جلسوا
ومن سيوفهم في كل معترك تخشى ودونهم الحجاب والحرس
اضحوا بهلكة في وسط معركة صرعى وماتني الوري من فوقهم يطس
وعمهم حدث او ضمهم حدث باتوا وهم جثث في الرمس قد حبسوا
كانهم قط ما كانوا ولا خلقوا ومات ذكرهم بين الوري ونسوا
والله لو نثرت عينك ما صنعت يد البلى بهموم والدود يفترس
من اوجه ناخرات حار ناظرها في رونق الحسن منها كيف تنطمس
واعظم باليات ما بها رفق فليس نبقى وهذا وهي تنتهس
والسن ناطقات زانها ادب جفت وما شانها بالآفة الخرس
لستهمو السن للدهر فاغرة فاهما فاهما لم اذ بالردى وكسوا
حتى ما اذا الدهي لاترعوي سفها ودمع عينك لايهمي وينبجس

ومن قوله في الفصل الاخير : هذه قصص النجاة قد امليتها فعنونها وهذه جوارشات

المواعظ قد جمعتهما فاعجبها ثم قال في الختام لمن اصفي واصف . افني عزمك اتباعي فأقف .
الليل يضج من نومك . والنهار يستغيث من قبح فملك .

يا ايها الراقد كم ترقد قم يا خليلي قد دنا الموعد
وخذ من الليل وساعاته حظاً اذا ما جمع الرقد
من نام حتى ينقضي ليله لم يبلغ المنزل او يجهد
قل لذوي الابواب اهل التقى قنطرة العرض لكم موعد

وكان يردي - لولا خشية الاملال من الاطالة وعدم اتساع نطاق المحلة - ان استوفي نقل بعض فصول (هذا المدهش) برمتها لما تضمنته من محاسن البلاغة واسلوب الحكم وجودة المعنى والبنى مما جمع بين اللذة والفائدة ودل على سمو مدارك المؤلف وسعة فضله وغزارة مادة علمه كما يظهر من ترجمته فعسى ان يقيض الله له من خدمة العلم وناشري الويته من يحميد طبعه ويستخرج للناس جواهر كنزه فيحظى بالريج عاجلا واجلا مع تخليد الذكر الجليل والاثر الحسن والسلام

اخبار وافكار

العين الكهربية

اخترع الاستاذ روزنك الروسي آلة تكون بمثابة عين كهربائية تظهر بها اضطرابات المعدة وامرار اعماق البحار واسرار البراكين بجلاء ووضوح كما نتمثل لنا اذا كانت امام العين مباشرة وقد بناء على الاكتشاف الحديث للاشعة الكاثودية فينتطبج الموجود بمرآة من نوع الروتاتيف وتظهر الصورة بتأثير مجرى كهربائي . ويتأق انوال هذه الآلة الى قعر البحر ووسط البركان والمعدة كما ينزل المسبار لسبر الابعاد فيها قترى الاشياء في الظلمات كما ترى في النور بل ترى بها المعادن المدفونة في بطن الارض اذا اريد ان ينظر فيما اذا كان ثمت خطر على العملة في المناجم ويفيد هذا الاختراع فوائد كلية في الاعمال الصناعية وفي الفنون الحربية والبحرية وفي غير ذلك وبهذه الآلة تتم عدة اختراعات كانت موقوفة على مثل هذه العين الكهربية

تعقيم اللبن

اخترع الدكتور هرنغ من فارسوفيا آلة لتعقيم اللبن تقتل بها الجراثيم الضارة بدون ان يفقد شيئاً من خاصيته وذلك بان يغلى من ٦٥ الى ٧٠ درجة ثم يبرد بواسطة هذه الآلة التي تعقم من ٢٠٠ الى ٢٥٠ سنتيمتراً مكعباً من اللبن والآلة المذكورة تحت الشروط اللازمة التي يحفظ بها اللبن خاصياته الطبيعية والكياوية ولونه وطعمه ورائحته رمواده الدهنية وغيرها وبها يتأتى ابقاؤه ثمانية ايام بدون ان يحمض

برزخ جديد

عمدت روسيا ان تفتح برزخاً يصل بحر البلطيق بالبحر الاسود وطول هذا البرزخ ٢١٥٠ كيلومتراً ويقدر ما ينبغي لذلك من النفقات ٤٥٠ مليون فرنك تكون السهام للروسين فقط كما تكون جميع الادوات اللازمة لهذا العمل روسية محضة ويقول القائمون به انه يرجى ان يكون دخل هذا الخليج ٨٠ مليون فرنك كل سنة

مرعى الكتب

بذكر القراء اسم المسو البرسيم مؤلف الكتاب (المقابس م ٣ ص ٣٧٧ و ٤٥٧ و ٧٣٥) الباحث العلامة الذي اثبت بان عمرو بن الاصم لم يحرق مكتبة الاسكندرية في الفتح بامر عمر بن الخطاب على ما يتهمهما بعضهم بذلك ظلماً وقد كتب المؤلف الآن بحثاً في «الجملة» الافرنسية قال فيه ما حاصله : شدد (جول فالي) في كتابه الاخير في كلاًه على تأثيرات الكتاب السيئة فقال انه طالما اذى قارئه بما ينبعث منه من الافكار وخصوصاً كتب الافانصيص والسير والغرام فلا تجد متخفراً الا وقد سبقت له مطالعة اساليب الانتحار في كتاب ولا امرأة غادرت بيتها متهتكة الا لانها نالت القصص الغرامية ولا قاتلا الا سهلت له ما هو بسبيله مطالعة الكتب وكما اثرت الكتب في كبار الرجال فكانوا صرعاها في الحقيقة امثال مورجة وموسه وبازاك وساندو قال سيم اما الكتاب تلحق التحقيق فهو كاللسان كما قال ازوب فيه الخير والشر هو رابطة الحياة المدنية ومفتاح العلوم به تعمير المدن وتنظيمه وبه يعلم الناس بقرعهم ويحكم الحاكمون والمسيطرون وبه تتم اول الفروض على المرء من حمد الله كما انه اشر ما في العالم واصل كل خصام وبلاء وولد القضايا ومبعث الشقاق والحروب فاذا قيل انه لسان حال الحق فهو ايضاً لسان حال الضلال بل النيمة والغيبة.

نالوا، لف اذاً قد غالى في وصف سيئات الكتّاب: ينظر اليه من وجهه وترك الوجه الآخر وهو وجه الحسنات وفاته، الخير الذي يسديه والعلم الذي ينشره والعزاء الذي تنعزى به النفوس والغذاء الذي تغذى به الارواح فقد قال سافستردى سامي: ما قطع عراني الم من الآلام التي تداهم القلب الا وعالجته فزال بمطالعة ساعة وقد قال الفيلسوف شيلر يخاطب قريحته: «ماذا اكون لولا كافي اجهله ولكنني ارتعش عندما ارى مئات والوفاق من الناس حرموا منك». ولذا اتوخى هنا ان انظر فيمن احبوا الكتّاب واولعوا بها وجعلوا فيها لذتهم بل سهرهم بحيث خصوا بها كل شيء وصرعوا بها مختارين راضين

وكم من موالع بالكتب طال عمره كأن الكتب مما يطيل حبل الاجل فلو تتبعنا سير الرجال منذ عهد ايراتوستين (٢٧٦ — ١٩٥ ق م) الى دانيال هوية (١٦٣٠ — ١٧٢١) لو جدت كثيرين من المعمرين الموالعين بل المتجنّنين بحب الكتب ومنهم كيتي الفيلسوف والعالم تيرس والعالم كيزو واللغوي لثره والعالم ارنتست لوكوفيه وغيرهم من المعمرين من اهل القرن الماضي والذي قبله وما هم من قصرت سته عن السبعين ومنهم من بلغ المئة واكثر. وشيخ رجال الادب اليوم في فرنسا المغرب بالكتب المشهور فرنسوا فرتبول بلغ السابعة والتسعين من عمره ولا يزال الى اليوم في صحة ونشاط بين كتبه الكثيرة واحبابه الموالين له

واقدم صرعى الكتب ايراتوستين الفيلسوف الجغرافي الرياضي اليوناني من اهل القرن الثالث قبل المسيح دعاه بطليموس من آندنة الى الاسكندرية ليفوض اليه ادارة المكتبة التي انتسأها فيها واذ كف بصره في آخر عمره اثر الموت على ان يحرم من مطالعة الكتب ويحرم من دروسه المعتادة فانخر جوعاً. وحدث صرعى الكتب شارل ديديه (٨٠٥ — ١٨٦٤) مؤلف رحلات كثيرة على الشرق كف بصره فآثر الانتحار على العيش بدون تلاوة وهكذا فعل. ومثله ستانيسلاس كويارد (١٨٤٦ — ١٨٨٤) العالم المستشرق استاذ اللغة العربية في كولييج دي فرانس فانه لما استحكم منه المرض فضل الانتحار على ان يعيش في راحة اضطرارية منتظماً عن عمله. ومثله الطبيعى الباحث الالاماني اميل بلس (١٨٤٧ — ١٨٨٧) اضاع في غرق مجموعاته الثمينة وسطت النار بعد سنتين على مكتبته. وجميع مخطوطاته فرأى الانتحار افضل من تحمل الم تلك الرزية التي اصابته

ومات بريان الاميركاني حزناً على كتبه الثمينة وكان اعطاها في حال غفلة لاجدى

المكاتب ومات كوجه الافرنسي لانه رأى عشرة آلاف من كتبه تنتقل الى يد غير يده وكذلك اللغوي ريشارد برونك مات لان الحالة المالية اضطرته ان يخرج عن ملكه بعض كتبه العزيزة . ومن الناس من حزنوا وهلكوا لما رأوا مجموعاتهم تنهب او تعطل وكمن علماء وادباء وخازني كتب قضوا بما وقع فوق رؤوسهم من الكتب والاسفار الثمينة الثقيلة او وقعوا من سلم وهم بصدد وضع كتاب في يثته او رفته او اخراجه منه وكمن عالم احرق كتبه باهماله وذلك بشمعة مري لهيها الى ورق او احرق نفسه بشمعة كما فعل تيودور مومسن المؤرخ الالماني الذي نقل النار الى شعره الطويل الابيض فمات من اثر حروق وكمن مولع بالكتب مثل بولارد (١٧٥٤ - ١٨٢٥) الذي جمع مكتبة فيها ستمائة الف مجلد ملاً بها تسعة بيوت وانتهكه التيب في جمعها ونقلها فكانت سبب هلاكه

ومن الناس من قضوا على انفسهم بمنعهم وانصرفهم الى المطالعة والاستغراق في الكتب ومن هذه الطبقة انكيتل دو بورون (١٧٣١ - ١٨٠٥) المستشرق المشهور ناقل كتاب الزائد افستا الفارسي الى الافرنجية وموجد الدروس الآسيوية في اوربا وعارف لغاتها كلها كان مقتراً في مأكله وملبسه مستغرقاً فيما اخذ به نفسه حتى انه لقلة هندامه ونظافته كان يظن انه شحاذ فيعطيه بعض المارة دارهم . متصدقين عليه فقضى عقيب انهاء قوته في العمل ومن غرائبه انه عين عضواً في الجمع العلمي ولما كان زاهداً في التشريفات ولا يعنى بغير المطالعة من امور الحياة اضطر الى الاستقالة . وكمن رجل حرم نفسه الطعام والادام بل الدفء والثياب ليقتني بدرهمات يدخرها كتاباً ومنهم انطون ما كليا بشي (١٦٣٣ - ١٧١٤) العالم الفلورنسي المولع بالكتب كان يعيش احقر عيشة وامامه كنوز من المال انفقها على خزانة كتبه في فلورنسا وكذلك يوسف اندراوس زالوسكي اسقف مدينة كيف في بولونيا ١٧٠١ - ١٧٧٤ احصر كل وقته وقواه حتى جمع خزانة كتب حوت مائتي الف مجلد فنهبا الروس سنة ١٧٩٥ ومن المولعين بالكتب ومطالعتهم من كانوا يكرهون انفسهم على عدم النوم ويفعلون ارجابهم بالماء البارد وهم في ابرد الاقاليم لئلا يناموا ثم يضعون المنبه على اوقات يعينونها ومن المولعين بالكتب نابوليون الاول حرم نفسه انواع الراحة لاول امره حتى اقتنى بعض الكتب وعلم اخاه في المدرسة ومنهم يواكيم لول « ١٧٨٦ - ١٨٦١ » المؤرخ البولوني العالم بالكتب والنقد نفته حكومته فنزل بروكسل حاصمة البلجيكي وكان عزيز النفس لا يقبل

معوثة احد وهو في فقر مدقع والفصل شتاء وهو لآمال له يتناع به وقوداً بصطلي عليه في البرد القارس فاحتال بعض اخوانه ان يكثرُوا بجانب غرفته غرفة ويدخلوا انبوب الموقدة من غرفته، بعد ان اخذوا رأيه واطهروا له ان غرفتهم لاندفاً الاعلى هذه الصورة فقال لم اعمالوا ماشئتم وهكذا توصلوا الى تدفئته بدون ان يشعر ويدفع درهماً .

وكثير من الناس من ماتوا فوق كتبهم او امامها حتف انفهم ومنهم بترارك الاديب الكبير (١٣٠٤ — ١٣٧٤) والفيلسوف الصقلي انطون فلامينو من اهل القرن السادس عشر ومنهم سوليه الفرنسي الذي اثر الوحدة على كل اجتماع وكانت حياته مثال العامل المجد وكتب بيثين لتحقراً على قبره معاًهما : « ولدت في ثيما وعشت وحدي في شبيبي وكذلك في شينوختي وهاءنذا وحدي هنا « في القبر » الى اليوم »

سلك بحري

نقول المجلات العلمية ان السلك البحري الذي سينجز هذا الشهر بين المانيا واميركا الجنوبية قد بلغ طوله ١١٦٢٠٠٠٠٠ كيلومتر (؟) آخذاً من امدان الى تبريف فونرونيا على شاطيء افريقية الغربي ومن هناك الى ليبريا آخذاً الى برنامجو فابرازيل اما الفرع الثالث الذي يصل بين افريقية والعالم الجديد فطوله ٤٥٠٠ كيلومتر

لحم الكلاب

انتشر اكل لحم الكلاب في المانيا ولاسيما في امارة ساكس ولحمها اغلى من لحم الخيل ويدبحون سبعة آلاف كلب كل سنة في تلك الامارة لتناول لحومها

سكان الولايات المتحدة

لم يكن للولايات المتحدة احصاء معروف حتى سنة ١٨٢٠ يدل على سكانها وحركة الهجرة اليها وقد تبين بالاحصاء انه دخل من ذاك العهد سنة ١٩١٠ ٢٠ مليوناً من المهاجرين اكثرهم من الطليان والناصر النمساوية المجرية . وايس الانكليز والاييرلنديون والسكانداون والالمان قلائل بعدهم . وكان سكان اميركا الى حرب الاستقلال من اصل انكليزي خاصة وفيهم كثير من الايكوسيين والاييرلنديين هربوا من بلادهم تحملاً من ظلم الحكومة الانكليزية ثم جاء الالمان فالهوكونوت الفرنسيون والايكوسيون وزادت الهجرة عندما اشتد غلاء البطاطا في ايرلندا سنة ١٣٤٧ وفي ثورة المانيا

وكان الشمال الغربي من بلاد اوربا اولاً هو الذي يهاجر منه المهاجرون بكثرة الى الولايات المتحدة تم سرت هذه البدعة الى سكان جنوبي اوربا وهم اليوم اكثر الاوربيين هجرة . ومن الغريب ان البلغار بين والرومانيين والصريين لم يهاجروا كما هاجر غيرهم من سكان اوربا مع انه هاجر كثيرون من اهل البوسنة وبولونيا وغاليسيا كما اخذ يهاجر اليوم كثير من اهل الممالك العثمانية ولاسيا اهل سورية وارمينة .

انكلترا والسلام

ظهر من احصاء حديث ان انكلترا على الرغم مما تسعى اليه في حفظ السلام قد انفقت في القرن التاسع عشر ثلاثين مليار فرنك على حرب نابليون والقرم وجنوبي افريقية وخسرت سبعمائة الف من رجالها وقد افقدتها الهجرة منذ سنة ١٨٢٠ ثمانية ملايين من الانفس هاجروا الى اميركا وكان في الولايات المتحدة وحدها سنة ١٩٠٠ ٢٦٨٠٠٠٠٠٠ انكليزي اي اكثر من مجموع ماني اوستراليا وافر بقية الجنوبية وكندا من الانكليز

امة السواب

في بلاد الحجر مستعمرة من السواب نزلتها منذ سنة ١٧١٦ وهو عهد تحرير الامير ارجين لتلك البلاد من حكم العثمانيين وبلغ عددهم اليوم مليون نسمة ويجمعون في اقليم بانات واسماء بلدانهم المانية ولكنهم قلماء يعلقون ببلادهم الاصلية وهم كالكسوسيين في ترانسلفانيا باميركا قد انشأوا لانفسهم استقلالاً جديداً رفقوه بنشاطهم في كل فرع من فروعهم وليس لهم الى الآن مقام رفيع في ميدان الاعمال العقلية ويكاد لا يوجد لديهم اكثر من خمسة عشر مؤلفاً وهم يفاخرون بانه كان من شعرائهم القدماء شاعر اسمه نيقولا لونو ولحجة لغتهم كهجة ذاك الاقليم وتأليفهم اشبه بالنصص التي كان يتلذذ بها الناس في المانيا منذ مئة سنة

السويد والشرق

عثروا في السويد اثناء الحفر على كثير من الامتعة والاعلاق يستدل من صورتها انها شرقية او جعلت على مثال شرقي واستنتج علماء الآثار من ذلك انه كانت من القرن التاسع الى القرن الحادي عشر للبلاد صلات منطلعة بين السويد والعالم الاسلامي وربما مع الصين ايضاً فان البلاد الواقعة في جنوبي السويد مملوءة بهذه النفائس والعاديات

فقد عثروا فيها على ٣٠ الف قطعة من النقود العربية من نقود القرن الثامن الى القرن العاشر ضربت في فارس و بين النهرين وفي غيرها من البلاد الواقعة شرقي بحر الخزر مثل الملح و سمرقند و عثروا على آثار منها الفارسي ومنها الصيني ومن جملة ما كُتِبَ من الفخار مزين بالملين استخرجوه من مدفن في غوتلاندا يشبه كأ سامن التلار كتبت عليه كتابات عربية بحروف كوفية عثر عليه في سور كوت من اعمال سبيريا.

قالت المجلة الآسيوية وجميع هذه المكتشفات ينجلى بها كلام مؤرخي العرب والروم البيزنطيين والايسانديين الذين ذكروا مكانة التجارة السكندرية في روسيا والمملكة البيزنطية وبلاد الاسلام وما ظفر الباحثون في روسيا وسبيريا بمثل هذه الدخائر وبها تسهل معرفة الطرق التجارية التي كان سلكها التجار بين السويد والارزق وان ما عثر عليه ايضا في جنزوف من الاسلحة والادوات وانواع الحلبي ليدل على انها سويدية الشكل ممزوجة باصل عربي او رومي ويرى المسيو ارن ان نهري الفولغا ودينير كانا هما الطريقين الاعظمين الواصلين بين بلاد السويد وفنلندا من جهة وبين بلاد الشرق من أخرى فكان يتيسر لتجار السويد ان يمتدوا الفولغا الى حد بحر الخزر مما يوافق عليه مؤلفو العرب فقد قالوا ان الاجتماع كان في جنوبي هذا البحر فيصادفون في طريقهم في بلغار «جنوبي قازان» وفي اتيلى «جنوبي استرخان» تجار أقدموا من فارس وتركستان ليقاضوا معهم بضائعهم وكانت سكان السويد يسيرون في نهر دينير حتى يبلغوا المملكة البيزنطية. وقد سرت التأثيرات الاسلامية الى اعالي نهر دينير اذ قد ظفر الباحثون بالقرب من مدينة «كيم» بمقود سلكت في عدة اسلاك وهي من الصناعة الاسلامية. قلنا ولا عجب اذا عثروا هناك على آثار للعرب فقد ذكر المرحوم حسن افندي توفيق من رجال النهضة العلمية المصرية في كتابه رسائل البشرى انه وجد نقلا في بعض الكتب عن القزويني في كتاب له يسمى آثار البلاد ما يستدل منه ان ابا بكر محمد الاندلسي الطرطوشي المعروف بابن ابي رندقة المتوفى في الاسكندرية سنة ٥٢٠ قد سار في ارض المانيا ووصف بعضا من بلادها فوصف مدينة مينس وسماها مغناجه ووصف بعضا من بلادها فوصف مدينة شليزفيك وسماها شلشويق وذكر ان الاستاذ المرحوم ان احد علماء الجغرافيا من الالمان ذكر له انه عثر في معجم ياقوت على ذكر مدن في حدود اسكندنافيا من شمالي اوربا فاذا صح الامر وكان ياقوت ذكر بعض هذه البلاد استفاد من ذلك الباحثون من اهل السويد ان طريق التجارة كان ايضا من البحر

قاصدين الى المانيا فجنوبي شرقي اوربا حتى يقاضوا تجار العرب والروم بتجاراتهم ويستدل من كلام ابن رندقة ان السياحة كانت ميسورة في المانيا في القرن الخامس والسادس للهجرة وهو غريب فتأمل .

يابان الحديثة

اختلفت الروايات في تقدير رقي يابان في مادياتها وقد كتب احد العلماء في مجلة العالمين البارزية مقالة في هذا الصدد جاء فيها ان قليلا في النعوب من سارت سير اليابان في رقيها بسرعة فقد اثبتت قوة بحريتها وبريتها في حربين عظيمتين خرجت منهما ظافرة وبلغت الدرجة الرابعة بحريتها بين الدول وعادت تجارتها الخارجية تجارة اوستراليا وكندا وحدثت بالانتفاع جدا الانتفاع من مناجم اوصناعاتها . وسككها الحديدية واسلاكها البرقية والتلفونية كما لدولة عظمى . وتقدر ثروتها بسبعين مليار فرنك وبفضل الادارة المنظمة بلغت ميزانيتها ملياراً ونصف مليار فرنك ولم يكن لحكومتها سنة ١٨٦٨ ادنى مورد ولا تحجب اقل ضريبة وكانت تدفع ديونها الباهظة بالقروض او باصدار اوراق واستدانات سنة ١٩٠٥ اربعة مليارات ابتاعت بها سككها الحديدية وستحول ديونها كلها قريباً بفائدة اربعة في المئة والحكومة في يابان تملك ادارات البريد والبرق والتلفون وقد انشأت خطوطاً حديدية طويلة على حسابها وفي سنة ١٩٠٦ انزعت من جميع الشركات ما لهم من الخطوط الحديدية في بلادها وحدثت هذه الحكومة من سنة ١٨٦٨ الى ١٨٨٥ ام الصناعات الحديثة في بلادها لضيافي بها اهل الغرب في مدنياتهم . يقولون ان آسيا متأخرة بمدنياتها خمسين سنة عن اوربا اما المدنية في يابان فانها ارقى من كثير من ممالك اوربا نفسها

التعليم في رومانيا

رومانيا مملكة من ممالك البلقان كانت ثم ديم الجزية للدولة العلية من سنة ١٣٩٢ الى سنة ١٧١٦ ثم حكمتها ميانرة واستقلت نهائياً سنة ١٨٢٨ منفصلة عن العثمانية في مؤتمر برلين وهي موافقة من امارتي مولدايا والفلاخ ومساحتها السطحية ١٣٩٥٥٤٧ كيلومتراً وقد نشرت نظارة معارفها مؤخراً احصاء بعدد الاميين والمتعلمين من ابناءها عن سنة ١٩٠٩ اي مرور ٢٨ سنة على جعل رومانيا مملكة تبين انه ان اولاد رومانيا يجب عليهم ان يدخلوا المدرسة الابتدائية العامة من السنة السابعة الى الرابعة عشرة واذا رأت ادارة معارفها ضرورة تكره اولياء الاولاد ان يعلموا اطفالهم في مدارس اعدادية

خاصة من سن السادسة الى السابعة واذا جاوز الولد الرابعة عشرة من سنه ولم يدخل مدرسة يضطر الى دخولها ويمكث فيها سنة زيادة اما من تعلموا ما يجب تعلمه قبل ان يلغوا الرابعة عشرة فيقضى عليهم اذا كانوا من ابناء القرى ان يواظبوا على مدارس المراجعة . ولاولياء الاولاد ان يعلموا اولادهم في بيوتهم او في مدارس خاصة تعترف بها الحكومة واذا قدر لبعض الاولاد ان اخفقوا في امتحان سنتين من فحوص السنة المدرسية تقيد اسماؤهم في مدارس الحكومة على سبيل المعونة وقد بلغ عدد الاولاد الذين هم في سن الدراسة ٨٢٧٠٨٨٣ طفلاً وطفلة في القرى و ١١٠٥٧٣ في المدن وعدد مدارس القرى ٤٦٩٥ فيها ٦٤٦٠ معلماً وعدد طلابها وطلباتها ٥٠٤٦٩٧ م م ٣٣٣٣٧٨ صبياً و ١٧٠٩١٩ ابنة وبلغ عدد مدارس المدن ٣٧٨ فيها ١٣٢٤ معلماً و ٨٠٦٥٤ تلميذة منهم ٤٦٢٧٦ ذكراً وفي رومانيا ٢٦٠ مدرسة خاصة فيها ٢٤٧٢٧ تلميذاً و ٨٨ ملجأ معظمها للاسرائيليين توءوي ٣١٢٦ ولداً منهم دون السابعة .

قالت مجلة الاقتصاديين بعد ايراد بعض ماتنهم ونفقات المعلمين في هذه المدارس تؤديها الحكومة خاصة وقد كانت سنة ١٩١٠ — ١٣ مليون فرنك و ٢٩٧ و ٢٧١ فرنكا ويؤخذ من احصاء سنة ١٩٠٩ ان اهالي رومانيا بلغوا ٤٥٧٦٣ و ٦٩٩ ذكوراً وامثاً منهم اكثر من سبع سنين منهم ١٦٨٠٩٦٤٣١ يقرأون ويكتبون و ٢٩٥٤٢٦٨ أمياً ومعدل الاميين في المدن ٢٦ في المئة في الرجال و ٤٨ في المئة من النساء و ٤٩ في المئة من الرجال في القرى و ٤٣ في المئة من النساء فيها و ٢١٠٥٦٠٥ من هؤلاء الالهيين تجاوزت . منهم الحادية والعشرين فنجوا من قانون المعارف الذي يقضي بتعليم الاولاد الى هذه السن و ٨٥٠٠٠٠ أمي تختلف سنهم بين السابعة والحادية والعشرين وقد بذلت العناية من وراء الغاية منذ عشر سنين لنشر المعارف بين غير المتعلمين من الرومانيين ولكن الامر صعب والتغلب عليه بعيد الآن . قلنا اما المملكة العثمانية فلا تعرف حتى الآن عدد أميها من متعلميها بل لا تعرف عدد سكانها لان كل شيء فيها موكل الى التوكل والبركة لا الى الحساب والتقدير

احتكار المجالات

شاعت في الولايات المتحدة اشاعة احدثت ضجيجاً وقلقاً في عالم الصحافة وذلك ان القنابة المالية التي يرأسها المثري الشهير مورغان تريد ان تحتكر المجالات الكبرى في تلك الديار لان احد اعضاء هذه القنابة قد ثبت انه ابتاع عدة مجالات وهو مدير شركة كروول

التي لها ثلاث مجلات عظمى يبلغ ما تنليه ٠ ١٧٠٠٠٠٠ نسخة وقد اشترى مورغان سهاماً كثيرة من شركة أخرى يريد ضمها الى شركة كرول ويخشى مديرو المجلات ان لا يكون هذا الاحتكار داعياً يضطرون لانزال اجور الاعلانات ٠ والذي نعجب منه في الاكبر ان المطبوع من ثلاث مجلات هو هذا القدر من العدد

سكان الهند

افاد لسان البرق انه بلغ سكان الهند في الاحصاء الاخير ٣١٥ مليوناً وهو نمو هائل دل على استتباب اعلام الامن وتوفر مرافق الحياة والصحة والثروة في تلك الاقطار الواسعة

المرأة والرجل

اقترحت مجلة « ادلة الترقى » الفرنسية على ارباب الافكار وحملة العلم والادب في فرنسا ان يكتبوا لها آراءهم في طلب المرأة التساوي بالرجل في حقوق الانتخاب وهو المطلب الذي اشتد النساء في المانيا وانكلترا والنمسا وفرنسا في المطالبة به في العهد الاخير لما ظهر من اقتدارهن ومسابةتهن الرجال الى ورود حياض العلوم والمعارف فكتب لها الكتاتيون وبعض الكتاتبات الشهيرات بآرائهم فكانت في الاكثر مجمعة على وجوب تساوي النساء بالرجال في هذا الشأن وان اشراكهن الرجل في الانتخاب حسن وربما كانت آراؤهن اميز من آراء الرجال في كثير من الاحوال

كارنيجي والسلام

بعد ان دفع المثري الاميركي كارنيجي عشرة ملايين دولار للسعي في ابطال الحروب من الارض وتعهده باداء اربعين مليوناً آخر قويا الامل بان يرفع السلام اعلامه على الارض وقد ألفت حكومة واشنطن لجنة من ٢٤ رجلاً من كبار ساسة الاميركان للنظر في هذا الامر ٠ قال كارنيجي في كتابه الى هذه اللجنة « اني اودع اليكم مبلغ عشرة ملايين دولار لتستعملوه في الاسراع بابطال الحرب الدولية هذه الوصمة القذرة في وجه المدينة الحديثة » وقد وصف احد الالمان كارنيجي الاميركي وقال انه رآه في السنة الماضية وهو في السن الثالثة والسبعين فرحاً مسروراً كأنه في الاربعين وقوة جسمه ناشئة من رياضته وهو حسن الظن في الامور قوياً الثقة بالمستقبل شعاره : « كل شيء صائر الى خير لان كل امر في تحسن اليوم بعد اليوم في هذه الدنيا » وكيف

لا يقول هذا وثروته تبلغ عشرة مليارات من الفرنكات هو ان نساج ايكوسي (انكليزي) فقير جاء اميركا يبحث له عن عمل ولا تسل عن سروده يود ان الى ابيه بستة فرنكات اكتسبها لاول مرة من عمله في اسبوع وهو لا يزال يذكر تلك اللذة وان ربح بعد ذلك الملايين والمليارات ومن جملة حسنات كارنيجي انه اسس في مكتبة لامته سبلها على المطالعة والمراجعة

اصل المصريين

التي الاستاذ البيوت سميت محاضرة في مدينة مانتستر من بلاد الانكليز في اصل المصريين قال فيها : ان معرفة أصل قدماء المصريين كان موضوع بحث الكثيرين من زمن اليونان والرومان الذين دهشوا من اعمال الامة المصرية الهائلة وعاداتها الغريبة . وقد بدأت الاكتشافات الدالة على اصل المصريين في سنة ١٨٩٤ باكتشاف الاستاذ بترى مقابر بين البلاص ونقاده في شمال مدينة طيبة كان داخلها اجسام واشياء تاريخها سابق لتاريخ الاسرات التي حكمت مصر . وقد دل ذلك الاكتشاف على ان الاجسام التي وجدت قبل ذلك لم تكن مصرية بجملة بل كانت خليطاً من اجناس مختلفة . واخذ كثير من المؤرخين يضعون نظريات بنوها على ما عثر عليه اناس لاعلم لهم بالآثار بطريقة غير منظمة وهم على غير علم بما تدل عليه من الآثار التاريخية والفوائد الخطيرة العلمية قال ان من حسن حظه انه بدأ في بحثه في مصر من سنة ١٩٠٠ وهو الوقت الذي ثبت فيه تمام الثبوت ان مقابر نقاده كان مدفون فيها اجسام من قبل بدء التاريخ وامكن كذلك معرفة اعمار هذه المقابر معرفة تامة ومن سنة ١٩٠٠ تم كثير من اعمال الحفر والتنقيب اطلع عليها جميعها وبحث فيها بحثاً دقيقاً . وقد دلت البراهين الثابتة على ان المدينة المصرية قبل تدوين التاريخ كانت منتشرة في اعالي فروع نهر النيل الى بلاد الحبشة ومن هناك الى شاطئ البحر الاحمر

وكان من عادة المصريين قبل حكم الاسرات التي حكمهم ان يدفنون موتاهم واضعين رؤوسهم نحو الجنوب ولما اتت الامرة الراحة حدث اختلاط في الاجناس في الوجه البحري وبدأت الموق تدفن ورؤوسها نحو الشمال . وكان المصريون يعتبرون سكان شاطئ البحر الاحمر اجدادهم ويتدسسونهم ويسمونهم (بنطلا) اي انهم من دم واحد ومواطنهم

وقبل بناء الاهرام اخذ المصريون في الاختلاط بالاجناس الأخرى وقبل ان

بدأ تاريخ الأسرات المالكة كان المصريون قد اكتشفوا معدن النحاس فصنعوا منه اسلحة فتحوا بها الوجه البحري ولما اتحد الوجهان (القبلي والبحري) ظهرت الأسرة المالكة الاولى وفي هذا الوقت افتتح المصريون شبه جزيرة سينا وسواحل سورية الى ان وصلوا الى جبل لبنان وادخلوا في غرب آسيا فوائد النحاس واستعمله وكان هذا الاختلاط بالامم الاخرى باعثاً على تقدم المدنية المصرية فتقدموا في ذلك العصر نفدماً باهراً . وكانوا يعبدون آله الشمس (رع) على الدوام ولم تأت الأسرة الخالصة حتى انتشرت عبادة هذا الآله انتشاراً كبيراً وربما كان ذلك راجعاً الى تأثير فتح البلاد السورية

وفي آخر العصر الحجري اتى الى اوربا اناس عن طريق آسيا الصغرى وكانوا يستعملون القلزم ولم عادات مختلفة في ذفن وموتهم وقد تعقبت بقايا هذا الجنس فوجدت انها تتصل بنفس المكان في سورية الذي كان يأتي منه المهاجرون الى مصر في عهد بناء الهرم الاول حيث تعلموا استعمال النحاس من المصريين وكان تبورهم من مضيق البوسفور الى اوربا قبل الميلاد بثلاثة آلاف سنة ثم احتلوا من ذلك الوقت بمن كانوا عائشين في العصر الحجري وعلى ذلك فالجنس المسمى بالآليين نسبة الى الالب هم من نسل هؤلاء الاقوام الآسيويين ولما انت الأسرة المالكة الخامسة ظهرت دلائل وجودهم في مصر الوسطى ثم في ابيات ثم اخذت نقاطهم المصريين وسحبهم لتغير تدريجياً وكان من عادة الاجانب في مصر ان يطلقوا شواربهم وقد اكتشفوا اجساماً من آخر الأسرة المالكة الثالثة الى السادسة مدفونة في الجيزة وسقارة وميدوم من هذا النوع وفحصت جماجمهم والخلاصة ان قدماء المصريين قبل بدء الأسرات المالكة والجنس الذي كان على شواطئ البحر الابيض في القسم الحديث من العصر الحجري المسمى (Mediterranean Neolithic race) من دم واحد . وفي حكم الأسرة الرابعة امتزج المصريون والاجانب بسبب الحركة الكبرى التي كانت في غرب آسيا وترقوا في ذلك العهد رقياً كبيراً

لغة الاسبرانتو

اخترع طبيب العيون الروسي الدكتور زامنهوف من فارسوفيا منذ سنة ١٨٨٧ لغة مساعدة دولية سماها الاسبرانتو واقبل بعض الناس في العالم المدني على تعلمها اقبالاً جليواً تجاوز حد المأمول فانتشرت في روسيا وفرنسا والمانيا ثم تعدت الى سائر الممالك وتجاوزت

بحر الظلمات الى اميركا وعقدت لها مؤتمرات في سنين مختلفة وعوام مختلفة اهمها مؤتمر درسد وكان فيه ٤٢ نائباً عن ٤٢ أمة مختلفة لغتها عن لغة جارتها . وهذه اللغة مؤلفة من حروف لاتينية اختار لها مخترعها ايسط التراكيب وسهل التلفظ بها بحيث يتأتى لابن الغرب ان يدرسها في بضعة اسابيع وهي من انفع ما يكون لتسهيل الصلات بين أبناء الحرف الواحد من مختلفي اللغات فبلغة الاسبرانتو يتفاهم الاطباء والاساتذة والمهندسون والعلماء والتجار من اي امة كانوا وقد صار لهذه اللغة الآن مئة جريدة منها مايكتب بها فقط ومنها مايكتب بها وبلغة البلاد التي تصدر فيها وينشرون بها مجلة علمية تبحث في علم الانسان والحيوان والاجتماع والنبات والطب والرياضيات ولها مجلات أخرى ادبية فنية وقد باع عدد جمعياتها في اميركا ٢٨٠ وفي آسيا ٣١ وفي اوربا ١٢٠٣ وفي افريقية واستراليا ٣٩ منها ٢٢٢ جمعية في المانيا فقط وناهيك باقبال الالمان على كل مايفيد وتأنيمهم في الاخذ من الجديد . وقد قال من كتب عن لغة الاسبرانتو مؤخراً انها ليست واسطة للمعاملات اليومية بين البشر بل هي الواسطة الوحيدة للقضاء على الوف من المشكلات تنجم في الغالب من اختلاف اللغات وهي تبدو عياناً عند مايراد الاتحاد مع اجنبي غريب في اي عمل كانت فلة الاسبرانتو لاتنصر باللغات الموجودة بل اصبحت لغة ثانية لكل مدني من الناس وهذا نافع جداً للأفراد والانسانية

اللغة الموقنة

تألفت في باريز جمعية عامة من الاساتذة بحثت الى رئيس الجمهورية محضراً تصف فيه فضائل اللغة الموقنة التي افتتها قالت فيه ان هذه اللغة ساذجة عملية لاتكلف معانيها كبير درس وعناء وبها يتيسر لجميع سكان الارض ان يلفظوا ويقرأوا ويكتبوا ويستعملوا ويطبعموا ويخبروا بالبرق والتلفون بدون سابق درس في كل اللغات واللغات مهمما كانت منخطة (كلغة الجرمس والداغستان مثلاً) وان يفهموها احسن فهم واسرعه واكثر مما يتأتى لهم بالاساليب المعتادة . وقد ذهب هؤلاء الاساتذة الى ان اصعب ما في اللغات التلفظ بها واملاؤها فقرأوا ان يكتب الانسان كما يقرأ وان يدل بحرف واحد على كل كلمة وان كل صوت يعبر عنه بالحرف نفسه في كل اللغات التي يقع فيها ولذلك اخترعوا الف باء مؤلفة من ٤٥ حرفاً منها ذو علام وإشارات وتسهيلاً لتعلم هذه اللغة اخترعوا دفاتر يشرحون في الصفحة الاولى منها قواعد تلك

اللغة واصولها وقد تركوا الثانية يضاء لتطبيق هذه اللغة على العمل والتمرن فيها ووضعوا ملايين من هذه الدفاتر في المطاعم والفنادق ومكاتب البريد والمخازن والمحطات والمدارس ليصوب كل انسان ان يجرب بنفسه تعلم هذه الطريقة وبذلك تتم بث دعوتها وتنشر بين الناس اقصى الانتشار ويقول مخترعو هذه اللغة ان حسناتها اذا أُضيفت الى لغة الاسبرانتو تزيج الجهل الذي هو مبعث الحروب والثورات والشقاء الخاص والبلاء العام وان لغتهم اداة صالحة معقولة بين مطبعة غوتنبرغ ومخترع الطباعة وآلة اديسون مخترع الفونوغراف اي بين العالمين القديم والجديد

الانكليزية الفرنسية

اخترع احد الاساتذة لغة جديدة مزج بها اللغتين الانكليزية والفرنسية وهي نوع من لغة الاسبرانتو تنفع ابناء هاتين اللغتين فقط وقد وزع كراسة بمنافع لغته اباعها من الجمهور . فقات عنه الحملات ان هذه هي النتيجة الاولى لاختراعه واستفحق منها كل من تلاها وهذه نتيجة ثانية . وقالوا ان هذه اللغة اشبه باللهجة الفلامندية المعتدة المعروفة في بلاد البلجيك

التأؤب

كثيراً ما كان الاطباء يقولون بدانة التأؤب حتى قال ابقراط ان التأؤب كالسهمقة يتبع من صاحبه كما هو ضار في غيره وان احسن علاج للتوقي من التأؤب ان يطيل المتأؤب نفسه . وقد قام في العهد الاحمر طيبان في اوربا يريان ان لابس التأؤب وانه نافع لامراض الحلق ومن يحسن التأؤب جادت رثاه وجميع مجاري تنفسه ولكن الواجب ان يقرن المرء على التأؤب كما يقرن على تنفس الهواء فيجب ان تشتغل بالتأؤب اعصاب الصدر والحلق معاً وان يكون عميقتاً ملياً ما امكن وان يتناب المتأؤب وذراعه بسهولة ان يحيت بدل الهواء الذي يجري في الدماغ والقلب والاحشاء كل التبدل ويكثر من اخراج النفس وبذلك قد يسهل البلع على من لا يستطيعه وتقل اضطرابات السمع على المصابين بها وهي تكون مصاحبة لكلام الحلق اما طريقة التأؤب فهلة للغاية وهي عبارة عن ان يتناب المرء ست او ثمانى مرات متوالية بالعارية بمد كل مرة قانت النجلة التي تعرب بها واذ كان التأؤب مما تفر منه طباع الحضور في مجلس وقد يؤدي الى ان يحذو حذوه غيره فالواجب على الانسان كما قال الاخلاقى لابروبيران يتناب في بيته له لا يزعم غيره بما يكره

غابة تحت الارض

اكتشفت في ساندي هوك في ولاية نيوجرسي من اعمال الولايات المتحدة غابة تحت الارض على بعد ٣٠ متراً عمقاً بينما كانوا يخفرون آباراً ارتوازية واشجارها عظيمة جداً قطر الواحدة نحو سبعة أمتار. والغالب ان هذه الغابة قد انتهت عليها الرمال فطمتها ويؤمنون ان يعيشوا في هذا المكان على كميات وافرة من العنبر الاصفر

اجور المنازل

اشتدت وطأة الغلاء في اجور المنازل في عواصم العالم المدني فباتت فوق طاقة العاملين والمحترفين في احصاء اخيران في مدينة برلين ٥٢٠٤٤١ مسكناً منها ثمانون في المئة، وثلثة من غرقتين ومطبخ وهذا ما يضر بصحة من يسكنون في مثل هذه المحال في بلد يتجاوز سكانه المليونين اي ان تسعين في المئة يسكنون في مثل هذه المساكن المتلاصقة وقد كان الرجل يسكن منذ قرن ونصف بانفاق خمسة في المئة من دخله وارقت الاجور سنة ١٨٥٠ الى عشرة في المئة واليوم لا يستطيع السكنى باقل من ١٥ الى ٢٠ في المئة وربما اضطر بعض الاساتذة ان يتفقوا بخور بع مشاهيرهم ليسكنوا ييوتاً لائقة بهم في الجملة والسبب في زيادة الاجور بدعة المضاربات في اراضي البناء في المدن. والناس في الغرب يطلبون تدخل الحكومات في مسائل الاجور وان تنشأ لجان لتفتش المساكن

لغة الرئيس

عقد مؤتمر في بروكسل للنظر في اختيار لغة دولية تقوم بالفرض المطلوب للدول اوربا من كل وجه فكان القائلون بتفضيل اللغة الفرنسية اكثر من غيرهم وقد كان للقائمين بهذا الامر عضد قوي من رجال الكليات في العالم ما خلا المانيا فانه لم تسبق دعوتها الى هذا الغرض اما المتأدبون والعالمون وارباب الاعمال العقلية فقد فضلوا كلهم لغة هوغو وراسين على غيرها من لغات اوربا

الاولاد والكسب

نشر مجلس الصحة في كليفورنيا من الولايات المتحدة نشرة قال فيها ان تعليم الولد الى سن العشرين يكلف في كليفورنيا ٤١٥٠ دولاراً اي نحو الف ليرة عثمانية وان قيمة الولد في تلك السن تساوي ٤٠٠ دولار وبذلك يمكن ان يثنى الشاب في سن الثلاثين

١٠. الاشتراك والبلديات

كتب صاحب مجلة « أدلة الترقى » مقالة في الحركة الاجتماعية وتأثير اشتراك البلديات في أوربا قال فيها ان ارتفاع الصناعات وانشاء العامل دعا الى تباعد المسافات بين دور العملة ومحال اعمالهم فاستدعى ذلك تنظيم التراموايات ومدها الى الاماكن البعيدة وضاءة الشوارع بالانوار الكهربائية او الغازية ولكن رأت بعض البلديات ان التراموايات هي لتسركات لا تنظر الا الى ربحها فابتاعها منها ناظرة في استثمارها كما فعلت بلدية فيينا الى مصلحة الاهلين اولا فتبعت من ذلك نتائج حسنة وهكذا نظرت المجالس البلدية في المدن الكبرى وبعض الصغرى الى حالة المساكن فاشأت بعضها مساكن صحيحة للعملة باجور زهيدة وكانت مدينة زورنخ متقدمة على المدن عامة فغرت ربع المدينة القديمة وبنت مكانها مساكن منظمة على هندسة وشوارع حسنة وحدائق عامة وخاصة وانشأت ادارة ترسل مقداراً من النور في السنة لكل بيت وماء سخناً للحمامات كل يوم واذ كانت مسائل اللحم والخبز واللبن من المسائل المتكدة على الفقير أيضاً مثل مسائل البيوت الصحية الرخيصة رأت بعض بلديات ألمانيا ان تفتح على نفقتها مسالخ ومخازن لبيع المحرم باثمان معتدلة فتلخص العملة بذلك من احتكار القصابين وكذلك فعلت بلدية بودابست وانشأت مخزراً لتبيع منه الخبز للعملة باثمان حسنة بالنسبة لسائر الطبازين حتى اضطروا ان يجاروها ويرحموا الفقير . ومنحت بلدية رومية نصف مليون ليرة لازناء بيوت للعملة رخيصة صحية وانشأت بلدية ميلان صيدلية ارتقت ارتفاع مدهشاً وبها انجل عقد المحتكرين من الصيدالة وتراجع اسرهم وانشأت بلديات بعض مدن انكلترا معامل لتعقيم اللبن وبيعها من المراضم وغيرهم تبيعهم لبناً خالصاً لا غش فيه

وكذلك فعلت بعض البلديات في المانيا واخذت على نفسها بعض البلديات تجهيز الموق باثمان بخسة لاتخاذ الفقراء من محالب الدافنين والمكفنين واشتراطهم في الاجور وانشأت بعض البلديات صناديق للتوفير للعملة انت بنتائج حسنة كما ان جميع هذه الاعمال التي قامت وتقوم بها البلديات قد نفعتها ماديا كما نفعت الطبقة البائسة والمتوسطة بها وكل هذه الاعمال يقصد بها قيام الجماعة منظمين امرهم بنظام المجالس البلدية ليدفعوا عن الفقير والعاجز بل عن مجموع امهم غوائل احتكار الافراد للمصالح العامة والحاجيات الضرورية ويعملوا على ما فيه مصلحة الناس عامة لاصلاح اناس مخصوصين . وكانت انكذرا اول من فكر في مثل هذه الاعمال النافعة فعسى ان نكون نحن آخرون بفكرون في احتذاء ذاك المثال النافع والمهدي الزافع

لغة دوابة مزدوجة .

عرض جماعة من العلماء سنة ١٩٠٠ مشروعا نافعا في ربط عهود الوفاق بين كل من فرنسا وانكلترا والولايات المتحدة الاميركية وهو ان تعادل حكومات هذه الممالك في عقد عهد تضطر بها كل منها أمتها ان تتعلم لغة الاخرى اجباريا في المدارس فكما يتعلم الانكليزي والاميركي اللغة الانكليزية في مدارس بلاده يتعلم اللغة الافرنسية كذلك وكما يتعلم الافرنسي لغته في مدارسها يتعلم معها الانكليزية مضطر ايضا وقد قال ابو عذر هذا الفكر المسمى بول شابلية ان انتشار اللغة الانكليزية قليل في قارة اوربا اللهم الا في بعض السواحل القليلة وهكذا في افريقية الشمالية . والانكليزية منشرة في اميركا الشمالية والجنوبية وشرقي آسيا ولكل لغة من هاتين اللغتين منطقة تنشرت فيها ولم تنازعها فيه الاخرى فاذا جرى وفاق من هذا القبيل تقوى كل من اللغتين قوة هائلة خصوصا وان لكل لغة من نيتك اللغتين اناسا بل انما ترغب في تلقفها وتفهمها للتجارة اللغة الانكليزية والسياسة والسياحة والمجالس اللغة الافرنسية . ولكن جاء هذا الاقتراح في غير اوانه اذ كانت على ذاك العهد توترت العلاقات بين فرنسا وانكلترا واخرجت الثانية الاولى من فاشودة وكانت انكلترا مهتمة بحرب البوير فلما صفا جو الصلات اليوم بين الدولتين قام صاحب هذا الفكر يعرضه على الانظار فوفق الى اقتناع احد كبار الاغنياء في اميركا فنعهد ان ينفق على تحقيق هذه الامية كل ما يلزمها من المال ويقول العارفون ان هذا التدبير افضل من اختراع اللغات الصناعية وستنتج منه نتائج كبرى عملية لتلك الامم الثلاث من حيث الماديات والمعنويات . ونحن نقول ان هذا الفكر نافع جدا في

المملكة العثمانية ايضاً ولا سبيل الى ترقيتها الا اذا تعلم الاتراك لغة العرب وتعلم العرب لغة الترك وبذلك يحصل التفاهم ويزول كل خلاف وهذا رأي كبار عقلاء الدولة وقد سئل عن معنى سوء التفاهم الواقع بين العرب والترك فقال لا سبيل الى ازالته الا اذا تركنا العرب وعربنا الاتراك .

حفظ الاسماك

احترعوا في باريز آلة تخرج ثلجاً كالثلج الطبيعي حذو الفضة بالقضة والنعل بالنعل وهذه الآلة نافعة في حفظ الاسماك اذ قد ثبت ان بعض الاسماك في البحيرات والانهار يهلك كثير منها لان الثلوج والجليد تنقطع عنها فجأة وبهذه الآلة الجديدة ينزل الانسان الثلج على الاماكن التي يريد بها ويحفظ السمك بطعمه ولذته في الابعاد الشاسعة وعلى متن البواخر التي تشق العباب بين قارات الارض الخمس اياماً وليالي وباستعمالها اقتصاد عشرين في المئة من ادوات الثلج الصناعي او الجليد المعروف في هذه الديار

مدارس الشعب في انكلترا

نشرت مجلة التربية لمحّة لاحد قدماء مديري المدارس الانكليزية في ترقى مدارس الشعب (Public schools) هناك منذ خمسين سنة جاء فيها ان مدارس الشعب في انكلترا تنقسم الى قسمين قسم يدعى في العادة الابتدائي والآخر الثانوي . ولقطة ثانوي مأخوذة من الافرنسية وربما كان كوندورسه ^(١) هو اول من استعملها سنة ١٧٩٢ فالمدارس الابتدائية يتعلم فيها ابناء العملة منذ صغرهم حتى سن الخامسة عشرة ولا يعلم فيها غالباً غير اللغة الانكليزية وهي اشبه بمدارس اختيارية انشأتها الكنيسة وهي تنفق عليها ويرد تاريخها الى بضعة قرون . اما برنامج دروسها فهو منظم الآن على طريقة واحدة تحت ادارة مجلس المعارف والحكومة تنفق عليها وتراقبها وتكره القوم على تعليم اولادهم فيها

وليس لهذه المدارس مثيل في وحدتها في المدارس الثانوية او في المدارس العالية . وقد جمعت طريقة التعليم فيها بين الطريقة القديمة والطريقة الحديثة اذ فعلت

(١) هو فيلسوف رياضي فرنسي مشهور قام بالدعوة الى الجمهورية ولما سقط في

ايدي المستبدين او كاد آثر ان ينجح السمع لينجو من الاهانة بصلبه ولد سنة ١٧٤٣

مات سنة ١٧٩٤

فيها المؤثرات السياسية والاجتماعية والدينية والتعليمية واضطرت ان تخرج طلبة ينتقلون منها الى كليتي أكسفورد وكمبرج

يبدو لك التعليم الثانوي في انكلترا الاول وهلة مرتبكاً فله مدارس قديمة واخرى جديدة ومدارس آزال رواتب من الحكومة واخرى ليس لها رواتب ومدارس دينية واخرى مدنية فقط ومدارس لها مجلس ادارة واخرى ليس لها ذلك ومدارس تقبل أعطيات الحكومة وأخرى تستنكف من قبولها ومنها المحفظة بالطرق القديمة في تدريسها ومنها من اتت على القديم فدكته واستعاضت عنه بالجديد من الاصول وقصارى القول انك تجد مدارس من جميع الطبقات والدرجات والصفات ومدارس الشعب هي في الجملة التي لها مجلس ادارة وليست ملكاً لاحد وتبقى تلامذتها الى ان يبلغوا التاسعة عشرة من اعمارهم وتبعث بقسم من قدمائهم الى كليتي أكسفورد وكمبرج . فتخرج بهذا التعريف المدارس الخصوصية والاستعدادية والمدارس الصغرى والمدارس التجارية والصناعية والمدارس التي لاتعلم اللاتينية واليونانية والمدارس الثانوية التي أنشئت حديثاً تحت حماية الحكومة وبقصد مباشر تم التربية العامة في الطبقات الوسطى وتلميها تعليماً تجارياً او صناعياً او تخرج اسانذة للمدارس الابتدائية .

وبين مدارس الشعب والمدارس الثانوية في انكلترا اختلاف حقيقي فالاولى تكون على الاكثر داخلية واسانذتها من تخرجوا في الكليات العظمى وتلامذتها يأتون من بيوت آبائهم مباشرة او يكونون متخرجين في المدارس الاستعدادية واجور التعليم فيها غالية ويعلمون فيها اللاتينية واليونانية ولها ارتباط كلي مع الكليات اما المدارس الثانوية فتلامذتها خارجيون والسواد الاعظم منهم يتخرجون قبل في المدارس الابتدائية واجورها خفيفة ولا يعلمون فيها الا قليلاً من اللاتينية ولا اثر لتعليم اليونانية فيها ولما بقي التلامذة فيها بعد من السادسة عشرة او السابعة عشرة وهي تحت نظارة *Board of education* ادارة التربية والحكومة المحلية . وبعد فقد نشأت مدارس الشعب كما تملك على صور شتى فمنها ما انتأته الاديار والبيع ومنها ما انتأه الملوك او الافراد او شركات او جمع لها المال بالاكنتاب العام فهي تسد حاجة ابناء من يديرون شؤون البلاد وقوائم دروسها تنفع من يريدون التدرج والتزقي بها الى الكليات او الى الجيش ويعملون الاعمال الحرة ويستفيدون في الوظائف الملكية في العاصمة والمستعمرات والمهند او في الفروع

العالية التجارية والصناعية وفي هذه المدارس نحو ثلاثين الف طالب وربما كان في المدارس التي تعد الطلبة للدخول فيها بعد نحو عشرة آلاف

والسبب الاعظم في كون مدارس الشعب واقفة في اصولها عند حد محدود ارتباطها بالكليات ولأن مديري شؤونها واسانذتها وتلامذتها هم من ارباب الاملاك او الذين يتعاطون الصناعات الحرة . واهل هذه الطبقة في انكسرتهم من المحافظين في السياسة والتربية وربما كان لهذه المدارس من قدمها مادة لبقائها حتى الآن ولذا فان شركاتها او جمعياتها تدعو فيها الى التعلق باذيال الماضي . ولشهرة المدرسة وثقايدها وأسلوبها شأن اعظم من شأنها في التربية العملية او التعليم الراقي .

و يعيش تلامذة هذه المدارس داخلين لا في بيت واحد متسع بل في بيوت منفصلة بعضها عن بعض يوسد امر النظر فيها الى اساتذة ويختلف عدد المتعلمين في كل مدرسة منها بين ١٢ الى ٥٠ وربما زاد عن هذا القدر يعيشون عيشة اجتماعية ودية ويتحاون على نحو ما يتحاب الاتراب ويتعاطفون تعاطف الاخوة ولجميع هذه المدارس الكبرى معابد يصلون فيها على وتيرة دائمة ان لم تكن متصلة بكيسة . والمدين فيها تأثير شديد . والعامل الرئيسي في نجاح معلم في المدارس الابتدائية طريقته وأسلوبه وفي استاذ الكلية سعة علمه وفي مدارس الشعب اخلاقه ولذلك تجد المعلمين والمتعلمين في هذه المدارس الاخيرة مرتبطين بحب مدارسهم والاخلاص لها ارتباطاً ينم عن سير المدرسة واخلاصها وثقايدها ومن مبادئ هذه المدارس ان تمنح تلامذتها ثقة كبرى وقد فوضت قسماً مهماً من المراقبة والنظام في بيوت المدرسة ومحال اللعب للمسنين منهم وللرياضات شأن عايم جداً في حياة المدرسة وفي تربية الاخلاق

وقد وصف اللورد ديكو نسفيلد هذه المدارس بقوله : ان ما يعجبني في مدارس الشعب هو ان طابعتها يعيشون في الهواء الطلق ويرعون في جميع الالعب الرياضية ولا يكملون الا بلان واحد وقلماً يقرؤون . حقاً ان هذه الطريقة في التربية غير تامة ولكنها لم يسبق لها نظير منذ عهد اليونان

وقال احد علماء التربية ان مدارس الشعب كانت لنجح كثيراً في تخريج الرجال . وعلى ما دخل هذه المدارس من الاصلاحات لاتزال تنظر اليها نظراً ثانوياً ولا ترمي الا الى غاية واحدة وهي ان تخرج رجالاً أكفاء امناء وطنيين مسيحيين وبعبارة ثانية اعضاء نافعين في الكنيسة والحكومة

وان ما دخل من الاصلاح عَلى هذه المدارس منذ خمسين سنة وما يرجى ادخاله لا يتأتى فهمه عَلى حقيقته الا بالرجوع الى تاريخها فانا نراها الى اليوم تدرس اللغتين الميتين اللاتينية واليونانية بل قد جعلتهما المادة الجوهرية في التعليم الحر وبكفي ان نقول ان السبب في دخول هاتين اللغتين الى التعليم العالي في الغرب المسيحي هو ان الكنائس كانت بجوهرها في القرون الثلاثة الاولى يونانية الاصل وكذلك اللغة والنظام والفلسفة . وباللغة اليونانية بلغت الآداب عَلى اختلاف فروعها ماعدا الفقه اوج كالمها .

واصبحت اللاتينية في خلال القرون اللاحقة في جميع غربي اوربا لغة المستعيرين من الناس وفي القرون الوسطى جعلت الكنيسة وكانت اذا ذاك القوة المربية الوحيدة في اوربا اللغة اللاتينية لغة عامة . وعلى عهد النهضة ^(١) انتشرت الآداب واللغات الاولى انتشاراً عظيماً في ايطاليا ثم تلتها حركة الاصلاح المهمة في مدارس المانيا بتيام ستورم وملانكتون ^(٢) وكان يدافع عن اللغات الاصلية دعاة متحمسون لامثل ايراسم ^(٣) فقط من رجال الادب بل مثل لوثيروس من رجال الاصلاح الديني فان هذا دعا رؤساء الحكام في جميع مدن المانيا الى تأسيس مدارس تدرس تلك اللغات القديمة حتى قال بعضهم «يجب علينا ان نرتبط بحب اللغات اربعة اثار انده الثبات كما ارتبطنا عن رضى بالانجيل فانا اذا لم نحفظ باللغات ان نحفظ بالانجيل» ولقد اثرت بانكثرا مثل هذه العوامل فكانت بعد عهد الاصلاح تعد اللغة اللاتينية لغة الكنيسة ولغة من تطمح نفسه الى المناصب الرسمية وظلت اللاتينية لغة العلم والسياسة الى سنة ١٦٦٠ ولكن مدارس الشعب لم ترجع عن طريقتهما في التعليم الا بعد ان قامت المانيا وفرنسا وعيت باصلاح التعليم العالي لما له من الشأن في تكوين الوطنية وهذا لم يتم الا في اوائل منتصف القرن الماضي والى

(١) النهضة *La Renaissance* هي اسم يطلق على التجديد الادبي والعلمي والصناعي الذي حدث في اوربا في القرن الخامس عشر والقرن السادس عشر ساعد على هذه النهضة اختراع الطباعة التي بهام بين الاوربيين انتشار الافكار كما ساعدها اختراع النقش الذي عم الصناعات والتغالي في التحف والرسوم وبدأت هذه النهضة من ايطاليا ومنها انتقلت الى فرنسا وغيرها من ممالك اوربا

(٢) *Melanchton* عالم لاهوتي الماني صديق لوثيروس صاحب الدعوة

البرستقانية ١٤٩٧ - ١٥٦٠

(٣) عالم هولاندي لقب بفولثير اللاتين ١٤٦٧ - ١٥٣٦

ذاك العهد كان تلامذة تلك المدارس يكتبون باللغة اللاتينية وينظمون بها ولا يدرسون
الفرنسية الا قليلا اما الالمانية فكانوا يجيئون بها كما يجيئون العربية وكانوا يعنون عناية
خاصة بتلقين مبادئ الرياضيات ولا سيما الهندسة الوصفية وكان الاساتذة يجيئون في
تعليم اللاتينية واليونانية والعلوم الرياضية وهم شيوخ يدرسون هذه المواد منذ اربعين
سنة اكثر من المحدثين لان خواتيم من يمارسونها احسن من مبادئها والحال ليس كذلك
في مدرسي التاريخ والادب والعلوم والاقتصاد السياسي فان هذه الموضوعات تضعف
كلما قيلت وتنقلت فادرك رجال العلم اذ ذاك ان هذه المواد لا تنبه ذهن التلاميذ ولا
تلتئم مع صلحتهم لان ليس فيها نفع عام

دام ذلك حتى اخذت بعض الكليات بعد سنة ١٨٦٧ تنفق من حسابها لتعليم بعض
التلامذة فعندها اضطرت معظم مدارس الشعب الى تقسيم تعليمها فن التلامذة من
اختاروا طريقة التعليم الحديثة بدون تعلم اليونانية وتعمقوا باللغة الفرنسية والالمانية
والتاريخ واصبحت مواد كثيرة اختيارية لمن يريد ان يتعلمها ومنهم من اخذ يميل
الى الاختصاص اي التخصص بعلم واحد ولا سيما في المدارس المهمة

وها قد اصبحت هذه المدارس اليوم ولها معامل كيمائية ومراصد فلكية وخزائن
كتب ورقي فيها تعليم الآداب الانكليزية واللغتين الفرنسية والالمانية وعدلت فيها
الكتب وصرفت العناية الى تعليم العلوم ومنها علم التربية واصبح تعليم الموسيقى من المواد
المهمة في التدريس وطلبة هذه المدارس يدخلون في مسائل اجتماعية مهمة من مثل
معاونتهم للفقراء والاخذ بناصر الضعفاء في الاحياء الفتيرة من المدن الكبرى ويتعلمون
التعليم الوطني او واجبات الوطني في المدارس المهمة ومعظم كبار الطلاب يتعلمون
التعليم العسكري ليستعدوا به الى نيل رتب الضباط في الجيش البري وكثير منهم يتعلم
صناعة يدوية كالنجارة مثلا كل هذا والغرض اليوم من هذه المدارس لم يفت القائلين بها وهي
ان تربي الاخلاق وترقي المدارك ولكيها لم تبلغ في الامر الثاني درجة عالية وذلك
ناشي من تأخر نمو العقل في ابناء الانكليز فيظن الاساتذة ان عقول طلابهم كسلانة
لا تعمل وقد قال اميرسون الفيلسوف الاميركاني : « ان التربية هي ما يبق في اطوارنا
وعقولنا عند ما ننسى ما علمنا المدرسة اياه » وقال الاسكندر سدرل : تشد القوة الحيوية في
التربية الى قوة الثقة بالنفس والاحلاص في المعتقد فاذا لم يكن للربي رسالة يريد تلقينها
لعقل من يريه وابلاغها لروحه بتعذر وصوله الى وضع أسس الشخصية الالهية وهي المصادر

التي هي احسن ما في الحياة الشخصية والحياة الوطنية . فبدأ التربية ايضا . من هذه الرسالة الروحية التي يلهما الاستاذ وبدونها تفصحل قوتها الحيوية هذا ما عرئناه من كلام الاستاذ الانكليزي وقد امل لهذه المدارس نجاحا اوك في هذه الخسين سنة التالية لما يتورها من الاصلاح التدريجي فاما يقول ابن هذه البلاد عندما يذكر ما يكتبه عنا علماء التربية والاجتماع فقد قال احد الالمان ممن قضوا عشرين سنة في العراق ان الامة العربية تموت الموت التدريجي افساد طريقة التعليم فيها فاللهم قيض لمدارسنا الاهلية والرسمة والدنيبة من بصلحها الاصلاح الحقيقي ويوضها من اصول التعليم المطول الممل باصول حديثة ترفي الخلق والعقل ومن الخطط (البرنامج) المطولة التي هي طلاء ظاهر بخط مختصرة ظاهرها كباطنها

التربية في سويسرا

نشر الاستاذ ستودر الانكليزي مجئاً له في التربية السويسرية واذا كان ممن تربوا في مدارسها قديماً غدا كلامه جديراً بالثقة والنقل قال مانع به عن احدى مجلات التربية الباريزية : التعليم في سويسرا على ثلاث درجات ابتدائي او موجز وثانوي وعال وكلها ذات صبغة ديمقراطية يجلس على مقاعدها ابناء جميع طبقات المجتمع كتنفا الى كتف وقد قضى قانون الاتحاد السويسري منذ سنة ١٨٧٤ ان يكون التعليم الابتدائي اجبارياً مجانياً وتراعى حرية الوجدان فيه بيد ان تطبيق هذه القاعدة تختلف باختلاف الاقاليم قري مدة الدروس لانتشابه في كل اقليم وكذلك التعليم الديني يختلف بحسب البلاد . ومن اقاليم سويسرا ما يكره فيها الولد على البقاء في المدرسة من السنة السادسة الى الرابعة عشرة ومنها ما تكون مدة الاجبار من السابعة الى الخامسة عشرة ومنها ما يسمح للولد ان يخرج من المدرسة في الثالثة عشرة بعد ان يؤدي امتحاناً وعلى كل تليذ ان يحمل دقراً يني هويته . وكذلك الحال في قائمة الدروس فانها تختلف كل الاختلاف لان الاقاليم والبلديات لها مطلق الحرية ان توفق الدروس على حسب الاحوال المحلية بحيث يقال ان اعضاء المجالس البلدية في كل قرية لم اليد العليا على كل ما يتعلق بالتعليم فيحددون بحسب ارادتهم اوقات العطلة ومدتها ويختارون المعلمين ويوافقون على احداث مدارس او ابنية جديدة ويتمدون بالاهتمام بانفسهم شؤون مدارسهم وتفتش صفوفها في مدد معينة والنظر في راحة الاساتذة والتلامذة . وما من مجلس من هذه المجالس يتوقف في بذل اقصى العناية بامور التعليم . والحكومة تؤدي نفقات المدارس الابتدائية

وفي بعض الاماكن تعطي للاولاد الكتب ولوازمهم المدرسية من المدرسة كما تعلمهم مجاناً وفي ايام الشتاء يقدم للاولاد طعام الغداء بثمن زهيد جداً واحياناً بدون ثمن تكاد تكون جميع المدارس من املاك الحكومة وليس معنى ذلك بان ليس ثمت بعض مدارس اهلية خاصة فان بعض المدارس تنوخي في تعليمها غاية مخصوصة وبعضها تسعى الى منافسة المدارس العامة ولكنها خاضعة لشروط لجميع الاولاد الذي يقرؤون في مدينة نوفشائل على اساتذة خاصة او يختلفون الى مدارس خاصة يمتحنون كل سنة امام لجنة من المحكمين وتجبرهم الحكومة على دخول مدرسة عامة اذا رأت ان نجاحهم في دروسهم غير مرض. وعلى كل استاذ يعلم نفسه تعليمها حراً ان يكون حاملاً شهادة او يمتحن امتحاناً خاصاً في المواد التي تعادل ما يدرس في مدارس الحكومة. والمدارس الخاصة في كل طرف من اطراف سويسرا خاضعة لتفتيش الحكومة

والتعليم الثانوي مجاني ايضاً في معظم الاقاليم ويعطى التلميذ في بعضها لوازمه من كتب وغيرها بلا عوض اما في التعليم العالي فان التلامذة يدفعون اجوراً ولكنها طفيفة جداً والتلميذ الفقير المدقع يتعلم مجاناً اذا اراد معها كان استعداده. وليس للكتليات موارد خاصة ما خلا كلية بال وكلية اوكلتين تدميتين

ولا يطلب من المعلم في التعليم الابتدائي ان يميز بعض التلامذة اذا رأى فيهم بوعاً اذ ينظر الى الاولاد كلهم نظراً واحداً ولا تفادي بمصلحة السواد الاعظم من اجل مصلحة طبقة مختارة لان الامة تتألف خاصة من ارباب العقول المتوسطة لامن النوايح. المدارس الداخلية غير معروفة في سويسرا وما خلا بعض مدارس المعلمين بالحكومة ليس لها الامدارس خارجية لان عمل الابوين في تربية الاولاد مما لا يقبل المناقشة في سويسرا على ان الحكومة قد جعلت من حقها مراقبة الابوين الذين يقضى عليهما ان يطعما اولادهما ولبسهما على ما ينبغي ومن حقها ايضاً ان تقنص من الآباء المتساهلين في العناية باولادهم وتكرههم ان يوءدوا عنهم ما يقوم بكفائتهم من الرزق

وكانت العناية بالرياضات قليلة في مدارس سويسرا ويهتم المعلمون اهتماماً شديداً بذاكرة الولد لانهم ينظرون الى التعليم بأنه غاية لا واسطة اما اليوم فقد ادخلوا الالعاب الرياضية والتمارين اليدوية والحمامات المدرسية والاعمال الزراعية وقلوا مادة الدروس. عدلوا بعض قوانين التعليم في سويسرا منذ بضع سنين ناظرين فيها الى ترقية الاخلاق باعتبارها الغاية الرئيسة في التربية ورأوا ان التعليم الديني هو العامل الاعظم في تهذيب

الاخلاق واذا كان من الواجب مراعاة حرية الوجدان عملاً بالدستور السويسري رأت بعض الاقاليم ان تجعل النوراة اساس التعليم او تدريس الاخلاق الطبيعية وخ: هت ساعات معينة لدرس المعتقدات الدينية . ورأى المصلحون في الايام الاخيرة ان يرفع من التعليم تعلم الدساتير والقواعد والحقائق المجردة التي كان يقضى عَلى التلميذ اسنظمارها ويمهد الى ارادة الطفل وبجهه الخاص فقط . وقد جعلت ولاية تسين اول بند من قانونها المدرسي ان الغاية من التربية ان يخرج الطفل انساناً يفكر ويعمل وعليه تبة . ما يعمل . تريد بذلك ابعاد الطفل عن درس الاساليب التي تبعد المذهن عن النصور النافع او التي لاغاية لها لان اسنظمار كمية من الالفاظ لاعلاقة بينها وبين الاخبار الشخصية فيقوم مقامها الفاظ تطلب معاونة الولد وتخوله حرية في العمل والتصور . فسويسرا لا تكتفي بان تعلم ابناءها القراءة والكتابة والحساب بل هي تنظر الى التعليم نظراً ابعاد تريد تربية الصحة والاخلاق وان تبعد عن المتعلم كل ما يضر بخلقه وتهذيبه .

وقد كثرت في سويسرا منذ بضع سنين مدارس الزراعة والتجارة والصناعة عَلى اختلاف ضروبها وأنشئت مدارس لتدبير المنزل يتعلم فيها البنات ادارة شؤون البيوت والخطاطة والطبخ والكي والغسيل وغير ذلك . وجميع هذه المدارس هي عبء ثقيل عَلى الحكومة ومع هذا فان الحكومة لم تنفل عن التعليم العالي فسويسرا سبع كليات عامرة والاجور فيها زهيدة للغاية لان القوم ايقنوا ان الطبقة الراقية في حكومة ديمقراطية يجب ان تكون من اقوى عناصر الامة واكثرها ذكاء . وهذه قد تكون فقيرة

والظاهر ان غاية ما نرجي اليه التربية في سويسرا سعادة الامة عامة والفرد خاصة وذلك بيد كل البذور الصالحة وتعهدها بما ينميها والانتراف عَلى القوى النافعة وكل ما في المرء من الميول الشريفة . وبتنظر في هذه التربية ايضاً الى اصلاح كل ماسفل وتبدل من اخلاق الطفل والاخذ بيد كل وطني ليكون منه انسان مستقل كثير الثقة بنفسه مسؤولاً عن حقوقه وخصائصه راغباً في القيام بكل واجباته نحو بلاده والناس اجمعين . وكيفما كان الحال في نقص الاساليب المنيمة في سويسرا عَلى قلة المعلمين فالواجب ان يعترف بانها لم تكتف بالالفاظ اللطيفة في معنى التربية فهي عَلى ضيق مواردها قد بذلت عن سعة في سبيل تهذيب الشعب وفادت بكل ما لديها من المال والقوة لخدمة غرض تراه مرتبطاً كل الارتباط بنجاح الامة وبتأثيرها

درس في الصحة

لايكفي التمتع في تناول الغذاء على نظام خاص لحفظ الصحة بل الواجب الجري على قوانينها . فكن يا هذا مغرمًا بالنظافة وحب الماء والاعتسال كما تحب اغترغ الاشياء عليك فمن غسل اطراف جسمه واعناد الوضوء في الاوقات المعينة ضمن جلده الرشح المنشط والمرونة النافعة فالماء البارد يشد المسام والخار يمددها والافضل في كثير من الاحوال الاعتماد على الماء الفاتر فحمامات المياه الباردة تقوي الجسم وتنشطه والحمامات الفاترة تسكن هياج الاعصاب وتزيل التعب والحمامات الشديدة الحرارة تحط بالبدن وتضعفه .

دع على الدوام نوافذ مسكنك مفتحة ليدخله النور والهواء على ما يجب سواء كان في الصيف او الشتاء ولا تحف الهواء يتخلل منافذ ابوابك فانك اذا قلت من الاتفاق على التدفئة تجو من امراض كثيرة والغرف التي لا يدخلها هواء هي بؤرة امراض دائمة كالزكام وذات الجنب وامراض الحلق والصدر والوفدة النازلة . دع الهواء — كما قال احدهم — يجري الى غرفتك حتى في فصل البرد فانه يحمل في جناحيه غذاءً لرتبتك ومطرراً لبنتك .

تعلم جودة التنفس فان الناس يجهلون الا قليلا هذا العلم الواجب تعلمه والعمل به . فبالهواء يتجدد دمنا وتحمل الحياة الى جميع حواسنا وهو الذي يعين وظائفنا الطبيعية والنفسية على البقاء والاعتدال ومن انفع الامور في جودة الصحة ان يطيل المرء نفسه في ساعات معينة ويتنفس بملء رئتيه وان تكون الثياب واسعة لاتضيق على الصدر يتنفس بان يعد من الاعداد من الواحد الى الستة ويكون تنفسه من انفه وفمه مغلق وتدوم هذه الرياضة عشر دقائق ومن الغد تمكث ثماني ثوان في تنفسك وثماني في حبس النفس وثماني في اخراج النفس من الرئة وهكذا تطيل كل يوم مدة التنفس وتجعله بنظام وتأن بحيث ينزح الهواء الى ادنى طيات رتبتك ويملاؤه بالاكسجين مبعث الحياة للراحة والصحة . واحسن رياضة في التنفس ما كانت في الخلاء وانت تمدد على العشب بالقرب من الاشجار وانت سائر بخطا معينة في طريق يحمل اليه الريح أرج المروج والغابات ومن واظب على مثل هذه الرياضة زاد نشاطه واستطاع قمع نفسه اغتم اوقات فراغه واصرف كل يوم ساعتين من وقتك للسیر على قدميك فالشي احسن انواع الرياضات يزيل كما يقول الافرنج صدأ الاعضاء وهو وقاية من المزال

وتصلب البدن وشفاء للجسم به يخف ويزيد مرونة وتنظم حركاته . اذا فعلت هذا تنجو من السمن والربالة الضارة وتبقى اعصابك حافظة مرونتها ونشاطها الى ايام الشيخوخة

فكما ان المشي ينفع من حيث الطبيعة ينفع ايضا من حيث الاخلاق لانه يصني النفس ويطهر الروح وينظم الفكر ويطرد الالبسة وبأقوي على الاحقاد فيطفئها ويوحى الى النفس المطالب الحسنة الشريفة والواجب ان تكون الخطا في المشي كبيرة لا نقل عن نحو ٧٠ سنتيمتراً وان تمس رؤوس الاصابع الارض اكثر من العقب وان يتعاقب اهتزاز الذرايين

والراحة مطلوبة عقيب العمل وخير الراحة ما كان منقطعاً بمعنى ان راحة ربع ساعة بعد ساعة من العمل افضل من راحة ساعة عقيب اربع ساعات في العمل . واذا اقتضى للرجل ان يواصل عمله ساعات فعليه متى فرغ منه ان يعتمد لاسباب الراحة كلها كأن يستلقي على كرسي طويل وينزع ثيابه التي تضغط على صدره ويمدد ساقيه وذراعيه ويبطل حركة اعصابه ويطبق جفنيه ويطرد عنه اهتمام النفس ويجلب اليها من الصور ما يضحكها فيذكرها ببقعة جميلة من الارض وبمنزله حسن للرياضة فتمر به اللحظات كما يمر الماء المنعش ويغوص الفكر في سحاب سلام كأنه نصف نائم . وياك ان تعزف نفسك عن صرف ثلاثين دقيقة في هذا السكون فانك بها تستعيد قواك وتعرض الآلة العاملة ما يلزم لها من الزيت لتعمل عملها .

اذا عرفت ان الاكثار من كل شيء ضار فايك والاكثر من الراحة ايضاً فاذا كان استعمالها معوضاً للصحة ما فقدته فلاكثر منها يجلب الامراض لاحالة لان قلة الحركة والكسل تغيران الصحة اكثر مما يغيرها التعب . والاكثر من العمل ولا الاقلال منه .

المداقة قريبة بين الراحة والاغفاء فخير النوم ما كان متناسياً مع سن الانسان فقد قالوا ابن ٣ الى ٤ سنين يقتضي له من النوم ١٢ ساعة ومن سن الرابعة الى السابعة ١١ ومن السابعة الى السادسة عشرة ١٠ ومن السادسة عشرة الى الحادية والعشرين ٩ ويقتضي للبالغين ثمانى ساعات . وقلة النوم داعية الى الامراض لان فقر الدم وتعب الاعصاب والضعف تنشأ على الاغلب من قلة النوم

نم على الاقل بعد ساعتين من الطعام ويجب ان تكون غرفتك مفتحة النوافذ بعض

الشيء اذا كان الفصل غير شتاء وتكتفي بوضع ستارة عليها حتى لا يدخل الهواء مباشرة الى وجهك واضطجع على الجانب الايمن حتى لا تتأثر حركات القلب وعود نفسك التنفس من انفك للنجوم من ييوسة الحلق والغليط وتنامى ما وقع لك من اعمال النهار وكن كأنك لا تفكر والنوم موافيك من ذاته لاجالة

وعلى اصحاب المزاج الدموي ان يستعملوا الوسادة نحت رؤوسهم حتى لا يهجم الدم عليها اما اصحاب الامزجة الضعيفة والذين ابتلوا بفقر الدم فينامون رؤوسهم واطئة ما امكن

يجب ان يكون الفراش في وسط الغرفة لا في زاوية ضيقة منها وان يكون غير محاط بالسور لئلا يمنع نفوذ الهواء اليه . والنوم على فراش الريش مضر . وخير الفرش ما كان الفراش الاسفل محشواً بالقش والاعلي بالصوف وفراشان بكفيان للراحة . والواجب اطفاء النور في غرفة النوم لان النور يذهب العيون و يأخذ كمية من الاوكسجين لاستيقظ في الصباح بمجلة تنقفز من سريرك الى حين فجأة بل دع حواسك تستعيد قواها ورأسك يطرد سحب النوم عن الجفون ولا بأس بان تكسل بضع دقائق ثم تنهض من فراشك لان الهبوب من النوم فجأة والدم محتقن والاعصاب غير مستوفزة يحدث شيئاً من الاضطراب قد لا تكون نافعة

للبرد تأثير كبير في امرائنا فانا في حال الصحة نحمل في احشائنا اورثانيا ولعابنا جراثيم ذات الرئة والخفاق والنزلات فبإدنى سبب نهجم على انسجنتنا وتلقى الاضطراب فيها كأن نعرض لبرد او لمطر طويل او نلبس جوارب رقيقة ترشح ماء ولذلك وجب التوفي من هذه الامور واختيار البسة تدفي ولا ينفذ منها ماء الى البدن او الامراف . وان ثوبين خفيفين محكمين يسكان حرارة الجسم اكثر من ثوب واحد غليظ . واحسن ما يدفي في البلاد الباردة في صميم صبارة القر تلك الادثرة التي يحسونها بالفرو ويلبسونها في الغرب وبعض بلاد الشرق . والعناية كل العناية بتدفئة الرجلين . واذا خرج المرء من غرفة حارة فعليه ان يمسك منديل ويضعه على فمه ومنخره حتى لا يدخل الهواء البارد من الخارج الى الرئة الا يبطئ وكذلك الحال في الاماكن الحارة جداً فانها ضارة تحتقن الدم كالاماكن الباردة كثيراً والواجب في شربي تموز وآب ان يتمتع المرء عن تناول المثلجات مهما حدثته نفسه بتناولها وان لا يتعرض للشمس وهو حاسر عن رأسه وان يستعمل المظلة كل من كان دموياً

وخبر الطرق لاستمتاع المرء بشبابه، وان تكون ايام حياته طويلة وكلها ربيعاً ان يطرد عنه الخوف والتألم والغم والاضطرابات على اختلاف انواعها ويحسن ظنه في المستقبل فلا يستدعي بنفسه الشيخوخة ففاه الجسم موقوف على عمل المرء نفسه لا على الايام التي مضت عليه فكمن شيخ حفظ صحته بنعمها ودفعه عنها كل ما يضرها وكمن شاب ظن نفسه مقبلاً على ورود حياض الموت لوسواس اصابه وهموم وغموم دعاها تستولي عليها وان علماء الصحة ليقولون ان الحياة قد تطول الى اكثر من مئة سنة اذا لم يطرأ على طاريء غير منتذر فعلى من يحب حياته ان لا يقصها بصنعه بل يعمل لغذائها ومنامها ولباسها وعملها كل ما يجعلها بهجة مفرحة

لغة الولد

نشر احد اساتذة انكلترا في مجلة المدرسة مقالاً في المكانة المعلقة على لغة الأم فقال ان الثلاثة من ابناء التاسعة الى الرابعة عشرة يجب ان يخصصوا عشر ساعات في الاسبوع لدراسة لغتهم الاصلية . فن الوم الفاضح ان يذهب بعضهم الى انه من الممكن تعليم الاولاد معنى الانشاء والذوق الادبي اذا لم يكونوا متمكنين كل التمكن من لغتهم . وباطل اعتقاد من يعتقد بغناء اللغات الاجنبية في التربية . بل ان تعلم لغة غريبة قبل احكام المرء لغته الاصلية احكاماً راسخاً وتبريزه في اساليبها ضار لابلغة . وملكتها فقط بل في تربية عقل التلميذ ايضاً

اما الجمهور وعامة الناس فيذهبون الى غير هذا المذهب فقد قال اللورد الفرستون في جريدة التربية يوم افتتاح مدرسة ما بالما قاله غيره وهو ان الواجب على الابناء ان يتعلموا لغة اجنبية في صباهم حتى تعلموا لان ما يتعلمونه منها في سن الحداثة في بضعة اشهر يرسخ في نفوسهم اكثر مما يتعلمونه في سنين متى كبروا . نعم ان الحواس الصوتية هي في الطفل البز منها في غيره ولكن الحبال الصوتية ليست هي كل ما يلزم لتعلم لغة فان من المحرب ان الطفل الذي تعلم اللغة الهندستانية يذاها بعد سنين . قال الكاتب اما نحن فانا نؤمن على كلام جريدة التربية ومجلة المدرسة وهو ان تزد الساعات المخصصة لدرس اللغة الاصلية وان تؤخر ما امكن دراسة اللغات الاجنبية او القديمة رويما يستتم التلميذ ملكة لغة وان يتجرد التعليم الابتدائي من دراسة اللغات الحية وفي ذلك من الغناء والنفع من كل وجه مالا ينكر لبيب محله . هذا ما عر بناه ويا ليت نظارة المعارف العثمانية تنظر فيه نظر تدبر فان التعلم في مدارسها بالبلاد العربية اصبح

من العثم بحيث اسمى عدمه خيراً من وجوده لانها قضت ان لا يعلم التلاميذ حتى في المدارس الابتدائية شيئاً من لغتهم العربية واكتفت بتلغيتهم فقط اللغة العثمانية وباليتمها تحسن تعليمها فيخرج التلامذة بعد الدراسة لم يتعلموا لغتهم ولا لغة حرصت نظارة المعارف على نشرها كالحقق اراد ان يمشي كالحجل فنسي ممشاه ولم يمش مثله .

العمل اليدوي

من الغريب ان البلاد التي قل أميوها هي التي جعلت اساس التعليم فيها الاعمال اليدوية واعتبرت التهذيب العلمي ثانوياً فقد جرت بلاد الدانيرك والسويد ونروج على طريقة تربوي فيها ملكة الصناعات قبل الاشتغال بالاعتقولات والمنقولات وجعلت غاية المدارس هناك ان تعد ابن الشعب لاكتساب رزقه فهو يجتهد في حرفة له يختارها ليربح فيها ولا يجبر على العمل اجباراً بل تجعل له مكافآت مالية يتناولها بحسب تجوئده عمله وفي خلال تلك المدة يتعلم الولد ما ينبغي له من التربية اللازمة لعامل واذا نبغ من بينهم نابغ ونبه منهم نابه يخرج من بين تلك الصفوف بطبيعة الحال . وقد جربت اباطاليا هذه الطريقة في تعليم الصناعات وتهذيب الاولاد الذين ارتكبوا جرائم فحبسوا واستعاضت عن تعليمهم بامال صغيرة سهلة مثل طي القوي والحبك وعمل السلال مما يعمل المرء في العادة وهو يغني او يتحدث مع غيره فراقت هذه الاعمال الاولاد السجناء خصوصاً وانهم يتقاضون عن اعمالهم اجوراً وان كانت طفيفه لكنها تفرس فيهم ملكة الحذر والاحتياط ولذا قل فيهم من يجيد اثناء هذه الاعمال عما يقضي به النظام وجاء منهم وطنيون نافعون لاحاققون على الدهر لا يدرون كيف يسرون

رعب الاولاد

وضع المسيو فاراندونك سؤالاين على تلامذة بعض مدارس بلجيكا وهما : من اي شيء تخاف اكثر وما السبب ؟ ومن اي شيء زاد خوفك كثيراً يوم كنت طفلاً وعلى اي سبب تعلقه ؟ فانا الف وخمسمائة جواب نشرها واستخرج منها ما استنتجته في مجلة علم النفس فتبين له ان الصبيان اكثر من البنات خوفاً من الاسد ورجال الشرطة ومن آبائهم وامهاتهم ومن الوحدة والماء والاشباح والمستقبل والبنات يرعبن في الاكثر من الحيوانات ولا سيما من الذئب والدب والجراذين والفيران ويخشين اكثر من الصبيان الآلام الطبيعية والرجال والمركبات على انواعها والظلمة والرعد والبرق . وان الداعي لخوف الولد ناشئ من عدم مما شانه لمحيطه لان ارادته لا دخل لها في هذا الشأن بشأناً

بل ان تخلفه عن السير مع محيطه ناشئ من ضعفه . ومعظم الرعب في الاطفال ينشأ لم من حوالهم وحدث ما شئت ان تحدث عن الرعب الذي يستولي حتى على الكبار في السن لان الاوهام غرست فيهم منذ الطفولة . قال ومن انواع الخوف ما ينفع الجنس الانساني والولد ايضا وهو الخوف النافع في الاحابن اي ان الجبناء وهم في الغلب العاقلون قد ينجون بحياتهم في احوال كثيرة .

الاولائل

من الموضوعات التي اشتهلت فيها في دار غربي موضوع الاولائل . فقد بحثت حتى جمعت فيه مجموعة كبرى اخذت معظمها عن اللغة الانكليزية . وهي تشغل اكثر من اربعمائة صفحة من صفحات مجلة المقتبس

وغرضي من جمعها ان اضع في هذا الموضوع كتابا خاصا ذهابا الى ان العربية مفتقرة اليه ولا سيما ان المغاربة قد عنوا به عنايه خاصة لمكانته ولا يضر المشاركة ان يخذوا حذوم

ولقد سرتني ماعرفته من ان عيسى افندي اسكندر الملعوف الباحث المعروف قد عني بهذا الموضوع . ولا ريب عندي في انه متى وقف على عنائتي به ايضا سيسر لان غرضه وغرضي يرميان الى مساعدة المشتغلين بالكتابة على جعل العربية غنية بالمباحث التي يفاخرنا بها اهل الغرب

وهذا بعض ماعرفته بهذا الباب واضفت اليه بعض الحواشي لزيادة الفائدة

اول بندقية اخترعت سنة ١٦٤٦ واول مدفع سنة ١٨٨٦

اول ملعب للتمثيل بناء الرومان في رومية سنة ٦٩ ق م

نشر صليبيو اسبانيا لاول مرة في اوروبا ارقام الحساب العربي في القرن التاسع للمسيح

اول رئيس قتل في الولايات المتحدة ابراهيم لنكلن في ١٤ نيسان سنة ١٨٦٥

اول انسان اكتشف الخليج الفاصل بين كرنيلاند واميركا الشمالية (نقبطان) (باقن)

اول مخترع للبطاد (١) (غوزماك) اليسوعي في سنة ١٧٢٩ واول من استعمله

(مونتفولر) في سنة ١٧٨٢

اول مصرف افتتح في الولايات المتحدة مصرف فيلادلفيا . افتتحه رهط من اكابر

(١) يظن ان البطاد اخترع قبل ذلك العهد بزمان طويل

البلاد في ١٧ حزيران سنة ١٧٨٠ برأس مال قيمته ٨٣٦٩١٦ دولاراً (١)

اول مخترع للبارومتر^(٢) (فورسيل) اخترعه في سنة ١٦٤٨

اخترعت الحراب لأول مرة في (بايون) (فرنسا) سنة ١٦٧٠

اول طبيب اذاع تقرير جريان الدم في الرئة (ميشل مريفتس ، الفرنسي) في

سنة ١٥٥٣

اول مخترع لتجليد الكتب ملك (بوزمان) ظهر اختراعه في سنة ٨٨٧

اول من استعمل الخبيرة في الخبز الانكليزي سنة ١٦٥٠

اول قناة في العالم اقيمت في مصر بين نهر النيل والبحر الاحمر

اخترع ورق اللعب . سيف فرنسا واستعمله الملك كارلس السادس للتسلية

سنة ١٣٨٠

ادخلت المركبات الى فينا لأول مرة في سنة ١٥١٥ والى لندن في سنة ١٥٨٠

اخترع الشطرنج سنة ٦٠٨ ق م

سافر الاميركان الى الصين لأول مرة سنة ١٧٨٤

عرف الخزف الصيني لأول مرة في سنة ١٥٩١

اكتشف الكلور فورم في اميركا وجرمانيا سنة ١٨٣١

اول كلية اقيمت في الولايات المتحدة كلية (هارفرد) المعروفة اليوم بجامعة هارفرد .

أسست سنة ١٦٣٨

زرع القطن لأول مرة في ولاية فرجينيا احدى الولايات المتحدة سنة ١٦٢١

وأرسل الى البلاد الاجنبية لأول مرة سنة ١٧٤١

اعتبر ميلاد المسيح عيداً لأول مرة في سنة ٩٨

طاف اسطوا ، مجلان لأول مرة حول الارض في سنة ١٥٢١

اخترع العرب الساعات الدقاقة في سنة ٨٠٠ والايطاليان في سنة ١٢٠٠

اكتشف الفحم الحجري لأول مرة في انكلترا سنة ١٢٢٤

سكت العملة لأول مرة في التاريخ المعروف في الصين سنة ١٢٠٠ ق م وفي رومية

سنة ٥٧٦ ب م وفي انكلترا سنة ١١٠١ ب م

(١) الدولار الاميركي عبارة عن ٢٩ غرشاً عثمانياً وكسوراً ومعناه ريال

(٢) البارومتر ميزان ثقل الهواء او قوة حفظه

أُنشئت في باريس سنة ١٢١٥ اولى الكليات من نوعها^(١)

ذكر البيع لأول مرة في سفر التكوين عندما بيع يوسف بن يعقوب من المصريين
استعملت ابرة الملاحين في الصين سنة ٢٦٣٤ ق.م وفي اوربا سنة ١١٨٠ م
اول اجتماع عقده مجلس الامة في الولايات المتحدة في فيلادلفيا في ٥ تشرين الثاني
سنة ١٧٧٤

ولدت النصرانية في اسبانيا سنة ٣٦ وفي بريطانيا سنة ٦٠ وقيل في القرن الخامس
وفي فرقة نووية وفلاندرس في القرن السابع وفي لومبارديا ونيورنفا وهيس في القرن
الثامن وفي اسوج والدنيمارك وبولاندا وروسيا في القرن التاسع وفي هـ. اريا وسكلافونيه
في القرن العاشر وفي فانداليا وبروسيا في القرن الحادي عشر وفي بومرانية وليتوانيا
وقسم من بلاد الثار في القرن الرابع عشر وفي افريقية في القرن الخامس عشر وفي
الهند والصين في القرن السادس عشر

صنعت الاواني الخزفية لأول مرة في (فازا) سنة ١٤٥٠

بوشر لأول مرة بتقطير المشروبات الروحية في القرن الثاني عشر وفي ايرلندا في
سنة ١٥٩٠

نشأ من احتكاك كرتين من الكبريت احدهما بالآخرى في سنة ١٤٦٧ اول
فكر اوروبي او تصور لكيفية استخدام الكهرباء وفي سنة ١٧٤٦ اكتشفت اشعتها
في ليدن وفي سنة ١٧٥٦ كيفية ارسالها بالاسلاك
اول رجل فاه في اميركا بعارة (تومبر العبيد) ابراهيم لنكي في اول كانون الاول
سنة ١٨٦٣

اكتشف فن النقش على صفائح نحاسية لأول مرة سنة ٥٠٤ ق.م وعلى الخشب
سنة ١٤٢٣ في فلاندرس وعلى الفولاذ سنة ١٨٣٠

اول مكتشف لفن الطبع على الحجر (مينفيلدر) الالماني حوالي سنة ١٧٩٦
استعملت المغلفات لأول مرة في سنة ١٨٣٩

اخترع حفر الخطوط سنة ٥١٢

اخترعت اول آلة لاطفاء النار سنة ١٦٦٣

(١) اعني الكلية التي لها درجات وفروع خاصة بكل علم

نشرت الـرابية^(١) الامبركية لاول مرة في كبردج ماستشوستس في اول كانون الثاني سنة ١٧٧٦

استجلب الغاز لاول مرة الى لندن لاناارة الحوانيت والشوارع في سنة ١٨١٤ والى بليمور الولايات المتحدة سنة ١٨٢١

اخترع مرغيتي التذهيب سنة ١٢٧٣

هجر النور^(٢) مصر سنة ١٥١٥

عرف الصينيون لاول مرة صناعة عمل الزجاج^(٣) سنة ٢٠٠ ق م والرومان سنة ٧٩ ق م وفي سنة ١١٨٠ اخذ الانكليز يستعملونه للنوافذ والشبابيك وفي سنة ١٧٥٧ للقفاني والاوعية وذلك بعد ان ادخل (بندكت) هذه الصناعة الى انكلترا سنة ٦٧٤ ب م

صنعت اول مرآة في (لامبت) سنة ١٦٧٣ وفي (لانكبير) سنة ١٧٧٣

اخترعت المطحنة^(٤) في ايرلندا سنة ٢١٤

يود اختراع البارود الى الصينيين وانتشار معرفة اختراعهم في الغرب الى سنة ١٣٢٤

أعدت المركبات للاجرة لاول مرة في لندن سنة ١٦٢٥

يوشر استعمال مسحوق الشعر لاول مرة في انكلترا سنة ١٥٩٠ وفي سنة ١٧٩٥ ضربت الحكومة الانكليزية على كل من يستعمله ضريبة سنوية قدرها اليرة انكليزية قديمة^(٥)

اول معمل للتنايل (الحارم) انشي في يسلي في اسكوتلندا سنة ١٧٤٨

(١) ناشر تلك الـرابية جورج واشنطن اول رئيس للولايات المتحدة وقد وافق على نشرها مجلس الامة رسمياً في ١٤ حزيران سنة ١٧٧٧

(٢) النور ويسمونهم ايضاً الفجر زحوا عن بلاد الفراغة ايام زحف الاتراك بقضهم وقضيضهم على تلك الديار وتشتتوا في جميع اصقاع اوربا

(٣) المصريون اسبق الام لهذه الصناعة فقد عرفوها سنة ١٧٤٠ ق م

(٤) يواد بها الجاروشة التي يود تاريخ استعمالها في الشرق الى اكثر من عشرين قرناً قبل المسيح

(٥) قبجة اليرة الانكليزية القديمة ٢١ شلينج وكانت من عملة بلاد غينيا

اخترعت القبعات (البرانيط) في باريس سنة ١٤٠٤ واستعملت في لندن لاول مرة سنة ١٥١٠

انشي علم النسب حوالى سنة ١١٠٠
اخترعت الساعة الرملية في اسكندرية سنة ٢٠٤ ق م وادخلت الى رومية سنة ١٥٨ ق م

استخرج العظم^(١) في كروينا الولايات المتحدة سنة ١٧٤٧
جرب التطعيم والتلقيح في المجرمين لاول مرة سنة ١٧٤١
يوشر في انكلترا بضمان السفائن سنة ١٥٦٠
اكتشف الحديد سنة ٤٠٦ ق م بواسطة احتراق جبل (ايدا) وصب في انكلترا لاول مرة سنة ١٥٤٤ واكتشف في فرجيناميركا سنة ١٧١٥
بنيت البواخر الحديدية لاول مرة في سنة ١٨٣٠
اكتشف (جنسن) لاول مرة سيارة صغيرة للآتري سنة ١٥٩٠
استعمل زيت الكاز للتزوير لاول مرة سنة ١٨٢٦
يوشر بتقيل رجلي البابا لاول مرة سنة ٧٠٩
اخترعت جوارب الحبك او شغل السنارة في اسبانيا نحو عام ١٥٥٠
صنعت السكاكين او المدي لاول مرة في انكلترا سنة ١٥٥٠
أقيمت المدارس في جميع المدن الرئيسة في انكلترا لاول مرة سنة ١٨١٠
نسج الشاش وخيوط الحرير والكتان لاول مرة في يسلي سنة ١٧٨٤
يرد اول دور من ادوار القرميد الى الرومان^(٢) وفي سنة ١٦٢٥ امر كارلس الاول بتقطيعه بقوالب

اعترف لاول مرة بطائفة (الكوكر)^(٣) المعروفة بالفرنسيس اي الاصدقاء في سنة ١٧٠٢

(١) العظم (بالعين) النيل او النيل

(٢) طالعت مقالة منذ بضع سنوات لاحد علماء الآثار في اميركا ذكر فيها ما شاهدته

من خرائب بابل وبنوى وعزا القرميد الى البابليين

(٣) (الكوكر) فرقة من فرق النصرانية

اختراع ميمون المصري حروف الهجاء^(١) في عام ١٨٢٢ ق م
نأتق جرس الحرية المشهور في اميركا لاول مرة سنة ١٧٧٦ في ساحة دار الاستقلال
في مدينة فيلادلفيا

نسج الكتان لاول مرة في انكلترا سنة ١٢٥٣

برد تاريخ اكتشاف المرايا الى سنة ١٣٠٠

اختراع القيس كينف في انكلترا انوال الحياكة سنة ١٧٨٧

ذكر الورق لاول مرة استعمال القرعة بمبلغ من الدراهم سنة ١٦٣٠

اختراع روجربا كون النظارة المكبرة في انكلترا سنة ١٢٦٠

اكتشف (ماموث)^(٢) في سيبريا سنة ١٨٠٦

اختراع انكيسندار الخرائط والكرات سنة ١٦٠٠ ق م

برد اختراع الورق المعروف بالرخامي الى احد الجرمانيين في القرن السابع عشر

استعمل الكبريت لاول مرة سنة ١٨٢٩

اختراع امكرسكوب^(٣) لاول مرة في جرمانيا سنة ١٦٢١

أسس اول دير في العالم حيث اعتزلت الراهبة انطوني^(٤) سنة ٢٧٠ واول دير في

فرنسا اسمه القدس مارتين سنة ٣٦٠

اختراع الاراحد الهنود في انكلترا سنة ١٥٩٨

«١» عزني ايضاً هذا الاختراع الى الفينيقيين

(٢) ذو حيوان ضخم جداً يقال انه اضخم حيوان عرف على وجه البسيطة

(٣) المكرسكوب هو المجهر وقد اختراع المزودج سنة ١٦٢٤ والشمسي سنة ١٧٤٠

(٤) بعـ قسططين الرابع الى عدد كبير من رهبان انفس وراهابتها يأمرهم

بابدال ملابسهم السوداء بملابس يضاء وبنبد عاداتهم وتصوراتهم وطقوسهم الدينية

الا انهم رفضوا امره رفضاً ولذا كان امرهم يعينهم ونفهم وطردهم وقد باع عدة

اديار من اديارهم وقبض ثمنها وانفقها في جملة ما انفق على شهوته وملذاته وعجرفته

وكبريائه .

ولم يقتصر اضطهاد اولئك المساكين المنصرفين الى عبادة خالقهم على ذلك فقط

بل ان مجلس الحكومة والامة اصدر قراره يومئذ بقهرهم واذا لاهم وطردهم

اخترعت علامات الموسيقى سنة ١٠٧ ونقحت سنة ١٣٣٠ وطبعت سنة ١٥٠٢
أسس جوزف سميث الديانة المورمنية ^(١) في سنة ١٨٣٠
اول نسخة جريدة طبعت في الغرب سنة ١٤٩٤ . واول جريدة يومية ظهرت سنة
١٦١٥ اسمها فرنكفورت واول جريدة انكليزية صدرت سنة ١٦٢٢ دعيت اخبار
الاسبوع واول اعلان ظهر في سنة ١٦٤٨ واول جريدة اميركية طبعت في بوسطن
(ماس) سنة ١٦٩٠ اسمها (حوادث الجمهور) واول جريدة يومية في الولايات المتحدة
أنشئت في بنسلفانيا سنة ١٧٨٤ اسمها (بنسلفانيا باكت) واول جريدة سيارة في اميركا
أنشئت في ١٥ ايار سنة ١٧٧٥

اخترع الارغن سنة ٧٥٥

أسست جامعة اكسفورد في انكلترا سنة ٨٨٦ وهي الاولى من نوعها

يرد عهد الدهن الى زمن نينوس حوالي سنة ٢٠٠٠ ق م

صنعت الاوراق المالية لأول مرة في اميركا سنة ١٧٤٠

صنع الورق من الخرق في مصر سنة ١٠٨٥ وفي الصين من الحرير سنة ١٢٠ ق م

اخترع الرق ^(٢) اطاليوس ملك برغامه سنة ٨٨٧

منعت شريعة حصر الامتياز لأول مرة في الولايات المتحدة في ١٥ نيسان سنة ١٧٩٠

ادخلت صناعة الترصيف الى باريس لأول مرة سنة ١١٨٥

اخترع فن ترصيع اللؤلؤ سنة ١٦٨٦

استعمل (الريش) اقلاماً للكتابة لأول مرة سنة ٦٣٥

أسس فيلادلفيا ^(٣) وليم بن سنة ١٦٨٢

(١) المورمن شيعة من شيع النصرانية مقيمة في يوتا احدى الولايات المتحدة ولم
هيكل بعد انهم واضخم ما شيد من نوعه في هذه البلاد . وهم يعتقدون بتعدد الزوجات
حتى ان الكثيرين منهم تزوجوا بأكثر من عشر زوجات . وقد قام وقعد لهذا الاعتقاد
ولاسيما للعمل به الشعب الاميركي الراقى واخطر مجلس الامة الى سن شريعة تحظر
عملهم بذلك الاعتقاد . ولهذا السبب ترى حكومة الولايات المتحدة تمنع دخول كل مهاجر
قائل وعامل بتعدد الزوجات الى بلادها

(٢) الرق نوع من الجلد استعمله القدماء للتدوين

(٣) فيلادلفيا ثالث مدينة في الولايات المتحدة بعدد السكان وثامن مدينة في العالم

- اخترع الفونوغراف ^(١) توماس ادسن سنة ١٨٧٧
 صنع الفوسفور لأول مرة سنة ١٦٧٧
 بوشنر بغن التصوير لأول مرة في انكلترا سنة ١٨٠٢ وأتقن في سنة ١٨٤١
 اخترعت الأخله ^(٢) لأول مرة في فرنسا وقد استجلبتها كاترينا هاورد ^(٣) واستعملتها
 لأول مرة في انكلترا وقد صنعت في المصانع الاميركية لأول مرة سنة ١٨٣٢
 صبت الغلايين المصفحة بالرصاص لأول مرة سنة ١٥٣٩
 استعملت الطبائجات او القروود لأول مرة فرقة من الفرسان سنة ١٥٤٤
 صنع القير او الزفت والقطران من مقلع فحم لأول مرة في (برستول) سنة ١٧٧٩
 اخترع الدمام ^(٤) في باريس سنة ١٤٧٠
 رقيت صناعة الخزف السكسوني ^(٥) لأول مرة ١٧٦٧
 بنيت كوات المدافع في البوارج الحربية لأول مرة سنة ١٥٤٥
 أسس اول بريد ^(٦) بين فيينا وبروسيلس في سنة ١٥١٦
 اصلح (ودغود) صناعة الفحمار اصلاحا عظيماً لأول مرة سنة ١٧٦٣
 منح اكبر انجال العترة المالكة في انكلترا لقب أمير والس لأول مرة سنة ١٢٨٦

(١) سماء فقيه اللغة العربية الشيخ ابراهيم اليازجي (الحاكي) ودعاء صاحب المدي (الندي)

(٢) الأخله تجمع على خلال ويسمونه ايضاً دسار ومعناه (دبوس ابرة) وقد كان الفرنسيين والانكليز قبل اختراع الاخله يستعملون الأنترطة والشرج (البريم او الخرج) والكلاليب (الشربط المعدني المعقف) والسفايد الصغيرة المصوغة من الذهب والفضة والنحاس

(٣) كاترينا هاورد هي الملكة زوجة الملك هنري الثامن الذي تولى العرش الانكليزي في ٢٢ نيسان سنة ١٥٠٩ وهو الملك الحادي والعشرون من ملوك الانكليز اولهم الملك وليم الاول ابتداء ملكه في ١٤ تشرين الاول سنة ١٠٦٦

(٤) الخفص

(٥) السك. وفي هو الانكليزي

(٦) بوشنر بتأسيس البريد باطراد بين لندن وسائر بلدان انكلترا في سنة ١٦٣٥ وفي سنة ١٨٤٠ بوشنر باستعمال طوابع البريد فيها وفي سنة ١٨٤٦ في الولايات المتحدة

اخترعت الطباعة ^(١) سنة ١٤٤١

ابتدأ الاصلاح الديني في جرمانيا سنة ١٥١٧ وفي انكلترا سنة ٥٣٢
يرجع تاريخ اختراع انوال الشرائط الحرارية الى ^(٢) القرن السابع عشر في جرمانيا
صنعت ملابس الملاحين لأول مرة في انكلترا سنة ١٥٩٠
افتتحت المدارس العمومية في الولايات المتحدة لأول مرة حوالي سنة ١٦٤٢
سار اول قطار حديدي ^(٣) للركاب في انكلترا في ٢٧ تشرين الاول

١٨٢٥

(١) يرد فن الطباعة الى زمان الاشوريين والبابليين ايام كانوا يطبعون كتاباتهم
على الواح صغيرة من الطفال اي الصلصال اما الطباعة الحديثة فقد عزي اختراعها
الى رجل يدعى فوست Faust في سنة ١٤٤١ ونسب ايضا الى آخر يقال له كاستر
Kaster. وانه اخترعها سنة ١٤٢٣ اي قبل ان اخترعها Faust بثانية
عشر عاماً وقد اذاع فن الطباعة رجل اسمه غوتنبرغ Cutenberg في
عام ١٤٥٤

وقد طبع Faust السابق الذكر وانسان آخر يدعى شوfer Schooffer
اول توراة في سنة ١٤٥٦ واول كتاب باللغة اللاتينية اسمه Psolter
سنة ١٤٧٧

وفي سنة ١٤٧٧ ادخل الى انكلترا احد التجار في لندن الطباعة الخشبية واول طبعة
انكليزية أنشئت في وستمنراي وبقيت حتى سنة ١٤٩٤

وفي سنة ١٥٣٥ طبع Guan Cabloa المكسيكي كتاب Exala
Espiritual وهو اول كتاب طبع في اميركا في سنة ١٥٣٥ وفي سنة ١٦٣٩ أنشئت
اول مطبعة في كمبودج الولايات المتحدة وفي سنة ١٦٢٦ ادخلت اليها الطباعة بالالوان
(٢) عزي ايضا هذا الاختراع الى اسوج

(٣) سار اول قطار للركاب في بلنيمور وارهايو الولايات المتحدة في ١٨٢٨ واول
قطار للشحن في كونس (ماس) في ١٨٢٦ واول قطار بخاري قطع ١٦ ميلاً من البني
الى سكيلتادي في ١٨٣٠ واول قطار للنوم في ١٨٣٠

وفي ١٦٦٢ اخترع الرجل وفي ١٧٠٥ منح الامتياز بآله نيوكمن البخارية وفي ١٧٧٣
انقنها جيس ووط الانكليزي وفي ١٧٢٩ اخترع اوليفر ايفنز الاميريكي آلة الضغط وفي

اخترع دولاب الغزل في برنسوك سنة ١٥٣٠
 اخترعت النظارة « العيونات » سنة ١٢٩٩
 اصلحت الانصاب في الولايات المتحدة لأول مرة سنة ١٨٧٣
 اخترع احد الفلمنكيين ^(١) آلة الف في لندن سنة ١٧٩٢
 قيل ان استعمال البرادع ^(٢) المعروفة اليوم يرجع الى سنة ٣٨٥
 اول استعمال قلمح الفسيخ ^(٣) يرد الى الهولانديين وقيل ان اول مخترع
 للنشار هوتايلوس الكاتب اليوناني ^(٤) صنع ملح البارود لأول مرة في انكلترا
 سنة ١٦٢٥
 ادخل الهودج ^(٥) الى انكلترا سنة ١٨٣٤

١٧٠٧ اخترعت انبوبة البخار في فرسا ثم زاد باقائها وما يتما من الآلات جانوتان
 هيولس الانكليزي في ١٧٣٦ ثم وليم هنري الاميركي في ١٧٦٣ ثم جيمس ريو مزج
 الاميركي في ١٧٨٦ ثم جان فيتش الاميركي في السنة نفسها
 وقد كلفت السكك الحديدية في الولايات المتحدة تسعة آلاف مليون دولار
 « ٩٠٠ ٠٠٠ ٠٠٠ ٠٠٠ » وكلف قطار الدرجة الاولى للركاب ٨٥٠٠ دولار وقطار
 النوم ١٥٠٠٠ دولار وبلغ معدل نفقات الخطوط الحديدية على مسافة ميل ٣٠٠٠٠
 دولار ومعدل ربح كل مركبة يومياً مئة دولار وثقل كل عجلة ٥٠ طناً اي ٢٠٠
 قنطار وقوتها تجر ٢٤٠٠ طن وبلغ اطول خط حديدي في الولايات المتحدة ٨٠٠٠
 ميل والخط الكندي الباسيفيكي هو اكثر امتداداً من سواء شرقاً وغرباً فهو ممتد من
 كوبك الى الاوقيانس الباسيفيكي واعلى قطر الولايات المتحدة قطار دنفر وريوكراند ونسبة
 قطر اوروبا الى قطر اميركا هي كنسبة قطر سورية الى قطر اوربا فقطر اميركا
 ارق قطر العالم بلا مدافع اليوم

(١) الفلمنكيون هم الهولانديون

(٢) البرادع تجمع على بردعة ومماها جلال او رحل او سرج

(٣) الفسيخ سمك يعرف بالرنك

(٤) عزري ايضاً هذا الاختراع الى دودليوس اليوناني بيد ان الاظهر ان مخترعها

هو تاليوس . قيل انه اخترعها بعد ان نشر قطعة حطب بفك حية

(٥) الهودج من مصنوعات العرب

أعطيت البراءة^(١) باستعمال آلة الخياطة لأول مرة في انكلترا سنة ١٧٥٥ واتقن هذه الآلة إيلياس هاوي الاميركي في سنة ١٨٤٦ وآلة الخياطة هي المعروفة عند العامة « بالملكة »

اخترع تيغوراهي سدس الدائرة^(٢) في اغنيبورع في سنة ١٥٥٠

صنع الصابون^(٣) في لندن لأول مرة سنة ١٥٢٤

ذكر السكر^(٤) لأول مرة الطيب بولس اغينتا سنة ٦٢٥

استعمل الفرار^(٥) لأول مرة سنة ١٥٤٠

اخترع كرخر اليسوعي البوق في سنة ١٦٥٢

اخترع احرف الطباعة الحديثة ولیم غد الصائغ في ايتنبرغ في ١٧٣٥

أسس المدارس الاحدية لأول مرة روبرت ريكس الانكليزي في انكلترا في ١٧٨١

اخترعت الساعات الشمسية في ٥٥٨ ق م وفي رومية في ٣٠٨ ق م

اخترعت الدباغة في ١٧٩٥

ادخل الامي الى اوربا لأول مرة في ١٦١٠ جلبه الهولنديون من الهند والهند

من الصين

استعمل الفرنسيون آلات البرق^(٦) لأول مرة في ١٧٩٤ والانكليزيون في ١٧٩٦

اول « تلفراف » سلك كهربائي امتحن بين مدينة تباديقن ودراتو انكلترا في ١٨٣٥^(٧)

« ١ » الامتياز

« ٢ » سدس الدائرة منزولة او آلة يتخذها الربان لرصد النجوم

« ٣ » قيل ان مخترع هذه الصناعة (غابولس)

« ٤ » مصدر السكر الصين ١٠ استخراج في صقلية عام ١١٤٨ وفي مديريا عام ١٤١٩

وفي جزائر كناري عام ١٥٠٣ وفي غربي الهند سنة ١٥١٠ وفي سنة ١٦٤١ محص في

باربادوس الهند واستجلب منها الى انكلترا سنة ١٥٦٩ وفي سنة ١٧٥١ زرع قصب

السكر في اميركا في نيواورلر وبنيت فيها اول مطحنة للسكر سنة ١٨٥٨

« ٥ » يقال له ايضا راووف وزئبق وهي مادة تلتصق على انقية الواح زجاجات المرايا

حتى تنكس الصور بواسطتها

« ٦ » اخترعت آلات السلك البرقي « التلفراف » في ١٦٨٧

« ٧ » في السنة ١٨٥٨ بها اخترع تلفراف مورس

اول تلغراف فخص في اميركا بين بلتي مور والعاصمة واشنطن في ١٨٤٤ واول رسالة برفقية ارسلت في هذه البلاد في ١٨٥١ من دونر الى كالي واول رسالة برفقية قطعت المحيط الاطلانتيكي في ١٨٥٨

عرض «الحامي» التلفون المدعو جرس كبراهام لاول مرة في معرض سينتسنيال فيلادلفيا في ١٨٧٥

اخترع اسحق نيوتن الفيلسوف المرقب في ١٦٩٠

صنعت الخيطان لاول مرة في معمل بيسلي ا-كوتلاندا في ١٧٢٢

اخترع الترمومتر^(١) دريبل الهولاندي في ١٦٢٠ وزاد بتخصيصه ريومر في ١٧٣٠

وفار نهيت في ١٧٤٩

اخترع الدكتور هيلس الموهوة^(٢) سنة ١٧٤٠

اخترعت الكنجمة حوالى ١٤٧٧ وادخلها الى انكلترا الملك كارلس الثاني

يرد اول دور من ادوار استعمال اوراق الخيطان^(٣) الى ا-بازيا وهولاندا ١٥٥٥ اما

الاوراق المخملية فقد استعملت اولاف في ١٦٢٠

استجلب الدخان^(٤) لاول مرة الى انكلترا من فرجينيا الولايات المتحدة في ١٥٨٣

اخترعت الساعات الحديثة في ١٤٧٧ في جرمانيا وادخلت لاول مرة الى انكلترا

في ١٥٧٧

قبل ان اختراع مطحنة الماء يرد الى عهد محاصرة الغوطيين لرومية في ٥٥٥ وان اخترعها

الاول هورجل اسمه بلساريوس

ذكر الدوارة^(٥) لاول مرة فيغريوفوريوس اليوناني وانها نصبت على رأس برج اثينا الذي

ناه فيرشس

اول جاب^(٦) للاموال رجل دعي صولون عاش سنة ٥٤٠ ق م

يوسف زخم

«١» الترمومتر ميزان الحرارة «٢» الموهوة آلة لتجديد الهواء «٣» اوراق الخيطان

بسنعملها الاميركيون لتزيين جدران منازلهم بدلاً من التكليل «٤» مصدر

الدخان كوبا «٥» الدوارة هي من نوع الدواليب المستعملة لآلة الآبار الارتوازية

«٦» جباية الاموال اقدم من عهد صولون اليوناني فقد كانت الاموال تنجى في

حدائق الاطفال ومدارسهم

كثبت احدى الملمات الفرنسيات مقالة في احسن الطرق لتربية الاولاد قالت فيها ان البداية بتعليم الطفل تكون على الغالب بتعليمه مبادئ القراءة خاصة والظاهر ان القراءة هي الوساطة الوحيدة لتثنيه جميع حواسه على حين فجأة . وقد شغل هذا الموضوع بال كثير من ارباب العقول وقام في سويسرا منذ نحو مئة سنة اثبات من رجال التربية الثقات احدهما بستالوزي في مدينة زوريخ والآخر الاب جيرارد في مدينة فييورغ ووضعوا موضع العمل طريقة جديدة من شأنها ان تربي عقل الطفل على ايسر وجه منذ ادراكه قال فيلون الاخلاقي الفرنسي ان ذكاء الطفل كلهيب شمعة يحرقها الريح وهي ابدآ في اهتزاز فالغاية اذا من التربية هو ان يمد ذاك اللهب بالمادة اللازمة بان يدفع هبة خفيفة لتساعده على الانبعاث على خطة مستقيمة عالية متوخين ان لا نطفئها بحركة سريعة منا بل الواجب كما قال بستالوزي ان نحسن تسليمك الطفل ونعفيه من النظر اليهم الى المدارك الصريحة واذا كانت بالحواس تحدث التأثيرات اقضى ان تقرب بين الطفل وبين الامور التي يتقضى عليه دراستها فيعلم معنى الالفاظ التي يتكلم بها على ما يجب وبضاف الى تعليم عقله تعليم عملي باليد وتعليمه هذا التعليم بين السادسة والعاشرة وقال غيره يجب ان يعني بالطفل لتثنيه احساسه منذ اول ادراكه لان الولد ليس هو في الحقيقة الا رجلاً ولكنه صغير . وقال آخر ان الولد اب الرجل وافضل الطرق في تعليمه كما قال فريبل ان يقرب من الطبيعة فيدرك رحمة الله ويتعلم قدرته وصنعه في الوجود ويحترم كل ما له حياة وذلك بان يعلم تربية بعض النباتات والنظر الى ما حوله فيعلم نفسه بنفسه كأن يعطى الولد كرات ومكعبات وعصياً واشكالاً ورسوماً واشياء يثنيها ويغفلها ولا سيما ما كان منها طبيعياً يعطى منها بحسب المواسم فيتناول زهراً في الربيع مثلاً وتفاحة في الخريف او الشاء او غير ذلك مما تنبت الارض في المواسم بابل وينتوى قبل عهد صولون بعدة قرون واذ من الطبيعي ان الاموال لم تجب آتئذ بدون اناس يجيئونها فكثير من الجباة قد سبقوا صولون بهذه الوظيفة التي كانت اصحابها ولا يزالون على الغالب - ائرين على طرق الظالمين والمستبدين في الشرق .

الاربعة فاذا كان تفاحاً يستصحب الولد الى السوق ويتابع وشرح له كيف نمت وكبرت وتوصف له الانتجار وجذوعها والاوراق والارض ثم تروم له تلك التفاحات وتقطع وتنتى ويجعل له منها مربى او تشوى له في الفرن ثم يذكر كيف يصنع العصير ويصفون له المركبة والحصان والسوط وغير هذا كل ذلك يرسم له على اللوح والولد يقلده ويشفع ذلك باغان واشعار متعلقة بالموضوع وتوسع المربية في شرح ذلك للطفل بدون ان تحيد عن الغاية الاصلية المطلوبة وبذلك يعمل عقل الطفل ويقلد في عمله فيجمع الى التربية العلمية والادبية التربية العملية لمعاينة الفنون والصناعات .

وقد انتشرت طريقة فرييل في التربية على هذا النحو في سويسرا والمانيا والبلجيكا وهولاندة والسويد وانكلترا وفرنسا واميركا ودخلت خصوصاً في دور اللقطاء والباثسين وأُسست في باريز مدرسة على هذا النمط انشأتها آنسة منعملة واخذت تربي الاطفال هذه التربية المعقولة جاعلة مع حدائق الاولاد دروساً تلقى عليهم بالعمل في حفظ الصحة وعلم النفس والكيمياء والنبات وتدير المنزل فجعلت محيط تلك المدرسة متناسباً مع ما يراه الطفل في بيت ابيه ليس فيه مافي صفوف المدارس من المناظر المدهشة مثل القماطر السود والمقاعد العالية بل فيها صور ونقوش وازهار وطيور واثاثها مناضد وكراسي صغيرة تناسب طول الطفل ومن الاولاد من يبقى طول النهار في المدرسة فيتنسول ادارتها ان تعلمه اموراً كثيرة في تدبير المنزل وتفرس فيه اصول النظام والنظافة وذلك بان تتركه مثلاً يعمل طعامه بنفسه حتى اذا رجع في المساء الى بيته وعمره في الخامسة على الغالب يلاحظ على والدته ان لا تطرح قشر البطاطا او قشر البيض بل ان تحفظها لتنظيف القناني والزجاجات وآخر يطلب الى والده ان يضع كل يوم بيومه اجرة المدرسة على حدة حتى تتجمع في آخر الاسبوع مخافة ان يجيئ يوم الدفع ولا يكون في البيت درهم لاداء قسط المدرسة وهكذا يتعلم الطفل تدبير البيت والاقتصاد المنزلي منذ يعي نلى نفسه ويغرسون فيه فكر الاحسان والعدل وحسن العشرة والالفة حتى لا يستوحش من الناس كما هي عادة الاطفال وهي عادة ضارة شائعة ويعلم قدر الصناعات وفكر الأسرة فتتبع فيه عزه النفس فلا يقول شيئاً لا يستطيع عمله ومنذ السنة الخامسة يرفض ان يلبسه ثيابه احد او يسرح شعره ويمشطه ويهدمه احد فيكون مسؤولاً عن عمله وتنمو فيه قوة الارادة والشعور بالنظر كما ينمو فيه الاحساس الديني والكمالي والاحترام والحشمة وبالجملة تربي فيه التربية قبل ان يهتم بالتعليم

فاذا خرج الطفل من هذه المدرسة ويدخلها وهو بعد الثانية من سنه في الغالب ويخرج منها بعد السابعة يحسن ان ينظم اموره لانه تعلم منذ نعومة اظفاره الطاعة والنصيحة فلا يصعب عليه متى دخل المدرسة ان يتلقى بقبول حسن ما يلقيه عليه معلمه او يفزع اذا جاء من بيته الى المدرسة الابتدائية مباشرة بل يكون بحسب سنه قد الف البحث والتفكير والنظر والتأمل في الالاتياء ويجمع معلوماته ويصل بينها برابط واحد وربما كانت بهذه الطريقة افكاره قليلة ولكنها الى الجلاء والوضوح اميل وفيها تسلسل معقول ويحسن الولد التفكير وحصر ذهنه وهو ما ينفعه عندما يجي دور تعليمه القراءة فلا يستصعبها ويميل منها بل تكون له ميسورة سهلة مريحة ويحصر ذهنه في موضوع يتعلم الولد الاهتمام بالاشياء المحيطة به او التي تمسه مباشرة فهو يعرف الوجود ويحبه ويقدر نعمه قدرها ويذكر صانعها وتكون قد تنهت حواسه وترقت وكذلك رغبته في النظر والمعرفة وبهذه الطريقة تقوى ارادته وتميز يده وبما يتعلمه من الهندسة الابتدائية العملية يقدر بذهنه الابعاد والخطوط ويسهل عليه النسب والرسم يتعلم نقل الصور المستعملة في البيت ويدرك بنفسه انه لا يستطيع ان ينقلها كما هي ويبحث عن طريقة توصله الى نقلها كما هي ويتعلم ملاحظة الاشكال وتقليدها وبذلك تترى عينه ويده في آن واحد ولا تسلك عما تحدث هذه الطريقة عندما يجي وقت الكتابة اذ تكون يده اعادت رسم الاشكال وما الحروف الاشكال ولكنها لاتنطق كالرسوم وعينه تساعد يده وكل واحد يرسم الحروف والكلمات التي يراها وهو يتعلم على هذه الطريقة بدون ان يفهم معناها وتعلم الكتابة لا يتم به عقله ولا جسمه بل يتعلمه كأنه يلعب ويرسم .

قالت الكاتبة فمدرسة حديثة الاطفال هي مدرسة التربية وعليها يصدق هذا التعريف: التربية هو الا وفانون وحياة .

قرطاجنة والعرب

بعث المسيو برتولون من المشتغلين بعلم تاريخ الانسان Anthropologie الى المجمع العلمي القرطاجني في تونس بمبحث بين فيه الفروق بين جماجم القرطاجنيين منذ ٢٤٠٠ سنة وجماجم التونسيين المعاصرين جاء فيه ان علماء الانسان يتوصلون الى درس الاخلاق الرئيسة لمعرفة سميزات عنصر من العناصر بالنظر اولاً الى قامات اهله فن اجناس الامم من يثقل عليها طول القامات مثل الايكوسيين والسويديين ومنهم من يكونون قصارها مثل اللابونيين والسارديين والصقليين ثم ينظر الى الوان البشرة والعيون والشعر وحجم الجماجم

والانف والعيون والوجه فيقدرون المقياس الاعلى بمئة ومن بلغ طول رأسه من ٧٠ الى ٨٦ كان معدوداً في طوال الوجوه ثم يقاس الطول مع العرض وتحري النسبة به بما وقد قاس في تونس مئة جمجمة قديمة جداً يظن انها من جماجم القرطاجيين من القرن الرابع قبل الميلاد و ٢٣ جمجمة حديثة من جماجم التونسيين فاستبان ان نساء القدماء يشبهن بتقاطيعهن نساء المحدثين الا قليلاً وان الاختلاف محسوس بين رجال اليوم ورجال امس وان العقول كانت واحدة في القرطاجيين والتونسيين وكان كثيرون من القرطاجيين طوال القامات ومميزاتهم كميزات قبائل الغرب العظمى المعروفة في التاريخ باسم النوميديين وثبت له ان سكان ضواحي تونس يشبهون اولئك القدماء في قاماتهم وان سكان قرطاجنة وتونس ظلوا متشابهين منذ القديم الى يومنا هذا على اطرأ عليهم من الطواريء السياسية وبعيد ان يكون قدماء القرطاجيين سفينيين لان الفينيقيين عرفوا بضيق جبهاتهم وكانت اواسط رؤوسهم منبسطة واستدل من حفريات مدافن صيدا ومن قياس هيكل عظام الملك ثابنت بن اشمونازار الذي وجد في احدى النواويس الصيداوية ان القرطاجيين لم يجهوا الفينيقيين بمجنسهم وان القرطاجيين اختلطوا باهل عنصر طويلة رؤوسهم وكذلك الحال في عيون الصيداويين انها كانت اكثر استدارة من عيون القرطاجيين وانوف الفينيقيين اصغر من انوف القرطاجيين وبذلك طهر ان سكان قرطاجنة (المستعمرة الفينيقية) في القرن الرابع لم يكونوا من عنصر يتيمة العصر الفينيقي وان سكان قرطاجنة من اصل العصر الذي انشأ المدينة في بجر ايجيه (الارخبيل) اي اجداد المدينة اليونانية كما استدل الباحثون في اصول مدينة شواوليء البحر الابيض ان هؤلاء الانريقيين القرطاجيين قد نفي فيهم الطواريء من الفينيقيين الذين حلوا ديارهم فكان اهل قرطاجنة فينيقيين ثم رومانين ثم عرباً قال: وعلى فرنسا ان تنظر الى ماتم في هذا السبيل من سبعة التونسيين انعيدهم الى صبغتها لان حكم العرب قد اتاهم بقانون سنة رعاة لرعيان فصعب تطبيق هذه الشريعة على مجتمعات ممدنة كالمجتمع القرطاجي ولذا انحط اي انحطاط عما كان عليه زمن الفتح الروماني . قال وان مبادئ التنظيم الذي بقيت آثاره الى اليوم في تونس مثل البلديات والصناعات وصناعة الخزف والبناء والهندسة ليست من اختراع العرب كما يقال بل هي بتايا من المدينة القديمة السابقة للاسلام فسدت على عهد الفاتحين واعمالهم العقيمة . قلنا ويمثل هذا المتعصب الفرنسي ممن يمدون اقلامهم بالسلم الزعاف ليكتبوا عن العرب جهلاً منهم او تجاهلاً ما يبرح استعمار فرنسا متأخراً عن غيره من الامم وسيراجع عمرانها لما قويت شافة الماحكين والسفطائيين من ابنائها

المقابر

البرجان

Les Borganes ou Varègues

من هم البرجان الذين كثر ذكرهم في كتب العرب التاريخية القديمة وما سمعهم باللغة الفرنجية ؟ هذا سؤال يجب ان يقف على جوابه كل من يهتم بالاطلاع على اخبار الاقدمين والامم السالفة . فأقول : اذا اردنا الوضوح في هذه المسألة يجدر بنا ان نقسم البحث الى ثلاثة اقسام وهي : قسم نذكر فيه كلام مؤرخي العرب او مشاهيرهم . وقسم نذكر فيه آراء لغويي العرب وقسم نأتي فيه على ما صرح به علماء الافرنج ومستشرقهم ثم نختم هذه الابواب الثلاثة بخاتمة تكون بمنزلة فصل الخطاب .

١ . القسم الاول كلام مؤرخي العرب او مشاهيرهم

اول من ذكر البرجان من جغرافي العرب هو اول مؤلف عربي صنف في وصف البلدان اعني به ابازيد احمد الباهلي صاحب « كتاب سورا الاقاليم » المتوفى ليلة السبت لتسعين من ذي القعدة سنة ٣٢٢ هـ (= ٩٣٣ م) تسمى في الثاني ٩٣٣ م) اذ يقول : « امام ملكة الاسلام فان شرقها (في عهد المؤلف) الهند وفارس . وغربها ملكة الروم وما يتصل بها من الارمن واللات والبرجان والسير والخرز والروس والمغار والصقالبة وطائفة من الترك . وشمالها ملكة الصين وما اتصل بها من بلاد الانترك ومنها بحر فارس » اه المطلوب من ايراد . وقال ابن خردادبة : « والعمل الثاني (من بلاد الروم) عمل تراقية وحده من المشرق السور ومن الجنوب عمل مقدونية ومن الغرب بلاد برجان ومن الشمال بحر الخزر » وقد

جاء في كتاب المسالك والممالك ذكر البرجان مراراً عديدة وكلها بهذا المعنى
وقال ابن الفقيه في كتاب البلدان : « واليهما (اي الى الري) تقع تجارات ارمينية
واذربيجان وخراسان والخرز . وبلاد برجان . » اه
واما البقعوبي فلم يعرض لذكرهم . وعن ضرب صفيّاً عن ذكرهم ايضاً الاصطخري
وابن حوقل والمتدسي وقدامة بن جعفر والبكري والبيروني

وقال ابن الوردي عن ارض البرجان ما حرفة : « هي ارض عظيمة واسعة بها من
البرجان ام لا تحصى وهي امة طاعية قاسية بلادهم واغلة في الشمال » ويقول عن ارض
البلغار لبين لك انها ليست ارض اولئك كما زعم ذلك بعض المتأخرين او المعاصرين :
« هي ارض واسعة ينتهي قصر النهار عند البلغار والروس في الشتاء الى ثلاث ساعات
ونصف ساعة . » قال الجواليقي : « ولقد شهدت ذلك عندهم فكان طول النهار عندهم
مقدار ما صلي اربع صلوات كل صلاة في عقيب الا - - ي مع الاذان وركعات فلائل
الاقامة والنسب . وعماراتها متصلة بعمارة الروم . وهم ام عظيمة ومدنيتهم تسمى بلغار
وهي مدينه عظيمة يخرج واصفها الى حد التكذيب . »

وقال الطبري (١٨٠ - من ولد يوان الصقالبة وبران) . (وفي ٢٢٩ : ١) . وملك (افريدون
ابنه) سلاً الروم والصقالبة والبرجان وما في حدود ذلك . (وفي ٩٠٠ : ١) . وانوشروان
غزى برجان ثم رجع فبنى الباب والابواب . (وفي ١٣١٧ : ٣) . وفي هذه السنة (اي سنة
٩٨) اغارت برجان على مسلمة بن عبد الملك وهو في قلة من الناس فامده سليمان بن عبد
الملك بمساعدة او عمرو بن قيس في جمع فمكرت بهم الصقالبة . ثم هزمهم الله بعد ان
قتلوا شراحيل بن عبدة . (وفي ٧٧٥ : ٣) . وقتل في هذه السنة (سنة ١٩٣) نفقور ملك الروم
في حرب برجان . (وفي ١٤٥٠ : ٣) . وقد كان اذن (ملك الروم في سنة ٢٤٦ هـ) لوفود
برجان وغيرهم ممن ورد عليه . اه

وقال المسعودي في كتاب التاج : « و - د - الاقليم الخامس بحر الشام الى اقصى ارض
الروم مما يلي البحر الى تراقية وبلاد برجان والصقالبة والابر الى حد ارض ياجوج
وماحوج . » وقال في موضع آخر من كتابه المذكور : ان السبب في ذلك (في انتصار
الملك قسطنطين على اعدائه) ظهور صليب له نوري في السماء في نوم في حال حربه مع
ملك برجان وانه قيل له : استنصر به على عدوك تنصر عليه . - اه .

وقال (في ص ١٤١) : وقد دخل كثير منهم (من الاجانب) في وقتنا هذا في

جملة الروم كدخول الارمن والبرغري وهم نوع من الصقالية والبيجناك من الانترك فتشعروا بهم كثيراً من حصونهم التي تلي الثغور السامية وجهلهم اذاء برجان وغيرهم من الامم المتأبدة بهم والمحيطه بملكهم ٠٠٠ وقد ذكرنا فيما سلف من كتبنا السبب في كيفية بناء القسطنطينية والنزاع في ذلك ٠ وقول من قال مارراء الخليج كان من ارض برجان فاحتال قسطنطين على ملك برحان لعله بالموضع وحصانه حتى اذن له في بناءها»

وقال (في ص ١٦٤) لحق (يسطينيانس) بملك الخزر مستنجداً به وتزوج هناك فلم يرعدهم مايجب فصار الى طرفلا ملك برجان ٠٠٠٠ وقد كان تهرط طرفلا ملك برجان اذا رجع الملك اليه ان يحمل اليه في كل سنة خراجاً وكان يفعل ذلك ٠٠٠

وقال (في ص ١٦٨) وكان مقتل تنغور في حرب كانت بينه وبين برجان في سنة ١٩٣ وقد اتينا على اخباره مع الرشيد وحروب ارجان وقائم اياه »

وقال (في ص ١٨٣) « وقد ذكر » خراسان المسمى الرومية مقرون بخس تفسير ذلك السور الطويل الحاجز بين بلاد برجان وبين البنود الخمسة التي وراء القسطنطينية ٠٠ » وقال « في ص ١٨٤ » وقرب من هذا الجبل « جبل القبق » من ايام كانلان والسريبر والخزر وجرزان والابجاز والصاربي وكشك والكاسكية وغيرهم والارو ورجان والروس والبرغر والافرنجة والصقالبة ٠٠

وقال « في ص ١٩١ » ومن جاوهر (اي الروم) من الممالك : من برجان والار والبرغر والصقالبة والخزر وغيرهم ٠٠٠

وقال (في ص ١٩٦) « وقد ذكرنا » ماجرى بين الروم وبرجان والبرغر والترك وغيرهم من الوقائع المشهورة والحروب المذكورة ٠٠

وقال المحدث في كتابه الآخر مروج الذهب : ٢ : ١٦ طبعة باريس) « وشن الغارات (اي ملك البرغر يريد البلغار) حولها (اي حول القسطنطينية) الى بلاد رومية والاندلس وارض برجان والجلالقة والافرنجة ٠٠٠ » وقال (في ص ٣١١ من ذلك الجزء) ٠٠ وقد كان له (اي قسطنطين الملك) في بناءها خبر طريف مع بعض ملوك برجان لحوف دخله من بعض ملوك آل ساسان ٠٠ » وقال (في ص ٣١٤) وكان السبب في دخول قسطنطين بن هلافي في دين الصراية والرغبة فيها ان قسطنطين خرج في بعض حروب برجان او غيرهم من الامم فكانت الحرب بينهم سجالاً فمحووا من سنة ٠٠٠ وقال (في ٦٦ : ٣) الافرنية والصقالبة والنوكبرد والاشبان والياجوج والماجوج

والترك والخزر ورحان واللان والجلائقة... وقال (في ص ٢٨) ولما اجتمع عليهم (على اهل الاندلس) من الامم من ولد يافث من الجلائقة ورحان وافرنبجة وغيرها من الالسن... وقال « (في ٣٨:٤) » عمل الترك لخان سبع مائة فرسخ في خمسمائة... « اي طوله... وعرضه... » عمل الخزر واللان سبع مائة فرسخ في خمسمائة فرسخ... عمل برحان ألف وخمسمائة فرسخ في ثلثمائة فرسخ... عمل الصقالبة ثلاثة آلاف وخمسمائة فرسخ في سبعمائة فرسخ... وقال « (في ١٣٤:٧) » وفي هذه السنة وهي سنة ٢٢٣ خرج توفيل بن ميخائيل ملك الروم في عساكره ومعه ملوك برحان والبرغر والصقالبة وغيرهم ممن جاؤهم من ملوك الامم حتى نزل مدينة زبطرة من الثغر الخزري وفتنهم بالسيف... »

وقال ابن رسته : الاقليم السادس : يبتدي من المشرق ويمر على بلاد ماجوح ثم على بلاد الخزر فيقطع بحر طبرستان الى بلاد الروم فيمر على جزازان واماسيا وهرقلة وخلفيذون والقسطنطينية وبلاد برجان وينتهي الى بحر المغرب .

الاقليم السابع : يبتدي من المشرق من شمال ماجوح ثم يمر على بلاد الترك ثم على سواحل بحر طبرستان مما يلي الشمال ثم يقطع بحر الروم فيمر ببلاد برجان والصقالبة وينتهي الى بحر المغرب .

واما ما وراء هذه الاقاليم الى تمام الموضع المسكون الذي عرفناه فانه يبتدي من المشرق من بلاد ماجوح ثم يمر على بلاد التبرغز وارض الترك ثم على بلاد اللان ثم على الابريز ثم على برجان والصقالبة وينتهي الى بحر المغرب .

وقال في موضع آخر : ومن هذه المدينة (اي رومية) تركب البحر فتسير ثلاثة اشهر حتى تنتهي الى بلاد ملك برجان وتسير منها في جبال وعقاب شهراً واحداً حتى تنتهي الى بلاد فرنبجة « اهـ .

وقال ياقوت : بران بالجم . بلد من نواحي الخزر . قال النجمون : هو في الاقليم السادس وطوله اربعون درجة وعرضه خمس واربعون درجة وكان المسلمون غزوه في ايام عثمان رضه . « اهـ .

وقال البلاخي في كتاب البدء والتاريخ (٦٤:١) سمعت قوماً من برجان يسمونه (اي الله) ادنوا . فسألهم عن اسم الصنم فقالوا : فغ . « وقال (في ٢٦:٣) فنهم (من اولاد يافث) الترك والخزر والصقالبة وبرجان واشبان وياجوج وماجوج ستة وثلاثون لساناً . « وقال (في ٥٣:٤) الاقليم السادس : يبتدي من المشرق فيمر على

بلاد باجوج وماجوج ثم على بلاد الخزر ثم على وسط بحر جرجان الى بلاد الروم فيمر على جرجان وهرقلة وقسطنطينية وبلاد برجان الى بحر المغرب . قال اهل هذا العلم : اما ماوراء هذه الاقاليم الى تمام الموضع السكون الذي عرفناه فانه يبيد من المشرق من بلاد باجوج وماجوج فيمر على بلاد التفرغز وارض الترك وعلى بلاد اللان ثم على بلاد برجان ثم على شمال الصقالية الى ان ينتهي الى بحر المغرب . « اهـ

وقال ابو الفداء في تقويم البلدان : برشان بضم الباء الموحدة وسكون الراء المهمله وفتح الشين المعجمة ثم الف ونون في الآخر . ويقال لها ايضا برحان بالجمع . كانت قاعدة البلاد . قال ابن سعيد : وبرشان كانت قاعدة قنالة الذين يقال لهم برجان وكان لهم شهرة وبأس في قديم الزمان فاستمرت عليهم الالمانية وابادهم حتى لم يبق منهم احد ولا بقي لهم اثر . « اهـ

وقال القرماني : برجان بلاد غائصة في جهة الشمال فيها قصر النهار الى اربع ساعات والليل الى عشرين ساعة وبالعكس واهلها مجوس . « اهـ . وقال عن بلغار : مدينة عظيمة (كذا والمراد هنا قاعدة البلغار) على ساحل بحرمانطس مبنية من خشب الصنوبر وسورها من خشب البلوط . وحولها من امم الترك ما لا يعد ولا يحصى . والبرد عندهم شديد جداً لا يكاد الثلج ان ينقطع عن ارضهم صيفاً وشتاءً . « اهـ .

وقال ابن الاثير في (٢٨٠ : ١) من طبعة مصر (ومن ولد يون (والاصح يون بالمشاة التحتية) الصقالية وبرجان والاشبان كانوا في القديم بأرض الروم قبل ان يقع فيها من وقع من ولد العيص بن ابيحق وغيرهم . وقال (في ١١٦) ثم ملك اسطينان (اي أسطينانس او إسطينان) المعروف بالآخرم تسع سنين ايام عبد الملك ثم خلفه الروم وخرموا انفه وحمل الى بعض الجزائر فهرب ولحق بملك الخزر واستجده فلم ينجده فانتقل الى ملك برحان . ثم ملك بعده لونطش ثلاث سنين ايام عبد الملك ثم ترك الملك وترهب . ثم ملك السمين المعروف بالطرسمي سبع سنين فقصدته اسطينان واهل برجان وجرى بينهما حروب كثيرة وظفر به اسطينان وحلعه وعاد الى ملكه فكان ذلك ايام الوليد بن عبد الملك واستقر اسطينان وكان قد شرط لملك برحان ان يحمل اليه خراجاً كل سنة فعسف الروم وقتل بها خاقاً كثيراً فاجتمعوا عليه وقتلوه فكان ملكه الثاني سنتين ونصفاً . « وقال (في ص ١١٧) وجرى بين تغفور وبين برحان حرب سنة ١٩٣ فقتل فيها . « اهـ . وقال (في ص ١٥٤) عن كسرى انوشروان عاد الى

المدائن وغزا البرجان ثم رجع وارسل جنده الى اليمن « ١٠٠ هـ ثم قال (في ص ١٥٥)
وقوي امره (اي انوشروان) وغزا فرغانة والبرجان وعاد فبنى مدينة الشابران « ١٠٠ هـ .
وقال (في ص ١٠٥) وفي هذه السنة (اي ٩١) فتحت مدينة الصقالبة وكان برجان
قد اغار على مسلمة بن عبد الملك وهو في قلة فكتب الى سليمان يستمد فأمدّه فمكرت
بهم الصقالبة ثم انهزموا « ١٠٠ هـ .

وانت ترى ان ما نقلناه هنا عن ابن الاثير يكاد يكون نص الطبري بعينه . ومثل
هذين النصين كلام ابن خلدون فلمذا اضرب صفحا عن ذكره . والى هنا انقأ انتهى
ما جمعناه من كتب اشهر المؤرخين واهل التخطيط وان كان ثم غير هؤلاء الا انهم
يعدون من النقلة لا من المصنفين الاصليين . وهذا يدل على سبب عدولنا عن ذكر
نصوصهم لاستغنائنا عنهم باقوال الكتاب الاقدمين اصحاب القدم الراجعة في هذا
الموضوع

٢ القسم الثاني نصوص لغويي العرب

قال الفيروز ابادي في القاموس : برجان كعثان : جنس من الروم . « وزاد السيد
المرتضى في تاج العروس : « يسمون كذلك قال الاعشى :

وهرفل يوم ذي سائيد ما من بني برجان في الباس رجع

يقول : هم رجع على بني برجان اي هم ارجع في القتال وشدة البأس منهم « ١٠٠ هـ .
وهذا الكلام كله هو نص ابن منظور بحرفه . وقد اخذه المرتضى عنه ولم ينبه عليه .
وقال ابن الوردي : البرجان امة بل ام طاغية مثلثون . بلادهم متوغلة في الشمال
وسيرهم منقطعة لبعدهم عنا وجفاء طباعهم « ١٠٠ هـ .

وقال في المغرب للجواليقي : برجان . اسم اعجمي وقد تكلم به العرب قال
الاعشى : « من بني برجان في الناس رجع »

وقال الجوهري في الصحاح :

« وهرفلاً يوم ذي سائيد ما من بني برجان ذي الباس رجع »

ولم يزد على هذا القدر مع اختلاف الرواية بينه وبين صاحب اللسان والتاج .

وقال المطرزي في المغرب : برجان جنس من الروم بلادهم قريبة من القسطنطينية
وبلاد الصقالبة قريبة منهم .

وقال صاحب الاوقيانوس : برجان على وزن عثمان اسم جنس من الروم وفي كتاب المغرب للمطرزي (ما ذكرناه آنفاً) وفي كتاب الخريدة لابن الوردي (ما نقلناه فوق هذا) ثم قال : وعليه فيؤخذ من هذا الكلام وعن سائر ماورد في كتب تخطيط البلدان ان برجان وبفدان هما بلاد وجيل معروفان بكونان وراء نهر الطونة . فمن المحتمل اذا ان تكون كلمة رحان مربة عن بوجاق (كذا . ويراد بيوجاق البلاد المعروفة باسم بسرائية) بل ولعل الارجح ان تكون برجان تعريب بفدان . اهـ تعريباً .

ومن الغريب ان القلقشندي الذي وضع كتاباً في الانساب وذكر انساب كثير من الاجيال والام والشعوب لم يتعرض لذكر البرجان . وعن اغفل التنويه بهم سائر اللغويين من العرب كصاحب الجهرة وتهذيب اللغة والمحيط والمجمل والمخصص والمحكم والجامع لديوان العرب والعباب واساس البلاغة والمصباح المنير وجمع البحرين ومطلع الليرين والبابوس الى آخر ما هناك .

واما صاحب محيط المحيط اي البستاني فانه نقل كلام المطرزي ولم يصرح باسم المنقول عنه . وصاحب اقرب الموارد لم يذكر البرجان بمعنى هذا الجبل من الناس . ونقف عند هذا الحد من ذكر نصوص اللغويين .

القسم الثالث رأي مستشرقين الافرنج

ذهب اغلب المستشرقين الى ان المراد بالبرجان : البلغار . وهذا لا يمكن ان يكون صحيحاً البتة كما سنتبينه في ذيل هذا القسم . كى ان بعضهم اتهموا الى ما في هذا التوحيد بين الفيلين من الغرابة والعمد لرؤيتهم كثيرين من كتاب العرب جمعوا في عبارة واحدة بين البرجان والبلغار وميزوا بين الجبلين تمييزاً دينياً فاستنتجوا ان القومين ليسا بواحد بل هما اثنان وان كانا في اغلب الاحايين متحالفين متفقين في الهجوم والدفاع وفي القتال والقراع .

على ان بعض الافرنج ذهبوا الى ان المراد بالبرجان في بعض عبارات الكتاب من العرب قوم يكونون في افرنجة (فرنسة) وهم المعروفون باسم البرجون او البرغون اي هم المعروفون باللغة الفرنسية باسم Bourguignons وهم محقون في ذلك . مثلاً ما قال المسعودي في عبارته (في ١٦ : ٢) وفي عبارته (في ٧٨ : ٣) فلا شك ان المراد بالبرجان

هناك البرجون والبرغون . وهذا النصيف قريب من البرجان فظن المؤلف الاول او ناسخ الكتاب ان البرجون والبرجان نبي واحد . والحال : ان الامر على خلاف ما يظن وان كان بين اللغتين تناسب في الاشتقاق . ولهذا فقد اصاب الفاضل بريبه دمينار *Barbiz de meynard* حينما ذكر هذه العبارة : « وبشن الغارات حولها الى بلاد رومية والاندلس وارض برجان والجلالقة والافرنجة » ان المراد بهؤلاء البرجان : *Les Bourguignons* لكنه لم يصب في قوله انهم البلغار في كلام المسعودي في ٦٦:٣ و ٧٨:٣ ثم ١٣٤ : ٤ ثم ٣٨٤ : ٤ فلو ذكرهم باسمهم البرجان كما فعل في ٢ : ٣١١ و ٢ : ٣١٠ لكن اولى . ولهذا فقد اصاب في مواطن واحطأ في مواطن أخرى .

واما العلامة دي كوي *M. de Goetze* فانه لم ينقل الى اللاتينية اسم البرجان كل مرة وردت في الطبري . واما في ترجمته لكتاب المسالك والممالك لابن خرداذبة فانه نقبا الى لفظة بلغار *Bulgare* في ص ١٠٥٩٢ و ٢٥٧١ واما في ٢٥٧١ و ٢٥٧٢ فقد ابقاها على لفظها « برجان » . كأنه قد اكتفى بما المع اليه وبان المراد من البرجان « البلغار » .

وقد صرح فريتاغ انه لا يعرف على التحقيق من هم هؤلاء المعروفون باسم البرجان . على انه في الآخر ذهب الى ان قولهم : اسرق من برجان « يراد بهم هؤلاء الاقوام . وقد قال في مستهل كلامه عن البرجان : برجان اسم لص اولدوص . وقد تابعه في هذا الوهم قزميرسكي . وقد وهم كلاهما . فان اللص المشهور باسم برجان هو غير جيل البرجان فاللص برجان كان من ناحية الكوفة . حلب لسرقته فسرق وهو مصلوب . وذلك انه قال لحافظه « مر الى تلك الحربة فان لي فيها مالا وانا احفظ برذونك . فلما غاب عنه قال لواحد من : «خذ البرذون فهو لك » (راجع فرائد اللال في مجمع الامثال ١ : ٢٩٣) واما برجان الآخرون فهم اقوام مجاورون للبلغار ويسواهم . وكانوا اهل غزوا لصوصا شأن سائر الناس في غابر العصور قبل العمران الحديث . ولهذا فقول فريتاغ وقزميرسكي انهم من اللصوص وهم ظاهر وخبط بين فليحفظ . هذا فضلا عن انك لا ترى واحدا من ابناء العرب ذهب الى ان اللص برجان هو من قوم البرجان . او ان البرجان هم اللصوص ومنه قولهم « اسرق من برجان » . كقولهم هم اسرق من قوم برجان .

والظاهر ان اول مستشرق ذهب الى ان البرجان هم البلغار العلامة كاتزمبر في الكتاب الذي نشره في باريس لمؤلفه رشيد الدين وترجمه الى اللغة الفرنسية مع

حواش نفيسة تزري بعقود الجمان . وقد رأيت هذا الكتاب مراراً عديدة في مكتبة الحاج علي الآكوشي من مبعوتي بغداد . وهو اليوم في الاستانة ومكتبته مغفلة لا يدخلها داخل ولو كان من اخص اقربائه . ولما كان مقام كاترمير من ارفع المقامات في العلم تابعه الكثيرون اعتماداً عليه . والبائن ان العلامة رينو *Beinaud* في ترجمته لكتاب نفويم البلدان تأليف ابي الفداء لم يقطع كل النقط برأي وطنيه كاترمير لانه ابقى كلمة برجان على حالتها في ص ٢٨٣ من الجزء الاول من المجلد الاول وفي ص ٣١٣ من ذلك الجزء بعينه . ثم قال مامعريه : « الظاهر كلمة » برجان « تعني بعض الاحيان » البلغار » المجاورين لنهر الطونة . راجع حواشي المسيو كاترمير على كتاب تاريخ رشيد الدين ص ٤٠٥ . وراجع ايضاً تصنيف المسيو دوصون في كلامه عن اقوام جبل قاف ص ٢٦٠ ومن المرجح ايضاً ان هذا الاسم يشمل الابر والدمرب . اه كلام رينو

فانت ترى انه لا يجزم بصحة هذا القول كل الجزم بل يذكره بكل تحفظ وتحرز لانه رأى انه اذا صح هذا التأويل في مواضع فهو لا يصح في عدة مواطن

واما اقوى براهين كاترمير على ان البرجان هم البلغار المجاورون لنهر الطونة هو هذا على ما تذكر « بقول المسعودي ان سثنين الثاني المسهور بالاخرم لاذ بتاوفيل ملك البرجان والحال ان كتبة اليونان يذكرون ذلك عن ملك البلغار اذن البرجان هم البلغار » اه كلام العلامة محصلاً بهناه . فاقول : نص المسعودي هو هذا : « وفي هذه السنة وهي سنة ٢٢٣ خروج توفيل بن ميخائيل ملك الروم في عساكره ومعهم ملوك برجان والبرغار والصقالبة وغيرهم » فيتضح من هذا الكلام ان البرجان غير البرغار او البلغار والا لما فرق بين اللفظين بل انهم قوم مخالفون للبرغار كما كان الصقالبة مخالفين لهم ايضاً واكتفاء اليونان بذكر البرغار فقط لا يدل على انه لم يكن معهم برجان وصقالبة بل انما ذهبوا الى ذكر البلغار اما لكثرتهم واما لشهرتهم واما لانهم اذا ذكروا البلغار فهم قراء اولئك الزمان حلفاء البلغار ايضاً البرجان والصقالبة او امل هناك سبباً آخر لا يصل الى معرفته عقلنا القاصر .

وكي كل حال فان كلام المسعودي صريح كل الصراحة ان البرجان قوم كانوا مع البلغار وليسوا اياهم . بل هم الذين نعتهم في كلامنا الآتي

واما آراء سائر المستشرقين فلا حاجة الى ذكرها لانه اذا كان مقدموم وزعماءهم على هذا التأويل فلا يبعد تأويل من جاء بعدهم واخذ عنهم بعداً يذكر ومن ثم تكون

أراؤهم منحصرة في ثلاثة آو يل فالأغلب يذهب الى انهم والبلغار جيل وم.م من يقول بان البرجان في بعض المواطن تفيد البرجون والبرغونيين والطائفة الاخرى تبي اللغة عتي وجها لانها لم ترهما موافقة لمعنى البلغار

عتي ان هناك مذهبا رابعا بل وحامسا لا ينسب او ينسبان الى واحد من المستشرقين بل الى عالم جليل من علماء الاتراك ولغويهم اريد به عاصم افندي صاحب الاوقيانوس ومترجم القاموس فانه يظن ان البرجان تعريب بوجاق ويرجح عليه كون اللفظة تعريب بغداد وكلا اللفظين وان كانا يتقاربان في الكتابة الا انهما يبتعدان كل الابتعاد في النطق والتلفظ هذا فضلا عن ان ابدال الحروف وسننه لا توافق كل الموافقة هذا التصحيف البعيد الوقوع الا بتكلف وتعمل واءات لا إعنات وراءه

٤ خاتمة النبذة وفيها ذكر رأينا

من قرأ بترو وتدبر ما كتبناه الى هـ وانعم النظر في الشواهد التي نزلناها عن كسبة العرب عتي اختلاف عصورهم يحكم حكما باتا بان البرجان غير البلغار وبالعكس واليك خلاصة ما قاله العرب عنهم مجموعة هنا :

البرجان جيل من الناس بلادهم عاصمة في جهة الشمال في قصر النهار الى اربع ساعات والليل الى عشرين ساعة . وبالعكس . واهلها مجوس طاعة بغاة قساة وسيرهم منقطة عناية بعدهم وجفاء طباعهم . وقد تنصروا في عصور النصرانية الاولى بعد ان غادروا بلادهم واقاموا بجوار البلغار من جهة وبقرى الصقالية من الجهة الاخرى وكانوا تارة مهادنين للبلغار ومواليهم ومحالفين . وطورا اعداءهم وهاجمين عليهم وغازين اياهم . شأن الجار للجار . فهذا كله لا يصح الا عتي الامة المعروفة عند الافرنج باسم *Varègues* ويقال فيها عندهم *Varangien* او *Variaque* كما ان العرب اخذوا هذه اللفظة عن اليونان وهم يكتبون الفاء الفارسية المثلثة الفوقية بأه واحدة تحمية سهل سبب تعاقب الفاء والباء . وانكته في الاصل *Varag* ومعناها «المنفي» او «الافاق» ثم توهموا فيها الافراد كما هو الامر حقيقة فجمعوها كتي فعلا فقلوا فيها «برجانا» كما قالوا في جمع ظهر «ظهرانا» .

والبرجان عتي التحقيق قوم افاقون اصل اغلبهم من اسكنديناوية ثم انضم اليهم اناس آخرون من عاصم راحرى كالروس والصقالية والأبر والسرب والبلغار فاجتمع

منهم امة قائمة بنفسها قاتلها الالمانيون فافنوها عن آخرها .

هذا ماظهر لنا على وجه التحقيق بعد ان طالعنا عدة مؤلفات عربية وافرنجية
وبعد ان وقفنا على آراء بوجودين Logodine وتلوتز Schiætzet
وحدعونوف Gédéonov وكستوماروف Kostomarov وهوفانسكي
Kovatsky وآتي بوه Ami Boué وكاتس Kanitz وليجه
Léger ودلاقلاي Ed. Laveleye وغيرهم .

وان كان لواحد من القراء ما يهدم رأينا بمعول براعيه فليأتنا به ونحن له من اعظم
الشكرين لان غايتنا البحث عن الحقيقة لا التمسك برأينا فتى ما رأينا وجهه الصريح
نسير للحال بضيائه . وقفنا الله الى مابه كل خير بغداد : ساتسنا

الفتوى في الاسلام

« نعمة ماورد في الجزئين الماضيين »

(حاجة المفتين الى معرفة المعلوم الرياضية)

ان هذه العلوم الجليلة — الرياضية — كان عني بها من سلفنا واثمتنا من لا يزال اسمه
كالبدر في السماوات ونظمه وآثاره مرجعاً لحل العويصات مثل الحافظ بن حبان صاحب
الصحيح وحجة الاسلام الغزالي ونظر الدين الرازي وولي الدين ابن خلدون والامام
ابن رشد وسيف الدين الآمدي والحارلي وابن عبد ربه وابن السلاخ وابي الصلت
الداني الاندلسي والرشيدي بن الزبير الاسواني والمبشر بن فاتك الاموي والشيخ السويدي
والفخر الفارسي والقطب المصري والموفق عبداللطيف البغدادي وابن البيطار وافضل
الدين الخونجي وشمس الدين الاصفهاني وابن النفيس والقطب الرازي والسيد الشرف
الجرجاني وسعد الدين التفتازاني وبدر الدين ابن جماعة وقاضي القضاة الهروي وعلاء
الدين البخاري وشهاب الدين ابن المجددي والتقي السبكي ومن لا يحصى من الائمة كما تراه
في طبقات الحكماء وفي حسن المحاضرة للسيوطي وسواهما من تواريخ الاعلام ووفيات
الاعيان وكثر من كان فيهم من القضاة والحفاظ والرواة والمتكلمين والمفتين العدول
الثقات ولو ضم اليهم غيرهم لبلغ مجلدات

كل من عني بهذه العلوم — الرياضية — علم مسيس الحاجة اليها وادرك موضع الكمال منها فراح يضرب منها بسهم ويمخوض منها في بحر

تخلل كتب الفقه مالا يحصى من فروع هذه العلوم وكم توقف القضاء والافتاء في النوازل الى الامام بهذه الفنون

اليس تحرير سميت التجلة بتوقف على معرفة اصول فن الميقات وكذا تحرير اوقات الصلوات في البلاد على معرفة عروضها واطوالها المتغيرة في علمها

وكذلك حسم المنازعات في مساحة قطع الارض او مقدار السقيان من الانهار والدمن بتوقف على فن الهندسة والمتايس

وهكذا التقاضي في وقف على بلد من بلاد دولة من الدول معينة ارتب في كون تلك البلد من حوزتها وحدودها يتوقف على علم الجغرافيا (تقويم البلدان) فانه يعلم دخولها في شرط الواقف او عدم دخولها

وهكذا افق من المحققين غير واحد ان لمن له معرفة بعلم هيئة الفلك ان يعمل بحسابه في صوم رمضان والفطر منه بل افق نقي الدين السبكي لما كان قاضي القضاة بدمشق في رسالة سماها (العلم المنشور في اثبات التهور) ان من شهد بروية الهلال في رمضان او ذي الحجة مثلا ودل الحساب على انه لا يمكن رؤيته ان تلك الشهادة ترد (قال) لان قبول الشهادة انما هو عند عدم الريبة ووجود الاحتمال اما مع القطع باستحالة الرؤية للبرهان الحلي في ذلك فلا تقبل تلك الشهادة وتحمل على الغلط او الكذب (قال) لانه اقوى من الريبة لانه مستحيل عادة ، وبين رحمه الله في هذه الرسالة ما يجب على القاضي من اثبات في ذلك وما ينبغي له من الامام بعلم الهيئة والميقات او تقليد من يثق به في ذلك ليكون على بصيرة مما يقبل من الشهادة في ذلك او يرد

ورساله هذه من انفس الرسائل المضمون بها

وبالجملة فحاجيات الفنون الرياضية في الافضية والاحكام وفي العبادات والمعاملات اوسع من ان يدخلها الحصر ولا عني للقاضي والمفتي عن الامام بها كما اوضحنا

(تحري المفتي في مسائل الطلاق المجمع عليه والاقوى دليلا)

بما يجب على كل مفت — بمعنييه الخالص والعام — ان يتحري ويتروى ويحفظ في مسائل الطلاق ما اجم على وقوعه او قوى الدليل فيه معقولا او منقولا واما التسرع

بالفتوى مجمل العصمة لمجرد قول غير مجمع عليه او المدرك في سواء او قول الصحب والتابعين رضوان الله عليهم على خلافه — هذا التسرع من الامور التي جرت الويلات على كثير من العائلات وكما افضت الى التحيل بما لا يرضاه الشارع ولا يلائم مع اصول ملة السمحاء ، ومن العجب ان صور الحلف بالطلاق وانواع التعاليق فيه التي افردت لها تأييد خاصة وافتحت بطون الاسفار لا ترى منها مسألة مرفوعة الى النبي صلى الله عليه وسلم ولا واقعة مأثورة عن الصحب رضوان الله عليهم لانها مما حدثت بعد قال شيخ الاسلام ابي الدين ابن تيمية في بعض فتاويه " لما احدث الحجاج بن يوسف تخليف الناس ما يمان اليمية وهو تخليف بالطلاق والعناق وتخليف باسم الله وصدة المال وقيل كان معها تخليف بالحج تكلم حينئذ التابعون ومن بعدهم في هذه الايمان وتكلموا في بعضها على ذلك فمنهم من قال اذا حنت بها لزمه ما التزمه ومنهم من قال لا يلزمه الا الطلاق والعناق ومنهم من قال بل هذا من جنس ايمان اهل الشرك لا يلزم بها شيء ومنهم من قال بل هي من ايمان المسلمين يلزم فيها ما يلزم في سائر ايمان المسلمين واتبع هؤلاء ما نقل في هذا الجنس عن الصحابة وما دل عليه الكتاب والسنة (قال) كما بسط في موضع آخر

وبالجملة فاهم مسائل للطلاق الآن مسألة الحلف به وبالحرمان . والتعليق عليه . وطلاق السكران . وطلاق الغضبان . وجمع الثلاث في كلمة دفعة واحدة . والطلاق في الحيض . وبندرج تحت كل صدر شتى يرى الواقف على مذاهب السلف فيها اقوالاً وفتاوى عديدة وقد أسلفنا ما اتفق عليه كلام المحققين من وجوب التحري في المسائل المختلف فيها وبذل لتوسع في مسألة القوانين لترجيح احدها

وبما يعين المفتي على الترجيح الصحيح مراجعته الكتب التي جمعت اقوال السلف في هذه المسائل وهي المحلى لابن حزم وفتاوى ابن تيمية وكتاب اقامة الدليل على بطلان التحيل له ايضا واغاثة اللهمان الكرى لابن القيم واغاثة اللهمان الصغرى في طلاق الغضبان لابن القيم ايضا وزاد المعاد له ايضا وكذلك مراجعة كتب النوازل في فقه المالكية ومطولات كتب اصحاب الائمة نفعنا المولى بعلومهم والواقف عليها يجد من سماحة الاسلام ويسر الدين ورفع الحرج في هذا الباب ما يجعله كله السنة تنطق بحمده تعالى على هذه الرحمة

(حكم تولية طالب الافتاء)

هذا الحكم يعلم بالاولى مما ذكره في القضاء ومن احسن ما كتب فيه ماقاله الامام الماوردي — من كبار ائمة السانعية— في كتابه الاحكام السلطانية وعبارته :
فاما طالب القضاء وخطبة الولاة عليه فان كان من غير اهل الاجتهاد فيه كان تعرضه لطلبه محظوراً وصار بالطلب محجوراً

وان كان من اهله على الصفة التي يجوز معها نظره فله في طلبه ثلاثة احوال احدها ان يكون القضاء في غير مستحقه اما لنقض علمه واما لظهور جوره فيخطب القضاء دفعاً لمن لا يستحقه ليكون فيمن هو بالقضاء احق فهذا سائق لما تضمنه من دفع منكر ثم ينتظر فان كان اكثر قصده ازالة غير المستحق كان مأجوراً وان كان اكثر اختصاصه بالنظر فيه كان مباحاً

(والحالة الثانية) ان يكون القضاء في مستحقه ومن هو اهله ويريد ان يعزله عنه اما لعداوة بينهما واما ليجر بالقضاء الى نفسه نفعا فهذا الطلب محظور وهو بهذا الطلب محجور (والحال الثالثة) ان لا يكون في القضاء ناظر وهو خال من وال عليه فيراعي حاله في طلبه فان كان حاجته الى رزق القضاء المستحق في بيت المال كان طلبه مباحاً وان كان رغبة في اقامة الحق وخوفه ان يتعرض له غير مستحق كان طلبه مستحباً فان قصد بطلبه المباهاة والمنزلة فقد اختلف في كراهية ذلك مع الاتفاق على جوازه فكرهته طائفة لان طلب المباهاة والمنزلة في الدنيا مكروه قال الله تعالى « تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علواً في الارض ولا فساداً والعاقبة للمتقين »

وذهبت طائفة اخرى الى ان طلبه لذلك غير مكروه لان طلب المنزلة مما ابيح وقد رغب نبي الله يوسف عليه السلام الى فرعون في الولاية فقال « اجعلني على خزائن الارض اني حفيظ عليم » طلب الولاية ووصف نفسه بما يستحقها به من قوله « اني حفيظ عليم » وفيه تأويلان (احدهما) حفيظ لما استودعني عليم بما وليتني وهذا قول عبد الرحمن بن زيد (والثاني) انه حفيظ للحساب عليم بالالسن وهذا قول اسحق بن سفيان وخرج هذا القول عن حد التزكية لنفسه والمدح لما لانه كان لسبب دعا اليه انتهى

(اشتراط علم المولى باهلية من يوليه لصحة التولية)

قال الامام الماوردي : تمام الولاية معتبر باربعة شروط (احدها) معرفة المولى للمولى

بانه على الصفة التي يجوز ان يولى معها فان لم يعلم انه على الصفة التي تجوز معها تلك الولاية لم يصح تقليده (والشرط الثاني) معرفة المولى بما عليه المولى من استحقاق تلك الولاية بصفاته التي يصير بها مستحقاً لها وانه قد تقلدها وصار مستحقاً للاستنابة فيها ثم ذكر ثمة الشروط في تولية القضاء مما يدل على اعتبارها فيما هو دون تولية القضاء من الافتاء والتدريس والوعظ والارشاد والخطابة والامامة بالأولى والله در المستوعر الاكبر في قوله

وما سقطت يوماً من الدهر امة من الذل الا ان يسود دميمها
اذا ساد فيها بعد ذل ائيمها تصدى لها ذل وقد اديها
وما قادها للخير الا مجرب عليم باتجال الامور كريمها
وما كل ذي لب يعاش بفضله ولكن لتدبير الامور حكيمها

وبالجملة فاعطاء كل ذي حق حقه ووضع الاشياء في مواضعها وتفويض الاعمال للقادرين عليها مما يوجب صيانة الحق ويشيد بناء العدل ويحفظ نظام الامور من الخلل ، ويشفي نفوس الامة من العلل ، وهذا مما تحكم به داهية العقل وهو عنوان الحكمة التي قامت بها السموات والارض وتبت بها نظام كل موجود ، وكل من تتبع تواريخ الامم وكان بصير القلب علم انه ما انقلب عرش مجدها الا لتفويض الاعمال لمن لا يحسن القيام عليها ويضع الاشياء في غير مواضعها « ان الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بانفسهم »

(حكم الانتراط في الفتوى ان تكون على مذهب معين)

يستفاد هذا مما اوضحه الامام الماوردي في الاحكام السلطانية في القضاء (قال) : ويجوز لمن اعتقد مذهب الشافعي رحمه الله ان يقلد القضاء من اعتقد مذهب ابي حنيفة لان للقاضي ان يجتهد برأيه في قضاء ولا يلزمه ان يقلد في النوازل والاحكام من اعتزى الى مذهبه . فاذا كان شافعيًا لم يلزمه المصير في احكامه الى اقاويل الشافعي حتى يؤديه اجتهاده اليها ، فان اداه اجتهاده الى الاخذ بقول ابي حنيفة عمل عليه واخذ به

وقد منع بعض الفقهاء من اعتزى الى مذهب ان يحكم بغيره لما يتوجه اليه من التهمة والمائلة في القضايا والاحكام واذا حكم بمذهب لا يتبعه كان انفي للتهمة وارضى للخصوم

(قال الماوردي) وهذا وان كانت السياسة تقتضيه فاحكام الشرع لا توجبه « لان التقليد فيها محذور والاجتهاد فيها مستحق »

« ثم قال » : فلو شرط المولي وهو حنفي او شافعي على من ولاه القضاء ان لا يحمك الالمذهب الشافعي او ابني حنيفة فهذا على ضربين « احدهما » ان يشترط ذلك عموماً في جميع الاحكام فهذا شرط باطل سواء كان موافقاً للمذهب المولي او مخالفاً له ، واما صحة الولاية فان لم يجعله شرطاً فيها واخرجه مخرج الأمر او مخرج النهي وقال : قد قلت لك القضاء فاحكم بمذهب الشافعي رحمه الله علي وجه الأمر او لا تحكم بمذهب ابني حنيفة علي وجه النهي كانت الولاية صحيحة والشرط ناسداً سواء تضمن أمراً او نهياً ، ويجوز ان يحكم بما اداه اليه اجتهاده سواء وافق شرطه او خالفه

فان اخرج ذلك مخرج الشرط في عقد الولاية فتال قد قلت لك القضاء علي ان لا تحكم فيه الالمذهب الشافعي او يقول ابني حنيفة كانت الولاية بائنة لانه عقدها علي شرط فاسد ، وقال اهل العراق تصح الولاية ويبطل الشرط ثم ذكر الضرب الثاني وفصل فيه فانظره وقال الامام ابو زيد الدبوسي — من اكابر اصحاب الامام ابني حنيفة رحمه الله — في كتاب تقويم الادلة في اواخر باب الاستحسان : وكان الناس في المصدر الاول اعني الصحابة والتابعين والصالحين رضوان الله عليهم اجمعين ينون امورهم على الحجة فكانوا يأخذون بالكسب ثم بالسنة ثم باقول من بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم ما يصح بالحجة فكان الرجل يأخذ بقول عمر رضي الله عنه في مسألة ثم يخافه بقول علي رضي الله عنه في مسألة اخرى ، وقد ظهر من اصحاب ابني حنيفة رحمهم الله انهم وافقوه مرة وخالفوه اخرى علي حسب ما تنضح لهم الحجة لم يكن المذهب في الشريعة عمرياً ولا علويّاً بل النسبة كانت ان رسول الله صلى الله عليه وسلم فقد كانوا قروناً اثني عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بالخير فكانوا يرون الحجة لا علماء هم ولا نفوسهم فلما ذهب النوى من عامة القرن الرابع وكسبوا عن طلب الحجج جعلوا علماء هم حجة واتبعوهم فصار بعضهم حنفيّاً وبعضهم مالكيّاً وبعضهم شافعيّاً ينصرون الحجة بالرجال وبتقديرون الصحة بالميلاد علي ذلك المذهب ثم كل قرن اتبع عانه كيف اصابه بلا تمييز حتى تبدلت السنن بالبدع فضل الحق بين الهوى اه كلام الامام ابني زيد والشيخ مقدمة مدهشة فليرجع اليها وقد نقل نحواً من ذلك شيخ الصوفية محيي الدين ابن عربي في الباب الثامن عشر وثلاثمائة من الفتوحات المكية في معرفة منزل نسخ الشريعة

المحمدية وغير المحمدية بالأغراض النفسية ثافانا الله وإياك من ذلك فليتدبر من يحب الانصاف

(الحسبة على المفتين وامثالهم)

قال الحافظ ابو نكر الخطيب البغدادي : ينبغي للامام ان يتصفح احوال المفتين فمن صلح للفتيا اقره ، ومن لا يصلح منعه ونهيه ان يعود وتوجهه بالعقوبة ان عاد ، وطريق الامام الى معرفة من يصلح للفتوى ان يسأل ثلما . وقته ويعتمد اخبار الموثوق بهم انتهى

وقال الامام الماوردي في الاحكام السلطانية : واذا وجد - المحتسب - من يتصدى لعلم الشرع وليس من اهله من فقيه او واعظ ولم يأمن اغتار الناس به في سوء تأويل او تحريف انكر عليه التصدي لما هو ليس من اهله وانظر امره لثلاث بغترة وقال ابن القيم : من افنى الناس وليس باهل للفتوى فهو آثم عاص ومن اقره من ولاية الامور على ذلك فهو آثم عاص قال ابو الفرج ابن الجوزي : ويؤثره ولي الامر منهم وهؤلاء بمنزلة من يدل الركب وليس له علم بالطريق وبمركبة من لا معرفة له بالطب وهو يطب الناس بل هؤلاء اسوأ حالا من هؤلاء كلهم واذا تعين على ولي الامر منع من لم يحسن الطب من مداواة المرضى فكيف بمن لم يعرف الكتاب والسنة ولم يتفقه في الدين « قال » وكان شيخنا شديد الانكار على هؤلاء فسمعته يقول : قال لي بعض هؤلاء : اجعلت محتسبا على الفتوى : فقلت له : يكون على الخبازين والطباخين محتسب ولا يكون على الفتوى محتسب انتهى

(دلالة العالم للمستفتي على غيره)

قال ابن القيم : هذا موضع خطر جداً فليتنظر الرجل الى من يدل عليه وليتق الله فانه اما معين على الاتم والعدوان واما معين على البر والقوى وقد سأل الحافظ ابو داود - صاحب السنن - الامام احمد عن رجل يسأله عن مسألة فيدله على من يسأله فقال : اذا كان يعني الذي ارشده اليه متبهاً وبقي بالسنة :

وذكر بعد ورقات ان اذا علم ان السائل يدور على من يفتيه بغرضه في تلك المسألة فيعمل استفثاءه تنفيذاً لغرضه لاتعبد الله باداء حقه فلا بد ان يدلّه على غرضه اين كان بل ان علم المفتي فيها نصاً عن الله ورسوله فلا يسعه تركه الى غرض السائل وان

كانت من المسائل الاجتهادية ولم يترجح له قول لم يسغ له ان يترجح لغرض السائل
« وهذه المسألة جديرة بالمحافظة عليها » ويرجع الى ثمتها في كلامه

(هل يقول المفتي في المسألة قولان ونوادير في ذلك)

قال الامام ابن القيم في الاعلام : لا يجوز للمفتي تخيير السائل والتأويل في الاشكال
والخبرة بل عليه ان يبين بياناً مزبلاً للاشكال متضمناً تفصيل الخطاب ولا يكون كالمفتي
الذي سئل عن مسألة في الموارد فقال : يقسم بن الورثة على فرائض الله عز وجل :
وكتبه فلان

« وسئل آخر » عن صلاة الكسوف فقال : تصلي على حديث عائشة .

« وسئل آخر » عن مسألة من الزكاة فقال : اما اهل الايثار فيخرجون المال كله
واما غيرهم فيخرج القدر الواجب عليه .

« وسئل آخر » عن مسألة فقال : فيها قولان . ولم يزد

« قال ابو محمد ابن حزم » وكان عندنا مفت اذا سئل عن مسألة لا يفتي فيها حتى
يقدمه من يكتب فيكتب هو : جوابي فيها مثل جواب الشيخ . فقدر ان مفتين
اختلفا في جواب فكتب تحت جوابهما : جوابي مثل جواب الشيخين . فقبل له انهما
قد تناقضا فقال : وانا تناقضا كما تناقضا .

« قال ابن القيم » : وكان في زماننا رجل مشار اليه بالفتوى وهو مقدم في مذهبه
وكان نائب السلطان يرسل اليه في الفتاوى فيكتب : يجوز كذا او يصح كذا او يتعد كذا
بشرطه . فارسل اليه يقول : تأتينا فتاوى منك فيها : يجوز او يتعداه يصح
بشرطه نحن لانعلم شرطه . فاما ان تبين شرطه واما ان لا تكتب ذلك « قال » وسمعت
شيخنا — ابن تيمية — يقول : كل احد يحسن ان يفتي بهذا الشرط وهذا ليس بعلم ولا يقيد
سوى حيرة السائل ونسكده

(وكذلك) قول بعضهم في فتاوى : يرجع في ذلك الى رأي الحاكم : « قال »
فيا سبحان الله : لو كان الحاكم شريفاً واستباهه لما كان مرد احكام الله . رسوله الى رأيه
فضلا عن حكام زماننا والله المانع

« وسئل » بعضهم عن مسألة فقال : فيها خلاف : فقبل : كيف يعمل المفتي (فقال)
يخار له القاضي احد المذهبين

« قال ابو عمرو ابن الصلاح » كنت عند ابي السعادات ابن الاثير الجزري فحكى لي عن بعض المفتين انه سئل عن مسألة فقال : فيها قولان فأخذ يزري عليه وقال : هذا حيد عن الفتوى ولم يخلص السائل من عمايته ولم يأت بالمطلوب . وللبحث نعمة فابرجع اليه في كلامه رحمه الله

(اجناس الفتيا التي ترد على المفتين)

قال الامام ابن التيم في اعلام الموقعين : المفتي اذا سئل عن مسألة فاما ان يكون قصد السائل فيها معرفة حكم الله ورسوله ليس الا . واما ان يكون قصده معرفة ما قاله الامام الذي شهر المفتي نفسه باتباعه وتقليده دون غيره من الائمة ، واما ان يكون مقصوده معرفة ما ترجح عند ذلك المفتي وما يعتقده فيها لاعتقاده علمه ودينه وامانه فهو يرضى بتقليده هو وليس له غرض في تواضع لم' بعينه ، فهذه اجناس الفتيا التي ترد على المفتين

ففرض المفتي في القسم الاول ان يجيب بحكم الله ورسوله اذا عرفه وتيقنه لاسعه غير ذلك

واما في القسم الثاني فاذا عرف قول الامام بنفسه وسعه ان يخبر به ولا يحل له ان ينسب اليه القول ويطلق عليه انه قوله بمجرد ما يراه في بعض الكتب التي حفظها او طالعها من كلام المنتسبين اليه فانه قد اختلطت اقوال الائمة وفتاويهم باقوال المنتسبين اليهم واختياراتهم فليس كل ما في كتبهم منصوحاً عن الائمة بل كثير منه يخالف نصوصهم ، وكثير منهم لا نص لهم فيه ، وكثير منهم يخرج على فتاويهم ، وكثير منهم افتوا به بلفظه او بمعناه

فلا يحل لاحد ان يقول هذا قول فلان ومذهبه الا ان يعلم يقيناً انه قوله ومذهبه فما اعظم خطر المفتي واصعب مقامه بين يدي الله تعالى

واما القسم الثالث فانه يسعه ان يخبر المستفتي بما عنده في ذلك مما يغاب على ظنه انه الصواب بعد بذل جهده واستفراغ وسعه ومع هذا فلا يلزم المستفتي الاخذ بقوله وغايته انه يسوغ له الاخذ به ، فلينزل المفتي نفسه في منزلة من هذه المنازل الثلاث وليقم بواجبها فان الدين دين الله والله سبحانه لا يرد سائله عن كل ما افق به والله المستعان ولا يخفى ان في القسم الاول ينبغي للمفتي ان يفتي بلفظ النص بل هو اللازم ما يمكنه

فانه يتضمن الحكم والدليل مع البيان التام وقد كان هو - عمة الصحابة واصلمهم الذي يرجعون اليه وقد اسهب في ذلك بما لا يستغنى عنه فليراجع

(استمانة المفتي بمراجعة كتب المذاهب واختلاف الائمة)

في جمع الجوامع وشرحه « و » نرى « ان الشافعي ومالك وابا حنيفة والسفيانين »
 الثوري وابن عيينة « واحمد » ابن حنبل « والاوزاعي واسحق » ابن راهويه « وداد »
 الظاهري « وسائر ائمة المسلمين ^(١) على هدى مربيهم » في المقائد وغيرها وقال الـهـراني
 في الميزان وقد اجمعوا على انه لا يـحـى احد علما الا ان بحث عن منازع اقوال العلماء
 وعرف من اين احذوها من الكتاب والسنة : « وقال » ان الشريعة كالشجرة العظيمة
 المنتشرة واقوال علماها كالفروع والاغصان « وقال » ان الشريعة المطهرة جاءت شريعة
 سمحة واسعة شاملة قائمة بالاراقوال ائمة الهدى من هذه الامة المحمدية وان كلا منهم
 فيما هو عليه في نفسه على بصيرة من امره وعلى صراط مستقيم وان اختلافهم انما هو رحمة
 بالامة « وقال » نقلا عن الامام الزركشي في آخر كتاب « القواعد » له ما مثاله : ان
 مطلوب الشرع الوفاق ورد اسلاف اليه ما امكن كما عليه عمل الائمة من اهل الورع
 والتقوى كابي محمد الجويني واضرابه نازح صحت كتابه المحيط ولم يلتزم فيه المشي على
 مذهب معين انتهى ثم قال الشعراني ، وقد بلغنا انه كان يفتي الناس بالمذاهب الاربعة
 الشيخ الامام الفقيه المحدث المفسر الاصولي الشيخ عبد العزيز الديريني ^(٢) وشيخ الاسلام
 عز الدين ابن جماعة القندسي والشيخ العلامة الشيخ شهاب الدين البرلسي والشيخ علي
 التبنيني الضرير ، ونقل الشيخ الجلال السيوطي رحمه الله عن جماعة كثيرة من العلماء
 انهم كانوا يفتون الناس بالمذاهب الاربعة لاسيما العوام الذين لا يتقيدون بمذهب ولا يعرفون
 قواعده ولا نصوصه ويقولون حيث وافق فعل هؤلاء العوام قول عام فلا بأس به انتهى
 وذكر التاج السبكي في طبقات الشافعية في ترجمة امام الحرمين ما مثاله والامام لا يتقيد
 بالاشعري ولا بالشافعي لاسيما في البرهان وانما يتكلم الى حسب تأدية نظره واجتهاده :

« ١ » ومنهم ائمة السلالة الشافعية الذين حمل عنهم علم جم وفقه كبير وترى تسببتهم

في نيل الاوطار الامام الشوكاني وفي غيره ايضا

« ٢ » قال الشعراني بعد صنف - الديريني - كتاب الدرر المنتقطة في المسائل

المختلطة افتى فيها على المذاهب الاربعة

وذكر في ترجمة ابيه الحويسي انه كتب باسمه المحيط لم ينفيد فيه مذهب - وانه التزم ان يتف على مورد الاحاديث لا يذهبها ويتجنب - تناب العصية للمذاهب : كما قدمه الشيرازي . وذكر في ترجمة ابن جريان الحمد بين الاربعة -- ان جريروا بن خزيمه وابن نصر وابن المنذر كانوا يذهبون مع اجتهدهم المطلق وكان كل منهم مجتهداً مطلقاً لا يقلد احداً ولم من الاختيارات ما ذكره السبكي في تراجمهم وهذا باب يطول استقصاؤه وقد عد السيوطي في حسن المحاضرة من المجتهدين في مصر وحدها ما اثنى على السبعين فكيف بنهرها وكفى من هؤلاء انما كان يعني بما يؤيده اجتهاده وكان يتفق لكثير من هؤلاء وامثالهم من جمع الكتب المنوعة للاستفادة بما فيها ما يدعش وقد حكي السبكي في طبقاته في ترجمة الامام عبد السلام ابن بندار انه دخل الى بغداد من مصر ومعه عشرة جمال عليها كتب بالخطوط المنسوبة في فنون العلم^(١) قال الشيرازي ايضا : ان كل مقلد اطلع على عين الشريعة المطهرة - ادلتها - لا يؤمن بالثبوت بذهب واحد وربما لزم المذهب الاحوط في الدين . بلغة منه في السأمة . والى نحو ما ذكرناه اشار الامام الاعظم ابو حنيفة رضي الله عنه بقوله - ما جاء عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بابي هو وامي فعلى الرأس والعين وما جاء عن اصحابه فخذنا وما جاء عن غيرهم فهم رجال ونحن رجال . « ثم قال » اذا شئت ذلك فقل لكل مقلد ما يسمع عن العمل بقول غير امامه في مضايق الاحوال امتناعك هذا تعنت لا ورع لانيك تقول انما انتك تعنت انت سائر ائمة المسلمين على هدى من ربهم لا اعترف مذاهبهم من عين الشريعة « ثم قال » وكان الامام ابن عبد البر رحمه الله تعالى يقول : لم يلقنا من احد من الائمة انه امر اصحابه بالتزام مذهب معين لا يرى صحة خلافه بل يقول عنهم انهم يقر بهم الناس على الفتوى حمل بعضهم بعضا لانهم كلهم على هدى من ربهم « وكان » يقول ايضا . لم يلقنا في حديث صحيح ولا ضعيف ان رسول الله صلى الله عليه وسلم امر احداً من الامة بالتزام مذهب معين لا يرى خلافه وما اذلك الا لان كل مجتهد مصيب . « وكان » الزياتي من ائمة المالكية يقول : يجوز للمسلم كل من اهل المذاهب في النزائل . وقد اطال الشيرازي في هذا البحث واحاد القصد ان تسمع المتقي في مراعاة مذاهب الائمة واقوالهم مما يمينه على الاقوى والارجح في المازلة ، اذ ليس الحق وفقاً لمذهب او كتاب

(١) وما اضراب عنه انه كان يقف بالاعتزال ويتظاهر به حتى على باب نظام الملك - الوزير الشهير - فيقول لمن يستأذن عليه : قل ابو يوسف القروي في المعتزلي .

وبالجملة فلا سبيل للوقوف على الضالة المنشودة الا بتتبع مطاوي الكتب وخابيا الاسفار ،
 وبمقدار رفع المهمة في ذلك بمقدار زور الأفكار ، قال العلامة العطار في حواشيه على
 شرح جمع الجوامع ^(١) « من تأمل ما ذكره من تصدى لتراجم الائمة الاعلام علم انهم كانوا
 مع رسوخ قدمهم في العلوم الشرعية والاحكام الدينية لهم اطلاع عظيم على غيرها من
 العلوم واحاطة تامة بكلياتها وجزئياتها حتى في كتب المخالفين في العقائد والفروع يدل
 على ذلك النقل عنهم في كتبهم والتصدي لدفع شبههم واعجب من ذلك تجاوزهم الى
 النظر في كتب غير الاسلام ^(٢) » قال « فاني وقتت على مؤلف للقرافي ^(٣) رد فيه
 على اليهود شبهاً اوردوها على الملة الاسلامية لم يأت في الرد عليهم الا بنصوص التوراة
 وبقية الكتب السماوية حتى نظن الناظر في كتابه انه كان يحفظها عن ظهر قلب ثم هم
 مع ذلك ما اخلوا في تثقيف السنتهم وترقيق طباعهم من رقائق الاشعار والطائف
 المحاضرات ، « ثم قال » ومن نظر فيما انتهى اليه الحال في زمن وقعنا فيه علم ان نسبتنا
 اليهم كنسبة عامة زمانهم فان قصارى امرنا النقل عنهم بدون ان نخترع شيئاً من عند
 انفسنا ، وليتنا وصلنا الى هذه المرتبة بل اقتصرنا على النظر في كتب محصورة الفها
 المتأخرون المستمدون من كلامهم نكرها طول العمر ولا نطمح نفوسنا الى النظر في
 غيرها حتى كأن العلم انحصر في هذه الكتب فلزم من ذلك انه اذا ورد علينا سؤال من
 غوامض علم الكلام تخلصنا عنه بان هذا كلام الفلاسفة ولا ننظر فيه او مسألة اصولية
 قلنا لم نرها في جمع الجوامع فلا اصل لها او نكتة ادبية قلنا هذا من علوم اهل البطالة
 وهكذا فصار العذر اقمح من الذنب . واذا اجتمع جماعة منا في مجلس والمحاضرات مخاطبات
 العامة والحديث حديثهم ، فاذا جرى في المجلس نكتة ادبية ربما لا تنفعن لها وان نطقنا
 لها بالفتا في انكارها والاعراض عن قائلها ان كان مساوياً . وايدائه بشناعة القول ان

« ١ » صفحة ٢٢٥ جز ٢

« ٢ » وقد قال السبكي في طبقاته في ترجمة كمال الدين ابن يونس شارح التنبية —
 احد ائمة الشافعية — تبحر في جميع فنون العلم وتفرد بعلم الرباطي . وكان اعل القمة
 يقرؤون عليه التوراة والانجيل ويشرح لها هذين الكتابين شرحاً يعترفون انهم لا يجدون
 من يوضحها لهم مثله ، وكان اثير الدين الابهري — مؤلف ايساغوجي — يفضل ابن
 يونس على الغزالي انظر ترجمته رحم الله الجميع

« ٣ » طبع

كان ادبي ونسبناه الى عدم الحجة وقلة الادب ، واما اذا وقعت مسألة غامضة من اي علم كان عند ذلك نقوم التيامة وتكثر القالة ويتكدر المجلس وتمتلئ القلوب بالشغواء ونقص العيون على القذى ، فالرموق بنظر العامة الموسوم بما يسمى العلم اما ان يستتر بالسكوت حتى يقال ان الشيخ مستغرق او يهذب بما تمجده الادياع ، وننفر عنه الطبع ،
 « وقالوا سكرنا يجب الآله وما اسكر القوم الا القصع »

فانما الآن كما قال ابن الجوزي في مجلس وعظه ببغداد

« ما في الديار اخو وجد نزارحه حديث نجد ولا خل نجاره »

وهذه نقشة مصدور فتسأل الله السلامة واللطيف اه كلام العطار وموضع الاستشهاد منه تأسفه على الاختصار على ما في الايدي من الاسفار مع ان الدواء الناجع هو التقييد عما خبأته ايدي السلف من جواهر العلم ونفائس النوائد وبالله التوفيق

(اعراض المفتي عن المقلد الخميم)

المقلد هو الذي لا يصل فهمه الى درك الدليل او لا يريد ان يصل ، انعدته الفطرة عن اللحاق باولي العلم ، اوقع بالتخلف عن السباق مع ابطال النظر واقطاب الفهم ، فلما مانت قوته النظرية كان قصاره ان يتف مع قول مفتيه ، ويخرج من الكس الذي يسقيه ، فاذا تحمك بالدليل ، واخذ يخوض مع الابطال في القال والذيل ، دل على تطفله ، وفضوله وتمحله وتمديه طوره ، ومجاوزه قدره فلهذا يجب الاعراض عنه ، وان تحجب مخدرات المناظرة منه ولما ابتلي الائمة قديما بالمقلدة الماحكين ، وضمووا لدره جدلم توازن ، قال الامام حجة الاسلام ابو حامد الغزالي رضي الله عنه وارضاه في كتابه في فصل التفرقة^(١) وشرط المقلد ان يسكت ويسكت عنه لانه قاصر عن سلوك طريق الحجاج ولو كان اهلا له كان مستتبعا لا تابعا واماما لا مأموما ، فان حاض المقلد في الحاجة فذلك منه فضول ، والمشتغل به صار كضارب في حديد بارد ، وطالب لصلاح الفاسد « وهل يصلح العطار ما افسد الدهر اه وقال رضي الله عنه في « احياء علوم الدين » في الباب الرابع من ابواب العلم في مباحث المناظرة وتلبس المناظرين ما مثاله : اعلم ان هؤلاء قد يستدرجون الناس الى ذلك بان غرضنا من المناظرات المباحثة عن الحق لينضح فان الحق مطلوب والتعاون على النظر في العلم وتوارد الخواطر

مفيد ومؤثر هكذا كانت عادة الصحابة رضي الله عنهم في مشاوراتهم « ثم قال » ويطالعك على هذا التلبس ما اذكره وهو ان التعاون على طلب الحق من الدين ولكن له شروط وعلامات ثمان (الى ان قال) الثالث ان يكون المناظر مجتهداً يفتي برأيه لا بمذهب الشافعي وابي حنيفة وغيرها حتى اذا ظهر له الحق من مذهب ابي حنيفة ترك ما يوافق رأي الشافعي وافق بما ظهر له كما ان بفعله الصحابة رضي الله عنهم والائمة فلما من ليس له رتبة الاجتهاد وانما يفتي فيما يسأل عنه ناقلًا عن مذهب صاحبه فلو ظهر له ضعف مذهبه لم يتركه فاي فائدة له في المناظرة ومذهبه معلوم وما يشكل عليه يقول لعل عند صاحب مذهبي جواباً عن هذا فاني لست مستثلاً بالاجتهاد اهـ

وقال رضي الله عنه ايضاً في كتاب آداب تلاوة القرآن في اسباب مانع الفهم الاربعة ما مثله في الثاني (ثانيها) ان يكون مقلداً للمذهب سمي بالانقليد وجمد عليه وثبت في نفسه التعصب له بمجرد الاتباع للمسوع من غير وصول اليه ببصيرة ومساعدة فهذا شخص قيده معتنقه عن ان يجاوزه فلا يمكنه ان يخطئ بالله غير معتنقه فصار نظره موقوفاً على مسيرته ، فان لمع برق على بعد وبداء المعنى من الجاهل التي تبان معه حمل عليه شيطان التقليد حمله وقال كيف يخطئ هذا ببالك وهو حلال مع ما اباكك فيرى ان ذاك من مريد الشيطان فيبتاع منه ويتخبر من مثله ومثل هذا قات الصونية : ان العلم حجاب : وازادوا بالعلم العوائد التي استقر عليها اكثر الناس بمجرد التقليد او بمجرد كليات جدلية حررها المتدبرون للمذهب والقروها اليهم التبعين

وما اجمل قول الجاحل عليه الرحمة : ' المنقليد مرغوب منه في حجة العقل وهي عه في القرآن ، نصرته مد عكسوا الامور كما ترى ونقضوا المبادئ وذلك انا لانتك ان من نظر ويحس ونابل ووزن احق بالتبين وأولى بالحجة انتهى

(ما لي بالانقيبي اذا عرف الحق)

قل شيخ الاسلام ابن قيمية رحمه الله في كتاب الايمان . اتفق العلماء على انه اذا عرف الحق لا يميز بين تقليد احد في خلافه وانما اتزعوا في جواز التقليد للتأثر على الاستدلال وان كان عاجزاً عن اظهار الحق الذي يعلم فهذا يكون كمن عرف ان دين الاسلام حق وهو بين النصارت فاذا فعل ما يتدبر عليه من الحق لا يؤخذ بما يميز عنه

(١) من فصل للجاحظ مطبوع مع فصول له في الجزء الثاني من الكامل للبرد

واما ان كان المتبع للجهت عاجزاً عن معرفة الحق على التفصيل وقد فعل ما يقدر عليه مثله من الاجتهاد في التقليد فهذا لا يؤخذ ان اخطأ كما في القبله
واما ان قلد شخصاً دون نظيره بمجرد هوا ونصره يده ولسانه من غير علم ان معه الحق فهذا من اهل الجاهلية وان كان متبوعاً مصيباً لم يكن عمله صالحاً وان كان متبوعه مخطئاً كان آثماً وهو لاء من جنس مانع الزكاة ومن عبد الدينار والدرهم والقطيفة والخبيصة فان ذلك لما احب المال حباً منه عن عبادة الله وطاعته صار عبداً له وكذلك هؤلاء فيكون فيه شرك اصغر ولمن الوعيد بحسب ذلك وفي الحديث « ان يسير الرياء شرك » اه كلامه عليه الرحمة

(تورع الماقي عن التضييل والتكفير)

مما يزين العالم كبر عقله وشدة رزائمه وحصافة لبه ، وما يشينه ويذريه طيشه وحمقه وخفته وتسرع قراءه بذلك يهوي من حالي وان ناطح الجوزاء بعرفانه بحق او بغير حق فجفظ اللسان صيانة الانسان « وهل يكب الناس في النار على مناخرهم الا حصائد السنتهم »

قال حجة الاسلام الغزالي في « فيصل التفرقة » . اذا رأيت الفقيه الدي بضاعة مجرد الفقه ينحوض في التكفير والتضييل فاعرض عنه ولا تشغل به قلبك ولسانك فان التحدي بالعلوم غريزة في الطبع لا يصبر عنه الجهال ولاجله كثر الخلاف بين الناس ولو ينكث من الايدي من لا يدري لقل الخلاف بين الخلق^(١)

(وقال) رضي الله عنه ايضاً . واعلم انه لا تكفير في الفروع اصلا الا في مسألة واحدة وهي ان ينكر اصلاً دينياً علم من الرسول صلى الله عليه وسلم بالتواتر (ثم قال) ولو انكر ما ثبت باخبار الآحاد فلا يلزمه به الكفر ولو انكر ما ثبت بالاجماع فهذا فيه نظر لان معرفة كون الاجماع حجة قاطعة فيه غموض بعرفه المحصلون لعلم اصول الفقه وانكر النظام كون الاجماع حجة اصلا فصار كون الاجماع حجة مخذوماً فيه

« وقال ايضاً » ولا يلزم كفر المأولين ما داموا بلازمون قانون التأويل وكيف يلزم الكفر بالتأويل وما من فريق من اهل الاسلام الا وهو مضطر اليه
« وقال ايضاً » كأن كل واحد لا يرضى بما ذكره الخصم ولا يراه دليلاً قاطعاً وكيفما

(١) اقول هو بمعنى قول سقراط . لو سكت من لا يعلم لسقط الاختلاف

كان فلا ينبغي ان يكفر كل فريق خصمه
وكتابه رضي الله عنه هذا فيصل التفرقة مما بهم كل نبيه مراجعته ومطالعه فلم
يؤلف في موضوعه مثله

وقال الامام ابن حزم في الفصل^(١) في الكلام فيمن يكفر ولا يكفر ما مثاله :
اختلف الناس في هذا الباب الى ان قال وذبحت طائفة الى انه لا يكفر ولا يفسق
مسلم بقول قاله في اعتقاد او فنيا وان كل من اجتهد في شيء من ذلك فدان بما رأى انه
الحق فانه مأجور على كل حال ان اصاب الحق فاجران وان اخطأ فاجر واحد وهذا قول
ابن ابي ليلى وابي حنيفة والشافعي وسفيان الثوري وداود بن علي رضي الله عن جميعهم
وهو قول كل من عرفنا له قولاً في هذه المسألة من الصحابة رضي الله عنهم « الى ان
قال » والحق هو ان كل من ثبت له عقد الاسلام فانه لا يزول عنه الا بص او اجماع .
واما بالدعوى والافتراء فلا « الى ان قال » ، واما من كثر الناس بما تؤول اليه اقوالهم
خطأ لانه كذب لمي الحسم ونقول له ما لم يقل به وان لزمه فلم يحصل على غير التناقض
فقط والتناقض ليس كفراً
ولتمة البحث من نقائص العلم فليرجع اليها

(انقاء المفتي التسرع في دعوى الاجماع)

كثيراً ما يمر بمطالع كتب الفقه دعوى الاجماع في بعض المسائل او النوازل — ولا
سند له الا عدم العلم بالخالف فيأتي سير التقليد فينقله في اعتقاد انه يجمع عليه مع ان
الواجب عليه اما التفتيش جهده في سائر بطون الكتب الفروعية واسفار الخلاف حتى
يسقط على الحقيقة في دعوى الاجماع او يحذف كلمة الاجماع من نقله وعزوه فقد ظهر
فيما لا يحصى من المسائل المدعى فيها الاجماع ان وراءها حلقاً في مذاهب اخرى بل في
كتب منتشرة قد لا تخلو خزائنه عالم منها ، وما الطف قول شمس الدين الاصفهاني —
من كبار ائمة الماتعية — في شرح الحصول . الحق تعذر الاطلاع على الاجماع الا
اجماع الصحابة حيث كان المجمعون بهم العلماء منهم في قلة واما الآن وبعد انتشار
الاسلام وكثرة العلماء فلا مطمع للعلم به « قال » وهو اختيار « الامام » احمد مع
قرب عهده من الصحابة وقوة حفظه وشدة اطلاعه على الامور النقلية « قال » والمنصف

يعلم انه لاخبر له من الاجماع الا ما يجده مكتوباً في الكتب ومن البين ان لا يحصل الاطلاع عليه الا بالسمع . ثم او بقول اهل التواتر البين ولا سبيل الى ذلك الا في عصر الصحابة واما من بعدهم فلا انتهى كلام الاصفياني

وجه الانفاء والتورع في دعوى الاجماع في بعض الاحكام هو ان الاجماع على ما عرفه الاصوليون — اجتماع علماء المسلمين على حكم من الاحكام : ولذا قال شيخ الاسلام نبي الدين ابن تيمية : واما قول بعض الائمة كافتقار الائمة وغيرهم فليس حجة لازمة ولا اجماعاً بانفاق المسلمين بل قد ثبت عنهم رضي الله عنهم انهم نبهوا الناس عن تقليدهم وامروهم اذا رأوا قولاً في الكتاب او السنة اقوى من قولهم ان يأخذوا بما دل عليه الكتاب والسنة ويدعوا اقوالهم ولهذا كان الاكابر من اتباع الائمة الاربعة لا يزالون اذا ظهر لهم دلالة الكتاب والسنة على ما يخالف قول متبوعهم اتبعوا ذلك انتهى وفي معالم الاصول . اذا اتفق جماعة ولم يعلم لهم مخالف فليس اجماعاً قطعاً اذ لا يعلم ان الباني موافقون ولا يكفي عدم علم خلافهم فان الاجماع هو الوفاق لا عدم علم الخلاف انتهى وقال — حجة الاسلام الغزالي في كتابه « فيصل التفرقة بين الاسلام والزندقة » واما ما يستند الى الاجماع فدرك ذلك من انعمش الاشياء اذ شرطه ان يجتمع اهل الحل والعقد في صعيد واحد على امر واحد اتفاقاً بلافظ صريح ثم يستمر واعليه مرة عند قوم رالى انقراض العصر عند قوم ومن هذا علم حد الاجماع (وقال ايضاً) وانما يعرف ذلك — . راسع الاجماع — من مطالعة الكتب المصنفة في الاختلاف والاجماع للسلف ثم لا يحصل العلم في ذلك بمطالعة تصنيف ولا تصنيفين اذ لا يحصل تواتر الاجماع به (قال) وقد صنف ابو بكر الفارسي رحمه الله كتاباً في مسائل الاجماع وانكر عليه كثير منه وخواف في بعض تلك المسائل (قال) فاذن من خالف الاجماع ولم يثبت عنده بعد فهو جاهل مخطي وليس بمكذب فلا يمكن تكفيره والا . فتلال بمعركة التحقيق في هذا ليس بيسير انتهى كلام حجة الاسلام نفعتنا المولى بعلوه .

(المفتي والعالم بازاء من ينزهه بالالاقاب)

ان العالم لما اخذ الله عليه الصدع بالحق والامر بالمعروف والنهي عن المنكر وان لا يخاف في الله لومة لائم كان مرضاً من اعداء انفسهم وعبيد اهوائهم للشئان والبرز بالالاقاب قبرايم ان وجدوه يميل لاظر في الادلة على الاحكام والوقوف على ماخذ المذاهب

والاقوال وتحري الاقوال والاصح بدون تعصب لامام ولا تحزب لآخر نزوه
بالاجتهاد وسموه (مجتهداً) تنهما مع انه بذلك لم يقم الا بواجبه ، وان ابصروا ميله لعلوم
الحكمة والرياضيات وتشويقه لاختطاف ثمارها سموه (طبيعياً) وان رأوا حثه على البذل
والانفاق في سبيل الله ودعواه المومنين للعطف على البؤساء، لقبوه (اشتراكياً) وان
سموه بتكلم في الزيارة المشروعة وببهي عما حدث فيها او بتكلم على انواع الشرك المقررة
في السنة او يزجر عن الغلو في الصالحين دعوه (وهايلاً) ^(١) الى غير ذلك من افانين
اقوالهم ونبزم بالالقاب لكل من لا يماثلهم على ميولهم ولا يسايرهم على اهوائهم . ولم في
كل عصر تلقب جديد ونز مبتدع

العالم الحكيم لا يابه لهذه الالقاب اذا صدع بالحق ولا تحزنه بل يعبرها اذا صما لازمه
يجري على ما بوجه دينه ، و يفرضه عليه يقينه ، وهو ما يرضي ربه وخالفه تعالى فان
رضاء الناس غاية لا تدرك وانى للعاقل ارضاء اهواء متبانية ومتنازع متناقضة

ما الذ الالقاب التي اختلف على المصلح وهو ساع الى خير قومه وما اوجب الترحيب
بها والابتسام لها فان امامه من الانبياء ووارثهم ما يعز به ويسليه وكفى بهم اسوة وما
اصدق قول ورقة بن نوفل لابي صلى الله عليه وسلم : انه لم يأت احد بمثل ما جئت به
الا عودي : رواه البخاري

الثبات على تحمل المشاق والصبر الجميل من الواجبات المحتمة على كل داع الى حق
والصدقات التي يجدها البطل المقدم يجب ان تقابل بثبات الجأش وان تكون كلما تجددت
باعثة على تجدد القوى ومواصلة العمل والسير ولذلك قرن تعالى في كتابه الحكيم التواصي
بالحق بالتواصي بالصبر وصدق الله العظيم

(خوض بعض المفتين في انتفايق)

مسألة التلفيق من غرائب المسائل المحدثه المفرقة على القول بلزوم التذهب للعامي
وهو قول لا يعرفه السلف ولا ائمة الخلف وقد انفقت كلمتهم على ان العامي - لامذهب له
ومذهبه مذهب مفتيه .

(١) الوهابية طائفة مقلدة للامام احمد بن حنبل رضي الله عنه ولاصحابه وحاملي
فتحه في الاصول والفروع وقد بسط الكلام في شرح احوال العلامة الجبرتي مفتي مصر
في تاريخه وهو متداول ومطبوع مراراً

نرى الفقيه من القرون المتأخرة لو سئل عن رجل مسح بعض رأسه اقل من ربه في وضوءه ثم خرج منه دم وصلى يجيبك بان صلاته باطالة لان عبادته ملققة من مذهبين فخرج منها قول لا يقول به احد هذا قصارى جوابه في فتواه وبلغ علمه على دعواه مع انه لو فرض انها حدثت في القرون الاولى وسئل عنها ،فت سلفي لكان نظره في صحتها او سادها الى الدليل البحيح لها او الحاضر ولا يمكن ان ينصور ان يقول له : عملك هذا ملقق او هذا تلفيق وانما يأمره بالفعل او بالترك استدلالا او استدباطا فحسب ، ولذلك لم يسمع لفظ التلفيق في كتب الائمة لا في موطناتهم ولا في امهاتهم بل ولا في كتب اصحابهم ولا اصحاب اصحابهم ولا يبعد ان يكون حدوث البحث في التلفيق في القرن الخامس ايام اشد الثعصب والتحزب ودخلت السياسة في التذهب ، واضطر الفقهاء للاعتياش والارتياش الى التشدد في ذلك والتصلب ، فمسألة التلفيق اذن من مسائل الفروع ولا دخل لها في الاصول فان مسائل الاصول هي باحثه التي يستمد منها معرفة الاستنباط والاستنتاج مما لاجله سمي الاصول اصولا فمن اين ان بعد منها التلفيق الذي لم يخطر على بال احد في القرون الاولى ولا سمع به ،

اتسع امر التأليف في القرون المتأخرة وادخل في كل فن ما ليس منه بل امتلا مثل الفقه من الفرضيات أضعاف اضعاف الواقعات فلو وازنت بين اسلوب المتقدم والمتأخر في اي فن لدهشت من تباينهما عجباً فكانت كتب المتقدمين لا تخرج عن موضوع الفن قيد شبر حتى استنفج الأمر في التأليف وجرى من جرائه مانعا غير واحد من الحكماء وقد ألم بشيء من ذلك الناصي ابن خلدون في مقدمة تاريخه

والمقام لا يتسع لبسط هذا البحث الذي نتجازه امور عديدة لمعرفة منشأ من اختلاف السياسة ودخول عوائد الامة الغالبة على المغلوبة قسراً وتبدل المناحي والمطالب في توالي العلم والتوصل اليه فاختلفت جيد الكتب بغيره وتبدلت العادات بغيرها وصارت المراتب والمناصب وفقاً على هذا السبيل لانتال بغيره فتبعها ضرورة امر التأليف فجرى على سنتها ومنهجها وصار التذهب اصلاً راسخاً وتعددت لاجله الفرق الاسلامية كل يدسوا لاماً ورائده السياسة والزيادة فتشأ منشأ وتولد ماتولد بما لا عهد للعلم به بل بينه وبين سيرم الاول بعد المشرنين ؛ وف ذلك كله من دقق في فلسفة التاريخ واستقرأ قواعد الفاتحين واصول الدول واستكنه رجالها وحماية العصر والمصر في كل ملكة وجيل وقد بسطناه في مقالة خاصة والفصدان التاليف الذي يبحث عنه المأخرون

ينبغي للفتي اذا استفتي عن مسألة منه ان ينظر الى مأخذها من الكتاب والسنة او مدركها المعقول منها واما تسرعه الى القول بالملفيق بطلاناً او قبولاً فمدول عن مهيع السلف عليّ ان ما يسمونه بعد تنقيحاً بقطع النظر عما ذكرنا في شأنه راجع الى نوع الرخص التي يجب الله ان تؤتي وللشيخ مرعي الحنبلي — احد فقهاء الحنابلة المشاهير — رسالة في جواز التلفيق للعوام وهي رسالة نفيسة قال : لان العلماء نصوا عليّ ان العامة ليس لهم مذهب معين (قال) وقد قال غير واحد لا يلزم العامي ان يتذهب بمذهب معين كما لم يلزم في عصر اوائل الامة (قال) والذي اذهب اليه واختاره القول بجواز التقليد في التلفيق لا يقصد نتيج ذلك بل من حيث وقع ذلك اتفاقاً خصوصاً من العوام الذين لا يسعهم غير ذلك (الى ان قال) ولا يسع الناس غير هذا ويؤيده ان في عصر الصحابة والتابعين رضي الله تعالى عنهم مع كثرة مذاهبهم وتباينهم لم ينقل عن احد منهم انه قال لمن استفتاه الواجب عليك ان تراعي احكام مذهب من قلده، لثلاثاً اتفق في عبادتك بين مذهبين فاكثر بل كل من سئل منه عن مسألة افق السائل بما يراه مجزأ له العمل من غير فحص ولا تفصيل ولو كان ذلك لازماً لما اهتموا به خصوصاً مع كثرة تباين اقوالهم انتهى

وقال العلامة الدسوقي — من فقهاء المالكية في مصر — في حواشيه عليّ شرح خليل في بحث الفتوى من خطبة الكتاب ما مثاله وفي كتاب الشبرخيقي امتناع التلفيق والذي سمعناه من شيخنا نقلاً عن شيخه الصغير وغيره ان الصحيح جوازه وهو فسخة (قال الدسوقي) وبالجمله في التلفيق في العبادة الواحدة من مذهبين طريقان المنع وهو طريقة المصاروة والجواز وهو طريقة المغاربة ورجحت انتهى

وفال ابن الهمام في فتح القدير في كتاب ادب القاضي : المقلد له ان يقلد اي مجتهد شاء « ثم قال » : وانا لا ادري ما يتبع هذا « اي نتبع الرخص واخذ العامي في كل مسألة يقول مجتهد اخف عليه « من النقل او العقل ، وكون الانسان يتبع ما هو اخف عليّ نفسه من قول مجتهد مسوغ له الاجتهاد ما علمت من الشرع ذمه عليه وكان صلى الله عليه وسلم يجب ما خفف عن امته انتهى

نقول هذا اتفاقاً لمن يهوله امر التلفيق ويزعم ان الحكم بجوازه شيء لا نكر مع ان امامه من الافاضل ممن تكبرهم من قال بجوازه لابل من صححه ورجحه أما نحن فانا نرى الرجوع في مسائله الى سنة السلف والائمة في مثلها كما اوضحناه وبالله التوفيق

(ما يعمل المفتي اذا فحص اقوال الائمة)

ذكر 'بو عمر محمد بن يوسف الكندي في كتاب القضاة الذين ولوا قضاء مصر في تولية قضاء مصر لابراهيم بن الجراح سنة ٢٠٤ مأماله : عن عمر بن خالد قال : ما صحبت احدا من القضاة كابراهيم بن الجراح كنت اذا عملت له المحضر قرأت عليه اقام عنده ماشاء الله ان يقيم ويرى فيه رأيه فاذا اراد ان يقضي به دفعه لي لانشي منه سجلا فاجد في ظهره قال ابو حنيفة كذا وفي سطر قال ابن ليلى كذا وفي سطر آخر قال ابو يوسف كذا وقال مالك كذا ثم اجد على سطر منها علامة له كالخط فاعلم ان اختياره وقع على ذلك القول فانشي المسجل عليه انتهى وهكذا حتى المفتي ان ينظر في الواقعة الى اقوال الائمة ويفحصها وينتظر حتى اذا استبان له قوة احدها توكل على الله تعالى وافتي به والائمة باجمعهم لم يباذروا في النواز ، بذل الوسع حتى اجتمع من اقوالهم الكثير الطيب ووجد فيها الامثل فالامثل واعني بالتوازل ما تجد على عهدهم واما المأثور فما كان عن الصحب رضوان الله عنهم فكذلك يتخير فيه الامثل وما كان عن الحضرة النبوية فهناك فصل الخطاب والله الموفق

(نعمة الآداب في هذا الباب)

نختم هذا البحث الجليل بما جاء في الافئدة وترحه ^(١) في كتاب القضاء والفتيا مما لم نذكره قبل وعبارته مع شرحه
يحرم الحكم والفتيا بقول او وجه من غير نظر في الترجيح اجماعا ^(٢)
ويجب ان يعمل بموجب اعتقاده فيما له وعليه اجماعا قاله الشيخ ^(٣)
وينبغي ان يكون بصيرا بمكر الناس وخداعهم حذرا مما يصورونه في سوء الاتهم لئلا يوقعوه في المكروه
ويحرم تساهل مفت وتقليد معروف به (قال الشيخ) : لا يجوز استفادة الايمن
بفتي تعلم او عدل :

- (١) هو من اهم كتب الفروع عند الحنابلة ولا يستغني عنه مفت ولا قابض لسببه من الفروع ، لا يوجد في غيره جزى الله طابه وواقفه خيرا
- (٢) نقدم لنا هذا واعدناه تذكرا به لكثرة التساهل فيه
- (٣) يعني به شيخ الاسلام ابن تيمية رحمه الله

و يلزم المفتي تكرير النظر عند تكرار الواقعة وان حدث مالا قول فيه تكلم فيه حاكم ومجتهد ومفت

وينبغي للمفتي ان يشاور من عنده ممن يثق بعلمه الا ان يكون في ذلك افشاء سر السائل او تعريضه للاذى او مفسدة لبعض الحاضرين فيخفيه ازالة لذلك

ولا يلزم جواب مالا يمنه له السائل لقول علي — كما في البخاري — حدثوا الناس بما يعرفون اتريدون ان يكذب الله ورسوله وفي مقدمة مسلم عن ابن مسعود : ما انت بمحدث قوماً حديثاً لا تبلغه عقولهم الا كان فتنة لبعضهم

ولا يلزم جواب مالا نفع فيه لخبر احمد عن ابن عباس انه قال عن الصحابة : ما كانوا يسألون الا عما ينفعهم

وللمفتي قبول هدية لكن لا يفتيه بما يريد به مما لا يفتي به غيره والا حرم قبولها وللمفتي رد الفتيا ان خاف غائلتها او كان في البلد من يقوم مقامه في الفتيا والا لم يجز له ردها لتعينها عليه (والتعلم كذلك)

ومن قوي عنده مذهب غير امامه لظهور الدليل معه اتى به واعلم السائل ويجوز للمفتي العدول عن جواب المسؤل عنه الى ما هو انفع للسائل وللمفتي ان يدله على عوض ما منعه عنه وان ينهه على ما يجب الاحتراز عنه لان ذلك من قبيل الهداية لدفع المضار

واذا كان الحكم مستغرباً وطأ قبله ما هو كالمقدمة له وله الحلف على ثبوت الحكم احياناً لاية « قل اي وابي انه لحق » وآية « فرب السماء والارض انه لحق مثل ما انكم تنطقون » والسنة بذلك كثيرة وله ان يكذبك مع جواب من تقدمه بالفتيا اذا علم صواب جوابه فيقول : جوابي كذلك والجواب صحيح وبه اقول :

واذا مثل المفتي عن شرط واقف لم يفت بالزام العمل به حتى يعلم هل الشرط معمول به في الشرع او من الشروط التي لا تحمل مثل ان يشترط ان يصلي الصلوات في التربة المدفون بها الواقف ويدع المسجد او يذهب بها قديلاً او سرجاً لان ذلك محرم كما تقدم (لصاحب الاقتاع) في الجنائز^(١)

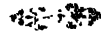
(١) في كتاب تفسير الوقوف على غوامض احكام الوقوف للامام المناوي في الفصل الثالث في الحوادث والواقعات من الكتاب الثاني قال (حادثة) بالشام في القرن السابع

ولا يجوز اطلاقه في الفتيا في اسم مشترك اجماعاً بل عليه التفصيل في الجواب ، فلو سئل المفتي هل له الاكل في رمضان بعد طلوع الفجر فلا بد ان يقول : يجوز بعد الفجر الأول لا الثاني . وارسل الامام ابو حنيفة الى ابي يوسف يسأله عن دفع ثوباً الى قمار فقصره وجعله له اجرة ان نادى وسلمه الى ربه وتال ابو حنيفة ان قال ابو يوسف نعم اولاً خطأ فظن ابو يوسف وقل ان قصره قبل حجوده فله الاجرة لانه قصره لربه وان قصره بعد حجوده لا اجرة له لانه قصره لنفسه . (ومأل) ابو الطيب الطبري قوماً من اصحابه عن بيع رجل تمر برطل تمر مقاولا يجوز فخطأهم فقالوا لا خطأهم فقال : ان تساريا كيلا جاز : فهذا يوضح خطأهم المطلق في كل ما يتعمل التفصيل ولا يجوز للمفتي ولا لغيره تتبع الحيل الخومة والمكرهه ولا مع الرخص لمن اراد نفعه فان تتبع ذلك فحق وحرر استفتاءه ، وان حسن قصد المفتي في حيلة جائزة لاشبهة فيها ولا مفسدة لتخلص المستفتي بها من حرج حاز

وللمستفتي العمل بمحظ المفتي وان لم يستمع الفتوى من لفظ اذا عرف انه خطه وحقيق بالمفتي ان يكثر من هذا الدعاء النبوي « اللهم رب جبريل وميكائيل واسرافيل وهوان تينما وقت وشروط على المؤذن ان يقيه بالتسبيح او اخر الليل على العادة (فاجاب) ان ثبوت تبعه بعضهم بان ذلك بدعة مكروهة باتفاق المسلمين وما كان مكروهاً لم يكن لاحد ان يأمر به ولا يعلق استحقاق الرزق به ولا يلزم فعله وان شرطه الواقفاه بحروفه وما اللطف ما لحسنه الامام ان القيم في اعلا الموقعين في شروط الواقفين بقوله بعد مقدمات : وبالجملة فشرط الواقف ارادة اقسام شروط محرمه في الشرع وشروط مكروهة لله تعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم وشروط تنضم ترك ما هو احب الى الله تعالى ورسوله وشرط تنضم فعل ما هو احب الى الله تعالى ورسوله ، فالاقسام الثلاثة الاول لاحرمه لما ولا اعتبار والقسم الرابع هو الشرط المتبع الواجب الاعتياد والله التوفيق ، وقد ابطال النبي صلى الله عليه وسلم هذه الشروط — الثلاثة — كلفه قوله : من عمل عملاً ليس عليه امرنا فهو رد وما رده رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يجوز لاحد اعتباره ولا الزامه ، ومن تظعن تفاصيل هذه الجملة التي هي من لوازم الايمان تخلص بها من آصار واغلال في الدنيا واثم وعقوبة وتدعى ثواب سيف الآخرة وبالله التوفيق : وذكر قل ان قولهم : شرط الواجب كنص الشارع : ليس على اطلاقه وانما ينزل في هذا التفصيل فالرجع الى تفصيله في الجزء الثالث من اعلام الموقعين

فاطر السموات والارض عالم الغيب والتسهادة انت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه
يختلفون اهدي لما اخلف فيه من الحق باذنك انك تهدي من تشاء الى صراط
مستقيم»

هذا ما يسر المولى بفضله جمعه من عدة مصنفات ، كما يظهر في العزو اليها في الاصل
او التعليقات ، والمقام جدير بالعلماء ، لذوي الدراية ، والله ولي الهداية ،
دمشق : جمال الدين القاسمي



أوغست كونت وفلسفته (١)

« تمهيد »

نبغ في فرنسا بعد تقص الاوضاع القديمة كثيرون من المفكرين الذين بحثوا في
نظريات الاجتماع وفي طبيعة هؤلاء النابغين الفيلسوف اغست كونت . وقد اختلف
الباحثون في مذهبه على مركزه الفلسفي فوضعه قوم بين ديمر وفوريه وقالوا بوحدة
آرائهم مع اعزافهم لكونت برجاجة العقل وتوفر المكتسبات الفنية وجعله آخرون بين
هيوم ولاينج وامثالهما فأخطأ الفريقان مركزه وغرأ الاولين ما راوه بين العارق التي
انتهجها الفلاسفة الثلاثة الى مقاصدهم من التتابة فتغلهم ذلك عن النظر في ضعف
الرابطه بين مرامي كونت الباحث في تجديد شروط الاتحاد الاجتماعي ومرامي
ديمروفوريه وانفرد كونت عمن سواه بمبدأه المشهور ان النظام الاجتماعي لا يمكن تغييره
الا اذا جعلت التصورات النظرية في الهيئات الاجتماعية حاضرة متأثير الفن وادجت
في ماسواها من المستبطات البشرية وهذه الخاصة تسح لكونت مجالاً بين فلاسفة
الاجتماع الناشئين في القرن الثامن عشر وتربطه بتورغوي ومونتسكيو وقوندوروسه
الذي كان كونت بدعوه بابيه الفلسفي وهو تصريح يكفي لاثبات ما نقول

يصعب علينا ان نلخص في هذه الصفحات فلسفة كونت المودعة في ستة مجلدات
ضخمة ولا سيما ان كتاب الغرب الذين اجالوا اقلامهم في الموضوع كثرت ميل
وغيره من درءا وفلسفة كونت عن كذب والفرا في انتقادها لم يوضحوا مذهبه ايضاحاً

يزيل اللبس والابهام ويوقف المطالع على حقائقه . ولم يكن بن من كتبوا في هذا البحث من أوضح انا كيف اقتبس كونت فلسفته من الرياضيات وما الذي دعاه الى تسييم المعلومات البشرية الى ستة فروع كبرى وكيف بدأت فلسفته بفكر رياضي فانتته بفكر اجتماعي . ولا يتسنى لانا ان نفهم حقيقة هذا الفيلسوف الا اذا درسنا ترجمته فنحن بادئون بها وصارون الى مذهبه الفلسفي

ترجمته

هو ايزيدور — اغست — ماري — فوانسوا قزاويه كونت (Conte) ولد في قصبة مون بيليه سنة ١٧٩٨ وكان والده يجيى الحراج في القصبة المذكورة وبعد ان اتم التحصيل الابتدائي في مدرستها دخل دار الفنون في باريس فامتاز فيها بعصيانته للقوة الرسمية الحاكمة واحترامه الديدل للكمال الخلقى والفكري . تباة الراسخ في توخي غايته ولم يطل مكثه فيها سوى سنتين رأس بعدها احتجاجاً على احد اساتذتها آل الى اخراجه من المدرسة فعاد الى موطنه حتى كانت سنة ١٨١٦ فأم باريس غير مكترث باعتراض والده الشديد واقام فيها يحصل قوته بالقاء دروس خاصة في الرياضيات وجعل همه تحدي بنيامين فرانكلين الذي كان يدعود سقراط زمانه في معيذته على انه امتاز عن جميع الفلاسفة بصلابة العزم والثبات على مبدأه فلم تلوه عنه حياة تبكي تعاسة وشقاء

وضاق به العيش في باريس فحدثته النفس بالمجرة الى اميركا وكان على وشك ان يؤمها لولا صدق نبي عزمه عن المهاجرة بجملة اوردها في عرض حديث تجاذبا اطرافه عن « الفكر العملي » في العالم الجديد فقال له صديقه ان لا كرنج (رياضي فرنساوي شهير) لو ذهب الى اميركا لم يجد عملاً يقوم بأوده سوى مسح الارضين . فعدل كونت عن السفر واقام في باريس يعالج الحياة المرة ويتبلغ بثمانين ليرة بنقاهاها زائلاً سنوياً من احدى المدارس التي انتدبته لتعليم الرياضيات حتى سعى له اصدقاؤه بوظيفة تدريس في دار المسيو كازيمير بويه المشهور فدخلها ووجد هناك اسباب الراحة والهاء غير ان المعيشة لم ترقه لحينه الى الحرية التي اضاعها فلم يستقر به المقام اكثر من ثلاثة اسابيع ودع بعدها مضيقه وعاد الى حاجته السابقة وقناعاته الفطرية وقد يكون الفقه في الشبيبة داعية الشر الا اذا كان الشاب الفقير متعلماً فتساعده الحاجة حينئذ

على ان يكون اميل الى الحقيقة منه الى الخيال

وسنة ١٨١٨ اتصل كونت بهنري دوسان سيمون ابن اخت الدوق دي سان سيمون المشهور وكان في عهده من كبار كتاب المذكرات السياسية فكان لهذا الاتصال تأثير شديد في نظريات كونت الفلسفية

كان سان سيمون يومئذ كونت في الستين من عمره ولم يكن ذا شهرة طائفة غير ان غرابته حياته واحواله الاجتماعية وافكاره السياسية تستوقف الانظار فقد قضى الرجل عمره ساعياً بماله من الملكية العتلية الرائعة لتطبيق خيالاته على حقائق الانبياء والتربية الفنية لم يكن لها اقل اثر في هذا الرجل لانه لم ينشأ عليها ولا شعر بلزومها بل ان كان خبيراً بالاتحاد الاجتماعي وله في السياسة المثبتة وترقي البشر كثير من الافكار الخطيرة ولكنه لم ينسأ بل محاذرة منطقية بل هي اشبه تخيلات الشعراء

هذا الفيلسوف القديم سيمون كونت فلم يستطع ان يفكر في حقيقته الا بعد ان فارقه حتى انه اتقه بالمخزق في حديث له بعد ان انتطعت اواسر ودهما ولم يستطع الا ان يعتبر بنفوذه عليه وتأثيره في تربية الفلسفية واشتدت وطأة التأثير على كونت حتى ناء بها وهذا نفسه يوم مغادته سيمون بخلم هذا النير عن عاتقه . وتعرف ما كان للفيلسوف الشيخ من اليد عند كونت من كتاب بحثه الاخير الى صديق له يقول فيه : ان سيمون اراني الحجة الفلسفية التي اسلكها فانا مطرد السير فيها كل عمري غير ملتفت الى ورائي وهذا الاعتراض السريع لا يحيط من قدر كونت ولا يناقض ارجحيته العقلية وتفوقه بدرجات على صديقه الشيخ ولا ينقص من قدره انه اخذ كثيراً من افكاره التي اقام عليها بناءه الفلسفي من افكار سيمون المضطربة وحلاصة القول انه لا يصح ان نعد كونت تلميذاً لسان سيمون ولا مقلداً له وكل ما في الأمر ان الشيخ اوقف صديقه الشاب على نقطتين مهمتين كان لما الا ان الاكبر في فلسفة الاخير اولاهما ان الحوادث السياسية هي كالحوادث الطبيعية يمكن جميعها ودربطها بقوانين مقرر وثانيتهما ان غرض الفلسفة الاصلية البحث في القضاء الاجتماعية فتناول كونت هذا المبدأ وتوسع في بسطه وترجيحه توسعاً لم ينتظر للشيخ في بال

دامت صحبة الرجلين ست سنوات ثم بدأت بالانحلال لما اوفر كونت من سلطة سيمون الثقيلة وما دخل على نفس الشيخ من القهر والحسد لما رأى ميرة الشاب عليه بمداركة ومواهبه وحدثت ثم حادثه قطعت العلائق التي رثت ووهت ولخصها ان سان سيمون

نشر كتاباً في الاجتماع انتحل فيه معظم أفكار كونت، لفه ففضب الأخير وأتاب صديقه عتاباً مرّاً ولم يكن سبيل للتوفيق بين الرجلين فكان فراقهما ابدياً

وتزوج كونت سنة ١٨٠٥ فزاد ذلك في أسباب تعاسته وشتائه لأن أسرته وهي شديد التعصب للملكية والكاثوليكية اغضبها زواجه المدني فأقلقته باحتجاجها إلا أن ذلك لم يمنعها من الاحتفاء بزوجها وشخص العروس إلى مون بيليه فأقاما فيها هنية سمعت الزوجة فيها عذبة القرية ذات النبق الواحد وبدأ نزاع انتهى بفراق الزوجين كما سيبي وتد كتب كونت إلى صديق مخلص في السنة الأولى بعد زواجه يقول: «إن الاحزان انغرفت في والها وحس استحوذت علي فاضطرت أن أفادي من سعادتي بجزء إذا لم يكن أعظم اجزائها فهو الذها واحلاها»

إنه الأفكار السامية في هذه البيئة الرديئة يحرك في النفوس واضع الدهمة والاعجاب ويحملها على احترام الفلاسوف الذي كان يقوم على تنشئتها والخلطوب المتواليه تفسد نظام حياته وكان الفضل حليفه في كل أعماله فافحق في إيجاد تلامذة يتلقون افكاره وآراءه ولم يجز سوى تخصص اخبرته الوحدة فودع استاذاه غير أسف

وفي هذه الاثناء اخذت أفكار الفلاسوف بالتكامل وشرع بنشر مقالات في جريدة المنعج (لويسرودكتور) كان ينقاضيها بعض المدرسين ولما أيس من بث أفكاره بواسطة تلاميذه عمد إلى إلقاء محاضرات وأعلن عن انخامسة الأولى سنة ١٨٢٦ راجياً أن يصيب بذلك تهرة وأن يغرز بنفع مادي يستعين به على حاجته وفقره وشجعه احد اصدقائه على ذلك بترله «إن كثيرين يبحثون في آرائك وافكارك غير ذاكريك بشيء فأعلن أنك أنت صاحبها» فعمل فيلسوفاً بصيحته وسمع المحاضرة الأولى رجالاً من جلة علماء فرنسا ونخبة ادباها

وما كاد طالع السعادة يسلم لكونت ويحيث الناس باسمه وفضله حتى دهمته الكوارث ففي بنزيف دماي عقيب المحاضرة الثامنة لأن نورة افكاره انعقدت بتأثره لشقائه الدائلي فأصيب بمرض عضال عاياه سنة فلما اخذ بالشفاء من مرضه فكر فيما آت اليه حاله وابصر التعاسة آخذة بسبله فيش من الحياة عدل إلى الانتحار غرماً في نهر السين ثم عدل عن الانتحار وبدأ يسترجع قواه العقلية والجسدية

وفي هذا الدور التعس عند لكونت عقد ديني ابغاً غير أن ذلك لم يبع شيئاً من اختلال بينه وكان المرض قد اثر فيه تأثيراً شديداً فظهرت عليه امارات الجنون فقام الفلاسفة

من معارضي كونت يجمعون طريقته ويتخذون هذه الحادثة حجة على صخف رأيه وفساد تعليمه ويقولون ليس من العقل في شيء ان يتبع الانسان مذهب مجنون وهذا تحامل مجرد يقصد منه تضيق تأثيره فقد أصيب نيوتن قبله بمرض دماغي فلم ينقص ذلك شيئاً من حرمة والا عجب بكتابه المسمى (يرنسيب) الذي وضعه عقيب ذلك المرض وبعد ان استجيم كونت قواه عاد سنة ١٨٢٨ الى القاء المحاضرات ونشر المجلد الاول في دروس الفلسفة الموجبة سنة ١٨٣٠ بعد تعب كثير وعمل طويل بدأ سنة ١٨٢٦ ولم يكن عمله في المجلدات الخمسة التي تلتها اقل عناءً فإنه لم يتمكن من نشر المجلد السادس الا سنة ١٨٤٢

كانت الاثنتا عشرة سنة التي قضها الفيلسوف في التأليف سني خير وبركة عاوه ذاق في خلالها الدعاة المادية لانه دعي في سنة ١٨٣٨ الى امتحان الطلبة الذين يتوافدون من كل صوب الى كلية باريس وانتدبه مدرستان كبيرتان لتعليم الرياضيات فأصبح دخله السنوي اربعمائة ليرة ولما كان عهد لويس فيليب دعاه المسيو كيزويه رئيس الوزارة ليدرس تاريخ الفنون وقال له « اذا كان هناك اربع كراسي لتدريس تاريخ الفلسفة وجب علينا ان نخصص كرسيًا الى الاقل لظهور العلوم المثبتة وارثاؤها » فدل الوزير بذلك على مياه للفلسفة الحسية ولولا اشتغاله بما فوق الطبيعة ايضاً لتقدمت في عهده تقدماً باهراً

وفي كتاب ارسله كونت الى زوجته ما يدل على رقة قلبه وسمو عواطفه فقد قال لها في ذلك الكتاب « لا اود ان احفل لك هنا الجور الذي تفيض نفسي به لما أرى الشاب فاز في امتحانه وقرب من آمالا الذهبية انت تضحكين من ذلك ولكنني لا اتمالك من ان اذرف دموعي »

وكان كونت يفكر دائماً في سعادة الآخرين ويسعى الى منفعتهم بكل سبيل وهذا الاهتمام الدائم حمله على القاء الخطب والتدريس في الجمعيات العامة من سنة ١٨٣١ — ١٨٤٨ على ما كان يعترضه من الموانع وفي هذه السنة حدثت ثورة في باريس اظهر فيها كونت عطفه على المجتمع فقد كان يفضل السجن على الدخول في الفرق الوطنية التي ألفت يومئذ ومع انه لم يدع الناس لحمل السلاح على الملكية فانه لم يتسم لها بمين الاخلاص ولم يكن كونت يتأثر من مشاهدة الروايات مع انه كان كثيراً ما ينتاب الملعب فالمفجعات (تراجيدي) في نظره ظواهر مصنعة ليس فيها من الحقيقة الا ظل لطيف

فقل اكثرائه بها وبماسواها القصص المنحكة (كوميدي)

وقد كتب احد تلامذته عن احواله وصفاته الشخصية ما يأتي :

دقت ساعة لوكسنبورغ الثامنة وكان صدى صوتها لا يزال يرن في الاذان حين فتح باب الغرفة ودخل رجل قصير النامة ملي الجسم نظيف الثياب ملتصق معن في قص شواربه حتى لم يبق لها ظل وكان يكتسي الاتواب السوداء ويتأنق في لبسه فكلما رأيتنه تخاله مدعوا الى وليمة وكانت عقدة رقبته لامعة كأن المكواة مرت عليها حديثا فاقرب الرجل من اريكته المعدة له ورأى المنضدة ووضع طبقا السعوط أمامه وبعد ان استمد مرتين ومر القلم على السجينة ابرى مائة شرع بكتابة الدرس بادئا فيه بقوله : كنا فلانا انه في مثلت غير معين كالمثلث ا ب ج الخ .

ودام درسه ثلاثة ارباع الساعة والطلبة يدونون الموضوعات المهمة في مذكراتهم ليتكفوا من مراجعتها على حدة ثم سحب من جيبه دفترآ آخر فاذا تلاوة الدرس السابق وظل حتى الساعة التاسعة فتناول حقته ونفض ما على معلقة من السعوط وكانت يده في جيب عطفه وفتح الباب وخرج بسكينة تامة

قلنا آنفا انه نشر المجلد الاخير من فلسفته الموجبة سنة ١٨٤٢ وبينما المرء يتخيل عظم انكسافاة التي يجب اسداؤها لهذا الفيلسوف على اثنتي عشرة سنة صرفها في الجهد والتعب المضنك يجد ان جزاءه كان تزايد المشكلات والخطوب التي تضيق الصدر وتضغط على الفكر ففي تلك السنة نفاق التقاق بينه وبين زوجته أأدى الامر الى انفصالها بعد ان خصص لها مائتي ليرة راتباً سنوياً ونرى من العبث البحث في هذه المسألة لان احوال الزوجين الخاصة لا يطلع عليها حتى اخلص اصدقائهم ما رظلت مادام كرتت بعد الانفصال تفكر في سعادة زوجها ودامت المراسلات الودية بينهما عدة سنين

وأصيب كونت بحادثة ثالثة اثرت فيه وهو ان طابع المجلد السادس دلق على الكتاب حواشي بنكر فيها حملة كونت الشديدة على اراغو فنضب الفيلسوف لذلك وخاصمه بلجاجة فرج دعواه

واشد المصائب التي نكب بها هو انه ذكر منخبه للاشراف على الامتحانات في المجلد الثالث بما لا يستحب فادى ذلك الى ضياع نصف راتبه الزعيد فضايق كونت بالعيش ذرعاً واناباً بفقره صديقاه ، نذ بضع سنين وهو المترجم خمس استيوارت ميل احد علماء المنطق الانكليزيين الذي اثرت فيه افكار الفيلسوف واستمد منها معظم افكاره وآرائه في

أصول المنطق وقد كثرت مراسلات الصديقين ونشر جزء منها في المدة الأخيرة
فهاج رغبة الجمهور للاطلاع كي سائرهما

ولما انتهت اليه كتب الفيلسوف حاجت في الحماة التي عرف بها من عطفه الشديد
على الرجال العظام ورثاء لشقائهم فنهض الى مساعده وطرق ابواب ثلاثة من اصدقائه
هن اعطافهم لمساعدة الفيلسوف فعهدوا بتقديم مائتي ايرة له سنوياً وكانت ذلك
سنة ١٨٤٥

ولم يوفق كونت لعمل شيء يدل على تسعوره بجميل الانكليز فلما عاد اليهم ميل
في السنة التالية اعطاه الاول مبلغاً زهيداً ورفض الاثنان الآخر لمساعدته مائتين
يجب على كونت ان يعول نفسه فلما أخفق استيوارت في مساعدة صديقه بهذه
الوسيلة اشار عليه بكتابة مقالات في الجف الاسكليزية وتعهد له بتجنتها فرفض كونت
اولاً بهذا الطلب ثم عاد الى هوسه واعتاراه فأخذ يتهم الانكليز بفساد الاخلاق مما
استخط استيوارت وبأسد ما بين الصديقين حتى انتهى اذ مر بانقطاع المراسلات ومن
كلام كونت في هذا الصدو قوله : لماذا يترك الرجل بعد موته ما يملك المال يفتن لم
يعرفه وهو لا بعد مساعدة الرجال الذين عرفهم في حياته فرفضاً طبعياً ؟ ان الانكليز بين
صراحة اهما يتخذ ان فيلسوفا لا يقولان بقوله والرجل يجب ان لا يتبل في امتياز
مبدأه الا مساعدة الذين يرتبون رأيه وقبوله معونة من سواهم حطة من قدره

وما زال كونت يدفع لامراته مائتي ايرة سنوياً من ١٨٤٥ الى سنة ١٨٤٨ اذ
هبطت رواتبه بدون سبب الى ثمانين ايرة ففجح المسيو ليتره وبعض الاصدقاء اكتتاباً
لمساعدته فجمعوا ان المال ما وسع على كونت ردحاً من الزمن وقد كان في جملة
المشاركين بهذه الاعانة المستر ستايوارت ميل الذي لم يمنعه استيوارت من معاملته كونت
عن مساعدته واسعائه

ويرى المطالع ان كونت لم يتصرف مع اصدقائه تصرفاً يليق برجل عظيم مثله
لان نفسه جمعت الى خصائل الحميدة من رسوخ العزم وقوة الارادة والثبات والمثابرة على خدمة
البشر نقائص مشيئة من الغرور والتعزفة واذا جاز التمثيل شبهنا كونت بروتيرس وكانو
واذا اراد الانسان ان يجب كونت وجب عليه ان يتصرف حاله التعمسة
وحياته المظلمة وخطوبه المتواترة وهو بين هذه الظلمات دائب على انجز مهمته
لا بكل ولا يذني فما زال يركب الى غايته الخطوب حتى فاز بما اراد وكانت القوانين

الاساسية للعلوم الموجبة قبل عهده مطلقة مبهمة فجاء كونت موضحاً لها بما يزيل الاشكال وبقيم لها حدوداً بينة فكثير لذلك حساده ومزاحموه ولم يكن كونت يكتب كلمة قبل ان يقرر الموضوع ويكتبه جملة بجملة بعد تبيثهم في ذهنه ومتى فرغ من احضارها جلس يكتب بيراع سيال فيسجل سلسلة من الافكار تجري على اسلاته بدون انقطاع ولا تردد لقوة ذاكرة كونت واستغنائها عن العود الى المذكرات ولكن اسلوبه الكتابي لم يكن بالحلة اللاتئة لافكاره البراقة واذا كتبنا لا نتوقع منه كتابة كالشعر في تأثيرها واسلاستها الا ان الكتابة في ارقى الموضوعات اهمية اذا لم تكن طلية مجها اكثر العلماء جلداً على الاسقصاء واذا قايضنا اسلوب كونت بغيره من الفلاسفة كهيوم ويددرو وباركله رايانه ثقيلاً جافاً وربما وقعت في كتاباته على بعض العبارات المتينة الا ان جميع اصطلاحاته خالية من سلامة الذوق في الانتخاب وقد كان يكثر من ادوات الحال في بعض الجمل حتى لا يثبت لى مطالعتها الا من أوتي الصبر الجليل من تلامذته ولكن قوة فكره ونفوذ نظره وسمو آرائه تشرع له السبيل الى ذهن القاري وتستر هذه النقيصة وتضعف تأثيرها واذا كانت مؤلفاته عظيمة فاسلوبه لا يؤلف جزءاً من تلك العظمة القائمة بماهية الافكار والمثلة رجاحة العتل الذي اوجدها .
وركاكة اسلوبه ناشئة عن عدم مطالعته مؤلفات بلغاء الكتاب فهو لم يقرأ الا علماً كان يسميه علم حفظ الصحة الدماغية وقبل ان يتم فلسفته الموجبة لم يطالع سوى دواوين اثنين او ثلاثة من النهرء في مقدمتهم دانتي واهمل ما سوى ذلك حتى قراءة الرسائل والمجلات ولكن اصدقاءه كانوا ينبئونه بكل حادثة جديدة في عالم الفن فأدى هذا الانقطاع الى تحرير نفسه من قيود الاجتماع والمؤثرات وظات افكاره بمزل عن الاعترابات الخارجية واذا كان افاده من هذه الوجهة فقد اضره من الوجهة الاخرى فافترط في اهماله وضعف تدموره بالعالم الخارجي وقد وضحت فيه هاتان النقيصتان في

اواخر ايامه

وقبل ان نتم ترجمة كونت نسرد حادثة جرت له سنة ١٨٤٥ يوم تعرف الى مادام دي ثو :

كانت هذه العقيلة ايماً لأن زوجها حكم عليه بالسجن المؤبد ولانعرف الا اليسير عن اوصاف المرأة واخلاقتها وكل ما نمله هو انها وضعت قصة رفعتها في عيني كونت الى مستوي مادام جورج ساند ولم تكن هذه الفصة في ذاتها شيئاً يستحق الذكر الا انها

دلت على ذوق سليم وفطرة حميدة فتوثقت بينهما روابط الولاء وأصبحت العقيلة عزاءه في أحزانه وأفاضت على نفسه روح الهدوء والسكينة ولو طالت مودتهما لم يظهر اضطراب الفكر في كتب كونت الأخيرة إلا أن الأقدار التي ناصبت الفيلسوف طول حياته فجعت بريحانة نفسه وموضوع سلوته سنة ١٨٤٦ فخرج لفقداء جزعاً شديداً ولازمه الحزن والغم فكان يخرج إلى ضريحها مساء كل أربعاء إذا توارت الشمس في الحجاب بلله بقطرات دموعه ويحس في البار ثلاث مرات احتراماً لذكرها فيستغرق في أحزانه ويستسلم إلى الجزع وكان تلامذته يقولون أنه يقدم لها من الاحترام ما قدمه دانتلي لحبيبتة باتريس ويشبهون حاله بحال الأبر بعد وفاة لينياس

الباحثون في حياة كونت يقسمونهم إلى شطرين أحدهما يمتد حتى تعرفه إلى العقيلة دي ثو والآخرون بعد ذلك ويفرقون بين الشخصين، كونت الذي كتب الفلسفة الموجبة وكونت الذي ألف في السياسة الموجبة إلا أن أعداءه يابون كل تقريب في هذا الصدد ويقولون أن المحتل الذي كتب في السياسة هو نفسه الذي كتب في الفلسفة

ولم يكد كونت ينتهي من نشر فلسفته الموجبة حتى بدأ بنشر سياسته وهذه بالطبع تستند إلى تلك فنشر المجلد الرابع والأخير في سنة ١٨٤٨ وفي هذه السنة حدثت ثورة في فرنسا لم تبد طلائعها حتى هرع كونت إلى تأليف جمعية دافعها الموجبة توقع أن يكون لها من الشأن في هذه الثورة ما كان لنادي الجاكوبيين في ثورة ١٧٨٩ وإذا كان كونت لم يدرك جميع آماله في إنشاء هذه الجمعية فقد أدرك بعضها باجتماع تلامذته الفيلسوف ووضعهم مذهباً فلسفياً جديداً كما بهوى ويختار

وكان كونت سنة ٤٩ و ٥١ و ٥٢ بلي في القصر الملكي (باله رويال) في باريس محاضرات متتالية يحضرها عامة الناس وخاصتهم فيبحث في فلسفته ومعتقداته ودعاويه وقد ختم محاضراته الأخيرة بقوله :

« بأخدمة البشرية والفلسفة والحقيقة يجب أن نتولوا زعامة العالم لأن ذلك حقكم الصريح واقعى أمانى الانسانية تأليف حكومة اخلاقية مادية فكرية فان الحكومات التي قامت على دعائم الكدكة والبروتستانتية سقطت لأن اناس اتخذوها وسيلة لاضرام الثورات وقضاء اللبانات »

ومن غرائب الاتفاق ان يقوم بعد هذه المحاضرة ببضعة اسابيع رجل يدعو الناس إلى طاعته لا ليجدم الانسانية بل لدعواه انه صاحب الحق بالسلطة المطلقة وان يحمل

الناس على معرفته كذلك بالقوة القاهرة

وسنة ١٨٥٢ نشر كونت رسالة في مذهب الاسانية اظهر فيها ارتياعه الى ضربة لويس نابوليون للحكومة وانشائه جمهورية هو فيها الحاكم المطلق ومهما يكن من قيمة الفكر السياسية نجد عذراً لكونت في انه كتبه وهو لا ينتظر ان تؤول الحال الآلات اليه من الضغط والاستبداد والجمام المطبوعات

وأصيب كونت سنة ١٨٥٧ بداء السرطان وقضى في خامس عشر ايلول فانتهت حياة مرة تنكر لها الزمان وفي هذا اليوم من كل سنة يجتمع تلامذة الفيلسوف من انكليز وفرنساويين فنهون بذكره ويقومون بمراسم سنوفا لانفسهم وقد قبض كونت وهو دون الستين وهتلا يسعنا الا ان تشارك جون مورلي في حزنه لعابئة من اشد عواقب الامر ايلاماً وهي « ان يقضي ارباب الذكاء الحارق في تهم الكهم على نشر افكارهم قبل ان يدركوا امانتهم وتنفاد لم رغباتهم »

« فلسفته »

لنعرف المقادير الا قياسها وقياها تواءم يستحيل في الغالب واسط الشواهد ما يعترضنا من المصاعب في قياس طول بالوحدة المترية اذ يشترط في صحة القياس ان ينطبق المتر على السطح كل الانطباع وادنى تواءم او غور يخل بالاستواء بعيد هذا القياس متعذراً تلك اهون المصاعب تعثرنا في اقل البسائط فكيف بها في ارقى المركبات كتقدير الابعاد بين الاجرام السماوية

ذاك ما قاد الفكر البشري الى وضع العلوم الرياضية فاذا تعذر او استحال علينا ان نقيس مساحة او نتدر كمية مباشرة توصلنا الى ذلك بالطرق الرياضية فحسبنا بين مالا يقاس تواءم وبين ما يقاس واستخرجنا الاولى من الثانية على قاعدة التناسب

فلكي نقيس مساحة نمثلها بشكل هندسي كالثلث مثلاً ونعتبر المناسبة بين الاضلاع والزوايا فتسهل علينا معرفة المساحة بهذه الوسيلة وبغيرها من نوعها تمكن الفكر البشري من تقدير الابعاد بين اجرام السماء وارثي الى معرفة حجمها واشكالها الحقيقية وظواهرها الطبيعية وسعتها وامتدادها وقوة جاذبيتها الى غير ذلك من المعلومات التي بلغها بالوسائل الرياضية وغرض الرياضيات مقايسة الكميات وتقديرها بالواسطة وذلك يدرك بمعرفة النسبة بينها فالرياضيات اذن علم تستخرج بواسطته الكميات المجهولة من الكميات المعلومة

للتناسبات الصريحة الموجودة بها

ما هي الكمية ؟

عرف الرياضيون الكمية بأنها ما يتبدل الزيادة والنقصان ويمكن تقديره بالوحدة القياسية^(١)

فالعدد والطول والسطح والحجم والزمان والمكان وسرعة الجسم ووزنه وغيره من الأركان الداخلة في الحوادث الطبيعية هي كميات تتوفر صفتي الكمية فيها وقد اكتفى الرياضيون بالمعلومات النسبية فلم يخطر لهم ذات يوم أن يبحثوا في ماهية المكان والزمان والمادة لأنها الأسس التي تقوم عليها المعارف البشرية فليس في الوسخ أن تثبت أو تعرف ولهذا السبب حصر الرياضيون مهمهم في كشف النواميس التي تؤثر في هذه الكميات وإظهار النسبة بين ما اجتمع منها في حادثة واحدة بدون أن يحاولوا بلوغ معلومات مطلقة

والرياضيات تثبت لنا أن في وسعنا استخراج بعض الكميات الداخلة في إحدى الظواهر الطبيعية من البعض الآخر إذا لا بد من وجود روابط بينها ولم يشهد الناس حتى اليوم ظاهرة فقدت فيها هذه الروابط ولكنها قد تدق حتى يتعذر على الباحث اكتشافها إذا بدأنا بكلمة « كميات » في تعريف الرياضيات بكلمة « حوادث » كان لذا تعريف العلم الحقيقي فهو ما اوضح بعض الحوادث ببعضها الآخر مستنداً في ذلك على العلاقات الموجودة بينها . وكل علم يجمع طائفة من الحوادث وبؤايف بينها ويستخرج من جمعها نواميس عامة ويضع قواعد إذا جربنا عليها عرفنا نتائج حادثة بقياسها على حادثة ثانية من نوعها فإذا عجز عن ذلك لم تصح تسميته علماً

ثم أننا إذا جعلنا كلمة « النواميس الطبيعية » بدلاً من « العلاقات بين الحوادث » كان ذلك اصح وقد خدمت الرياضيات في تعيين هذه العلاقات فوق خدمة كل ما سواها من العلوم فهي تدلنا على اقصى ما يراود بالعلم وإذا تنبأنا ان تقع على فكر صحيح في تحديد وجهه وجب علينا الرجوع الى الرياضيات فإن الاصول العامة التي يقتضي ان يسري عليها الفكر في

(١) زاد المتأخرون الشرط الثاني من شروط الكمية اما المتقدمون فقد اكتفوا بالشرط الاول فكانت صلابة الجسم في عرفهم كمية لأنها تقبل الزيادة والنقصان الا أنها ليست كذلك عند المتأخرين فمع ان الاجسام تختلف في الصلابه الا ان هذه الصلابه لا تناس بالوحدات

الابحاث لانصادفها في غير الرياضيات وليس من علم آخر ثابا في حل المسائل - لا تأمأ وبضي الى استخراج النتائج بدقة وضبط . هذه هي النقطة التي بدأ منها مذهب الكونتيزم لواقع، اوغست كونت

استنبط الفيلسوف التحديد العام للعلم من الرياضيات واقتبس منها الاصول التي يجب ان يجرى عليها في الابحاث العلمية اما اساس فلسفته فهو : ان الحوادث ^(١) كافة تجري على قوانين مقررة والعقل البشري يعجز عن معرفة منشأ الحوادث الازلي ومنتهاها الابددي وهذه حقيقة لا يكرها من كان ذا مشاركة في العلوم الطبيعية لأنه يعلم ان الغاية من ايضاح الحادثة الطبيعية ليس الا اظهار الاحوال والشروط التي يمكن معها حدوث مثلها وتعيين علاقتها بغيرها من الحوادث واليك مثلاً على ذلك

اكتشف نيوتن الجاذبية العامة فوضح بها جميع الحوادث الفلكية وبين ان كثيراً من الحوادث التي كان الناس يتوهمون ان لاعلاقة بينها كالحسوف والكسوف والمد والجزر انما هي مظاهر مختلفة لحادثة واحدة عامة كما نعب عنها بالثقل فبتنا نفسر جميع الحوادث الفلكية بالجاذبية العمومية ولكننا نعجز عن معرفة ماهية الجاذبية وعلتها الاصلية فاذا سئلنا في ذلك لم يكن عندنا جواب وليس هذا كل ما في الامر بل ان الفلاسفة الموجهة تثبت لنا ايضاً اننا ان نستطيع ادراك ذلك فعلياً ان نخلى عن هذه المباحث لعلنا مانوق الطبيعة فاذا قال قائل ان اهتزازات الجواهر الفردية بسبب ذلك الثقل لا يكون قد اوضح مبهماً لان الاشكال ينتقل من الثقل الى الاهتزازات فلا يلبث المستطلع ان يسأل عن سبب الاهتزاز ايضاً

اذا اردنا ان نفهم الصفة المميزة للفلسفة المثبتة وحب علينا ان تتبع الفكر البشري في ادوار ارتقائه وقد وضع كونت لذلك قانوناً عاماً اقدمته بصحته معلومات العصر الحاضر وشهادات العصر الماضي

وهذا القانون هو ان كل فرع من المعارف يمر في ثلاثة ادوار متعاقبة او حالات مختلفة اولها « الدور الوضعي » والثاني « الدور المجرد » والثالث « الدور المثبت » ^(٢)

Etat fictif. Etat Abstrait Etat positif.

(١) ليس المقصود بالحوادث هنا الحوادث الطبيعية فقط بل رجاتمت الحوادث الاجتماعية

(٢) ودعاً ايضاً، **Etat théo- logique, métaphysique, scientifique**

ونكتفي بذكر هذا القانون بدون ان نتقدم الى اثباته او معرفة نتائج
شبه كونت الفكر البشري بخضوعه لنواميس الارتقاء وحالاته الثلاثة التي تتعاقب
عليه بالانسان في ادواره الثلاثة من طفولة وشبابية وهرم
ونشأت ثلاثة مذاهب مختلفة لايضاح الحوادث في الادوار الثلاثة اولها « الفلسفة
الوضعية » والثاني « الفلسفة المجردة » والثالث « الفلسفة الموجبة » والاول مبدأ ارتقاء
الفكر الانساني والثالث غاية ما بلغه والثاني الحلقة المتوسطة بين الاثنين
اتجه فكر الانسان في الفلسفة الوضعية للبحث في اسباب الحوادث الازلية وغاياتها
الابدية فتلقى تلك الحوادث آثاراً من فواعل ذات ارادة مطلقة يعزى اليها كل ماشاهده
بدون ان يفكر في النواميس والسنن

وارتقت هذه الفلسفة فبدأت الفلسفة المجردة التي اقامت « القوى المجردة » مقام
الفواعل الوهمية وهذه القوى عارية من الهيولى تسبب الحوادث المشهورة
اما الفلسفة المثبتة فقد اقتنعت واضعوها ان الفكر الانساني يستحيل عليه ان يدرك معلومات
مطلقة فصرخوا نظرم عن البحث في منشأ الكائنات ومصيرها وتصرخوا همهم على
معرفة نواميس الحوادث فزحوا بين المشاهدات والمحاكات العقلية لاكتشاف هاتيك
النواتيس

لما ارتقت الفلسفة الموضوعة حتى قال الناس باله واحد يدبر الكون بلغت اوج
الكمال وغاية الارتقاء وادركت الفلسفة المجردة نهاية شوطها عند ما ردت الحوادث الى
الطبيعة ودعتها بالقوة العامة المجردة

اما الفلسفة المثبتة فهي تسعى لتوضيح ان جميع المحسوسات ظواهر مختلفة لحادثة عامة
فتمي تبسرها ذلك بلغت ارقى درجاتها على ان هذا الارتقاء غير متبسر في الاحوال
الحاضرة ولا تدل ظواهر الحال على امكان ذلك في المستقبل فاذا استطعنا ان نفسر
حوادث النور والحرارة والصوت والكهربائية وشيئاً من حوادث المغناطيسية بقولنا انها
نتيجة توجبات فاننا لانستطيع ان نفسر الحوادث الفلكية على هذا الوجه والفلسفة المثبتة
جاهدة في اظهار العلائق بين الحوادث او القوانين الطبيعية وصفتها المميزة صرف الفكر
البشري عن البحث في ماهية الحوادث لأنها لا تخوض في هذا البحث بل تدعه الى
الفلسفة المجردة التي توضح الأزل والأبد بسهولة تامة وتستعصي الاسرار الملوية حتى
ادق خفاياها

بتساءل القاري بعد ان عرف غاية الفلسفة الموجبة عن الحد الذي بلغت وعلَى اي شيء يتوقف اكملها وما نحن منطرقون في بحثنا الى ذلك
لم تمر المعلومات البشرية في الادوار الثلاثة بسرعة واحدة ولا ادركت الحال الثابتة في آن واحد بل كان امرها الى ذلك الحوادث الفلكية باسماستها وسمولتها وتلتها الحادثات الفلسفية فالكميوية فالعضوية

ويتعذر علينا تعيين بدء انقلابها الى التدقيق ولكننا نعلم انها اخذت بالارتفاع منذ أنشئت دور العلوم في اثينا والاسكندرية ومنذ حمل العرب العلوم الطبيعية الى غربي اوربا وارشدوا اهلها الى نوايسها وما زالت تتكامل وتندرج في مراتب الارتفاع حتى نبعج باكون ودبكارث وكيلروغاليله فأثرت ماتبيهم في الافكار البشرية تأثيراً شديداً ووضعت أسس الفلسفة الموجبة التي بدأت بالانتشار والشيوع منذ ثلاثة عصور ولكنها لم تحط بكل انواع الحوادث فن هنالك نوعاً لم تذكره وهو الحوادث الاجتماعية

هذه الحوادث لا تزال محجبة النوايس كثيرة الابهام لم يكتف عن اسرارها الغطاء ولا استطاعت العلوم ان تحصرها تحت قوانين عامة وقد وضع الفكر البشري علم الميكانيكيات والحيوان والنبات وحن الزمان الذي يضع فيه علم الاجتماع فكان كونت اول من سمى به افكاره نحو هذه الغاية فرمى اليها في موسوعات مجلداته الستة التي اودعت لمخص المعلومات البشرية لان كونت لم يقصر همه فيها على الفلسفة الاجتماعية بل تعدد تدوين الفلسفة الموجبة فبحث في كل علم الى حد اظهار علاقته بنيره من العلوم واظهر تدرج كل منها في الارتفاع ودخوله في الدور الموجب وجعل اساس بحثه تمايز الحوادث وارتباطها المنطقي فتقسم العلوم الى ستة فروع كبرى تنضوي تحتها فنون مختلفة واليك هي :

(١) - الرياضيات (mathématiques)

(٢) - الهيئة (الفلك) (Astronomie)

(٣) - الفلسفة الطبيعية - (Physique)

(٤) - الكيمياء (Chimie)

(٥) - الفلسفة العضوية (Physique organique)

(٦) - الفلسفة الاجتماعية (Physique sociale)

وقدم كونت العلوم الرياضية بالذكر لأنها اقدم العلوم الموجودة اكملها وهي

أول ما دخل في الفلسفة الموجبة وقد راعى كُنت في ترتيب هذه الفروع تاريخ ثبوتها ومما لا ريب فيه أن الرياضيات بدأت مثبتة وما زالت ترتقي من أقدام عهدها إلى اليوم وتلتها الحياة فالفلسفة الطبيعية فالكيمياء فالحكمة الضوية رقي بها إلى هذه الدرجة كبلر وغايليه ولا فوازيه ولا بويل أما الفلسفة الاجتماعية فإن كُنت حسبها لم تؤسس بعد . واحتلت الفنون في بلوغ هذه المرتبة لتفاوت درجتها في السهولة فكان أبسطها أقربها إلى الثبوت .

وشرع كُنت يفكر بعد ذلك في تعاقب هذه الفنون وارتقائها من أبسط النظريات الرياضية إلى أرقى التصورات الاجتماعية فأن ذلك الاستقصاء إنما هو تتبع ارتقاء الفكر البشري والحوادث تجري على تسلسل طبيعي وهذا التسلسل هو بمثابة رابطة عامة بين النظريات المثبتة في الفنون المختلفة ورأى كُنت أن بعضها يجب أن يكون له تأثير في الآخر فجعل العلوم الرياضية أول حلقة من السلسلة لأنها فعلت فيما بعدها لترقيته إلى مرتبة الثبوت وجعل الفلسفة الاجتماعية الحلقة الأخيرة

قايس كُنت بين الفكرين الرياضي والاجتماعي فلم يجد مندوحة عن أن يتخذ الأول دليلاً على نظريات الثاني المثبتة حتى إذا أمكن حصر الارتقاء البشري تحت قوانين معينة استبدل الرياضيات بالفلسفة الاجتماعية لأنه وجد الأولى غير كافية لتأسيس فلسفة حقيقية تامة حتى قال : أن ما بذله المفكرون من المساعي في العصور الماضية لا يجازي فلسفة جديدة تحل محل الفلسفة الموضوعة ذهب إدراج الرياح لأن الدين حاولوا ذلك أرادوا أن يتخذوا الرياضيات ركنًا وينتسوا مذهبهم بأحلاف دُفيف أو كبير وإذا أمكن انتباس حقيقته من الرياضيات فلا يمكن التوسع في ذلك الفكر وجعله عامًا فان الحوادث الرياضية التي ضبظت قوانينها (الهندسة والميكانيك) هي في غاية السذاجة فلا يمكن تطبيق شرائعها على المركبات وكثيرون من الرياضيين في عصرنا الحاضر يقولون أن غرائب الحوادث الفلكية والحوادث الاجتماعية الناتجة عن إرادة البشر وقدرتهم غير خاضعة لنواميس معينة

في الفلسفة الحكيمة والكيموية لا نجد خوارق مما يحملنا على القول أن جميع الحوادث هي ذات سنن مقررة لا تتغير ولكن الحوادث المبهمة المغلفة لا ينفذها على هذا التكل الا لفلسفة اجتماعية فرجع لدى كُنت أن يتم مذهبه على نقطة اجتماعية وصمى في كشف النواميس الثابتة لهذه الحوادث وقد كان الباحثون قبله يستندون إلى اقتراحات أو يستعينون

بفلسفة ما فوق الطبيعة فاراد كونت ان مجرد المجت مما يخاطره من الاوهام ويدخله في حال مثبتة

وكان كونت يقول بحرية الوجدان المطلقة يريد بذلك ان كل فكر وكل تعبير يعمل للانفصاح عنه يجب ان يعنى من كل انواع الجزاء من التنبيه البسيط الى الحكم بالجنابة وتبسط في القول على ذلك حتى ادعى ان ليس من حرية وجدان في الحياة والحكمة والتكليماء والفيسيولوجيا لان المرء اذا لم يقبل مبادئها الاساسية اتهم بالهوس وليست الحال كذلك في الاجتماعيات لان المبادئ القديمة قد اضمحلت ولم تخلفها بعد مبادئ جديدة

اما اصول علم الاجتماع فكانت كغيرها من الاصول العلمية تستخلص من التجارب والملاحظات على سبيل القياس والاستقراء فيطالع المستقري حوادث بسيطة يضع لها النواميس ثم يترقى الى الحوادث المركبة بطريق القياس فيستخرج قوانينها اذ ليس سعة ومع الباحثين استنباط القوانين العامة مباشرة من ملاحظة الحوادث المركبة ولكن كونت لاحظ ان الحال في العلوم الاجتماعية ليست كذلك فان حوادثها البسيطة تتألف من افعال الافراد وحواسهم وناميس هذه لا تختص بها بل تشمل الطبيعة البشرية ذاتها والحوادث الاجتماعية انما هي نتائج تلك البسائط

وقد كان العلماء الى عهد كونت يحاولون اخذ العلم الاجتماعي المثبت من قوانين الطبيعة البشرية العامة ثم يمحون الوقائع التاريخية دليلاً على صحة تلك الاستنتاجات فرد كونت هذه النظرية وقال اذا دلت القوانين العامة على ما لا يؤيده شاهد من التاريخ وجب علينا ان نحكم بفساد التاريخ واختلاله لان صفحاته الاولى مزورة وكما اعرق الناس في الحضارة ازدادوا دقة في تدوين الحوادث واذا كان التاريخ بدلنا على مجرى الرقي البشري في غابر العصور فهو لا يوجب اتخاذ ذلك المجرى سناً ولا يضع قانوناً فحق شئنا معرفة القوانين تعين علينا ان نعود الى علم النفس (السيكولوجيا)

ان قوانين الطبيعة البشرية العامة هي في جملة موسوعات علم الاجتماع غير انها تختلف في استعمالها عن القوانين في العلوم الطبيعية فان التجارب الخصوصية في هذه تؤدي عن طريق القياس الى استخراج القوانين العامة وفي العلم الاجتماعي نبلغ التاموس العام من التجربة الخاصة ثم نستخرج عن طريق القياس نتيجة تؤيد صحته

والفلاسفة الذين اشتغلوا في نظريات الاجتماع لم يكونوا يبتكرون التاريخ سلسلة

من الاسباب والنتائج بل كانوا يثقفونه كفاصيص متفرقة لا رابطة بينها - حتى جاء كونت فبين فساد مزاعمهم في هذا الصدد وجعل التاريخ من اكبر مآخذ العلم الاجتماعي وحيث رأى حادثة شذت عن قوانين الطبيعة البشرية حكم باختلال تدوينها

والخلاصة ان اوغست كونت وضع اصول العلم الاجتماعي - كما قال استوارت ميل - واذا كان لم يوجد ذلك العلم فانه حبا من بعده من الفلاسفة قوة لايماذه وفلسفته المثبتة في العلوم الطبيعية واصول التحليل التاريخي مستخذ اسم بين مشاهير الفلاسفة دمشق : جرجي الحداد

مشاهير العرب والصناعات

وليس على عبد نبي نقيصة اذا صحح القوى وان حاك او جم (ابو العتاهية)

يتوهم بعض الكتاب ان العرب هم ملوا الصناعات بل استنكفوا منها لانهم لم يقولوا (آل الحائك) خشية تحقير المضاف والحقيقة هي ان قداماء العرب لم تنصرف افكارهم الى الحياكة في زمان بداوتهم لانهم لبسوا جلود الحيوانات وابتاعوا مذوجات غيرهم فلم ينتقوا الحياكة على انهم عرفوها بعد ذلك واشتهروا بكثير منها ونقل الافرنج عنهم ما تفتنوا فيه منها مثل الموركو والكوردو فان لتوعين من الجلود التي دهبها العرب الاول في مراكش والثاني في قرطبة . والدامسكو للنسيج الدمشقي المشجر . والدامسكين للترصيع المعدني الدمشقي والموصلين لنسيج عرفت به الموصل وصناعة التفار والسيوف التي اخذها من دمشق الى غير ذلك مما لا يحصى . ولم تأت كفيرة في الصناعات بخبرني منها الآن اسم رسالة للكندي في المعادن والجواهر وانواع الحديد والسيوف وجيدها ومواضع اقتسابها . ورسالة اخرى في ما يطرح على الحديد والسيوف حتى لا تنكسر ولا تكسر للكندي ايضا . وغيرها كثير لا يحل لذكره الآن . ولقد ذكر جاهليو العرب بعض الصناعات في اشعارهم مثل قول طرفة بن العبد البكري من معانته مشبها الناقة :

كفطرة الروي أقسم ربيها لتكتنفن حتى تشاد بقرمد

وقوله :

وخد كقرطاس الشامي ومشفر كسبت اليماني قده لم يجرد
وقوله :

وعينين كالماويثين استكننا بكفي حجاجي صخرة قلت مورد
ومن اقدم صناعاتهم الغزل وقد ذكره كثيراً في اشعارهم مثل قول النابغة :
وعريت من مال وخير جمعه كما عريت مما تمر المغازل
وهذه الصناعة عرفت قديماً وذكرها كثير من الاعاجم مثل قول هوميروس في
الاياذة بلسان هكتور بطل تروادة عند تدبير زوجته اندروماك وطلبها منه ان
لا يسير الى الحرب من موشع بليغ :

ولكل عمل فامضي كفي واستغلي اعمال ربات السديل
فلك النسج وفنل المغزل ولنا اعمال سمر الذبل
ووصف هيلانة تطرز بارتها في قوله :

وجدتها بالصرح تنسج ثوباً بجواشي البرفير والارجوان
وبرأس الخياط ترسم فيه واقعات ابلت بها الفثنان^(١)
وقال ابو العلاء المعري^(٢) في النساء :

علموهن الغزل والنسج والردن م وخلوا كتابة وقراءه
وقال ندم ملتن كبير شعراء الانكليز ما يقرب من هذا الى غير ذلك

وفي صدر الاسلام اعتبر الخلفاء الصناعات بدليل قول الامام عمر بن الخطاب :
« اني لأرى الرجل فيعجبني فأقول له حرفة فان قالوا لا سقط من عيني » : وقول موسى
المهدي الخليفة العباسي لامة الخيزران لما استبدت بالامر وكثر المختلفون اليها لتضاء
اللمم : « ما هذه المواكب التي تغدو وتروح الى بابك . امالك مغزل يشغلك او مصحف
يذكرك او بيت يصونك » . وكثيراً ما ذكر الشعراء بعد ذلك الصناعات ولو على سبيل
المجاز مثل قول ابن نباتة في الطي والنشر :

لا تحف عيلة ولا تحش فقراً يا كثير الحاسن المختاله
لك عين وقامة في البرايا تلك غزالة وذبي فتاله

(١) هذه الايات من الاياذة العربية بقلم سليمان افندي البستاني

(٢) راجع ترجمة المعري في السنة الماضية ، الخامسة) من مجلة المقتبس بقلم كاتب

وانقد مارس الخلفاء والصحابة والامراء والاشراف والائمة والعلماء على اختلاف طبقاتهم وامكنتهم وازمنتهم صناعات كثيرة جمعت الآن منهم ماوصلت اليه يد البحث تذكرة لقوم يعقلون :

كان ابو بكر الصديق وعثمان بن عفان وطلحة بن الزبير وعبد الرحمن بن عوف بزازين وعمر بن الخطاب دلالاً فتاجراً . والوليد بن الخيرة وابو العاص اخو ابي جبل حدادين . والنضر بن الحارث عواداً يضرب بالعود . والعاص بن وائل السهمي يطاراً يعالج الخيل . وابنه عمرو بن العاص جزاراً ومثله الامام ابو حنيفة وقيل كانا خزازين يبيمان الخبز (وهو التباس يقع في التصحيف) . والزبير بن العوام خياطاً ومثله عثمان بن طلحة الذي دفع له النبي مفتاح الكعبة وهكذا قيس بن مخزومة . وكان مالك بن دينار وراقاً والمهلب بن ابي صفرة بستانياً . وقتيبة بن مسلم الذي فتح بلاد الهم الى ماوراء النهر جمالاً . وعقبة بن معيط خماراً وسعد بن ابي وقاص بارياً للنبال . وابو سفیان ابن حرب يبيع الزيت والادم . وعبدالله بن جدعان نخاساً يبيع الجوارى . والحكم ابن ابي العاص خصاء يخفي النتم ومثله حريق بن عمر والفحاح بن قيس الهفري وابن سيرين

وكان سفیان بن عيينة معلماً ومثله الفحاح بن مزاحم وعطاء ابن ابي رباح والكميت الشاعر والحجاج بن يوسف الثقفي الشهير وعبد الحميد بن يحيى امام المترسلين وابو عبيدالله القاسم بن سلام والكسائي مؤدب الامين والمأمون وكثير غيرهم ممن مارسوا التدريس والتهديب وكانت هذه الصناعة تسمى عندهم صناعة الاشراف . وكان ابو يوسف الفقيه قصاراً (يبيض الثياب) وابو العتاهية الزاهد يبيع الخمار في الكوفة فسمي الجرار . وابو تمام الشاعر كان سقاءً وقيل خادم حائك . والمتنبّي ابن سقاء في الكوفة . والعكبري في اول امره منجماً ثم صار نجوياً . وحماة عمرد الشاعر باري نبال . وابو اسحق ابراهيم الحصري كان يعمل الحصارا يبيعها وابو اسحق ابراهيم بن محمد الزجاج النحوي كان يخرط الزجاج وابو الحسن السري الرفاء الشاعر كان يرفو ويطرز وابو بكر عبدالله الغفال المروزي الفقيه يعمل الاقال . وابو الحسن الماوردي الفقيه كان يبيع ماء الورد . وابو الحسن علي بن هلال كان ابوه بواباً فسمي بابن البواب . وابو القاسم الزاعمي الشاعر كان قطاناً (يبيع القطن) . واحمد بن محمد الطوسي الغزالي واخوه الامام الغزالي الشهير كانا مفاً وبن الى عمل الغزل على طريقة النسبة عند الجوارزميين اذ يقولون القصري والمطاري في القصار والمطار .

وابو بكر ازهر بن سعد السمان الباهلي البصري كان يبيع السمح . وابو غالب تمام النياقي اللغوي
القرطبي كان يبيع التين . وابو القاسم الجنيد لقب باخزاز والقواريري لانه هو عمل
الخز . ووالده عمل القوارير . وابو علي الحسين الكرايسي البغدادية نسب الى بيع
الكرايس وهي جمع كرباس بالفارسية بمعنى الثياب الغليظة وهي اشبه بالخام عندنا . وابو
محمد بن مسعود الفراء البغوي الفقيه كان يعمل الفراء وبيعها . وابو مغيث الحسين بن
منصور الحلّاج الزاهد حليج القطر . فنسب اليه . ومؤيد الدين الطغراني نسب الى
كتابة الطغراء . وابو عمارة حمزة بن حبيب الزيات باع الزيت ومثله كثيرون لقبوا
بلقبه مثل محمد بن زيات وزير المعتصم وغيره . وابو عمرو خليفة بن الخياط المعصري
نسب الى الخياطة والصنع بالصغر . وابو المعالي سعد بن علي المعروف بالخظيري
(بالطاء المشالة) الوراق لقب بصناعته دلال الكتب . ورشيد الدولة فضل الله الهمداني
طبيب خربنده التنري كان في اول عمره عطافاً فصار يدبر ممالك القدر . وابو منصور عبد
الملك الثعالبي نسب الى خياطة جلود الثعالب وعملها فراء . وابو القاسم عثمان الانماطي
الفقيه كان يبيع الانماط وهي البسط التي تفرش . وابو عمرو عثمان بن الحاجب كان
والده حاجباً للامير عز الدين موسك الصلاحي . وابو الحسن علي بن عبد الله
السمسماني اللغوي نسب الى السمسم . وابو الحسن علي بن الحسن القاضي الملقب بالخلعي
كان يبيع الخلع لاملأك مصر . وابو الحسن بن وصيف المعروف بالناثي الاصغر
كان جده وصيف مملوكاً وابوه عبد الله نطاراً وهو حلاء اسمه عامل الحلي الخاصة
للتنزين . وابو القاسم عمر الخرفي الفقيه نسب الى بيع الخرق اسمه الثياب البالية . وابو
القاسم عمر بن محمد المعروف بابن البزري نسب الى عمل البزري وبيعه والبزري عدم اسم
للدهن المستخرج من حب الكتان وبه يستصحون اي يسرجون المصابيح . وكان ابن
صيرين المشهور بتعبير الرويا ابن صانع قدور من نحاس . وابو عمرو المطرز البارودي
غلام ثعلب كان مطرزاً . وكان والده الجرجاني الشاعر الاربلي تاجراً يتردد الى البحر
ويصيد الالبي من مغاوصها . ونحو الملك وزي بها الدولة بن هضد الدولة البويه
كان ابن صيرفي . وابو بكر الرازي الطيب كان في ادل امره مفتياً عواداً . وابو الحزم
مكي الضرير المقرئ النحوي كان ابن صانع انطاع . ونصر الخبزازي الشاعر كان يخبز
ارغفة الارز بمربرد البصرة . وابو الفرج محمد الفسائي الملقب بالوأواء كل منادياً في دار
البلطيح بمشق بنادي على القواكه . وكان بشار ابن برد الشاعر الشهير ابن طيان حاذقاً

بصناعته واخواه بشر وبشير كانوا قصاصين . وفتيان الشاغوري لقب بالمعلم لانه كان يعلم اولاد الملوك . وابو محمد القاسم الحويري نسب الى بيع الحرير او عمله . والقاضي ابو بكر محمد الباقلاني البصري نسب الى بيع الباقل . وابو الحسين الجزار الشاعر المصري تعاطى الجزارة . وسراج الدين الورثاق الشاعر الوراق . وابو الفضل بن عبد الكريم الحارثي الدمشقي لقب بالمهندس لحذاقته في الهندسة وكان في اول امره نحات حجارة ونجاراً واكثر ابواب النيارستان النوري الذي بناه نور الدين بن زنكي الملقب بالعال في دمشق من نجارته وصناعته وقد درس اقليدس على نفسه واصح الساعات في جامع دمشق وكان له على مراقبتها راتب خاص . وابو زكريا يحيى البياسي الاندلسي الطبيب قطن دمشق وعرف التجارة واستغل الآلات الهندسية وكان عموداً وعمل الارغن . والديم الاسطرلابي كان يعمل الآلات الفلكية ولا سيما الاسطرلاب . وابو بكر محمد بن الحسن النقاش الموصلني البغدادي العالم نسب الى نقش السيوف والجدران لممارسته ذلك وحذقه به . وابو العباس محمد بن صبح المعروف بابن السماك الكوفي الزاهد نسب الى صيد السمك وبه . وابو بكر محمد بن السري الفخوي المعروف بابن السراج نسب الى عمل السروج . وابو عبد الله محمد بن جعفر التميمي الفخوي الملقب بالقرزاز القيرواني نسب الى عمل القز وبه . ومعاذ بن مسلم الهراء كان يبيع الثياب المروية فنسب اليها . وابو منصور الجواليقي نسب الى عمل الجوالق وبه . وابو يزيد وشيعة الوشاء كان ينجر بالثياب المصنوعة من الابرسم الموشاة . ومحمد بن رضوان بن الرعاد كان خياطاً واقفى مكتبة من صناعته . وشمس الدين الدهان الدمشقي الشاعر كان يمارس صناعة الدهان . والنصير الحامي كان يشعر باكتراء الجمادات ويستجدي بشعره . وابو بكر محمد بن احمد بن محمد المعروف بابن الحداد الفقيه الشافعي المصري نسب الى احد اجداده الذي كان يعمل الحديد وبه . وابو بكر محمد بن عبد الله المعروف بالصيرفي الفقيه الشافعي البغدادي نسب الى الصرافة . وابو عبد الله محمد بن الكشاني الشافعي المعروف بابن الكشاني الشاعر كان بعض اجداده يعمل الكبريت ويبيعها فنسب اليها . وابو الرداد عبد الله بن عهد السلام بن الرداد المؤذن البصري عمل المقياس بمصر في اثناء القرن الثالث للهجرة . ونجم الدين النجيني الشاعر كان في اول امره جندياً مقدماً على النجنيين ببغداد فنسب اليه ومن لطيف منظومه قوله :

كلفت بعلم النجيني ورميه لهدم الصياصي واقتتاح المرباط

وعدت الى نظم القريض لشقوتي فلم أخل في الحالين من قصد حائط
ويحيى النحوي الاسكندراني كان ملاحاً الى ان بلغ الاربعين من عمره فقال الى
العلم واقفته . وكان علي بن رضوان الطيب بن فران . ومن اغرب العلماء ارباب
الصناعات كشاحم الشاعر فان اسمه منحوت من صناعاته فالكاف من كاتب والشين من
شاعر والالف من ادب والجيم من منجم والميم من مؤدب الى غير ذلك
ومن متأخري العلماء من نسب الى الصناعات مثل القزويني وابن الطباخ وابن
الطار والاسطواني وابن الكيال وابن السقاف وابن السمان وابن الحجار وغيرهم كثير
ومن لقبوا بالصناعات ولا نعلم اذا كانوا قد مارسوها ابو جعفر احمد المرادي النحاس
النحوي المصري . وابن الخياط الدمشقي . وابو بكر بن عياش بن سالم الخياط الاسدي
الكوفي . وابو محمد سعيد بن الدهان النحوي البغدادي . وابو القاسم الاسكافي . وظافر
الحداد الشاعر الاسكندراني . وابن الدهان الموصللي المعروف بالمهذب . وابن شاس
المنعوت بالخلال . وابن الخشاب البغدادي . وابو نعر عبد السيد ابن الصباغ الفقيه .
وابو القاسم علي بن القطاع الصقلي اللغوي . وابو الحسن علي بن القصار اللغوي . وابو
بكر المبارك المعروف بابن الدهان النحوي الضرير الواسطي . وابو بكر محمد بن باجة
الاندلسي المعروف بابن الصائغ الفيلسوف . وابو عبد الله محمد الرقاء الاندلسي
الرصافي الشاعر . ويحيى بن الجراح الكاتب . وموفق الدين النحوي المعروف بابن
الصائغ الحلبي . وابو المحاسن تهاب الدين السواء الحلبي الشاعر . وابن النجار الدمشقي
الشاعر . وابراهيم الحائك وقيل الممار او الحجار غلام النويري المصري الشاعر الزجال .
وبكر بن علي الصابوني . وجو مان القواس الشاعر . وابن البيطار النبائي الشهير . وعبد
الله بن محمد المغربي الملقب بالطار الشاعر . وعبد الحق الاشبيلي المعروف بابن الخراط .
وعبد الرزاق بن احمد الصابوني المحدث المؤرخ الفيلسوف . وابو بكر الوراق التميمي .
وابو المعالي البقل الاديب . وابن الصغار المارمزي . وابو حفص التطرنجي شاعر
المهدي وابنته علية . وابو عبد الله البغدادي النقاش الشاعر . ومجاهد بن سليمان المعروف
بالخياط الشاعر . ومحمد بن احمد المعروف بابن الحداد الشاعر . ومحمد بن احمد بن
الصابوني الصدي الاشبيلي . ومحمد بن داود بن الجراح الكاتب . والحافظ الكبير ابن
النجار البغدادي واضع تاريخ بغداد المطول . وهبة الله بن الفضل المعروف بابن القطان
الشاعر البغدادي . فضلاً عن كثير من ارباب الصناعات الآخر مثل ابي عبد الله

الفرضي الحاسب . وابي حفص عمر بن الفارض الشاعر . وابن المعلم الواسطي الشاعر .
 وابن الدهان البغدادي الفرضي الحاسب . والبتاني الراصد وغيرهم كثير
 ومنهم من تدل اسمائهم على انهم من ارباب الصناعات وهم لم يتعاطوها مثل ابي سلمة
 حفص ابن سليمان الخلال الحمداني فانه لم يكن خلافاً ولكنه كان يجلس الى محل الخلالين
 قرب داره بالكوفة فلقب بالخلال . ومثل ابي القاسم عبد الرحمن بن اسحق الزجاجي
 النخوي البغدادي الذي لم يشتغل بالزجاج ولكنه صحب ابا اسحق ابراهيم بن السري
 الزجاجي فنسب اليه . وابو سعيد الصدي لم ينسب الى صناعة الصدف بل الى الصدف
 بن سهل وهي قبيلة كبيرة حميرية هبطت مصر . وكثير من العلماء لقبوا بالعسكري ولم
 يكونوا عساكر ولكنهم نسبوا الى (سر من رأى) الملقبة بالعسكر حيث نشأوا لان
 المعتصم لما بناها انتقل اليها بعسكره فقبل لها العسكر ومنهم ابو الحسن العسكري من اهل
 القرن الثاني للهجرة . ومنهم من سما باسم عسكر مكرم من كركر الاهواز مثل ابي القاسم
 محمد العسكري وغيره . وابو الحسن الكسائي لم ينسب الى عمل الكساء بل لانه دخل
 مرة على حمزة بن حبيب الزيات وهو ملثف بكساء وقيل بل أحرم في كساء فنسب
 اليه . وابو زيد محمد القاشاني لم يصنع القاشاني المشهور ولكنه نسب الى مسقط رأسه
 قاشان في بلاد فارس . وكمال الدين الفراوي نسب الى فراوة في خوارزم لا الى الفراء
 ومن التكت باسمه انه قيل عنه (الفراوي الف راوي) . وابو بكر الأجري الفقيه لم
 ينسب الى صناعة الآجر (القريميد) ولكن الى قرية آجر من قرى بغداد . وابو بشر محمد
 الرازي الدولابي لم يصنع الدولاب ولكن نسب الى الدولاب وهي قرية من الري وصناعته
 كانت الوراقة فلقب بالوراق . وابو بكر محمد الصولي الشطرنجي توم بعضهم انه وضع
 الشطرنج أو صنمه والصحيح انه اشتهر باللعب فيه . والفراء النخوي الكوفي كان
 يفري الكلام ولم يشتغل بالفراء فعرف بهذا اللقب . وابو عمرو بن دراج التسلي نسب
 الى قسطة في الاندلس لا الى عمل القساطل للياء . وونس الصدي المصري الفقيه لم يعمل
 الصدف بل لسبب آخر سمي بالصدي وهو انه صدف بوجهه مرة فلزمه هذا اللقب .
 ومحمد بن الحسن الصائغ الدروزي اقام بالصاغة زماناً يقرئ الناس فلقب بالصائغ الى
 غير ذلك وهم كثيرون

هذا ماوصلت اليه يد الاستقراء الآن من صناعات المشاهير عند العرب جمعتهم بقصرة
 وذكرى لمن يتوهمون ان الصناعة تزري بالعلماء والأدباء والمشاهير . على ان الافرنج كثير

الولع بالصناعات مما سافر له مقالة خاصة ان شاء الله في فرصة أخرى . ولقد اعرضت عن مشاهير المعاصرين باسماء الأُمم التي تدب الى الصناعات وهي كثيرة في بلادنا قريبة العهد فلا حاجة الى وصفها . فحبذا لو كثر الميل الى اسباب العمران بين ظهرائنا وولع مواطنونا بالصناعات ونحوها مما يوفر الدراهم ويملأ الاوقات ويعود على البلاد بالنفع والا فان اقتصرنا على العلوم اللغوية واللسانية جهود فلننخذها مفتاحاً للعلوم الطبيعية:

بزراعة وصناعة وتجارة تجدد البلاد تقدماً وفلاحاً

اسباب عمران فشيء صرحها وخذ العلوم لنيلها مفتاحاً

زحلة عيسى اسكندر المعلوف

دقائق عربية

لا امرأ ان من يشتغل بالكتابة ويتوغل في المطالعة يمر به من صور التراكيب ومن الافعال المفردة ما يربك ذهنه . ان كتب النحو وكتب اللغة فلا يهتدي الى ما يحلوه وجه الصواب فان علماء العربية في كثير ما ألفوا في علي السرف والنحو واللغة تراهم قد اغفلوا من القواعد والتذبيات والمفردات ما قد ترى مضى في كتب الشروح او في الكلام القديم كما ذكرت ذلك في مقالة بهذا العهد ان نشرت في المجلد الخامس والعشرين من المنطف و قد اجتمع لدي كثير من هذه الدقائق فلم ادخرها لنفسى بل احببت نشرها رغبة في ان يكون للأدباء من وراء نصبي فائدة وابتغاء تخليص العبارة من علل الخطأ فان في بعض المنشورات الحديثة ما يذوب له قلب البلاغة وتدفع له عين الفصاحة واكبر نصير لتلك المنشورات على تشويه مجبا البيان اختلاط الغث بالسمين فيتناثر فيها بالبلغ اذالك قد وقعت في ارك تركيب نحى ان المنشورات العامة العبارة اخف جناية على الفصاحة مما اجتمع فيه التسميح بالمثل فيلبس على الضعفاء من اهل الادب العليل بالصحيح والخطأ بالصواب فينخدون الخطأ صواباً والعليل صحيحاً وتلك رزية كبيرة على الفصاحة فن هنا تعلم ان نشر مثل هذه المقالات المتمة للتناقض والمبينة للبهيم هي أوسع فائدة واجل نفعاً وأرفع شأنًا من تأليف كتاب في علم قد صارت المؤلفات فيه تربى على الالوف كما هي الحال في علم العربية

الدقيقة الاولى

قد أجازوا ان تتخاطب جماعة النساء خطاب الواحدة كما أجازوا ان تبعت وخبير عن الجمع المكسر بالصفة مفردة فيقولون عيونهم نائمة وما أجمل العيون الحوراء . ولم أجد من نبه على ذلك فيما وقفت عليه من كتب النحو والصرف مع انه وارد في كلام من بنيت على كلامهم قواعد التصريف والاعراب قال علقمة بن علف المري وهو من شعراء الحماسة ولست بسائل جارات بيتي أغياب رجالك أم شهود

وقال آخر

قد كتب الحسن علي وجهه . يا أعين الناس قني وانظري
فقال الاول (رجالك) مكان (رجالكن) وقال الثاني (قني وانظري) مكان (قفن وانظرن)

الدقيقة الثانية

من حق الضمير ان يطابق مرجعه تذكيراً وتأنيثاً وافراداً وثنية وجمعاً وكذلك اسم الإشارة كما هو معلوم عند صفار الطلبة ما خلا اسم الجمع فقد فضلوا في الاضمار له مراعاة اللفظ على مراعاة المعنى قلت لكن متى كان المقام يقضي الكثرة كانت مراعاة المعنى عين مقنضى الحال فيقال هؤلاء قوم كرام وهذا قوم كريم وهذا شعب شجاع وهؤلاء شعب شجعان وكذا حكم اسم الجنس فيقولون ورق خضر باعتبار المعنى وورق أخضر باعتبار اللفظ قال ابو خراش الهذلي

تكاد يدي نندي اذا لمستها ونظهر في اطرافها الورق الخضر

ولم أجد من زاد على ذلك لكنني رأيت في كلام من يوثق بهم جواز مطابقة الضمير واسم الإشارة للخبير . فان كان المرجع مؤنثاً والخبير مذكراً أجازوا الاتيان بضمير المذكور . وكذا اذا كان المرجع مذكراً والخبير مؤنثاً . مثال الاول قول التبريزي في شرح الحماسة « فائدة اذن هو انه أخرج البيت مخرج الجواب » ومثال الثاني ما جاء في كامل المبرد من قوله « اذا صب لبن حليب على حامض فهي المرخة » وهذا فاش في كلام الفصحاء وقد جاء في سورة الانعام « فلما رأى الشمس بازغة قال هذا ربي » مكان هذه ربي . قال صاحب الكشف « فان قلت ما وجه التذكير في قوله « هذا ربي » والاشارة للشمس قلت جمل المبتدأ مثل الخبر لكونهما عبارة عن شيء واحد . وقال صاحب انوار التنزيل « ذكر اسم الإشارة لتذكير الخبر وصيانة للرب عن شبهة التأنيث »

الدقيقة الثالثة

معى أريد بالمفرد العموم ولو لم يكن اسم جنس جمعي كالشجر او اسم جمع كالشعب والقوم جاز ان يعامل في نفعته والاضمار له والاخبار عنه معاملة الجمع وهذا مبني على اعتبار المعنى فقد جاء في سورة الانعام « وما من دابة في الارض ولا طائر يطير بجناحيه الا ام امثالكم » قال الزمخشري « فان قلت كيف قيل ام مع افراد الدابة والطائر قلت لما كان قوله تعالى « وما من دابة في الارض ولا طائر يطير بجناحيه » دالا على معنى الاستغراق ومعنى ان يقال وما من دواب ولا طير حمل قوله الا ام على المعنى « وقال البيضاوي و « جمع الام للحمل على المعنى » ومثله في القرآن ايضا « وكم من ملك في السموات لا تنفي شفاعتهم شيئا » وذلك لان قوله كم من ملك في معنى كم ملائكة

الدقيقة الرابعة

في الفرق بين « نادها لو تسمع » وبين « فحيها هل تسمع » قال التبريزي في شرح قول مويك في رثاء امرأته
أمر على الجدث الذي حلت به أم العلاء ونادها لو تسمع
ويروى « فحيها هل تسمع » والفرق بين (لو) هنا وبين (هل) ان (لو) فائدة الشرط هنا والكلام به كلام من غلب القنوط عليه من ادراكها تحية من زارها و (هل) من حيث كان للاستفهام بصير الكلام به كأنه كلام راج او طامع في سماعها ويكون المعنى حيها وانظر هل تسمع

الدقيقة الخامسة

حق رب ان تدخل على الماضي ولكنها جاءت في سورة الحجر داخلة على المضارع حيث قال « ربما يود الذين كفروا لو كانوا مسلمين » قال الزمخشري لان المترقب في اخبار الله تعالى بمنزلة الماضي المقطوع به في تحقيقه فكأنه قيل ربما ود

الدقيقة السادسة

ان الفاء التي تلي همزة الاستفهام انما يراد بها التعقيب قال الزمخشري في تفسير قول القرآن « أفرأيت الذي كفر بآياتنا » والفاء جاءت لافادة معناها الذي هو التعقيب كأنه قال اخبر ايضا بقصة هذا الكافر واذكر حديثه عقيب حديث أولئك

الدقيقة السابعة

(فضلاً) مصدر بتوسط بين الادنى والاعلى للتنبيه بنفي الادنى واستبعاداه عن

الوقوع عَلَى نفي الالى واستحقاقه فيقع مدني اما صريح كقولك لا يملك فلان الدرهم
فضلاً عن الديتار واما ضمنى نحو . ونقاصرهم عن ادنى عدد هذا العلم فضلاً ان
: رقى الى الكلام المؤسس عَلَى علمي لمعاني واليان . واكثر الكتابة المعارين ذاهلون
عن هذا الحكم فيستعملون فضلاً في الانياب كقولك زيد بارع في صيد البر فضلاً
عن برأته في صيد البحر وهو مخالف للعادة المذكورة معار للمنهج البلغاء .

الدقيقة الثالثة

قد فشا في كتب علماء الصرف ان (يدع وينذر) ادميت ماضيها حتى صار ذلك
معلوماً لعبان المكاتب ولم اعثر في قدر الكلام . اي . ايجال ذلك الا في بيت من قصيدة
عينية لسويد بن ابي كاهل البشكري وهو :

فسعى مساعنهم في قومه ثم لم ينظر ولا عجزاً ودع

قال الشارح : اي سعى مسعاة ايده في قومه فلم ينظر بالاراد ولا ترك عجزاً الا استعماله
والقصيدة من مختارات المفضل الضبي فيؤخذ من ذلك ان المضطر ان يحجي ما أميت كما
احياه سويد

الدقيقة التاسعة

لم يذكر النخاعة شيئاً في اعراب (حاس لله) وهي في موضع النصب عَلَى المصدرية .
وانما بقيت تلي بنائها كقهاء « عن » تلي بانها في نحو جلس من عن يمينه . ذكر ذلك
الزحخشري في تفسير سورة يوسف

الدقيقة العاشرة

من سنن العرب انهم يقولون في نحو بني العرب بلعنبر وكذلك يفعلون في كل ما فيه
ألف ولام اذا لم يكن ثم ادغام فيقولون للعجلان وبلعارت في بني العجلان وبني الحارث
فان كانت لام التعريف مدعمة مثل العمر لم يحدفوا النون من بي

الدقيقة الحادية عشرة

اذا نوات النعوت او الاحوال وترك العطف كان ذلك اشارة الى ان كل نعت صفة
كحل عَلَى حدة كقول الزحخشري في مقدمة الكشف « اشأه كتاباً ساطعاً تبياناً قاطعاً
برهانه »

الدقيقة الثانية عشرة

قد اجاز العروضيون وصل همزة القطع لاقامة الوزن وقد عثرت في ثمرح القصيدة

التي هجاها حسان بن ثابت . سافع بن عياض التيمي عَلَى ما نصه « قوله او اصحاب اللوا الصيد » حفف الهمة . وتخفف اذا كان قبلها ساكن فتطرح حركتها عَلَى الساكن كقولك من ابوك كذا ذكره المبرد في كامله

الدقيقة الثالثة عشرة

ان كثيراً من كتب النحو المتداولة نخص على وجوب نصب الفعل بعد فاء السبب في جواب النفي والصحيح ان ذلك غالب لا واجب بدليل قول الخارثي وهو من شعراء الحماسة فاحييتي ان لم تكن لك رحمة علي ولا لي منك صبر فأصبر

وقد جاء في القرآن بالرفع بعد الفاء حيث قال « ولا يؤذن لم فيعتذرون » ذكر ذلك يبيويه والدمامي ونقله الصبان في باب النواصب

الدقيقة الرابعة عشرة

ان (احداً) لا يستعمل الا مسبقاً بالنفي ما لم يصف نحو قام أحد الاربعة او يقع نعتاً لله نحو هو الله الاحداو بصاحب اسماء العدد كقولك عندي احد وعشرون رجلاً هذا ما صرح به في كتبهم ولقد رأيت البلغاء يستعملونه قبل النفي كقول الزمخشري ولعلنا ان احداً سيبره لا يقوم تامه فيؤخذ من ذلك ان الشرط مصاحبة النفي سواء تقدم ام تأخر خلافاً لما يفهمه اكثر الادباء من وجوب الوقوع بعد النفي

الدقيقة الخامسة عشرة

قد انكر احد من ادركنا من اهل العصر على احد المعاصرين قوله « قال يوحنا في الذهب » وقال الصواب ان يقال الذهبي الفم . قلت ان هذا الانتقاد خطأ لأن فم الذهب لقب يوحنا فهو بدل منه لا نعت له عَلَى حد قولهم جاء زيد زين العابدين . وذهب عمرو اذف الدافة

الدقيقة السادسة عشرة

قد انكر بعضهم استعمال المربض لغير الغنم استدل بهم من كتب اللغة كالصاح والمصباح . وقد رأيت في الصفحة ٦٢٦ من الجزء الاول من الكشف في تفسير سورة يوسف ما نصه « وهو جاثم في مربضه اي الطائر » ومثل الزمخشري جدير بان يوثق بكلامه

الدقيقة السابعة عشرة

قد انكر بعضهم جمع برهان عَلَى برهانات وجاء في كتاب البيان والنبين للجاحظ في

الصفحة الثامنة ما نصه « ومن العلامات الطاهرة والبرهانات الواضحة فيكون انكاره خطأ وانتقاده غلطاً »

الدقيقة الثامنة عشرة

قد يخبر عن الجمع بالمفرد ولكن علي تأويل قال القرآن « كلا سيكفرون بعبادتهم ويكونون عليهم ضداً » انما هو ضداً وحقه ان يكون جمعاً لانه في كلمتهم وانهم كشيء واحد لفرط تضامهم وتوافقهم وقال القرآن ايضاً « وما جعلناهم جسداً لا يأكلون الطعام يريد ذوي جسد ووحيد الجسد لارادة الجنس كأنه قال ذوي جسد من الاجساد ومثله «وما زالت تلك دعواهم حتى جعلناهم حصيداً خامدين» ومن هذا الباب قول القرآن ايضاً « ثم نخرجكم طفلاً » قال المفسر . طفلاً حال اجريت علي فقد ير كل واحد

الدقيقة التاسعة عشرة

قد ورد في الشعر خطاب المرأة بضمير الرجال وذلك كقوله
فلا تحسبي اني تخشعت بعدكم لشيء ولا اني من الموت أفرق
وكقول سعيد بن حميد يخاطب محبوبته فضل الشاعرة
تظنون أني قد تبدلت بعدكم بدلاً وبعض الظن اثم ومنكر
اذا كان قلبي في يديك رهينة فكيف بلا قلب أصافي وأهجر
ومن هذين الشاهدين تعلم انه يخاطب المرأة بضمير المؤنثة المخاطبة وضمير جمع المذكر العاقل وهو جائز حيث يؤمن اللبس

الدقيقة العشرون

اذا كان المشكك في فن ثم شرع في فن آخر من الكلام يصدر الكلام الجديد بقوله
(اعلم) تنبيهاً على الانتقال — ذكر ذلك الزمخشري في كتابه

الدقيقة الحادية والعشرون

من سنن العرب ان يستغنى بذكر الشيء عن ذكر تقيضه قال المثقب العبدى
ولا تعدي مواعد كاذبات تمر بها رياح الصيف دوفي
اراد رياح الصيف والشاء فاجتزأ بواحد منهما ومثل ذلك قول القرآن « سراويل
نقيم الحر » لم يذكر البرد وهي نقي الحر والبرد قترك البرد اجتزأ بذكر الحر

الدقيقة الثانية والعشرون

من التراكمب المستفيضة الواردة عن البلغاء ما تقدر فيه الجملة بالمفرد . من ذلك

قولهم ما ترى لنا أنهرب أم نقيم والتقدير ما ترى لنا الحرب أم الإقامة . وهذا لم يجد من تعرض لذكره . نعم قالوا في باب أم المتصلة أنها تقع بين جملتين في تأويل المفرد نحو قول القرآن « سوا عليهم أنذرتهم أم لم تُنذرهم لا يؤمنون » على أنهم لم ينهبوا على أن الجملة نسبك بمصدر الاعم الاحرف المصدرية

الدقيقة الثالثة والعشرون

قد رأيت من الادباء من ينكر استعمال صار بمعنى حصل وهذا خطأ جل به نقص العلم فهي تأتي بمعنى حصل ومن تتبع كتب اللغة يراها واردة بهذا المعنى في عدة مواضع من ذلك ما جاء في مادة (وق ع) ونصه « وقع في ارض فلاة صار فيها »

الدقيقة الرابعة والعشرون

ان اكثر الأدباء يرون قول العامة بقي فلان بفرد بد خطأ وصوابه « بيد واحدة » والحال انه عربي فصيح فقد جاء في اخبار دجيل في كتاب الاغاني خلف ان لا يبيعها (اي الحلة) او يعطوه بعضها ليكون في كفته فاعطوه فردكم اي كفا واحداً وقد ورد هذا في غير الاغاني من كتب البلغاء

الدقيقة الخامسة والعشرون

لم أر من نص على ان حيث تقع في مقام التعليل مع انها وردت للتعليل في كلام البلغاء كالزخشي والبيضاوي قال الاول « والامر على عكس ما قدروا حيث هم جند لآلهم معدون » وقال الثاني وما ضررت بالكفران الا انكم حيث حرمتوها مزيد الانعام » وهي في كلام هذين الامامين بمعنى لان

الدقيقة السادسة والعشرون

اذا جاز في لفظ مراعاة اللفظ ومراعاة المعنى فان روعي احدهما في جملة جاز ان يراعى الآخر في أخرى . قال في صورة الحجر « وما نسبق أمة أجلها وما يستأخرون » وقال غلاق بن مروان وهو من شعراء الحماسة

فاضحت زهير في السنن التي مضت وما بعد لا بدعون إلا الاشياء

الدقيقة السابعة والعشرون

اذا قيل لا اشجع من عمرو ولا أجبن من خالد ولذلك يشبه بهما كل متناه في الشجاعة وكل متناه في الجبن يكون المراد ان كل من كان في الشجاعة يشبه بعمرو وكل متناه في الجبن يشبه بخالد لا ان كل متناه في الشجاعة يشبه بخالد ولا كل متناه في الجبن يشبه بعمرو

خلاقاً لما يماري فيه من يدعون التعمق في علم العربية وإنما هم واقفون عند ظواهرها
وتعزياً لهذا اروي لك ما بين لك الامر كالصبح قال البيضاوي في تفسير سورة يوسف
« وذلك لان الله عز وجل ركز في الطباع ان لا احسن من الملاك كما ركز فيها ان لا اقبح
من الشيطان ولذلك يشبه كل متناه في الحسن واقبح بهما انه يريد ان كل متناه في الحسن
يشبه بالملك وكل متناه في القبح يشبه بالشيطان

بيروت

سعيد الخوري الشرتوني



المقارن

الفروق

للعرب كتب كثيرة في الفروق افردوها في التأليف وقد ذكر منها صاحب كشف الظنون رسالة في فروق الاصول وأخرى في فروق فروع الحنفية للكرائسي النيسابوري المتوفى سنة ٧٧٤ وغيرهما للشيخ الكرائسي السمرقندي اتوفى سنة ٣٢٢ وثانية اسمها فروق الكرائسي المسمى بتفليح الغريب ورابعة في فروق فروع الشافعية لابن مريج وأخرى للجويني ولابن النقاش وللمذي (٢٥٥) وللأرموي (٧٧٢) قال ذكر الاستوي في مطالع الدقائق ان المطارحة بالمسائل ذوات المأخذ المؤتلفة المتفقة والاجوبة المختلفة المغترقة من مآثر افكار العلماء وقال قد رأيت لاصحابنا في هذا المعنى تصانيف منها ما هو موضوع لهذا المعنى بخصوصه ومنها ما هو مشتمل على اعم منه فن الاول كتاب الجمع والفروق للاتيخ ابي محمد الجويني ومنه كتاب الوسائل في فروق المسائل بمجلد ضخم لابي الخير سلامة بن اسمعيل بن جماعة المقدسي ومن الثاني كتاب المطارحات لابي عبد الله القطان ظفر به الراعي ونقل عنه في كتاب الغصب ومنه المسكت بالسبب المهمة والتاء المثناة لابن عبد الله الزبيرى وم بالعاية لابي العباس الجرجاني وهذا الباب واسع جداً اشتمل على الفث والسمن اه

ومن جملة المخطوطات التي حوتها خزانة كتب السيد عبد الباقي الحسني مخطوط فيه اربع رسائل وسم اولها بكتاب المتوكلي يذكر فيه ما ورد في القرآن باللغة الحبشية والفارسية والمندية والتركية والزنجية والبطية والقبطية والسريانية والعبرانية والرومية والبربرية وغير ذلك لجلال الدين السيوطي والثانية الاحاديث الثمانية المنخبة من نوادر

الاصول العالية لابي الضياء البونيني وبله حسن التسمي بدار النعيم للطلابوي وبله
المنتخب من كتاب الفروق لابي هلال العسكري . وليس على المجموع كتابة يعرف منها
تاريخ كتابه الا ان الظاهر من خطه وورقه انه حديث وربما كانت الرسالة الاخيرة
منه في الفروق اقدم من الثلاث الاولى لانها مكتوبة بخط مختلف عن الخط الاول
ولم يذكر فيه اسم صاحبها والغالب انه تركي كتب على حاشية الصفحة الاولى مانصه :
« الفرق بين الاسامة والاسد ان الاسد اسم للجنس والاسامة علم للجنس . الفرق بين علم
الجنس واسم الجنس ان علم الجنس موضوع للماهية المشتركة واسم الجنس موضوع للأفراد
جليي » وقال على الحاشية « الانسان والفرس والبقرفانها علم للتحقيقة المشتركة بين المذكر
والمؤنث شرح » وفي آخر الرسالة : « تمت (؟) الكتاب بمون الملك الوهاب . »
وبذلك يتدل على عجمية الكاتب والمختصر واليك الرسالة برمتها :

بسم الله الرحمن الرحيم وبه نستعين اما بعد حمد الله والصلوة والسلام على رسول الله
صلي الله عليه وسلم محمد وعلى سائر رسل الله وملائكته المقربين والرضى عن الصحابة
والتابعين فهذه شذرة علفتها من كتاب الفروق لابي هلال العسكري رحمه الله
الفرق بين الاختصار والابحاز ان الاختصار هو الفأوك فضول الالفاظ من كلام
مؤلف سبق حدوثه من غير اخلال بمعانيه والابحاز هو الكلام على قلة اللفظ وكثرة
المعاني

الفرق بين الاطناب والاسهاب ان الاطناب بسط الكلام لتكثير الفائدة والاسهاب
بسطه مع قلته فالاطناب بلاغة والاسهاب عي^(١)

الفرق بين الحال والممتنع على ما قاله بعض العلماء ان الحال ما لا يجوز كونه ولا يتصور
مثل قولك الجسم اسود ايض في حالة واحدة والممتنع ما لا يجوز كونه ويجوز تصوره
في ام مثل قولك للانسان عش ابدآ

الفرق بين الانكار والجحد ان الجحد اخص من الانكار لان الجحد انكار الشيء
الظاهر لقوله تعالى بآياتنا يحدون والانكار لشيء خفي اقلوه تعالى يعرفون نعمه الله ثم
ينكرونها لان النعمة قد تكون خافية ويجوز ان يقال الجحد هو انكار الشيء مع العلم به
لقوله تعالى ومجدوا بها والانكار لا يكون مع العلم

^(١) وفي المامش الاختصار فيما اذا كان اللفظ والمعنى قليلا والاختصار فيما اذا كان
اللفظ قليلا والمعنى كثيرا

الفرق بين الزور والكذب والبهتان ان الزور هو كذب قد حسن في الظاهر ليجب انه صدق بخلاف الكذب واما البهتان فهو مواجهة الانسان بما يكرهه
الفرق بين الاقتراء والاختلاق ان المفترى يقطع بالكذب ويخبر به والمخلاق يبتدي كذباً ويخبر به

الفرق بين الاقرار والاعتراف ان الاقرار فيما قاله اداء معاني اخبار عن شيء ماض وهو في الشريعة جهة ملزمة للحكم وقل بعضهم الاعتراف كالاقرار وقال ابو هلال يجوز ان يقر بالشيء وهو لا يعرف انه اقر به ويجوز ان يقر بالباطل الذي لا اصل له ولا يقال لذلك اعتراف انما الاعتراف هو الاقرار الذي صحبته المعرفة بما اقر به مع التزام له ولهذا يقال اعتراف بالامعة ولا يقال اقرار بها فكل اعتراف اقرار وليس كل اقرار اعترافاً ولهذا اخبار اصحاب الشروط الاقرار لانه اعم وتقيض الاعتراف الجحد وتقيض الاقرار الانكار

الفرق بين الشكر والحمد ان الشكر هو الاعتراف بالنعمة على جهة التعظيم للنعمة والحمد هو الذكر الجليل على جهة التعظيم ويجوز ان يحمد الانسان نفسه على امور جميلة بآتيها ولا يجز ان يشكرها فالاعتماد في الشكر على توجيئه النعمة وفي الحمد على ما توجبه الحكمة وتقيض الحمد الذم وتقيض الشكر الاكفار ولا يجوز ان يطلق الحمد الا لله تعالى
الفرق بين الحمد والمدح ان الحمد لا يكون الا على احسان بخلاف المدح
الفرق بين الجزاء والمكافاة والمقابلة ان الجزاء لا يلزم فيه المساواة بخلاف المكافاة والمقابلة وعورض بقوله تعالى وجزاء سيئة سيئة مثلها الآية

الفرق بين الثناء والثناء على ما قال بعضهم ان الثناء بنقد الشيء يكون في الخير والشر والثناء بنقد الشيء لا يكون الا في الشر والصحيح ان الثناء وهو الاول لا يكون الا في الخير وربما استعمل في الشر والثناء وهو الثاني يكون في الخير والشر
الفرق بين السب والشتم ان الشتم تضييع امر المذموم بالقول والسب هو الاطّاب في الشتم والاطالة فيه

الفرق بين الشتم والسفه ان الشتم قد يكون حسناً اذا كان المشتوم يستحق الشتم والسفه لا يكون الا قبيحاً

الفرق بين الذم واللوم ان اللوم على الفعل الحسن والذم لا يكون الا على القبيح
الفرق بين العتاب واللوم ان العتاب هو يكون على تضييع حقوق المودة والصداقة بخلاف اللوم

الفرق بين المستقيم والصحيح والصواب ان كل مستقيم صحيح وليس كل صواب صحيح مستقيماً

الفرق بين المستقيم والصواب ان الصواب اطلاق الـ منانة الى الحسن والمستقيم هو الجاري على سنن وان كان قبيحاً

الفرق بين الخطأ والغلط ان الخطي من يقصد الشيء فيصيب غيره واما الغلط فهو وضع الشيء في غير موضعه

الفرق بين اللحن والخطا ان اللحن في القول فقط والخطا في القول والفعل

الفرق بين العهد والعهد ان العهد انغ من العهد

الفرق بين العهد والميثاق ان الميثاق يؤكد العهد وقل بعضهم العهد بين اثنين والميثاق من احدهما

الفرق بين الوعد والعهد ان العهد ما كان بشرط قال الله تعالى ولقد عهدنا الى آدم الاية ان لا يخرج من الجنة ما لم يأكل من الشجرة بخلاف الوعد ويقال نقض العهد واخلف الوعد

الفرق بين التفسير والتأويل قيل ان التفسير هو الاخبار عن افراد آحاد الجملة والتأويل الاخبار بمعنى الكلام جملة وقيل التفسير افراد ما ينظمه ظاهر النزول والتأويل اخبار بفرض المتكلم وقيل التأويل استخراج معنى الكلام لا على ظاهره بل على وجه مجاز او حقيقة

الفرق بين الشرح والتفصيل ان الشرح بيان المشروح واخراجه من وجه الاشكال الى النجلى والظهور ولهذا لا يستعمل الشرح في القرآن والتفصيل هو ذكر ما تضمنته الجملة على سبيل الافراد ولهذا قال الله تعالى ثم فصلت من لدن حكيم ولم يقل شرحت الفرق بين التقسيم والتفصيل ان في التفصيل معنى البيان عن كل قسم بما يريد ذكره فقط والتقسيم يحتمل الامرين والتقسيم بفتح المعنى والتفصيل بفتح بيانه

الفرق بين القرآن والفرقان ان القرآن اعم وفرقان هو الفارق بين الحق والباطل والمؤمن والكافر

الفرق بين السلام والتحية ان التحية اعم من السلام

الفرق بين العام والمبهم ان العام يشتمل على اشياء والمبهم يتناول واحد الاشياء بعينه الفرق بين فحوى الخطاب ودليل الخطاب ان فحوى الخطاب باللفظ كقوله تعالى

ولا نقل لما أف ودليل الخطاب هو ما علق بصفة الشيء او عدده او حاله او غايته ونحوها
الفرق بين البيان والفائدة ان البيان لمعرفة غيره والمعرفة لنفسه ؟
الفرق بين القراءة والتلاوة ان التلاوة لا تكون الا كلمتين فصاعداً والقراءة تكون
لكلمة واحدة

الفرق بين المنازعة والمطالبة ان المطالبة تكون بما يستوفى به المطلوب والمنازعة لا تكون
الا فيما ينكره المطلوب

الفرق بين المسألة والشئ ان المسألة عامة في كل شيء والفتيا سؤال عن حادثة
الفرق بين بلى ونعم ان بلى لا تكون الاجواباً للتقدم من جموده كقوله تعالى: أأست
بربكم قالوا: بلى . اما نعم فلا تكون الا للاسئفاهم بلا جبريد وكقوله تعالى: فهل وجدتم ما
وعد ربكم حقاً قالوا: نعم

الفرق بين الوسوسة والفرع ان الفرع الاغواء بالوسوسة واكثر ما يكون عند الغضب
الفرق بين الدلالة والامارة ان الدلالة ما يؤدى النظر فيه الى العلم والامارة ما يؤدى
النظر فيه الى الظن

الفرق بين الاستدلال والدلالة ان الدلالة ما يمكن الاستدلال به والاستدلال
فعل المستدل

الفرق بين النظر والاستدلال ان الاستدلال طلب معرفة الشيء من جهة غيره
والنظر طلب معرفته من جهته ومن جهة غيره

الفرق بين النظر والتأمل ان النظر هو ما ذكرناه وتأمل هو النظر المؤمل به معرفة
ما يطلب ولا يكون الا في مدة فكل تأمل نظر وليس كل نظر تأملاً

الفرق بين النظر والبديهة ان البديهة اول النظر يقال عرفته على البديهة اي في
اول احوال النظر

الفرق بين البديهة والروية ان الروية على ما قال بعضهم آخر النظر والبديهة اوله
الفرق بين النظر والفكر ان النظر يكون فكراً ويكون بديهة وان الفكر ما عدا البديهة
الفرق بين التفكير والتدبر ان التدبر صرف القلب بالتدبر في الامور والتفكير تصرف
القلب بالنظر في الدلائل

الفرق بين الانتظار والترجي ان الترجي انتظار الخير خاصة ولا يكون الا مع الشك
واما الانتظار والتوقع فهو طلب ما يقدر ايقاعه

الفرق بين الانتظار والتربص ان التربص طول الانتظار
الفرق بين الخاطر والنظر ان الخاطر مرور معنى بالقلب بمنزلة خطاب مخاطب وعند
بعضهم انه كلام يحدّثه الله تعالى او الملك في سمع الانسان فاذا كان من الشيطان سمي
وسواساً وعورض بالآخرس فان له خاطراً ولا كلام له
الفرق بين الذكر والخاطر ان الخاطر يكون ابتداءً وبكون عن عزوب والذكر لا يكون
الا عن عزوب

الفرق بين العلم والمعرفة ان المعرفة اخص من العلم لانها لا تكون الا مفصلة والعلم
يكون مجملاً ومفصلاً قال بعضهم : ولا يوصف الله بانه عارف قال المؤلف وليس كما قاله
الفرق بين العلم واليقين ان العلم معرفة الشيء على ما هو به او اعتقاده واليقين هو
سكون النفس بما علم وبهذا لا يجوز ان يوصف الله باليقين ويقال اليقين لا يزال بالشك
وقل ان يقال العلم لا يزال بالشك

الفرق بين الشعور والعلم ان الشعور النظر الدقيق الموصل للعلم والعلم اعم
الفرق بين المعرفة الضرورية والالهام ان الالهام ما يبدو في القلب من المعارف
بطريق الخيرة فيفعل وبطريق الشر فيترك والمعارف الضرورية اربعة عند المأهدة
وعند التجربة وعد الاخبار المتواتر وعند اوائل العقل

الفرق بين العالم والمحقق ان المحقق هو المتطلب حق المعنى حتى يدركه ولهذا يقال
ان الله محقق وقيل التحقيق لا يكون الا بعد الشك بخلاف العلم
الفرق بين العلم والعقل ان العقل هو العلم الاول الزاجر عن التبجح وكل من كان
زاجره اقوى كان اعتقلاً ولهذا لا يوصف الله تعالى به وقال بعضهم العقل الحفظ بقا
عقلت الدرام اي حفظتها ومن هذا الوجه يجوز ان يقال الله تعالى عاقل اي حافظ الا
انه لم يستعمل

الفرق بين الذهن والعقل ان الذهن هو تقيض سوء الفهم وهو عبارة عن وجود
الحفظ لما يتعلمه ولا يوصف الله تعالى به والعقل ما تقدم

الفرق بين الفطنة والذهن والعلم ان الفطنة هي التنبيه على المعنى وضدها الغفلة ويجوز
ان يقال ان الفطنة ابتداء المعرفة من وجه غامض وكل فطنة علم لا كل علم فطنة
والذهن ما تقدم

الفرق بين الفطنة والذكاء ان الذكاء تمام الفطنة وفي الذكاء معنى زائد عن الفطنة

الفرق بين الفطنة والحذاقة ان الحذاقة هي سرعة الحركة في الامور واصلمها الحدة والتناهي فلما كان الله تعالى لا تدهى معلوماته لم يميز ان يوصف بالحذاقة والفطنة ما تقدم

الفرق بين الالهي واللوزعي ان اللوزعي هو الحفيف الظريف مأخوذ من لدغ النار وهو سرعة اخذها من الشيء والالهي هو الفطن الذكي الذي تبين له عواقب الامور بادنى لمعة اي لوح له

الفرق بين الفريجة والطبيعة ان الطبيعة ما طبع عليه الانسان اي خلق والفريجة فيما قال المبرد ما خرج من الطبيعة من غير تكلف وقولم ماء قراح اي لم يخالطه شيء وللارض الذرة لا تثبت قرواح والشجرة اذا جاوزت الدهر قرواحه والفرس القارح القديم السن واما القرع في الجلد والقرحة شبيهه

الفرق بين العلم والفقه ان الفقه هو العلم بمقتضى الكلام على ما تأمله بخلاف العلم ولهذا لا يقال ان الله تعالى تفقه لانه لا يوصف بالتأمل

الفرق بين السمع والاصغاء ان السمع هو ادراك المسموع والاصغاء طلب ادراك الفرق بين السمع والاستماع ان الاستماع هو الاصغاء للمسموع ليفهم بخلاف السمع ولهذا لا يقال ان الله تعالى يستمع

الفرق بين العلم والادراك ان الادراك موقوف على اشياء مخصوصة وليس العلم كذلك والادراك يتناول الشيء على اخص اوصافه وعلى الجملة فالعلم يقع بالمعوم ولا يدرك الا الموجود والادراك طريق من طريق العلم ولهذا العلم قوته وضعفه بالمدرک والدرابة هي الفهم

الفرق بين الاحساس والادراك على ما قاله بعضهم انه يجوز ان يدرك الانسان الشيء وان لم يحس به كما يدركه يصره ويفعل عنه فلا يعرفه وقال اهل اللغة لما اشعرت به احسست به اي ادركته بحسك وفي القرآن: فلما أحسوا بأسنا وفيه: فتحسبوا من ربهم فاعوذوا بالله من يهتك بهم كسوفهم اي تكفر اي تله من اول وهلة ولا يجوز ان يقال الانسان يحس بوجود نفسه

الفرق بين العلم والاعتقاد ان العلم اعم فلا يلزم من العلم الاعتقاد بخلاف عكسه الفرق بين العلم والحفظ ان الحفظ هو العلم بالمسموعات دون غيرها من المعلومات الا

ترى لا يقال حفظت ان زيدا في البيت ولا يقال للعلم بالمشاهدات حفظ ويجوز ان الحفظ هو العلم بالشيء حالاً بعد حال من غير تحلل جهل او نسيان ولهذا سمي حفاظ القرآن حفاظاً ولا يوصف الله بالحفظ لذلك

الفرق بين الذكر والتنبه ان الذكر هو العلم بالحادث بعد التبيين بخلاف التنبه الفرق بين العلم والاحاطة ان الاحاطة كالدائرة سر كل وجه تجري في معنى العلم ومعنى القدرة وقد جاء لفظة الاحاطة في القرآن كثيراً منه قوله تعالى وكان الله بكل شيء محيطاً وقد احاط بكل شيء علماً والله محيط بالكافرين والعلم مانقدهم الفرق بين المعروف والمشهور ان المشهور هو المعروف عند جماعة كثيرة والمعروف هو المعروف ولو عن واحد

الفرق بين العلم والزهادة ان العلم اعم والشهادة اخص الفرق بين الشاهد والمتشاهد ان المتشاهد للشيء هو المدرك له رؤيته وقيل رؤيته او سمعاً وهو في الرؤية اشهر ولا يقال ان الله لم يزل مشاهداً لانه يقضي ادراكاً بجمله والشاهد هو يقضي ذلك

الفرق بين الشاهد والخائسر ان الشاهد للشيء يقضي العلم بخلاف الخائسر لا ترى انه يقال حضره الموت لاشاهده الموت ولا يصح وصف الموت بالعلم الفرق بين الاعلام والاخبار ان الاعلام التعريض بما علم به والاخبار اظهار الخبر علم به او لم يعلم

الفرق بين العلم والذليد ان العلم معرفة الشيء واعتقاده على ما هو به على سبيل الثقة والتقليد قبول الامر من لا يؤمن عليه الغلط بلا حجة

الفرق بين النسيان والسهو ان النسيان انما يكون عما كان والسهو يكون عما لم يكن يقال نسيت ما عرفته وبهذا يقال سهوت عن السجود الذي لم يكن يقال النسيان عن ذكر والسهو عن ذكر وعن غيره

الفرق بين السهو والغفلة ان الغفلة تكون عما لا يكون والسهو عما يكون وفرق آخر وهو ان الغفلة تكون عن فعل الغير ولا يجوز ان يسها عن فعل الغير

الفرق بين النوم والاعماء ان الاعماء هم من مرض فقط والنوم سهو بمحدث من فتور جسم الفرق بين الظن والحسبان ان قول بعضهم ان الظن ضرب من الاعتقاد والحسبان ليس بهما

الفرق بين الريبة والتهمة وكلاهما مذمومتان ان الريبة في الانسان تودث شكاً في صلاحه مثلاً والتهمة تورث مقالاً فيه فكل مرتاب متهم وكل متهم ليس بمرتاب
الفرق بين التصور والتخيل ان التصور لا يثبت على حال وقيل التخيل تصور الشيء على اوصائه والتخيل والتصور منافيان العلم كما ان الظن والتك ينافيانه
الفرق بين الحماة والرقاعة ان الرقاعة على ما قال بعضهم حمق مع رفعة وعلو رتبة ولا يقال احمق اذا كان سيداً او رئيساً او ذا مال او جاه

الفرق بين الحياة والعيش ان العيش سبب الحياة من اكل وشرب ونحوهما
الفرق بين الحياة والروح ان الروح من قرائن الحياة والحياة عرض والروح جسم رقيق من جنس الريح وقيل هي جسم رقيق حساس وزعم الاطباء ان موضعها في الصدر من الحجاب والقلب وذهب بعضهم الى انها مبسوطه في جميع البدن وفيه خلاف كثير وسمي جبرائيل عليه السلام روحاً لان الناس ينتفعون به في دينهم كانتفاعهم بالروح وبهذا المعنى سمي القرآن روحاً

الفرق بين الروح والمهجة والنفس والذات ان الروح ما تقدم والمهجة خالص دم الانسان الذي اذا خرج خرجت روحه وهو دم القلب والنفس مشتركة بقم على الروح والذات

الفرق بين الاهلاك والاعدام ان الاهلاك اعم من الاعدام فكل اعدام اهلاك وليس كل اهلاك اعداماً

الفرق بين القدرة والقهر ان القدرة تكون على صغير اقدور وكبيره والقهر يدل على كبير المقدور

الفرق بين الغلبة والقدرة ان الغلبة من فعل الغالب وليست القدرة من فعل القادر
الفرق بين القهر والغلبة ان الغلبة من نتائج القدرة

الفرق بين القادر والقوي ان القوة اخص والقدرة اعم فكل قوي قادر لا كل قادر قوي
الفرق بين القوة والشدة ان الشدة ليست من قبيل القدرة قال الله تعالى: اشد منهم قوة اي اقوى منهم وفي القرآن ذو القوة المتين اي العظيم الشأن في القوة

الفرق بين الشدة والصعوبة ان الشدة ما ذكرنا والصعوبة تكون في الافعال دون غيرها
الفرق بين الصحة والعافية ان الصحة اعم والعافية اخص

الفرق بين الصحة والسلامة ان السلامة تقيض الهلاك والصحة تقيض السقم

الفرق بين القدرة والطاقة ان الطاقة غاية مقدرة القادر واستفراغ وسعه في المقدور ولا يقال لله تعالى مطيق

الفرق بين القدرة والاستطاعة ان القدرة اعم والاستطاعة اخصر وكل مستطيع قادر لا كلفة ادر مستطيع

الفرق بين القادر والتمكّن قال بعضهم منهاها واحدو بعضهم فرق والاستطاعة والتمكّن من صفات المخلوقين

الفرق بين الدوام والخلود ان الدوام هو استمرار البقاء في جميع الاوقات والخلود هو استمرار البقاء من وقت المبدأ والله تعالى موصوف بالدوام لا بالخلود

الفرق بين الدائم والسرممد ان السرممد هو الذي لا فصل فيه بل اتباع الشيء الشيء الفرق بين الخلود والبقاء ان الخلود استمرار البقاء من وقت له مبدأ واصل الخلود الزوم

الفرق بين القديم والباقي ان الباقي هو الموجود لا عن حدوث والقديم ما لم يزل كائناً موجوداً والقديم على الحقيقة هو الذي لا اول لوجوده

الفرق بين الاول والسابق ان السابق يقضي ان يكون ثم مسبوق والاول لا يقضي ثانياً الا ترى انك تقول هذا اول موجود ولد لفلان وان لم يولد له غيره واول عبد وملك حجة وان لم يملك غيره وبهذا يبطل قول المتعدين ان الاول لا يسمى اول الا بالاضافة الى الثاني

الفرق بين الحب والود ان الحب فيما يكون يوجبه ميل الطباع والود من جهة ميل الطباع فقط

الفرق بين الارادة والرضا ان الارادة تكون الطاعة قبلها والرضا بها يكون بعدها او معها والرضا نقيض السخط والسخط من الله تعالى ارادة العقاب فينبغي ان يكون الرضا منه ارادة الثواب

الفرق بين الارادة والمشيئة ان الارادة لما يتراخى وقته ولما لا يتراخى والمشيئة لما يتراخى وقتها فقط

الفرق بين المشيئة والعزم ان المشيئة تقدم والعزم ارادة بقطع بها المريد رؤيته في الاقدام على الفعل او الاحجام عنه ويختص بارادة المريد لفعل نفسه لانه لا يجوز ان يعزم على فعل غيره

الفرق بين العزم والنية ان النية ارادة متقدمة لتفعل باوقات والعزم قد يكون متقدماً للعزم عليه باوقات او نوقت ولا يوصف الله تعالى بالنية ولا بالعزم
الفرق بين الارادة والاختيار ان الاختيار ارادة الشيء بدلاً من غيره بخلاف
الارادة

الفرق بين القصد والارادة ان قصد القاصد مختص بفعله دون فعل غيره والارادة غير مختصة باحد الفعلين دون الآخر والقصد ايضاً ارادة الفعل في حال اتحاده فقط اذا تقدمته باوقات لم يسم قصداً الا انه لا يقال قصدت ان ازورك غداً
الفرق بين المم والارادة ان المم اجراء المزية عند موافقة الفعل وقيل المم تعلق الخاطر بشيء له قدر في الشدة والمهات الشدائد

الفرق بين المهمة والقصد ان المهمة اتساع المم وقوته فنقول فلان ذوممة وذوعزيم
الفرق بين الغضب والغيط ان الغيط يكون من نفسه ولا يجوز ان يغضب على نفسه لان الغضب ارادة التمرر للعضوب عليه ولا يجوز ان يريد الانسان التمرر لنفسه
الفرق بين المم والحزن ان الحزن على ما فات والمم على ما هو آت نقلته من غير الكتاب المذكور

الفرق بين الغضب والسخط ان الغضب يكون من الصغير على الكبير ومن الكبير على الصغير والسخط لا يكون الا من الكبير فقط
الفرق بين العداوة والشتان ان العداوة ارادة السوء لمن تعاديه والشتان على قول بعضهم طلب المش على فعل الغير لما سبق من عداوته
الفرق بين المعادة والمخاصمة ان المخاصمة من قبل القول والمعادة من افعال القلوب ويجوز ان يخاصم غيره من غير معادة وان يعادي غيره من غير مخاصمة
الفرق بين الاختراع والابتداع ان الابتداع ايجاد ما لم يسبق الى مثله بخلاف الاختراع

الفرق بين الفعل والانشاء ان الانشاء هو احداث الشيء حالاً بعد حال من غير ابتداء على مثال بخلاف الفعل وقال بعضهم الانشاء الابتداء والايجاد من غير سبب والفعل يكون عن سبب وقال آخرون الفعل ايجاد بعد ان لم يكن بسبب وبغير سبب والانشاء ما يكون بغير سبب والوجه الاول اجود
الفرق بين المبدئي والمبتدي ان المبدئي للفعل هو المحدث له ولا يقدر عليه الا

الله تعالى والمبتدي^١ بالفعل هو الفاعل لبعضه من غير تميمه

الفرق بين العمل والفعل ان العمل ايجاد الاثر في الشيء بخلاف الفعل

الفرق بين العمل والصنع ان الصنع ترتيب العمل واحكامه دون العمل

الفرق بين الجعل والعمل ان العمل هو ايجاد الاثر في الشيء والجعل بغير صورته

الفرق بين الاخذ والتناول ان تناول اخذ الشيء للنفس خاصة والاخذ لنفسه

ولغيره فهو اعم ويجوز ان يقال تناول يقتضي تسليم شيء بخلاف الاخذ قال الله تعالى

واذ اخذنا من التبيين ميثاقهم

الفرق بين الواحد والفرد ان الواحد يقتضي الانفراد بالذات او بالصفة والفرد

نقيض الزوج

الفرق بين الانفراد والاختصاص ان الانفراد ما تقدم والاختصاص انفراد بعض

الاشياء بمعنى دون غيره

الفرق بين الواحد والاوحد ان الاوحد من فارق غيره ممن يشاركه في فن من

الفنون بخلاف الواحد

الفرق بين الفرد والواحد ان الفرد يفيد التقليل دون التوحيد ولهذا لا يقال لله

تعالى فريد كما يقال له فرد

الفرق بين الواحد والمنفرد ان المنفرد يقتضي التخلي والانقطاع عن الغريب ولهذا

لا يقال لله تعالى المنفرد بالنون كما يقال متفرد بالهاء المتخصص بتدبير الخلق وغير ذلك

مما يختص به من صفاته وافعاله سبحانه وتعالى

الفرق بين الواحد والوحيد والفريد ان الوحيد والفريد يقتضي التخلي عن الانيس

ولا يوصف به الا الله تعالى بخلاف الواحد

الفرق بين التفرد والتوحد ان التفرد بالفضل والذيل والتوحد بالتخلي

الفرق بين الوحدانية والوحدة ان الوحدة التخلي والوحدانية تقتضي نفي الاشكال

والنظراء ولا يستعمل في غير الله تعالى ولا يقال لله تعالى واحد من طريق العدد

الفرق بين الواحد والاحد ان الواحد لا ثاني له والاحد لا يقبل التجزي والواحد

يختص بالصفات والاحد بالذات

الفرق بين الكل والجمع ان الكل عند بعضهم هو الاحاطة بالاجزاء والجمع الاحاطة

بالاجزاء

الفرق بين البعض والجزء ان الجزء لا ينقسم وان البعض ينقسم وينقضي كلا والجزء ينقضي جميعاً

الفرق بين الجزء والسهم ان الجزء من جملة ما انقسمت عليه والاثنان جزء من العشرة والثلاثة ليست بجزء منها لانها لا تنقسم عليه وكل ذلك يسمى سهماً كما قال بعضهم

الفرق بين الشبيه والمشبّه ان الشبيه اعم والمشبّه اخص
الفرق بين المثل والنظير ان المثلين ما تكافأ في الذات والنظير ما قل نظيره في حسن افعاله

الفرق بين الصفة والهيئة ان الصفة من قبيل الاسماء وانفعالها في المسميات وليست الهيئة كذلك

الفرق بين الجنس والنوع ان الجنس اعم من النوع والصفة
الفرق بين الحظ والقسم ان كل قسم حظ وليس كل حظ قسم
الفرق بين النصيب والحظ ان النصيب يكون في المحبوب والمكروه والحظ لا يكون الا في المحبوب

الفرق بين الرزق والغذاء ان الرزق اسم لما يملك صاحبه الانتفاع به فليس كل ما يتغذى به الانسان رزقاً كالمسروق ليس هو رزقاً للشارق اذ لو كان رزقاً له لما ذم عليه والرزق ما ينفع به يدخل الحرام والا لزم انه لو عاش عمره بالحرام لم يكن له رزق واما الدم عليه فامر آخر

الفرق بين البر والصلة ان البر يكون بسعة الفضل وبلين الكلام وبالليني بجمل (?)
القول والفعل والصلة المواصلة بافضل

الفرق بين البر والخير ان البر لا يكون الا عن قصد والخير عن قصد وسهو
الفرق بين الغنيمة والفيء ان الغنيمة امم لما اخذناه من اموال المشركين بقتال والفيء ما اخذناه من اموالهم بغير قتال اذ سبب اخذه الكفر

الفرق بين القرض والمدين ان القرض يستعمل في الدين والنقد بخلاف الدين فكل قرض دين ولا كل دين قرض

الفرق بين السخاء والجود ان الجود كثرة العطاء من غير سؤال والسخاء ان يلين الانسان عند السؤال

الفرق بين الكرم والجود ان الجود ما ذكرنا والكرم علي وجوه فيقال الله تعالى كريم

اي عزيز وهو من صفات ذاته ومنه قوله تعالى ما غرك بربك الكريم اي العزيز الذي لا يغلّب والكريم الحسن في قوله تعالى من كل زوج كريم ومثله وقل لها قولاً كريماً اي حسناً والكريم بالفضل في قوله تعالى ان اكرمكم عند الله اتقاكم اي افضلكم ومنه قوله تعالى ولقد كرّمنا بني آدم اي فضلناهم والكريم ايضاً السعيد في قوله عليه الصلاة والسلام اذا اتاكم كريم قوم فاكرموه اي سيد قوم ويجوز ان يقال الكرم اعطاء الشيء عن طيب نفس قليلاً كان او كثيراً هذا كلام هذا الكتاب وفي كتب الفقه اشياء غير ذلك فلتراجع

الفرق بين الكرم والايتار ان الايتار بذل الشيء مع الحاجة اليه بخلاف الكرم والجود والسخاء

الفرق بين الشح والبخل ان الشح الحرص على منع الخير والبخل منع الحق
الفرق بين المحمد والسيد ان السيد المالك والمحمد يقتضي القوة على الاصوب
الفرق بين سيد القوم واكرمهم ان سيدهم هو الذي يلي تدبيرهم وكبيرهم هو الذي يفضلهم في العلم والدين والشرف

الفرق بين مالك ومالك ان مالك يفيد مملوكاً ومالك لا يفيد ذلك لكنه الامر وسعة القدرة على ان المالك بيان اوسع من الملك لانك تقول الله مالك الملائكة والانس والجن
الفرق بين مالك ومليك ان المليك يقتضي المباغة مثل سميع وعليم ولا يقتضي مملوكاً
الفرق بين العظيم والكبير ان الكبير الذي ليس فوقه احد وقد يكون من جهة الكثرة ومن غير جهة الكثرة ولذلك جاز بان يوصف الله تعالى بانه عظيم ولم يوصف سبحانه بانه كبير فقط وقد يعظم الشيء من جهة الحسن ومن جهة الثقيف وفرق بعضهم بين الجليل والكبير بان قال الجليل في اسماء الله تعالى هو العظيم الشأن الذي يستحق الحمد والكبير من يستحق صفة الحمد والاجل من ليس فوقه من هو اجل منه

الفرق بين الاله والمعبود ان ادله هو الذي يحق له العبادة فلا اله الا الله وليس كل معبود يحق له العبادة الا ترى ان الاصنام معبودة والمسيح معبود ولا يحق لها ولاله العبادة

الفرق بين قولنا الله وبين قولنا اله ان قولنا الله اسم لم يسم به غير الله تعالى الها على جهة الخطاء واما قول الناس لا معبود الا الله اي لا يستحق العبادة الا الله
الفرق بين قولنا يحق له العبادة وقوله يستحق العبادة ان قولنا يحق له العبادة يفيد

على انه صفة يصح انه مهم وقولنا يستحق يفيد انه قد انعم واستحق
 الفرق بين قولنا الله وقولنا اللهم ان قولنا الله اسم وقولنا اللهم ندا اي ياله
 الفرق بين النصير والولي ان الولاية قد تكون باخلاص المودة والنصرة تكون
 بالمعونة والتقوية ولا تمكن النصرة مع الولاء

الفرق بين الحكم والقضاء والقدر والتقدير ان الحكم الزام قد يكون عن خصومة وقد
 فصل الامر على الاحكام بما يقتضيه الشرع والعقل والنضاء والفصل الامر التام (?) واما
 المقدر فهو على ما قاله بعضهم وجود القول على مقدار ما اراده ولا يستعمل الا في افعال
 الله تعالى واما التقدير فيستعمل في افعاله وافعال عباده

الفرق بين الرأفة والرحمة ان الرأفة ابلغ من الرحمة
 الفرق بين الضر والبؤس ان الضر يكون من حيث لا يعلم المقصود به والبؤس لا
 يكون الا من حيث يعلم

الفرق بين المفسدة والاساءة ان الاساءة قبيحة والمفسدة قد تكون حسنة نحو المفسدة
 بالضرب للتأديب والتعليم

الفرق بين الامهال والانظار ان الانظار مقرون فيما يقع فيه النظر والامهال فيه (?)
 وقيل الانظار تأخير العبد للنظر في امره والامهال تأخير لتسهيل ما يشكفه من عمله
 الفرق بين السرعة والمجالة ان السرعة التقدم فيما ينبغي ان يتقدم فيه وهي محدودة
 وتقيضها مذموم وهو الابطاء والمجالة التقدم فيما لا ينبغي ان يتقدم فيه وهي مذمومة
 وتقيضها محمود وهي الأناة واما قوله تعالى: وعجلت اليك رب لترضى فانه بمعنى اسرعت
 الفرق بين الهداية والارشاد ان الارشاد الى الشيء هو التطريق اليه والتسفن له
 والهداية هي التمكن من الوصول اليه

الفرق بين الخير والصلاح ان الصلاح هو الاستقامة على ما تدعوه الحكمة سبي
 الضر والنفع والخير اعم وافعال الله كلها خير

الفرق بين الصلاح والفلاح ان الصلاح ما يتمكن به من الخير او يختص به من
 الشر والفلاح نيل الخير والنفع الباقي

الفرق بين الفساد والقيح ان الفساد هو التغيير عما تدعو اليه الحكمة والقيح ما
 يزجر عن الحكمة

الفرق بين الدين والملة ان الملة اسم لجملة الشريعة والدين اسم لما عليه كل واحد من اهلها

الفرق بين العبادة والطاعة ان العبادة غاية الخضوع ولا تكون الا لله والطاعة الفعل الواقع على حسب الارادة ويكون للخالق والمخلوق
الفرق بين الدين والشريعة ان الشريعة هي الطريق والدين ما يطاع به المعبود ولكل منا دين وليس لكل منا شريعة

الفرق بين الاجابة والقبول ان القبول يكون للاعمال والاجابة للدعية
الفرق بين الحلال والمباح ان الحلال هو المباح بالشرع والمباح لا يعتبر فيه ذلك الشيء في السوق (?) مباح لاحلال والحلال خلاف الحرام والمباح خلاف المحظور
الفرق بين الاسلام والايمان ان الايمان طاعة الله الذي يأمن بها المقاب على ضدها والاسلام طاعة الله تعالى التي يسلم بها من عقاب الله هذا كلامه في هذا الكتاب وليس فيه فرق بينهما والفرق مشهور في مظانه في كلام القائلين بالفرق
الفرق بين الفسق والفجور ان الفسق هو الخروج من طاعة الله تعالى بكبيرة والفجور الانبعاث في المعاصي فلا يقال لصاحب الصغيرة فاجر

الفرق بين الظلم والجور ان الجور خلاف الاستقامة في الحكم والظلم قيل ضرر من حاكم او غيره فهو اعم وقيل وضع الشيء في غير محله وقيل نقصان الحق والجور العدول عن الحق

الفرق بين القبيح والفاحش ان الفاحش الشديد القبح ويستعمل في الصورة فيقال الفرد قبيح الصورة لا فاحش الصورة ويقال فاحش القبح فاحش الطول اي جاوز حد الاعتدال مجاوزة فاحشة والقبيح ليس كذلك

الفرق بين الحرام والسحت ان السحت مباحة في حقيقة الحرام فيقال حرام سمحت لا سمحت حرام وقيل السحت الحرام الظاهر لان كل سمحت حرام لا كل حرام سمحت ويجوز ان يقال السحت الحرام الذي لا بركة له

الفرق بين الاثم والخطيئة ان الخطيئة قد تكون من غير عمد ولا يكون الاثم الا تعمداً

الفرق بين الاثم والذنب ان الاثم لغة التقصير والذنب ما يتبعه الذم وقولهم للصبي اذنب مجاز

الفرق بين الوزر والذنب ان الوزر ما يثقل صاحبه ومنه قوله تعالى ووضعنا عنك وزرك الذي والذنب ما تقدم

الفرق بين العدل والفسط ان القسط هو العدل الظاهر البين والعدل قد يخفى
 الفرق بين الندم والتوبة ان التوبة اخص من الندم فكل توبة ندم ولا كل ندم
 توبة اما الحديث الندم توبة اي معطاهما كالجمع عرفه
 الفرق بين الاستغفار والتوبة ان الاستغفار طلب المغفرة والتوبة الندم على الخطيئة
 والافلاع عنها والعزم على ترك العود ولا يجوز الاستغفار مع الاصرار
 الفرق بين التأسف والندم ان التأسف يكون على الفائت من فعلك ونعل غيرك
 والندم من افعال القلوب يتعلق بفعل التادم وغيره
 الفرق بين العفو والغفران ان الغفران ينتضي اسقاط العقاب ونيل الثواب ولا
 يستحقه الا المؤمن ولا يستعمل الا في الله تعالى ويستعمل في غيره شاذاً قليلاً والعفو
 يقتضي اسقاط الاثم والدم ولا ينتضي نيل الثواب ويستعمل في العبد والمراد من
 العفو والغفران محو الذنوب

الفرق بين الغفران والستران ان الغفران اخص فيجوز ان يستر عنه ولا يغفره
 الفرق بين الصفح والغفران ان غفران ما ذكرناه والصفح التجاوز عن الذنب
 الفرق بين الاحباط والكفر ان الاحباط بطل الحسنة بالسيئات والتكفير ضده
 الفرق بين الثواب والعوض ان عوض يكون على فعل المعوض والثواب لا يكون
 على فعل المثيب والثواب يقع مكافأة على الحقوق والعرض يقع على جهة المسامحة
 الفرق بين الثواب والاجر ان الاجر قد يكون قبل الفعل المأجور عليه بخلاف
 الثواب والثواب قد اشتهر في الجزاء على الحسنات والاجر يقال كذلك ويقال على معنى
 الاجرة على الانتفاع

الفرق بين العذاب والالم ان العذاب اخص من الالم فان العذاب هو الالم المستمر
 والالم مستمر او غير مستمر

الفرق بين الالم والوجع ان الوجع اعم من الالم
 الفرق بين العذاب والعقاب ان العقاب ينبي عن استحقاق والعذاب يجوز ان يكون
 باستحقاق وبغير استحقاق

الفرق بين البلاء والنقمة ان البلاء يكون ضرراً ويكون نفعاً والنقمة لا تكون
 الا عقوبة وشدة وتسمى النقمة بلاء والبلاء لا يسمى نقمة

الفرق بين الخوف والحشية ان الخوف يتعلق بالمكروه ومنزله والخشية تتعلق بمنزلة

المكروه ولا يسمى الخوف من نفس المكروه خشية
الفرق بين الخوف والافتقار ان الافتقار يخوف مع اعلام موضع المخافة وان لم
يعلم لم يكن انذره

الفرق بين الخوف والفرع ان الخوف ما ذكرناه والفرع ما فاجأه الخوف عند هجوم
عارض او صوت ونحوهما وهو ازعاج القلب بتوقع مكروه عاجل

الفرق بين الخوف والوجل ان الخوف يكون من متعدد والوجل من غير متعدد ومنه
قوله تعالى : الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم

الفرق بين الخجل والحياء ان الخجل معنى يظهر في الوجه ارتداداً بقوة ويجوز ان
يكون الخجل عما كان والحياء عما يكون

الفرق بين الرجاء والطعم ان الرجاء هو الظن لوقوع الخير كالامل والخشية والخوف
ضدهما والرجاء لا يكون الا من سبب والطعم ما يكون من غير سبب ولهذا مدح الرجاء
وذم الطمع

الفرق بين اليأس والقنوط ان القنوط اشد مبالغة من اليأس

الفرق بين الكبر والجبروت ان الجبروت ابلغ من الكبر

الفرق بين العجب والكبر ان العجب بالشئ شدة السرور به والكبر اظهار عظم الشأن
وهي العزة والسلطنة

الفرق بين الخشوع والخضوع ان الخضوع فعل يرى فاعله وان الخضوع له فوجه
واعظم منه والخشوع يكون في الكلام خاصة لقوله تعالى : وخشعت الاصوات للرحمن
وقيل هما من افعال القلوب

الفرق بين التواضع والتذلل ان التذلل اظهار العجز عن مقاومة من يتذلل له
والتواضع اظهار قدرة من يتواضع له سواء كان ذا قدرة على المتواضع ام لا

الفرق بين التذلل والتذلل ان التذلل فعل المتواضع به وهو ادخال نفسه في الحكم
والتذلل المفعول به الذي من قبل غيره

الفرق بين الخضوع والتذلل ان الخضوع ما ذكرناه والتذلل الانتقاد كرهاً ونقيضه العز
الفرق بين الذل والاهانة ان الذل ما ذكرناه والاهانة ان يجعل كالصغير لا يبالي به

الفرق بين الذليل والمهين ان الذليل ما ذكرناه والمهين هو المستضعف

الفرق بين الحقير والصغير ان الحقير من نقص عن مقداره المعهود والصغير يكون

بالإضافة الى من هو أكبر منه

الفرق بين اليسير والقليل ان القليل يقتضي نقصان العدد والبسر ما يشتد تحصيله
او طلبه ولا يقتضي نقصان العدد
الفرق بين الكثير والوافر ان الكثيرة زيادة العدد والوفور اجماع اجزاء العدد حتى
يكمل حجمه

الفرق بين الجم والكثير ان الجم هو الكثير المجتمع والكثير قد يكون عن مجتمع
الفرق بين العبث واللعب والهوى ان العبث ما خلا عن الارادة والارادة حدوثه
واللهو واللعب يتناولهما غير ارادة حدوثهما وقيل اللعب عمل للذة لا يراعى فيه داعي
الحكم كعمل العصي والهوى للعب واللعب قد يكون ليس بلهو
الفرق بين المزاح والاستهزاء ان المزاح لا يقتضي تحقير من تمازحه بل ابتناسه
والاستهزاء يقتضي تحقير من يستهزأ به

الفرق بين الاستهزاء والسخرية ان السخرية تدل على فعل شيء يشق منه السخرية
بخلاف الاستهزاء

الفرق بين المزاح' والمزل ان المزل يقتضي تواضع المازل لمن يهزل به
بخلاف المزاح

الفرق بين المزاح والمجون ان المزاح ما ذكرنا والمجون صلابة الوجه وقلة الحياء
الفرق بين الحيلة والتدبير ان الحيلة ما أُحيل به عن وجهه فيجلب به نفع او يدفع به
ضرر والتدبير هو اصلاح امره او امر من يلوذ به وقد لا يكون حيلة
الفرق بين الكيد والمكر ان المكر كالكيد الا انه لا يكون الا مع الفكر والكيد
اقوى من المكر

الفرق بين الحيلة والمكر ان من الحيلة ما ليس بمكر
الفرق بين الغرر والخداع ان الخداع يستتر به وجه الصواب ليوقعه في مكره
والخطر ركوب المخاوف رجاء بلوغ المراد

الفرق بين الحسن والبهجة ان البهجة حسن نفرح به التلويح والحسن لا يقتضي ذلك
الفرق بين الحسن والجمال ان الجمال ما يحمد من الافعال والاخلاق وكثرة المال
وليس هو من الحسن في شيء

الفرق بين الجمال والبهاء ان البهاء بهارة المنظر بخلاف الحسن

الفرق بين التمام والكمال ان التمام اسم للجزء والبعض الذي يتم به الموصوف بانه تام والكمال اسم لاجماع ابعاض الموصوف

الفرق بين البشاشة وطلاقة الوجه ان البشاشة اطلاق السرور عند اللقاء سواء كان اولاً وآخراً وطلاقة الوجه خلاف العيوس والعيوس تكره الوجه عند اللقاء
الفرق بين الطهارة والنظافة ان الطهارة تكون في الخلقة والمعاني والنظافة لا تكون الا في الخلقة واللباس لا في المعاني

الفرق بين القبيح والوحش ان الوحش الهزيل والقبيح في المنظر ويجوز ان يقال الوحش هو المنتهائي في القباحة

الفرق بين السرور والفرح ان السرور لا يكون الا بما هو نفع اولدة على الحقيقة وقد يكون الفرح بما ليس بنفع ولا لذة كفرح الصبي بالرقص مثلاً
الفرق بين الغم والحلم ان الحلم هو التفكير في ازالة المنكره واجتناب المحبوب والغم معنى لنقص القلب معه لوقوع ضرر كان او يكون او اتموه

الفرق بين الهبوط والنزول ان الهبوط نزول يعقبه اقامة بخلاف النزول
الفرق بين المحض والخالص ان المحض الذي لم يخالطه شيء والخالص هو المختار من الجملة كالذهب المصنقى

الفرق بين اخمد النار واطفائها ان الاخمد يعمل في الكثير والاطفاء في القليل
الفرق بين النجم والكوكب ان الكوكب اسم للكبير من النجوم والنجم علم على الثريا في صغيرها وكبيرها

الفرق بين الزلزلة والرجفة ان الرجفة الزلزلة العظيمة الشديدة ولهذا سميت زلزلة الساعة رجفة

الفرق بين الرجوع والاياب ان الاياب هو الرجوع الى منتهى القصد والرجوع يكون لذلك او لغيره

الفرق بين المحقق والازهاب ان المحقق يكون للاشياء الكثيرة ولا يكون في الشيء الواحد بخلاف الازهاب ومنه قوله تعالى: يتق الله الربا ينجح ثواب عامله لقوله تعالى: ويربي الصدقات اي ثوابها

الفرق بين العكوف والاقامة ان العكوف هو الاقبال على الشيء والاحساس فيه ومنه الاعتكاف والاقامة لا تقتضي ذلك

الفرق بين الدنو والقرب ان الدنو لا يكون في مسافة بين شيئين والقرب عام في ذلك وفي غيره فيقال قلوبنا انتقارت ولا يقال نندانى ويقال قرب بقلبه وان كان بعيداً الفرق بين الوسط والبين ان الوسط بضاب الى الشيء الواحد وبين يضاف الى شيئين فصاعداً نقول قعدت وسط الدار لا قعدت بين الدار وبين القوم والوسط يقتضى اعتدال الاطراف ولهذا قيل الوسط العدل في قوله تعالى: وكذلك جعلناكم امة وسطاً الآية الفرق بين الذوق والطعم ان الذوق ملاسة يحس بها الطعم وادراك الطعم يتبين من ذلك الوجه يقال ذقته فلم اجده له طعماً

الفرق بين الركون والسكون ان الركون الكون الى الشيء بالجليلة والانصاف والسكون خلاف الحركة وانما يستعمل في غيره مجازاً

الفرق بين التابع والتالي ان التالي فيما قال بعضهم هو التالي وان لم يتدبر بتدبير الاول والتابع انما هو المتدبر بتدبير الاول

الفرق بين قوله مالك لا تفعل كذا وبين قوله لم لا تفعل كذا ان لم لا تفعل كذا هم لانه قد يكون محال الى غيره ومالك لا تفعل بحال يرجع اليه

الفرق بين النار والسعير والحريق والحجم ان السعير هو النار الملتبته والحريق النار الملمة المحرقة والحجم نار على نار وجمر على جمر

الفرق بين النور والضياء ان الضياء ما يتجمل آخر النور

الفرق بين الطرفة والمشي ان الطرفة لغيداه ماء قليل والمشي يغيدانه مستقذر

الفرق بين العصب والسكب ان السكب هو العصب المتتابع والعصب يكون دفعة واحدة

الفرق بين التبديل والابدال ان التبديل على ما قال بعضهم تغيير الشيء عن حاله

والابدال جعل شيء مكان شيء

الفرق بين الخوان والمائدة ان الخوان لا يسمى مائدة الا اذا كان الطعام عليها وان

لم يكن عليها طعام فهو خوان

هذا آخر ما نشأه من هذا الكتاب وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم وفي غيره

الفرق بين البشارة والتبشيرة ان البشارة الاعلام بما يسر والتبشيرة الدعاء بالخير للمرء بعد ما علم به

ولهذا ما انزل الله تعالى: كعب بن مالك وصاحبه ذهب اليه بالتبشير فبشره فلما دخل المسجد جاء

الناس فمؤوه الفرق بين الحياء والاغضاء ان الحياء رقة تعذري وجه الانسان عند فعل ما يتوقع

كرهه او ما يكون تركه خيراً من فعله والاغضاء التغافل عما يكره الانسان بطبيعته اه

رسائل الانتقاد

كلمة للناس

بينما كنت في خلال العام الفارط أرسل رائد الطرف في بعض المخطوطات العربية القديمة عثرت على كتاب صغير الحجم جميل الخط عتيقه فتأملته فوجدته لمؤلفات تونسي معدود من البلغاء . واذ كان لي ولوع شديد بالاطلاع على ماثر الادباء من بي وطني تملقت رغبتني بتعريف هذا التصنيف . بيد اني لما أخذت اتلو رشيقي معانيه واحل دقائقي مبانیه وجدت نقصاً فادحاً بين اوراقه افسد عقد جملة فحل بي من ذلك قلق عظيم . ثم بعد مدة وقعت في فهرست القسم العربي من مكتبة الاسكوريال بجزيرة الاندلس على اسم مقامة تحت عدد ٥٣٦ منسوبة الى ابي عبد الله محمد بن شرف القيرواني فانجلي خاطري وبادرت في الحال لطلب نسخة منها من بعض زملائي المستشرقين . فلما وافتني صورتها وطابقتها بما لدي عاودني سروري الاول وقوي عزمي اذ كانت القطعة الاندلسية مطابقة للقسم الاول من النسخة التونسية بزيادة ما نقص . فاسرعت حينئذ الى النسخ واتممت هاته بتلك حتى كمل والحمد لله ما كنا نرغبه وهو ما تقدمه اليوم للقراء الكرام .

ومن المناسب ان نذكر شيئاً عن الاصلين اللذين اخذنا عنها . فالاول وهي النسخة التونسية تشتمل على ستين صفحة شرقية بلوح من شكل خطها انها من القرن السابع لكنها صعبة القراءة لانطباس الاحرف ودثور كتابتها دع عنك ما لحق الورق من العث الذي اهلك جانباً وافرأ منها .

اما القطعة الاندلسية التي اكملنا بها ما ضاع من التأليف فهي تحتوي على ثمانين عشرة صفحة صغيرة الحجم اندلسية الخط قديمة النسخ كما يتبين ذلك من التاريخ الذي وضعه بعض المطالعين في الصفحة الآخرة حيث قال : « طالعته في موفى سنة خمس وخمسةائة » وبهذا يستدل على ان هاته القطعة كتبت زمن المؤلف مدة اقامته بالاندلس (حوالي سنة ٤٥٥) او قريباً من عهده . ومهما كان الحال فهي أقدم من اختها التونسية الا انها أخصر ولا تشتمل الا على المقامة الاولى

و بلوح لي ان مؤلفنا قصد بتدوين هذه الرسائل . معارضة « كتاب العمدة » الذي وضعه زميله ومعاصره الحسن بن رثيق القيرواني كما سنبينه في ترجمته . الا ان الرسائل المعارض بها كانت أطول وأكثر مما وجدناه وأوردناه هنا . يؤيد ذلك ما جاء في سياق كلام ابن شرف في مقدمته للمجلس الاول حيث قال : « فاقمت من هذا النحو عشرين حديثاً » فالظنون انه بقصد بالحديث مجالسه مع الاستاذ الموهوم الذي سماه « ابا الريان » كما اختلق الحريري في مقاماته . شخص الحارث بن همام واخترع الهمداني عيسى بن هشام . فعسى ان يساعدني الحظ بالعثور على بقية هذا التأليف النفيس ان كان في عالم الموجودات .

وقد احترمت في الاستنساخ الطريقة التي اتى عليها الاصل في الرسم وضبطه الا ما نهيت عليه اسفل المتن مع التعاليق

ولما كان الاعتراف بالمعروف فريضة وجب علي ان ارفع شكري الخالص للكاتب البليغ والباحث المدقق اخينا في الله محمد بدر الدين افندي النعماني الذي اعانني بعلمه النيرة لازالة بعض مشكلات النسخة التونسية كما أقدم عبارات ووادي الى العالم المستعرب المتمكن صديقي الا - ناذ كارلو نالينو الذي اسعفني بالحصول على صور القطعة الانداسية وهو لا يزال يفيدني باشاراته العلمية وفكره الصائب فجزيا عني خير جزاء والله ولي توفيقى به اهتدي واليه انيب

حسن حسني عبد الوهاب

تونس

ترجمة المؤلف^(١)

فيغ أبو عبد الله محمد بن ابي سعيد بن احمد بن شرف الجذايقي القيرواني نحو سنة ٣٩٠ من احدي البيوتات الشريفة القادمة مع الجيش العربي الفاتح والقيرواني اذذاك زاهية زاهرة بالعلوم رافلة بالمعارف والفنون فروى المعقول والمقول عن افاضل ذلك العصر كابي الحسن القابسي واخذ الفنون الادبية من اساتذتها كابي اسحاق ابراهيم الحصري القيرواني ومحمد بن جعفر القزاز وغيرهما حتى برع فيها واجاد فالحقه حينئذ المعز بن باديس الصنهاجي امير افريقية بديوان حاشيته لما رأى فيه من الذكاء والنجابة . وهنالك التقى ابن شرف بمجموعة من الكتاب البلغاء والشعراء الظرفاء الذين كان يجمعهم

(١) اقتبسنا هذه الترجمة بتصرف من تأليفنا « الادب والادباء التونسيين » الذي

هو منا على نشره قريباً بحوله تعالى

ديوان الملك مثل علي بن ابي الرجا، الكاتب رئيس قلم التحرير والمراسلات وابي علي الحسن بن رشيق صاحب المممة ومحمد بن حبيب القلانسي وغيرهم . وطبيعي ان وجود ابن شرف في مثل هذا الوسط دعاه الى تليم الوجهة التي صب عليها وقوي نشاطه اذ كان اولئك الادباء الاجلاء يتسابقون في التقرب . ونظمهم ونثرهم الى الامير رغبة في العطايا المائلة والهبات الطائلة . وحصل عن هذا التنافس والنزاح حركة فكرية ادبية لم تر افر يقية مثلها في عصر من عصور السلطنة الاسلامية وصارت القيروان كعبة العلم التي يحج اليها العلماء من جميع اصقاع المغرب حتى من الاندلس . وقد خصص المعز لصحبته من بين هؤلاء الزعماء المتقدمين ابن شرف هذا وابن رشيق فكان يلتفت تارة الى الاول واخرى الى الثاني وجرى بسبب ذلك بين هذين الادبيين مناقضات ومهاجات رسمها كل منهما في رسائل مستقلة ومتامات متنوعة لم يصل اليها منها شيء فيما نعلم

حكى ابن تترف المترحم له في كتابه « اباكار الافكار » قال : « استدعاني المعز بن باديس يوماً واستدعى ابا علي الحسن بن رشيق الازدي وكنا تاعريه حضرته وملازمي ديوانه فقال : أحب ان تصنعا بين يدي قطعتين في صفة الموز على قافية الغين . فصنعتنا حالاً من غير ان يقف أحدنا على ما صنعه الآخر فكان الذي صنعه

يا حبذا الموز واسعاده	من قبل ان يمضيه الماضغ
قد لان حتى لا يجس له	فالغم . لان به فارغ
سيان قلنا ما كل طيب	فيه والا مشرب مصائب

والذي صنعه ابن رشيق

موز سريع اكله	من قبل مضغ الماضغ
فأكل لا كل	ومشرب لسائغ
فالغم من لين به	ملاّن مثل فارغ
يخال وهو بالغ	للحلق غير بالغ

فأمرنا للوقت ان نصنع فيه على حرف الدال ففعلنا ولم ير أحدنا صاحبه ما عمل فكان ما عملته

هل لك في موز اذا	ذقناه قلنا حبذا
فيه شراب وغذا	يربك كالماء القذى

لو مات مَن تِلْذَا ؟ لَقِيلَ ذَا بَذَا
وما عمله ابن رشيقي

لله موز لذيذ يعينه المستعبد
فواكه وشراب به يداوى الوقيد
تري القذى العين فيه كما يريها التبيذ

قال ابن شرف : فانت ترى هذا الاتفاق لما كانت القافية واحدة والقصد واحداً .
ولقد قال من حضر ذلك اليوم ما ندري مَن نجب أمن مرعة البديهة أم من غرابة
القافية أم من حسن الاتفاق »

وحكى المؤلف المترجم له أيضاً في كتابه المذكور قال : « استغلنا المعز يوماً وقال
أريد ان تصنعا شعراً تمدحان به الشعر الرقيق الخفيف الذي يكون على سوق بعض
النساء فاني استحسنه وقد عاب بعض الضرائر بعضاً به وكلهن قارئات كاتبات فاحب ان
ارهن هذا وادعي انه قديم لاحتج به على من عابه وآسى به من عيب عليه . فانفرد
كل منا وصنع في الوقت فكان الذي قلت :

وبلقسية زينت بشعر يسير مثل ما يهب الشحيح
رقيق في خدجة رداح خفيف مثل جسم فيه روح
حكى زغب الخدود وكل خد به زغب فحشوق ملجج
فان بك صرح بلقيس زجاجاً فن حلق العيون لها صروح

وكان الذي قال ابن رشيقي

يعيون بلقيسية ان رأوا لها كما قد رأى من تلك من نصب الصرحا
وقد زادها التزغيب ملحا كمثل ما يزيد خدود الغيد تزغيبها ملحا
فانتقد المعز على ابن رشيقي قوله يعيون وقال : « أوجدت لخصمها حجة بأقبح
الناس عابه » فانظر ما اللطف هذه المناضلات وما أحلى هذه الحكايات ولولا خوف
الاطالة لزدنا من هذه طرفاً تروق الخاطر .

واستمر ابن شرف على خدمة المعز الى ان زحف عرب الصعيد من هلايين ورياح
وغيرهم واستولوا على غالب القطر التونسي بمد ما خبروه ودمروه واضطر الامير المعز
الى ترك القبروان امام تلك القبائل المتوحشة (سنة ١٤٤٩ هـ) وفر الى المهديّة واتخذها دار ملكه
وقد تبعه اليها شعراؤه وحاشيته . وفي خلاء القبروان يقول ابن شرف من قصيدة رثائه

بعد خطوط خطبت مهجتي وكان وشك البين أمهارها
 ذا كبداً أفلاذها حوالها وقسمت الغربة اعشارها
 اطفالها ما سمعت بالفلا قط فعادت الفلا دارها
 ولا رأت ابصارها شائداً ثم جلت بالبحر ابصارها
 وكانت الاقمار آفوقها فعادت الآفاق استارها
 ولم تكن تعلو سريراً علا الا اذا وافق مقدارها
 ثم علت فوق عشور الخطا ترمي به في الارض احجارها
 ولم تكن تلحظها مقلة لو كحلت بالشمس اشغارها
 فاصبحت لا تنتفي لحظة الا بان تجمع انهارها

وأقام ابن شرف مدة بالمهديّة مع زمرة شعراء الملك يخدم الامير المزمع وابنه تقيما الى ان رحل عنها فاصداً جزيرة صقلية لما سمع عن كرم اميرها واليهما لخمته رصيفه ابن رشيق وقد قدمنا انه كان وقع بينهما بالقيروان ما وقع بين جرير والفرزدق او بين الخوارزمي وبديع الزمان . فلما اجتمعا بصقلية تسامحا واقاما بها زمناً ثم استهض يوماً ابن شرف رفيقه علي جواز الاندلس فالتد حينئذ ابن رشيق البيهقي المشهور بين الخاص والعام

مما يزهدني في ارض اندلس سماع مقتدر فيها ومعتضد
 القاب سلطنة من غير مملكة كالمر يحكي انفتاحاً حولة الاسد
 فاجابه ابن شرف بديهة

ان ترمك الغربة في معشر قد جبل الطبع على بغضهم
 فدارهم ما دمت في دارهم وارضهم ما دمت في ارضهم

واجتاز ابن شرف وحده الاندلس وسكن المربة وغيرها وتردد على ملوك طوائفها كالعباد ما ببلية وغيرهم وبهذه المدينة الاخيرة كانت وفاته سنة ٤٦٠ هـ (١٠٦٧ مسيحي) وخلف ابناً يدعى ابا الفضل جعفرأ كان ادبياً مجيداً ايضاً اورد له العاد في خريدته وانفتح في فلانده قصائد وفصولاً تشهد له بطول الباع .

اما آليف محمد بن شرف فكثيرة على ما نقله الينا المؤرخون فمنها كتاب «ابكار الافكار» جمع فيه ما اختاره من نظم ونثر وهو انفس مصنفاته (مفتود وقد يوجد منه شيء في بعض كتب الادب) . ومنها كتاب «اعلام الكلام» به نخب وملح (مفتود ايضاً) . ثم «رسائل الانتقاد» والمظنون انه الفها بعد هجرته القطر التونسي

كما يستفاد من سياق كلامه في مقدمتها . وغيرها من هذه المصنفات الادبية النفيسة
وما نحن نأقني هنا على منتخبات نثر وشعر من كلام محمد بن شحرف ليرى القاري
براعة هذا المؤلف الجليل ومكانته من الادب
فمن نظمه في الشوق الى بلاده القيروان مدة اقامته بالاندلس

يا قيروان وددت اني طائر فاراك رؤية باحث متأمل
يا وشهدتك اذ رأيتك في الكرى كيف ارتجاع صباي بعد اكمل
واذا تجدد لي أخ ومناوم جدت ذكر أخ حليل أول
لاكثره الاحسان تنسي حمرتي هيهات تذهب علي بعمل
لو كنت اعلم ان آخر عهدهم يوم الرحيل فعلت ما لم أقول
وله في شكوى الزمان

اني وان عزني نيل المني لاري حرص الفتى حازر يدت على العدم
نقلدتني اللبالي وهي مدبرة كأنني صارم في كف منهزم
وانشد في المعنى

عائباً عسى ان الزمان له عني وشكوى فكشكوى الانت له القلب
اذا لم يكن الا الى الدمع راحة فلا زال دمع العين منه ماسكبا
وقال ايضاً

وما بلوغ الاماني في مواعدها الا كأشعب يرجو وعد عرقوب
وقد تخالف مكتوب القضاء به فكيف لي بقضاء غير مكتوب
ومن شعره في الحكم قوله

احذر محاسن أوجه فقدت محاسن أنفس ولو انها أقمار
سرج تلوح اذا نظرت فانها نور يضيء وان مسست فانار
وقوله

لا تسأل الناس والايام عن خبر هما يثانك الاخسار تطفيل
ولا تعاتب على نقص الطبايع أحياناً فان بدر السماء لم يعط تكيلا
لا هو يسينك من أمر نصيبه فالله قد يعقب التصيب تسهلا
يج من جفائك ولا تبخل بسلمته واطلب به بدلاً أن رام تبديلا
وصيد الارض داراً والورى رجلاً حتى ترى مقبلاً في الناس مقبولا

وله

إذا صحب الفقى سعد وجد تحامته المكاره والخطوب
ووفاه الحبيب بغير وعد طفلياً وناد له الرقيب

وله أيضاً

ياثاوبا في معشر قد اصطفى بنارهم
ان تبك من شرارهم على - يدي شرارهم
أو نوم من أحجارهم وانت في أحجارهم
فما بقيت جارم فني هوام جارم
وارضهم في ارضهم ودارهم في دارهم

ومن كلامه في التغزل قوله في ليلة أنس

ولقد نعمت بليلة حمد الحيا بالارض فيها والسماء تذوب
جمع العائنين المصلي وانزوى فيها الرقيب كأنه مرقوب
والكاس كاسية التميمص كأنها لونا وقدرا معمم مخضوب
هي وردة في خده وبكأسها تحت القناني عسجد مصبوب
مني اليه ومن يديه الى يدي فاشمس تطلع بيننا وتغيب

وقوله أيضاً

قامت تجر ذبول العصب والخبر ضعيفة الخطو والميثاق والنظر
تخلو فتولي الحصا من حليها نبذل وتخلط العنبر الوردى بالعفر
تلفتت عن طلا وسنان واتسمت عن واضح مثل نورالروضة المطر
مالذ للعين نوم بعد ما ذكرت ليلا سمرناه بين الضال والسمر
تساقط الطل من فوق الفخوره تساقط الدر في اللبائ والفخر

وله من خمرية سمية

خليل النفس لا تخلي الزجاجة اذا بحر الدجى في الجو ماجا
وجاهر في المدامة من يرآئي فما فوق البسيطة من يداجي
امط عنك الكرى والليل ساج ودع نلبس الظلاء ساجا
وهات على اهتمام الروح راحا يعيد هموم النفس لها اقتراجا

إذا مريخها انتقد احمراراً صبيها المشتري فيها مزاجا
 وله بكيت دماً والقاصرات سوافر فلاحت حدود كلهن مورد
 وقد وقف الواشون في كل وجنة على محضر فيه المدامع تشهد
 وله يقول لي العاذل في لومه وقوله زور وهنات
 ما وجه من احبته قبله قلت ولا قولك قرآن
 وقال قل للعدول لو اطلعت لي الذي عانيت، أعناك ما يعنيني
 أتصدني أم للغرام تردني وتلومني في الحب أم تغريني
 دعني فليست معاقباً بجنايتي اذ ليس دينك لي ولا لك ديني
 وقال فيمن اسمه عمر

يا أعدل الناس اسماً كم تجور على فؤاد مضناك بالمجران والبين
 أظنهم سرفوك القاف من قر فابدلوها بعين خيفة العين
 وله ايضاً

غيري جنى وأنا المعاقب فيكم فكأنني سبابة المتنم
 وقال يمدح استاذه الكاتب اما الحسن علي بن أبي الرجال
 جاور شليماً ولا تحفل بمحاذنة اذا ادرعت فلا تسأل عن الأسئل
 اسم حكامه المسمى في الفعل فقد حاز العليين من قول ومن عمل
 فالماجد السيد الحر الكريم له كأنعت والعطف والتوكيد والبدل
 زان العلا وسواه شانها وكذا تميز الشمس في الميزان والحل
 وربما عابه ما يفخرون به يشتمن الخصر ما يهوى من الكفل
 سل عنه وانطق به وانظر اليه تجدد ملء المسامع والافواه والمقل
 ومن نظمه في انواع شتى : قال في العود

سقى الله ارضاً أنبتت عودك الذي زكت من أغصان وطابت مغارس
 تنفى دليها الطير والورد اخضر وغنت عليه الغيد والعود يابس
 وقال في الدرهم والديار

الاربشي غفيه من أرف اسمه نواه لنا عته وزجر وانذار
 فتنا بديار وهمنا بدرم وآخر ذاهم وآخر ذاهم
 وقال من قصيدة في وصف سيف

ان قلت ناراً أُنْدى النار ملهبة . أو قلت ماءً أيرى الماء بالشرر
وله من أخرى

وقد وخطت أرواحهم مفرق الدجى فبان باطراف الأسنّة شائبا
ومن ثره ما كتبه مستعظفاً على محبوس في دين :

قد حكمت ! جن الاشباح . وهي سجون الارواح . فأمنن علي ماشئت منها بالسراح .
فالحبس نزاع الارواح . والعلة أخت الة لمة . وكلاهما فقد . ومهر للخطوب وفقد . وانما
بينهما نفس متضاعد . وأجل متباعد . فالحق منهما ما أجلت بما عجلت . وقد اخرانا الدين .
الى يوم الدين .

ومن منشور كلامه في « أ بكار الأفكار » :

لما فني عمر الامس . وطفني سراج الشمس . لاحت بروق الثغور اللوامع . وجلجت
رعود الاوتار في المسامع . وبعث محارق وابن جامع . فلم يزل ذلك دابنا . ما أقلم
سمابا . حتى مسأنا هجمة . وكلنا نقول بالرجعة

وله في القرابة : الوجه بين اقاربه . كالوادي بن مذنبه . تجذب من ماءه وتطلب من غياهه .
وفي العدواة : كم قاطعك من راضعك . وقابحك من مالحك . وناقك من وافقك .
وانصبك من صاحبك . وحادك من وادك .

في انواع شقى : الجود أنصر من الجنود — من بخل بماله . سمح بعرض آله — البازل
كثير العاذل — الكريم كثير الغريم — احذر الكريم اذا افتقر . والاثم اذا اقتدر —
احذر التي اذا أنكر . والدكي اذا فكر — المطل احد المعين . والياس احد الصعيرين —
العشق احد الرقين . والسوا احد العتقين — رفث الكلام احد السفاحين . وموالة
القبل احد النكاحين — جميل الرد احد الجودين . وبقاء الذكر احد الخلودين — طول
الجود احد القبرين . وبقاء الشاء احد العمرين — بش النصير التقصير — التماسر
خاسر — من كثر فجره . وجب هجره — من كرم خصاله . وجب وصاله — سخابة
صيف . وزيارة طيف — الوسيلة جناح النجاح — رب عين اذا رأت زنت — لاکرم
بين حرم — المستلم أحزم من المتسلم .

هذا ما قصدنا ايراده هنا على ان ما جعناه من كلام هذا الاديب البارع هو اطول
من ذلك وقد لاقينا صعوبات حمة في نظم ما تشئت اذ لا يوجد تأليف يحوي تراجم
فضلاء القطر التونسي والله المسئول الاعانة
ح . ح . ع

بسم الله الرحمن الرحيم
رب أعن برحمتك

قال ابو عبد الله محمد بن شريف القيرواني هذه احاديث صنعتها مختلفة الانواع .
مؤلفة في الاسماع . غريبات الموائم . غريبات التراجم . واختلفت فيها اخباراً
فصيحات الكلام . بديعات النظام . لها مقاصد طراف . واسانيد طراف . بروق الصغير
معناها . والكبير مغزاها . وعزوتها الى ابي الريان الصلت بن السكن من سلامان ^(١) .
وكان شيئاً همّاً في اللسان . وبدراً تمّاً في البيان . قد بقي احقاباً . ولتي اعقاباً . ثم القته
الينامن باديته الازمات . واوردة . عليتنا العزمات . فامتنعنا من علة بجرأ جارباً . وقدحنا
من فهمه زنداً وارياً . وادرنا من بره طرفاً . واجتنبنا من ثمره طرفاً . ونحن اذ ذاك
والشباب مقبل . وغفلة الزمان تهتل . واحتذبت فيما ذهبت اليه . ووقع تعريضي
عليه . من بث هذه الاحاديث ما رأيت الاوائل قد وضعته في كتاب كليلة ودمنة ^(٢)
فاضافوا حكمه الى الطير الحوائم . ونطقوا به على السنة الوحش والبهائم . لتعلق به
شبهوات الاحداث . وتسعذب بسمره الفاظ الحداث . وقد نحا بهذا الفخو سهل بن
هرون ^(٣) الكتاب في تأليفه كتاب النمر والشعل وهو مشهور الحكايات . بديع المراسلات .

(١) سلامان (بفتح اوله) ماء لبني شيبان على طريق مكة الى العراق وبه مات
نوفل بن عبد مناف . قال حاتم :

اذا حال دوني من سلامان رملة وجدت توالي الوصل عندي أبناً

(من « معجم ما استعجم » لابي عبيد الله البكري ج ٣ ص ٧٧٦ طبعة غوتنغن سنة
١٨٧٦) . وفيما يظهر لنا ان ابن شرف اختار سلامان الذي هو اسم منزل لبني شيبان
تذكراً للقبيلة التي ينسب اليها احد اساتذته ومحسنه ابو الحسن علي بن ابي الرجال
الشيباني رئيس قلم الاشياء في دولة المعز بن باديس الصنهاجي كما ذكرناه في ترجمة المؤلف
(٢) كتاب كليلة ودمنة وضعه بيدبا الحكيم الهندي باللغة البهلوية ثم ترجم الى
الفارسية ومنها عربه عبد الله بن داؤدة بن المنعم (١٠٩ - ١٤٥ هـ) على عهد ابي جعفر
المنصور العباسي .

(٣) ابو عمرو سهل بن هارون بن راهبوت الدستيساني اصله فارسي وانتقل الى
البصرة واتصل بخدمة المأمون فتولى رئاسة خزانة الحكمة ببغداد وكان حكماً فصيحا

ملج المكاتب . وزور أيضاً بديع الزمان الحافظ الهمداني وهو الاستاذ ابو الفضل احمد ابن الحسين^(١) مقامات كان ينشئها بديها في اواخر مجالسه وينسبها الى راوية رواها له بسميه عيسى بن هشام وزعم انه حدثه بها عن بليغ يسميه ابا الفتح الاسكندردي وعددها فيما يزعم رواها عشرون مقامة الا انها لم تصل هذه العدة اليها وهي متضمنة معاني مختلفة . وبنية على معاني ثنى غير مؤتلفة . لينتفع بها من الكتاب والمحاضرين من صرفها من هنزل الى جد . ومن ند الى ضد . فاقت من هذا النحو عشرين حديثاً أرجو^(٢) ان يتبين فصلها . ولا تقصر عما قبلها . ولعمري ما استكر من نفسي . ولا أثني على شيء من حسي . الا ظفري بالاقبل مما حاولته على ما أضرمته نيران القرية من قلمي . وثلثه معتمات الفنة من لي . وقطعت احوال البر والبحر من خواطري . واضعفت الوحشة والوحدة من غرائزي وبصائري . لكن نية القاصد وسعة المقصود . اعانا ذا الود على اتحاف المودود . والله أسأل توفيقاً . ينهج لنا الى الرشد طريقاً .

فنها

قال محمد^(٣) وجاريت ابا الريان في الشعر والشعراء . ومنازلم في جاهليتهم واصلامهم^(٤) واسعة كشفته عن مذهبه فيهم ومذاهب طبقتهم في قديمهم شاعراً شعوبياً المذهب شديد التعصب على العرب . وله مصنفات كثيرة تدل على بلاغته وحكمته منها كتاب « قله وعفوه » وكتاب « نصمه وعصره » عارض بهما كلية ودنة في ابوابه وامثاله وزاد عليه بحسن الذلم اما كتاب « النمر والثعلب » الذي نسب اليه ابن شرف هنا فلم تقف على ذكره في تأليفه .

(١) بديع الزمان توفي سنة ٣٩٨ ومقاماته تبلغ اربعمائة كما ذكره ابراهيم الحميري القيرواني في كتابه « زهر الآداب » حيث قال « ان الذي سبب للبديع تأليف مقاماته هو ان رأى ابا بكر بن الحسين بن دريد قد اغرب باربعين حديثاً ذكر انه استنبطها من يتابع صدره وأنجبها من معادن فكره على طبع العرب الجاهلية بالفاظ بعيدة وحشية فعارضه البديع باربعائة مقامة ٠٠٠ » الا ان المنداول الآن بين الناس خمسون مقامة فقط طبعت بمصر وغيرها والمظنون ان في عصر ابن شرف لم يصل الى افرقية سوى عشرين منها

(٢) بالاصل - أرجوا - (٣) من هنا فقط تبثدي النسخة الاندلسية -

(٤) وبالنسخة الاندلسية: في ذكر اهل النظام . ومنازلم في الجاهلية والاسلام -

وحدثهم^(١١) فقال له مرآة^(١٢) أكثر من الاحصاء واشعارهم ابعد من شدة الاستقصاء .
فقلت لا اعتبك^(١٣) باكثر من المهورين . ولا اذا كركاك الا في المذكورين^(١٤) مثل
الضليل والقنيل . وابيد وعبيد . والتوايح . والعنوة^(١٥) . والاسود بن يعفر . وصخر النفي^(١٦)
وابن الصمة دريد . والراعي عبيد . وزيد الخليل . وعامر بن الطفيل . والفردق وجريز .
وجميل بن معمر وكثير . وابن جندل . وابن مقبل . وجرول . والاخلط . وحسان في
هجائه^(١٧) ومده . وغيلان في ميته وصيده . والمهدي ابي ذؤيب^(١٨) . ومهيم ونصيب .
وابن حلزة الوائي . وابن الرقاق العاملي . وعنترة العبسي . وزهير المري^(١٩) . وشعراء فزارة .
ومفلقي بقي زرارته . وشعراء تغلب وبثرب . ومثقال هذا النقط الاوسط كالرماح .
والطرماح . والطربس . والدميني . والكعيت الاسدي . وحמיד الهلالي . وبشار
العقيلي . وابن ابي حفصة الاموي . ووالبة الاسدي . وابن جبلة الحلبي . وابي نواس
الحكمي . وصريع الانصاري . ودعلج الخزاعي . وابن الجهم القرشي . وحيب
الطائي . والوليد الجعثري . وابن المعتز العباسي . وعلي بن العباس الرومي . وابن رغبان
الحصبي . ومن الطبقة المتأخرة في الزمان . المتقدمة في الاحسان . كابي فراس بن
حمدان . والمتنبي بن عبدان . وابن جدار المصري . وابن الاحنف الحنفي . وكشاجم
الفارسي . والصوري الحلبي . ونصر الخبزدي^(٢٠) . وابن عبد ربه القرطبي . وابن
هاني الاندلسي . وعلي بن العباس الايادي^(٢١) . والتوسلي . والتوسلي قال ابو الريان لند
سميت مشاهير . وابقيت الكثير . قلت بلى : ولكن ما عندك فيمن ذكرت . قال : اما
الضليل^(٢٢) مؤسس الاساس . وبنياته^(٢٣) عليه الناس . كانوا يقولون اسيلة الخلد

(١) هذه الجملة مفقودة من النسخة الاندلسية — (٢) بالنسخة الاندلسية : عدد
الشعراء — (٣) وبالنسخة التونسية : اعتنك وهو الاولى — (٤) من ولا اذكر الى المذكورين
مفقود من النسخة الاندلسية — (٥) بالنسخة الاندلسية : العشي — (٦) بالنسخة الاندلسية :
ومن سواء من اعمي — (٧) بالنسخة الاندلسية : في اهاجيه — (٨) بالنسخة التونسية : وابو
ذؤيب المهدي — (٩) بالنسخة التونسية : المزني وهو ايضا صحيح — (١٠) بالنسخة التونسية :
الخبزري — (١١) بالنسخة الاندلسية : الايادي وعلي بن العباس الايادي هذا من
فحول الشعراء التونسيين خدم بشعره الامراء العبيديين اواسط القرن الرابع وكان معاهراً
لابي القاسم محمد بن هاني الاندلسي (١٢) الضليل هو امرؤ القيس بن جحرا الكندي حامل
لواء شعراء الجاهلية — (١٣) بالنسخة التونسية : بذاته —

حتى قال أسيلة مجري الدمع . وكانوا يقولون تامة القامة وطويلة القامة وجيدها وتامة
 العنق واشباه هذا حتى قال بعيدة مهوى القرط ^(١) وكانوا يقولون في الفرس السابق
 يلحق الغزال والظلم وشبهه حتى قال قيد الاوابد ^(٢) ومثل هذا له كثير . ولم يكن قبله
 من فطن لهذه الاشارات والاشارات غيره فامتثلوه بعده . وكانت الاشعار قبل
 سواذج . فبقيت هذه جدداً وتلك نواهج . وكل شعر بعد ما خلاها فغير رائق النسيج .
 وان كان النهج واما طرفه فلو طال عمره . لطلال شعره . وعلا ذكره . ولقد خسر
 باوفر نصيب من الشعر . على ايسر نصيب من العمر . فلأأرجاء ذلك النصيب
 بصنوف من الحكمة . واوصاف ^(٣) من علو الهمة . والطبع معلم حاذق . وجواد سابق
 واما الشيخ ابو عقيل فشعره ينطق بلسان الجزالة . عن جنان الاصاله . فلا تسمع له الا
 كلاماً فصيحاً . ومعنى مبيتاً صريحاً . وان كان شيخ الوقار . والشرف والفخار . لبادئات
 في شعره وهي دلائله . قبل ان يعلم قائله . واما المباسي ^(٤) فمجيد في اشعاره . ولا كملقده
 فقد انفرد بها انفراد سبيل . وغبر في وجوه الخيل . وجمع فيها بين الخلاوة والجزالة .
 ورقة الغزل وغلظة البسالة . واطال واستطال . وامن السامة والكلال . واما زهير فاي
 زهير . بين لهوات زهير . حكم فارس . ومقدمات الفوارس . ومواعظ الزهاد .
 ومعتبرات العباد . ومدح يكسب الفخار . ويبقى بقاء الاعصار . ومعاتبات مرة تحسن .
 ومرة تحشن وتارة تكون هجواً . وطوراً تكاد تعود شكراً . واما ابن حنزة ^(٥) فسهل الحزون . قام
 (١) لم نعثر في شعر امرئ القيس على هذه الجملة ولا التي بلها . واول من استعمل لفظ
 القرط في نظمه هو عمر بن ابي ربيعة حيث يقول :

بعيدة مهوى القرط اما لوفل ابوها واما عبد شمس وهاشم
 كما ان الاخطل هو اول من وصف الخلد بالسهولة وذلك في قوله :
 اسيلة مجرى الدمع اما وشاحها نجار واما الحجل منها فما يجري
 « ٢ » إشارة الى قول امرئ القيس :

وقد اغتدى والطير في وكناتها بمنجود قيد الاوابد هيكل

وهذا البيت بعد من ابتداعات امرئ القيس ومخترعاته

« ٣ » من هنا بتدي النص بالنسخة التونسية فاتمنا ما ضاع من النسخة الاندلسية

« ٤ » العباسي هو حنزة بن شداد « ٥ » هو الحارث بن حنزة بن مكروه بن يزيد

البشكري البكري احد شعراء الجاهلية المجيدين

خطيباً بالموزون . والعادة ان يسهل شرح الشعر بالنثر . وهذا اسهل السهل بالوعر . وذلك مثل قوله :

أبرموا أمرهم عشاء فلما أصبحوا أصبحت لم ضواء^(١)

من مناد ومن مجيب ومن تصهال خيل خلال ذاك رغاء

فلما اجتمع كل خطيب ناثر . من اول وآخر . بصفون سفرأ : بهضوا بالاسحار . وعسكرأ تنادي بالنهوض الى طلب الثار ما زادوا على هذا ان لم يتقصوا منه ولم يقصروا عنه وسائر قصيدة . في هذا السلك شكاية وطلب نصفه وعتاب في عزة وانفة وهو من شعراء وائل واحد اسنة هاتيك القبائل ولما ابن كثوم فصاحب واحدة بلا زيادة انطقه بها عن الظفر وهزه فيها جن الاثر فقهت رعوده في ارجائها وجمعت رحاه في اثائها وجعلتها قلب قباتها التي تعلى اليها وملتها التي تمتد عليها فلم يتركوا اعداتها ولا خلعوا عبادتها الا بعد قول القائل :

ألمى بني تغلب عن كل مكرمة قصيدة قالها عمرو بن كثوم^(٢)

على انها من القصائد المحترقات واحدى المعلقةات واما النابغة زياد فاشعاره الجياد لم تخرج عن نار جوانحه حتى تنامي نضجها ولا قطعت من منوال خواطره حتى تكاثفت نسها لم تهملها ميعة السباب ولا وهاء الاسباب ولا اوم الاكتساب فشعره وسائط سلوكه ونيجان ملوك واما النابغة الجعدي فبقي الكلام شاعر الجاهلية والاسلام واستحسن شعره افصح الناطقين ودعاه لصدق الصادقين وكان شاعراً في الانقراض والثناء قصير الباع لشرفه عن تناول الهجاء وكان مغلوباً فيه في الجاهلية وطريد ليلي الاخيلية واما العشي باجمعهم فكلهم شاعر ولا كيمون بن قيس شاعر المدح والمجاء واليأس والرخاء والنصرف في الفنون والسعي في السهول والحزون نفق

« ١ » البيثان من معلقته المشهورة التي مطلعها :

آذنتنا بيننا اسماء رب ناه بمل منه النواء

يقال انه ارتجلها بين يدي عمرو بن هند في شيء كان بين بكر وتغلب بمد الصلح وكان يثبته من وراء سبعة سنور فامر عمرو برفع الستور عنه استحساناً لها وتروى أجمعوا بدل أبرموا .

« ٢ » قائل البيت مجهول واتبعه ابن قتيبة بيت آخر وهو :

يفاخرون بها مذ كان اولهم بالرجال لشعر غير مسوم

مدحه بنات الحلقى وكان في فقر ابن المذاق وابكى هجوه علقمة^(١) كما تبكى الأمانة
واما الاسود بن يعفر فاشعر الناس اذا ندب دولة زالت اوبكى حالة حالت او وصف
ربعا خلا بعد عمران او دارا درست بعد سكان فاذا سلك هذا السبيل فهو من
حشو وهذا القليل كهمرو وزيد وسعد وسعيد واما حسان فقد اجث بواكر غسان
ثم جاء الاسلام وانكشف الاطلال فجاحش عن الدين وناضل عن خاتم النبیین
فشعرو زاد وحسن واجاد الا ان الفضل في ذلك لرب العالمين وتديد الروح
الامين واما دريد بن الصمة فصمة صمم وشاعر جشم وغزل هرم واول من تغزل
في رثاء وهزل في حزن وبكا فقال في معبد اخيه قويدته المشورة يرثيه :

ارث جديد الحبل من ام معبد^(٢) وهي من شاجيات الدوائج وباقيات المدائح
وابا الراعي عبيد فجل على وصف الابل فصار بالراعي يعرف ونسي ماله من الشرف واما
زيد الخليل فخطيب سجاعة وفارس شجاعة مشغول بذلك عما سواه من المسالك واما عمار
ابن الطفيل فشاعر هم في الفخار وفي حماية الجار واصفهم لكريمة وابعثهم لمحمد شيمة
واما ابن مقبل فقد قدم شعره وصليب نجره ومغلى مدحه ومغلى قدحه واما جرول
فخيبت هجاؤه شربف ثناؤه صحيح بناؤه رفع شعره من الثرى وحط من الثريا
واعاد بلطفه فكره وثنائه شعره قبيح الالقاب فخرأ ببقى على الاحقاب ويشوارث
في الاعتقاب واما ابو ذؤيب فشديد اسر الزهر حكيمه شغله فيه التجريب حديثه
وقديمه وله المراثية الثقية السبك المتينة الحبك بكى فيها بنيه السبة ووصف الحمار
فطول وهي انهي اولها
امن المنون وربيه تنوجع^(٣)

واما الاخطل فسعد من سعاد بن مروان صفت لهم مرآة فكره وظفروا بالبديع
من شعره وكان باقة من حاجاه وصاعقة من هاجاه واما الدارمي همام^(٤) فجوهر

« ١ » هو علقمة بن علاثة هجاء اعشى ميمون دفاعا عن عامر بن الطفيل بآيات طالعها:

• علقم ما انت الى عامر النا . قض الاوتار والواتر

« ٢ » قال ابن الكلبي: لا اعلم مرثية اولها نسب الا قصيدة دريد بن الصمة (عمدة:

باب الرثاء).

ارث جديد الحبل من ام معبد بعافية قد اخلفت كل موعد

« ٣ » وبقية البيت: والده ليس بمعتب من يجمع

« ٤ » الدارمي همام هو الفرزدق الشاعر المشهور

كلامه . واغراض سهامه . اذا افخر بملك ابن حنظلة . وبدارم في شرف المنزلة .
 واطول ما يكون مدى اذا تطاول اخيار جرير ثليه بقليله على كثيره . وبصغيره على
 كبيره . فانه يصادمه حينئذ بحر ماد . ويقاومه بسيف حاد . واما ابن الخطمي^(١)
 فزهدي غزل . وحجر في جدل . يسبح اولاً في ماء عذب . ويطمح آخرأ في صخر
 صلب . كلب مناجمة . وكبشر مناطحة . لانفل غرب لسانه مطاولة الكفاح . ولا تدمي
 هامته مداومة النطاح . جارى السوابق بمطية . وفاخر غالب بعطية . وبلانته بلاغته
 الى المساواة . وحملته جرأة على المجاهرة . والناس فيها فريقان . وبينها عند قوم
 فريقان . واما القيسان^(٢) وطبقة طلبة عشقة . توفة . استحوذت الصباية على
 افكارهم واستفرغت دواعي الحب معاني اشعارهم فكلهم من غول بهواه لا يتعداه
 الى سواء . واما كثير فحسن الانسب فيهم لطيف العتاب مليحه شعبي الاعتبار
 قريحه جامع الى ذلك رفائق الظرفاء . وجزالة مدح الخلفاء . واما الكهيت والرماح
 ونصيب والطرماع فشعراء معاصرة ومناقضات ومفاخرة فنصيب امدح القوم
 والطرماع اجماع والرماح انسبهم نسبيا والكهيت اشبههم تشبيها . واما بشار بن برد
 فاول الحديث وآخر الخضر من ومن لحق الدوائين عاشق سمع وشاعر جمع .
 شعره ينفق عند ربات الحجال . وعند فحول الرحائب فهو يلين حتى يستعطف .
 ويقوى حتى يستتكف وقد طال عمره وكثر شعره وطأ بحره ونقب في البلاد
 ذكره . واما ابن ابي حفصة^(٣) فمن شعراء الدوائين ومن حظي بالثمتين ووصل الى
 الغنى بالصالحين وكان درب المعول ذرب المقول والمد شعراء ومنجب فصحاء .

(١) ابن الخطمي هو جرير بن عطية بن الخطمي التميمي الشاعر المشهور المتوفى سنة

١١٠ . وكانت بين جرير هذا والفرزدق مهاجمة وتفاؤس مشتهرة بتأليف خاص

(٢) اولها : قيس بن الملوح مزاحم بن قيس العامري المشهور بمجنون ليلى واشعاره

فيها متداولة بين الناس . وثاني القيسين هو قيس بن ذريح الكنتاني رضيع الحسن
 ابن علي بن ابي طالب توفي في حدود اليمين للهجرة . وغالب اشعاره في معشوقته لبني
 بنت الحباب

(٣) هو ابن اسحق مروان بن ابي حفصة سليمان بن يحيى بن ابي حفصة يزيد من

الشعراء المجيدين والفحول المتقدمين ولد سنة ١٠٥ . وتوفي عام ١٨١ ببغداد وله نوادر

كثيرة تراجع بمعاجم التراجم

واما ابونواس . فاول الناس في خرم القياس وذلك انه ترك السيدة الاولى .
ونكب عن الطريقة المثلى وجعل الجد هنلا والصعب سهلا فهلّل المسرد وبابل
المضد وخلخل النجد وترك الدعائم وبني على الطامي والعائم وصادف الافهام قد
نككت واسباب العربية قد تخالخت وانخلت والفصاحات الصحيحة قد سئمت وملت .
فقال الناس الى ما عرفوه وعلقت نفوسهم بما الفوه فتهاذوا شعره واغلو سحره .
وشغفوا باستخفه وكلفوا باضعفه وكان ساعده اقوى ومراحه اضوا لكنه عرض
الاتقى واهدى الاونق وخائف فشرو عرف واغرب فذكر واستظرف والعوام
تختار هذه الاعلاق واسواقهم اوسع الاسواق فشرابي نواس نافق عند هذه
الاجناس كاسد عند انتقد الناس وقد فلن الى استنضائه وخاف من استخفائه .
فاستدرك بفصيح طرده طرفا حد اللسان وحدوده وهو محدود في كثرة التظاهر على
من غرض منه بالحق الظاهر ليس الاخفة روح المجون وسهولة الكلام الضعيف
المجون على جمهور العوام لا على خواص الانام واما صريع " فكلامه مرصع ونظامه
مصنع وجملة شعره صحيحة الاصول مصنعة الفصول قليلة الفصول واما العباس بن
الاحنف فعتزل بهواه وبمعزل عما سواه دفع نفسه عن المدح والمجاء ووضعها بين
يدي هواء من الدناء تدرقن الشخف كلامه وثقت قوة الطبع نظامه فله رقة
العشاق وجودة الخذايا واما دعبل فديد مقبل اليوم مدح وغدا قدح يجيد في
الطريقتين ويبي^١ في الخليقتين وله اشعار في المعصية وكان شاعر علماء وعالم
شعراء واما علي بن الجهم فرشيق الفهم راشق السهم استوصل شعره الشرفاء ونادم
الخلفاء وله في الغزل الرصافية وفي العتاب الدالية ولولم يكن له سواهما لكان
(١) صريع الغواني لقب لشاعرين الاول القطامي واسمه عمير بن سيثم ابن اخت
الاخطل سمي بذلك لقوله :

صريع غوان راقن ورقه لدن شب حتى شاب سود الذوائب

والثاني وهو الذي قصده ابن ثرف هنا هو مسلم بن الوليد الانصاري من شعراء
الدولة العباسية لقبه الرشيد بصريع لقوله :

هل العيش الا ان تروح مع الصبا وتقدو صريع الكاس والاعين النجل
ومولده مسلم بالكوفة ووفاته سنة ٢٠٨ هجرية وهو فيما زعموا اول من قال الشعر
المعروف بالبديع

اشهر الناس بها واما الطائي حبيب فتمكث الا انه يصيب ومتعب لكن له من الراحة نصيب وشغله المطابقة والتجسس حب ذلك اويس جزل المعاني مرصوص الخافي مدحه ورثاؤه لا غزله وهجاؤه طرفا تقيض وخطبا ساما وحضيض وفي شعره علم جم من النسب وجملة وافرة من ايام العرب وطارت له امثال وحفظت له اقوال ودبوازه مقرو وشعره متلو قال ابن بسام اما صفته هذه لاني تمام فصفة لم يثن عطفها حمية ولا تعلقت بذيلها عصبية حتى نوسمها حبيب لا تخذها قبله واعتمدها ملة فما لام من ادب وان اوجع ولا سب من صدق وان افزع واما المجتري فلفظه ما تشاج ودرر رجراج ومعناه سراج وهاج على اهداء منهاج يسبقه شعره الى ما يجيش به صدره يسر مراد ولين قياد ان شربته ارواك وان قدحته اوراك طابع لا تكلف بعينه ولا العناد يثنيه لا يمل كثيره ولا يستكف غزيره لم يهف ايام الحلم ولم يصف زمن الهرم واما ابن المعتز فلك النظام كما هو ملك الانام له التشبيهات المثلية والاستعارات الشكلية والاشارات الشعرية والبارات الجهرية والتصاريف الصنوفية والطرائق الفنية والافتخارات الملوكية والمهات السلوية والغزل الرائق والعتاب الشائق ووصف الحسن الفائق

وخير الشعر اكرمه رجالا وشر الشر ما قال العبيد^(١)

واما ابن الرومي^(٢) فشجرة الاختراع وثمره الابتداع وله في الهجاء ما ليس له في الاطراء فتح فيه ابوابا ووصل منه اسبابا وخلع منه اثوابا وطوق فيه رقابا يبقين اعمارا واحقابا يطول عليها حسابه ويمحق بها ثوابه ولقد كان واسع العطن لطيف الفطن الا ان الغالب عليه ضعف المريرة وقوة المرة واما كشاجم فخكيم شاعر وكتب ما هر له في التشبيهات غرائب وفي التأليفات عجائب يجيد الوصف ويحققه ويسبك المعنى فيرققه ويروقه واما الصنوبري ففصح الكلام غريبه مليح التشبيه عجيبه مستعمل لسواذ القوافي يغسل كدرتها بمياه فهمه الصوافي فنجلو وتندق وتمذب وترق^(٣) وهو وحيد^(٤) جنسه في صفة الازهار وانواع الانوار وكان في بعض اشعاره

(١) البيت للفردوق هجا به نصيبا وقد يروى : اشرفه رجالا عوض اكرمه رجالا

(٢) هنا ينتهي النقص الذي بالنسخة التونسية

(٣) بالنسخة التونسية : فيل ويدق ويعذب ويرق

(٤) وبالنسخة التونسية : جيد جنسه

بِخَالع وفي بعضها بتشجيع وقد مدح وهجا ونثر^(١) وشرجبا وأعجب شعره واطرب
 وشرق وغرب ومدح من اهل افرقية امير الزاب جعفر بن علي^(٢) منفق سوق^(٣)
 الآداب فوصله بالف دينار بعثها اليه مع ثقات التجار^(٤) واما الخبززي^(٥) فخلج
 الشعر ماجنه رائق اللفظ بائنه كثيرة محاسنه صحيحة اصوله ومعادنه رائقة
 البزة ماثلة الى العزة تسليه عن الحب الخيانة ويروقه الوفاء والصيانة وله على ختونة
 خلقه وصعوبة حلقه اختراعات لطيفة وابتداعات ظريفة^(٦) في الفاظ كشيعة وفصول قليلة
 الفضول نظيفة حتى ان بعض كبراء الشعراء اهتموا بشيئه من مبادئه واهتمهم طرقاً^(٧)
 من معانيه وهو من معاصريه فقل من فطن لمراميه واما ابو فراس بن حمدان
 ففارس هذا الميدان ان شئت ضرباً بطعننا او اخطأوه عني ملك زمانا وملك اوانا وكان
 اشعر الناس في المملكة واشهرهم في ذل المملكة^(٨) وله الفخریات التي لانه ارض والاسريات
 التي لانا^(٩) واقض^(١٠) واما المتنبي فقد شغلت به الالسن وسهرت في اشعاره العيون الاعين
 وكثر الناسخ لشعره والّاخذ لذكره والفائض في بحره والمنقش في ذره عن جمانه^(١١)
 ودره وتطال في الخلاف وكثر عنه الكشف وله شيعة تغلو^(١٢) في مدحه وعليه خوارج
 تنعابا في جرحه والذي اقول ان له حسنات وسيئات وحسناته اكثر عدداً واقوى مدداً
 وغرائب طائفة وامثاله نادرة وشمه فسيح وميزه صحيح يروم فيقدر ويدري ما يورد ويصدر
 قال ابو الريان^(١٣) هذا ما عندي في شعراء المشرق وقد سميت لي من متأخري شعراء

- (١) بالنسخة الاندلسية : سر بدل نثر — (٢) هو ابو علي جعفر بن علي بن احمد
 ابن حمدان امير الزاب من اعمال افرقية ومؤسس مدينة الميالة بالمغرب وقد حاربه
 الامير بلكين الصنهاجي صاحب القيروان واستظهر عليه ففر جعفر الى الاندلس وبها
 قتل سنة ٣٦٤ هـ ولابي القاسم محمد بن هاني الشاعر الاندلسي في جعفر المذكور مدائح
 فائقة تراجع في ديوانه — (٣) بالنسخة التونسية : سلم عوض سوق — (٤) من بعثها
 الى التجار مفقود بالنسخة الاندلسية — (٥) الخبززي ويروي ايضاً الخبزأرزي هو ابو
 القاسم نصر بن احمد بن نصر بن ميمون الاعمير البصري المتوفى سنة ٣١٠ (٦) بالنسخة
 الاندلسية : طريفة — (٧) بالنسخة الاندلسية : طرماً عوض طرفا — (٨) بالنسخة
 الاندلسية : الملك عوض المملكة — (٩) بالنسخة الاندلسية نهاض — (١٠) بالنسخة
 الاندلسية : حماته (١) بدل حماء — (١١) بالنسخة (١٢) تغلو (١٣) من قال ابو الريان
 الي فاما ابن عبد ربه مفقود من النسخة الاندلسية

المغرب من العمري لا يبعد عن معاصرهم ولا يتصرعن سابقهم فالما ابن عبدربه القرطبي وان بعدت عنك دياره^(١) فقد اقبلتنا اشعاره ووقفنا على اشعار صوته الانينة وتكفيرات توبته الصدوقة ومدائح المروانية وطاعته في البناية وهو في كل ذلك فارس ممارس وطاعن مداعس واطلعنا في شعره على علم واسع ومادة فهم مضي ناصع ومن تلك الجواهر ناعم عقد وتركه لمن يجمل بعده واما ابن هاني محمد الاندلسي ولادة القيرواني وفادة وافادة فرعدي الكلام سردي النظام متهين^(٢) المباني غير ممكن المعاني يحفو بمطاب عن الاوهام حتى تكون كنقطة النظام الا انه اذا ظهرت معانيه في جرائل مبانيه رمى عن مخجيق يوتر في البقي وله غزل قفري لا عذري لا يقع فيه بالطيف ولا يتفعم فيه^(٣) بغير السيف وقد نوه به ملك الزاب وعظم شأنه باحزل الثواب وكان سيف دولته في اعلاء منزلته من رجل يستعين على صلاح دنياه بفساد اخراه لرداة عنه ورقة دينه وضعف يتيه ولو عقل لم تنضق عليه^(٤) معاني التعر حتى يستعين عليها بالكفر واما القسطلي^(٥) فشاعر ماهر عالم بما يقول تشهد له العقول بان الآخر بالاهر المقدم في التعر حاذق^(٦) بوضع الكلام في مواضعه لا سيما اذا ذكر ما صاحبه في الفتنة وشكا مآدهاه في ايام الحنة وبالجملة فهو اشعر اهل مغربه في ابعد الزمان واقربه واما علي التونسي فشعره المورد العذب ولفظه اللؤلؤ الرطب وهو يجتري الغرب بصف الحمام فيروق الانام ويشبب فيعشقق ويحبب ويمدح فيمنح أكثر ما يمنح

هذا ما عندي في المتقدمين والمتأخرين على احتقار المعاصر واستصغار الجوار .
فخاش لله من الاوصاف بقلة الانصاف للبعيد والقريب والعدو والحيب قلت :
يا ابا الريان^(٧) أكثر الله مثلك في الاخوان ووقاك محذور الزمان ومرور الحدثنان فلقد

(١) بالنسخة التونسية : وان بعدت عنا ذكره — (٢) من متهين الى كنقطة النظام

مفقود من النسخة الاندلسية

(٣) بالنسخة الاندلسية : يشبع بدل يشفع — (٤) بالنسخة التونسية : عنه بدل عليه — (٥) القسطلي هو ابو عمر احمد بن محمد بن دراج القسطلي الاديب المطبوع المتوفى سنة ٤٢١ هجري والقسطلي نسبة الى قسطلية إحدى الولايات بجزيرة الاندلس (٦) بالنسخة الاندلسية : يوقم بدل يوضع — (٧) من قوله أكثر الله الى محذور الزمان

مفقود من النسخة الاندلسية

سبكت فمها وحشيت علماً^(١)

قال محمد قلت لابي الريان في مجلس عقيب هذا المجلس يا ابا الريان لقد رأيت لك نقداً مصيباً ومرمى عجيباً ولقد ارجو في ان اتال من نصيبا قال النقد هبة الموالد . وفيه زيادة طارف الى تالد ولقد رأيت علماء بالشعر ورواة له ليس لهم نقاد في نقده ولا جودة فهم في رديه وجيده وكثير من لا علم له بفطن الى غوامضه والى مستقيمه ومتناقضه قلت انا شديد الرغبة الى فضلك في ان تسهمني من ميزك وعقلك ما استهدي بسراجيه على مستقيم منهاجه فاقت من سرائره على بعض ما وقفت واعرف من مفاخره ومعانيه جزءاً مما عرفت قال نعم اول ما عليه تعتمد واياه تعتقد ان لا تستعمل باستحسان ولا باستقباح ولا باستبراد ولا باستملاح حتى تنعم^(٢) النظر وتستخدم الفكر واعلم ان العجلة في كل شيء موطن لزلق ومركب زهوق فان من الشعر ما يملأ لفظه المسامع ويرد على السامع منه قعاقع فلا يرعك سماخه مبناء وانظر الى ما في سكونه من معناه فان كان في البيت ساكن فذلك المحاسن وان كان خالياً فاعده جسماً بالياً وكذلك اذا سمعت الفاظاً مستعملة وكلمات مبتذلة فلا تهجل باستضعافها حتى ترى ما في اضعافها فكم من معنى عجيب في لفظ غير غريب والمعاني هي الارواح والالفاظ هي الاشباح فان حسناً فذلك الحظ الممدوح وان قبح احدهما فلا يكن الروح قال: وتحفظ عن شيئين احدهما ان يحملك اجلال القديم المذكور على العجلة باستحسان ما تسمع له والثاني ان يحملك اصغارك المعاصر المشهود على التهاون بما انشئت له . فان ذلك جور في الاحكام وظلم من الحكام حتى تمحص قولها فحينئذ تحكم لها او عليها وهذا باب في اغتلاقه استصعاب وفي صرف العامة وبعض الخاصة عنه اتماب وقد وصف تعالى في كتابه الصادق تشبث القلوب بسيرة القديم ونفارها من المحدث الجديد فقال حاكياً لقولهم انا وجدنا آباءنا على أمة وقال لن نعبد الا ما وجدنا عليه آباءنا وقد قلت انت :

(١) هنا تنتهي النسخة الاندلسية وفي آخرها ما نصه : « نجزت المقامة بأسرها والحمد لله رب العالمين وصلواته على محمد خاتم النبيين وعلى اخوانه من الانبياء والمرسلين وسلامه » ثم عقب ذلك بخط غير منقوط « طالعته في موافق سنة خمس وخمسمائة » وعليه فتكون النسخة الموجودة الآن باسبانيا كتبت قريباً من عهد المؤلف (راجع ترجمته بالمقدمة) (٢) نعم مثل تمنع

أغري الناس بامتداح القديم وبذم الجديد غير ذم^(١)
ليس الا لانهم حسدوا الحمي ورقوا على العظام الرميم
وقلت في هذا المعنى :

قل لمن لا يرى المعاصر شيئاً ويرى للاولائل التقديماً
ان ذاك القديم كان جديداً وسيغدو^(٢) هذا الجديد قديماً
فلا يرعك ان تجري على مباح الحق في جميع الخلق فيه قامت السموات والارض
وبه احكم الابرام والنقض وسأمثل لك في ذلك مثلاً واملاً اسماءك، قالوا وفهمك
عدلاً واعتدالاً
يتبع



مخطوطات وطبوعنا

حاضر الاسلام ومستقبله

تأليف الأستاذ مؤمنه من كلية جنيف (سويسرا) طبع على نفقة المكتبي بول كوتر
بياريز ص ١٥٧

M.E. Montet . De l'Etat présent et de l'avenir de l'Islam.
Librairie Paul Geuthner, Paris

في رجال العلم في الغرب فئة قليلة تجردت نفوسهم عن الغايات فاذا اصدروا حكمهم
على امر يصدرونه اقرب الى الصحة احياناً اكثر من تربوا تربية القرون الوسطى
وتشبهوا بافكار اهلها او نزعوا منزعاً سياسياً فصارت اقوالهم واقوالهم تصدروا وهي ترشح
من مادة سياسية دولتهم . ومن اهل تلك الفئة الفاضلة الاستاذ مؤمنه من جامعة جنيف
في سويسرا التي ست محاضرات في حاضر الاسلام وماضيه باللغة الفرنسية في «كوليج
دي فرانس» بياريز وهي دار العلم العامة ونشرها في كتاب ارسل الينا لبدي رأينا فيه
فراًنا ان تلخص اقواله أولاً ثم نعقب عليها اذا وجدنا داعياً قال في المحاضرة الاولى في
الابحاث الاسلامية واحد، ان نفوس اهل الاسلام وان اشار دينهم ان فرنسا والمانيا

«١» اورد البيتين العلامة الشريشي في شرحه الكبير لمقامات الجريري «ج ١
ص ١٢» وروى : اولع بدل اغري والحديث بدل الجديد ومالوا عوض ورقوا
وقوله «ذم» اصلها «غير الذم» كما انه اورد لفظ «ورقوا» في البيت الثاني
والاحسن عندي ان تقرأ «فرقوا» «٢» بالاصل : سيفغدوا

وبريطانيا العظمى وهولاندا هي الدول التي لها علاقة كبرى بالمسلمين لان لها في مستعمراتها ملاين منهم تابعين لها وان طبائع الحكومات الخاضعين لها تختلف باختلاف طبائعهم فيمكن ارحاع المسلمين المحكوم عليهم في آسيا وافريقية الى ثلاثة اقسام كبرى المنود والمالاي والافريقيون وانه يؤثر ان يتكلم على المسلمين الخاضعين لفرنسا بنوع خاص ولا يتعرض للمسلمي الهند وجاره وسومطرا الا بالعرض

المسلمون البربر يختلفون في طبائعهم عن مسلمي العرب او الفرس او الهندو او الصينيين او المالايير كما تختلف النصرية اذا نظر اليها نظراً اجمالياً لانها تختلف باختلاف طبائع اهلها بحسب الاقاليم اوروبية كانت او اميركية او افريقية او آسيوية

اذا نظر الى البلاد الاسلامية من حيث مجموعها يتأتى ان يقال له الاسلام في الجملة منتشر في جزء عظيم من قارة آسيا وجزء متله من قارة افريقية وفي بلاد عظيمة جداً من الملبزيا ودع عنك النارلين من اهل الاسلام في قارتي اوربا واميركا وعددهم فيها لا يستهان به

واذا جئنا نحصى عدد المسلمين كان لغرنسا في افرقية منهم ٢٣٦١٠٨٦٠٠٠ وربما بلغ المسلمون تحت علم انكلترا ٦٨٦٠٠٠٠٠٠٠٠ وتحت حكم هولاندة ٣٨٩٣٨٦٠٠ منهم زهاء ثلاثين مليوناً في جاوة والمسلمون في الصين ثلاثين مليوناً اما سائر بلاد الاسلام فليس لها احصاء يعتمد عليه الا مصر وعددهم فيها ١٠٦٢٦٩٦٠٠٠ وسكان المملكة العثمانية ٢٤ مليوناً القسم الاعظم منهم مسلمون وفي ايران تسعة ملايين وفي مراکش مثلهم او اقل او اكثر فيبلغ عدد من ينتحلون الاسلام في العالم من ٢٠٠ الى ٢٥٠ مليوناً . ولم يقف الاسلام عند حد البلاد التي انتشر فيها بل تعداها الى غيره شأن اناء صبت فيه زيتاً اكثر مما يسع ففاض الى جوانب الآنية

انتشر الاسلام بسرعة منذ اول ظهوره وقبيل في الاديان التي شابهته ونبت دعوته الى اليوم مثله وان النجاح الذي صادفه منذ انتشاره قد كان داعياً الى القول في اسبابه خطأ اذ عجب الناس كيف انتشرت سلطة محمد واصلاحه خارج جزيرة العرب وقال القائلون ولا يزالون يقولون ان الباب الداعي الى انتشار الدين الاسلامي تد كان منبهاً من اسباب زمانية كانت من طبيعة محمد والخلفاء الاول وقيل كل شيء دعت اليها النسوة وقوة السيف ولكن الواقع قد كذب هذا الظن اذ لم ينظر الناظرون الى الاسباب الخفية التي نشأت منها سرعة انتشار الدعوة الى هذا الدين

لا شك عندي بان مبادئ الإصلاح الاسلامي كانت بداءة بدء دينية صرفة . فكان محمد رسولاً على نحو ما عرف العبرانيون رسلاً مثله فقام باعتقاد خالص واثق على الوثنية وتوخي ان ينقذوا وانيه من دين بربري سخي ف وان يخرجهم من حالة في الاخلاق والمدنية منخطة كل الانحطاط . فلا مجال الى الشك اذا في اخلاصه وحماسته الدينية التي كانت مثبته بها نفسه وفكره فقام يدعو بعواطفه الى اصلاحه في مكة ثم في المدينة

ولما نقل مركز اصلاحه الى يثرب لم يلبث عنصر جديد ان ينضم الى ارادته الإصلاحية وهذا العنصر هو النور الوطني العربي والفكر الذي اخذ يسري في عقله بتوحيد بلاد العرب توحيداً سياسياً فنتجاً بعد ذلك فكر الإصلاح الديني الى فكر جمع كلمة القبائل العربية تحت سلطة دينية وسياسية واحدة ومن هناك نشأت جرثومة مزج السلطتين الدينية والمدنية اللتين تجل امرهما في الحضارة الاسلامية وكانت سبب عظمتها ومجدها كما ان بذلك يعل سبب انحطاطها وخرابها وبهذا ساغ ان نميز بين انتشار الدعوة الاسلامية باديء بدء ووعظ القرآن والهداية الدينية وبين الفتح الحربي وتوحيد سياسة العالم العربي . وهذا التمييز الاساسي الجوهرى لا يفجأ به انسان يجرف في دروس التاريخ الديني فان مؤرخي الإصلاح الذي نام به لوثيروس وكلفن شاهدون بما كانت للسياسة من السجل في نشر المذهب البرتستانتي . وحقاً ان كبار المصلحين في القرن السادس عشر كانوا ارباب وجدانات واخلاق ونوابغ في الدين من الطراز الاول ولكن جذبهم تيار السياسة في عصرهم فعملوا على ان يديروه بحيث يوافق رغائبهم الدينية

وان في تاريخ البابوية امثلة لا تقل عن ذلك في الظهور والدلالة على الصلة الشديدة في الشؤون البشرية بين المصالح الروحية والمصالح السياسية والاعتبارات الدينية والاعتبارات العملية والمادية

ولقد ذهب بعضهم مذاهب اخرى في تأويل هذه القضية المعروفة في سرمة انتشار الاسلام لاول امره وارى ان من الباحثين من اوغلوا في تحليل الاسباب على حزن يكفي كما يرى ان تعتبر الاسباب المادية الاعتيادية في حياة كل مجتمع بشري فقال بعضهم ان القوة في انتشار هذا الدين نشأت من طبيعة هجرة العنصر العربي الذي كان يبحث عن مخرج يخرج اليه من ارضه لان بلاده كانت خيفة لا تكفيه وزعم آخرون ان السبب

في انتشار العنصر العربي والهجرة التي انتهت في القرن السابع للميلاد بنشر الاسلام في جزء مهم من بلاد الشرق كان منبعضاً من بطء التبديل في بلاد العرب الوقتاً من السنين فكان من نتيجة ذلك التبديل جفاف تلك التشبه الجزيرة التي تعادل بمساحتها ثلاثة ارباع مساحة اوربا اما نحن فنخشى كثيراً ان يكون هذا التغير الاسامي في المناخ لا يصل بنا الى اوقات عريقة في القدم قبل ان عرف التاريخ .

اوجزنا الكلام على هذه الاسباب في انتشار الدعوة الاسلامية لاول عهد الهجرة لان هذا الدين ما برح ينتشر الى اليوم والعمالان الجوهريان فيه على الدوام هما اللذان اوردهما اولاً وما انتار الاسلام في القرن العشرين الا ناشئاً من اسباب منها الديني ومنها السياسي والاقتصادي والاجتماعي

فالاسباب الدينية اذا بحثنا فيها كان علينا بادي الرأي ان ننظر فيما اذا كان للاسلام كما للنصرانية مبشرون فاننا نرى النصرانية تنتشر في الخارج بواسطة جمعيات التبشير وعوامل منفردة في المذهب البروتستانتي والمذهب الكاثوليكي بواسطة الرهبان . ولت شعري هل في الاسلام شيء يشبه هذا فالجواب لا ونعم

ففي افريقية مثلاً اناس من المرابطين هم دعاة تبشير حقيقيين وهناك طرق دينية اخذت على نفسها نشر الدين الاسلامي على ان الاسلام ينتشر بنفسه بواسطة المسلمين انفسهم لان كل مسلم في البلاد الوثنية داعية دين بجد ذاته . المسلم على الجلة مؤمن مخلص في ايمانه وربما كان ذلك لانه قليل التعلم او كثير الجهل ومن خصائص الاسلام ان يستولي على المعنقد به فيكون مأخوذاً به قلباً وقالاً واثقاً كان ثمت من المسلمين الفاترين الذين قلما يعنون بمثل هذه الامور الا ان الحمية خلق اسامي فيمن يدينون بالاسلام . واني اكرر ان في مطاوي الملة احياناً شيئاً يشبه المبشر فهو يدعو الى دينه كما كان يعمل الاليجوي والقودوي في القرون الوسطى يدعو الى دينه وهو متوفر على تجارته او عامل في صناعته والفرق بين هؤلاء الدعاة الملاحدة قديماً وبين المسلمين اليوم هو ان الاولين كانوا يستعملون سرّاً هذه الطريقة في بث معتقدهم لان الحاجة كانت تضطرهم الى التقية فراراً بانفسهم من الظلم فيجبون كتبهم الدينية في متاعهم وخرائط بضائعهم اما الاسلام فينتشر من نفسه بواسطة القوافل التي ترحل في البلاد الوثنية والفتشية ودعاة الاسلام فيما عرفوا به من الغيرة يعمدون الى ذرائع مختلفة تناسب كل حال بحسب الاقطار والشعوب التي يبتون دعوتهم بين اهلها والوسائط الاجتماعية والاقتصادية دخل كبير في

الاسباب الدينية التي يعمدون اليها

وهكذا نرى الدعاة المسلمين قد انشأوا قرى سكنها المهندون الى دينهم من المحدثين في الاسلام ولطالما انتفعوا من القحط الذي كان ياتي بجيرانه في اصقاعهم كما حدث في وانكيا على شاطئ زنجبار ليظهروا دينهم في مظهر الفقه والاحسان وكم من مرة اعتنقوا الرقيت لينشروا معتقدهم كما وقع في واداي فان قافلة من العبيد واصلها من واداي قد اطل اليها بد النهب اهل البادية على حدود طرابلس الغرب ومصرفا شترام سيدي محمد بن علي السنوسي وعلمهم في زاوية التعليم الضروري واعتنقهم واذ ايقن بعد بضع سنين غناءهم في بث الدعوة اعادهم الى وطنهم ليتوفروا فيه على نشر الاسلام

وان دعاة المسلمين في الاقطار المتقدمة والشعوب المستنيرة ليجرون في دعوتهم على غير هذه الطريقة فيتوخون بملم من علم وتعليم راق الى نيل الخطوة من الرؤساء وبواسطتهم يؤثرون في الرأي العام ويسكنون عن بعض العادات المألوفة في ذلك القطر ويتفانلون عن بعض الازهام الدينية والاحتفالات الوثنية فكندا ترى المسلمين في الصين وقد فتحت في وجوههم جميع الاعمال فيها لا ينشئون مساجد اعلى من سائر العباد ولا يضيفون اليها منارات ويوصون اهل المتهم ان لا يقطعوا عن الاختلاف الى مواطنهم في اعيادهم التي لها صبغة دينية وطنية وهم عند ما يتومنون بالوظائف العامة يقومون بالفروض الدينية التي عينها القانون واذا حاوروا الهندين من غير اهل دينهم يظهر لهم الاسلام بانه دين الفطرة ينافي تقاليد الاجداد مجرد عن الزوائد والامور المستحدثة التي علفت بمذهب كونفوشيوس

والمدرسة هي احدى العوامل الفعالة في نشر الدين ايضا فالمسلمون على الجملة عند ما ينزلون ويتوطنون في بقعة جديدة يصرفون اول عنايتهم في انشاء مسجد ويحملون بجانبه مدرسة وينظر الى المسلم في بلاد زنوج الوثنيين في افريقية بانه ارقى من غيره وبذلك يخف الى التعلم في مدرسته ابناء الوطنيين يريدون ان يصبحوا مثله معلمين مذهبين منظمين وترى المرأة عند قبائل البجة النازلة بين النيل الازرق واعالي البلاد الممتدة من شمال سطح بلاد الحبشة ارقى بعقلها من الرجل ولذلك يخزار دعاة الاسلام بتعليمهم والاعتماد عليهم في بث الدعوة على نحو ما يفعل السنوسية بالزنجيات في طوبو . وهذه الطريقة في الدعوة قد اشتهرت هناك في حين ان تعليم المرأة في البلاد الاسلامية مزهد فيه على الغالب

وينشر الاسلام بالزواج ايضا فالمسلم يتزوج على اهلون سبب باسراء من غير عنده
كالعصر الافريقي او العصر الصيني او غيرهما على حين المسلم في الصين يتزوج عن
رضى من امرأة من بنات بلاده ولكنه يحاذر ان يزوج بناته من الصينيين غير المسلمين
وينشر الاسلام ايضا باستتراء ابناء الوثنيين يربونهم على الدين المحمدي وقد
شاهد في الصين اناس من اتحمسين يتناون بالمال عشرة آلاف طفل في ايام قحط
حدث في شانغ تونغ لم يبق فيها ولم يذر

واذا اعتبرنا الاسلام من الوجهة الاجتماعية والاقتصادية نراه ولا سيما في افريقية
قوة اسمى من غيره وواسطة للنجاح من الطراز الاول وذلك ان الاسلام كالعصرانية
لم يخرج عن كونه عبارة عن مدينة ذات اصل قديم انتشر انتشارا طويلا وانت عليه
ادوار في النشوء بطيئة وكتب له ان بلغ في الشرق وفي الغرب اوج مجده وهو اذا
انحط الآن وتراجع فلم يبرح له وجود . وكانت هذه المدينة في افريقية حيثما دخلت
اسمى من غيرها من حيث الوجهة الادارية والاقتصادية ومن الوجهة العقلية والاخلاقية
والدينية ولذا قال احد الباحثين اننا اذا قايسنا مجموع النتائج في بت النصرانية في
افريقية وبث الاسلام لا من حيث العدد فان عدد من دانوا بالثعمرانية ثلاث بالسة
للمسلمين بل من حيث التأثير العقلي والاخلاقي والاجتماعي في الجماعات والافراد
المهتدين يتجلى لنا بلا شك ان الاسلام اسبق في هذا المعنى

فلاسلام بما فيه من مكانة اذا كتبت له الغلبة في الشعوب الافريقية ولا سيما
في الزواج فذلك لان فيه خاصية تلائم الشعوب الافريقية ولا سيما السود منهم
فللاسلام بعض الاوضاع الاساسية المناهضة مع الحالة الاجتماعية في الزواج واعني
بذلك تعدد الزوجات والرق والسذاجة الظاهرة في اهل الاسلام وان هذه السذاجة
في الاسلام هي قوة فيه هي قوة في التجنس تؤثر في الزواج قوة شخصية في تربية النفس
بالنفس وتمكين الارادة والشجاعة في قلب كل من دان به ان هذه السذاجة غريبة
مدهشة لعمر الحق هي تطبيق حياة السذاجة التي بدعو اليها ارباب النظر السامي من
اهل النصرانية في اوربا وافريقية

ومن جملة الاسباب التي دعت الى انتشار الاسلام احوال سياسية نضت على القبائل
وعلى الافراد ان يحفظوا مراكزهم بالاسلام وكان ذلك قبل ان تنتاسم دول اوربا بالفعل
تلك الاقطار قبلت قبائل الزواج الاسلام لتحفظ حياتها لما في الاسلام من الادارة

والنظام ويستقلوا في حكومات لهم مستقلة ذات نظام اجتماعي حي راق وبهذه الوسيلة انتشر الدين الاسلامي في بلاد كثيرة من افرقية الرسمى والغربية وان في تاريخ حياة المامي ساموري اكبر دليل على ما للمصلحة السياسية من الدخل في بث الدعوة للاسلام فقد كان هذا الرجل قبل الاستيلاء على مدينة كانكان بحسب اغراضه السياسية فهو وثي لاول امره ثم دان بالاسلام لما اتصل بصوري ابراهيم احد اتباع محمد ومؤسس مملكة تيديان الذي استقل واحتفظ بمبادئ كونيما وكانوما وتوروكوتو وكابادوكو وبعد حين عاد الى الوثنية حتى اذا نشبت حرب كونيما عافدان بالاسلام وقد جرى على تعلم المرباط دياو من فتاح جالون والفاعمان من اهل الطريقة القادرية الذي جاء عقيب ارشاد الحاج عمر فوطن في تلك البلاد في مدينة اسمها ليلنكو ومنذ ذاك العهد ساعده «الفاعمان» في جميع حملاته وباقتراحه المني على ساموري بعد فتح كانكان لقب المامي

وهذا المأرب السياسي الذي حمل الوابيين من الافريقية على انخال الاسلام قد اتت عليه الدول الاوربية اذ لم يجد الزنوج داعياً بعد ان فتحت كل من فرنسا وانكترا مملكتيهما الافريقيتين ان يعمدا الى هذه الطرق . ندخول الاوربيين الى افريقية حال دون انتشار الاسلام وبقاء الوثنية في الزنوج في مركزها وربما عاد بعض الوثنيين بعد انخال الاسلام الى سابق دينهم كما وقع لجماعة اصلهم من قيس وصوننكه او ماركا دانوا بالاسلام واستوطنوا حوالي سنة ٨٣٠ في شمالي ناماكو واغتصوا وتأثلوا بما استرقوه من العبيد الذين توفروا على حراثة اراضيهم ولما احتل الفرنسيون تلك الجهات وابطل الرقيق ولاسيما في سنة ١٩٠٥ و١٩٠٦ عاد اولئك العبيد الى مواطنهم الاصلية فاضطر اولئك الجماعة ان يغادروا المدينة وينزلوا القرى ليحرقوها بانفسهم والغالب ان عدداً عظيماً منهم عادوا الى الوثنية وهناك امثلة اخرى للردة وهم كما تقدم مبشرون عن سبب سياسي كالسبب الذي دعا الى انخال الاسلام فالمصلحة الواحدة ظهرت في الوجهتين النخالفتين واعني بذلك المصلحة حفظ حقوق عنصرهم وامتيازاته

والظاهر اليوم ان الدواعي السياسية سيف افرقية لا تامل لما فيه نشر كلمة الاسلام الا من حيث الوجهة المحلية الصرفة وهكذا في الجماعات الوثنيين من غير المسلمين حيث ترى مسلمين من اصل غريب واحياناً كثار العدد ولم سطوة حقيقية لذلك يصعب على نفوسهم ان تخضع راضية لمطالب الرؤساء وقد نجد من اولئك الزعماء من يدين بالاسلام

علناً جباراً وما ذلك الا دليل على سمو مكانة الاسلام من حيث هو دين ومن حيث هو ذريعة للمدينة

وقصارى ما ينتج من الحوادث التي عرضناها والاحصاءات وطرق الدعوة والاسباب المتنوعة في اسلام من لم يدن بدين الاسلام ان هذا الدين ينتشر ويرتقي وان له المكان السامي بين الاديان التي يبشر بها دعائها وينشرها رعاتها . وليس للاشلة في الردة عن الاسلام وزع كلمته التي ذكرناها سوى شأن ضعيف وهي لا تمنع الاسلام كالتصراية ان تكون منذ قرون في دور دائم من الرقي والنجاح

ولا بعد ان يأتي يوم تحدث فيه امور لا يتيسر لنا التنبؤ بها مثل اسباب نشر الاسلام التي اربنا على ذكرها فيكون منها انتشار هذا الدين انتشاراً فوق العادة بحيث يعجل في هجوم الاسلام على بعض الاصقاع من الكرة لي نحو ما حدث في تاريخ الاسلام ومهما يكن من هذه الظواهر في المستقبل فالاسلام ليس واقفاً في آثاره من حيث هو دين بل لا يزال ابداً يزيد بعدد متخليه والمتدينين به . يروي ان عقبة بن نافع لما سار في جنده سنة ٦٢ للهجرة (٦٧٨) الى اقصى المغرب بعد ان جاز بلاد مراکش بلغ شاطئ بحر الظلمات قفز على جواده وسط امواج البحر فاصابت المياه صدر حصانه فوقف وهتف قائلاً « اللهم رب محمد اني لو تحمل امواج هذا البحر لسرت الى الافطار المتناثية ابجد اسمك في مملكة ذي القرنين اقاتل عن الدين واقضي على كل من لا يؤمن بك »

يبد ان الاسلام قد حقق من الاعمال اكثر مما طمحت اليه نفس هذا القائد الجبار الذي قال ما قال آنفاً فالاسلام قد تجاوز البحار وطاف الاقطار ناشر رسالة محمد

هذه هي المحاضرة الاولى من الكتاب وهي نموذج صالح منه وقد تكلم في المحاضرة الثانية على اصل الاسلام وما طرأ عليه من البدع والاحاد والمذاهب وفي المحاضرة الثالثة على الاولياء وفي الرابعة على الطرق الاسلامية والتصوف وعملها الاجتماعي والسياسي وفي الخامسة على مذهب البائية والبهائية وفي السادسة على مستقبل الشعوب الاسلامية ولبل الى المناحي الحرة في الدين وقد ختم المحاضرة الاخيرة بطلب اتحاد العالم الاوربي مع العالم الاسلامي وان يحسن الاوربيون الى المسلمين ويحسنوا علاقتهم في الصناعات والتجارة قال : الاسلام من حيث هو دين قوة اديية فاوّل شرط في هذه الصلات الحسنة احترام الدين الاسلامي احتراماً مطلقاً وقد اخذ هذا الدين يعرف احسن من ذي قبل حق المعرفة في اوربا بفضل ما نشره بعض العلماء وبعض

السياح فان خبرة الباحثين وسدج الزائرين للبلاد الاسلامية حربة بالنظر وكثير من السياح قد لاحظوا مثل ما لاحظت فقالوا ان احسن منقذ للاوربي في الاصقاع الاسلامية التي يقل اختلاف المسيحيين اليها اليه التي نفل راحتهم فيها هو احترامهم للاسلام وليس من الضروري الا في احوال خاصة ان ينتحل المخالفون لدين الاسلام بل يكفي بان يكونوا احراباً للاسلام او بعبارة ابسط محترمين لشعائر هذا الدين . وكما من سائح في البلاد الاسلامية سمع على اساليب مختلفة ما كان قاله سلطان حايل الى الأسوف عليه هوبر « انت مسلم في بلادى » وبعد ان من الاتيين المسلمين والاوربيين بل بين المسيحيين والمسلمين تجم ولا تلك نتائج حسنة قد ظرت تباشيرها الآن فان اتحاد الارادات الحسنة في اوربا وارص الاسلام يسهل ولا جرم بالتدريج دخول كثير من النحوب الاسلامية في تيار المدنية الحديثة . وعسافى بهذه المباحث الحقيرة اكون قد حملت حجراً فوضعتة في اساس البناء الذي اقيم للوفاق الحن بين المسلمين والاوربيين بل بين المسلمين والمسيحيين

والمقنيس يقول بارك الله بكل من تخط يده في ثريب الامم بعضها من بعض خصوصاً متى كان قصده كما هو الظاهر من عبارات الاستاذ مونتة خدمة الانسانية والاجتماع لا خدمة سياسة مخصوصة ولا فكر خاص

التعليم في مصر

وحظ المسلمون والاقباط منه

للشيخ علي يوسف طبع بمطبعة الآداب والمؤيد بمصر (ص ٤١)

لو كان كل المفكرين من الكاتبيين والعالمين لا يدونون الا ما يعلمون ولا يقدمون الا الى ما يتقنون لما ظهر عوار مؤلف ولما بدت مقاتل منشي وباحث . وامامنا الآن كراسة في التعليم بمصر لمدير سياسة المؤيد اقدم الجرائد الاسلامية وارقاها في القطر المصري وهي خطبة القاها في المؤتمر المصري الاول اجاد فيها كل الاجادة لانه دعم كلامه بالارقام والكتابة بالدليل المحسوس يقرها الرافق والخالف فتد قال ان البعثات العلمية التي نقلت العلوم والمعارف من اوربا الى مصر وكانت لها اعظم عمل في تكوين مصر الحديثة بدورها الجديد كانت اسلامية محضة ليس بينها الا نحو عشرين طالباً من الارمن والروم والسردبين والاحباش وثلاثة من الاقباط وهوؤلاء كانوا طلاب وظائف لا ناشري علوم ومعارف ولكن في هذا العهد الاخير قد توجهت رغبات

الاقباط كالمسلمين الى هجرة الاوطان في طاب العلوه والمعارف وان لم يبلغوا في هذا العدد تسأوا بضائ شأوهم في رتبة العلم في مصر . فقد بلغ عدد الطلبة المصريين الى سنة ١٩١٠ بفرنسا وسويسرا والمانيا والمجيك وانكلترا واطاليا واميركا والاساتنة وبيروت على نفقة آبائهم ٦٨١ طالباً وبانفاقه هذا العدد الى البعثة المرسلة من قبل الحكومة يكون عدد جميع البعثات العلمية المصرية الحاضرة خارج القطر المصري ٧٤٠ طالباً . واذا شئت ان تعرف مقدار عدد الاقباط في البعثات العلمية الموجودة الآن في القارات المختلفة سواء على نفقة الحكومة او على نفقة آبائهم فانهم لم يبلغوا خمسين طالباً اكثر من نصفهم في كلية بيروت وكثر من ثلثهم على نفقة الحكومة فنسبة الاقباط الى المسلمين في البعثات العلمية الحاضرة كالم لا تكاد تباين ٧ في المئة

وبلغ عدد الذين تخرجوا من مدرسة الحقوق الخديوية التي كان اسمها مدرسة الاسن والادارة حتى الآن ٦٥٥ طالباً عدد المسلمين منهم ٤٩٨ وعدد الاقباط ١٣٧

ولم يدخل الى مدرسة الطب التي أنشئت سنة ١٨٢٤ احد من الاقباط الا في سنة ١٨٨٨ وحملوا شهادتها منهم حتى الآن ٦٦ طبيباً ومن المسلمين ٣٢٧ طبيباً ومن غيرهم من المسيحيين ٢٦ وأنشئت مدرسة دار المهندسين سنة ١٨٣٤ فلم يدخلها قطبي الا في سنة ١٨٩٦ بلغ التخرجون فيها م. ب.م الى الآن ٣٦ مهندساً مقابل ١٤٨ مهندساً ولم يخرج في مدرسة المسلمين الخديوية وكان اسمها قديماً مدرسة قلم الترجمة سوى اربعة اقباط فقط مقابل ٨٣ من المسلمين وكذلك قل عن مدرسة المعلمين التوفيقية فانها من سنة ١٨٨٨ حتى الآن لم يخرج منها سوى ١٨ معلماً قبطياً مقابل ٨٨ معلماً من المسلمين وتخرج في مدرسة دار العلوم الخديوية ٤٢٢ استاذاً مسلماً ولا يدخل هذه المدرسة الا المسلمون ويوجد منهم اليوم في مدارس الحكومة بين نظار مدارس ومدرسين ومفتشين ومديري كتائب ٢٩٤ شخصاً والباقيون في سائر فروع الادارة والاعمال

قال والفضل بكل الفسيل في ارتداء مدرساها سر الوظيفة الكبير التي قام بها المسلمون وقد احسنوا اداءها مدة قرن كامل سواء كان في جلب انوار المدنية والعلوم والمعارف من الخارج او في تأسيس المدارس وتنظيمها وتعليم ابناء مصر العلوم المختلفة في الادوار المتعاقبة مع اشتغالهم بالثألف وترجمة الكتب النافعة وانهم الآن اساندة

المدارس النافعون المفيضون على النافذة المصرية بركة العلوم والتربية ولم يشترك الاقباط في اداء هذه الوظيفة السامية مع المسلمين بل كانوا عالة عليهم اولاً ثم تلامذة لهم في العهد الاخير وكان مجموع التلامذة المسلمين في مدارس الحكومة الابتدائية والثانوية والخصوصية والعالية سنة ١٩٠٠ بالغاً ٥٩٨٤ تليذاً ومجموع الطلبة الاقباط فيها ١٥٥٥ وبلغ عدد الاولين سنة ١٩٠٥ في تلك المدارس ٧٩٨٩ وعدد الآخرين ٨١٥ وبلغ عدد الاولين سنة ١٩١٠ ١١٠٣٨ تليذاً وعدد الآخرين ٢٢٥٦ وبلغ عدد المكاتب الاهلية التي شرط لها واقفوها ان تعلم اولاد المسلمين فامسكت الاقباط في تعليم اولادهم تسامحاً منها — عشرين مدرسة فيها ٤٩٤٢ تليذاً بينهم ٩١٢ قبطياً وبلغ مجموع تلامذة المسلمين في مدارس الاوقاف وكتاتيبها ١٨٨٧ تليذاً بينهم ٢٤٢ من الاقباط مع ان هذه المدارس هي من اوقاف المسلمين . وختم خطابه بعد الادلة التاريخية والشواهد التي تدل على بعد غوره في المسائل المصرية الحاضرة بطالب فصل جميع المدارس الاهلية ومدارس الاوقاف عن نظارة المعارف وجعلها ادارة قائمة بذاتها يراعى فيها تنفيذ تروط الوافين وابطال تعليم الدين المسيحي من جميع مدارس الحكومة لانه لا يجوز تعليم غير الدين الرسمي فيها كما هو المتبع في الممالك المتقدمة . فثني الشاه الاطبيب على غيره المؤلف على بلاده وعساه يقف قلبه على الحوض في مسائلها فقط فالاستئثار بالزبايا كلها ضرب من ضروب المحال والاخصاء في الموضوعات افضل واشرف مادام قول « لا ادري » نصف العلم وكل من تجاوز محيطه وانقدر الذي لقته من العلم والمعرفة سواء كان في الصحافة او في غيرها من فنون التأليف والتعليم يوشك ان يعثر في كل خطوة فيخلط عملاً صالحاً وآخر سيئاً وهذا ما لا نرضاه للقائمين بانهاض هذا الشريق النعس من كبوته وتعليمه التعليم النافع والادب الرافع

زراعة القطن

تأليف احمد افندي الالفي طبع بمطبعة المقطم بمصر سنة ١٩١١ ص ١٤
من الماملين افكرين من فاشئة مصر واث هذا الكتاب وضعه على هذا الاسلوب المبتهكر في زراعة القطن ومتاومة آفاته وتحسين انواعه وذكر فيه جميع ما تجب معرفته لهذه الزراعة الباركمة وتجويدا والانتفاع بها وقد دل ان زراعته في انظر المصريه بدأت نحو سنة ١٨٢١ م وما زال ينشر ويشيع حتى بلغت الآن المساحة المزروعة منه اكثر من مليون وستائة الف فدان محصولها في المواسم الجيدة نحو سبعة ملايين وربع

ملين قنطار ومتوسط ثمن القنطار غالباً نحو اربعة جنيهات الى خمسة فيقدر ايراد البلاد منه سنوياً نحو ثلاثين مليون جنيه اوتزيد وان القطن المصري اجود واعلى جميع اقطار اميركا والهند والصين لا يذائنه الا قطن جزيرة سي ايلند باءيركا ولكن محصول هذا لا يزيد عن نصف مليون قنطار وكان الوجه البحري مستأثراً الى ما قبل بضع سنين بزراعة القطن لان الري الصناعي عام فيه اما في الوجه القبلي فكان قاصراً على حيز محدود والوجه البحري كناية عن مديريات مصر الواقعة الى شمال القاهرة وهي البحيرة والغربية والدقهلية والشرقية والمنوفية والقليوبية والوجه البحري عبارة عن المديريات الواقعة جنوبي القاهرة وهي الجيزة والفيوم وبني سويف والميناء واسيوط وجرجا وقنا وأسيوط . والتهمير من اصناف القطن المصري الميت غنفي والاشموني واليانوقش والعباسي والنوماري . والكتاب فائض بالفوائد الغزيرة لا يستغني عنه من يجب زراعة هذه الشجرة المباركة لانه حوى جميع ما يحتاج الى معرفته للنجاح خصوصاً وهو نافع لابتناء سورية من يريدون اليوم تعلم زراعة القطن ولا سيما ن اهل فلسطين فتحثهم على اقتناءه للارتفاع به فهو كتاب مادي عملي ليس فيه ما لا يفهم من الاصطلاحات الفنية وهذا من بعض حسناته

الواجبات

تأليف سامي افندي بواكيم الرامي طبع في المطبعة السورية في سان باولو البرازيل سنة ١٩١١ ص ١٧٤

احسن المؤلف وهو من ادباء الجالية السورية نزلاء اميركا الجنوبية في وضع هذا التأليف اللطيف فافاض في واجباتنا نحو نفوسنا وفي بيوتنا وواجبات الاناء نسروا له والادب الاخ نحو اخيه والرجل نحو اخيه والرجل نحو زوجته والزوجة نحو رجلها والوالدين نحو اولادهم وواجباتنا نحو اغانربنا واصدائنا وعارفنا واعدائنا والجنس بهجه عام والجماعات وهذا هو الباب الاول وسماه بالواجبات العامة اما الباب الثاني فهو في الواجبات الانفرادية نحو واجبات التلميذ والعلم والصحابي والطبيب والمحامي والمؤلف الحاكم والمحكوم والجندي والتاجر والزارع والصانع والمستأجر والكتاب اخلاقي وعظمي حري بالناشئة ان تطامعه وتسفقه منه بتدبير فشكر المؤلف المفضل

الصاحبي

تأليف احمد بن فارس نشرته المكتبة السلفية في القاهرة ص ٢٤٥
كتاب في فقه اللغة وسنن العرب في كلامها جمعه ابن فارس احد ائمة اللغة في

القرن الرابع من تصانيف من نقدته فكان له فيه كما قل اختصار بمسوط او بسوط مخنصر او شرح متكل او جمع منفرد وفيه من الفوائد الغزيرة ما يجدر بكل طالب ادب ان يدارسه المرة بعد المرة . وقد اجاد الباحث كل الاجادة باحياء هذا التأليف النفيس نقلاً عن نسخة صحيحة بخط الشيخ محمد محمود بن التلاميذ المركزي الشافعي احد حفاظ اللغة في العهد الاخير وقدم له ترجمة حافلة للمؤلف واحاد طبعه بحيث استحق شكر العلم والآداب

مدنية العرب

في الجاهلية والاسلاء

تأليف محمد افندي رشدي طبع بمطبعة السعادة بمرسنة ١٣٢٩ هـ - ١٩١١ م
(ص ٢٠٠)

البحث في مدينة العرب من اصعب الموضوعات واوسعها لان ملان النقل قليلة وما يوجد منها لا يتيسر لكل طالب وفي مصر منها الشيء الكثير لذلك كنا نأمل ان يكون هذا الكتاب اوسع مادة واصح استفهاداً فقد اقتصر المؤلف على المبتذل المعروف وكان لديه في دار الكتب المصرية مادة واسعة يتأني الاستقاء منها ليحيى مصنفه لائقاً بشأن العرب ومدنيتهم العظيمة . بيد ان الكتاب اشبه بالكتب التي يراد بها نشر شيء من المعلومات بين العامة فكأنني بسميها الفرديس *Ouvrages de vulgarisation* فقد تكلم المؤلف على العلوم التي عرفها العرب واهتمامهم بالسياحات والتجارة واسواقهم وعاداتهم وصفاتهم وحكمهم وحكمتهم العملية ونقل رسائل المتأخرين في السياسة والرياسة والم بتأليف الوزارة والنوري والدواوين وختمه بمقال في اسباب الخطاط الامم وبالجملة فنذكر المؤلف لاهتمامه وغيره ونرجو ان يعود الى كتابه فيضيف اليه من كتب العرب التي تبحث في مدنيتهم ومنها المطبوع في اوربا ما تكون به الطبعة الثانية من هذا المصنف تامة حافلة بالبحث والتدقيق

كتب ورسائل ومجلات

« لقطعة العجلان » تأليف الامام بدر الزركشي شرحه الشيخ جمال الدين القاسمي

« دروس الصرف والنحو » للشيخ محي الدين الحياط يشتمل القسم الاول على اوليات

الصرف واوليات النحو

« الدروس العربية » للشيخ مصطفى الفلاييني وهو القسم الاول منه في النحو

« التعليم الادبي » لجرجي بك ديمتري سرسقي القسم الاول منه في الاخلاق والآداب
« خديجة ام المؤمنين » تأليف عبد الحميد افندي الزهراوي وهي قصة حقيقية
تاريخية اجتماعية

« الجوهر المحبوك في نظم السلوك » للسيد علاء الدين علي الملقب بعلوان الحسيني
المحموي من اهل القرن العاشر

« واقعة السلطان عبد العزيز » تأليف احمد صائب بك وتعريب محمد توفيق
افندي جانا

« نظام الجهاد في الشريعة الاسلامية القديمة » تأليف المسوكولوزيو
Les lois de la guerre dans l'ancien droit musulman par S. Colsio.

التقرير السنوي الاول لجمعية تهذيب الفتاة السورية في بيروت والشويفات
برنائج جمعية السيدات والاوانس الكاثوليكيات لنجيز البنات العرائس الفقيرات
في دمشق

خلاصة جمعية ترقى الآداب الوطنية في يافا لسنتها الثالثة

« المدرسة » مجلة فنية تصدر في تونس للسيد عبدالرزق النظامي مدرس الفنون
بالخلدونية فيها لمخص دروسه ودروس اخوانه من اساتذة هذه المدرسة في التاريخ
والجغرافية والعلوم الرياضية والحكمة العاطفية والكيمياء والتاريخ الطبيعي الى غير ذلك
من الابحاث المفيدة

« العروس » مجلة نسائية علمية ادبية صحفية فكاهية لصاحبها الآنسة ماري عجمي
تصدر في دمشق مرة في الشهر وهي المجلة النسائية الوحيدة في سورية تكتبها كاتبة
لا مكاتب

« العريس » مجلة علمية ادبية اجتماعية فكاهية شهرية لمنشئها نسيب انتدي محمود
شهاب ووديع انتدي نصار وفاضل افندي الجبل تصدر في حمص وفيها شيء من تاريخ
ذاك الوادي وآثاره ونقشاته اؤلام ادبائه

المقبر

بين بلاد الاراميين والفينيقيين (١)

وادي المعجم واقليم البلان

يفزع المشتغلون بعقولهم الى القلعة يروضون افكارهم كلما آتسوا من نفوسهم مللاً وتعباً رجاء ان يخفف عنهم ما نالهم فيعادون اعمالهم بنشاط أكثر ومضاه اوفى واوفر . وعلى هذه السنة جرى كاتب هذه السطور فركب العربى من دمشق بعد ظهر الخميس في ١٣ ربيع الثاني ١٣٢٧ (١٣ نيسان غربي ١٩١١) قاصداً الى قطننا مركز قضاء وادي المعجم فبتنا فيه ايلتنا على مثل ما كان النهار سحبا مطالة ورياحاً نكباء وزعازع واعاصير وكنا نود لو نخلص من الغد الى راشيا ولكن حالت الثلوج اتمراكة في سفوح جبل الشيخ دون الامنية ففقدنا العزم على زيارة القنيطرة حاضرة الجولان اولاً ثم نقصد الى جبل عامل ونجعل راشيا (٢) خاتمة المطاف

وعلى هذا ركبنا خيلاً من الغد قاصدين اقليم البلان ومنه الى الجولان في يوم انقطعت امطاره ولم نلق رايحه وذارياته وبعد ان سرنا سابعين في شعاب وهضاب بلغنا قرية بيتياً وتخطيناها لنجهاز نهرها الى كفر حور ولكن عجز حمار مكارنا عن قطع المخاضة اذ لا جسر يعبر عليه بين القريتين وصادف ان كانت عصارات ثلوج جبل

(١) نشرنا الثاني مقالات التالية في جريدة القنيس اولاً وقد اعدنا فيها النظر ثانية

الآن ونشرناها هنا تحفظ

(٢) يرى بعضهم ان ترمم « ريشيا » لا « راشيا » وهذا الرسم اقرب الى الاصل

السيراني ويقولون ريشيا الوادي نسبة لوادي سكن كايقال ريشيا القرية بالقرب من حاصبيا « ريشيا الفخار »

الشيخ قد كثرت عصر ذاك اليوم فاضطررنا الحال ان نعود ادراجنا الى بيتنا نقضي فيها الليل عسى ان تخف مياه نهرها من الغد فتأتف السير

ومعنى بيتنا بالسريانية بيت الدير وقيل بيت الماء ولكل منسمى من اسماء نصيب وهكذا فعلنا ونحن نضحك من حكم الاقدار في هذه الديار وكيف ادى ماء النهر وعدم الجسر الى تخلفنا ليلة في الطريق . نعم استضحكنا لان حمار المكاري لم يستطع العبور وانا ورفيقي كيف نسير وحدنا ونهتدي الى ما تقصده من البلاد بدون دليل فقلنا: يا سبحان الله كم من حمار يقطر وراءه بشراً فيؤخرهم عن السير هذا الحال في حمار حروان فكيف اذا كانت حمراً كثيرة في صور بشرية

ليس في هذا الوادي والاقليم يستحق الذكر من الامور التاريخية والاثريه فقد سكت التاريخ عن ذكر حالته في الازمان القديمة كما سكت عن كثير من اقاليم الشام فوادي العجم واقليم البلان ليس لما ذكر في تواريخ القرون الوسطى اللهم الا ما كان من ذكر نهر وادي العجم الاعظم المسمى نهر الاعوج والمعروف بـجف التوراة باسم فرفر^(١) او فرفار او فرفور

وهذا النهر يتكون من عدة عيون ومسابل تنبعث من سفوح جبل الشيخ منها عين في بيت جن ومن ينبوع آخر اسمه المنبعج ودام الشرايط وادي الدعامية وعين الطموسية وعين الطيبية وهي اجود تلك العيون تحسن ماءه كما يحسن ماء عين الفيحة مياه نهر بردى باختلاطه بها وهكذا تجري اليه عشرات من العيون ومنها نهر بيتنا وعيون عرنة ويسقي نهر الاعوج او فرفر كثيراً من قرى وادي العجم القحطاني وام قرى هذا القضاء قطنا والجديدة وعرطوز وجونية وكوكب والمظمية ودريا وصحناها والاشرفية والخيارة وسبينة وسبينات وبلاس والندم وكفرسوسة والمزة والمجدية وذالنون وام القصور والدير علي والكسوة وزاكية وزغبر وحرجلة والمقيلية وشورى والطيبية والدرخبة والبوضية ومرجانة والحسينية والاشرفية والعباسة وحوش النفور وحوش مرانة وبراق وغان الشيخ وسمع وكناكر ودير ماكر وشقنعب وبوبضان وماعص وسبسة والثمانية والدناحي والزربية والمبارية وغيرها من الاحواش والمزارع

اما وادي العجم الفوقاني المعروف باقليم البلان فهو قرى سفوح جبل الشيخ او ما يقرب منها وطول هذا الاقليم نحو عشر ساعات وعرضه نحو سبع ساعات يحده جنوباً الجولان وشمالاً وادي

المعجم والدياس وراشيا وشرقاً وادي المعجم التحتاني أيضاً وغرباً إلى الجنوب حاصبيا وام قراه عيسم وهي اول الاقليم على نحو ساءتين من قطنا ومن قراه عين البرج والقلمة وبيتيا وكفر حور وبيت سابر وحينة وبعسم وعين الشجرة وريمة وعرنة ودربل وبيت جن وحرنة وخربة السوداء وحضر وسحينة وترنجة وجبانا الخشب ومقروصة وحلس وبرقش وكفر قوق وصوجة ورضوان وامبلود ورن والبيجاج والصورة ورأس العين ورخلو وبعفور واقليم البلان متوسط بزرعته كثرة ثلوج وجليده واهويته على المكس في وادي المعجم التحتاني فان تربته اخصب وتجد فيها الاشجار المثمرة اكثر . وفي بعض قراه الى اليوم عاديات ونوايس تدل على عمران قديم زاخر وان الآراميين والرومانيين واليونانيين سكنوا هذه البلاد فعمروها ولا تزال اسماء بعض بلاد الانام سريانية الى اليوم وقد خلفوا فيها آثارا صبرت على كراليل والاروما برحت ثم عن حضارة وذلك مثل آثار بيتيا وكفر حور وكفر قوق بيتيا وقد شاهدنا في ارض كفر حور اربعة مناراس عظيمة نقرت في الصخر على صورة هائلة تدل على انها مدائن اغنياء وامراء لا مقابر فلاحين فقراء وفي كل قرية نوايس لا تقل عن هذه بمكانتها وقد طمست الانام معالمها فلم يعلم اسم بلانها

والنفوس قليلة في هذين اقليمين (وادي المعجم واقليم البلان) لا تزيد في الاحصاء الرسمي عن خمسة عشر الف نسمة هذا القرى الملحقة بسجل دمشق مثل الزرة وكفر سوسة وداريا وصحنابا والاشرفية وبلاس ومع ان البلاد تؤوي مائتي الف واكثر ترس الهجرة ايضا الى اميركا نقل نفوسها سنة عن سنة وسكان هذه البلاد اخلاط بمذاهبهم فيهم المسلمون السنة ومسيحيون روم وكاثوليك وبروتستانت ودرور والدرور اكثرهم مضاء واقداما على العمل ويليهم المسيحيون ثم المسلمون فكان هؤلاء يكفهم من المفاخر ان تكون حكومتهم منهم ولذلك جعلوا اعتمادهم عليها وكان عليهم ان يعولوا على تماسكهم وفضائل جيرانهم في اعتمادهم على انفسهم .
 ذكر قرن النزلة غداة اليوم في بيتيا وشادينا الصديق الشيخ عبد الرحيم الباطلي يروى في حديقته بيت ابي حمد قول الشاعر المنطبق على ما نحن فيه من جمال الموقع وطرب النفس بالطبيعة .

الروض مقبل الشبية موق نخل يكاد غضارة بدفق
 نثر الندى فيه لآلي عفسه فالزهر منه متوج وعنطق

وارتاع من مر النسيم به ضحى
ومرى شعاع الشمس فيه نالتقى
والغصن مياس القوام كائن
والطير بنطق معرباً عن شجوه
غرداً يغني للغصون فينشئي
والنهر للامراح وهو مسلسل
فقدت كرائم نوره لتفتق
منها ومنه سناشموس تشرق
نشوان يصبح بالنسيم يغبق
فيكاد يفهم عنه ذاك المنطق
طرباً جيوب الظل منه تشقق
لا يستطيع الرقص ظل يصفق

كان اليوم الثالث معقل النسيم صافي الاديم فحمدنا له برحق وصلنا الى قرية جباتنا الخشب
آخر عمل وادي العجم فبنينا في بيت مربوط على ان نعود السير من الغد ولكن عاد الجو
فاضطرب وهبت الريح زحزحاً وكثر تهطل الامطار والبرد حتى ذكرنا نيسان بكانون
ثم زاد قلق الطبيعة حتى استيقظنا صباح اليوم الثاني وجبل الشيخ قد لبس حلة انصح
بها من التي كان مكتسباً بها في اليوم الماضي وركبنا الى النيطرة ورفيقنا البابلي
يردد قول العفيف التمساني

رياض بكها المزن فهي بواسم
واودعت الانواء فيهن سرها
بيت الندى في افقها وهو ناثر
كأن الافاعي والشقيق نقابلا
كأن بها للرجس الغض اعيناً
كأن للال القضب فوق غدورها
كأن غناء الورق الحان معبد
كأن نثار الحمس تحت غصونها
كأن ثماراً في غصون توست
كأن القطوف الدانيات مواهب
وناحت لغير الحزن فيها الحمام
فمت عليهم من الرياح النواسم
ويضحي لي اجيادها وهو ناظم
خدود جلاهن العجا ومبامم
تنبه منها البعض والبعض نائم
اذا اضطربت تحت الرياح اراقم
اذا رقصت تلك القدود الزراعم
دناير في وقت ووقت دراهم
لعارض خفاق النسيم تمائم
ففي كل غصن ماس في الدوح خاتم

الجولان

الجولان كربة غنائية من كور الشام تعد من بلاد حوران يحدها من الشرق نهر
العلان ومن الغرب بحيرة طبرية والاردن الاعلى (الرقاد) ويفصلها نهر اليرموك^(١)

(١) سماه بلين هيروماكس (Hieromax) وفي التلمود يارموش وسماه العرب
الشريعة او شريعة المناذرة نسبة لقبيلة المناذرة التي نزلت فيه

عن بلاد مجلون من الجنوب وذر الحاصباني بالقرب من بازاس وجبل الشيخ من الشمال وتسمى هذه المقاطعة بالعبرانية كولان (Golan) كان يطلق هذا الاسم أولاً على مدينة اسرائيلية مقدسة من بلاد باشان نزلها قبيلة منسي وهي اليوم مدينة صحم الجولان بعينها قريبة على كيلومترين شرقي نهر العلان وعلى سبعة كيلومترات من الشمال والشمال الغربي من زيزون ولا يزال فيها بعض آثار وخرائب منها برج مربع علوه ١٥ متراً وبالقرب منه بناء جميل يظن انه كان كنيسة وقد اقام فيها ادمون روتشيلد الامرائيلي الفني الشهير مستعمرة للاسرائيليين .

وكانت الجولان (Gaulanitide) تمتد الى شرعية المناذرة وتعد من بلاد بترأ او العربية الصخرية ومن حملة مملكة فيليبس^(١) وبلاد الجولان ذكر قليل في تاريخ العرب نزلها الحرث الاعرج الغساني^(٢) كما كان الحرث بن ابي ثمر بن الاهيم ملكاً بالاردن ولعل علماء الآثار يوقعون في المستقبل الى الظفر بعاديات لسان في الجولان كما ظفروا بقليل منها في حوران ولا سيما في جبل بني هلال^(٣) الذي كان يعرف قديماً بجبل الزيان لكثرة مياهه ويعرف اليوم بجبل حوران او جبل الدروز لان الفساسة ملكوا هذه الديار وابطوا سلطانهم ايضاً على دمشق قبل الاسلام وافتتح الجولان شرحبيل ابن حسنة وورد ذكرها في شعر حسان بن ثابت بقوله :

قد عفا جامم الى بيت راس فالجوابي فحارث الجولان

ووردت في شعر ابي نواس في مدحه الخصب بن عبد الحميد العجمي المرادي امير مصر من قصيدة يصف بها طريقه من بغداد الى مصر

رحلن يا من عقر قوف وقديدا	من الصبح مفتوق الاديم شهير
فما نجدت بالماء حتى رأيتهم	مع اشمس في عيني اباع تغور
وغمرن من ماء النقيب بشربة	وقد حن من ديك الصباح زمير
ووافين اشراقاً كئناس تدمر	وهن الى رعن المداخن صور
يوهمن اهل النواحين كأنما	لها عند اهل القوطين ثور
واصبجن بالجولان برضخ صخرها	ولم يبق من اجراحهن شطور
وقاسين ليلاً دوزيسان لم يكد	سنا صبحه للناظرين بنير

(١) دليل فلسطين وسورية ايهوكر ودليل الارض المقدسة لمستعربان

(٢) تاريخ ابن واضح (٣) تقويم البلدان لابي الفدا

واصبحن قد فوزن من نهر فطرس وعن البيت المقدس زور
طوالب بالركبان غزاة هاشم وفي الفرما من حاجهن شقور
ولما ات فسطاط مصر اجارها على ركبها ان لا تزال بحير

قاعدة الجولان اليوم القنيطرة وكانت صغيرة جداً قبل ان ينزلها مهاجرة الجراكسة والداغستانيين منذ زهاء ثلاثين سنة وقد كانت في القرون الوسطى قبل عهد الدولة العثمانية قاعدة البلاد (١) قرية خان « ولا ندرى اخان اربنية او خان الدوير » تارة والشقراء اخرى والجولان اليوم او قضاء القنيطرة هو ثلاث نواح ناحية الشقراء وهي عبارة عن مجدل شمس وجباتا الزيت وبانياس وعين قنية وعين فيت وزعורה ومغور الشباعة والفجر وخان الدوير ومزارع الفضل هذا ما كان منها الى جبل الشيخ اقرب. وناحية الجولان وفيها قرى الجركس واهمها المنصورة وعين الزبران والصرمان والحشنية وعشيرة التركان ومزارعها وعشيرة الموادجة والمجاعة وجبا وخان اربنية وعشيرة الويسية والقصيرين والجمعاتين والدياب وارضى البطيحة ومزارعها ونعيمات الطاعة ولهذا العشائر مزارع وقرى تفلح فيها وتزرع واغلب نزولها في المضارب ومسكنهم للفلاحين وايواء الماشية فقط. والناحية الثالثة ناحية الزوية واهم قرأها فيق والمال وكفر الما والشجرة وكوبة وبيت الرّا ومعربة والمناظرة

و يقدر ورن اليوم مزارع الجولان وقراء كلها بنحو مائة وستين مزرعة وقرية فيها اراض جيدة في الجبلية وتجدد حبوبها في الاكثر في السنين التي تغل امطارها اما في سني الري الكثير فانها تفرق فينا تشكو الاقاليم المجاورة الشرق ثمن الجولان من الفرق ولذلك تصلح اراضيها لتربية الماشية كثيراً ولا تغالي اذا قلنا انها الاقليم الوحيد الذي يصلح لهذا الغرض كما يصلح « جقور اووه » اي سهل الهوات في ولاية اطنة من بلاد الاناضول او الروم كما كان يسميها العرب

وهمة الفلاح في الجولان ضعيفة لأنه في الاكثر لا يملك ارضاً له، يضع سنين ليتوفر على زراعتها بل ان الاراضي مشاعة بين اهل البلد الواحد فينزع هذه القطعة تراه من قابل تنزع منه وتعطى لغيره وهكذا لا يشاهد الرقي في الزراعة الا في مزارع الجراكسة اذا اختص كل فرد منهم باراض تناسب حاله وشانه فاصلحها ما ساعدته مادته وقوته وخدمها على مثل ما تستخدم الزراعة في البلاد التي هاجر منها اي بلاد الروس

اليوم وبنى البهوت بالحجر والقرميد وغرس الاشجار وعاش في الجبلية احسن من عبثة سكان البلاد الاصليين خصوصاً وان المهاجرين بغلب عليهم الاقتصاد بحيث لا تعدد عندم المضافات المفتحة الابواب لكل قادم كما هي عند سكان هذه الديار من العرب واكثرهم يعرفون دخلهم وخرجهم . ولو سار الجولانيون الاصليون على هذه الطريقة لحدوا سهرهم ولما افتقر الاغنياء منهم به . مرافهم اسرافاً لا يعد من انكرم في شيء وبغارة اوضح لا يمد فضيلة (١)

وبلاد الجولان منسحة الرقعة يقل سكانها بالنسبة اعظم بقعتها وبكفي ان اراضي الفضل وهي من جملة عمل هذه البلاد تمتد من المنصورة قرب القنيطرة جنوباً حتى بانياس شمالاً وشرقاً الى جباتنا الخشب وغرباً الى الحولة ولا يطوقها الراكب بالسيد المعتدل في اقل من ثلاثة ايام . غلاتها جيدة وفيها بعض الاشجار المثمرة والكروم وكثير من الغابات اجتزناها من القرب من مركز القضاء الى ارض بانياس في زهاء اربع ساعات فرأينا فيها صورة مصغرة من مناخ سورية رأينا فيها الربيع والصيف او الصيف والشتاء في آن واحد . واميرها وهو اليوم محمود الفاعور مالك هذه الاراضي كلها اذا شتا في ارضه بالقرب من الحولة يشتر في حرارة كحرارة الربيع واذا اصطاف بصطاف في الارض النجدية واذا ارتفع يرتفع في واسط حيث بنى قصره على مثال قصور الاغنياء وهذا الامير حاكم مطلق في عشيرته عرب الفضل المولفة من نحو ٥٠٠ ايت كما قال لي احد افرادها ولا يشاركه في حكمها سوى شيخ الموادجة وبعض التجارة وهم عبارة عن ١٨٠ بيتاً يملكون جزءاً صغيراً منها ومن عشائر الفضل المعجامة والربيع والفاعور ويجمعها كلها اسم الفضل وكلهم رحالة او قتلون ويمكن رحلتهم في ارضهم لا يتعدونها الى القاصية كما يرحل عرب بني صحر والروالة مثلاً واميرهم يدفع ما على اراضيهم من الاعشار الخفيفة وجماعته معفون من الخدمة العسكرية ليسوا مع اميرهم كصاحب ارض مع فلاحيه على ما هي عليه الحال مثلاً في القوطة والمرج وقلون ووادي العجم والجولان يخدمون ارضه ويقاسمهم غلاتها على الخمس او الربع بل هو الحاكم المهيمن

(١) لو لم تكن في هذا القرن الذي بسميه الافرنج قرن النور لذكرنا ما ذكره الشيخ عبد الغني البابلي الصوفي الاديب الدمشقي من افراد القرن الثاني عشر في رحلاته الى الروم والقدس والحجاز فقدملاً ما باخبار الدبائع التي نخرها له من نزل عليهم فاكل هنيئاً سهرتاً ولكن لكل قرن لسان خاص به وكل فن في فن على قدر ما سقاه الساق

في أموالهم ودمائهم واعراضهم يأخذ ما يشاء: اخذ منهم وينفقه في وجوه مرافقه
والنوسعة على ضيفائه . واهل الجولان مسلمون على الاكثر ولبس فيها سوى ثلاث قري
في آخر عملها اسمها عين فيت وزعورة ونجر سكانها نصيرية

وساطان العدل في هذه البلاد ضئيل بحيث لا يرى حتى بالمجهر والمكبرة لفساد اخلاق
الاهلين على الاكثر ولان الحكومة لا تختار على الغالب لولاية اعمالها سوى من قالت
كفائتهم في الجملة . قال لي احد فضلاء القنيطرة: لقد راقت سير الحكومة في
في قضائنا منذ نحو ثلاثين سنة فلم ارها الا نقذف علينا باحط اعمالها على الاغاب فاذا اتفق
ان تولى العمل الاكفاء المستقيمون لا تطول مدتهم فيفارقوننا ليخلفهم من لا يرجعون
الى عقل في احكامهم ولا الى عدل في نظامهم هذا ماسمته وحققته من مجموع حوادث
نقلت لي اما المعارف فلا تجد لها في القضاء عيناً ولا اثرأ ويكفي بان يقال في وصف
مدرستها الاميريتين ان الاولاد يضررون معلمهم ويبعثون بلحيته وعمامته ولكن مادامت
ادارة المعارف تفضل من يعرف كلمتين من التركية على الكفو من المدرسين ممن لم
يسعدهم الحظ بعلمها من ابناء العرب ومادامت مقلة من رواتب المعلمين هيئات ان تجد
احسن من هذه الطائفة لتعليم ابناء البلاد وعندنا ان الجهل المطبق خير من هذا التعليم
الناقص الذي لان الفلاح الامي لا يجده مرتزقاً الامن ارضه وماتيته اما الفلاح الذي
تعلم هذا الاسلوب فتكرر نفسه عن الزراعة جهلاً منه وغروراً ولا يحسن عملاً اللهم الا
اذا كان خيال درك او بواباً او حراساً

بين قوم هذا حالم انشأ صديقنا احمد حمدي افندي الداغستاني مطبعة في القنيطرة
سماها مطبعة الجولان فعسى ان يجادنه من التوفيق ما خادن بعض قرى سورية او
بليداتها التي انتفعت من نعمة الحرية في عهد الدستور فتفتحت مطابع وانشأت جرائد
او مجلات ونجحت في عملها على الجملة

الحولة

بننا الليلة السادسة في بانياس آخر عمل الجولان وحققنا ان تعد من الحولة اذا نظرنا
الى تقسيمها الطبيعي^١ وبانياس بالقرب من تل القاضي حيث ينبع نهر الاردن او مدينة
دان القديمة وبها آثار مهمة للصليبيين وغيرهم من الاسلام وبالقرب منها حصن الصيبية (١)
وهذا الحصن هو القلعة المشرفة عليها في رأس جبل وبينهما نحو نصف ساعة قالوا في

وصف بانياس انها مدينة قديمة حصينة كثيرة الحدائق وهواؤها وبني وتربها كذلك وبها مياه غزيرة وآثار لليونان قديمة وقال ابو الفدا (١) بانياس اسم لبلدة صغيرة ذات اشجار محضات وغيرها وانهار وهي على مرحلة ونصف من دمشق من جهة الغرب بميلة الى الجنوب والصبية اسم قلعتها وهي من الحصون النبعة قال العريزي ومدينة بانياس في لحف جبل الثلج (جبل الشيخ) وهو مطل عليها والثلج على رأسه كالحمامة لا بعدد منه صيفاً ولا شتاء وقال ابن جبير (٢) في وصف بانياس انها مدينة صغيرة ولها قلعة يستدير بها تحت السور نهر يفضي الى احد ابواب المدينة وله مصب تحت ارجاء وكانت بيد الافرنج فاسترجعها نور الدين ولها محرث وأح في بطحاء متصلة يشرف عليها حصن للافرنج يسمى هونين بنه وبين بانياس مقدار ثلاثة فراسخ قال وعمالة تلك البطحاء بين الافرنج وبين المسلمين لم في ذلك حد يعرف بحد المقاسمة فهم يتشاطرون الغلة على استواء ومواسيهم مختلطة ولا حيف يجري بينهم فيها

وخرائب بانياس على ما اتاهها من حوادث الايام ولا سيما الزلازل تدل على عظمة من استولوا عليها ومياها غزيرة للغاية لتوفرت العناية باخراج الصخور والردوم من طريقها لتضاعفت كيتها ولما كانت تذل عن مياه بردى والافرنج كلام طويل في عمران هذه القرية الحاضرة اليوم والمدينة العظمى امس فقد قالوا ان اسمها مطابق للاسم اليوناني (Panéas) الذي كان يطلق على هذه المدينة والكورة باجمعها سميت بذلك لمغارة اختصت بعبادة بان (Pan) وهي تحت منبع الاردن وقد انشأ فيها هيروودس معبداً على اسم اغسطس وانجز ابنه فيليبس بناء هذه المدينة وسماها فيسرية فيليبس تمييزاً لها عن قيسارية فلسطين وقد سماها هيروودس اغريبيا الثاني وسماها نيرونياس وهو اسم اطلق عليها مدة قليلة من الزمن وكان فيها منذ القرن السادس اسقفية تابعة للكرسي الانطاكي واستولى عليها الصليبيون لما فتحوا هذه البلاد وهي قلعة الصببية التي لم يبق اليوم منها سوى انقاضها وذلك سنة ١٢٩٠ او ١١٣٠ م عند ما حاولوا فتح دمشق وقد قال احد شعرائها في وصف غارتهم

بسطي نهر داريا امور ما توأتينا
واقواماً واسفك الد ما في جلق دينا
اتانا مثنا الف عديداً او يزبدونا

(١) تقويم البلدان (٢) في رحلته

فبعضهم من اندلس وبعض من فلسطين
ومن عكا ومن صور ومن صيدا وتبثينا
اذا ابصرتهم ابصر ت اقدواما مجانينا
تخلهم وقد ركبا قطائرها حراذينا
وبين خيامهم ضموا خنازير والقرايينا
ورايات وصلبانها على مسجد خاتونا

واستولى على بانياس تاج الدين بوري صاحب دمشق سنة ١١٣٢م واعيد الاستيلاء عليها سنة ١١٣٩ واستولى نور الدين على المدينة لا على القلعة سنة ١١٥٧ ثم انقذها بودوين الثالث احد ملوك الصليبيين وعاد نور الدين فاستولى عليها سنة ١١٦٥ ودك السلطان المعظم حصونها ومعالمها وذلك بعد ان استولى الفرنج على تلك القلعة من سنة ١١٣٩ الى ١١٦٤ واكثر ما فيها الى الآن من الكتابات العربية من القرن السابع والاطلال من قلعتها من اجل مناظر سورية لانها تشرف من جهة على قسم من بلاد الجولان وارض الحولة وبلاد الشقيف وبلاد الاردن

والحولة بحيرة قال بعضهم انها المعروفة في الكتب المقدسة بمياه ميروم (Merom) هكذا يسميها الرومان واما اليونان فيسمونها سمخونيتس واسمها عند العرب الحولة او الملاحه او بحر بانياس قال ابن فضل الله واما بلاد صفد فحدها من القبلة الغور حيث جسر الصنبرة من وراء طبرية ومن شرق الملاحه الفاصلة بين بلاد الشقيف وبين حولة بانياس ويفهم من هذا ان الملاحه هي غير بحيرة الحولة وهي حوض من الماء على شكل زاوية الا قليلا يجري منها الاردن عمقها من ٣ الى ٥ امتار وفيها طيور مائية كثيرة كالبط ونحوه ويكاد لا يدخل اليها من جهة الشمال لكثرتها وكذلك لكثرة النبات المعروف بالبردي النابت على ضفافها ولا سيما الضفة الشمالية ويتألف من السهل في شمالي البحيرة حوض كبير منظم في الجملة عرضه نحو ساعتين ومعظم هذا الوادي العميق يحتوي على الاكثر على بطائح وتسوء الصحة هناك ولا سيما بعد جفاف قليل من تلك البطائح التي تغطيها عدة قرى

وحُدود الحولة قبلة الطريق الفاصل من نعران الى جسر بنات يعقوب الى قطانة والتليل ومن الغرب الجاهونة والملاحه والخالصة ويمتد الى آبل القمح وشمالاً مزرعة المارية وجسر صريد المتصل بمزرعة حلتا واخروبة ومغور الشباعنة وبانياس من

سفع جبل الشيخ وشرقاً عين فيث وخرربة السمن والمفتحة والغرابة والدردارة هذا اجمال عن بلاد الحولة وقد ذكر المقدسي في القرن الرابع ان الافليم المتوسط الهواء اوسط سورية من الشراة الى الحولة فانه بلد الحر والليل والموز والنخيل . ولوجفت الحولة على نحو ما يسعي بعضهم بتجفيفها وهو سهل ممكن لا حيت بها عشرات الالوف من الدونمات قابلة لزراعة البقول والخضر تكفي اهل سورية في فصول السنة الاربعة بل سورية ومصر وغيرهما ولا سيما في فصل الشتاء لمكان الحرارة الطبيعية في تلك الاراضي وكثرة خصبها المربع وشمسها التي لا تكاد تغيب

كان شعاع الشمس في كل غدوة على ورق الاشجار اول طالع دنائير في كف الاشل يضمها لقبض وتهوى من فروج الاصابع فعسى ان تصح العزائم على هذا العمل فيرفع في صحة السكان وثروتهم بل صحة البلاد المجاورة وثروة سورية عامة . وكما فيها من خيرات لو حسن الانتفاع بها اكفينا مؤونة الفقر والمجرة .

جبل عامل

لم اجد تحديداً صحيحاً في كتب العرب لهذا الجبل المسمي اليوم بمضه ببلاد اشارة او بلاد الشقيف او بلاد المناولة (١) فقد قال ابو الفدا (٢) ان جبل عامله من الاماكن المشهورة وهو يمتد في شرقي الساحل وجنوبه حتى يقرب من صور وعليه الشقيف الذي استرجعه الملك الظاهر بيزرس من ايدي الافرنج وكانت رعاياه في حكم الافرنج وفي شرقيه وجنوبه جبل عوف « عجلون » وقال ايضاً (٣) واما بنو عامله فهم ايضاً من القبائل البانية التي خرجت الى الشام عند سيل العرم ونزلوا بالقرب من دمشق في جبل هناك يعرف بجبل عامله فمن عامله عدي بن الرقاع الشاعر

قال في المشترك شقيف ارنون بين دمشق والساحل بالقرب من بانياس وارنون اسم رجل والشقيف المذكور معقل حصين والشقيف ايضاً شقيف تيرون بكسر المشنة الفوقية وسكون

(١) المناولة قيل انه مشق من تولى اي اتخذ رأياً لانهم تولوا آل البيت عليهم السلام ابي اتخذهم اولياء واتبعهم فصاغوا منها اسم الفاعل متولي فتحرفت حتى صارت متوالي وقيل انهم كانوا يقولون للعلوي « مت ويا اهل » فصاغوا منها كلمة متولي ثم صارت متوالي . واسم المناولة خاص بشيعة جبال عامل ولبنان وبلادك فقط والغالب انه حديث لا يرجع الى اكثر من قرنين (٢) في جغرافيته (٣) في تاريخه

المتانة التحتمية وضم الرء المهيمة وواو ونون قال وهي أيضاً قلعة بترب صور بالساحل . وقال في شقيف تيرون انها قلعة منيرة ناقلة عن صفت (دغد) على مسيرة يوم في سمت الشمال والشقيف ايضاً شقيف ارنون وهو في سمت الجبال عن شقيف تيرون وشقيف ارنون بعض مفارة منحوتة في الصخر وبعضه له سور وهو حصين جداً

والاصح ان بلاد الشقيف (١) من مقاطعات جبل عامل الثلاث وهي بلاد الشقيف وبلاد بشارة واقليم الشحار والنفاح ويسمى جبل عامل او عاملة وجبل الخليل (?) وهو البلاد الواقعة في نواحي قلعة الشقيف سمي بعائلة القضاءية وهي ام الحارث بن عدي الدسي نذسب قبيلته اليها نزلوا الشام مع بني جذام والحلم وغسان وشقيف تيرون هي المعروفة اليوم بقرية نيجاني حدود جزين «Casale de Jexin» من اعمال لبنان وفي شقيف ارنون او ارنولد نسبة لارنولد من ملوك الصليبيين شي من ابناء الصليبيين

والغالب ان هذين الشقيفين كان يسمى احدهما بالشقيف الكبير وهو شقيف ارنون (٢) وكان له بر وله وال كما كان لغيره من البلاد المشهورة ، قال يافوت (٣) : الشقيف كالكمف اضيف الى ارنون اسم رجل اما رومي واما افرنجي وهو قلعة حصينة جداً في كهف من الجبل قرب بانياس من ارض دمشق وبينها وبين الساحل وشقيف تيرون وهو ايضاً حصن وثيق بالقرب من صور

وقال شيخ الرواة «٤» جبل عاملة عامر بالكروم والزيتون والخروب والبطم واهله رافضة امامية وجبل جبع «جباع» كذلك اهله رافضة وهو جبل عال كثير المياه والكروم والفواكه وجبل جزين كثير المياه والفواكه وقلعة شقيف تيرون قلعة حصينة على جبل عال ولها عمل ولها نائب ولم يحكم عليها منجنيق وجبل تبين «Tobon» وله قلعة ولها اعمال وولاية واهلها رافضة امامية وقلعة هوزن وهي على حجر واحد ولها عمل . وتبعد تبين خمس ساعات عن صور الى الشرق الجنوبي وبها قلعة بناها هيوست ادمير صاحب طبرية سنة ١١٠٧ م وحوصرت وجرت فيها مواقع الى ان فتحها صلاح الدين وانت ترى ان شيخ الرواة فصل هذا الجبل الى جبال وذلك في القرن الثامن ولعله كان يعرف كذلك في عهده ومن المحقق ان قلاع هونين وتبين والشقيفين ارنون

(١) دواني القطوف (٢) الدهر في المصطلح الشريف (٣) معجم البلدان

(٤) نخبة الدهر في عجائب البر والبحر

وتبرون داخلية في جبال عامل وكم قامى صلاح الدين بن ايوب في فتحها من الشدائد وقد مر الرحالة ابن جبر في اواخر القرن السادس بجبل عامل فسار من بانياس الى قرية تعرف باليسة « ميس » بمقربة من حصن هونين فبات فيها ثم رحل من الغد فاجتاز في طريقه بين هونين وتبنة بواد مائثف الشجر واكثر شجره الرند بعيد العمق كأنه الخندق السحيق المهورى تلقي حافته ويتعاقب بالسماء اعلاه يعرف بالاسطبل لوجلته العساكر اذات فيه لا ينجس ولا مجال لسلوكه عن يد الطالب فيه المبطاليه والمطلع عنه عقبتان كوثودان فوجب منه فحازه فشيء به بدياً وانتهى الى حصن كبير من حصون الافرنج يعرف بتبين وقال عنه انه موضع تمكيس القوافل ووصف كيف اخذ الافرنج من قافلته المكوس .

وقال بعض المتأخرين (١) ان جبل عامل يقال له بلاد بشارة نسبة لاحد حكمائها في القرون الوسطى قيل انه من الامراء بني معين وقيل هو بشارة بن مقبل القحطاني وكل ذلك لم يبق عليه برهان والذي يدور على الاسن ان مركز امارته في قرية زبطين من اعمال صور حيث لا تزال الآثار الفخمة فيها تدل على ذلك والارجح (٢) ان بلاد بشارة نسبت الى حسام الدين بشاره من امراء الدولة الايوبية ونقسم بلاد بشارة الى قسمين : امة الشمالية ونهايتها في الشمال نهر الاولى « *Bostronus* » ويفصلها عن الجنوبية نهر الليطاني وبشارة الجنوبية ونهايتها في الجنوب نهر الترن وكانت بلاد بشارة عامة تقسم الى ثمانية مقاطعات اربع في بشارة الجنوبية وهي تبين وهونين وقانا ومعركة ويتألف منها الآن قضاء صور وقضاء مرجعيون وثلاث في بشارة الشمالية وهي الشقيف والشومر والتفاح المعروفة الآن بناحية جباع ويتألف من الثلاث الآن قضاء صيدا والثامنة مقاطعة جزين الداخلية في قضاءها من جبل لبنان

وقد كان بعض الجغرافيين « ٣ » يعد مدينته صفد من جبل عامل كما توسع بعض المتأخرين في تحريمه وكادوا يدعون فيه جبال الرمان واقصى حدود مرجعيون والذي عليه العرف المقول ان جبل عامل يحد « ٤ » - جنوباً نهر القرب الجاري شمالي

(١) المقنط م ٣٦ ص ٤٢٥ المتأولة او الشيعة في جبل عامل للتشيخ احمد رضا
 « ٢ » المقنط م ٣٧ ص ٧٤١ الامير شكيب ارسلان « ٣ » معجم البلدان « ٤ » الشيخ سليمان ظاهر

ترشيحا من بلاد عكا واختلفوا في الزيب هل هي داخلية في جبل عامل ام لا وشرقا ارض الخيط « ١ » والاردن والحولة وقسم من جبل لبنان وشمالاً نهر الاولي وبذلك تدخل صيدا في جبل عامل وغرباً البحر الرومي ويقسم الى قسمين كما مر برك آنفاً شمالي وجنوبي فالقسم الاول يسمى ببلاد بشارة الشمالية والقسم الثاني ببلاد بشارة الجنوبية وطوله ١٨ ساعة وعرضه يختلف من ٤ الى ٨ ساعات نزله بنو عاملة فنسب اليهم الا ان هذه التسمية اليوم بجبل عامل او بني عاملة معروفة بن الخاصة في الاكثر اما العامة فيطلقون عليه اسم بلاد بشارة ولا سيما قضاء صور وكان بنو عاملة نزولوا الحولة كما افرقوا في الجبل وكما نزل الفسائيون في حوران والشام والمناذرة في العراق

وقد كانت حاضرة البلاد تدعى بادي بدو وهونين ولقعة الشقيف ثم تراجع عمرائها بما سطا عليها من المحن والاحن وكوائن الزمن وخلفتها جباع وغيرها والنبطية اليوم اكبر بلد في الجبل وهي قاعدة البلاد الوسطى سكانها نحو خمسة آلاف نسمة والمدينة الثانية بنت جبل فيها نحو هذا القدر من السكان وهي على ثماني ساعات من النبطية وثلاث ساعات من صفت والثالثة جوية في قضاء صور وتندر قرى جبل عامل بنحو ٣٠٠ قرية في قضاء صور ١٢٧ قرية وفي قضاء صيدا ١٤٧ وفي قضاء مرج عيون ٥٤ فاذا حذفنا بعض القرى التي لا تدخل في عامل ولا سيما قرى المرج والحولة كانت قرى الجبل كما قلنا وهي نحو ثلث قرى جبل لبنان كما ان اهلها نحو ربعهم ولكن اين لبنان بعمرانه من عامل

مرنا من بانياس الى النبطية سبع ساعات في جبال شاهقة وعرة ولكنها مكللة بالخضرة نضرة للغابة وقطعنا الجسر الممتد في نصف الطريق على نهر الليطاني^(٢) الذي ينبع من ارض كرك في البقاع ثم تصب اليه عين وانهار وهو يمتد من ذيل جبل لبنان حتى يمر بجبال مشغرا وقده منها عين كثيرة ثم يمر بالجرق ثم بالشقيف ثم يعظم هناك ويمر فينصب في البحر الرومي قرب صور وعلى نحو ساعة ونصف من صور يمر بمدفن اسمه النبي قاسم فيسمى القاسمية وهو من اعظم انهار الشام ولا سيما في الشتاء والربيع

وقد كان فكر بعضهم ان يجره الى وادي الزبداني ليضمه الى مياه نهر بردى

« ١ » قال شيخ الربوة والخيط وهو قطعة من الغور الاعلى شبهه بالعراق في الارز والطير والماء السخن والزروع المنجية « ٢ » شيخ الربوة

والفيحة فيسقي دمشق وغوطتها وبلاد مرج الصفر منها ولكن ثبت له ان مجراه اسفل من دمشق فلا يركبها وكذلك يحاول اهل النبطية ان يجلبوا منه قسماً ببعض الآلات الرائعة يجعلون ماء في انابيب من حديد لتدخل بلدهم في طور المدن من حيث استنقاء الماء على نحو ما فعلت بيروت ودمشق وصيدا وهو يكلف بضعة عشر الف ليرة وكانني بهم وهم فاعلون

وكذلك يفكر جماعة من مهندسي الافرنج في تحويل مجراه قبيل مصبه بساكنين ليسقوا بمائه الاراضي المستنقطة على شاطئ البحر بين اقصى حدود جبل عامل وارض صور من جهة صيدا ولو فعلوا لاتي عملهم بفوائد مادية لهم وللبلاد ولما ذهبت تلك المياه بدور فائدة وغدا الساحل من صور الى صيدا والمسافة بينهما اربع ساعات في المركبة تحداً في دمشق باشجاره ومزروعاته الصيفية

ويقدر ان المهاجرين من عامل بخمسة عشر الف مهاجر دع عنك من قصدوا مدينة بيروت وغيرها من شبانه فاشتغلوا في الحولة وطلاء الاحذية وغيرها من المهنة الشاقة الراجحة ولا يقل عددهم فيما احسب عن نصف هذا القدر فيكون بذلك قد فارق الجبل من ابنته نحو السبع اذ افرضنا ان سكانه مئة وثلاثون ألفاً على ما قدره بعض العارفين ومع هذا فلا تجد انحطاطاً في زراعته ومن اهم غلاتهم الدخان «التوتون» يزرعونه في الصيف بعلا فيجود وراء الغاية كجودته في جبال اللكام «الكلبية» والتربة حمراء على الاكثر ويزرعون المزروعات الصيفية كالبقول وبعض الخضر فتتموكلها بدون سقيانموا مدهشاً وزراعتهم الشترية احسن من كثير من الاراضي الجبلية في سورية وكانت الزراعة تراجعت في القرن الحادي عشر لما اخذت سورية تلتهم بالفن واشتغل الفلاح بالحروب عن النظر في زراعته فنضب معين الثروة وعاد اكثر الاراضي مهملات بوراً وبعد ان كانت الاراضي الزراعية متسعة الارعاء في بلاد بشاره اصبحت على طول المدة حراجاً واسعة ومراعي الا بعض الاراضي المجاورة للقرى والمزارع

وسكان الجبل شيعة امامية وليس بينهم سنة الا النادر جداً وبعض المسيحيين ممن التجأوا الى اهل البلاد ايام حوادث لبنان منذ ٥١ سنة دع عنك من في صور وصيدا من السكان الاصليين وهذا الجبل مبعث التشيع في بلاد الشام ومنهم قسم في جزين والمثن والبيرون وكسروان من لبنان وبلاد بعلبك وكان علماؤهم وافتاؤهم يدرسون في مدارس مهمة كانت لهم في هذه الديار مثل مدرسة جباج التي خرجت جلة فقهاءهم

وادبائهم عرفناهم بكتبهم واعمالهم ومدارسهم وعينانا وجزين ومشغرا والشقراء وكل هذه المدارس الدينية درست اليوم حتى اضطر انوم ان يرسلوا ببعض ابنائهم الى النجف في العراق ليدون العلوم الدينية عن ائمتهم هناك وبعد ان يقضوا بضع سنين يعودون وقد حفل وطابهم بما ثقفوه من مدرسة النجف التي هي للشيعنة بمثابة الازهر للسنة . واني ليسوءني ما سمعته من تعصب بعض هؤلاء الفقهاء على المدينة الحديثة تعصباً ما كنت اخال صدوره ممن يدرك سر الحياة في الامم فقد نقل لي ان بعضهم محرمون الى اليوم قراءة الصحف لانها تنصر بالدين بزعمهم وتشغل عن الآخرة حتى ان القحة بلغت بعضهم ان حرم على المنبر قراءتها وجاهر باعن من يؤازرها فاضطر كثير من ضعاف العقول ان يقطعوا اشتراكاتهم بالمجلات والجرائد ليعيشوا بدون نور الامايرسله عليهم مشايخهم من خفت وطأتهم والله الحمد بعد الدستور وكانواع الاعيان فيما مضى يعرفون لحم الفقير ويمتصون دمه ولا راحم ففس القانون الاساسي من الخساق بعض الشيء وتوسك تلك البقية من لمطة الجامدين من رؤساء الدين ان تذهب كأمس الدابر اذ ليس في متن الاسلام ولا في حواشيه وشروحه ما يقال له سلطة دينية . وفي الحال التي انتهى اليها المسلمون على اختلاف مذاهبهم عبرة لمن اتقى السمع وهو تهيد .

تراجع التعليم الديني في عامل وكان ابطال امتحان طلبة العلوم الدينية ايام عبد الحميد من جملة الاسباب واسكن البلاد ما حلت ولا تخلو من مفكرين وعالمين ممن يعتبرون الامور بمقاصدنا وينظرون الى النافع من حيث هو وقد كاد اعيان البلاد ينزعون تلك العقاليد التي وضعها الجامدون من الامتناع عن الاختلاط بالمخالف ولا سيما اذا كان من غير اهل الاسلام ومنهم اليوم من يبعثون باولادهم الى المدارس العالية في بيروت وفي صيدا وكافي بهم وهم يرسلون ابناؤهم غداً الى الغرب ليستقوا العلوم من مصادرها كما فعل اخوانهم المسلمون في بيروت ودمشق وبعليك وحاصبا ولو بعثوا من ناشتهم لتلقي شؤون الدنيا بمثل المدد الذي يبعثون به الى العراق لثقلت مسائل الدين اذا لا أصبح عامل ارقى بمجموعه من ابناء وما لبنان عنه يعيد .

ولسائل انت يسأل ما ذا كانت عاقبة سلطنة الروساء في المروثوسين هنا فالجواب انها علمت الكثير منهم الاحتيال وشهادة الزور والاستهتار بالشعائر سرراً . اخلاق تجدها في كل مغلوب على امره ارتضى غير قانون العقل دستوراً . ولا يفهم من هذا ان جبل عامل اختص بذلك من دون سائر بلاد الشام فان هذا القطر متساو في اخلاقه الا قليلا

ومنى تعلم ابناؤهم ولو التلم الابتدائي لانت القارئين وانكاتبين لا يزدبون في قرية من قرى عامل على عدد الانامل ينزعون ايديهم ولا جرم من ايدي اولئك الذين قضى عليهم نكد الطالع ان يكونوا كالميت بين يدي الغاسل يحركونهم بحسب ما تملي الاهواء النفسية .

هذا اجمال عن بلاد عامل بقي ان نقول ان الحكومة اخطأت في تقسيماته الادارية فجلت مراكز الحكومة في اقاصي تخومها وتركت اواسطه بدون وازع جلست الاقضية في صور وصيدا ومرجعيون وانشأت من النبطية وتبنيين مديريين والمديريات ضعيفة السلطة بالنسبة للاقضية والالوية في مديرية النبطية مثلاً ٤٣ قرية فيها من السكان نحو ٢٥ ألفاً افلا يجدر بها ان تكون قضاء برأسه وهكذا لو نظرت في التقسيم الماضي لرأيت غير معقول والجليل يحتاج لبضع مديريات وبضعة اقضية لتحسن طرق جبايته ويكون للحاكم قوة تحول دون التعادي يد ان الامن وفور فيه حصراً بعد الحملة الحورانية التي سرت منافعها الى اقاليم سورية عامة وتحث القوم بانتباه حكومة الدستور لكل مشاغب ومنقضى مجاذبها جبل الحروج عن الطاعة ولو جمعت الاسلحة من جبل عامل واللكام لاستباححت سورية باجمعها آخر الدهر ان شاء الله .

ورحاًوتنا ان يود الى هذا الجبل سكانه المهاجرون او سوادهم الاعظم على الاقل وقد تهذبت عقولهم التهذيب الغربي في الحملة فبعمرون رباعه وبقاعه على نحو ما عمر اللبنانيين بلادهم وبيدروا فيها من المال في الطرق المحمّدة ما يعود عليهم ولّى جبالهم واوديتهم المحصنة الصافية الرفاهية والراحة يعمرونها كما يعمرون الصهيونيون القرى التي نزلوها من ارض فلسطين والجليل فقد مرّ بنا مكاربنا بقرية المطلة في اقصى حدود الحولة وهي لجماعة من الامرائيليين فرأيناها بتنظيمها كقرى اوربا فهلا رأى السكان مجاوريهم وتلدوم في مرافق الحياة والشؤون النافعة

صيدا وصور

ما الروض الارض باكره السحاب ولا نسيم الصبا عطر بالشبح والملاط ولا مجامع الانس ولقاء الاصحاب ولا العافية في بدن ذي اسقام واوصاب ولا الحضارة في حدود الغنائات الكهاب ولا تزييد العنديات وانبين العود والرباب ولا نيل الاماني بعد طول التطلاب ولا زينات الاوتار تلين لها الصم الصلاب ولا كشف غوامض المسائل بعد ان خفيت عن طالبيها الاحقاب — ما كل هذا باجل من نزول صيدا في نيسانها وابارها

وقد طرزت ضواحيها وحواشيتها وترنحت بالمرقصات المطربات اعطاف شاديتها وتفتت
اطيارها في اشجارها ونفثت انوارها بين ازهارها وفاح اريج تربتها الزكية وتسلسلت
سواقها النقية ففتمخت الارجاء بماء ازاهيرها وورودها فكانت بهجة النفوس
وريحانة الارواح

اتبعها من طريق صور وكنت قصدت هذه من النبطية قاعدة جبل عامل والمسافة
بين النبطية او النابطية وصور سبع ساعات في طريق صعب في الجملة وليس في صور
ما يستحق ان يذكر سوى تاريخها القديم اما حالتها الحاضرة فاشبه بقريه وسط جزيرة
تفصل مع البر مال وهي محصورة ضيقة وبلغني ان نفوسها لا يتجاوزون سبعة آلاف
نصفهم من المسيحيين والنصف الآخر مسلمون وتجارتها ضعيفة جداً وزراعتها متوسطة وقد
ذكر القدماء بان صور هي التي اوجدت فن الزراعة وغرس الكرم

كان اسمو شأن في القديم دونه اليوم ميناء همبورغ ومرسيليا ولندن ونيويورك ومن
مينائها ميناء صيدا سافرت سفن الفينيقيين واستعمرت شواطئ البحر الرومي حتى بلغت
مضيق جبل طارق بل تجاوزته في بحر الظلمات الى ان بلغت الجزائر البريطانية واستعمرتها
واقامت فيها مصانعها ومناجرها على حين لا ترى اليوم الا قوارب حقيرة ومراكب شرعية
صغيرة لا تدل على عظمة ولا تشع الا بفقر ومسكنة

أصبح ان صور التي لا تصدر الآن الا قليلاً من القطن والدخان كانت فيما مضى (١)
تصدر الى بلاد العالم المدني السكر والخرز والزجاج الخروط والمعمولات وعسل جبل
عامله وارجوان صيدا (٢)

أصبح ان هذه القرية الصغيرة النطاق الكثيرة الدور والمنازل والخوانيت
كانت ذات طبقات ست وسبع وثمان ويحلب الفينيقيون الماء في قوارب لفاههم وهي
مركز حكومة فينيقية التي كان طولها خمسين فرسخاً وعرضها نحو عشرة فراسخ بقصدها
اصحاب النواحي المستقرين الذين يحكمون انفسهم بانفسهم لافض المصالح المشتركة فكانت
منذ القرن الثالث عشر ايام مدن فينيقية ضاقت على اهلها فأقيمت مدينة جديدة قبالتها
وأسس تجارها مستعمرات في البحر الرومي كله لان زراعتها لم تكفهم أسسوها ليعبوا
الفضة من مناجم اسبانيا وبلغ العالم القديم وكما أسسوا مثل قرطاجنة مدناً لا تزال انقاضها
شاهدة بعزها للماضي ولذلك كان تاريخ صور وصيدا عبارة عن تاريخ العالم القديم ؟

(١) جغرافية المقدسي (٢) تاريخ الحضارة لسنو يوس نوريب منشي المقدسي

أصبح أن ملوك آشور حاولوا مرات الاستيلاء على صور أي مدينة الصخر فردوا عنها خائبين لحصانتها ولم تخضع لسلطانهم إلا بعد العناء الطويل محتفظة بإدارتها الأصلية وأن بخت نصر بعد أن حاصرها فاشتد في حصارها ثلاث عشرة سنة أخطر أن يعقد مع صاحبها ابتوبعل معاهدة وأن أهلها قدموا للفرس أساطيل مهمة ولذلك كان أول هم للأسكندر المقدوني أن يضرب على عظمة صور حتى تكف عن مد يد المعونة لأعدائه الأكاسرة؟

أصبح أن القسم القديم من هذه المدينة المسمى بالتيروس *Palætyros* كان يمتد من نهر القاسمية في الشمال إلى رأس العين في الغرب أي على مسافة ساعتين ليس فيها الآن إلا رمالاً، وبعض الزروع البسيطة وأن الاسكندر جعل عاليها سافلها أي بني باتقاضها بين البر والجزيرة سده الغريب وطوله خمسمائة قدم وعمقه سنون وأن حصاره لما دام سبعة أشهر وقد أجرى إليها الماء^(١) وأنها مد هذا الحصار المهيك بسبع عشرة سنة تعاصت على اتيفوس على عهد البطالمة خمسة عشر شهراً وأنها كانت على أوائل انتشار النصرانية أهم مدن فينيقية وأولاهها بالتقدم وظلت إلى القرون الوسطى من الموانئ التي صعب على الفاتحين أخذها ولو لم يذأ اختلاف بين ملوك الطوائف لما وجد الصليبيون سبيلاً إلى الاستيلاء عليها سنة ١١٢٤ م ولقد حاصرها الملك الناصر صلاح الدين يوسف فكانت عليه صعبة المثال ولما سقطت عكا بأيدي المسلمين اضطروا لإفراج إلى الرحيل عنها بعد أن احتلوها ١٦٧ سنة أقاموا بها بعض الأبراج في البحر لا يزال بعض انقاضها بادياً وحكمها الأمير نجر الدين المعني وعبدٌ حاول إنهاءها من كبوتها وإذا نظرت إلى البلاد رأيته تشقى كما تشقى العباد وتسعد

أصبح أن عكا وصور وهما الآن فرضتان حقيرتان جداً من موانئ الشام كان لما من المكانة في القديم ما لم تحز بيروت بعضه اليوم مهما بلغ من مجدها البحري وأن صور كانت هي وعكا ميناء دمشق وسائر مدن الداخلية منها صدر التجارات وتورد الواردات وهما مقصد السياح من الشرق إلى الغرب وبالعكس؟

قال ياقوت: أن صور مشرفة على بحر الشام داخلية في البحر مثل الكف على الساعد محيط بها البحر من جميع جوانبها إلا الرابع الذي منه شروع بابها وهي حصينة جداً ركنية لا سبيل إليها إلا بالخذلان وهي معدودة في الإسلام من أعمال الأردن

بينها وبين عكة ستة فراسخ وهي شرقي عكة . وذكرها شيخ الرواة من جملة العجائب فقال : ان البحر الرومي منها رمية شتاب وهي مربعة البناء من خارج وهي مربعة من الداخل وعمق الماء الى اسفل ثلاثة واربعون ذراعاً بالكبير ويخرج منها ماء كثير وجريته فرسخين يجري الى المعشوفة يبقى انصاعاً ومزدردعات ، وروى ابن فضل الله : ان صور كانت ولاية في القرن الثامن وفيها كنيسة بقصدها ملوك من البحر فل هذا لا يزال عليها الرقة وهم على هذا بأنونها مباغثة ثم يقضون فيها ما ارادوا ثم يصرفون ولعل تلك الكنيسة هي كنيسة اللاتين التي يقال انها من بناء الملك قسطنطين وقال البكري (١) ان السفن كانت تسلك من الاسكندرية الى ابي قير فديسباط فبحيرة ثيس ثم الى جزيرة دبقوا وهي التي تصنع فيها الثياب الدقيقة ثم الى تيردار مماس (؟) ومنها الى غزة فملاحة الواردية فعسقلان فقيسارية فيانافراًس الكرمان (لعله رأس الكرمل) خيفاً فمكا فصور وهي داخل البحر وهي ساحل بيت المقدس ثم الى صيدا ثم الى بروت ثم الى طرابلس الخ . وانت ترى اليوم ان من هذه المواني السورية ما لا تقف عليه المراكب مثل عسقلان وقيسارية وصور وصيدا فسبحان محول الممالك قري وجاغل المجاغل معالم

وقال الشريف الادريسي بان صور كانت مرسى يدخل اليه من تحت الفنطرة وعليه سلسلة تمنع الراكب من الدخول قال ابن سعيد : صور التي لا يرام لحصار من جهة البر وقد حفر الافرنج حولها حتى اداروا بها البحر قال العزيزي وبين صور وعكا اثنا عشر ميلاً وفتحت في سنة تسعين وستائة مع عكا وخربت وقد نقل معاوية اليها والى عكا قوماً من فرس بعلبك وحمص وانطاكية سنة ٤٢ وكانت خراباً يوم مر بها ابن بطوطة (٢) سنة ٧٢٦ وبخارجها قرية معمورة سكاكها من التوزة «؟» قال ان بابها الذي للبحر بين برجين عظيمين وبنائها ايس في الدنيا اعجب واغرب شأنها كما مر بها ابن جبير قادماً من عكا فاجتاز في طريقه على حصن كبير يعرف بالزاب « لزيب » وهي مطلّة على قري وعمائر متصلة وعلى قرية مسورة تعرف باسمكندرونه وقال في وصف صور :

مدينة يضرب بها المثل في الحصانة لا تلي لطلالها بيد جماعة ولا استكانة قداعدها الافرنج مفرعاً لحادثة زمانهم وجعلوها ثابتة لآمانهم هي انظر من عكة سكاكاً وشوارع

(١) كتاب المغرب في ذكر بلاد افريقية والمغرب (٢) راجع رحلته

واهلها الين في الكفر طبايع واجرى الى بر غرباء المسلمين شتائل ومنازع فخلاصهم .
 اسبح ومنازلهم اوسع وافصح واحوال المسلمين بها اهن واسكن وعكة اكبر واطفى .
 واما حصانتها ومنعتها فانجب ما يحدث به وذلك انها راحة الى باين احدهما في البر والآخر
 في البحر وهو يحيط بها الآن من جهة واحدة فالذي في البر يقضى اليه بمد ولوج ثلاثة
 ابواب او اربعة كلها في شتائر مشيدة محيطة بالباب ولما الذي في البحر فهو مدخل
 بين برجين متيدين الى ميناء ليس في البلاد البحرية انجب وضعا منها يحيط بها سور
 المدينة من ثلاثة جوانب ويحيط بها من الجانب الآخر جدار معتود بالحصن فالسفن
 تدخل تحت السور وترسي فيه وتعرض بين الرجين المذكورين سلسلة عظيمة تمنع
 عند اعتراضها الداخل والخارج فلا مجال للمراكب الا عند ازلتها وكذا الباب حراس
 وامنا لا يدخل الداخل ولا يخرج الخارج الا على اية فشان هذه الميناء شئت
 عجيب في حسن الوضع والهيئة مثلبا في الوضع والصفة كما لا تحتمل السفن الكبار حمل
 تلك وانما ترسي خارجها والمراكب الصغار تدخل اليها بالصورية اكمل واجمل واحفل .
 قال وهاتان المدينتان عكة وصور لا بساتين حولها وانماهما في بسيط من الارض افج
 متصل بسيف البحر وانفرا كما تجلب اليهما من بساتينهما التي بالقرب منهما ولها عمالة
 متسعة والجبال التي تقرب منهما معمورة بالضياع ومنها تجي الثرات اليهما وهما من
 غر البلاداه .

وقال ابن خردادبة " وسواحل جند دمشق عرقة طرابلس وحبيل وبيروت
 وصيدا وحصن العرفند وعدلون وسواحل جند الاردن صور وعكا وبصور صناعة
 المراكب اي المسلحة (الترانة) وفي زهرة الميثاق : من اسكندرية الى مدينة صور
 خمسة عشر ميلا وهي مدينة حسنة على خفة البحر ومن صور الى طبرية يومان كبيران
 ومنها الى عدلون وهو حصن منيع على البحر ومنه الى صيدا عشرة اميال وبين صور
 وصرفند يقع نهر ليطلة « ليطاني » ومنبعه من الجبال ويقع ذاك في البحر ومن صور
 الى دمشق اربعة ايام وذكر ياقوت في المشترك ان صور اشهر مدينة بساحل بحر الشام
 واحصنها واحصنها انتجت في ايام عمر بن الخطاب وبقيت في ايدي المسلمين الى سنة
 ٥١٨ في ايام الامراء فآخذها الفرنج

هذا كلام الافرنج والعرب في صور وقد بلغنا فيها ليلة انقضت فيها النفس انتقاضا

لم يعرض لها سبغ أحقر القرى التي مررنا بها في رحلتنا ومن القدر ركبتا المركبة الى صيدا في اراض مزروعة وجداول مناسبة والمسافة اربع ساعات وليس في الطريق من اثر الا بقايا انقاض الصرقد وتعرف قديماً باسم الزاربات (Zarpath) وعدلون Ointhroporia ومغارة اسمها مغارة البراز يرشح الماء من اعلى صخر منها المتجمع من مياه المطر فيشرب منه الرعاة حيث يلجأون في الشتاء ويعتقد بعض العامة ان كل مرضع جف لبنها وانقطعت درتها تستشفى بما يرشح من قطرات الماء فيدر لبنها ولم يبق دليل على ذلك في الحس كما لم يبق حتى الآن دليل على الاستشفاء بالاماكن المباركة وبعض المعابد ومحال النسك وما النذور التي ينذر بها بعض عامة المسلمين من السنة والشيعه والرحال التي يشدون منها القاصية الا من باطل السعي ومخلفات القرون الوسطى لا يؤيدها نقل ولا يقول بها عقل

وفي الطريق الى صيدا بعض نواويس ومسلات منها ما هو يوناني ومنها ما هو فينيقي ومنها ما هو مصري كما تجد احواضاً وقبوراً ومعاصر زيت وانقاض معابد وغيرها والمهم مما كان هنا وفي صيدا نقله علماء الآثار الى متحف الاستانة او متاحف اوربا سراً ومدخل صيدا بجذائرها الاثنية مدخل المدن الكبرى وان لم يتجاوز نفوسها الخمسة عشر الفا ولذا رجح بعضهم ان الفينية بين اختاروها لجمال بقعتها وجبال جزين والريحان وعامل مطلة عليها اطلال الاب على ابنه او العاشق على معشوقه

وكيف لا يهبح الابصار رؤيتها وكل روض بها في الوشي صنعها
انهارها فضة والمسك تربتها واخز روضها والدر حصباها
وللهواء بها لطف يرق به من لا يرق وتبدو منه اهواء
ليس النسيم الذي يهفو بها سحرأ ولا انتشار لآلي الطل انداء
وانما ارج الد استنار بها في ماء ورد فطابت منه ارجاء

اختلف المؤرخون في صور وصيدا وايهما كانت اكبر وانغم على عهد الفينية بين ويقول استرابون ان صور اقدم مدن فينية واعظمها بعد صيدا وقد جعل صور العبقة على مسافة نحو خمسة كيلومترات ونصف من صور الحديثة اما بلين فيقول ان المدينة القديمة والحديثة متصلتان ببرزخ احدهما مع الاخرى ومحيطها ٢٢ كيلومتراً اما المدينة الاصلية فمساحتها زهاء اربعة كيلومترات

ظفر الباحثون بنقود فيها رسم انطوخوس الرابع قبل المسيح بمئة وثماني وستين او

سبع وستين سنة كتب عليها انها ضربت في صور أم الصيدونيين ووجدت أيقونة اخرى كأنها رد على هذه الدعوى مكتوب عليها « الصيدونيون مذلون صور الكاذبة » وهكذا تنازعت صور وصيدا شرف التقدم كما تنازعتا مدينة صرند (صرقت) التي بناها اهل صيدا على ١٥ كيلومتراً ونصف جنوبي صيدون على التلطي ومعناها سبك المعادن من صرف العبراني اي ذوب

يبدأ ان التاريخ ناطق بان صيدا وان سبقت الفينيقية بن تأسيس المستعمرات منذ عهد عريق في القدم فأنشأت هيبون في نوميدا وقرطاجنة في شمالي افرقية فقد سبقتها صور فيما بعد وتبين ان صيدا كانت من عمل صور حتى كانت صيدا تعرف باسم « صور صيدا »^(١) وظلت صيدا مستقلة في شؤونها الداخلية وكان لها حتى على عهد الرومان مجلس شيوخ وحاكم اكبر كالذي كانت لنعبة الجمهوريات اليونانية . ولم يشتهر الصيدونيون بأنهم والصور بين اساتذة العالم في تجسم البحار بل اشتهروا ايضاً بانهم اساتذة ايضاً في علم النجوم والرياضيات

خربت صيدا سنة ٣٥١ ق م عقيب انتفاضها على ملك فارس وقتل وحرقت فيها ٤٠ الفا وفتحت ابوابها بنفسها للفاطميين اليونانيين ثم استولى عليها الرومان وكان يطلق عليها اسم « فائدة المراكب » و « أم القرى » و « المستعمرة السامية » وافتتح المسلمون صيدا سنة ٦٣٧ و ٣٨ م بدون مقاومة وقامت على عهد الصليبيين احوالاً ودفعت مالا سنة ١١٠٧ حتى رفع الصليبيون عنها الحصار الا ان بوردوين الاول عاد فاستولى عليها سنة ١١١١ وبعد وقعة حطين ذلك السلطان صلاح الدين اسوارها سنة ١١٨٧ م ثم عاد الصليبيون فاستولوا عليها سنة ١١٩٧ واستخلصها منهم الملك العادل وخربها في تلك السنة فأعاد الافرنج بناءها سنة ١٢٢٨ فخربها المسلمون سنة ١٢٤٩ ثم حصنها سان لوي سنة ١٢٥٣ وابتاعها فرسان الميكلين الصليبيون وهاجمها المغول سنة ١٢٦٠ فجعلوها عليها سافلها ثم وقعت في ايدي المسلمين وذلك الملك الاشرف حصونها .

ولم تنهض صيدا من كبوتها الا في القرن السابع عشر على عهد الامير نجر الدين المعني احد امراء الدروز الذي جعلها مقر ولاية ونشط الاوربيين على نزولها حتى ازهرت تجارتها واقام فيها قصرأ له وخانات للتجارة وكان بعضهم من اهل طوشكانيا في ايطاليا وبعضهم من الفرنسيين وجلبت تجارة الحرير اليها ثروة هائلة وظلت المدينة

منقدمة في تجارتها الى اواخر القرن الثاني عشر وامتدت الىالة صيدا^(١) سنة ١٨٣٨ فتألفت من بلاد ساحل عتلات وعكا وشفا عمرو والجبل والشاغور وبلاد بشارة وطبرية وصفد والناصرية وتوابعها من القرى والعرب الخيمين في ضواحيها وقد ضربت اساطيل الاوربيين المتحدة سنة ١٨٤٠ قلعة ارفاء وما زالت انقاضها بادية

وكانت صيدا مرفأ دمشق الوحيد في القرن السابع عشر والثامن عشر كما كانت في القرون الوسطى وبن دمشق^(٢) وصيدا ستة وستون ميلاً والميل ثلاثة آلاف ذراع او ستة وتسعون الف اصبع والفرسخ ثلاثة اميال او ثلاثمائة الف اصبع يقص اثني عشر الف اصبع وكانت الطريق على رواية العزيزي من صيدا الى مدينة مشغرا وهي انزه بلد في تلك الاحياء في واد في نهاية الحسن بالانتجار والانهار والمسافة اربعة وعشرون ميلاً ومن مدينة مشغرا الى المدينة تعرف بكامد (العاب انها كامد اللوز قرية في غربي البقاع) فاعدة تلك البلاد قديماً ستة اميال ومن مدينة كامد الى ضيعة تعرف بعين الجر ثمانية عشر ميلاً ومن عين الجر الى مدينة دمشق ثمانية عشر ميلاً

ولا يعرف بالتحقيق الباني لاوا لعور وصيدا والارحح ان الاولى بنيت في ايام جلعاد من سبط منشا بني عمون اليهود والثانية بناها صيدون بكر كنعان وكانت مدينة صيدون اي صيدا اول ما احده كنعان^(٣) على بضعة مراحل من جنوبي بيروت ولم تكن الا قرية للعبادير (كما يدل عليه اسمها نفسه) بناها على ماجاء في رواياتهم القديمة الاله بعل (المعروف عند اليونان باسم آينور) على المنحدر الشمالي لرأس صغير يستراف بانحراف نحو الجنوب الغربي وقد كان ليناها عند السلف شهرة فائقة وهي محصورة بين صخر منخفض متتابعة تبتدي من النهاية الشمالية لشبه الجزيرة ثم تمتد بجذء الساحل على مساحة بضع مئات من الامتار والسهل المحيط به يستقيمه نهر جميل يعرف باسم بوسترين «نهر الاول» وفيها كثير من البساتين الغناء الاريفة حتى اوجب هذا الموقع الطبيعي وهذا الجبل الخلفي تسمية المدينة بصيدون الزهراء وبجوارها شمالاً نهر الدامور وهي تمتد جنوباً الى مصب نهر الليطاني وفيما وراء ذلك من البلاد كان في حكم العصور بين

قوا وفي الاحقاب الحوالي التي مضت على العالم اي ايام كان الاله يعبدون بين

(١) دواني التطوف (٢) تقويم البلدان (٣) تاريخ المسيو ماسيرو تعريب احمد

زكي باشا

الباس اخنط سمعروم على القارة رسم مدينة من قصب الغاب ولماها استقر اخوه هيزعوس في بضع جزائر اقام فيها اعمدة مقدسة . وهيزعوس هذا اول بحري في العالم . وكان هذا بداً صور ثم جاء بعد ذلك ملكارت وهو عند الصوريين مثل هرقل الجبار المشهور في جاهلية اليونانيين ويؤكد كهنة هذا الرب ان هيكله بني هو والمدينة في وقت واحد وقد مضى نحو الف سنة وثلاثمائة سنة حينما زارهم المؤرخ هيرودس فعلى حسابهم يمكننا ان نقول بان مدينتهم هذه أسست في نحو سنة ٢٧٥٠ ق م

استكانت صور وصيدا للفاتحين كما استكانت جبيل وبيروت من مدن الفينيقيين فتفرغت الى عهد رعمسيس الثاني احد ملوك الفراعنة لاحتكار جمع تجارة مصر مع امم آسيا والبحر الابيض المتوسط وفي القرن الثاني عشر ق م حصلنا على استقلالها لما ضعف امر العائلة العشرين من الفراعنة وكان خلال ذلك العهد كل من صور وصيدا عبارة عن دولة صغرى تطمح اليها انظار مجاورها بسبب ما احرزته من توفر اسباب الثروة ولكلها قوامها هذه الاطماع مدة بما كانت لها من الحصون والاسوار غير انها لم يأت لها البقاء زماناً على هذا الاستقلال فاقطع من عسقلون (عقلان) اسطول فلسطيني سنة ١٢١٠ وتلاقى بهارة الصيدونيين فدمرها تدميراً ثم اتولى على مدينة صيدون ومن نجا من اهلها فروا الى صور فقويت بهم حتى صارت اقوى دولة فينيقية وفي ايام حيرام الاول (٩٨٠ — ٩٤٦ ق م) بلغت صور يبحريتها اعلى الدرجات وانبسط سلطانها

كانت صور متفرقة في عدة جزائر يفصل بعضها عن بعض السنة من البحر ليست بالمعميقة بل تغلها صخور طافية رؤوسها على صفحات الماء من جنس الصخور التي يتعذر معها اقتراب السفن في بعض المواضع من سواحل الشام فردم حيرام تلك المضائق التي تغلها مياه البحر بجسور حصينة وردوم اقامها فانسعت رتعة المدينة ولكنها لم تكن لتسع سوى ثلاثين الى خمسة وثلاثين الفا واقام ملوكها وتجارها قصورهم في اواخر سفح لبنان وبقيت الجزيرة مركز الحكومة

وظلت صور راضية باداء الجزية للفاتحين حتى نشب القتال بين ملكها ابولي « ٧٦٨ — ٦٩٢ » والملك تغلات فلازار الثالث صاحب اشور انتهت بهلاكه ووقوع صور في قبضة الاشوريين ولما سقطت يدوى عاد لصور استقلالها وفازت بدفع بخت نصر عنها بمعاونة الفراعنة الصاويين واحتملت الحصار ثلاث عشرة سنة « من سنة ٥٧٤ »

الى سنة ٥٨٧ « ولكن زفت قوتها بفتنها الالهية وفي سنة ٥٠٧ أُعيدت الى سيطرة الكلدانيين ولما سقطت بابل في سنة ٥٣٨ حصل اصور وفينيقية ما حصل لها فدخلت في قبضة الفرس من غير حرب ولا قتال

كان لكل من صور وصيدا كما كان لكل مدن فينيقية رب خاص بها « بعل » وله عشتاروت « اسطارطوس وهي آلهة انثى » وكانت البعليم والعشتاروتات تمثل قول الطبيعة والشمس والكواكب او الاغراض التي تنجى اليها نفوس بني آدم مثل العشق والقتال وكانت هذه الآلهة متوطنة في المرتفعات والشارف وفي الغابات وفي المياه وفي الاحجار الخلام « بيت ايل — بيت الاله » وكانت هذه الآلهة تؤول الى زوج واحد اعلى او الى سبعة آلهة كبراء تحف باشمون الذي هو الاله الخالق وكانت عبادة هذه الآلهة غير منتظمة ومحفوفة باساليب القسوة فكان القوم يحرقون الاطفال تمجيدا لها واذا حلّ الانقلاب الصيفي اخذوا يندبون ادونيس ثم اذا جاء الخريف احتفلوا بيعته وذبحوه ثم دخلت بعض القواعد الدينية المصرية في ديانة الفينيقين

اخذت فينيقية عن مصر حروف الهجاء ومن الحروف الهجائية الفينيقية اشثقت حروف الهجاء الاوربية . واثرت في فونهم من صياغة ونقش ونحت وعمارة وعمل زجاج صناعات مصر تارة وصناعات كلدانيا تارة اخرى واشتهرت صناعة الفينيقين عند القدماء فقد انقنوا طرق اصطناع الزجاج وحفظوا زمانا سر تحضير الارجوان وفي الآثار التي عثر عليها في امريت اي مارات القديمة ما يستدل به ان المدنية المصرية اثرت كل التأثير في المدنية الفينيقية بل ان معاصر الزبوت ذات الاجرزة الضخمة تشبه الآثار المصرية كل الشبه وكذلك اواني الفضة والشبهان « البرونز » التي كانت تصنع في صور وصيدا تراها مزخرفة باشكال مصرية ومثلة لموضوعات مصرية وكذلك الجوامع والاماور والخناجر ودروع الخواصر والخواتم والاقراط تشبه المصنوعات المصرية فلم يكن للفينيقين قط فنون وطنية خاصة بهم متأصلة فيهم لانهم اقتصروا في كل عصر على تقليد اعمال الامم التي تحكمهم فكانوا يقلدون الصناعات المصوبة والاشورية ايام كانت حكومة بلادهم في ايدي المصريين والاشوريين فلما حكمهم اليونان ثم الرومان حاكوا الصناعات اليونانية

وبالجملة فان صور وصيدا كانتا مدينتي صناعة وتجارة يحمل ابناؤهما مصنوعاتهم ومصنوعات غيرهم الى الجهات القاصية وهم وحدهم كانوا ينقلون البضائع في البحر المتوسط

مدة قرون طويلة اهـ .

هذا ما يساعد المقام على اقتباسه من تاريخ العاصمين القديسين اما حالتهما الحاضرة فتأخرة وان كانت صيدا ترجع على صور كثيراً خصوصاً بمحادثتها الاليفة التي يعود عليها. منها دخل وافر لا سيما من البرتقال والليمون واللوز والشمش والموز والبلح وبني دنيا وهو شجر حديث ادخل الماطيون زراعته الى صيدا اولاً منذ نحو اربعين سنة وله طعم حلو مز وبذر كبير

ان تلك البقعة التي تقدر بنصف غرطة دمشق بمساحتها في ذاك السهل الضيق الذي تطل عليه قم لبنان مغطاة بالتلوج وجبل الريحان وتومات نيجا (١) . وصيدا سبى عمرانها اليوم صورة مصغرة من عمران بيروت وفيها من المعاهد والمصانع مثل ما في الاولى فلها مدرسة صناعة لبشري الامير كانت ومدرستان لهم للذكور والافات كما فيها مدرسة لليسوعيين واخرى للفرنسيسكان وثالثة للاتحاد الاسرائيلي ومدراس ابتدائية لجمعية المقاصد الاسلامية لا تعلق لها بجمعية بيروت المسماة بهذا الاسم ولا بجمعية النبطية التي اطلق عليها مثل هذا الاسم ايضاً وفيها مكتب ابتدائي ورشدي اميري وغير ذلك من الجوامع والكنايس كما ان فيها مزاراً يقال ان فيه شيئاً من جثة يحيى المحصور نايه السلام وهذا غير ثابت في التاريخ كما لم تثبت الدعاوي التي من قبله

وفي صيدا تصدر مجلة العرفان لمنشئها صديقنا احمد عارف افندي الزين وهي مجلة راقية خادمة للآداب العربية امتازت بمانشره لعلماء جبل عامل والتجف وايران وشعرائهم وكتابهم وما ترويه من آثار العلويين وتاريخهم ولها مطبعة منقنة وهي المطبعة الوحيدة في هذه البلاد وبالنظر لقرب المسافة بين صيدا وبيروت اكتفى الصيدونيون بجرائد بيروت ولم ينشروا جرائد لهم خاصة .

«١» معنى نيجا بالسريانية المستريحة وهذه القرية على حدود جزين ويدخل في قضاء جزين من اعمال لبنان اليوم جبل الريحان ايضاً سمي بذلك لكثرة الريحان الذي ينبت فيه كما اكد ذلك بعض العارفين ويحده جنوباً نمر ومرجعيون ونهر الليطاني وشمالاً اقليم جزين وغرباً المدينة ومزرعة سجد ونهر الزهراني من اعمال صيدا وشرقاً الليطاني وقرية ميذون من اعمال البقاع وام قراه عرمتى وجرمق وعيشية وسكانها مسلمون شيعة ودروز ومسيحيون وفي دليل لبنان ان القرى الملحقة بخاصية جبل الريحان هي عيشية وردية زغرين عرمتى جرمق شهبيل صوبرة زيد عقانة ريحانة قطرانة خازن

وقد فُتحت صيدا شارعاً طويلاً لها أقامت فيه الدور والحوانيت على الطرز الجديد في الجملة اما بناء المدينة القديم فضيق بهج مثل ابنية بيروت وطرابلس القديمة وادعى وامر وماؤها عذب يأتي في انابيب مثل ماء بيروت ويسقي منه في عالي البيوت وبلديتها تعني بتنظيفها اكثر من عناية بلدية دمشق وبيروت

وقصارى القول فان صيدا كما قال استاذنا الشيخ طاهر الجزائري تصيد القلوب صيدا وعلى رأي ابن الساعاتي وقد مر بها يوم كانت بهد الافرنج فرأى مروجاً خضراء كثيرة نباتها النرجس واتفق انه هرب بعض الاسارى من صيدا فأرسلت الخيل وراءه فردته فقال :

لله صيداء من بلد لم تبق عندي بلى دفيناً
نرجسها حلقة الفسافي قد طبق السهل والحزونا
وكيف نخبو بها هنيم واراضها انبت العونا

مرج عيون

عدنا من صيدا الى النبطية في مركبة وذهبتا من الغد في زمرة من الاخوان لزيارة قلعة الشقيف التي نسبت اليها البلاد المحيطة بها ويردعدها الى قبل الصليبيين عرفها الافرنج للمرة الاولى سنة ١١٧٩ ولما استولى عليها الصليبيون سموها الحصن الجليل وحق لهم ان يسموها كذلك لجمال موقعها المطل على نهر الليطاني المناسبة مياهه في اسفل الوادي العميق ومن الجانب الآخر بعض القرى المبتوثة في الخضرة التي تأخذ بمجامع القلوب ومن البعيد سهل مرج عيون (Merjoun) الوارد ذكره في سفر الملوك وينتهي هذا المرج بجبل الشيخ وبجانبه قلعة الصبية المطلّة على حولة نابلس وبلاد بشارة اوجيل عامل وفي الجنوب بلاد نفتالي الجبلية الى ضواحي صفد وعلى اليمين جبل الجرمق .

ومن قلعة الشقيف ايضاً ترى قلعة هرنين وفي الشمال الشرقي تصعد العين الوادي وفي اعلاه جبل الريحان منظر يملك على الانسان مشاعره فيدهش له ويتهيج ينظر الى القلعة فيراها محلفة في الجو كالعقاب تدل كل الدلالة على قدرة الانسان حتى سيفه سالف الاحقاب ويقع نظره من جهة أخرى على اجمل مناظر سورية وتمثل له هذه البلاد وما قاسته من مطامع الفاتحين وسينات الظالمين المستبدين

في هذه البقاع التي منحتها الفطرة اسباب الصفاء والرواء تطاхت سدين كثيرة جيوش لاهل الصليب واهل الاسلام فاهلك الانسان اخاه بسائق الدين في الظاهر وسائق

المطامع الدنيوية في الحقيقة ولولا عزيمة من صلاح الدين يوسف بن ايوب نسفت
الاهواء لتجردوا عن الاهواء لكانت بلادنا اليوم مدكاً لدول اوربا او لاحداهن ولما بقيت
للاسلام والعرب كلمة تسمع في هذه الديار كما وقع لشبه جزيرة الاندلس وجزيرة صقلية
من قبل

وقلة الثقيف كسائر قلاع القرون الوسطى في بلاد الشام من بناء كثير من الملوك
والمثقلين واهم ابنيتهما من اواخر العهد الروماني (١) ومعظمها من بناء العرب وفيها معبد
او مصلى من القرون الوسطى من الجهة الشرقية وهي محاطة من الجنوب ومن الغرب بهوة
عميقة محفورة في الصخر عمقها من ١٥ الى ٣٦ متراً ومن الجنوب فقط تتصل القلعة
بذروة الجبل ومدخلها الى الجنوب الشرقي وطولها ١٢٠ متراً وعمقها ٣٠ ومن طرفها
الشمالي بناء نائي طوله ٢١ متراً متجهاً الى الشرق وفناؤها او صحنها في الجهة الشرقية
منها عمدة نحو ١٥ متراً ومثلها الابنية الخارجية ولها النحدر يختلف من ٦ الى ٩ امتار
وقد قام على الحائط الجنوبي برجان على شكل نصف دائرة

قامت القلعة على هذا المثال بحيث اعجزت المهاجمين ويقال ان صلاح الدين لم يستطع
اخذها بالنجيق الا بضربها به من قرية القليعة في الشق الآخر من الوادي على مسافة
لا تقل عن اربعة كيلومترات وفي رواية تدور على السن اهل القرى هناك انه حاصرها
اشهراً ولم يستل على حاميتهما الا بحيلة دبرها قروي من اهل ذلك الجوار فدعا الحامية
خارج القلعة للمأذبة اعداها لها وكانت الحامية مستأمنة له وقد انهكها الجوع حتى صارت
تأكل الفيران والجرذان فاشعروا وهم مشغولون بيطونهم الا وعسكر صلاح الدين قادمون
بطعام في زمي النساء حتى اقتربوا منهم فباغتهم بالقتل فلم ينج منهم نافع نار

والصحيح في فتحها ما قاله العماد الكاتب (٢) من ان صلاح الدين قصد الى شقيف
ارنون من دمشق ماراً بقلعة باناس « واتى مرج عيون وخيم منه بقرب الثقيف وجمع
على من به من آلات الحصار اسباب التحويل « واقام عسكره في ذلك « المرج
الوسيع والروض الوشع « وكان الثقيف في يد صاحب صيدا ارناط فامهله ثم امهله
ولم يجد صاحب الحصن ملجأ « وتحول السلطان من مخيمه الى اعلى الجبل لمحاصرة
الحصن ورتب له عدة من الامراء « الى ان تسلمه بعد سنة بحكم الدلم وكانت مرجعيون
تنوافد اليها جموع المتطوعة من دمشق وحووران والمرج والغوطة قال : وفي يوم الاحد

خامس عشر ربيع الاول تسلم بالامان شقيف ارنون واستمر الحصار عليه منذ نزولنا في السنة الماضية بمرج عيون وصاحبه ارناط صاحب صيدا في دمشق لاجله معتقل وباب خلاصه دون فتح شقيفه مقفل وذلك ان الشقي في الشقيف في زاده وعزاجتهاده ومرد عليه في الحفظ مراده وخانه في البصر ارنياؤه وارتياده ونخب من الرهب فؤاده واصلد باليأس زناده وامنع عليه اصداره وايراده فسلمه على ان يسلم صاحبه وتخلص في النجاة مذاهه وخرج هو ومن معه وترك الشقيف بما فيه وتركه للاسلام بما يحويه وافرج عن صاحب صيدا وصار الى صور ولبس من التشريف والتسريح حبير الجبور اه وبعد صلاح الدين نزلت القلعة الحامية الاسلامية وما زالت تنقلب عليها الاحوال حتى سكنها في القرن الماضي ابناء العشائر او حكام جبل عامل ولم يغادرها الا في النصف الاخير من القرن السابق اما اليوم فقد امست زريبة يأوي اليها الرعاة بغنمهم وماعزهم غادرناها عصر اليوم الخامس عشر من سياحتنا الى مرج عيون او مرجعيون كما يقال لها اليوم فاجتزنا اليها جسر الخردلة الممتد على نهر الليطاني ومرج عيون كانت مملكة من ملك اسرائيل تحيط بها حدود رحوب وقادش وخاصور وافيق اي سهل هذا المرج الذي يمتد نحو عشرة كيلومترات وعلى نحو كيلومتر من الجديدة مركز مرج عيون اليوم تل دبين وهي ربوة في السهل فيها بض خرائب تدل (١) على انه كان هناك مركز عيون وعيون هذه كانت عرشة لهجات آرام وأشور منها اخذت هذه المقاطعة اسمها وقال بعضهم ان عيون هي دبين وهي قرية على ميلين شمالي جديدة مرج عيون وعلى تل دبين آثار قديمة ذات شأن وقيل هي الخيام على ميلين الى الجنوب الشرقي من الجديدة واختلفت الاحوال على مرج عيون في الحكومات الاسلامية فكانت من اعمال صفد (٢) وسماها ابو الفدا مرج العيون بألف ولام وسماها غير مرج عيون وهذه التسمية نشأت في الغالب للعيون الكثيرة التي تنبع من ارض الجديدة خصوصا وهي عجيبة لا تكاد تخلو قطعة ارض من عين تلبض فيها مع ان الجديدة على سطح مستو في رأس جبل لا اتصال بينها وبين القمم العالية حيث تبتئ التلوج اشهرأ كما هو الحال في قم صنين في لبنان الغربي وقم حرمون اي ابنان الشرقي والى شرق مرج عيون جبل الشيخ وقراه والى الجنوب بلاد بشارة وبحيرة الحولة والى الغرب قرى بلاد الشقيف والى الشمال جبل المرحبان وتومايت نيجة او شقيف تيرون

وعلى ميلين من الجهة الثانية عند منفرج الوادي قرية ابل ويقال لها ابل السقي تمييزاً لها عن ابل القمح من اعمال مرج عيون ايضاً وفي منتصف الوادي على نفس السطح الذي قامت عليه قرية ابل قرية الخيام او الخيم . والجديد: والسقي والخيام ثلاث بلدان كأنها بلد واحد ذات ثلاثة احياء لا نفل نفوسها عن اثني عشر الف نسمة والغالب ان ابل السقي كانت بعد الاسلام مقر عمل تلك الكورة بدليل ما قاله ابن خرداذبة (١) : كورة السقي وجربتة والحولة قال ومن اخذ من بملك الى طبرية على طريق الدراج فن بعلمك الى عين الجر عشرون ميلاً والى القرعون وهو منزل في بطن الوادي خمسة عشر ومن قرعون الى قرية يقال لها العيون تمضي الى كفر ليلي عشرون ميلاً ومن قرعون الى طبرية خمسة عشر ميلاً وعد ابن خرداذبة من جملة كور الاردن كورة آبل واعلمها ايضاً هي بعينها او ابل القمح ويقول يافوت ان السقي قرية بظامر دمشق ولم يقل عن مرج عيون الا انها بساحل الشام والغالب انها لم تكن مشتهرة في عهده وان كان لها ذكر في الفتح الصلاحي

ويبع قضاء مرجعيون اليوم كثير من قرى جبل عامل وعدد قرى قضائها ٤٠ قرية منها المهم جداً بشاريخه وكثرة سكانه كبت جبيل وهونين ودير مياس وميس ولا نقل نفوس القضاء عن خمسين الفا وربما كان المهاجرون منهم نحو خمسهم وكثير منهم الفدين وفقوا في اميركا واثروا ولا سيما سكان الجديدة مركز القضاء ممن لا تجد بينهم أمياً من الذكور والاناث ولا تشبهها بهذا المعنى بلدة في سورية الا الناصرة فيما اذكر لأن ثنافس الطوائف النصرانية على تأييد نفوذهم ودهوتهم فيها دعا كلاً منها الى فتح المدارس وتعميم التعليم مع التعاليم وقد فطراهل هذه البلدة على الثقلة المفهدة فاذا علم احدهم ابته لا يلبث جاره ان يحذو حذوه وهكذا حتى اصبح اهل القصبه واكثرهم مسيحيون متعلمين اما المسلمون فتأنهم شأنهم في كل مكان مررنا به : يرضن الاغنياء منهم باموالهم حتى على تعليم اولادهم والفقراء اتكلوا على الحكومة وهيئات ان يتعلم ولد يسلمه ابواه لمعلم تعينه المعارف هذا اذا فتحت لها مكاتب في مراكز الاقضية فما هو الحال في سائر القرى التي تمر بالعشرين والثلاثين والاربعين منها ولا تجد فيها مدرسة اميرية ولذلك ترى ابناء المسلمين ينصرف غنيهم على الاغلب الى الفسق والاعتداء ولا يجد فقيرهم متسعاً له من العيش ليتعلم فيرعى الماشية ويعيش في الجهل المطبق عمره .

دخلت جديدة مرج عيون بالتعلمين من سكانها في طور المدن ومثلها بعدد السكان كثير جداً في بلاد هذا القطر فهي اصغر من حرستا وعرييل وداريا ودومة وجوبر من قرى غوطة دمشق التي لا تكاد تجد فيها مكتباً جيداً في الجملة ولكن اهلها على قلة عددهم اعم من جميع اهل الغرطة على قرب هؤلاء من دمشق لان الفوطيين اتكلوا على الحكومة فلم تعلمهم ولن تعلمهم اما اولئك فقد افضل عليهم اللاتين والروم والبرستانت فاحبوا نفوسهم بالآداب والمعارف على ما يحبهم فاقام منهم عزيزاً وهاجر من هاجر منهم قادراً متعلماً

وبينا تجد المسلمين بأكل كبارهم صفارهم على ما سمعته من تلك الدهوى الغربية بين فقراء المسلمين في قرية الحيام واعيانهم الذين سلبهم فيما مضى على ما يقال اراضيهم ليهجروهم من الخدمة العسكرية بكنم اسماء نحو الفين منهم عن الحكومة نجد اغنياء المسيحيين يأخذون بابدي ضعفاءهم فيفضلون على المحاريج ويعلمون الاميين وبواسون من يستحق المواساة من البائسين ولا عجب فالعلم بعمر والجهل بدر

في الجديدة تصدر جريدة «المرج» لصاحبها صديقنا الدكتور اسعد رحال وهي من جرائدنا الاسبوعية الرافقة الرائجة وقد كان اكبر دواعي رواجها من تشييط المهاجرين من اهل المرج ولا سيما سكان الجديدة العقلاء المنورون ولا اعلم في مدن داخلية الشام جريدة اسبوعية تضاهيها بالرواج اللهم الا اذا كانت جريدة حمص التي تباع ايضاً من المهاجرين الحمصيين «ميج وزه زه»

وبعد فان هذا المرج بطبيعته من اجمل ما وقعت عليه العين من البلاد التي عرجنا عليها في رحلتنا يسرح النظر منه ماشاء فيروض بهيج لو اكثرنا فيه من زرع الاشجار المثمرة لفاق غوطة دمشق واشبه سهول فرنسا وجبالها خصوصاً واكثر دور الجديدة وابل والخيما أصبحت تنبئ على الاصول الحديثة بالحجر الصلد والقرميد البديع ولكل دار حديثة تحيط بها كالمالة بالقمر وما ارض المرج الا كما قال الشاعر

ارض اذا عبس الشتاء رأيت	كلاية ملئت من الكافور
واذا الريح تكلمت وجناته	فديجات عطرت بهبير
واذا المصيف تلات صفحاته	نفواكه من يانع ونضير
واذا الخريف تفلست اردانه	فمناع اقوات من المذخور
جمعت بها شهي التي فككتها	لقيا البشير بوصلة المهجور

وادي التيم

كتب لنا الطواف حول جبل النبخ في هذه الرحلة ومساعدة جهاته الاربع .
وجبل الشيخ هو جبل حرمون بعينه المذكور في التوراة وسماء العرب جبل الثلج
قال حسان بن ثابت

من دون بصري ودونها جبل الثا . . . يج عليه السحاب كالقند

ويسمى ايضا امانة وبل حرمون وسيتون وسريون وسنير وشنير وزعم بعض اصحابنا
ان السبب في تسميته هو ان شيخاً من زعماء الطائفة الدرزية سكن مغارة في
سفحه الغربي في القرن السادس للهجرة وتسمى مغارته الآن مغارة العباد واقام هناك
مع قومه السنين الطوال وبمض الافرنج يملكون هذه التسمية بياض الثلج الذي على قمته
ويشبهه رأس شيخ اشيب . وتسمية العرب لحرمون بجبل الثلج تسمية طبيعية لان علوه
يحفظ الثلوج الى آخر فصل الصيف ولا سيما في المنحدرات العالية التي لا تعبت بها
الرياح الحارة والشمس على ما يجب وعلوا على قمته ٢٦٧٠ متراً عن سطح البحر او نحو
٩٤٠٠ قدم وطوله ثلاثون كيلومتراً او ثلاثة وثمانون ميلاً^(١) او سبع ساعات وهو الى
الجنوب الغربي من دمشق على بعد ٣٠ ميلاً

ومن الغريب في امر هذا الجبل ان العيون المنجسة من ثلوجه تكثر جداً من شرقيه
اي من جهة وادي العجم واقليم البلان كما تنجس من جنوبيه او ما يقرب منها مثل عيون
نهر البانيامي والاردن وهو من سفوحه الغربية والشمالية ضنين ببناء جداً ولا سيما من
جهات راشيا

وبعد ذوبان الثلوج في اواخر الربيع يصعد الى اعلى قمته بعض النظارة للزهوة
والصيد وغالب صعودهم الى قمة اسمها قصر شبيب وفيها الى اليوم انقاض بناء ولكن
الوصول اليها يحتاج الى سبع ساعات صعوداً سواء كان من حاصبيا او من راشيا او من
احدى قرى اقليم البلان فيشهدون منه سوربة باجمعها ويرون بالمناظير والمجاهير دمشق
وكيف لا وقم حرمون اعلى جبال سورية

قدس القدماء حرمون وكان من الجبال التي يفزع اليها العباد كما تشهد لذلك المعابد
الكثيرة في جواره بل في سفوحه وقمته وكان الاسرائيليون يعجبون بعلوه ويجلونه لانه
يجمع على ظهره وفي صدره الغيوم والسحب وقد ورد في نشيد الاناشيد كلام على

(١) المسالك والممالك

الحيوانات الكاسرة التي تسرح فيه وتمرح ولا يزال فيه الى اليوم جنس من الدب من النوع الذي يسميه الافرنج *Ursus Syriacus* وفيه انواع من الثعالب والذئاب وغروب من الطيور وبذت فيه من النباتات ما ينبت في جبال سورية عامة وتوجد فيه الكروم^(١) فوق ١٤٤٠ متراً من سطح البحر وبعد هذا العلو يطلع البلوط والملول وتلى علو ١٥٠ متراً من الكروم ينبت نبات الصمغ « السراس » وعلى علو ١١٥٠ الى ١٦٥٠ يكون شجر متمر ولكنه بري وعمره يؤكل وتلى السطح الغربي من الجبل يوجد اللوز في مكان بدعى عقبة اللوزة . واللوز صنفان كما ان الحوخ الضخم صنفان وفي الجبل نوع من الكراز والاجاص وتنت فيه اصناف اخرى من الثمار البرية وهو قاحل لا خضرة فيه الا من سفحته الجنوبي حيث تنبت بعض النباتات مثل السيكران وغيره وجميع سفوح الجبل صعبة المراتى غير مخصصة لتغلة الزينة فيها وفقدان المياه بمدايام الربيع ولا يبعد ان السفوح القريبة منه كانت في التديم مغروسة بالحراج والغابات الغناء الى الامكنة التي يساعد هواؤها على الانبات

وفي الاطراف الغربية من جبل الشيخ اي بين جبل الشيخ وجبال البقاع الشرقي اودية وتلعل لها وادي التيم نسبة الى تيم الله بن ثعلبة^(٢) انفصله عن وادي الليطاني الى سلسلة تلال تمتد الى عين الجرفي البقاع وتلى تلاله قرى عديدة تبلغ خمسة وعشرين قرية ومنها يتألف قضاء حاصبيا وقاعدته راشيا وراشيا كلمة سريانية بمعنى الرؤوس والتيم الاسفل وقاعدته حاصبيا كلمة سريانية ومعناها الجرار والى اليوم لا تزال آثار معالم الفخار في حاصبيا . ويحد وادي التيم شرقاً وادي العجم واقليم البقاع ونمالة سهل البقاع وغرباً مرجعيون وجنوباً بلاد الحولة وغرباً جبل الشيخ

وايس فيما ظفرنا به من كتب السلاط اشارت تشعر بمجد . ابق لمدينتي حاصبيا وراشيا قبل الحروب الصليبية والغالب انهما كانتا حصناً فقط لصد هجمات المهاجمين على المدن الداخلية على نحو ما كانت فلاح تبين وهونين والتقيف والصاية وغيرها وباس تيلاء امراء الشهابيين عليها كثر الكلام بشأنهما في التواريخ الحديثة ففي سنة ٥٥٧ هـ^(٣) قام آل شهاب من حوران وكانوا فيها منذ انتج لاسلامي واصلهم من الحجاز وزحفوا الى وادي التيم زعامة الامير . فقد وكان نزولهم في بيداء الظهر الاحمر من الكنيسة الجديدة

(١) دليل بيدكر (٢) دواني القطوف (٣) تاريخ الامير حيدر الشهابي

تلك ساعة ونصف من ريشيا الوادي وكانت هذه البلاد تحت استيلاء الافرنج ففردهم آل شهاب واستنقذوها منهم في قصة بطول نرحها وكان البتولي على وادي التيم قباهم الامير ظهير الدين كرامة النوحى صاحب ثغر بيروت فانت جموع الافرنج من صيدا وصور وعكا الى حاصبيا فردم الشهابيون على اعقابهم مدحورين ولردوا حاكم الكونت اورا و بسطوا احكامهم على هذا الوادي ثم اتصلوا لبنان وتولوا امره بعد الامراء من آل معن واستولى الشهابيون على لبنان نحو قرن ونصف وقد انصر بعض افراد من اميرتهم من حكام لبنان ولم يزل اعقابهم الى اليوم مسيحيين اما من بقوا في وادي التيم فقتلوا مسلمين ومنهم اليوم طبقة متملة تنولى الوظائف في الحكومة ولذلك غلط بيدكر في قوله ان بني شهاب هم من امراء الدروز ولو كانوا من امراءهم ما قتلوا في وقائع الشام المشؤومة سنة ١٨٦٠ في راشيا وحاصبيا بيد الثوار من اشتيااء حوران ولبنان ايام قبل ٨٠٠ من المسيحيين في راشيا ٩٧٠ من مسيحي حاصبيا ولو لم ينج بعض الى دار السدة نائف شتيقة سعيد بك جن بلاط لهلكوا عن آخرهم وان معظم من نراهم ساكنين في حارة الياض اليوم في حي الميدان بدمشق هم من سلوا عن وادي التيم ولا سيما من حاصبيا وراشيا يوم تلك الوقائع المشؤومة ونزلوها ونشالوا فيها مذبح حالم

اشرنا الى هذه الوقائع والفنائع اذ لا يسوغ للمؤرخ ان يسكت عن حوادث هذه العلاقة الكبرى بمران هذه الديار خصوصا وقد حرق في تلك الفترة المشؤومة غابات وادي التيم ولا سيما حاصبيا وراشيا كما احرق اشجار جزين واقليم الخروب من لبنان وجباع من جبل عامل وكان المنكوبون تحصوا فيها فشعلت فيها النيران ليهلك من لم يهلك بحد السيف والاذنان

كان وادي التيم من اهم مراكز الدعوة الدرزية ولا يزال الى اليوم كذلك وفوق حاصبيا على نصف ساعة منها خلوات البياضة وفيها مجمع هذه الطائفة الديني زرتها فرأيت فيها معبداً في الوسط مفروشا على نحو ما نفرش الجوامع والقرب من مساكن منها وقف البياضة ومنها ملك خاص لاربابها يجب اهلها الانتطاع الى العبادة ومن المنتظمين لهذا الغاية في البياضة ناس من وادي التيم وآخرون من الجبل الاعلى في حلب وجبال صفد وجبال لبنان وجبل حوران كما انهم المتزوج منهم لمجرد وهم على جانب من التمسك والنقشف شأن سائر العباد في معظم الامم على الغالب

وموقع البياضة جميل بطل على كثير من قرى وادي النيم وترى منه قلعة الشقيف وغيرها من بلاد مرجعيون وجبل عامل والحولة فاذا اوقدت فيها النار شوهدت الى مكان بعيد . ونحو نصف مكان وادي النيم دروز يحسنون الزراعة وهم على جانب من الاخلاق يتوفرون على اعمالهم ويحسنون عشرة جيرانهم شأن كل من يتلم من ابناء هذه الطائفة ولا سيما في لبنان . ومن لنا برجالهم ان يهبوا لتعليم اولادهم كما هب احوانهم المسيحيون من قبل فاستفادوا وافادوا فان في ابنائهم من الصفات الحسنة العربية ما لو توفروا على تميته وتذكيته بالعلم الصحيح لجاء منهم شعب من ارقى الشعوب العثمانية بشجاعته ومضاء وحسن ادبه وعزة نفسه وسماحته وذكائه وبعض هذه الصفات مما يفاخر به المفاخرون

وليس في حاصيلها ما يستحق الذكر سوى معدن الحجر الذي كان السلطان المخلوع يستشعره لنفسه وظهرت منه فوائد مادية لاهل هذه الديار وهو اليوم مهمل لقلة اليد العاملة في هذه الديار لان الناس هاجروا بالالوف منها فاضطرت الحكومة ان تهمل هذا المعدن كما هممت معدن سمحر في البقاع ايضا وغيره من المعادن في سورية لم تفكر في استثمارها وقد اضرام اهل الحجر باب الكروم فتصاعدت اثاره وهو يستعمل كل سنة لتزبيرها وتأبيرها فلحقته الدودة من اجل ذلك وقلت مداخيله

وقد سمعت ان من قرى ريشيا قرية اسمها بيت لهما على ثلاثة ارباع الساعة من ريشيا وكنت قرأت في بعض الكتب ان بيت لهما من اعمال دمشق تضاف اليها كورة تنسب اليها فاذا صحت روايتي تكون بيت لهما وادي النيم غير بيت لهما في غوطة دمشق التي ذكرها ياقوت ورد علي من قال ان آزر ابا ابراهيم الخليل عليه السلام كان ينحت بها الاصنام ويدفعها الى ابراهيم ليبيعها فيأتي بها الى حجر فيكسرها عليه والحجر كان الى عهد ياقوت بدمشق معروفا يقال له درب الحجر قال والصحيح ان الخليل عليه السلام ولد بارض بابل وبها كان آزر يصنع الاصنام وفي التوراة ان آزر مات بجران وكان قد خرج من العراق فاقام بجران الى ان مات ولم يرد في خبر صحيح انه دخل الشام وللشعراء في بيت لهما اشعار كثيرة منها قول لحمد بن منير الاطرابلسي :

سقاها وروى من النبرين الى الفيتطين وحمورية

الى بيت لهما الى برزة دلاح مكف كفة الاوعية

والنسبة اليها بتلها ونسب اليها خلق كثير من اهل الرواية وقال ابو بكر الصنوبري :

أمر بديرمران فاحيا واجعل بيت لهوي بيت لها
 وبهرد غلتي بردى فسقيا لا يام على بردى ورعيا
 ولي في باب جيرون ثبأء اعلمها الهوى غليبا فظيا
 ونعم الدار داريا ففيها حلالي العيش حتى صارأريا
 سقت دنيا دمشق ليصطفها وليس يريد غير دمشق دنيا
 نفيض جداول البلور فيها خلال حدائق يبتن وشيا
 مظالمه فواكها بابهي الـ مناظر في نواضرها واهيا
 فمن ثقافة لم تعد خدأ ومن رمانة لم تحط ثديا

والظاهر من شعر ابن منبر والصنوبري ان بيت لها هذه والتي ذكرها الشعراء فاكثروا من ذكرها هي بيت لها الغوطة وبيت لها وادي التيم ومعنى بيت لها بيت الآلهة بالسريانية قال ياقوت بيت لها بكسر اللام وسكون الهاء وياء والف مقصورة كذا يتلفظ به والصحيح بيت الآلهة

ولم يذكر ياقوت وادي التيم في معجمه بل ذكر «بيوس» وقال انها اسم جبل بالسام بوادي التيم من دمشق وياه عنى عبد الله بن سليم بقوله: لمن الديار بتولع فيبوس قلنا وجبل بيوس هو الغالب فيما وراء الزبداني ومنه الآن قرية كفر بيوس وهو المعروف بوادي الحرير ووادي القرن والى هنا كان يتصل عمل وادي التيم وكان هذا الوادي في القرن الثامن^(١) من مملكة كرك نوح بالبقاع وله اقليم مع ما يضاف الى الوادي المذكور ثلثمائة وستون قرية تعد من عمل دمشق

وزراعة وادي التيم ضعيفة واكثر قراه جميلة على اكمة من الارض وربما كانت نفوسه نحو ٢٥ الى تسمة فقط اما طرقة فاصعب واوعر طرق ومياهه قليلة ومتوسطة الجودة بطعمها ونفعها وقد أشع ايام القيظ فيقاسي الاهلون منها شدة وعناء

هذا وفي اليوم الثالث والعشرين من ايام رحلته اركبت ورفيقي دابتين من راشيا فبعد ان اجتزنا سهل عيما ومستنقع قرية عيما دخلنا في وادي بككة وحزننا بيست ساعات الى التكية احدى محطات السكة الحديدية بين بروت ودمشق وبالقرب من هذه المحطة شلال بردى يولدون منه الكهرباء لمدينة انجمن ومنهاركة القطار عائدتين الى دمشق

(١) زبدة كشف الممالك لفرس الدين خليل بن شاهين الظاهري

ما ذارأينا في رحلتنا

تحمّلنا في رحلتنا هذه من المتناقضات المختلفة ما لا نكاد نكابد بعضه لو طفنا قارقي اوربا واميركا وذلك رجاء ان نعود منها بفائدة نطلع عليها الامّة والحكومة وها قد كتب لنا ذلك بقدر ما سمح الوقت فرأينا ان لا نقصر بحثنا على احوال البلاد الجغرافية والتاريخية والزراعية بل ان نعدّه الى البحث اجمالاً في شؤونها الاقتصادية والاجتماعية والادارية اول ما يقع عليه النظر ويسرّ تحقيقه الفؤاد انتشار اعلام الاسن في الكور التي جسنا خلالها بعد ان كان السائح يخاطر بروحه وماله لو احب فيما مضى ان يطوف تلك البلاد . والامن ولا شك حسنة من حسنات هذه الحكومة الدستورية التي نرجو بالعدل دوامها وبالمدنية الراقية احكامها ونظامها

يبد ان في هذه الكور قصوراً يلحق الاهلين وقصوراً يعود على الحكومة واهم ما نطالب به الحكومة بعد الامن احقاق الحق في البلدان الصغرى ليزوق الناس طعم الحكومة الحرة حقيقة لاننا لو نظرنا الى حال الاقضية نراها وحواسر الولايات والالوية سواء من هذا الوجه لا تنقطع شكوى الاهلين فيها . والشكوى طبيعية في الامم ومنها الحق ومنها دون ذلك

لا جدال في ان العهد الدستوري قد ادخل في الادارة شيئاً من روح النظام شعر به في الجندية والشرطة والمالية من فروع الحكومة ولكن سائر افروع لم تبرح محرومة منه مثال ذلك القضاء والافتاء في الاقضية فقد طفت سبعة منها اربعة من اعمال ولاية سورية وثلاثة من اعمال ولاية بيروت واني لاستحي ان اقول ان ارباب هذه الوظائف الا النادر ممن عصمهم الله حرموا من العلم والمعرفة والنزاهة والعاطفة الوطنية فلا دين لهم الا اخذ الاموال من غير حلها ولا شرعية الا التلاعب بالاحكام الدينية والمدنية ولا هدي الا ما توحيه اليهم عقولهم القاصرة واني لا سّف ان يجلسون على بساط التريفة المطهرة ورائدهم الجهل وقلة الامانة والصيانة ان يكونوا على نحو ما ذكرت . اذا عرفت هذا فقل مي غير هاياب ولا وجل ان المشيخة الاسلامية لم تخرج في توسيد هذه الوظائف الشريفة عن الحد الذي كانت رسمته حكومة الاستبداد المطلقة اية انها في العهد الدستوري لم تأت بما نحمد عليه خدمة للشرعية والقانون

القاضي او النائب في الاقضية هو الكل في الكل وربما كانت وظيفته اهم من القائم مقام لان حكم هذا لا يجوز الا في الامور الادارية والسياسية اما الاول فاحكامه تتناول

الاحكام المختلفة . فان كان ممن قلت تربيته ورق دينه والسواد الاعظم كذلك ات احكامه متناقضة سرذولة فاسدة حشوها الدرهم والدينار وسداها ولحمها تلوث الدمة وتلون القلب والا وهو النادر كان داعية من دعاة الاصلاح ومثالاً من الكفاءة تشفعها الاخلاق الطاهرة

والسبب في هذا الهزال المضي الذي اصاب حكام الشريعة في هذه المملكة انه انت ادوار كان ينظر الى المناظر الخارجية في تولية القضاة لا الى كفاءتهم الشخصية فلم يتأهل اكثرهم لها بالعمل ولم يخضعوا لنظام كما خضع سالك القائم مقامين مثلاً ولذا ترى في نفوس اكثر هؤلاء عفة وغيرة ومعرفة ما لا ترى بعضه فيما انطوت عليه جوانح اولئك الذين انبتوا نباتاً طيباً ونالوا حق الصدر بالرئى والحباة وارتكاب ما نكره الفضيلة وتأباه اصول الحكومات الراقية

كان احد كبار المصلحين في مصر يقول ان الاصلاح الديني في الشرق اول كل اصلاح . وما الاصلاح الديني في الحقيقة الا اصلاح عقول القائمين بالدين كالتقضاء والمفاقي والحكام ولذلك كان من اهم الاعمال التي تمت في مصر على عهد نهضتها الاخيرة انشاء مدرسة القضاء الشرعي حتى لا يقل القضاة الشرعيون في علمهم ومداركهم عن القضاة النظاميين ويتعب الاولون في اعداد نفوسهم وملاكتهم كما تعب الآخرون ويخلص الاسلام من الوصمات التي يصمه بها الجاهلون به ليوثقوا ان الضعف اقم من المسلمين لا من الاسلام .

اما سائر موظفي الادارة في الاقضية فيرجعون على الجملة الى شيء من النظام وان كان ينذر فيهم العفوف النزبه بحيث لا تكاد تعد صالحاً واحداً منهم في كل عشرة طالحين ويكثر استهثار احدهم وبقل بحسب ذكائه وشجاعته فان كان على شيء منها وله من يحميه في حاضرة الولاية او عاصمة السلطنة من كبار الموظفين اغرق فيما اخذ نفسه به ايمى اغراق لان حاميه يدفع عنه اذى اعدائه والا لاذ بالثقة واعتصم بالمرأوة والمصانعة والدهان لمن فوقه في المرتبة

هذا اجمال من حال حكومات الاقضية واصلاحها منوط في الاكثر بتعبين متصرفين وولاية ممن خبروا امور الادارة بانفسهم سنين طويلة وكانوا على جانب من العلم وحسن السياسة يحسنون لغة البلاد ويعرفون طبائعها حتى لا يكتفونوا آلة بايدي فئة مخصوصة من الناس لا يكتبون الا ما يملون عليهم ولا يعارضون الا فيما لم فيه مأرب خاص ،

ومعنى ادرت الحكومة على الموظف الصغير راتباً يكون على حد الكفاية وسأله عن عمله وراقبته في حركاته وسكناته فقل ان نظامنا الاداري دخله الاصلاح الحقيقي والافئبق نرسف في قيود الدل ونخبط على غير هدى .

كل من يتجول في داخلية البلاد يرى عياناً رداءة الطرق وقلة اعمل العمران ولولا قليل من الهندسة دخلت في بناء الدور والمساكن والقرميد اللطيف الذي يزين سطوحها لا قسم من يرى تأخر هذه البلاد وما حثت بانها لم ترتق درجة واحدة في هذا القرن عن القرون الخوالي وانها كانت قبل الف والفي سنة اوسع عمراً وأكثر سكاناً مما هي اليوم .

الي الآن لا تجد طريقاً معبدة حتى بين البلدان المهمة فاذا كان الطريق الآخذ من بيروت فصيدا فصور فصيدا فالنبطية ف مرجعيون لم يزل مشعثاً متداعياً بعد ان صرف على رصفه بضع عشرات من الوف الليرات فما هو الحال بطريق مرجعيون حاصياراشيا قطنا دمشق وطريق دمشق القنيطرة او قطنا القنيطرة بانياس وهي لم يصرف عليها شي وبقيت لا تصلح لمرور المواشي دع عنك الانسان

وبعد فان كنا لم نرصف طرفنا الى اليوم فأني اعمال اخرى ترجى ان نقوم بها مثل جر المياه من الحال البعيدة لسقيا الارضين وشفاء الاهلين او خزنها في خزانات وتجهيف البحيرات والمستنقعات مثل بطيحة سهل عيحا قرب ريشيا الوادي البالغة مساحتها نحو اربعة آلاف دونم وبطيحة دير العشائر في وادي النسيم ايضا وبطيحة الحولة ومستنقعات الجولان مما يؤذي صحة السكان ويؤخر عمران الارضين والبلدان .

ثم اين يد الحكومة في انماض الزراعة من كبتها باعطائها الاهلين السكك والادوات الزراعية والبذور والغراس التي تصلح وتجود في هذه الديار الطيبة بل اين يد الحكومة تعمل على الاقل على ما فيه حفظ الحالة الحاضرة حتى لا تزبد البلاد خراباً فوق خرابها وان العين للنبوء عن النظر الى جبالنا وآكامنا الجرداء بعد ان علمنا انها كانت شجراً خضراء الى ما قبل عشرات من السنين واذا دمننا نوسعها القلع والقطع والحرق والتساق فافراً على حراجنا السلام الاخير بعد بضعة اعوام .

بلاد تسمى لاعالة الملايين من البشر وتضييق عن هيش الالوف فتقنعل فنعممرها حتى نقوم حاجزاً حصيناً في وجوه من يهاجرون من السور بين الى سائر قارات الارض ولا سباً الى اميركا الشمالية والجنوبية

كنا نظن ان الهجرة لم تتناول سوى لبنان وما اتصل به من الجبال لان الجبلين انوى من غيرهم على تحمل المشاق وفطم النفس عن الراحة والزناهيّة ولان بلادهم قاحلة لا تخرج لهم على الجملة اكثر مما تخرج ولكن الامر على عكس هذا لان سكان السهول ايضا ممن يسهل عليهم الارتزاق من اراضيهم قد غادرونا الى ارض المهجر في طلب الرزق. كانت الهجرة مقصورة على المسيحيين اولا فتمدت الى المسلمين سنيهم وشيعيهم والى الاسرائيليين والدروز والنصيرية والاسماعيلية وكانت لا تغطي لبنان الغربي ولبنان الشرقي فها قد امتدت اليوم حتى اخذت تشلب من سورية حتى سكان المدن المرفهين منها مثل اهل دمشق وحلب وبيروت وطرابلس وصيدا والقدس وتساوى ابناء هذا الوطن الواحد في مئادة مساقط رؤوسهم الى اصقاع اغنى فيها افراد ولم يزل عشرات الالوف في فقر وفاقة

يهاجرون كل يوم بالعشرات حتى كادت بعض الاقاليم تخلو من شبانها كلهم فها هذا البوق الذي نفخ في سورية من غربيها الى شرقيها ومن شماليها الى جنوبيها حتى اسمع الصم فكاد عدد المهاجرين من ابناءنا يربو على ثلث مليون من الشبان العالمين وظل البنات عوانس في بيوت آبائهن والنساء معطلات عن التناسل حتى نتأت من ذلك مفساد في الاخلاق لا توازيها الارباح مما كثرت والاجاد مما استطات وربت

قلت اليد العاملة بقلّة الشبان في هذه الاقاليم حتى بقيت بعض الاراضي باثرة معطلة لقلة من يقوم على تمهدها وتعذر تلي ارباب الاملاك ان يجدوا عملة لاعمال الزراعة ولو اغلوا لم الاجور. وان اجرة البناء في وادي التيم لتبلغ الريالين ولا تجد بناء لا يعمل واجرة العامل البسيط ثلاثة ارباع الريال وقد نأتمحصل على القدر الذي تريده من امثاله واجرة فاعل الحراث مع الفدان ريال ونصف وقد لا تجده ولم يكف الناس هنا بيوار ارضهم بل ان بعضهم في الحولة قلعا بالالوف غراس التوت الجيد لانهم لا يظفرون ايام مواسم الحرير بالقدر اللازم من اليد العاملة التي تقوم عليه وآثروا ان يزرعوا اراضيهم ما امكن من القمح والشعير على غلات الحرير

كل هذا يجري في البلاد والحكومة لا تفكر في طريقة ناجحة تدفع عنها عوادي الهجرة التي كادت تسلب منها الروح. وان هذا القطر الشامي الذي لا يزيد نفوسه على ثلاثة ملايين ونصف ليعز عليه ان يفارقه نحو عشر سكانه الاقرباء ولا يأتيه من المهاجرين الا الخاملون الذين قد تعطيمهم الحكومة ارضا فيبيعونها وسكة ومحراثا فيتمثلون

عنهما ثمن بخس وبذاراً فياً كلونه ثم تراه يتسولون وبنهم في شوارع البلاد موثرين الراحة مع الدل الشديد على العناء مع العز الاكيد

ولقد لاحظنا في سياحتنا ان كل قرية او بلدة ليس فيها ولو بضعة من المسيحين تكون الى الخمول والخراب اكثر من القرى التي يكثر فيها اناس من غير المسلمين وذلك لان جمهور المسلمين اتكلوا في الماضي على الحكومة لتعليم وتربيتهم فما استفادوا وهيئات ان يفلح قوم بعقدون رجاءهم بن يكيفون المعارف بحسب اهوائهم ولكن المسيحين نشطوا من عقالم بعد حادثة الستين فتعلم ارنوذكسيهم في المدارس الروسية واليونانية وبابويهم في مدارس الفرنسيس والطلبيان وبرتستانتيهم في مدارس الانكليز والاميركان والالمان وهكذا حتى جاء منهم جيل راق في الجملة ارتفع عن مستوى الجيل الاخر مسلماً كان او درزياً او نصيرياً او اسماعيلياً

ومن الاسف ان القرية التي يبلغ سكانها المسلمون القلائج لا ياتهم مدرسة والقرية التي لا يتجاوز سكانها المئة مسيحي تشهد لم مدرسة ومدرستين كما لا تشهد للاولين جامعا ولا مصلى وللآخرين الكنيسة والكنيستين ثم تجد التجارة بايدي المسيحين يزيد غناهم كل يوم بتماضدهم ومضائهم ويزيد اخوانهم المسلمون كل يوم فقرأ بتفاسلهم وتكاسلهم نقول هذا ونحن على مثل اليقين بان هذا القطر كسائر اقطار العالم لا ينهض الا بنهوض السواد الاعظم من اهله وهم هنا من المسلمين وان من اكبر دواعي الاسف ان يرحل عن هذا القطر اكثر ابائنا تعلقاً ومضاء وهم المسيحيون ولو رجعوا ورجع سائر مواطنيهم على اختلاف مذاهبهم الى هذه الديار لمحوها واحيوها واضطروا الحكومة بعملهم ومطالبتهم المشروعة ان تعمر لم الطرق وتعطيهم الامتيازات بالمشروعات العمرانية التي تعود عليهم وعلى البلاد بالخير والنماء ويكفي بانها تخلصها من وطأة الاجنبي والدخيل فان من الكثرة قوة وكثرة العيال احدى اليسارين



اخبار وافكار

مطبعة بدون حبر

بالانفاق وقع اختراع هذا الاختراع كما وقع اختراع كثير غيره فقد اراد مهندس انكليزي منذ احدى عشرة سنة ان يأخذ قطعة من القود فتدحرجت على المنضدة فضغط عليها بدون اختيار على ورق ندي كان موضوعاً على صفحة من المحدث جعلت على موصل كهربائي غير منفرد فدعش لما رأى صورة القطعة قد طبعت طبعا صريحا على الورق بلون اسمر وكان الرجل ممن يحسنون معرفة الكهر بائية فالحذ يبحث علميا عن سبب هذا الطبع بالعرض فصرف عشر سنين في تطويق هذا الاختراع على طبع الحروف وقد ذكرت احدى المجلات العلمية المهمة انه قد نجح مؤخراً في اختراعه فاما عن الورق الندي بوري جاف بلبل بمواد كيمياوية تحسلاط مع الورق عند ما يعمل وهذا الاختراع نافع جداً في طبع الكتب المهمة

عميان الاميركان

في نيويورك سبع مدارس للعميان الفتيان يقرأ فيها الفتيان والصبيان مع المبصرين نلى معلمات يلقين عليهم دروساً واحدة معينة فيسأل الاعمي والبصير على السواء ولا فرق في تعليمهم الا في الكتب والكتابة لان العمي يقرأون في كتب كتبت بحروف بارزة نلى اصول برايل وقد وقع تعديلا منذ اواخر سنة ١٩٠٩ فقربت فائدتها واصبحت ثمراتها مضمونة فربية فيتعلم الولد الاعمي كما يتعلم البصير ويشترك في الالاب الرياضية والاعمال الصناعية ويحمل على معلومات ارقى مما كان يتعلم سابقاً من مثل صنع السلال والاكياس والمكانس والجوارب كما هو الحال في مدرسة العميان في مصر بل قد اخذوا يعلمونهم ما يكونون به مستخدمى تليفون وكاتبين على آلة الاحتزال يتوصلون الى الكتابة بالة عادية والى الاحتزال بقلم رصاص بسيط وبقلمونهم الموسيقى والبيباو والكنجة وغيرها من آلات الطرب فيصبحون قواماً بهذا الباب ويتمرن الفيات منهم على الخياطة ونفصيل الفساطين والاردية وعمل الازياء والطبخ . والعميان موضع عناية خاصة من الجميع فيأخذون بايديهم ويتودونهم الى يورتهم ونرى اقوا دروسهم يكفل القوم لهم بايجاد اعمال في التجارة والصناعة ويرسلون باذكارهم عقلاً الى السكليات بأخذون من علومها ما داب لهم

بحيث يخرجون ليكون منهم موظفون . فاللهم هي للبعيرين منا اسباباً كذه حتى اذا كشفت عن ابصارهم وبصائرهم يفكرون م في تعليم العمي اعانة البائسين

كان في فرنسا في آخر سنة ١٩٠٨ ٥١٢٠٠٠ انسان محتاج للاعانة منهم ٣٥٤٠٠٠ شيخ تجاوزوا السبعين و ١٠٠٠٠٠٠ عليل و ٥٨٠٠٠٠ مريض مرضاً عضالاً ومعظم هؤلاء البائسين تبعث اليهم نظارة الاعمال والاحسان الاجتماعي مرئياتهم الى بيوتهم وتختلف من ٥ الى ٣٠ فرنكاً في الشهر و ٣٩ الفاً منهم تؤويهم في اماكن افامتها لهم كالمستشفيات وغيرها يصرف عليهم في السنة اربعة ملايين ليرة تدفع الحكومة نصفها والنصف الآخر جمعية الاحسان وفي فرنسا الآن ١٦١١٨ مكتباً لجمع الاحسان غير جمعيات الحكومة تفيث زهاء مليون من السكان سويسرا والغرباء

تحاول جمعية الاتحاد الوطني في سويسرا ان تحل مسألة الغرباء في بلادها لانهم دامموها ولا سيما في البلاد الواقعة على النجوم بحيث كادت تصبح منهم في امر مريح فقد بلغ عدد الغرباء في تلك الجمهورية الجميلة ٥٦٥٠٢٥ شخصاً وسكان البلاد ٣٦٧٥٠٠٠ اي ان في سويسرا ١٥١ غريباً من كل الف وطني سويسري وفي بعض الاماكن يكون عدد الاجانب ٤٠ في المئة والغرباء في لوغانو اكثر من السكان الاصليين وقد قررت الجمعية ان تعتبر سويسراً كل من يخلق في ارض سويسرا من الاولاد بعد الآن . ومعلوم ان لغات سويسرا هي الالمانية والافرنسية والايطالية يتكلم بالاولى ٦٩ شخصاً في المئة وبالثانية ٢١ في المئة وفي الثالثة ثلاثمائة الف شخص فقط وفيها ٥٦ الف في المئة يدينون بالمذهب البروتستانتي و ٤٢ في المئة كاثوليك

الالكحول في اميركا

في اميركا كما في اوربا جمعيات كثيرة لمقاومة المسكرات وقد وفقت احدى جمعياتها الى ارجاع ثلثائة الف رجل فقط عن عادة تناول المسكرات القبيحة ومن الغريب ان ثلاثين الفاً منهم اسسوا لانتفهم جمعية وقاموا ينادون بالاقلاع عن الكحول وجمعيتهم هي الجمعية الوحيدة التي كان اعضاؤها كلهم من السكيرين قبل سنين

عمران الولايات المتحدة

وافق مجلس النواب الاميركي على ميزانية سنة ١٩١٢ فكانت ٥٦١٢٧٠٤٤٨٠٣٠٠

فرنكاً او نحو ٢٥٠ مليون ليرة عثمانية اي نحو تسعة اضعاف الميزانية العثمانية ومن هذا المبلغ ٣٠٥ ملايين لاستهلاك الدين العام و ٧١٠ ملايين للاعمال العامة منها ٢٤٥ مليوناً لفتح برزخ باناما و ٦٣٢ مليوناً وكسر للبحرية وزهاء ٤٦٦ مليوناً للبرية . ومنذ مئة سنة لم تكن ميزانية هذه الجمهورية سوى ٤٢ مليون فرنك او اقل من مليوني ليرة عثمانية منها ١٦ مليوناً للجيش و ٨٤٥٠٠٠٠٠٠ للبحرية و ١٦ مليوناً للديون ولكن سكان الولايات المتحدة لم يكونوا نلّ ذلك العهد سوى سبعة ملايين نسمة فزادوا اليوم ٣ اضعافاً في مئة سنة وزادت نفقات الحكومة تماين ضعفاً عما كانت

حكاية العناصر

كتب جان فينور رئيس تحرير المجلة الباريزية مبحثاً في هذا المني جاء فيه ان اختلاط الالسن والشعوب في برج بابل ليس الا العوبة عادية للاولاد بجانب تأليف الام الحديثة فانك ترى في البودقة الواسعة التي تخلط فيها الاوطان والشعوب الفروق الفسيولوجية نخل بسرعة مدهشة كما تخل العقول الآتية من اطراف الكرة كلها لان سهولة المواصلات ونشر التجارة بين الامم وانتشار الافكار واشتراك الكافة بها كل هذا آخذ بتقريب الاميال والحواس المدبرة للانسانية وكل يوم يكثر اجتماع الناس ويتناول المجموع كمية أكثر من البلاد والعبد

والغالب ان قد انقضى دور القائلين بعلو عنصر نلّ آخر والخطاط عنصر عن اخيه فان يابان قد سارت غيرها من امم الرب بعد ان عقدت المعاهدات مع شعبين مما في مقدمة شعوب الحضارة الانكليزية والفرنسية واصبحت الصين دستورية في حكومتها وستعود الى سكانها اخلاقهم الحرية فيضطر الناس الى احترام الوانهم ومعتقداتهم والزواج سائرون نلّ سنة الاربعة عشر بسرعة تلي الاضطراب في نفوس اشياغ المتوهمين بالعناصر والالوان وقد ارتقى الزوج في الولايات المتحدة منذ ستين سنة ارتقاء انسى ان اصلهم افريقي ولكن لا يمحو سيئات جنون البشر قرونآ قرن في التعقل ولا بد ان تظل الحروب الآن بين ابناء آدم تصبغ اديم الارض بالدماء بضعه اجيال اخرى ويبقى للبلاد العظيمة من حيث حضارتها الحق ان تكون توبة لئلا تنمقد في حروب الغد تراثها من الحكمة والجمال

وانا اذا اطلقنا اليوم كلمة عنصر فذلك لانها اصبحت مشابهة لكلمة بلاد او سكان البلاد فليس معنى قولنا عنصر الفرنسي انهم كلهم من اصل غالي كما يدعي بعضهم بل

قد امتزج بهم نحو ستين عنصراً وشعباً اقامت في فرنسا او اجتازت بها اجتيازاً ففهم
الاكيثون والبالجيكيون والغاليون والليكور يون والسميريون والنوتونيون والسويقيون
والالامانيون والسكسونيون والثانداليون والسمريون والسبكيون والفسكونيون
والفينيديفون الذين أكثروا من المستعمرات ومن جملة مستعمراتهم مدينة نيم وهي
اجل مدنها ثم العرب والسلافيون والفينداليون والفيثاليون والروثيرون
والاغاتيرسيون والبورغونديون والبالاسجيون والصابيون والتيريون والاتروسكيون
واليهود المراكشيون والانداسيون الذين زحزحهم ديوان التفتيش عن ارضهم وديارهم
ثم ان من الفرنسيين اليفريون والمغول والهونسيون والاوز والحزر والابر والكمانيون
وغير ذلك من العناصر والشعوب مثل البولونيين والهفتيين السويسريين (والايريين
(الاسبانيين) وغير ذلك وربما بعض الزوج

فوحدة الدم ليس بينها وبين ما تمتاز به امة من الصفات الاخلاقية والعقلية بل ان
امتزاج دم الشعوب بعضها ببعض تزيد في قيمة الشعوب والعناصر وما بدعيه بعضهم من
ان العنصر الالمانى كان اليوم ارقى من العنصر الفرنساوى لانه حفظ في دمه شيئاً كثيراً
من اصله هو غلط وهم لان العنصر الآري والمدنية الآرية والجنس الآري لم توجد
بل هي اختراع يكفي في تزيفه بان قال بعضهم ان الآريين اتوا من الشرق وقال آخرون
من آسيا وغيرهم من الهند وآخرون من بكتريانيا وغيرهم من البلاد الواقعة بين بلاد اورال
وبحر الشمال وادعى بعضهم ان الآريين اتوا من جنوبي غربي سيبيريا وغيرهم انهم من
اواسط المانيا وغربها وآخرون انهم من الشمال واكد غيرهم ان الآريين هم اوربيون حقاً
هذه اقوال علماء الانسان اما علماء اللغة فمنهم من يزعم ان الآريين اتوا من جنوبي غربي
اوربا ومنهم من يقول بل من اواسط آسيا وغيرهم انهم من الفولغا وآخرون من بحر
البلطيق . وهكذا اختلف اولئك المتغفلون في الوان الآريين وجماعهم وقاماتهم
ومدنياتهم وكيف مدنوا غيرهم وما كان عملهم واظنهم لا يزالون مختلفين في الآريين
قروناً بعد لان الاوهام كالا كاذب قد تطول حياتها ولا تأتي عليها الشدايد لئلا تسفها

وما قيل في العنصر الفرنسي يقال في العنصر اللاتيني نلّى الجملة فان الفرنسيين
والطليان والاسبان والبرتغاليين والرومانيين والارجنتينيين والبرازيليين وغيرهم من
الشعوب الاخرى في اميركا الوسطى كل هذه الشعوب ليست من اصل واحد بل تختلف
اصولها باختلاف سجناتها وما السجنتات هي التي تربي الارواح بل ارواحنا هي التي

ترابي سخنانا وما هيئة الرؤوس التي هي تجمع بين الشعوب وتوجد بينها رابطة القرابة بل
حالتهم المتشابهة في الاستمتاع بالحياة او العذاب بها

ولقد كان يظن بعضهم انه يقتضي مرور عشرة احياء حتى يخلط شعب بآخر وتذهب
من بينها الفروق ولكن مثال الولايات المتحدة امامنا لا يحنج الى عرض فكلمة كانت
الامة قوية رحب صدرها و سهل عليها ان تدس فيها الصفات الاجنبية ومنذ بضعة قرون
لا تجد عنصراً خالصاً من الامتزاج بغيره ولا شعوباً تألفت من وحدات متشابهة معلومة .
وما الايمان في الحقيقة ونفس الامر سوء البولونيين والاورترتبيين والفانديين
وغيرهم من القبائل والشعوب السلافية وهم الذين ساعدوا على تأليف ذلك العنصر بل قد
قال نيتش الفيلسوف الالماني وكان من اصل بولوني ان الجرمانيين الحقيقيين قد نزحوا
الى الخارج وان المانها الحالية هي مرحلة تقدمها العالم السلافي

ومثل ذلك يقال في الطليان فليسوا ابناء الرومان في الحقيقة بل فيهم اجناس كثيرة
امتزجت دماؤها بدمائهم فقد دخل فيهم السيسكانيون والليبورنيون وهم من الشعوب
الافريقية والبلاسيين ومن تفرع منهم والاتروكسيين والسلافون والسابتون
واللونكبارديون والبيزانطيون والغاليون والمصريون والهونان والاسبان والصقالبة واليهود
والنورمانديين والعرب والبروتون والجرمان وغيرهم من العناصر والشعوب كالعنصر
السامي وغيره فأين الدم الابيطالي الصرف .

وان انكلمنا على اعتزالها في جزائرها لم ننج من اختلاط غيرها بها ففيها دم زنجي
ودم افريقي وفيها السرماني الجرمان والابيري دع عنك الفرنسيين والالمان وغيرهم ممن
امتزجوا بالدم الانكليزي حديثاً . والاسرائيليون الذين بافخرون بطمارة دهم لا
يستطيعون الا ان يغضوا ابصارهم حياء امام الحقيقة التاريخية فقد كانوا قليلاً
عدهم عندما وصلوا الى فلسطين فامتزجوا بالعرب والفلسطينيين والهيتيين وغيرهم من
القبائل واعطوا دهم الى كثير من الامم وناولوا منها دما حتى ان شعباً تركياً برمته اسمه
الشاراز قد دان باليهودية وانتشرت شريعة موسى في العالم وادخلت في مجموعها
من كل العناصر

فالشعوب كالافراد ليست كبيرة باصولها التاريخية ولا معنى لاسمها وعددها مادام
الشك يتطرق اليهما والذي يهم في الامم كنزها العقلي والاخلاقي وفضائلها الغريبة
التي طبعت عليها ارواحهم ونور عقولهم الذي يطوف الاقطار والامصار . وما من شعب

يسمو على آخر وينحط عنه من حيث تركيبة بل ان هناك شعوباً نقلت مدنيتهما او تكثر
وتحس المآتي اولا تحسنه في جهاد الحياة والواجب على امة تريد ان تمزج غيرها بها ان
توجه عنايتها الى افكار الشعوب وتسهيل ارواحهم . وما سعي روسيا في جعل جميع
رعاياها روساً وسعي جرمانيا في جعل اهلها كذلك وسعي العثمانية في تتركب عناصرها
وكل ما تعتمد اليه هذه الدول من وسائل القضاء على القوميات الاثنية باطلة فقد
اضمحلت بوهيميا تحت السلطة النمساوية قروناً كثيرة وأخرج شعبها من عداد الاحياء
وذرت لغتها وآدابها ولكن الدولة الضئيلة الوطنية بقيت حية تحت جبال من الرماد
ولما سكنت العاصفة عاد التشك وظهروا ذات يوم انفسهم وعنصرهم ومقاومتهم الالمانية
اكثرت من ذي قبل . وجزيرة كريت الصغيرة بالاسلة التسعة ستضم عما قريب الى
يونان على الرغم من عناد الحكومة العثمانية (?) وعمى رجال السياسة وكذلك الحال في بولونيا
وفنلندا . وان الاستيلاء على الشعوب استيلاء وحشياً قد مضى وانقضى فالواجب
استئالة القلوب واستئباع الارواح وان الامل الذي يدفن في اعماق القلوب اقوى
من طرقات المطارق على اجسامنا فالام تحيا ما دامت لا تريد الموت
الصحافة الانكليزية

زاد في الخمسين سنة الاخيرة نفوذ الصحافة البرميه وقوتها في المجتمعات الحديثة
بحيث اصبحت احدى الادوات الهائلة التي ما قط استعملت لخدمة المطامع والحايات
البشرية . فقد اصبحت السياسة والاعمال ونشر الافكار العالية والدفاع عنها وخدمة
المصالح المالية والاحتياط لها العضد العام والعامل الاكيد . فهي للمؤرخ الاجتماعي
بانتشارها العجيب ودخولها بكثرة في جميع اعمال الحياة الاجتماعية ذات فائدة قوية
ومن تأمل آثار الصحافة في بلد واسلوبها ومراميها يتأني له ان يحكم حكماً معقولاً
صحيحاً جداً على مميزات تلك الامة الاقتصادية والاخلاقية وعلى درجة عقولها وضعفها
وقوتها وابغائها واسترسالها وعلوها ونزولها في سلم الاجتماع . وعلى كل جريرة ان ترضي
الاميال لتجها وتعيش وتخطب عقل قرائها وما مجموع صحافة كل امة الا اثر من آثار ترقيةها
وما من بحث أفيد واعلق بالاذهان في هذا الشأن اكثر من الارتقاء الذي حدث
في الصحافة الانكليزية فانها مثلت الاطباع والعظمة وكل ما فكرت فيه انكلترا واهتزت .
وصحافتها اسمى من صحافة منافسيها بما فيها من الحياة واتساع العمل وكال الاسلوب
وجلاء المبادي التي تديرها والبحث فيها درس لا نظير له للمؤرخ والصحافي . ويرجع

ارتفاع الصحافة الانكليزية الى اسباب عديدة منها ما هوأت من عنصر الانكليز وعقله ومنها يرجع الى ضرورات مادية حاضرة فالصحافة الانكليزية لا تضاهي صحافة مثلاً بمدتها وتنظيمها المادي المنقطع القرين وما مثلها صحافة تشخص على ما يجب روح بلادها وتؤثر مثل تأثيرها في الفكر العام والمصالح العامة ولم تبرح منذ قرن تدبير دقة السياسة البريطانية وتوحي اليها الحطط الواجب اتباعها وان انكثرا لمدينة بقيام ملكها ومجدها لرجال صحافتها لما تنبأوا به عن جرأة استقبل بلادهم ولما فطروا عليه من الوطنية العاقلة على نحو ما هي مدينة بمجدها ورجال سياستها

ولقد كانت منافسة صحافتها على شدتها تظل دائماً الى الادب شكلاً ومعنى وما قط عمدت الى الابتذال لانها لاتراه قوة كذلك ولا ترى الثنائم حجة في كل حوار كانت تعرض الشيء وتقيضه بعدل يدهش كل من لا يعرف اخلاق الانكليز السياسية . وقد اجتمعت الصحافة الانكليزية زماً ، قرن الى عهد ظهور الصحف التجارية بان وضعت نصب عينها في كل حال المصاحبة العامة قبل الصالح كلها . ومهما كان من حالة الاحزاب التي تنسب اليها جرائمهم فديروها لا يبيعون جرائمهم من الحكومة فليس للحكومة انكثرا نفقات سرية تصرفها للجرائد ولا في نظاراتها موظفون يعهد اليهم ان يعطوا الصحف ايضاحات فجرائد لا تنطق بلسان الحكومة ولا هي غير رسمية ولا نصف رسمية .

والفضل في ارتفاع صحافة انكثرا رخص اسعارها وقبل صدور جريدة «الديلي ميل» منذ ١٤ سنة لم يكن في انكثرا جريدة يزيد ما يطبع منها على ٢٥٠ ألف نسخة ولا تباع النسخة باقل من عشرة سننيمات . وجريدتا «الديلي تلغراف» «والبال مال غازت» وهما للطبقة العالية والوسطى لم يقرب المطبوع منهما من هذا القدر وعلى ما بذلتاه من العناية ظلنا واقفين . وجريدتا التيمس والسندارد اللتان يتمتعان ببركر ادبي راق كان يتأتى لها زيادة المطبوع منها لو صحت عزيمتهما عليه ولكنهما لم يريا حاجة ولا رغبة في ذلك فكانتا فتحكان في اعلاناتهما بقدر ما استطيعان ولم تجدا حاجة للاستكثار من القراء ان تسير مع الاذواق الجديدة او تمسك بهديهما وخطتهما واذ كانت هاتان الجريدتان تصف حروفهما بالايدي وتطبعان على عدة ورقات «من ١٢ الى ٣٢ ورقة على ورق جيد قد يقع ثمنه قبل طبعه اغلى من القيمة التي يباع بها من الجمهور» لم يكن امامهما لكثرة المطبوع منهما الا الاعلانات فتحكان فيها فحكما يسد به العجز في ميزانيتهما

ولما ظهرت الصحف التي تباع بخمسة سنتيات على ورق رخيص مطبوعة ومصفوفة بالآلات كاملة اتجهت الصحافة وجهة ثانية وتمدد بها الرأي العام والسياسة البريطانية وتأثرت الصحف القديمة من منافسة الصحف الحديثة كل التأثر وكانت تميل الى رأي المحافظين ويقرأها اهل الطبقة العالية او الوسطى بخلاف الجديدة التي كانت ذات آراء متقدمة وقراء كثيرين من العامة وخلفت جريدة الديلي ميل جريدة الايكو فظهرت الصحف الحديثة في مظهر احسن من مظهر القديمة حسنة التحرير وافرة الاخبار كالصحف القديمة فلم تلبث ان احرزت ثقة السواد الاعظم واثارها لها واقطعت الوفا من قراء منافسيها حتى عجزت ~~كثيرات~~ من هذه عن المقاومة فانقطعت عن الصدور واضطرت اخرى مثل الديلي نيوز والديلي كرونيكل ان تتخذ الاساليب الجديدة وتمدد خطتها ونزل اثنائها فجودت بذلك شبابها واطرت الجرائد العظيمة كالتيمس والسناندارد والمورنن بوست والغلوب شيئاً من العناد واخذن بعش بشهرتهن القديمة وثروتهن السالدة وذلك بفضل اخلاص قرائهن الدائم لهن ولكن التيمس والسناندارد وهما مثال الدقيق المفرط والنقايد المجسمة عادتوا تجذبها الضرورات التجارية ومالتا الى تكثير المطبوع من اعدادهما والميل بصحيفتيهما نحو الديمقراطية في ظهورها وبالصحافة الرخيصة تسربت الى الجمهور افكار جديدة نبهته الى الحياة السياسية وقوت عزيمته فصحت ارادته على الانفعال بها فهبط نفوذ الاشراف والطبقات الوسطى القديمة وارتفع نفوذ الاشتراكية السياسية وتحطمت الاحزاب القديمة بحيث عجزت عن البقاء او كادت ودعت الصحف الجديدة الى معاضدة العملة وبأمت واكثرت في الدفاع عن قوانين النضامين والمعونة حتى كادت تضر بمصلحة الوطن كل ذلك لتستميل قلوب القوم وتسعة كثير من القراء وكان في مقدمة الجرائد المسموعة الكلمة في هذا الباب الساهرة على ارضاء الجمهور بالنزول الى درجة افكاره جرائد الدايلى مايل والدايلى اكسبرس والمورنن ليدر التي اخذت بمد قليل من صدورهما تطبع مئات الالوف

وجريدة الديلي ميل هي التي احدثت هذا التبدل في مظهر الصحافة الانكليزية وافكارها وصاحبها واسمه الفرد هر مسورت يدير اليوم بنفسه او بواسطة رجاله معظم المشروعات الصحافية سيم انكلترا ٠ بدأ مديراً لجريدة اسبوعية أسست سنة ١٨٨٨ وكانت اوشكت ان تكون الى خطر بصنيع القائمين عليها فاروشتا في اقل من سنة حياة خارقة للعادة بحيث بلغ المطبوع منها ٧٨ الفا بعد ان كان ١٣ الفا وذلك بان فتح سباقا

بين القراء يتال فيه جوائز مالية كل من يوفق اليها كأن كان يضع لم سواءً وهو من
يقدر كم دخل مصرف انكلا ترا من النقود المدينة والذي يحوز يكون له راتب ينقاضه
طول حياته قدره ليرة كل اسبوع فاهتم الجمهور لهذه المسابقة وكانت النتيجة بعد اقل
من ثلاثة اسابيع ان ارتفعت المبيعات من جريدته الاسبوعية من ٧٨ الفاً
الى ٢٠٠ الف

وهكذا جرى الصحافي في كل المشروعات التي قام بها بالابداع في الاسلوب
والتيقظ والبذل في سبيل النجاح ولما صدر جريدة الديلي ميل في ٤ ايار سنة ٣٩٦
لم يبع منها نسخة بل ارسلها الى الوكلاء و-هــا في المستودعات وكان يطبع منها كل يوم
مائتي الف على اسلوب كله مستحدث ولم يكتب له النجاح بد شهر من صدور جريدته
الا لانه عرف حاجات الجمهور ورعاها فقد كان القوم قبله يتلون الجريدة ليقفوا على
رأيها في الحوادث والرحال يأخذوا منها وذلك بانهم ان تختار من العشرة الى
العشرين الى الثلاثين سائماً يذولونها ولا يخافون اما اليوم فانهم يساعدون الجريدة
لوقوف على ما يجري مثل الانباء الخارجية والحوادث المختلفة واخبار المحاكم والآراء
في الازياء والرياضات مما يهتم له جمهور الناس ويميل اليه أكثر من جميع المناقشات
الفكرية يريد ان يتناول معلومات بارخص الامتنان وقد نشأ هذا النشوء في الافكار من
حالة الحياة الجديدة وما تتطلبه من السرعة والمضاء ومن انتشار التعليم العام وكان
الفضل لصاحب الديلي ميل الذي لاحظ ذلك قبل غيره وعرف من اين تولى كل
الكتف فيه ففي جريدته مثال جديد من الفواصل بين الحوادث واختصار في النصوص
وقليل من الاثاء المكلف المدبج وكثير من الحوادث فتقدر بنظرة خفيفة ان تطلع
في خمس دقائق على كل ما حدث ونقل في جريدته المقالات الافتتاحية وتكثر فيها
الحياة والمعلومات تلفت النظر ابدأ واللمحة اقرب الى العامة والطبعة والرسائل البرقية
والنظرات الاجمالية مختصرة على الجملة والحوادث كثيرة فالقاري يتلوها بسرعة غير
محتاج الى تأمل وغاية ما يلزمه قليل من الانتباه فجريدته ولا جرم جريدة رجل العمل
المستعجل الجريدة التي تقرأ في المركبة والحافلة والسكة الحديدية والممر مأخوذ عمله
وبعبارة اصح جريدته حديثة النشأة فهي تحوي جميع الاخبار التي تنشرها الصحف
القديمة بأسيسها ولكنها اجل في الاسلوب واقل كلفة على الجيوب اي ان ثمنها نصف
ثمن ارخص الجرائد القديمة

أسست سنة ١٨٢٧ م مقبولة جداً في عاصمة الانكلز وبين الاشراف المتوسطين واشرف الارياف . وجريدة المورن ليدر غر بية مقبولة من العامة بقرية باووضعها وكثرة مكاتبها في الخارج كثرة لا تضاهيها فيها جريدة اللهم الا التمس والدبلي تلغراف . ثم تجي الصحف الاسبوعية التي تصدر يوم الاحد فمنها جريدة النيواوف دي ورلد وجريدة اللويد وكل منها يطبع مليوناً واربعمائة الف نسخة

بين هذه الصحف نشر صاحب الدبلي ميل جريدته فنظر نظرة بليغة فبين تقدمه فلم ير ان يسبقه في انشاء جريدته ولا في رخصها ورأى ان اصداها قبل ميعاد الصحف مما يهي لها قراء كثيرين خارج لوندرا فقد كانت هذه العاصمة تطبع بين الساعة الثانية والثالثة بعد نصف الليل وتساير الساعة الخامسة في القطارات فتصل الى الاماكن التي تبعد ثمانية كيلومتر عن لندرا وقت الفطور والى الاماكن البعيدة ثلثمائة واثنين وعشرين كيلومتراً حوالى الظهر فاكثرى صاحب الدبلي ميل قطارات خاصة لجريدته تسافر الى الجهات الخنلفة فتوزع جريدته الى ابعد الاماكن قبل ان يتناول المطالعون جرائد ولاياتهم نفسها مخافة ان يكشفوا بهذه عن مطالعة الصحيفة اللندنية وكان لذلك يطبع جريدته قبل ساعة ثم قبل ساعتين من طبع رصيفاته وبذلك استغنى كثير من القراء خارج لندن عن سائر صحفها وبعض صحب الولايات وارفع معدل ما يطبع من الدبلي ميل بعد بضعة اشهر من ٢٥٠ الفاً الى ٤٧٥ الفاً ولم يلبث ان صار ٧٠٠ الف ولم تصل الى السنة الثالثة حتى بلغ المطبوع منها مليون نسخة واصبحت اليوم تطبع مليوناً ومائتي الف نسخة في حين تطبع التيمس ٥٥ الفاً فقط والدبلي اكسبرس ٢٠٠ الف والدبلي تلغراف ٣٥٠ الفاً والدبلي نيوز ٣٠٠ الف والمورن ليدر ٣٥٠ والساندارد ١٢٠ الفاً والدبلي ميور ٩٠٠ الف وجريدة ابفن نيوز وهي فرع للدبلي ميل تصدر في المساء ويطبع منها ٢٥٠ الفاً . وقد فكر صاحب هذه الجريدة في شئ الى انكثرت أراى مدينة منتسرة على ثلاث ساعات ونصف من لندرا متوسطه بين بلاد ايكوسيا ونفوسها ٧٥٠ الفاً وهي مركز تجاري مهم فانتأ فرعاً لجريدته هناك فيها جميع ما في جريدته اللندنية من الاخبار والمقالات منها ما يرسله من الدرا مع البريد ومنها ما يرسله على لسان الرق فنخرج الدبلي ميل في منتسرة في الوقت الذي تصدر فيه لندن وبذلك تسني له ان يبيع من الجريدة الثانية مائتي الف نسخة فيكون مجموع ما يبيع من الدبلي ميل ١٦٠٠٠٠٠ وقد اصدر فرعاً آخر لجريدته في باريز يبيع منه عشرين الف نسخة كل يوم واحيت

بعض منافساته ان تحذو حذوه واكتنفا لم تفلح لانه اخذ دونها المقام الاول في القاصية كما اخذه في الدانية

واغرب من هذا وذاك ان صاحب الديلي ميل اصدر فرعاً من جريدته بحروف برايل النائثة بصفتها عميان ويطبعونها ويوزعونها وهي للعميان فيها الاخبار السياسية وغيرها تصدر مرة في الاسبوع في ١٦ صفحة وهذه الجريدة هي لخدمة الاسانية المحضة وذكرها اجمل سطور في تاريخ الصحافة المصرية

وبانتشار الديلي ميل الى هذا القدر اقبل ارباب الاعلانات عليها وآثروها على غيرها ولولا ذلك ما استطاع صاحبها ان يتكبد مثل هذه النفقات واستعمل اساليب التجارة في اصطياذ المعلنين فلم يكف كميته من ارباب الصحف ان يقصد المعلنون ادارته باعلاناتهم بل اخذ يبعث برسله الى التجار يقاولونهم على اعلاناتهم والاعلان في انكلترا اهم اسباب التجارة وبدونه نزل الارباح كما قال بعضهم بل ان امتاع الصحف يوماً واحداً عن نشر اعلانات التجارة اصعب على الامة من وقوف السكك الحديدية وانقطاع الاسلاك التلفونية والبرقية ويكفي ان لندن وحدها تنفق في السنة على الاعلان فقط ملياراً ونصف مليار فرنك — انتهى ما عرّيناه عن المجلة الباريزية وعسى ان يكون فيه لاهل الصحافة العربية غناء فيطرسون على آثار الصحافة الانكليزية الراقية

موظفو فرنسا

الغالب ان فرنسا اكثر بلاد الحضارة موظفين ففيها الآن ٩٦/٨٥٥ موظفاً على اختلاف الطبقات واذا أضيف اليهم موظفو الجزائر وتونس وغيرهما من المستعمرات الفرنسية الذين يتقاضون رواتبهم من ميزانية تلك البلاد زاهر الموظفون من الفرنسيين مليون موظف فكان لفرنسا موظف واحد لكل ٣٨ مكلفاً يتقاضون في السنة ملياراً وخمسمائة وعشرة ملايين بضاف اليها ١٠٨ ملايين رواتب رجال الملكية و ١٢٠ مليوناً رواتب العسكرية

بين القاهرة والرأس

عزم رجلان المانيان احدهما ضابط والاخر جيولوجي ان يجتازا المسافة بين رأس الرجاء الصالح والقاهرة في السيارة (اتوموبيل) والمسافة بين البلدين عشرة آلاف كيلومتر وذلك ليتأكدوا فيما اذا كان يتأتى لهذه المركبة ان تحمل ركاباً وبضائع بين جنوبي افريقية وشمالها وسيقطران مركبة اخرى الى السيارة التي نقلهما وتكاف نفقات

انشائها مائتي الف مارك على ان الخط الحديدي المنوي به ربط تينك المدينتين احدهما بالآخرى قد تم بعضه ومؤخراً افتتح فرع من واد مدني الى سبارو وقد بلغ طول مامد منه من الجنوب ١٥٠١ ميل (نحو ٢٤٠٠ كيلومتر) الفرع الجنوبي تسير قطاراته الآن من كبتون الى المحل المسمى سبار اوف كونغو في مملكة الكونغو الحرة اي على مسافة ٢٣١٢ ميلاً (نحو ٣٧٠٠ كيلومتر) فيبقى بعيداً عن الخطوط بعد ٢٠٦٠ ميلاً (٣٢٠٠ كيلومتر) فيكون على هذا التخطيط طول هذا الخط كله ٥٨٧٣ ميلاً منها ٣٨١٣ ميلاً قد نجزت والقطارات تغدو فيها وتروح وستجمل لها طبقة رابعة للفراة
سكة طرابلس

احتفل في الشهر الماضي بافتتاح الخط الحديدي بين طرابلس الشام وحمص وطوله ا كيلومترات يتف القطار في ثمان محطات ويقطع المسافة بين البلدين في اربع ساعات وهو من الخطوط العريضة مثل بعض الخطوط الحديدية في سورية وهذا الخط اصبت كثير من مدن الداخلية في سورية مرتبطة بالسواحل فاؤل ما ربط منها يافا بالقدس ثم بتهتها دمشق بيروت فخوران ثم خط حيفا ودمشق وحيفا درعا المدينة وربطت بيروت بحلب واليوم ربطت طرابلس بحمص وما والاها
كتب الاولاد

من مقالة لاحد الدالين من الاوربيين ان كتاب الولد يجب ان يحوي شرطين رئيسين ان يعجب القاري به ويهتم له والاعجاب به يكون بما يحويه من الصور والاهتمام له يكون بما تضمه من الموضوعات اللطيفة وهذه الصفات تحتاج لتأليف كتاب من هذا النوع الى رجل مفن ورجل كاتب وان يكون كلامهما مفطورين على معرفة مخاطبة الاولاد ولما يتوفر ذلك . وقليل في كتب الاولاد المفيد لان الاسفار التي تجعل بين ايدي الاطفال هي في العادة سقيمة الانشاء غيلة التصوير كأن المؤلفين والمصورين يقصدون الى ادخال السامة على نفوس الصغار بما يكتبونه ويرسمونه على ما اتفق فالقصص التي يوردونها ملة يريدون ان يعلموا بها بدون ان يسألوا وان يعطوا دروساً في الاخلاق والتهديب لاتستميل قلوبهم وليست سوى مواعظ وما اخرى تشبهها بمقول بائر لا تثبت فيها زهرة ولا تجذب فيها ما يبعث حماسة الشبية نعم هي صور مضحكة يفهمها الولد على حسب مداركه ولكنها لم تخرج عن كونها قصصاً عامية ينغم فيها الابتذال الى فساد الاحكام . فارة لا لاجذب فيها تنعب قارئها اذا قرأ منها

الصحة الاولى فيمغلى عنها قبل ان يتها . فالآداب التي يدرسها الاطفال هي ولا جرم مخالفة للتصدي منها في معظم البلاد . فلنا هذه شكوى البلاد الافرنجية من رداءة كتب الاطفال عندهم وهي ما هي فها هو الحال اذا في مدارس البلاد العربية

تجار الاميركان

لكل مخزن كبير في الولايات المتحدة مدرسة خاصة لتعليم مستخدميهما وبائعيهما تعليماً تجارياً خاصاً يدرسون في الغالب كما يدرّب الجند لان تجار الولايات المتحدة قد ايقنوا بانه يصعب ايجاد مخازن كبرى اذا لم يكن فيها نظام مدقق ولذلك يدخلون الصياف والبنات الى هذه المدرسة في الرابعة عشرة من سنهم فيعلمونهم في الصباح الحساب والانكليزية ليحيدوا التكلم بها كما يعلمونهم الافرنسية ويمرّونهم نصف ساعة على الالهاب الرياضية كل يوم لتكون حركاتهم منتظمة شأن المستخدم اللبق وفي النهار يشغلونهم في اعمال المحل واكن بدون ان يختلطوا مع الزين . وبعد تمرينهم ثلاثة اشهر على هذا النحو يبدأ بتعليمهم معرفة الاصناف التجارية وفي المساء يعلمونهم شيئاً من التعليم النظري فيدرسون مثلاً كيفية عمل البضائع ومحال عملها بحيث يستطيعون بعد ان يلقوا درساً مختصراً ان يريد ان يتتبع زوجاً من الجوارب ويوقفونهم على علم النفس لان هذا العلم نافع لهم نفعه للتصصّي والعالم . واهر البائعين المرغوب فيهم هم اهل ارلندا

التلغراف اللاسلكي

زيد في هذا التلغراف اختراع جديد مركوبي نجح بواسطة طيارة تنقل في النهار رسائل برقية كهربائية الى مسافة ٥٦٠ كيلومتراً وكانت رسائل التلغراف اللاسلكي حتى الآن لا تنقل الا في الليل خاصة وبهذا الاختراع الجديد يمكن ارسالها في كل ساعة والى كل مكان ونخل الاشكال الذي كان ناجماً من المخابرة التلغرافية من سفينة مبحرة مع اي محطة في الشاطئ وكانت

حمى مالطة

ثبت ان هذه الحمى تنقل في لبن الماعز وذلك لان الحكومة منعت الحامية هناك من اعطائهم لبناً حليلاً في جملة الجراية اليومية . وكان ثبت ان لبن البقر ينقل جراثيم السل ولا يفيد فيه الا التعقيم الشديد

المقاس

حالة الجو «الطقس»

« الفواعل الطبيعية التي تؤثر فيها وتعدل على ما تصير اليه »

لا بد ان يتلقى قراؤنا الكرام هذا الموضوع بما يستحقه من الاحتفاء بعد ان الفتت انظارهم اليه الثلوج التي تراكت في هذا الشتاء على ربوع البلاد فسدت المسالك وسافت حيوانات البر من كهوفها وأجارها لتشارك الانسان في مسياكنه ونشيطه طوره شظف العيش في مكانه

وقد خيل لمن لا المام لهم بالانواميس الطبيعية ان كثرة شرونا قد كانت السبب لهذه الضربة الالمية والحقيقة ان خطايانا كثيرة في كل سنة فلو كانت هي الداعي لذلك لاقتضي ان لانفارقنا الضربات على مر السنين

وعما لا ريب فيه ان المحسك ازمنة السماوات والارض بيده قد سن للطبيعة شرائع تسير بموجبها وتنتج معاً ما نشاهده من الظواهر الفلكية والتقلبات الجوية التي تختلف باختلاف اتجاه هذه الفواعل وكيفية ارتباطها معاً واجتماعها او تفرقها على ما سنيناه

ومع ان العلوم والمعارف هي ومجموع اختبارات البشر لا تزال قاصرة عن ايضاح معظم ما نتوق النفس لمعرفة، مما لا يزال وراء حجاب الغيب فانها قد كشفت لنا الشيء الكثير من اسرار الطبيعة حتى صارت الميتيورولوجيا والظواهر الجوية علماً جزيل المنفعة للملاح والزراع والتاجر وغيرهم من ارباب المهن والحرف وقد تبين من درس طبيعة الهواء والنور والحرارة وحركات الارض ومهابة

الرياح والجازبية وغير ذلك ان ثقلبات الجو وظواهره بين صحو ومطر وحر وبرد الخ خصوصاً عن اتحاد افعال السبع القوات الآتي بيانها:

(١) دورة الارض اليومية على محورها

(٢) دورة الارض السنوية في فلكها

(٣) الجاذبية التي تشد الهواء الى الارض

(٤) قوة التبعاد عن المركز الناجمة عن دورة الارض على محورها وعن قوة استمرار حركة الهواء

(٥) قوات دقائق المادة المعروفة بالحرارة والنور والانفة الكيميائية والكهربائية ، وقوة الاشعاع التي تصل الينا بالاشعاع من الشمس ، وجميع الاختلافات والتقلبات الموقعة على عرض الاماكن وحركتي الارض اليومية والسنوية

(٦) فقد الحرارة بالاشعاع من الارض والهواء

(٧) اختلاف تمدد الاجسام باختلاف توزيع الحرارة في الهواء لتوقف ذلك على مراكز القارات والاقيانوسات وعلى وجود أبنجرة سهلة التكشيف كالتي تكون ممزوجة بقارات لا تنفك عنها ، وعلى التفرجين والاكسيجين اللذين يتركب منهما معظم قارة الهواء

فأدنى تهيير في هذه القوات او في كيفية عملها يحدث تغييراً في ما يحيط بنا . ويتصعب علينا التنبؤ بالدقة عن حالة الجو لاننا لا نزال نجعل ما وراء كرتنا لارضية من الفواهل . ولكننا نعلم ان قوة ما تنقل دائماً من الشمس الينا بسرعة جاذبية الثقل او النور وتغلغل الهواء المحيط بنا وبها يعلل تكون الشفق وذلك ان هذه القوة اسماء ايونس $Electrons$ او الكترولونات $Krypton$ متى تكهت تخرف عن سيرها المستقيم طالما تخالط الهواء وترسم منحنيات لولبية الشكل . وعندما اتصل هذه الدقائق ببعض الغازات من مثل الكربون $Krypton$ يستثير الغاز فيكون من ذلك نور الشفق الذي يشاهد في الاماكن القريبة من القطبة الشمالية أكثر من غيرها كأعلى اسوج ونروج وشمال كندا وغيرها

اما الغيم والمطر والثلج والبرد وسائر ممتلكاتها فتكون بالطريقة الآتية
تلقي الشمس اشعتها على مياه الاوقيانوسات والبحر والبحيرات وما مائلها من المستودعات المائية فتسخن الهواء الملاصق لها وللبايسة وتبخر الماء فيخف ويصعد في الهواء

المشبع رطوبة الى الطبقة التي يتكون فيها الغيم . وتمدد الهواء بالحرارة ايضاً فيصعد بقوة يدفع بها الهواء المجاور له من الجهات الاربع . ومعنى هذا الدفع انه ينفق شيئاً من حرارته كلما صعد ودفع ، مما يجاوره حتى يبرد اخيراً وتغلب فيه الرطوبة فيبتدي^١ انه يتكاثف بشكل الغيم او السديم . وهذا التكاثف انما يتم بالتفافه حول ذرات الغبار ودقائق الالكترونات التي تقدم ذكرها فنكسى هذه الذرات بالرطوبة كما يكسى في الصيف ظاهرها ابريق زجاجي ملآن ثلجاً . وفي ذلك فكلاً زاد الغبار في الجو زاد تكاثف الغيم وقيل المظهر الذي لا يهطل الا من اواسط الغيم او قلبه حيث الغبار قليل وذلك لان ضغط على الغيم والهواء الاعلى منه ونسبة جف الغيم ان يكون مكهرباً بارداً الى درجة تكون الندى . فمن غيمة كبيرة يكونها الهواء الرطب حول دقائق المادة قد يوجد جزء صغير فقط خال من الغبار فيتمدد بسرعة كافية لتكوين ماء المطر

ومن هذا يتضح ان اطلاق المدافع الكبيرة في الهواء اذا وصل دخانه بما فيه من الدقائق الى مساواة الغيم يحدث غيماً ويمنع وقوع المطر لان المطر لا يسقط الا من قلب الغيوم حيث يقل الغبار او يخلو بشائناً

اما اذا سقط المطر وكان الهواء بارداً جداً فانه يجمد . فاذا كان الهواء جيب من جميع الجهات لعب فيه ودوره فيسقط برداً والا فاذا سكن الهواء سقط عطياً ككتف التطن وهو الثلج الذي تكسى به قمم الجبال وسائر الاماكن العالية الباردة

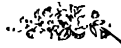
ولمعرفة اوقات سقوط المطر او الثلج يجب ان ندرس مهاب الرياح وعلاقة البرد من كلف الشمس ومنطيسية الارض وغير ذلك مما يصعب معرفته بالدقة

غير ان الآلات التي اخترعت حديثاً للدلالة على حالة الجو وهي البارومتر والثرموتر اي مقياس ضغط الهواء ومقياس الحرارة كثيراً ما تدل على حدوث الامطار والزوابع بالضبط قبل وقوعها بزمان يختلف بين ١٢ و ٢٤ ساعة وما ذلك الا لتأثرها بضغط الهواء وبلغ ما فيه من الحرارة والرطوبة التي نقل او تكثرت تبعاً للفواعل العديدة الطبيعية كما يدها آتفاً

فرطوبة هواء الهند مثلاً تأتي من بعد شاسع اي من جهة الجنوب الغربي للاقيانوس الهندي وهواء اوربا يؤثر سفي افريقية وهواء جنوب افريقية يؤثر في آسيا وهكذا فكان الهواء كره مرنة ينتقل فعل الفواعل على احد جوانبها الى كل جانب ولذلك فجونا عرضة للتأثر من الاعلى اي من الفلك الذي وراء حدود الهواء ومن القطبين ومن

جانبى خط الاستواء فلا يكاد بفعل فيه فاعل الا و يظهر تأثير ذلك فى مجموعه . ولهذه الاسباب لا يمكننا معرفة اوقات وقوع الامطار والثلوج واشتداد الحر والبرد وغير ذلك الا اذا عرفنا تأثير جميع الفواعل والمؤثرات فى اتحاد العالم . وهذا ما يسعى العلماء لرصده ومعرفته حسبما تمكنهم الاحوال

وقد لا يمر بنا زمن طويل حتى تصير نبوات العلماء موضوع ثقة القوم فيعرف الناس جهات الرياح واوقاتها وازمان سقوط المطر والثلج بضبط يكاد يقرب من كنه الحقيقة وفى اوربا واميركا الآن معاهد خاصة فلكية تنبئ بتغيير حالة الجو انباء جزيلة النفع للانسانية . وعمما قريب تنفتح عيون الناس فى آسيا فيخمنون هذه الخطة العملية ويحارون القوم فى حياتهم العمرانية بيروت خليل سعد



السراسرة او الزرارة

Les Censeurs

(١ تمهيد) من احسن ما يفيد اللغويين والكتاب والمربين واصحاب نادي دار العلوم تتبع الالفاظ الدخيلة فى العربية ومعرفة الاصل الذى اخذت منه . فان التتبع عن هذا الامر يكفينا مؤنة وضع بعض المصطلحات الجديدة مع وجودها عندنا . هذا فضلاً عن منع كثير من الالفاظ عن التسرب الى لغة قريش الفصحى وحبس مواد اللغة عن ان يعيث فيها عاث والذب عن حياتها ومناهلها الراقية وتحفيف حمل الحافظة لكثرة ما توفى فى هذه الايام بنشر الصحف المختلفة الموضوعات . وخوفاً من ان ننوء باثقالها فتبعض . ولهذا فاحسن واسطة تتخذ فى هذا الباب ان يسعى الى اقفاله باقرب وقت واخصر طريق يسعى فى تحقيق اصول الالفاظ الدخيلة حتى تعاد الى نصاب معانيها التى وضعت فيها ويحافظ على المعاني التى نقلت اليها فى لغة العرب

وقد اهتمت فى ابجائى الى بعض هذه الحروف وتحقيق اصلها من ذلك كلمة «سرسور»

(٢ حقيقة اللفظة نقلاً عن اللغويين) السراسرة جمع سرسور قال فى محيط المحيط : الزرزار (او الزردار) (قلت : كذا بدال مهمل قبل الالف) : البطرك (كذا . والاصح البطريق لان العرب خصت لفظة بطرك او بطريك او بترك او

بترك او بطريك بالرئيس الديني الذي هو فوق رئيس الاساقفة بخلاف الطريق فانها قد وردت عندهم بمعنى البطرك وبمعنى كبير الشرفاء من الروم والرومانيين اي بكلا المعنيين (زرارة (او زرارة) . اه كلام المحيط وقال قزيمسكي : الزرارة *Patriciens* (*chez les Grecs de l'empire d'Orient*) وقال فريتاك : زرارج زرارة : *Patricii graecorum* ثم زاد : وفي الاوقيانس : زرارج زرارة . وفي التاج : الزرارة البطارقة كبراء الروم جمع زرزار بالكسر . وفي التكلة : الزرارة البطارقة . ولم يذكر الكلمة اللغوي الانكليزي « لين » صاحب مد القاموس . ومن اغفل ذكرها صاحب الصحاح والمصباح واسباس البلاغة والنهاية ومخضرها . لا بل وصاحب لسان العرب ايضاً وهذا في منتهى العجب لان الكتاب ضخم في عشرين مجلداً وقد حوى الفاظاً دون الزرزار شأناً ومع ذلك فقد اهملها الا انه قال في مادة س ر ر : السرسور : الفطن العالم . وانه سرسور مال اي حافظ له . ابو عمرو : فلان سرسور مال وسوبان مال : اذا كان حسن القيام عليه عالماً بمصلحة . ابو حاتم : يقال فلان سرسور يه سرسورتي : اي حبيبي وخاصتي . ويقال : فلان سرسور هذا الامر : اذا كان قائماً به . ويقال للرجل : سرسر : اذا امرته بمعاالي الامور » اه النص . ولم ينبه على ان السرسور هو تصحيف زرزار . ومن ثم فانك لا ترى في لسان العرب اثرأ لهذه الكلمة الاخيرة بالمعنى الذي اشار اليه اللغويون

اما السرسور فقد ذكرها جميع اللغويين اصحاب المطولات قال في التاج : السرسور : بالضم . الفطن العالم الدخال في الامور بحسن حيلة . . . وعن ابي حاتم : الحبيب . . . الى آخر النص الذي ذكره صاحب اللسان . وقد نقل اصحاب دواوين اللغة كلام ابي حاتم فلا حاجة الى ايراد جميع نصوصهم الآخذين عنه عبارته هذه بدون تغيير وقد ذكرناها . واما صاحب محيط المحيط فتد غلط في قوله زرارة بالبدال بعد الالف وانما هي بالواو قال في التكلة : الزرارة : البطارقة الواحد زروار كما نقلناه فويق هذا

ولم ينبه احد من لغويي العرب الى انها من اصل اعجمي واما الافرنج فلا اعرف منهم الا فرنكل اذا قال بانها من اصل فارسي او ارمي قال : سفسير = سبصار وفيها لغة وهي سرسور والعربي اذا رأى كلتا اللفظتين : الزرزار والسرسور لا يشوقف في ان يقول انها

من اصل واحد وهو : « الزور » مكررة مع تصحيف فيكون معناها : « رئيس الرئيس » اي الرئيس الكبير . لان الزور هو الرئيس وليس الامر كذلك ولا سيما الزرار لانهم شرحوها بمعنى الطريق او الكبير من الروم . فلا يمكن ان تكون الكلمة الرومية اي لائينية وهي Censor اي سنسور ثم صحفها العرب وتلاعبوا بلغاتها كما فعلوا بلغتهم فنولدت منها الفاظ كثيرة مرجعها الى واحدة . وقلهم التون رآء هين مستفاض في كتبهم والشواهد فيه لا تعد ولا تحصى في الالفاظ العربية الفصيحة كما قالوا في ربح ساكرة : ربح ساكرة . وقالوا الزون والزور . والوكر والوكن . والمبور والمبور (العنكبوت) وتأمرو عليه وتأسن وما فيه خبر ولا حنبر . والمركوس والمنكوس . الى غير هذه الالفاظ وعليه قالوا في سنسور : سرسور . ومن العرب من كان يقلب السين زايًا منقوطة ويجعل الالف المنقطة اي ه الاخرنجية تارة الفاء وطورًا واوًا كما في صلاة وصلوة . وحياة وحيوة . فقالوا على هذا القياس زرار .

ولعل الاصح ان اللفظة اول ما وردت في كلامهم جاءت مجموعة بصورة زرازرة او زرازرة ثم تومموا مفردا زرار حملاً على مادة عربية وكان السرسور او السنسور من ولاية القضاء عند الروم وكان من وظيفته احصاء ابناء الرعية الرومانية وتقدير اموالهم وتدير بيت المال او خزانة المملكة . ثم امتدت سطوتهم حتى بلغت شأواً بعيداً في النفوذ وشأنًا خطيراً في السلطة حتى قلد الزرازرة نقابة انشرف الروم فصارت وظيفتهم كوظيفة نقيب الانشرف عند المسلمين في عهدنا هذا . بل واوغلوا في السطوة حتى قلدوا امر مراقبة الآداب ونزول الاشراف عن مناصبهم العليا وابعاد شيوخ المجلس الاكبر عن مناصبهم بل وربما طردوهم من المجلس طرداً لا مرد لهم اليه

وكانت هذه الوظيفة مقيدة بالبطارقة لا غير . ومن ذلك تعريف العرب للزرازرة بمعنى البطارقة . ثم لرخي عنان جوادها فقبض عليه وعلا صوته كل من كان اهلاً للعلی وان كان من السوق

على ان اصح وجه اللفظة هو « السرسور » كما جاءت في اغلب كتب الائمة الا انها وردت عندهم بالمعنى الفرعي لا بالمعنى الاصلي اي انها جاءت بالمعنى الثاني الذي انتقلت اليه في الرومية واشتهرت به في عهد صدر الاسلام لانهم قالوا في تفسيرها : الغطن العالم الدخال في الامور

وان قيل لنا : « ان سرسور هو تعريب يسور واصل معناه الشبان فرحاً » (كتاب

الالفاظ الفارسية المعربة تأليف السيد ادي شير ص ٨٩) قلنا : لا يقول هذا الكلام الا من اراد المزء والسخرية باهل العلم والتحقيق والا اي مناسبة بين هذين المعنيين . وكيف سمي الروم صاحب مقام من اهل المراتب العليا عندهم باسم فارسي . تلك اضحوة من المضحكات المبكيات . هذا فضلاً عن ان العقل يأبى مثل هذا الوضع الغريب والتأويل البعيد السجيب ولا سيما لان جميع اللغويين متفقون على ان الزارزة هم البطارقة اي عليا اشرف الرومان . والسراسة هم الفطنون العلماء الدخالون سيفي الامور كأن العرب جعلت لكل فرع من المعنى فرعاً من اللفظ نفنناً وتمييزاً لفظاً من لفظ وهم كثيراً ما يفهلون ذلك

هذا وتأويل السرور بالمعنى الذي عقده بناسيته اهل اللغة يوافق كل الموافقة للتأويل المختلفة التي جاءت بها لفظة *Censeur* فان هذه اللفظة الفرنسية وهي نفس اللفظة الرومية *Censor* تعني ما يأتي : (١) الذي ينقد مسلك الناس واعمالهم . (٢) الذي ينتقد مؤلفات المصنفين ومواقع فيها من الاوهام والاعلاط (٣) احد عمال الحكومة نقيمه على فحصر الكتب والجرائد والمجلات وهو الذي سماه كتاب هذا العهد بالمراقب (٤) ورسور الدروس عندهم القيم بشؤونها وبحفظ قوانينها (٥) ورسور المصرف (البنك) ورسور شركة تجارة وقد فوض اليه تحقيق اعمال المديرين والقيمين بشؤونها . اه وهذا كله يصح فيه معنى السرور على موجب ما اثبت . معناه اللغويون اي الفطن العالم والحسن القيام على المال العالم بمصلحته

هذا ما اردنا ايراده بخصوص اللفظة واصلها ومعناها عند العرب سابقاً ومعناها عند الافرنج في عهدنا هذا . وامكان دخول مخلف معانيها في لغتنا اذ الجامعة بين شعبها موجودة عندنا ايضاً وهذا كله من منافع الوقوف على اصول الالفاظ والبحث عن انسلاها في لغتنا . بقي علينا ان نذكر ما يتعلق بهذه اللفظة من امرها في التاريخ فنقول :

« ٣ السرور في التاريخ » كانت اقامة رتبة السرور او السنسور في الطبقة الاولى عند امة الرومان . وكان ينتخب اصحابها انتخاباً الى زمن محدود مضروب . واذا قلدها واحد من اصحاب سلطته توازي سلطنة القنصل مع ان هذه السلطة هي ابنة تلك لا غير . وكان يقام السرور في الاصل لتعداد النفوس كما يدل عليه اللفظ نفسه « سنسور مركبة من سنس *Census* والاداء الدالة على الصاحبية والسنس هو تعداد النفوس » ومن بعد ذلك امتدت . بطرته الى اصلاح الاخلاق وتهذيب خروب الجماعات وطبقاتها . ومن

ثم كان يشارف السوق والبطارقة حتى اذا اخذوا بشي^١ وجب عليهم ان يزكوا انفسهم
كلما اقتضت الحال او دعاهم السرسور ان يتبينوا ما يعزى اليهم . ولم تكن وظيفة او
رتبة او منصب من مقامات الدولة الرومية الا وتخضع لسلطة السرسور او الزراز .
وبما كان يكلف به السهر على كل ما يتعلق بالمصالح العامة كالجسور والاقنية والابنية
العامة والقناطر والمعاير الي غيرها . وكانت هذه السطوة او السلطة تلو في الشعب
الروماني بقدر ما كانت تدحط وتهوي في مجلس شيوخهم على انها لم تأخذ بالانحطاط الا
لما دب الفساد الى الامة كلها وسرى الى الخاص منهم والعام سراً وجهاً حتى فشا في
السراسة انفسهم ولقد كان لقب الزراز من الشرف الرفيع ما حدا بقيصر وصائر
الانبراطرة ان يتسموا به ويتخذوه لانفسهم

واما في بلاد اليونان فان الزازرة لم يفوزا بما حظي به من النفوذ زملاؤهم
الروميون فان زرازرة أثينة واسبرطة لم يقلدوا ذلك اللقب الا تقليداً اديباً ليس الا
وقد بقي الزراز حتى في عهد بعض جمهوريات ايطالية الاخيرة كجمهورية البندقية
مثلاً ثم انقرض بانقراضها

وكان اول دخول هذا اللقب عند الرومانيين في نحو سنة ٣١٠ من تاريخ رومية اي
سنة ٤٤٤ قبل الميلاد . وكان قد لاحظ مجلس رومة الاعلى ان القناصل الذين كان
من دأبهم الاشتغال بتسيير الوفود العسكرية كانوا يستطيعون ايضاً ان يحافظوا على
اعمال الافراد الخاصة فكان اول من ارثى الى هذه الدرجة العليا اثنان من البطارقة على
ما رواه طيطس ليفيوس

*L. Papirius Mugillanus' L. Sempronius atratinus, Censui Agendo
populus suffragiis Præ fecit Censores, Abs re appellati*

وكانت مدة مقامهم باديء بدء خمس سنوات ينتخبونهم في مجالسهم الكبرى يسمون
هذه المجالس مجلس القوامسة Comitia او مجلس الزازرة Centuriata
فقد قال احدهم وهو ق . اسكونيوس بديأنس Q. Asconius
Pedianus: يماذ انتخاب الزازرة كل خمس سنوات وهذه عبارته اللاتينية .

Censores quinto quoque anno creati Solebant
الا ان هذه المدة الطويلة وسوست في صدر الذين تقلدوها ما بكدر خواطر القناصل
ويقلقها فتعصرها الدقطور ماركس اميليوس Mamercus Emilius
فانزلها الى مدة ١٨ شهراً فامتعض من ذلك الزازرة وانتقموا من صاحب هذا الاصلاح

بمحو اسمه من قبلك، وتقيده بن عدداد داني الخراج .
 وكان من اللازم في بادئ الامر ان يريد الحصول على هذه المرتبة العليا ان
 يكون المترشح لها من اصل شريف . الا ان هذا القيد لم يدم الا مائة سنة ثم عدل
 لان القناصل كانوا يؤخذون من سواد السوق فساوتوا اولئك بهؤلاء . ولول من أخذ
 من بين ظهراني الشعب هو ك . مرطيوس روتيليوس *C. Marius Rutilius*
 فانه علا وصار دقطوراً ثم رقي فصار زرزاراً مع منليوس ثيلوس *Manlius*
Maevius ومع الزمان سن المدير الاعظم او الدقطور . ب . فيلون
P. Philon سنة . ومما جاء فيها انه يجوز انتخاب السرسور من الرعية .
 والتاريخ يفيدنا ان ق ميمبيوس *Pompeius* وق مئلس *Metellus*
 قلدا الزرارية وهما من السوق وذلك سنة ٦٢٢ من تأسيس رومة . ولم يكن من
 الضروري قبل الحرب الفونية الثانية ان يكون المترشح ممن مارس امراً من امور
 القضاء الاكبر ليصبح اهلاً للزرارية بما ان طيطس ليفيوس يذكر ان بيليوس
 ليفيوس كراسس *Publius Licinius Crassus* لم يكن الا امير
 ابنية *edile* فانتخب زرزاراً وحبراً اعظم معاً . الا انهم بعد ذلك العهد لم يعودوا
 يرقون الى هذه الرتبة الا من كان قنصلاً في السابق . ولم يكن يجوز لواحد ان يكون
 زرزاراً غير مرة واحدة في حياته ان كنت ممن وقف على ما كتب، فاليرس مكسيس
 نتذكر انه قال عن م . روتيليوس انه من بعد ان اقيم زرزاراً للمرة الثانية وبخ الشعب
 توبيحاً شديداً على قلة احترامه لسنن اجدادهم اذ رأوا من المناسب تقصير مدة هذا القضاء
 لانهم تحققوا ان من بقي يديه عنان هذه السلطة مدة مديدة يصبح قهاراً عسوقاً عضواً
 ومن ثم غدا انتخاب الزرزار للمرة الثانية مخالفاً لسنن السلف وقد قال بلينيوس الاصغر
 ان من يوسد الزرارية للمرة الثانية عليه ان يأبأها حباً بالمنفعة العامة
 وكان سلاً ابطال الزرارية الى وقت الا ان اوغسطس قيصر ازالها بتاتاً . وكان
 القيامرة يزاولون بانفسهم ما كان مترتباً على الزازرة الى عهدة اسبسيانس . وبعد وفاة
 هذا العاهل دثر اثر هذا القضاء المطاقي حتى لم يبق منه الا الاسم . وحاول الامباطور
 دقيوس اذته فلم يفلح . ومن اشهر بالزرارية « قاطو او قاطون » حتى غلب عليه
 لقب الزرزار وعرف به . وقد استمدنا فيما كتبناه على عدة أسفار لعدة كتاب من روم
 « اولاتين » وفرنسوين وانكليز .

ساتنا

بغداد

رسائل الانتقاد

« تابع لما سبق »

هذا امرؤ القيس

أقدم الشعراء عصرًا . ومقدمهم شعراء وذكرًا . وقد اتسعت الاقوال في فضله اتساعًا لم يفز غيره بمثله حتى ان العامة تظن بل توقن ان جواد شعره لا يكبو^(١) وحسام نظمه لا يابو^(٢) . وهيهات من البشر الكمال . ومن الآدميين الاستواء والالتدال . يقول في قصيدته المقدمة . ومعلقة المفخمة

ويوم دخلت الخدر خدر عذبة . فقلت لك الوبلات إنك مرجلي

فما كان اغناء عن الاقرار بهذا وما اشك^(٣) عقلته عما ادركه من الوصمة به وذلك ان فيه اعداداً كثيرة النقض والبغض منها دخوله متطفلاً على من كره دخوله عليه . ومنها قول عذبة له لك الوبلات وهي قوله لا نقال الاخسيس . ولا يقابل بها رئيس . فان احتج محتج بانها كانت أراس منه قيل له لم يكن ذلك لان الرئيسة لا تركب بعيداً بدرج او (يمو) ت^(٤) اذا زاد عليه ركوب راكب بل هو بعير فقير حقير فان احتج له بانه صبر على القول من اجل انها معشوقة قيل له وكيف يكون عاشقاً لها من يقول لها

فمثلك حبل قد طرقت ومرضعاً فاهيتها عن ذي تسائم محول

وانما المعروف للعاشق الانفراد بمعشوقته واطراح سواها كالقيس حين في ابلى ولبنى وغيلان بمية وجميل ببشينة وسواهم كثير . فلم يكن لها عاشقاً بل كان فاسقاً^(٥) . ثم ايجز هجوة

(١) بالاصل : يكبو (٢) بالاصل : يابو (٣) كذا بالاصل ولعله يجب قراءتها اشد (٤) هنا اثر اكل ارضه افسد اللفظ (٥) قات ابو فرج قدامة بن جعفر في تأليفه (نقد الشعر) « . . . اني رأيت من يبيب امرأ القيس في قوله فمثلك حبل (البيت) ويذكر ان هذا معنى فاحش وليس فحاشة بل معنى في نفسه مما يزيل جودة الشعر فيه كما لا يعيب جودة التجارة في الخشب مثلاً كدائته في ذاته . » وهذا يعارض انتقاد ابن شرف علي البيت المتقدم

عليه . واستخف سخطه لعينيه . اقراره باتهان الجبل والمرضع . فاما الجبل فقد جبل الله النفوس على الزهد في اتيانها . والاعراض عن شأنها . منها ان الجبل علة وأشباه العلة بالاستسقاء . ومع الجبل كمود اللون . وسوء الغذاء . وفساد الفكرة . وسوء الخلق وغير ذلك ولا يميل الى هذا من له نفس سوفي . دع نفس ملوكي . وأعجب من هذا ان البهائم كلها لا تنظر الى ذوات الحمل . اجناسها . ولا تقرب منها حتى تضع حملها . او تفارق فصلانها . ثم لم يكفه ان يذكر الجبل حتى انتخر بالمرضع وفيها من التغلوث بأوضاع رضيعها . ومن اهتزلها واشغفلها عن احكام اغتسالها . وقد اخبر ان ذات النائم المحول متعلق بها بقوله فالحية عن ذي تمام محول . واستمر انما ظنر ولدها لا ذئله ولا مرضع سواها فدل بذلك على انها حقيرة وفيرة . ومثل هذه لا يصير^(١) انهم من له همة وهذه الصفات كلها تستقدرها نفس الصعلوك والملوك . وقد قال ايضا في موضع آخر من هذا الباب من قصيدة أخرى

سموت اليها بعد ما نام اهلبا سمو حباب الماء حالا على حال
فقلت لحاك^(٢) الله انت فاضحي ألت ترى السمار والناس احوالي^(٣)
حلفت لها بالله حلفة فاحر لنا ما فاما ان من حديث ولا صالي^(٤)

فاخبر مهنما انه حين القدر عند النساء وعند نفسه برضاه قولها لحاك الله فحصل على لحاك الله من هذه ولك الويلات من تلك فشهد على نفسه انه مكروه . مطرود غير مرغوب في مواصلته . ولا محروس على معاترته . ولا مرضي بمساكلته . ثم اخبر عن نفسه انه رضي بالخذل والفجور . وهذه اخلاق لا خلاق لها . ثم أقر في مكان آخر من شعره بما يكتمه الاحرار . ولا يتم بفتحها الا الاوضاع الاشرار فقال :

ولما دتوت تسديتها فتوباً نسيت وثوباً أنجز

واي غر في الاقرار بالفتنة على نفسه وعلى حبه وأين هذا من قول يعقوب الخزيمي ولا اسأل ولدان عن وجه جارتني بعيداً ولا أرعاه وهو قريب

وانما سهل عليه كل هذا حرصه على ما كان ممنوعاً عنه وذلك انه كان مبغضاً الى النساء جداً . مفروكاً من ملك عصبته لاسباب كثيرة ذكرت . وكل من حرص على نيل شيء فنع منه فعلاً . ادعاه قولاً . وله اشباه فيما اتاه . بدعون ما ادعاه . افكاً وزورا .

(١) بالاصل يصبوا (٢) في بعض نسخ ديوان امري القيس : سباك عوض لحاك

(٣) بالاصل احوال (٤) بالاصل : صال

وكذباً وفجوراً • منهم الفرزدق وهو القائل
 هما دلياني من ثمانين قامة كما انقض بازا تم الريش كاسره
 فهذا اول كذبة ولو قال من ثلثين قامة لكان كاذباً لانه اصغر الارشية عن ذلك وقد قرعه
 جرير هذا في قوله

تدليت تزني من ثمانين قامة وقصرت عن باع العلي والمكارم
 وكان مغرمًا بالزنا مدعيًا فيه • وقد بلي بموانع تصدفة عنه • منها ما شهر به من
 النيمة بمن ساعده • والادعاء على من باعده • منها دماسته ومنها اشتهاه • والمتهور
 يصل الى شهوة يتيمها ربة • فكان يكثر في شعره من ادعاء الزنا • واستدعاء النساء
 وهن اغلظ عليه من كبده بعير • وابغض فيه واجهى له من جرير • وخذ اطرف هؤلاء
 الاجناس • وهو سحيم عبد بني الحسحاس • اسود في شملة • دنسة قملة • لا يواكله
 الغرثان • ولا يصاله الصرد العريان • وهو مع ذلك يقول^(١)

واقبان من اقصى البيوت بعدني نواهد لا يعرفن خلقاً سوايا
 بعدن مريضاً هن هيجن ما به الا انما بعض العوائد دائيا
 توسدني كفًا وتحنو بمصم علي وترمي رجلها من ورائيا

فانت تسمع هذا الاسود الشن وادعاءه • وتعلم ان الله لو اخل الارض • فلم يبق
 رجلاً في الطول ولا في الرض • لم يكن هذا الزئمة الزلعة عدد اراك السود ان الكبرة
 بعير • في معر عبر • والمنزوع من الشيء حريص عليه • مدع فيه • والمعد بما هو • كاتم

(١) هو سحيم عبد بني الحسحاس بن هند شاعر مخضرم من الطبقة الاولى توفي في
 نصف القرن الاول للهجرة وكان اسود وكلامه فصيح لانه قليل وغير مدون • واحسن
 شعره قصيدته التي اولها :

عميرة ودع ان ترحلت غاديا كفى الشيب والاسلام للمرء ناهيا
 وهي التي اقتبس منها ابن شرف الايات المارة • وقد ورد منها في كتاب الاغانى
 (طبعة مصرج ٢٠ ص ٥) القطعة الآتية لاغير :

تجمعن من شتى ثلاثا واربعاً وواحدة حتى كل ثمانيا
 واقبلن من اقصى الخيام بعدني بقية ما ابقين نصلاً يمانيا
 بعدن مريضاً هن هيجن داءه • الا انما بعض العوائد دائيا

له مستغن ببلوغ مناه . ودليل على ذلك ان المرقش الاكبر^(١) كان من اجل الرجال وكانت للنساء فيه رغبة . وشدة محبة . وكان كثير الاجتماع بهن . والوصول اليهن وله في ذلك اخبار مروية ولم يكن في اشعاره صفة شيء من ذلك . فحسبك بذلك صحة على ما قلناه . فان قال قائل انما وصفت عن امرئ القيس عيوباً من خلقه لا في شعره قلنا هل اراد بما وصف في شعره الا الفخر . فان قال لم يرد ذلك وانما اراد اظهار عيبه قلنا ما حق الناس اذا هو . ولم يكن كذلك . وان قال نعم الفخر قلنا نقد نطق شعره بقدر ما اراد وترجم وترجم^(٢) عنه قريضه بافحج الاوصاف فاي خلل من خلال الشعر اشد من الانعكاس والتناقض . وكل ما يجزي من الشعر فهو من اشد عيوبه قال ومن كلام امرئ القيس المخلخل الاركن . الفعيف الاستمكان . المتزلزل البنيان . قوله

أمرخ خيامهم أم عسر أم القلب في أثرهم منحدر

وشافذ بين الخليط الشطر وعن اقام من الحى هر^(٣)

وهر تصيد قلوب الرجال وافلت منها ابن عمرو حجر

فانت تسمع هذا الكلام الذي لا يتناسب . ولا يتواصل ولا يتقارب ولا يحصل منه معنى ولا فائدة سوى ان السامع يدري انه يذكر فرقة من احباب لكن ذلك عن ترجمة معجمة . مضطربة منقولة . سأل عن الخيام امرخ^(٤) هي ام عسر^(٥) وليست الخيام مرخاً

(١) المرقش الاكبر واسمه عمرو وقيل عوف بن سعيد بن مالك بن نهي نسبة لبكر بن وائل شاعر جاهلي لقب بذلك لقوله :

الدار كفر والرسوم كرقش في ظهر الاديم قلم

وهو احد عتاق العرب المتهورين وصاحبه ابنة عمه اسماء . وكان المرقش يحسن الكتابة الحبرية كما ورد في كتاب الشعر والشعراء لابن قتيبة

(٢) كذا بالاصل — ٣٠ . ورد هذا البيت في بعض نسخ ديوان امرئ القيس بتقديم عجز البيت على الصدر وفي بعضها بتغيير « شافذ بين الخليط الشطر » بالمصرع الآتي : « ام الطاعنون بها في الشطر » (٤) المرخ بافتح شجر مسرع الوري يقتدح به والمرخ بالكسر الشجر الان الرقيق (٥) العسر : شجر فيه حراق لم يقتدح الناس في اجود مته ويحشى في المخاد ويخرج من زهره وشعبه سكر وفيه مرارة . قال ابو حنيفة « والعسر من العضاء وهو من كبار الشجر وله صمغ حلو وهو عريض الورق صعداً في السماء . وفي الصحاح « وثمرته نفاخة كنفخاة القناد الاصفر » (اقرب الموارد)

ولا عشرًا وإنما عودان^(١) . فإن اراد في مكان هذين الخيام فقد نقض عمدة الكلام لان مرخه وعشره اتى بها تكرتين فاشكل بذلك . وإنما يجوز لو جعلها معرفة بالالف واللام والوزن لا يساعده على ذلك . ثم قال :
 أم القلب في اثرهم منقدر رزق
 وليس هذا السوان من السؤال الاول في شيء الا من بعد بعيد . واحتيال شديد .
 وقال بعد هذا

وشافقذين الخليط والشطر ومن اقام من الحي هر
 فأني بكثير كلام لا يفيد الا قليل معنى . وذلك القليل لا غريب ولا عجيب .
 وهو كله ذكر فراق . ثم رجع الى ان هر فقيمة تصيد قلبه وقلب غيره فابطل باقامتها كل ما قال من اخبار الفراق ونقضه وجعل بكاء المتقدم لغريبي . ثم قال
 وافلت منها ابن عمرو حجر

فحسن عنده ان يخبر ان الناس قد صادت هر قلوب جميعهم الا قلب حجر ابيه . وهذا من الاحاديث الركيكة والاخبار التي ما باحد حاجة اليها^(٢) . ومع هذا فقد اورد اصحاب الاخبار ان هر هذه كانت زوجة ابيه حجر فانظر ما في جملة هذه الايات من الركاكات . وقلة الافادات . فانها لا تفيد قلامة . ولا تهز ثامة . ولسنا ننكر بهذه العيوب ونزارتها . ما اقرنا له به من الفضائل وندارتها . وسنجد من لا يصدق معاصراً . ولا يصدق على متقدم متأخراً . بني على ضعف اسسه . ويفد به من الجبل والعيب بنفسه . فاذا اعترضك من هذا النمط متعرض فاعرض عنه ودعه على اخلاقه . مستقماً بخلاقه . واتبع المسلك الذي اوضحته لك

(١) قال ابن رشيقي (كتاب العمدة باب التبيين) . ومن اعجب التبيين قول امري القيس . امرخ خيامهم (البيت) يقول انزلوا نجدا الذي من نباته المرخ ام الغور الذي من نباته العشر وان الاعراب يعملون خيامكم من نبات الارض التي ينزلونها فاذا رحلوا تركوه واستأنفوا غيره من شجر البلد الذي ينزلون به . . . ولا ارى الاعراب تذكر ذلك كثيراً في اشعارها
 (٢) جاء في عمدة ابن رشيقي (باب الاستعارة) : فمنها قول امري القيس وهو تصيد قلوب (البيت) . . . فكان لفظه هر واستعارة الصيد معها مضحكة هجينة ولو ان اباهم حجراً من فارات بيته ما اسف على افلاته منها هذا الاسف . . . لا على ان امراً القيس اتى بالخطا على جهته ولكن للكلام قرآن تحسنه وقرآن ثقبه كذكر الصيد في هذين البيتين

قال ابو الريان وفضلاء الشعراء كثير جداً ولكل سقطات . وسافلك علي بعضها لعظيم المؤونة في الاحاطة بها ليس الا لاوضح بذكرها منهجاً من مناهج النقد لحرصاً علي بغض الفصحاء . ولا قعداً الي تهجين الصرخاء . واية رغبة لنا في ذلك وهم جرثومة فروعنا . وبهم افتخار جميعنا .

قال زهير بن ابي سلى علي ما وصفناه به ووصفه غيرنا من العلو والرفعة . في هذه الصنعة . من مذهبه الحكيمية . ومعلقته العلمية

رأيت المنايا خبطاء واء من تصب تيمته ومن تخطي بعمر فيهرم
وقد غلط في وصفها بخبط العشواء علي اننا لا نطالبه بحكم ديننا . لانه لم يكن علي سرعنا . بل نطلبه بحكم العقل فنقول اما يصح قوله لو كان بعض الناس يموت وبعضهم ينجو^(١) وقد علم هو وعلم العالم . حتى البهائم . ان سهام المنايا لا تخطي شيئاً من الحيوان حتى يعمها رشقها فكيف يوصف بخبط العشواء رام لا يقصد غرضاً من الحيوان الا اقصده حتى يستكمل رمياته . في جميع رمياته . وانما ادخل الوهم علي زهير موت قوم غبطة وموت قوم هرما وظنوا طول العمر انما سببه اخطاء الخية وسبب قصره اصابتها وهيات الصواب من ظنه لم يؤخر الهرم الا انها قصده فحين قصده اصابته . ولو ان الرماة تهدي كاهتدائها . لملأت ايديها باقصى رجائها
وقال زهير ايضاً في مذهبه

ومن لا يزد عن حوضه بسلاحه يهدم ومن لا يظلم الناس يظلم
وقد تجاوز هذا الحق الباطل وبني قولاً بنقضه جريان العادة . وشهادة المشاهدة . وذلك ان الظلم وعرة مراكمه . مذمومة عواقبه . سيفي جاهليته واسلامنا . فحرض في شعره عليه وان كان انما اشار في شعره الي ان الظالم يهرب فلا يظلم فهذا قياس يتفسد واصل ليس يطرد لكن يهربه من هو اضعف منه وربما انتقم منه بالحيلة والمكيدة وقد يظلم الظالم من يغلبه فيكون ذلك سبب هلاكه مع قباحة السمعة بالظلم والمثل انما يضرب بما لا ينجرم وقد كانت له مندوحة واتساع في ان يقول يهدم ومن لا يظلم الناس يظلم فهذا اصح واسلم لمن لا يظلم ويظلم

قال ابو الريان وقال زهير ايضاً وهو من اطيب شعره والمجى عند العامة وكثير من الخاصة فيها هنا تحفظ وتأمل ولا يهلك ذلك منهم الحق البلج قال

تراه اذا ما جئته مهتلاً كأنك تعطيه الذي انت سائله^(١)

مدح بها شريفاً اي شريف فجعل سروره بقاصده كسروره بمن يدفع شيئاً من عرض الدنيا اليه وليس من صفات النفوس العارفة السامية والهم الشريفة العالية اظهار السرور الى ان تهلل وجوههم وتسرع نفوسهم بهبة الواهب ولا شدة الابهاج بعطية المعطي بل ذلك عندهم سقوط همه وصغر نفس وكثير من ذوي النفوس النغيسة والاخلاق الرئيسة لا يظهر السرور متى رزق مالا عفواً بلا منة منيل ولا يد معط مستطيل لانه عند نفسه اكبر منه ولان قدر المال يقصر عنه فكيف ان يمدح ملك كبير كثير القدر عظيم الفخر بانه يتهلل وجهه ويمتلي سروراً قلبه اذا اعطى سائله مالا هذا نقض البناء ومحض الهجاء والفضلاء يفخرون بضد هذا قال بعضهم

ولست بمفراح اذا الدهر سرني ولا جزع من صرفه المتقلب

وانما غر زهيراً وغر المستحسن بيته هذا ما جبالوا عليه من حب العطاء وما جرت به عاداتهم من الرغبة في المبات والاستجداء وليس كل الهم تستحسن ذلك ولا كل الطباع تسلك هذه المسالك

قال ابو الريان وقال زهير ايضا يمدح - ادة من الناس فذمهم بانواع الذم واكثر الناس على استحسان ما قال بل اخن كلهم على ذلك وهو قوله

على اكثرهم حق من يعتريهم وعند المقلين السحابة والبذل^(٢)

ناول ما ذمهم به اخباره ان فيهم اكثرين ومقلين فلو كان مكثروهم كرماء لبذلوا لمقلهم الاموال حتى يستووا في الحال ويشبهوا في الكرم والحال الذين قال فيهم حسان

المحققين فقيرهم بغنيهم والمشفقين على اليتيم المرملة^(٣)

(١) البيت من قصيدة طويلة مدح بها حصن بن حذيفة بن بدر الفزاري واوّلها :

صحا القلب عن سلى واقصر باطله وعري افراس الصبا ورواحله

(٢) البيت من القصيدة التي مدح بها سنان بن ابي حارثة المري ومطلعها :

صحا القلب عن سلى وقد كاد لا يسلم واقفر من سلى التعانق فالثقل

(٣) جاء هذا البيت في ديوان حسان بن ثابت (طبعة تونس سنة ١٢٨١ ص ٧٢)

على الصورة التالية :

واغلاطون فقيرهم بغنيهم والشمعون على الضعيف المرملة

المرمول القليل المال وارمل الرجل اذا قل زاده وكما قال غيره
 الخالطين فقيرهم بنعيمهم حتى يعود فقيرهم كالكافي
 وكما قالت الخرنق^(١)

الخالطين لجينهم بنصارهم وذوي الغنى منهم بذوي الفقر
 فهذا كله وايبك غابة المدح النقي من القدح ثم استمع ما في هذا البيت سوى هذا
 من الخلل والزلل قال

عَلَى مَكْتَرِهِمْ حَقٌّ^(٢) مِنْ يَتَرْتَبِهِمْ وَتَنْدُ الْمُقْلِينَ السَّامِحَةَ وَالْبَذْلَ
 فِي هَذَا الْقِسْمِ الْأَوَّلِ عِيُوبٌ عَلَى الْمَكْتَرِينَ . مِنْهَا أَنَّهُمْ ضَيَعُوا الْقَرِيبَ كَمَا قَدَّمْنَا
 وَدَعَوْا حَقَّ الزَّرِيبِ وَصَلَةَ الرَّحْمِ أَوَّلَى مَا بَدِئَ بِهِ . وَمِنْ مَكَارِمِ الْعَرَبِ حِمِيَّتُهَا لِلذَّوْبِ
 أَنْسَابُهَا وَذَيْبُهَا عَنْ أَحْسَابِهَا وَالْأَقْرَبُ فَاَلْأَقْرَبُ وَمَا فَضَّلَ عَنْ ذَلِكَ فَلَا بَعْدَ ثُمَّ أَخْبَرَ
 أَنَّ الْمَكْتَرِينَ لَيْسَ يَسْمَحُونَ بِأَكْثَرِ مِنَ الْإِسْتِحْقَاقِ فِي قَوْلِهِ
 عَلَى مَكْتَرِهِمْ حَقٌّ مِنْ يَتَرْتَبِهِمْ

وَمَنْ أَعْطَى الْحَقَّ فَلَمَّا أَنْصَفَ وَلَمْ يَنْفَضِلْ بِمَا وَرَاءَ الْأَنْصَافِ وَالزِّيَادَةِ عَلَى الْأَنْصَافِ
 أَمْدَحَ ثُمَّ أَخْبَرَ فِي الْبَيْتِ أَنَّ الْمُقْلِينَ عَلَى قَدَرِ قُصُورِ أَيْدِيهِمْ أَكْرَمَ طَبَاعًا مِنْ مَكْتَرِهِمْ
 عَلَى قَدَرِهِمْ فِي قَوْلِهِ

وَعِنْدَ الْمُقْلِينَ السَّامِحَةُ وَالْبَذْلُ

وَالْبَذْلُ مَعَ الْأَقْلَالِ مَدْحٌ عَظِيمٌ وَإِثَارٌ وَالسَّامِحَةُ اعْطَاءٌ غَيْرُ الْإِلَازِمِ فَدَحَ بِشَعْرِهِ
 هَذَا مِنْ لَا يَحْطَى مِنْهُ بِطَائِلٍ . وَذَمُّ الَّذِينَ يَرْجَوْنَ^(٣) مِنْهُمْ جَزْءَ بِلِ النَّائِلِ وَهَذَا غَايَةُ الْغُلَطِ
 فِي الْإِخْتِيَارِ وَفِي تَرْتِيبِ الْأَشْعَارِ وَلِزْهَوٍ غَيْرِ هَذَا مِنَ السَّقَطَاتِ لَوْلَا كَلْفَةُ الْإِسْتِقْصَاءِ
 هَذَا عَلَى اسْتِهَارِهِ بِأَنَّهُ أَمْدَحَ الشُّعْرَاءَ وَاجْزَلَ الْوَاقِدِينَ عَلَى الْأَشْرَافِ وَالْأَمْرَاءِ وَسَبَّحَ
 الْمُتَعَصِّبَ لَهُ عَنْ وَضُوحِ هَذَا الْبَيَانِ وَسَبَّحَ جَمِيعَ هَذَا الْبَرْهَانِ وَيَجْعَلُ التَّفْتِيشَ عَنْ
 غَوَامِضِ الْخَطَا . وَالصَّوَابُ اسْتِقْصَاءٌ وَظُلْمٌ وَمُطَالَبَةٌ وَهَضْمٌ وَزَعْمٌ أَنَّ جَمِيعَ الشُّعْرَاءِ لَوْ طَلَبَ
 هَذِهِ الْمُطَالَبَةُ لِبَطْلِ صَحِيحِهِ ، وَانْعَجَمَ فَصِيحُهُ وَبِالْبَاطِلِ الَّذِي زَعَمَ وَالحَالُ الَّذِي بِهِ
 تَكَلَّمَ فَالْإِسْلَامُ سَلِيمٌ وَالْكَلِيمُ كَلِيمٌ وَأَمَّا سَمْعُ الْمَسْكِينِ إِنْ أَلْمَحَ التَّعَرُّمَ فَلَتْ عِبَارَاتُهُ .

(١) هي الخرنق بنت بدر بن هفان اخت طرفة بن العبد لأمه وكانت شاعرة جاهلية

جليلة توفيت قبل الإسلام بنحو سبعين سنة (٢) في عدة نسخ من ديوان زهير ورد لفظ
 رزق بدل حق (٣) بالأصل يرجوا

وفهمت اشاراته ولحت لمحى وملحت لمحى ورققت حقائقه وحققت رقائقه واستغني فيه بلحه الدالة عن الدلائل المتطاولة وامثال هذا الكلام في استعمال النظام فتوهم ان خلل الشعر وزلله وضعف اركانه ونناقض بنيانه وانقلاب لفظه لغوياً وانعكاس مدحه هجواً داخل فيما قدمنا من الاوصاف المستحسنة من لمح اشاراته وملح عباراته فعامل هذا الصنف بعطفك عنهم للعطف ورفعك عليهم الانف واعرض عنهم بالفكر والذكر كبراً وان لم تكن من اهل الكبر وفيما اطلعتك عليه من شعر هذين الفحلين والمنقدمين القديمين ما يغني عن التفتيش على سقطات سواهما ففس على ما لم تره بما ترى واعلم ان كل الصيد في جنب الفرا^(١) . قال ابو الريان ومن عيوب الشعر اللحن الذي لاتسهه فسحة العربية كقول الفرزدق

وعض زمان يا ابن مروان لم يدع من المال الا مسحاً او مجلف
فرفع مجلفاً وحقه النصب وقد تحيل له بعض النحويين كلام كالضرب لا يسمين
ولا يغني من جوع وكقول جرير الخطبي

ولو ولدت فقيرة جرو كلب لسب بذلك الجرو الكلابا

فنصب الكلاب بغير ناصب وقد تحيل ايضاً بعض النحويين على وجه الافقاء احسن منه فاحذر هذا ومثله واياك وما يحذر منه بفسيح من العذر فكيف بضيق ضحك .
قال ومما يعاب به الشعر ويستجته النقد خشونة حروف الكلمة كقول جرير
ونقول بوزع قد دببت على العصا هلا هنئت بغيرنا يا بوزع^(٢)

وهذا البيت في قصيدة من احلى قصائد جرير والمجها واجزلها وافصحها . فثقلت القصيدة كلها بهذه اللفظة وللفرزدق ايضاً لفظات خشنة الحروف كهذه تجدها في شعره قال ويكره النقاد تعقيد الكلام في الشعر وتقديم آخره وتأخير اوله كقول الفرزدق

(١) هكذا بالاصل والمثل المشهور انما « كل الصيد في جوف الفرا » كما ورد في الحديث الشريف وقد نظمه بعضهم في قوله

كل الصيد في جوف الفرا مثل يساق بغير خلاف

(٢) البيت من قصيدة في مدح بعض بني امية قيل لما وصل جرير في انشاده الى هذا البيت قال له الامير الممدوح — افسدتها بوزع

وما مثله في الناس الا مملكا ابو امة حي ابو يناسبه^(١)

مدح به ابراهيم بن هشام الخزومي وهو خال هشام بن عبد الملك فعنى هذا الكلام ان ابراهيم بن هشام ما مثله في الناس حي الاملك، يعنى هشاماً ابو امة اي جد هشام لامة ابو ابراهيم هذا الممدوح فهو خاله اخو امة فهو يشبهه في الناس لا غير وهذا غاية التعقيد والتفكيك وليس تحته شيء سوى انه شريف كأبن اخيه شريف البقية للآتي

ترجمة قانون الجمعيات

— و —

شرح المغمض منه،

لو فتحنا قلب البشر بسكين نهوذا النار لوجدنا في كل قلب (غاية) ولوراجعنا التاريخ من الخليفة الى اليوم لتمثل لنا الغايات وهي لم تخرج من الفكر الى حيز الوجود الا بالاتحاد والاجتماع ولو حللنا ارواح العالم الذي يحولنا من عرب وترك والمالن وروس وانكليز الى لوجدنا ان اجتماعهم واتحادهم وتعاونهم لا يخلو من امرين : اما خيري واما شرى . ولو نظرنا بمنظار الدقة الى الحادثات الروحية لوجدنا ايضاً ان كل خير وشر هو نسبي لا قطعي ونحول ومبدل بحسب الزمان والمكان . الخير لا يزيد شر لكثر . وهكذا كل الموجودات . واء كانت مجردة او مادية او حسية او خيالية او عقلية

فلتل هذه الاسباب ربطت جميع الحكومات^(٢) المتمدنة الاجتماع والاتحاد بقوانين

(١) في رواية يقاربه بدل يناسبه وقال صاحب كتاب الصناعتين البيت في مدح

هشام بن اسماعيل

(٢) كلمة حكومة تتضمن مفهوم كلمة دولة . اذا قيل دولة يقصد بها (١) الملك (٢)

مجلس الوكلاء (٣) مجلس النواب (٤) مجلس الاعيان . واما كلمة حكومة فهي مختصرة

اكثر لانها لا تفيد الا مجلس الوكلاء بالاستثناء ونوابه في الولايات وهذا المجلس مؤلف من اثني عشر رجلاً وهم الصدر الاعظم وهو الرئيس (٢) شيخ الاسلام (٣) ناظر الاوقاف

(٤) ناظر العدلية (٥) المالية (٦) الداخلية (٧) الخارجية (٨) الحرية (٩) البحرية (١٠)

البيارة والنافعة (١١) المعارف (١٢) مستشار الصدارة . ويقال لمجموع هذا المجلس عند

علماء اصول الادارة القوة الاجرائية . ثم هناك فرق آخر بين مفهوم كلمة دولة ومدلول

خاصة مثل قانون الجمعيات وقانون الجماعات . وقانون التجارة وكتاب الشركة من قانون المحلة

نعم كل القوانين نجت مما يتولد من الاجتماع والاتحاد لان موضوعها كناية عن المعاملات وهذه لا تكون بين فرد واحد مطلقاً بل على الأقل بين شخصين اذا يمكن تقسيم القوانين التي نجت عن الاجتماعات الى قسمين الاول ما يبحث عن المعاملات المعتادة والمتكررة مثل قانون مجلة الاحكام العدلية ومنها ما يبحث عن اجتماع قسم خاص من الحلقى ولكنه ايضاً كالاول معتاد مثل قانوني التجارة البري والبحري وقلم يتولد من هذا القسم ما يكدر الراحة العامة ولذلك لا تجب لموظفي الادارة الملكية به علاقة مباشرة اما القسم الثاني فهو يبحث عن الاجتماعات التي لا تكون معتادة ومتكررة وقد يمكن ان تكون في بعض الاحاين من الامور العظيمة والمحلة بالامن العام مثل الاجتماعات التي تقع لاجل الاحتجاج على عمل من اعمال الحكومة . ولهذا وضع قانون الاجتماعات دفماً لكل محذور . ثم هناك اجتماعات منظمة ومتكررة لاستحصل امر مقرر عند المجتمعين ولما كان من الممكن ان يكون هذا الاجتماع مغايراً لسياسة الحكومة ربطته ايضاً بقانون وسمته قانون الجمعيات . وهو غير قانون الاجتماع

اعتقد اعتقاداً جازماً بان هذا التذبذب الاداري المشهود الآن نابع من امرين الاول عدم حصول ملكة الادارة عند رجال الادارة والثاني جهل الشعب حقوقه وواجباته . وبعد فان القانون عبارة عن مجموعة عادات راسخة في الازهان ولذلك لا تقبل الحكومات الاعتذار ببجله ولكن ذلك فيما اذا كان هذا القانون مجموعة عادات الامة المكثفة بتطبيقه لا بمجموعة عادات امة اخرى لا تستطيع ان تفهمه فضلاً عن تطبيقه . ولو فرضنا الشعب شخصاً وارادنا لباسه لباس شخص آخر لمامكنه اكتساؤه واطهر لاول وهلة بشاعة هذا اللباس المادي . وهكذا القوانين التي لا توافق مزاج الامة

كلمة حكومة وهو ان معنى الدولة اعم من معنى الحكومة مثال يقال ان الحكومة العثمانية والدولة العثمانية ولكنه لا يقال دولة دمشق بل يقال حكومة دمشق . وخلاصة اسباب ذلك ان معنى الحكومة الحاكية الداخلية ومعنى دولة الحاكية الداخلية والخارجية . ودمشق لا يوجد لها حاكية خارجية وهل يوجد لها سفير يمثل حاكيته الخارجية ؟ فلذلك كلمة دولة اعم من كلمة حكومة

فمن فقدان ملكة الادارة واشباع الذهن بوجوب التفريخ ونفرة الامة من هذا الحال وجعلها القانون تظهر شرارة الاختلاف وحينئذ ينسى الموظف الخدمة العامة ويصبح آلة انتقام لمن يعاكسه والامة ايضاً تقابله وهناك ما هناك والعياذ بالله فلزالة هذه الحال ارى الحاجة ماسة كل المساس لترجمة القوانين العربية حتى تكون امتنا عارفة حقوقها مراعية واجباتها . ولما كانت الترجمة وحدها لا تكفي بالنظر لان القوانين تكون مختصرة على الاغلب ومبنيّة على نظريات العلماء ومستندة على القوانين الاخرى ارتأيت ان انسرح ما اخذه محتاجاً للشرح . اقدمه اقراء المتقرب السهر بعد الشهر

المادة الاولى الجمعية هي كناية عن اشخاص عديدين وحدوا معلوماتهم ومسايعهم لوقت غير محدود لاستحصاال . قصد معلوم غير مقاسمة الارباح ايضاح — لو كان القصد من توحيد المساعي استحصاال الربح لقبل للجمعية وتقتد سرقة عوضاً عن جمعية

تم معنى (لوقت غير محدود) كما هو مذكور في ضمن المادة هو تفريق الجمعية عن الاجتماع . لان هذا يحصل بثقة ويزول سريعاً . سواء كان مرتباً او غير مرتب اما الجمعية فهي اتفاق اشخاص عديدين بصورة الترتيب ولوقت غير محدود لاستحصاال امر معلوم . وقصارى القول ان الاجتماع يقع لامر وقفي . مثل الاحتجاج على عمل ما او القاء محاضرة وينتهي عند انتهاء الاحتجاج او اتمام القاء المحاضرة . ويكون مرة واحدة . اما الجمعية فاجتماعاتها تدوم وتكرر

وقد مر في المتن كلمة (اشخاص عديدين) بدون تعيين العدد المطلوب . وهذه مسألة مهمة . والاعجب ان المانوساكت عنها كل السكوت . والغالب انه تركها لاجتهاد مأموري الادارة . فلذلك نقرى اقوال علماء اصول الادارة الملكية والاوامر التي تصدر من مراجعها ودلالة القوانين الاخرى

يقول بعضهم ان اجتماع ثلاثة اشخاص بدون اعلام الحكومة ممنوع وبعضهم يقول يجب ان يكون العدد تسعة . وبعضهم يقول احد عشر والكل متفق على ان الحد الاعظم هو العشرون . وبعضهم يقول ان الحرس يتألف غالباً من شرطي وثلاثة انفاردرك وهو لاء لا يقدر على تفريق اكثر من ستة عشر شخصاً بالصورة الجبرية فلذلك يجب ان

يكون الحد الاعظم للمنوع قانوناً ستة عشر وما زاد فهو ممنوع ومجالية للجزاء
اما الاوامر فهي ضيقة جداً لانها تعين الحد المنوع باجتماع عشرة اشخاص حتى
ان الورقة المختومة باحد عشر ختماً ترد ولا تقبل

واما دلالة القوانين الحاضرة فتدل على ان حد الاجتماع ثلاثة اشخاص . وهذه
المادة الاولى من قانون تعطيل الاشغال تقول اذا حصل اختلاف بين العملة وصاحب
المشروع المالي فينتخب العملة من بينهم ثلاثة اشخاص للوكالة عنهم كلهم . وهذا يدل على ان لو
انتخب العملة أكثر من ذلك لما جاز اجتماعهم استناداً على المادة السادسة من قانون
الجمعيات . والمادة الثالثة من قانون الجماعات . وهناك دلالة اخرى ايضاً وهي كذلك
مستفادة من قانون تعطيل الاشغال وصراحة مادته الثالثة وهي : ما دام العملة ينتخبون
ثلاثة وكلاء . وصاحب العمل ينتخب ثلاثة من قبله ونظارة النافعة تعين واحداً للرئاسة اذا
يستتبع بان حد عدد الاجتماع هو سبعة اشخاص

وباليت واضع القانون عين هذا العدد واراخنا من هذه الظنون . وسد لنا باب
هذا الاختلاف الذي ربما قامت القيامة بولابة جمعاء من اجله كما نرى بان الاختلافات
تنشأ من اقل الامور نفاهة ثم تنمو وتكبر

سألت مرة متصرفاً عالمًا ومدققاً اسمه جمال بك عن قصد واضع القانون من هذا
السكوت وترك هذا الامر المهم مبهمًا فقال لي ان القصد من ذلك هو افتراض واضع
القانون بان مأموري الادارة اذ كياؤه بعيدو النظر سرعوا بالانتقال ولذلك لم يرد
تقييدهم بل ترك الامر لفراسيتهم وهل تستطيع ان تذكر عليّ بانه قد يمكن ان يتولد
من اجتماع ثلاثة اشخاص من ارباب النفوذ المزعومين الذين لا يخجلون وديدنهم ظلم
الفقير وتلوّث سمعة المشرّيف اذ مراراً اكثر من اجتماع ثلاثمائة شخص آخرين ولهذا السبب
ترك واضع القانون هذا الامر بدون تحديد حتى يتسنى لمأموري الادارة الضرب على
امثال هؤلاء الشياطين

المادة الثانية ليس تأليف الجمعيات متوقفاً على استحصال رخصة من الحكومة الا انه
يجب اخبار الحكومة عقب تأسيس الجمعية وفقاً للمادة السادسة

ايضاح — ليس في هذا الكون شيء بلا مبداءٍ ومنتهى مطلباً وهذا المبدأ والغاية
يسمى حداً لما بينهما . نعم للانفراد الحرية بتأليف الجمعيات الا ان لهذه الحرية حداً وهو

عدم الاتفاق على شيء يخل بالراحة العامة او مابا كس سياسة^(١) الحكومة^(٢) وادارتها^(٣).
 فلهذا يجب اخبار الحكومة بمب تأسيس الجمعية بتأليفها كما سيأتي في المادة السادسة من هذا القانون

مر في المتن انه يجب اخبار الحكومة عقب تأسيس الجمعية على كل حال ولكن القانون لم يعين هذه المدة ايضاً بل تركها لاجتهاد مأموري الادارة وامال العلماء فيعينون لهذا الاخبار مدة اسبوع . وبعضهم مدة اربع وعشرين ساعة . وبعضهم قال بوجوب الاخبار حين اقتراق الاعضاء وختام المذاكرة وهذا هو الصحيح دفعا لكل طاريء وهو اقرب لمآل هذا القانون وانفع لمؤسسي الجمعية . لان المادة السادسة من قانون الجمعيات تقول انه يجب اخبار موظفي الادارة الملكية بمجرد التأسيس لها ثم سرعة الاخبار اوفق لمصلحة المؤسسين للجمعية اذ لو فرضنا بان الجمعية تألفت يوم الجمعة واعطي القرار بالاخبار عنها يوم الاحد واستدل البوليس على وجودها يوم السبت لجاز له منعها وجوزي المؤسسون بالجراء المدرج في المادة الثانية عشرة من هذا القانون استناداً على دلالة المادة السادسة مر بالمتن ان تأليف الجمعية لا يتوقف على اخذ رخصة الخ ومعنى هذا ان مأموري الادارة الملكية مضطرون ان يرخصوا بتأليف اى جمعية كانت خلا ما هو مذكور في المادة الثالثة والرابعة والخامسة . اذ هذا الاخبار المطلوب بمقتضى المادة السادسة لا يتضمن الاستئذان بل لاجل التنبيه فقط . ويجرد الاخبار يعطى للخبر علم وخبر بموجب المادة المذكورة وهذا اجباري . وهذا يتضمن الاعتراف بوجود الجمعية ولا يسوغ للمأموري الادارة التعلل باعطاء هذا العلم والخبر

المادة الثالثة ممنوع تأليف الجمعيات التي تكون مبنية على اساس غير مشروع مغايرة لاحكام القوانين الموضوعة وللاداب العامة او مؤسسة على اساس الاخلال بمحدود

(١) السياسة معاملة الحكومة مع الدول الاجنبية او معاملاتها داخلية التي لها علاقة مع تبعة الدول الاخرى او مجموع التدابير ولو كانت داخلية صرفة لها اساس بمسقبل الامة
 (٢) اذا قيل حكومة يجب ان يخطر على البال مأمورو الادارة الملكية وهم المصدر الاعظم وناظر الداخلية والولاة والمتصرفون والقائمقامون والمديرون والمختارون ومجلس الوكلاء

(٣) كلمة ادارة تشمل معاملات الحكومة الداخلية وهي اقل شمولاً من كلمة سياسة لان هذه تشمل الاجانب والوطنيين بعكس الادارة فانها خاصة بالتبعية الوطنيين

الدولة الملكية او تغيير شكل الادارة الحاضرة او تفريق العناصر العثمانية سياسياً وتحتوي هذه المادة على قيود ستة واليك تشريحتها :

ايضاح — منع القانون تأسيس الجمعيات القائمة على امس ستة . وابعاح جميع مقاصد الجمعيات التي هي غير داخلية ضمن هذه الستة الانواع

اولاً مقايير احكام القوانين : الارض التي لا تزرع ثلاث سنين تعد محمولة وتؤخذ من المتصرف بها ما لم يدفع بدل المثل فان دفع فيها وان لم يدفع فتباع بالمزاد من غيره بموجب المادة الثامنة والستين من قانون الاراضي فلواراد اناس تأليف جمعية لاجل منع هذا الحكم القانوني فلا يسوغ لهم تأليف جمعية لهذا المقصد . وحينئذ لا يأخذون علماً وخبراً من مأمور الادارة الملكية وان أسسوها فتمنع وفقاً للمادة الثانية عشرة من قانون الجمعيات ثانياً مخالفة الآداب العامة - لا يعطى علم وخبر بموجب المادة السادسة لمؤسسي جمعية تود ترويج عادة جلوس النساء في محال القهوة . لان آدابنا الاسلامية لا تسمح بذلك وامثاله

ثالثاً العبث بمحدود الدولة هذا شيء مفهوم وغني عن الايضاح رابعاً الاخلال بالامن العام ولو بالواسطة الطلاق عندنا شرعاً جائز فلو فرضنا انه تألفت جمعية لمنع لا تقتضي منعها لان مثل هذه الاعمال تؤدي الى كسر خاطر المسلمين وبالنتيجة ربما تؤدي الى الاضرار بآمنهم عقاباً . فاذا ادى تأليف الجمعية والحالة هذه لاخلال الامن العام مباشرة او بالواسطة فهو بالحكم سيان في نظر مأموري الادارة خامساً تغيير شكل الحكومة الحاضرة : وهذا ايضا ممنوع لانه ليس من خصائص الجمعيات بل من خصائص المجالسين

سادساً تفريق العناصر : وهذا ايضا ممنوع وغني عن التشرية المادة الرابعة . نوع تأليف الجمعيات السياسية المؤسسة على اساس القومية والمعنونة بعنوان الجنسية

ايضاح — الكلام هنا من شأن المبعوثين ولذلك امر به بدون ان انظر فيه المادة الخامسة يجب ان لا تكون سن من يود الالتحاق بأحدى الجمعيات اقل من عشرين عاماً وان لا يكون محكوماً عليه بجناية او محروماً من الحقوق المدنية ايضاح — هذه المادة تبحث عن شروط من يود ان يكون عضواً لأحدى الجمعيات وهي ثلاثة :

الشرط الثاني - ن لا يكون محكوماً عليه بجناية والقصد من هذا الشرط الترهيب من الافعال الجنائية لان القوانين هي كناية عن ناهم للاخلاق والجناية هي الحبس في الكورك مؤقتاً او مؤبداً والحبس في احدى القلاع والنفي المؤبد والحرمات من المأموريات والسقوط من الحقوق المدنية

الشرط الثالث - وضعت ايضاً للقصد السالف الذكر والحقوق المدنية كناية عن (١) الحرمان من الاستخدام في الحكومة (٢) ان يكون محروماً من الحقوق البلدية مثل عدم استخدامه بامر رسمي في بده اذ عدم ملئه او عند ابناء صنعته «٣» ان لا يكون معلماً «٤» ان لا يستخدم في تحقيق امر من الامور «٥» ان لا تذل له مهادة «٦» ان لا يكون وصياً «٧» ان لا يعمل السلاح . وهذا بموجب المادة الثالثة والحادية والثلاثين من قانون الجزاء

الشرط الاول - هذا داري خرقاً من ان تكون الجمعيات مجمع اولاد . اعادة السادسة تأييف جمعيات خفية ممنوع منعاً باتاً . وعند تأسيس جمعية من نوعها يجب في الحال اعطاء بيان لا يشرع في اية في مروق ولا كرامات ملكي خارجها محتويات على عنوان الجمعية ومقصدها ولى مركز ادارتها واسم المكلفين ادارتها ومهمتهم ومهمتهم ومحال امامتهم ويجب ان يكون هذا البيان مختوماً ومضياً . وحينئذ يعطى علم وخبر بمقابل هذا البيان . ولا بد من ربط نسختين مختومتين بختم الجمعية الرسمي لهذا البيان ثم بعد اخذ العلم والخبر يعلن مؤسسو الجمعية وجودها ويجب لى الجمعيات اخبار الحكومة عن التعديلات التي يجريها بنظامها الاساسي اوفيا يتعلق بهيئة ادارتها او محل اقامتها واما حكم التعديلات والتعديلات تجاه شخص ثالث فهو معتبر من يوم الاحبار بهذه التعديلات والتعديلات للحكومة ويجب قيد هذه التعديلات والتعديلات في سجل خاص لابراره عند كل طلب يقع من مأموري العدلية والملكية

ايضاح - الجمعية الخفية هي التي ليس معها علم وخبر من مأموري الادارة سواء كان في الاستانة او في الولايات لان المطنطينية ايضاً صبحت اليوم ولاية كسائر الولايات . ولها وال يقوم مقام ناظر الداخلية

يجب ان يحتوي البيان اولا على عنوان الجمعية لنفوذ حكم المادة الرابعة . وثانياً على مقصدها وهذا لاجل مراعاة المادة الثالثة . وثالثاً على مركز ادارتها وهذا لاجل التفتيش وفقاً لحكم المادة الثامنة عشرة ورابعاً على اسم الاعضاء وصنعتهم ومحل اقامتهم

وهذا أيضاً لمراقبة احوالهم ولتنفيذ احكام المادة السادسة والثانية اي مراقبة الحكومة لكل ما يجري بداخل المملكة وخامساً على سبيل من نظامها الاساسي لابقى واحدة عند مأمور الادارة والاخرى عند مأموري الشرطة . والعلم والخبر لاجل دفع الشبهة بانها جمعية - حفية .

المادة السابعة يجب ان يكون لكل جمعية هيئة ادارة مؤلفة من شخصين على الاقل واذا كان لها شعب ينبغي ان تكون لها هيئة ادارة في مركز كل واحدة منها . ثم يقتضي مسك دفتر عند كل هيئة لاجل قيد (١) هوية اعضاء الجمعية وتاريخ دخولهم اليها « ٢ » مقررات هيئة الادارة ومفاوضاتهم وتبليغاتهم « ٣ » وقيد واردات الجمعية ونفقاتها بحسب الافراد . ويقتضي ابراز هذا الدفتر لمأموري العدلية والملكية عند كل طلب

المادة الثامنة للجمعية التي تتألف وفقاً للمادة السادسة الحضور للمحاكم بصفة مدعي ومدعى عليه بالواسطة « راجع المادة التاسعة » واما واردات الجمعيات فهي بقطع النظر عما تمدها به الحكومة ولا كتابة عن الحصة التندية التي بدفعها الاعضاء المشروط عدم تجاوزها الاربعة والعشرين ايرة سنوياً ثانياً المحل الخاص بادارة الجمعية واجتماع اعضاءها ثالثاً بمقدار ما يلزمها من الاموال غير المنقولة لاجل مقدها وعملها هذا يجب ان يكون وفقاً للنظامات الخاصة بمثل هذه المسائل وممنوع عمل الجمعيات بالاموال غير المنقولة عما ماذكر

ايضاح — كل حرف من هذه المادة مبني على قصد اداري وسياسي بعيد بأن واحد ولا تسمح لي حالتي الجهر به الآن

المادة التاسعة ينوب عن الجمعية في المجالس والمحاكم كاتبها العام او مديرها ومراجعتها هذه ينبغي ان تكون تحت توافيعهم وباستدعاء عليه طابع ثم يجب تعيين هوية مثل هؤلاء الاشخاص في نظام الجمعية الاساسي

ايضاح — ذكر في المادة السادسة انه يقدم للحكومة نسختان من النظام الاساسي فاذا كان هذا المدير او الكاتب غير مستوف للشروط اللازمة والمذكورة في المادة الخامسة يرد ولا يقبل

المادة العاشرة يسوغ لاعضاء الجمعيات الانسحاب منها في كل وقت شاؤوا ولو كان عكس ذلك مشروطاً في نظامها الاساسي بشرط ان يكون المنسحب ادى جميع ما عليه

من التناسيط ولا . بما تناسيط السنة الحالية

ايضاح — لو فرضنا جمعية ذات نظام يحتوي على مادة تنبئ بعدم جواز انسحاب الاعضاء منها حتى الممات واراد احد اعضائها الانسحاب منها جاز له ذلك لان هذا الشرط لغو بموجب هذه المادة ولكنه من المتحتم عليه دفع ما تعهد به بتلك السنة المادة الحادية عشرة . ومع ادخال الاسلحة النارية والجارحة لحل اجتماع الجمعيات وحفظها فيها ومع هذا يجوز وحود بعض اسلحة الصيد والسيوف الصغيرة لاجل التعليم بشرط ان يكون للضابطة خبر بذلك

المادة الثانية عشرة . الجمعيات التي لم تواف وفقاً للمادة الثانية والسادسة ولم تقدم بياناً للحكومة لاجل الاخبار والاعلان تمنع ويجازى مؤسسوها وهيئة ادارتها وصاحب محل الاجتماع ومستأجره بالتغريم من خمس ايات الى خمسة وعشرين ليرة . واما اذا كانت هذه الجمعيات مؤلفة لاجل المواد المضرة والمموعة والمدرجة في المادة الثالثة والمصرح بجزائها في قانون الجزاء فيكون الجزاء حينئذ وفقاً لذلك القانون .

ايضاح — كل جمعية ليس معها علم وخبر من الحكومة فهي حفية لان اعلان وجود الجمعية لا يجوز قبل اخذ العلم والخبر الذي يعطى بمقابلة البيان المتضمن تفصيل احوال الجمعية ومقاصدها اذ بمجرد الاستعلاء عن مثل هذه الجمعية يشترع رجال الشرطة بمراقبتها وعند ما يتحققون وجودها تمنع ومعنى المنع هو الاختصار اولا بالكلام ثم الجبر على كل حال اي يمنع البليس الداخلين اليها فان امنعوا فيها ونعمت وان لم يصغوا اليه فيمنعهم بالقوة فان قابلوه بالضرب يقابلهم وان شربوا السلاح فيشهر هو السلاح ابصاراً والحاصل معنى المنع رفع الفعل المنهي عنه قانوناً على كل حل ولو ادى لازهاق الارواح . والبوايس غير مسؤول عن عمده الى القوة في الحظر . وقد ذكر جزاء المواد المدرجة في المادة الثالثة من هذا القانون في الفصل الاول والثاني من قانون الجزاء . فمن اراد الوقوف عليه فليراجع هناك . وهذا الجراء المدرج في هذين الفصلين من قبيل الجنابات .

اما الجزاء التقدي المدرج في متن هذه المادة فهو خاص بالجمعيات التي يكون متصدداً مباحاً وحسناً والسبب في ذلك التهاون الواقع بعدم اخبار الحكومة وفقاً للمادة السادسة فاذا لم يقدم للحكومة بيان يتضمن كيفية تأسيس الجمعية فالجزاء محقق سواء كان القصد مشروعاً او غير مشروع الا ان هناك فرقاً معاً وهو ان كان القصد

حسناً فالجزاء تنقضي خفيف وان كان سيئاً فالجزاء جسماني وشديد
المادة الثالثة عشرة - يخالف احكام المادة السادسة عما يتعلّق باعلان الجمعية والاخبار
بها واحكام المادة الرابعة والخامسة والسابعة والتاسعة بنرم بجزء تنقضي من ليرتين
الى عشرة واذا تكرر الحال فيجازى بضغني الجزء . ومن يبقى الجمعية التي منعت طبقاً
للمادة الثانية عشرة او يؤسسها ويديرها مجدداً فيجازى بالتغريم من عشر ايرات الى خمسين
وبالحبس من شهرين الى سنة . وهكذا من يقدم محلاً لاجتماع اعضاء الجمعيات
الممنوعة يجازى بنفس الجزء

ايضاح - تشرح هذه المادة الجزء الخاص بمن يخالف بعض مواد هذا القانون
اما من يخالف مندرجات المادة السادسة التي تبحث عن كيفية الاخبار بالجمعية والاعلان
عجزاً ومصرح به في المادة الثانية عشرة واما من لم يخبر الحكومة بالتعديلات والتبديلات
التي تجريها الجمعية وفقاً للفقرة الاخيرة من المادة السادسة او من لم يقيد هذه التعديلات
والتبديلات في سجل مخصوص او من يمتنع عن اراز هذا الدفتر للمأموري العدلية
والمملكة فيجازى بحسب هذه المادة الثالثة عشرة . وهذا هو معنى القيد المدرج في
المتن اي (ما عدا ما يتعلق بالاخبار عن الجمعية) وما سوسه هذا فهو يستلزم الجزء
بموجب المادة الثانية عشرة لا بموجب هذه المادة

واما مخالفة المادة الخامسة والرابعة والسابعة والتاسعة فيكون بموجب هذه المادة
تنبيه : هذا بعد ان يفرقهم البوليس فيجازون بهذا الجزء . واما ان خالفوا البوليس
واصرروا على عدم التفريق فيجازون بجزء من يخالف اوامر الحكومة والبوليس معذور
باستعمال جميع انواع القسوة

المادة الرابعة عشرة - اذا انفسخ عقد جمعية برضى اعضائها واختيارهم او انفسخت
بموجب نظامها الاساسي او منعتها الحكومة فتعطي اموالها الى من تقرره هيئة الجمعية
العامة فيما اذا لم يكن في نظامها الاساسي صراحة بذلك . واما ان وجدت صراحة تعرف
كيفية تقسيم الاموال فيعمل بموجب هذه الصراحة . واما اذا كانت الجمعية منعت بالنظر
لموافقة قصدها لندرجات المادة الثالثة فتصادر الحكومة اموالها

المادة الخامسة عشرة - الاندية تعد جمعيات

ايضاح - يجب على كل ناد ان يوفق جميع اعماله على هذا القانون
المادة السادسة عشرة - اعتباراً من تاريخ اعلان هذا القانون يجب على كل جمعية

ان تعطي للحكومة بياناً وان تعلن وجودها في خلال شهرين وفقاً للمادة الثانية والسادسة
ايضاح -- نشر هذا القانون في ٣ آب سنة ١٩٢٥ اذاً فاعتباراً من ٣ تشرين الاول
عام ١٩٢٥ تجازى كل جمعية ليس معها علم وخبر من الحكومة وفقاً للمادة السادسة وتعد
خفية ومنوعة وذلك بموجب المادة الثانية عشرة

المادة السابعة عشرة لا تعتبر الجمعيات خادمة للمنافع العامة ان لم يصدق عليها
شورى الدولة . ويصدق على ذلك من قبل الدولة . ولهذا الجمعيات اجراء جميع
المعاملات الختوية التي لم ينعها قانونها الاسامي . ويجب قيد الاسهام التي تكن باسم
حائليها في دفتر الجمعية وتسمى اسمها . ولا يسوغ للجمعية قبول الاموال التي يوصى بها
وتوهب اليها بدون رخصة الحكومة . المال غير المنقول الذي يهدى للجمعية ويظهر بانه
غير لازم لقيامها بواجباتها يباع ويعطى لصندوق الجمعية ويجب التصريح بالمدة التي سيبيع
بها في قرار قبول هذا المال غير المنقول من قبل الجمعية

ايضاح -- معنى التصديق من قبل الدولة هو الاقتران بالارادة السنية ولو قيل في
من المادة من قبل الحكومة لكان التصديق بذلك الامر السامي اي من قبل الصدار الاعظم
لان تمثال الحكومة الصدارة وتمثال الدولة مقام السلطنة العظمى . وقد مرت في المتن
كلمة (اموال) والمال قسمان منقول وغير منقول والجمعيات اذاً ممنوعة عن قبول جميع
الوصايا والهبات على الاطلاق سواء كانت منقولة او غير منقولة بدون رخصة الحكومة .
والدليل على ذلك ان كلمة اموال ذكرت في المتن مطلقة بدون قيد والمطلاني يجري على
الكمال والتعميم وسبب الترخيص بذلك من قبل الحكومة مبني على مقاصد ادارية وسياسية
ثم تقدير لزوم المال غير المنقول والموصى به او الموهوب للجمعية فهو للحكومة ايضا بموجب
هذه المادة . وهذا تابع ايضا لاجتهاد مأموري الملكية لحكم ادارية . ويجب على
الجمعيات التي تقبل مثل هذا المال ان تصرح بقرار قبوله لمدة معينة . وفقاً لمنطوق هذه
المادة . وان لم تفعل فلا تجري لها معاملة في اقاليم الطابو

المادة الثامنة عشرة للضابطة حق التفتيش على الجمعيات والاندبة . ويجب ان
يكون محل اجتماعهم مفتوحاً لزيارة الضابطة في كل وقت . ويجب على مأموري الضابطة
ايراز ورقة من مأموري الملكية تفضيهم امرهم بالدخول لمحل اجتماع الجمعيات
ايضاح -- قيل في المتن انه يحق للضابطة التفتيش على الجمعيات في كل وقت ايلاً
ونهاراً . لان كلمة كل وقت مطلقة تشمل جميع الاوقات . اما من قانون الجزاء الدخول

للمساكن بعد الساعة الواحدة ليلاً فلا يعتد به هنا من وجهين الاول هو ان هذا القانون صدر بعد ذلك والثاني ان قصد قانون الجزاء المساكن الخاصة والتعدد هنا معلوم من سياق الكلام بان هذا التفتيش ليس لمساكن اعضاء الجمعية بل لحل اجتماعهم المادة التاسعة عشرة ناظر الداخلية والعدية مأوران باجراء هذا القانون ٢٩ رجب عام ١٣٢٧ و ٢ آب عام ١٣٢٥ انتهى

ايضاح — من العادة ان توضع مادة في آخر كل قانون تبين المرجع فيه وهذه المادة تدل بان اجراء هذا القانون من وظيفة مأوري الداخلية والعدية . منع الجمعيات الخفية والتفتيش عليها ومراقبتها من شأن مأوري الداخلية وتطبيق الجزاء على من يخالف هذا القانون من وظيفة رجال العدية

حسني عبدالمهدي

بيروت

مختصر تاريخ

الطباعة والصحافة التركية العثمانية

— ١ —

الطباعة

اول كتاب طبع بالحروف العربية كتاب الادبية السبعة طبع سنة ١٥١٤ ميلادية في (فانو) من اعمال ايطاليا . وطبع القرآن الكريم في ايطاليا ايضا على يد رجل يدعى دبسكيا سنة ١٥١٨ ثم طبعت كتب مهمة بالحروف العربية بين سنة ١٥٨٥ وسنة ١٥٩٠ في مطبعة قصر كبير يقال البابوي التي كانت أسست في زمن البابا سكنوس الخامس وقد كان (ميخائيل زمرمان) النمساوي الذي كان أسس مطبعة كبيرة في فيينا اوفد رسولا الى سورية لدرس الحروف العربية وبعد عودته صنع قوالب لهذه الحروف وطبع عليها في سنة ١٥٥٤ تعريب بعض مزامير من الزبور

وفي خلال سني ١٥٨٩ — ١٦١١ اوصى (فرذ. واسافاري دوبروف) سفير فرنسا في الاسطانة على بعض قوالب حروف على قاعدة النسخ والتعليق فاستعملت هذه القوالب في باريز لطبع مقدمة كتاب نشر في ثمان لغات وبقي هذا الشكل من الحروف مستعملا

بحث

في نوع من البديع

البديع فن جليل وركن من اركان البلاغة لا يستهان به وان توم كثيرون خلافه . ولكنه مني يقوم ضعاف النظر في الصناعة الشعرية ركبو فيه متن الشكاف وقصروا محمم على انواعه بلا مراعاة ما تقتضيه الصناعة من المقتضيات وامها ابراز المعاني في قوالب يصح ان يسمى بها النظم شعراً قترام اذا ظفروا بايداع البيت شيئاً منه ضربوا صفحاً عما عداه ولم يبالوا بعد ذلك بعلواو الخطاط حتى كاد هذا الفن يكون مقصوراً على هذا الضرب من النظم واصبح فيما نراه فيه من المهانة عند البلغاء

ومن العيوب المزرية بقدره زحهم الغث بالسمين من انواعه وادراجهم فيه ما لا يصح ان يكون نوعاً بديعاً اوما هو جدير بان يعد من المقحبات لا من المحسنات بله خبطهم في بعض التعاريف والخطأ في الاستشهاد وادخال بعض الانواع في بعض بحيث اصبح في حاجة كبرى الى تهذيبه وتخليصه من تلك الشوائب

وانا ذاكر في هذه النبة رأياً عن لي في نوع منه وضعه ابن المعتز وسماه بتأكيده المدح بما يشبه الذم ودعاه بضمهم بالمدح في معرض الذم وآخرون بالثني والجلود والسمية الاولى اولى لسلامتها من الاعتراض ولكونها اوضح دلالة على النوع . وقد قسمه علماء البديع الى قسمين قسم عرفوه بانه نفي صفة ذم ثم استثناء صفة مدح وقالوا انه افضل القسمين واستشهدوا عليه بقول النابغة الذبياني

ولا عيب فيهم غير ان سيوفهم بهن فلول من قراع الكتاب
وبقول من يقول زيد لا عيب فيه سوى انه يكرم الضيف . والقسم الثاني عرفوه بانه اثبات صفة مدح ثم استثناء صفة مدح اخرى فحوانا افسح العرب بيد في من قريش ونحو قول النابغة الجعدي

فنى كملت اخلاقه غير انه جواد فما بقي من المال باقيا
وكلامنا في القسم الاول فقد اطلت النظر فيما كتبه علماء هذا الفن قديماً وحديثاً فظهر لي انهم تساهلوا في تعريفه فاداهم التساهل الى الخلط بين شواهد كائى . والذي استبان لي ويستبين لكل متأمل ان بينها فرقاً واضحاً يقسم به النوع الى نوعين . وليبان ذلك نقول ان استشهداهم بيت النابغة الذبياني استشهد صحيح مطابق تمام المطابقة لاسم

النوع الذي اختاره واضعه لان وصف سيوف القوم بانها مقلولة مثلومة لا يشك احد في انه عيب يذمون به ولكن لما كان سببه قراءهم للكتائب دل على اقدامهم وشجاعتهم وكثرة مباثرتهم الضراب بانفسهم فصار مدحاً لم وصح القول بان الشاعر أكد مدحه بما يشبه الذم لانيانه بتلك الصفة المذمومة المقرونة بما يصرفها الى المدح ولا يخفى حسن هذا الاسلوب البديع على من نهل من حياض العربية وتذوق بلاغتها . بخلاف استشهادهم بقول القائل لا عيب في زبد سوى الكرم وبقول القائل :

ولا عيب في هذا الرشا غير انه له معطف لدن وخذ منم

فليس في شيء من المطابقة لامم النوع كما يظهر لي ولا يصح عدما مع الشاهد الاول من نوع واحد وانما اداهم الى هذا الخلط تساهلهم في التعريف كما قدمنا لان قولم نفي صفة ذم ثم استثناء صفة مدح شامل لهذين الضربين من الاستشهاد اما في الثاني فظاهر لان الكرم والمعطف اللدن والخذ المنعم المستثناء من صفة الذم المنفية كلها صفات مدح واما في الاول فلأن الصفة المستثناءة وهي فلول السيوف وان تكن صفة ذم فقد حوات الى صفة مدح ايضاً فصح بذلك عديم الاستشهاد بهما على نوع واحد اشتمول التعريف لهما مع ان الفرق بين الضربين لا يخفى على ذي بصيرة . ولزيادة التوضيح نقول ان الضرب الثاني من الاستشهاد ليس فيه من تأكيد المدح بما يشبه الذم سوى الاسلوب الذي صيغت به شواهد فقط لان ذكر الاستثناء بعد نفي صفة الذم موهم لاثبات شيء ما من الذم فلما استثنى القائل صفة مدح محضة كانت موهماً للنوع باسلوب وان لم يأت به على حقيقته

والذي اراه في حل هذا الاشكال ان يقسم هذا النوع الى نوعين نوع يسمى بتأكيد المدح بما يشبه الذم ويقال في تعريفه انه نفي صفة ذم ثم استثناء صفة ذم مقرونة بما يصرفها الى المدح او استثناء صفة مدح محولة من ذم او غير ذلك بما يودي معناه وقد ظهر لي ان القرينة الصارفة قد تكون لفظية كما في بيت النابغة الذبياني لان قوله من قراع الكتائب قرينة دالة على عدم ارادة الذم او تكون معنوية كما في قول القائل

ولا عيب فيكم غير ان ضيوفكم تعاب بنسيان الاجبة والوطن

فان جعلهم ضيوفهم بنون احبتهم واطنانهم عيب ولكن لما كان سببه كثرة الطائفهم واكرامهم اياهم صار مدحاً وهو غير مصرح به بل مفهوم من سياق البيت .
(النوع الثاني) يسمى بأبهام تأكيد المدح بما يشبه الذم ويقسم الى قسمين قسم

يقال في تعريفه بانه نفي صفة ذم ثم استثناء صفة مدح محضة ليس فيها شائبة ذم ويستشهد عليه بنحو قولم لا عيب في زيد سوى الكرم ونحو قول القائل

لا عيب فيه سوى مكارمه التي نسبت لحاتم بخل كل بخل

والقسم الثاني يقال في تعريفه بانه اثبات صفة مدح ثم استثناء صفة مدح اخرى خاليتين من شائبة ذم ويستشهد عليه بقوله عليه الصلاة والسلام انا افصح العرب بعد ابي من قریش وبهت النابغة الجعدي المتقدم ونحو قول القائل :

وظلي ثناياه الصحاح كما ترى من الریق يروها الرضاب المبرد

وقد حاز اشئاث البها غير انه له مقلة كحلا وخذ موزد

وقول البديع المحدثاني

هو البدر الا انه الجوز اخرآ سوى انه الضرعام لكنه الوبل

وانما جعلنا هذين القسمين لنوع واحد لانها كما ترى من نبط واحد وليس فيما بينهما من الفرق ما يدعو الى جعلهما نوعين . اما اصحاب البديعيات فقد وثقت على عشرين بديعية فما وجدت بين ناظميها من نثبه لما ذكرت بل استنقوا جميعهم من بحر واحد ولم يأتوا بغير ابراهيم النوع الا صني الدين الحلي حيث قال

لا عيب فيهم سوى ان التزيل بهم يسألون عن الاهل والاوطان والحشم

وهو مأخوذ من قول القائل المتقدم

ولا عيب فيكم غير ان ضيوفكم تعاب بنسيان الاحبة والوطن

وكذلك الشيخ ابن المقري في قوله

لا عيب فيه سوى تسليط نعمته على العدا ومواليه على النعم

فانه قال في شرحه ان تسليط النعم عيب ولكنها لما كانت على الاعداء كانت مذمومة

احمد تيمور

القاهرة

وعندي فيه نظر والله اعلم

مخطوطات أبي طاهر

نهج البلاغة

لامير المؤمنين علي بن ابي طالب عليه وعلى آله السلام جمع الشريف الرضي
وشرح عن الدين المدائني المعروف بابن ابي الحديد المجلد الاول
والثاني والثالث طبعت بمطبعة دار الكتب العربية الكبرى
بمصر على نفقة اصحابها مصطفى افندي الباي
واخويه بكرى افندي وعيسى افندي

ابلق كلام عربي بعد الكتاب العزيز والاحاديث النبوية كلام رابع الخلفاء كرم الله
وجهه جمعه الشريف الرضي وشرحه ابن ابي الحديد المعتزلي طبع مرتين في فارس على
الحجر فكان السقم يغلب عليه وطبعته دار الكتب العربية الكبرى هذه المرة بالقاهرة
طبعة حسنة جعلت الاصل بحرف غليظ مشكولا والشرح بحرف وسط والشرح هو كما
قال شارحه « بسط القول في شرحه بسطا اشتمل على الغريب والمعاني وعلم البيان وماعساه
يشبهه ويشكل من الاعراب والتصريف واورد في كل موضع ما يطابقه من النظائر
والاستباه تراء ونظما وذكر ما يتضمنه من السير والوقائيم والاحداث فصلا فصلا و اشار الى
ما ينطوي عليه من دقة ثقی علم التوحيد والعدل اشارة ضعيفة ولوح الى ما يستدعي الشرح
ذكره من الانساب والاميال والنكت تلويحات لطيفة ورحمه من المواعظ الزهيدة الدينية
والحكم النفسية والآداب الخلقية ووضح ما يومي اليه من المسائل الفقهية »
الى غير ذلك مما كان حربا ان يقال فيه انه دائرة معارف وآداب اسلامية فيه من
تاريخ الصدر الاول ما يأخذ بمجامع القلوب ويغني عن تغليب عشرات من المجلدات
ومع هذا فقد جاء الكتاب كله (اربع مجلدات) في زهاء اثني صفحة من القطع الكامل
فتبقي على طابعه بنشره في هذه البلاد وتسهيل مقنائه على طلاب الآداب ونحث على
اقتنائه اذ لا يحمل بمكتبة ان تكون خالية منه وفي مأمولنا ان نكتب مبيضا ضافيا
في هذا السفر النفيس عدد نجار طبعه

تاريخ آداب اللغة العربية

تأليف حرمي فدي زبدان طبع في ١٩١١ م - ايلول بمصر سنة ١٣٢٠ - اول
لم تبرح المادة التي طبعت من كتب العرب نزره بالنسبة لما يقتضيه تأليف كتاب في

هذا الموضوع الجليل باللغة العربية ولكن رصيفنا صاحب الهلال استعان بما طبع من كتبنا في الشرق والغرب وبعض ما كتبه الافرنج عن آدابنا بالانكليزية والافرنسية والالمانية فجاء هذا الجزء «يشتمل على تاريخ اللغة العربية وعلومها وما حوته من العلوم والآداب على اختلاف موضوعاتها» وتراجم العلماء والادباء والشعراء وسائر ارباب القرائح ووصف مؤلفاتهم واما كن وجودها او طبعها. و«هذا الجزء خاص بعصر الجاهلية وعصر الراشدين والعصر الاموي اي من اقدم ازمته التاريخ الى سنة ١٣٢ هـ». وهو منسقى مبوب مفهرس على طريقة حسنة وقد وجدنا له كلاماً في تفصيل كلام شاعر على شاعر كما نود ان يعزوه لاهل هذا الشأن ممن كتبوا كتبهم في عصر نضارة اللغة وكانوا هم شعراء مطبوعين بالطبع كما رأينا المؤلف قال بما لم يقل به ائمة التاريخ والفتا من رواة الاخبار من ان الاسلام (المسلمين) ابادوا مكاتب الفرس ومصر وكما ارادوا هدم ايوان كسرى واهرام مصر (ص ٥٦) والمعروف الثابت عند المحققين من علماء العرب والافرنج ان نسبة احراق مكاتب الفرس ومصر للمسلمين فرية اقترأها خصوم الفاتحين ودسوها حتى تلقفها من لم يكن لم عهد بتصحيح الاخبار والمعروف من هدم المسلمين لاهرام مصر ان المأمون احب ان يعرف ما في داخله فأمر بنقب جهة واحدة منه خدمه للتاريخ والآثار لا عملاً ببدء الخراب والدمار والا فان في بعض عصور الظلم قد دكت الجوامع والمدارس ايضاً وكثيراً ما نقض بنية جامع مشهور لتوخذ انقاضه الى جامع آخر في بلد آخر او قطر آخر وهذا لا ينسب للاسلام بل للجاهلين من المسلمين وان شئت فقل للمخربين من المتغلبين. وما نظن احداً من المحققين قال بان الاسلام كان السبب لشكاثر الشعراء العشاق (ص ١٤٠) لانتشار التسري وركون القوم الى الرخاء حتى اذا نفخ المدينة الاسلامية تحول ذلك الى التهلكة والتخثت وكذلك قوله (ص ٢٤٠) ان التشبيب هان على المسلمين بعد عهد الخلفاء الراشدين مع ان المعروف ان التشبيب موجود في الجاهلية والاسلام ولكن اخبار الجاهلية كلها لم يبلنا وربما كان في مخطوطات بعض مكاتب الغرب والشرق شذرات منها تجولنا كثيراً من الغوامض اذا اردنا الاستقصاء في هذا المعنى والا فالحكم المبرم بقليل رأينا على كثير مما لم نره قد يؤدى الى ركوب متون الاغلاط. وعلى كل فنشكر صديقنا المؤلف ونتمنى له التوفيق الى اتمام كتابه

التاريخ الكبير

للمحافظ ابي القاسم بن عساكر عني بتريده الشيخ عبدالقادر بدران طبع بمطبعة

(روضة الشام) بدمشق سنة ١٣٢٩

لم يبق احد ضرب بمعرفة تاريخ الاسلام الا وتشوق كثيراً لنشر كتاب المحافظ ابن عساكر المتوفى سنة ٥٧١ هـ في تاريخ دمشق وقد صحت عزيمة الشيخ عبدالقادر بدران من فضلاء دمشق على نشره فنشر منه الى الآن ١٢٨ صفحة محذوفة التكرار والاسانيد وحذف اسانيد الاخبار في محلها ونقح الحوادث حسب الامكان وبين مراتب الاحاديث التي رواها المؤلف في الحاشية وكنا نود لو يوفق الناشر الى نشر هذا السفر الكبير وهو في ثمانين مجلدة صغيرة على الاسلوب الذي كتبه المؤلف وان كان هو بأسلوب المحدثين اشبه منه بأسلوب المؤرخين او ان يظفر الناشر بمختصر من المختصرات التي اختصرها به بعض ائمة هذا الشأن ولكن الهمم تقصر عن ذلك مثل هذه الغاية البعيدة الآن ولعل انتشار الكتاب على هذا المثال يشوق ابناءنا واحفادنا في مستقبل الايام الى نشر ما قاله ابن عساكر بالحرف على اننا نشكر للناشر والطابع عنايتهما وحرصهما على خدمة تاريخ اقدم مدن العالم الاسلامي ونعني بها دمشق الفخيمة

رسائل مختلفة

(السفر المفيد في العالم الجديد) والدليل التجاري لآبناء اللغة العربية والشعوب المختلطة في العالم اجمع تأليف الدكتور نجيب طنوس عبده اللبناني في ٦٧٦ صفحة كبيرة الحجم مع الرسوم وفوائد مختلفة عن البلاد ولاسيا اميركا الشمالية (الفتوى في الاسلام) تأليف الشيخ جمال الدين القاسمي وقد طبعت في الاجزاء الاول من مجلد السنة السادسة من المقتبس وجردوها المؤلف مع تقديم فهرس لها بين فوائدها

(ديوان البحري) الجزء الاول منه ضبطه بالشكل الكامل وعلق حواشيه رشيد افندي عطية الاديب اللبناني وهو في ٤٠٠ صفحة كنا نود ان لا يسقط الناشر طائفة قليلة من ابياته لان من شروط الامانة ان ننشر الكتب على علائها وان يشرح الشارح الى بعض ما ربما لم يشرحه لانه توقف فيه ولاسيا في اسماء البلدان والاماكن (برنامج جمعية النداء الخيري بدمشق) هذه هي احدها الجمعيات الخيرية التي أسست في هذه الحاضرة في السنة الماضية . وقد كان دخلها ٢٢٢٣٥ قرشاً و٣٥٠ بارة

صرفت منها على تعليم اولاد الفقراء واعطاء المحاويج ١٥٩١٠ والباقي احتياطي
(البيان السنوي) للكلية الاسلامية العثمانية في بيروت لعامها السابع عشر فيه
نظام هذه المدرسة الراقية ومنزعها في التربية والتعليم واعمالها وكيفية الالتحاق بتلامذتها
الى غير ذلك مما يدل على تدرجها في مدارج الارتقاء والنماء سنة فسنة
(الصهيونية) ملخص تاريخها غايتها وامتها حتى سنة ١٩٠٥ الخبيرة افندي نصاروما
جاء في دائرة المعارف الاسرائيلية عن مسألة الصهيونيين شفعها المترجم بما قاله في هذه
المسألة الحيوية في جريدته (الكرمل) في حيفا
التقرير السنوي السابع لجمعية تهذيب الشبيبة السورية في بيروت وهي الجمعية الخيرية
التي تجمع المال لتهذيب الفتيان والفتيات بقطع النظر عن مذهبهم ولها فرع نسائي وكان
مجموع دخلها سنة ١٩١٠ ٥٥٦٦٣ غرشاً ومجموع خرجها ١١٠٢٦ غرشاً وبلغ مجموع
من علمتهم حتى الآن ٤٤ فتي و٢ فتيات صرفت عليهم من الفروش ٤٥٩٠٢ وذلك
مدة سبع سنين .

اخبار وافكار

حرق مكتبة الاسكندرية

كتب بعضهم مقالة في جريدة التمس ابد فيها قول من قال
ان عمرو بن العاص احرق تلك المكتبة بامر الخليفة عمر بن الخطاب معتمداً على
ما قاله جرجي افندي زيدان في كتابه تاريخ مصر الحديث فرد عليه المستر بطلمو وولف
كتاب (الفتح العربي لمصر) داخضاً تلك التهمة . وقد نشرت التمس رده في عدد
٢٥ حزيران الماضي قال : غريب ان يتحدث الناس من جديد بحرق عمرو بن العاص
لمكتبة الاسكندرية وان ينشر مثل ذلك في جريدة كبيرة الشأن كجريدة التمس
وعندي انه لا يمكن ان يكون الكاتب قد بحث في المسألة من وجهها العلمي والتاريخي
فانه لو فعل لعرف ان الحجاج التي يحسبها براهين جديدة على صحة قوله ليست بجديدة
ولا يركن اليها في بحث هذه المسألة

وقد عقدت في كتابي (الفتح العربي لمصر) فصلاً طويلاً على هذا المبحث واظهرت
فيه بالدولة البيضة ما يأتي :

١ — ان قصة حرق مكتبة الاسكندرية نشرت في الكتب الاوربية بعد الفتح العربي بخمسمائة سنة وناشروها هم عبداللطيف وجمال الدين وابو الفدا والمقرزي . ولا شك ان ابا الفرج اقبس روايته عن عبد اللطيف . وابست هذه الحقيقة اكتشافاً جديداً بل هي امر قديم معروف

٢ — ان تعليل الحادثة يخرجها عن الجلد والصحة

٣ — ان بطل الحادثة هو يوحنا فيليونوس وهذا مات قبل الفتح العربي بكثير من السنين

٤ — كان في الاسكندرية مكتبتان مهمتان احدهما مكتبة المتحف والثانية مكتبة السمر ايام . ولا بد ان تكون الرواية تشير الى احدهما : فالاولى اتلفت في الحريق الذي احده بوليوس قيصر قبل الفتح العربي باربعة مئة سنة . واما الثانية فيظهر من التاريخ انها اما ان تكون قد نقلت قبل سنة ٣٩١ قبل المسيح او اتلفت وخربت في ذلك التاريخ . وعليه لم يكن في الاسكندرية مكتبة في سنة ٦٤٢ بعد المسيح ولم يوجد ذكر للمكتبة في كتب القرن الخامس والسادس والسابع مطلقاً

٥ — لو كانت المكتبة موجودة في زمن الفتح العربي لكان نقلها بسهولة ممكناً في مدة الهدنة التي أعطيت قبل تسليم الاسكندرية وفقاً لمادة في المعاهدة تسمح بنقل الاشياء الثمينة وكان طريق البحر يومئذ مفتوحاً

٦ — واخيراً لو ان المكتبة نقلت او اتلفت لما كان مؤرخ ذلك العصر العالم جون فيكيو اغفل ذكرها وسكت عن حادثتها كل السكوت

وعلى ذلك فنشئ المجلة المصرية (جرجي افندي زبدان) لم يكتشف الا ما كان ظاهراً معروفاً . والكاتب لم يدرج في اعمدته الا اعترافاً بجمل ليس فيه ادنى برهان في علم التاريخ . اه فليتأمل

تريية النظر

ذكرت احدى المجلات العلمية ان اهمال النظر في المدارس الابتدائية والثانوية في اوربا بلغ مبلغاً لم يستطع معه أكثر التلاميذ ان يعرفوا بمجرد النظر تقدير مسافة او قياس او وزن . ولكن الولايات المتحدة اخذت في مدارس المعلمين تدريس هذا الداء فعلم التلاميذ ان يقبضوا ويزنوا بعيونهم وقد رأى الاساتذة ان الاولاد لا يتصورون طول المئة متر تصوراً حقيقياً فضاروا بتربيتهم عليها بعد درس الحساب فيخرج الاساتذة

بتلامذتهم الى التزهة عقيب الدرس في طريق ركزت في كل عشرة امتار منها علامة ثم ترفع العلامة ويشار الى الاولاد ان يضعوا العلامات بالنظر ومن احسن وضعها في اماكنها يعطى مكافأة وهكذا تقدر الابعاد العالية على هذه الصورة فيضعون وتدأ من اعلى الى اسفل ويتفنون في تقدير الابعاد العالية . اما التمرن على معرفة الاوزان فهو صعب أكثر من ذلك لان وزن الاشياء لا يمكن تقديره من حجمها ولكن الاستئذة رأوا ان يبدأوا بتمرين الطلاب على الاشياء الثابتة مثل تقدير وزن الحديد او الخشب او غيرها ثم ينتقلون بهم الى امور اخرى وعلى هذه الصفة يكون للتلميذ درس ولعب مسل يشغل الذهن وقد تنفق المعلمون على الاعتراف بان هذه الطريقة قد ادت الى احسن النتائج في تربية النظر

المطاط

لما اخترع ما كنتوس سنة ١٨٠٣ الرءاء الذي لا ينفذ اليه الماء واشتهر به كان مقدار ما يستخرج من المطاط ١٢٠ طناً في السنة وما زال يكثر المستخرج منه حتى بلغ هذه السنة ٨٠٤٠٠٠ طن وقد توصل جان ديوفسكي البولوني الى استخراج ١٠ الى ٢٠ في المئة من المطاط من صمغ اسمه جلتونغ Jelutong

وهذا الصمغ يتكون على نبات ينبت في جزائر مالابو يستخرج بسهولة وبثمن قليل بحيث بات الرجاء بعد المعال التي أنشئت لاستخراج المطاط من هذا الصمغ ان تنزل اسعار المطاط كثيراً وتجاري ما يستخرج منه من مملكة الكونغو بن اوربا واميركا

تنوي سويسرا ان تؤسس مؤتمراً دولياً للنظر في انشاء خط حديدي يقرب المسافة بين جنوبي اوربا وجنوبي اميركا بحيث يجعلها خمسة ايام وذلك بانشاء خط حديدي بعد جبل طارق على الساحل الغربي من افريقية قاصداً الى ذكر متيماً بباتورس بحيث يصل الانسان الى برنامبوك في ثلاثة ايام بدون ضباب ولا جليد كما هو الحال في بحر الظلمات وتكون المسافة بين جبل طارق وذكر ٢٧٨٨ كيلومتراً والى باتورس ٣٠٠٠ كيلومتر ولا تكلف نفقات الكيلومتر كبير امر لان اجرة العملة رخيصة جداً في تلك الاصنماع وبذلك يصل الراكب بعد ذلك براً وبحراً من اوربا الى برازيل في خمسة ايام وتنتفع اوربا ومراكش ومستعمرات انكلترا وفرنسا في افريقية وبرازيل وتقتصر المسافة بين الكونغو وجنوبي افريقية وكذلك المانيا تستفيد من مستعمرتها

الافريقية ولكن هذا المشروع يحتاج الى رأس مال كبير حتى ينقل العملة والادوات وتهيأ اسباب المياه للشرب وغير ذلك

الزواج في الغرب

أكثر البلاد تزوجاً بلاد المجر فان معدل المتزوجين كان سنة ١٩٠٨ - ١٩ في الالف وكان سنة ٨٩١ - ١٧ في الالف وفي المانيا زاد عدد المتزوجين زيادة قليلة بعد سنة ١٨٩٠ ونهض معدله في ايطاليا من ١٥ الى $16\frac{1}{2}$ في الالف وفي فرنسا من ١٥ الى ١٦ وفي انكلترا الى ١٥ وارنق في ايرلندا من ٩ الى ١٠ في الالف ونزل معدل الزواج في يابن من ١٧ في الالف الى ١٦ سنة ١٨٩٣ وشاع الطلاق فيها حتى كان ٣٢٥ طلاقاً في كل الف زواج وبعد سنة ١٩٠٧ بلغ معدل الزواج عندها ١٨ في الالف وما زال عدد الاولاد غير الشرعيين يكثر في العالم ولا سيما في يابن وكذلك في فرنسا والمانيا وقل المالك باولادها غير الشرعيين انكلترا وهولاندا

نهضة الجمال

في جميع بلاد الحضارة اليوم تنتشأ جمعيات ومنقديات ومناحف للبقاء على الجمال وانهاضه من كبوته في الحال التي لا اثر له فيها فمن جمعيات لوقاية المناظر الجميلة القديمة وابقاء رونق المدن والقرى والساكن على حالها ومن جمعيات لابعاد البشاعة عن مناظر المدن والاهابة بها الى الجمال ومن اخرى لتنشيط الهندسة والنقش وغيرها لتجويد لعب الاولاد حتى تربي فيهم ملكة الجمال والشعور به وفي انكلترا وفرنسا تنشأ مدن كالحداثق بترتيبها ومن معارض تقام للصناعات النفيسة ومن جمعيات لتنشيط زواج جميلات الصورة من النساء بجميلها من الرجال ليكون الجمال والكمال في اولادهم صنوين ومن جمعيات تعنى بتحسين الجنس البشري في باريز جمعية تسعى الى نقض عهود الزواج التي يكون منها اولاد ناقصون في خلقهم مشوهون في تراكيهم وهكذا يدعون الى الجمال ويعلمونه ناشئتهم اي عملاً لنا في الشرق مثل ذلك

ادبيات يابان

كتب أحد الباحثين من الانكليزان المرأة اليابانية كانت ممتازة بقريحتها الادبية منذ عهد بعيد فكانت منذ القرن الثامن مشهورة بمعرفتها معنى الحياة وسهولة التعبير بلغة ادبية مختارة ولكن لم يكن ينفق وجود النساء الكاتبات ولا ينفق وجودهن الا في قصور الملوك ثم جاء دوكور هيان (٨٠٠ - ١١٨٦) فكان العصر الذهبي للمرأة اليابانية

وقد ارتقى تسع نساء الى عرش الملك فامتزن بحكومة عاقلة متسامحة فكان بلاط الملك معهداً يتعلم فيه النساء ويتهذبن والظاهر ان احسن التأليف الادبية التي نشرت في ذلك القرن قد خطتها اناهل النساء ثم اتى دور يدرو فاضمحت دولة الآداب وكذلك الحال من سنة ١٦٠٨ - ١٨٦٧ فقد اطفأت في خلالها حياة المرأة العقلية . وظهرت المرأة اليابانية من سبائها الى منذ اربعين سنة ونهضت للتعليم نهضة الشمر الخبير في سنة ١٨٧١ بدأت النهضة النسائية بذهاب الفتيات اليابانيات يتعلن في امير كافنشآت عن ذلك حركة مهمة بحيث بلغ عدد الطالبات اليوم ٣٢ ألفاً ومعظمهن يدرسن الآداب . وفي يابان عدد كبير من الجرائد والمجلات يشارك النساء في تحريرها كل المشاركة ولهن مجلة سمينها مجلة القرن العشرين جعلتها لسان حال الحزب الراقى من النساء يطالبن فيها ابناءت حواء بالحرية وحق الانتخاب . وزعيمة ادبيات يابان اليوم البارونة ناكاجيما وهي كاتبة سياسية معتبرة

النصرانية والوثنية

حكمت يابان على رجل اسمه كوتوكو بدعوى انه من الفوضويين فقام انصار الحرية وقعدوا قائلين ان بعض رجال الدين بدأ في مقتله كما كان لم في مقتل فريير المصلح الاسباني . قالت المجلة الباريزية : ليس كوتوكو كصوره خصومه بل هو كاتب واخلاقي وكتابه الاخير الذي سماه « نسخ المسيح » قد احدث رنة كبرى بين الطبقة المستنيرة في يابان وكان المؤلف عدواً للنصرانية يجاهرها العداة ولذلك عاداه المرسلون من جميع الطوائف . وهو من تلامذة المصلح الياباني ناكاشون وتأليفه الاخير في نفي مجي المسيح ذهب فيه مذهب الاستاذ دروس ولم يعتمد الى التذوق في كتابه بل جعله سفر علم ويبحث واستنتج فيه ان المسيح (عليه الصلاة والسلام) لم يثبت ظهوره في التاريخ وحث مواطنيه ان لا يتخلوا عن دين بوذا وكشفوشيس ليدبنوا بمذهب أسس على الوهم والوثنية (كذا)

مميزات المجانين

عني اثنان من الاطباء بالمقابلة بين المجانين من الرجال والنساء وبين العقلاء من الجنسين فثبت لها بعد ان نظرا في ستمائة شخص ان طول المجانين قصير في الاغلب وكذلك النصف الاعلى منهم يخالف اعضاء النصف الاسفل فانها عادية في مئة رجل عاقل وجدا ان الرجلين كبيرتان ٥١ مرة وصغيرتين ١٨ بخلاف ارجل المجانين فان في

٥٥ رجلاً كبيرة ٢٤ رجلاً صغيرة وبالعكس في المرأة في مئة امرأة عادية ٥٢ ذات ارجل صغيرة و ٢٣ ذات ارجل كبيرة وفي مئة معنوة ٥٤ كبيرات الارجل و ١٨ صغيراتها وروؤوس الرجال العاقلين اقل طولاً في الاكثر منها في المجانين والمرأة العاقلة تمتاز على الجملة بطول الرأس بخلاف المعنوة فانها صغيرة مستطيلة ومعظم رؤوس الرجال العاقلين قليلة العرض بخلاف المجانين فانهم عريضوها اما النساء العاقلات فيتميزن اجمالاً بعرض الرأس المتوسط او بكبره والمعنوهات بصغر عرض الرأس والمعنوهون والمعنوهات كبار الاذان .

التمثيل بباريز

بلغت مداخيل دور التمثيل في باريز سنة ١٩١٠ ٥٧ مليون فرنك اي بزيادة عشرة ملايين عن السنة التي قبلها وكانت الزيادة اولاً للادبرا ثم للادبرا كوميك ثم للكوميديا الفرنسية ثم للادريون ثم لغيرها من دور التمثيل المدهشة المتقدمة

العاملون في الامم

نشرت وزارة العملة الانكليزية احصاءاً بالعملة في جميع البلاد المتقدمة فكان عدد العاملين في النمسا ٥١ ونصف في المئة وعدد في فرنسا ٥١ وربع في كل مئة و ٥٠ في ايطاليا و ٤٦ في البلجيكي و ٤٤ في المانيا و ٤٥ في انكلترا و ٣٥ في الولايات المتحدة

الجلد الصناعي

اخترع منذ سنين احد البايكيكين جلداً صناعياً وثبت الآن غناؤه في مسابقة اللجنة الزراعية في مدينة ترني من ايطاليا ونال مخترعه الجائزة وهذا الجلد عبارة عن غمس قماش من القطن بمواد دهنية زلاية دابغة والاحذية التي تصنع به تقاوم كالجلد الطبيعي ولها مرونته وطول صبره والحذاء المعمول من هذا الجلد الصناعي يكلف مع اجرتة اربعة فينكات و يباع بستة عند التجار وهونافع للفقراء والعملة خاصة

صرعى الحروب

ذكر بعضهم ان الحكومات نقل في العادة معلوماتها عن الحروب ونتائجها المدهشة وهكذا لا يعرف الا قليل من كثير ممن فقدتهم فرنسا في الثورة الاولى وتأسيس حكومة نابليون فقد كانت جنود نابليون اوربا مثلاً فاجتازت المانيا وبولونيا وهولاندا واسبانيا وسويسرا والبرتغال وايطاليا وكرواسيا ودماسيا وترك في ساحة الوغي مئات الالوف من الاشلاء فهلك من الفرنسيين في حرب اسبانيا التي دامت خمس سنين ٤٧٣ الف

وفي حرب روسيا ٣٨٠ الفاً ولا يعلم بالتحقيق عدد من هلك في معركة واترلو ومن المحقق ان الجيش العامل كان مليوناً وثلاثمائة الف من الفرنسيين هلك معظمه . كل هذا ونابليون لا يهتم بمن يهلك حتى قال له مترنيخ السيامي النمساوي ذات يوم : ماذا تعملون متى هلك هؤلاء الشبان « فاجابه نابليون : لا ادفع فلساً لاجل حياة مليون من البشر » وقال نابليون لنابليون احد قواد فرنسا . ان حملة روسيا قد اسنلت من رجالي ثلثائة الف رجل هذا خلا من قتل من الالمان . قال من تنقل عنه ان فكر الفتوح — بقطع النظر عن الحروب المدنية والدينية وحروب الاستقلال — كان زمناً طويلاً العامل الوحيد في الحملات العسكرية وقد نسي الناس في الغالب ما صحبها من الفظائع التي لا نفع فيها ولا محيص منها ولم تعلن للجمهور مخافة ان يقطع تأثير الحكومات فيهم . وقد قالوا ان التاريخ يعيد نفسه وانا ارى ان التاريخ لم يعرف على حقيقته حتى يرد ونشره بين الناس جلياً مسللاً بالروايات الاكيدة اعظم نافع في بوق السلام بين الانام . قلنا اما نحن فلا نعلم باي وجه يغالي بعضهم في تكبير نابليون في العيون باعماله وهو الذي قتل من قتل من البشر وكلف قومه لا اقل من ثلاثة ملايين من الرجال الاقوياء ومثلهم من سائر الامم او اكثر ولكن اصاب الملكية في فرنسا وفي مقدمتهم رجال الدين يوهون على العقول اينفروا الناس من حكم انفسهم بانفسهم وتكون لهم السيطرة على الارادات والنفوس بما لم ينزل به سلطان

محنة فريدة

بدا لرجل كاتب ومصور من اهل قرية في جوار سبرنجفيلد من اعمال ولاية ايلينوا في الولايات المتحدة ان ينشيء لاهل قريته مجلة خاصة بهم فريدة في اسلوبها ورسومها وشعرها ونثرها وكلها مما خطته براعته ورياسته فأصدر منها عدداً واحداً وطبع منه سبعمائة نسخة بقدر عدد سكان القرية يريد بها ان يعلم اولئك الفلاحين ذوق الفنون والآداب ومن جعلتها التمر . يعلم به ويهذبهم وقد كانت الصور التي صورها في هذا العدد كأنها ناطقة لتكلم وتعلم مشفوعة بقصص تشرح مكانتها فيها ما يمثل صورة شيطان الرذيلة خضع لسلطان المرأة المريبة ولطفها الساحر . ومن الصور التي صورها صورة قارب جذبه التيار في عرض البحر فترق قلوعه وتلاعبت به الامواج والرياح من كل جانب يشير به الى قرية تقاذفتها الالهواء من فساد اخلاق وشرب مسكر وغير ذلك من الموبقات وهناك رسوم احتفالات ومواكب نشر الشعب اعلامها وقد كتبوا عليها

مواعظ ونصائح في عمل الخير وحفظ الصحة وحسن التدبير وقد زاد المجلة رونقاً شعر صاحبها الذي يذبه الشعور ورأى ان نشر مثل هذه الصحيفة أفيد لبي قومه من موعظة يسمعونها في ابرشيتم فيطير صداها في الفضاء
الاستقلال المادي

نشر احد رجال المجر كتاباً في حالة المجر الاقتصادية قال فيه ان السبب في ارتقاء هنغريا في مادياتها قلقها الدائم على استقلالها عملاً بقول ذلك الوطني المجري الكبير : « ان كل ما تسلبنا اياه الشدة يتيسر للزمان المسلم والاحوال الموافقة ان تعيده اليها ولكن الحقوق التي نخفي عنها بصنعنا نفقدها الى الابد بدون ان نأمن رجعتها . » وعلى هذا شتم المجر يون عن ساعد الجد واعادوا قاحل ارضهم حدائق غلباً وحقولاً ممرعة وتلك المراعي التي يضل فيها الغنم اصبحت الآن تربي قطعاً ثناً من البقر بحيث زاد عددها مليون رأس منذ عشرين سنة وان بلاد المجر كانت وما زالت بلاداً زراعية وستظل كذلك ومن الارض تستخرج اثم موارد ثروتها على انها بفضل جهد الافراد والحكومة بلغت في الصناعات ساءوا بعيداً يحسدها عليه ارقى الامم بحيث قدر صناعها بثلاثمائة وعشرين الفاً من اصل عشرين مليوناً سكان المجر كلهم وقد جاوز محصولها السنوي ملياري فرنك فقدرت الزيادة في ثمانين سنة بمخمسين في المئة فله ما يعمل الجد والعلم المادي ولا غرو بعد هذا اذا كان للماديات تأثير قوي في المعنويات .

الصين الجديدة

قلق الاوربيين لنهضة الصين الحديثة فمن قائل ان الخطر منها يوسك ان يتناول الاوربيين قريباً ومن قائل بان ذلك بعيد الان وقد اندثرت الجمعية الجغرافية في باريز علماً ثقة ليدرس الحالة في بلاد الصين وعاد فكتب كتاباً في هذا الشأن قال فيه ان الخطر الاسفر ليس قريب الوقوع كما يدعي بعضهم وان اليوم الذي يقوم الصينيون فيه ويقولون « آسيا لآسيا » بعيد ومني حان يحق الخطر بالاقرب فالاقرب من الاوربيين (اي الفرنسيين في التونكين) كما وقع لبنان في استيلائها الى كوريا . محاولتها الاخذ بمخناق منشوريا قال وارن السواد الاعظم من ابناء السماء ليحافظون على التقاليد القديمة كل المحافظة يقدسون اجدادهم ويتبنون بخطوط صعبة يستعمل ان تنتشر بوسطها مدينة وربما كان الافرنج النازلون في بلاد الصين السبب الاعظم في كره الصينيين للغربيين علي نحو ما جرى في ثورة البوكسر سنة ١٩٠٠ فثارت البلاد على

الاجانب بدون استثناء وهذه العداوة المتأصلة هناك تعجل في نشوء الصين وما هو بييطي كما يظن فـذ سنين قليلة كانت تمنع الصين من انشاء سكك حديدية ثم أعطت امتيازات لانس من الاجانب وعادت فابتاعت منهم ما مدوه من الخطوط لئلا تكون لهم حجة في بلادها ونظامها العسكري حديث العهد بعد وهو سائر سير نجاح واوربا تحسن صنعاً اذا عاقت ارتقاء الصين في الجدية لا كما تعمل الآن فيقدم تجارها لها ما تريد من عدة برية وبحرية من احسن الانواع .

اكبر سد

ينون الآن على نهر الميسيسي باميركا في شلال الرهبان بين مونتروز وكنكوك اعظم سد في العالم يحوي خزاناً تدفق منه قوة ذات ١١٥٠ الف حصان وطول هذا السد ١٤٠٠ قدم وسعته ٤٣ وعالوه ٣٧ وهو من الحجر ويكون طول الخزان ٥٦ كيلومتراً وسعته الوسطى كيلومترين

الاكتشافات المقبلة

ذكرت مجلة ادلة الترقى ان اديسون المخترع الاميركي المشهور مقتنع كل الاقتناع بأن حجر الفلاسفة الذي شغل كثيراً من المفكرين بالكييمياء القديمة لتحويل المعادن الى ذهب سيكتشف في المستقبل فيستطيع الانسان ان يسك نقوداً ودنانير على ما يشاء من الحجارة والمعادن وبذلك يختل نظام الحالة المالية في العالم وانه لا يمضي زمن حتى تخترع ادوات زراعية تحرك بالكهربائية بقوة خارقة للعادة فتحث الارض وتسلفها (تسوفها) وتبذرهما وتقلع حشيشها وتسقيها وتحصدها وتكدهسها وتدرسها وان الفلاح في المستقبل سيكون عالماً بالنبات وطبيعياً وكيمائياً وتكون ادوات ابن الارض في الايام المقبلة عبارة عن سلسلة مغناطيس ومحركات كهربائية

قال ولا ينتهي القرن الا ويحل الفولاذ محل الخشب في صنع اثاث البيوت . فقد كان القرن التاسع عصر الورق فاذا انتهى القرن العشرون لا يبق للورق من اثر ولا يعرف بماذا نصر الصرر اذ ذاك ولا على ماذا تطبع الصحف والمجلات اما الكتب فهو يرى انها ستطبع على اوراق من معدن النيكل على ثخانة واحد من خمسة من الالف من المليمتر .

الاسر السوديه

ملك الاسرة في السويد عبارة عن ارض زراعية او بيت بجدية ينشأ في جوار

القرى بحيث لا يتجاوز هذا المبلغ ١٥ الف فرنك ويتأق احدات هذا الملك بمعاونة الحكومة او بمعاونة شركات أسست لهذا الغرض فالحكومة تقرض مالاً لمن يريد ان يقضي ملكاً من هذا القبيل بفائدة ٣ في المئة وكسراً وتقرض الشركات بفائدة ٤ في المئة وقد كان لاحدى الشركات الى آخر سنة ١٩٠٩—١٥٥٠ فرعاً من فروع مصارفها واعضاًؤها ٥٤٩٠ عضواً اقرضت ٢٢٩٧٣٠٥ كوروناً تعاون الافراد على الاغناء وترفع الشقاء عن الفقراء وهذا من افضل ماسمع في باب التضامن الاجتماعي
سكر جديد

استخرج سكر جديد من جذع الخيزران الابيض ويوجد فيه بكثرة وقد سمي
فرباسكوس VERBASCOS

LE-SOJA حبوب السوجا

السوجا نبات يزرع بكثرة في آسيا الشرقية ولا سيما في منشوريا ويحمل الى اوربا اخضر او حبوباً او حلويات وقد بلغ المحمول منه في السنة الاخيرة زهاء مائتي الف طن ويستعمل اليابانيون هذا النبات في تغذية الحيوان والانسان . وخبز السوجا يحتوي على مواد مقوية اكثر من خبز الحنطة واقل مادة نشوية منه وفيه من المواد الدهنية عشرة اضعاف ما في خبز الدقيق وينفع خاصة المصابين بالبول السكري

نواب الامم

كندا اقل الامم نواباً في مجلس نوابها ٢١٤ نائباً والمجلس النيابي العثماني ٢٧٤ نائباً واليابان ٣٦٩ نائباً وللولايات المتحدة ٣٩١ ولامانيا ٣٩٦ ولاسبانيا ٤٠٦ ولروسيا ٤٤٢ ولايطاليا ٥٠٨ ولانسا ٥١٦ ولفرنسا ٥٩٤ والمجلس العموم في انكلترا ٦٧٠ ولكننا لا ندرى اي المجالس النيابية احسن عملاً

الجراحة في بابل

اكتشفوا في حفريات حديثة في ارض بابل اكتشافاً له مكانة سامية في تاريخ الاجتماع وهو عبارة عن حجر كتبت عليه كتابة يرد تاريخها الى نيف واربعة آلاف سنة وفيها ذكر لاجور الجراحين وقد جاء في هذا الاثر ان اجور الاعمال الجراحية كانت معتدلة بالنسبة لهذه الايام . فكان الجراح يتناول اجرة الساق المكسورة نحو ثمانية فرنكات ونصف واجرة قلع السن او الفرس ٣ فرنكات وثلاثة ارباع واجرة العملية الجراحية بالمضغ ١٥ فرنكاً . وكانت العقوبات التي تحمل بفير الماهيين من الجراحين فاحشة

جداً فاذا اساء الجراح القيام بعمله جراحية تقطع يده .
مكتبة لندرا

من افيد الطرق في اعارة الكتب لنشر المعارف ما جرت عليه مكتبة لندرا من اعارة الكتب الى من يشاء الى حيث يشاء على ان يردّها او لا يردّها اذا شاء وفي اي وقت شاء وقد جربت هذه الطريقة منذ قام بانشاء المكتبة كارلايل العالم الانكليزي المشهور فاستفرت عن نجاح ا كيد بعد سبعين سنة من انشائها لانه قلما يضع لهذه المكتبة كتاب واذا ضاع فانها تستعير عنه في الحال غير آسفة عليه لان كتبها غير نادرة ولا تجليدها نفيس والذين يفضلون على هذه المكتبة بعض المالك والافراد والعلماء المشاهير وقد كان ما لديها من المجلدات سنة ١٨٤٣ - ١٥ الف مجلد فاصبح الآن مئات الالوف .

افريقية الجديدة

كتب احدهم في مجلة الطبيعة ان تغييراً كبيراً طرأ على افريقية منذ خمس وعشرين سنة وذلك بانصال الخط الحديدي من رأس الرجاء الصالح الى القاهرة حتى كانكا سنة ١٩١٠ ويرد تاريخ استعمار افريقية الى سنة ١٨٧٠ ايام اكتشفت معادن الماس في كبرلي وقد اتفق الذين اغتروا منها معظم اموالهم في عمران الترنسفال وردوسيا وتسهيل السيل الى بلوغ الكونغو البلجيكية من جهة الجنوب والدور الثاني في استخراج الاستعمار الافريقي يرد الى سنة ١٨٨٧ عند ما اكتشفت مناجم الذهب في وينواتر ساند التي هي اليوم اعظم مناجم العالم ولا تنس معادن القديدير والفحم الحجري والحديد في بلاد الترنسفال وامتد الخط الحديدي من الرأس الى القاهرة فبلغ ردوسيا وكثرت بذلك صادرات الذهب منها ومعنى وصل الخط الى كاتانغا سهل استخراج النحاس والمأمول ان تجاري افريقية بما يستخرج من نحاسها بلاد اميركا كما جارتها بالمستخرج من ذهبها ولكن من الاسف العظيم انه كله يستخرج لغير انائها .

مدرسة الضعفاء

قام جماعة من الجنس اللطيف تحت رئاسة الآ نسة روز لاسب سنة ١٩٠٩ في مدينة بوسطون باميركا وأسنن في احدى حدائق المدينة حديثة للاطفال المصابين بضعف في القوى كفتقر الدم وغيره . ولما رأت ادارة المعارف نجاح المدرسة والفوائد التي تنجم عنها اوعزت الى اللجنة بان تربط مدرستها بمدارس الشعب وعينت لها الدكتور هاربنكتون

مستشاراً صحياً في لجنة ادارة المدرسة واما المدرسة فهي كناية عن حديقة واسعة بجانبها عدة غرف يلتجئ اليها التلامذة اذا تعكر صفاء الجو وفي احدى تلك الغرف يحضر طعام التلامذة وبرنامج المدرسة اليومي كما يأتي :

الساعة	الدقيقة	
٨	٤٥	(١) اجتماع التلامذة في المدرسة
من ٩	١٠	رحلة صغيرة خارج المسمور
الى ١٠	٣٠	« «
		(٢) اشغال هادئة كالغناء ومحادثات
من ١٠	٣٠	قصص تتعلق بحفظ الصحة وغيرها
الى ١١	٠٠	« «
من ١١	٠٠	(٣) العاب جسمية كالكرة والعدو والقفز
الى ١٢	٠٠	« «
من ١٢	٠٠	(٤) تمثيل روايات
الى ١٢	٣٠	« «
من ١٢	٣٠	(٥) تناول الغذاء
الى ١	٣٠	« «
من ١	٣٠	(٦) قيلولة
الى ٣	٠٠	« «
من ٣	٠٠	(٧) رقص
الى ٣	٣٠	« «
من ٣	٣٠	(٨) العاب عقلية مثل الفاز
الى ٤	٠٠	ومحيات وغيرها
من ٤	٠٠	(٩) طعام خفيف
الى ٤	١٥	« «
٤	١٥	(١٠) الانصراف الى بيوتهم

وكل اسبوع يستجمعون مرة ويركون مرة في سفن في البحر لاستنشاق الهواء والتلامذة صبيان وبنات تختلف سنهم بين السادسة والعاشرة وجلهم من عائلات فقيرات

واما الطعام الذي يتناولونه في المدرسة فمؤلف من الخبز والزبدة والسمنك والبيض والبقول والفواكه واللبن وشي من الحلويات في بعض الاحيان وفي هذه السفة فخص التلامذة ووجدوا ان اجسامهم قوية وعقولهم نمت وشعورهم سما فلاغرابة في ذلك لمن امعن في البرنامج السالف الذكر لان المدرسة لم تهمل اجسام التلامذة كما انها لم تهمل عقولهم وشعورهم . اهـ ملخصاً عن جريدة السورثي الابريكية .

تصوير الكتب

اخترع احد البلجيكين آلة تصوير يأخذ بها ما يشاء من الكتب والاوراق التي يراد حفظها دون ان تشغل محلاً فسيحاً فهي تنقل الصحيفة الى جزء من اربعين من حجمها الاصلي وسيكون لهذه الآلة شأن في نقل المخطوطات النادرة

مستقبل الاولاد

قام في ليربول في انكلترا جماعة وأسسوا جمعية غايتها مساعدة الصبيان والبنات بعد خروجهم من المدرسة في الحصول على عمل بضمن لهم مستقيم وهي تبذل جهدها لمنع الاولاد من الاستخدام في الاعمال المحدودة التي لا تحتاج لاعتاب فكر كتوزيع الرسائل البرقية والهريدية او ان يكونوا مستخدمين في احدى الحوانيت وهي تبحث في ميل الولد فنضعه في محل يوافق ميله

رفي الصين الصناعي

مما يدل على رفي الصنائع الحديثة في الصين ان حكومتها ستصنع بعد الآن ما تحتاجه من المعدات الحربية كالاسلحة وغيرها في معامل في بلادها قوة الماء في سويسرا

من المحقق ان سويسرا تستعمل قوة الماء لتحريك آلات المعامل اكثر من كل البلاد بالنسبة لسعة ارضها فالقسم من البلاد الواقع في جبال الالب يستعمل الآن قوة ١٦٢٠٠٠٠٠٠ حصان وهو يزاد في استعمال هذه القوة سنة عن سنة ففي سنة ١٩٠٨ كان ما انشاء من الآلات يحتاج الى قوة ٤٠٠٠٠٠٠ حصان واما في سنة ١٩١٠ فقد كان ما انشأته من الآلات يحتاج الى قوة ٧٠٠٠٠٠٠ حصان لادارتها .

العمي والحرف

أنشي معرض في مدينة نيويورك تحت رعاية جمعية مساعدة العميان فيها لاظهار ما يمكن ان يقوم به من فقد حاسة النظر من الاعمال النافعة فافتتح المستر تافت رئيس

الولايات المتحدة المعرض مع جماعة من اركان البلاد واعجبوا بما قام به العمي من الاعمال كالضرب على الموسيقى والفجارة وحياسة المكائس والسال وتنجيد الفرش والكي والكتابة المنزلة والكتابة كى الآلة الطابعة الى غير ذلك من الصناعات البدوية . وكان محل اعجاب المتفرجين تمثيل فصل من رواية لصوص مدينة البندقية لشكسبير الشاعر الانكليزي قام بتمثيلها جماعة من معهد العميان في بنسلفانيا فتقدم عدد من البنات ورقصن برشاقة باهرة وتقدم بعض الصبيان بالعباب رياضية اجتهدت لها قلوب الحاضرين وهم ايضاً فاندو البعير كما خوانهم . عن جريدة المراقب الاميركية

محصول الذهب

بلغت قيمة ما استخرج من الذهب في العالم كله سنة ١٩١٠ — ٤٥٥,٨٣٢,٠٠٠ ريال اميركي و يقدر محصوله في عشر السنين الاخيرة بنمانية اضعاف ما يستخرج سنة ١٩٠٠ .

المطالبات بحقوقهن

كثير من النساء في لندرا يطالبن المساواة بالرجال في حق الانتخاب وقد ابين ان يعدن انفسهن في دفتر النفوس اذ يعتبرن ان ليس للحكومة حق في عدهن من سكان البلاد لانه لا يسمح لهن بحق الانتخاب وحاولن الحرب في وجهه ، مأمور النفوس يوم الاحصاء .

كبر القدم والرياضة

وجد احد معامل الاحذية الكبيرة في الولايات المتحدة ان معدل قياس احذية النساء التي اشتغلها في السنة الاخيرة كان $\frac{5}{8}$ بينما كان معدل قياس ما صنعه منذ عشر سنين $\frac{4}{8}$ وبعد البحث وجد ان سبب الزيادة كان انتشار الالعب الرياضية بين النساء في تلك البلاد وان معدل طولهن ووزنهن قد زادا زيادة ظاهرة .

هرباً من الثلوج

ستشي^٤ احدى نركات السكك الحديدية في الولايات المتحدة نفقاً تحت جبال السير انبوادا ويكون طول ذلك النفق ستة اميال يكلف ١٠٤,٠٠٠,٠٠٠ ريال وذلك هرباً من الثلوج التي تظم الخط فيمتنع القطار عن السير بضعة ايام وقت الشتاء فمسي ان تعتمد شركة حديد بيروت — دمشق الى احتذاء هذا المثال فتحفر النفق في حمانا بجبل لبنان فقد حالت الثلوج في هذا العام خمسة واربعين يوماً دون سير القطارات

المقابر

البكتيريا

البكتيريا او الباشلوس او الميكروبات كانت حديثة الوضع للدلالة على الاحياء الصغيرة التي كشفها مؤخراً المجهر المسمى بالميكروسكوب وهذه الاحياء ليست حيوانات كما يتبادر الى الذهن من تسميتها بالاحياء بل نباتات في منتهى الصغر فلا ترى بالعين المجردة لان معظمها خال من الكلوروفل اي المادة الخضراء التي تنلون بها النباتات فضلاً عن تنافسها في الصغر حتى لا يمكن لاحد الناس بصراً ان يرى اكبرها بدون ان يستعين بالآلة المعظمة او المجهرة وهي الميكروسكوب او المجهر الذي ظهر الى عالم الوجود في القرن الماضي . ولذلك فالعلماء الذين عاشوا قبل القرن التاسع عشر لم يعلموا شيئاً عن عالم الاحياء هذه التي اصبح درسها الآن هماً قائماً برأى كثير الفوائد للانسان والحيوان من قبل الوقاية الصحية والفوائد الزراعية على ما سيبيح في هذه المقالة التي ضمناها زبدة ابحاث العلماء ذوي الاختصاص حتى سنتنا الحاضرة صفة البكتيريا وماهيتها وانتشارها — هي احياء نباتية ذات خلية او حوصلة واحدة شفافة اللون غالباً ، مستديرة او اسطوانية او مستطيلة الشكل تبعاً لانواعها، تنمو بالانقسام الذاتي فتمتاز على غيرها بفقد القوة التناسلية العادية وينجو جرثومتها من النواة . ومعدل قطر حجم جرثومتها الحوصلية نحو جزء من الف من المليمتر . والمبلمتر جزء من الف من المتر

وهي قديمة العهد جداً كما تدل على ذلك آثارها في الاحافير المتحجرة في عصر تكون الفحم الحجري وما قبله . وتوجد في البرك والانهر والبحار ، وتكثر في المراحيض وكوم الزبل ، وفي التراب ، وحيث تلتقي المواد المضيوية فتنمغن ، وفي جميع السوائل كالدّم

واللبن والبيرو والماء على أنواعه ، وفي المواد الغذائية الجامدة كاللحم والخمير وغيرهما . وكل مادة من هذا القبيل اذا ظلت مدة معرضة للهواء تنتابها البكتيريا وتوالد فيها بسرعة وكثرة هائلة . ولذلك فهي منتشرة في كل مكان تحت سطح الارض وعليه وفي الهواء وداخل الاجسام الحية . فهي عالم بعاشرنا ويعد بملايين الملايين ولم نكن نعلم عنه شيئاً يذكر حتى اواسط القرن الماضي

ويقل انتشار هذه الاحياء في الاعالي والبلدان المفتوحة الجوانب خصوصاً في الشمال حيث نقل جداً بالقرب من القطبة الشمالية او تعدم بتاتاً . ويزنى منها هواء البحر والاقیانوسات لانه في قلبه كثيراً ما يلامس الماء فيلقبها فيه ولذلك فهو البحر اقل نقلاً للمرض والعدوى به . وكلما ارتفعنا في الجبال قل وجودها حتى تكاد تفقد على علو ٦٠٠ متر فافوق ذلك . ولهذا السبب تنسب مناعة اهل الجبال على بعض الامراض كالحمى الصفراء وغيره مما لا تنقل ميكروباته المحمولة على ذرات الغبار التي تقل جداً في هواء الاماكن المرتفعة

وتعيش الميكروبات على الحيوانات في درجات مختلفة من الحرارة . والنبات اقل ملاءمة لنموها لما فيه من السوائل الحامضة . الا انها تكثر ايضاً في الجذور والاغصان ذات الغدد تحت الارض وفوقها . وهي تكثر في القناة الهضمية الا حيث تجتمع المقرزات الحامضة لان الحامض عدوها ولذلك يحسن معاطاته في اوقات انتشار الوبئة . وقد عنى بعض العلماء مكانة كبرى على استعمال اللبن الرائب لما فيه من الحامض حتى نسب طول الحياة الى طول استعماله غذاء

تولد الميكروبات ونموها وفعلها - تتولد الميكروبات بالانقسام الذاتي فتتخذ اشكال انواعها المتعددة بين مستدير وضيبي وخيطي الخ . والمعتاد ان يكون انقسامها عرضاً لا طولاً فتتشق كالبراءة اذا نصفناها بالثقب طولاً

وقد امتحن بعضهم سرعة تولد هذه المخلوقات الصغيرة فزرع حويصلة خويطية منها في مرق الساعة ١١ صباحاً وكانت اشبه شيء بنقطة ترسم برأس ابرة فتضاعفت بعد ساعة بالانتفاخ وافرخت عند الساعة $3\frac{1}{2}$ بعد الظهر وصارت عشرة اضعاف حجمها الاصلي عند الساعة $8\frac{1}{2}$ فانخذت شكلاً مستطيلاً معقداً وعند نصف الليل كانت قد بلغت ١٢ عقدة كل منها حويصلة مستقلة . وبعد ذلك بدأت تنقسم عند ثلثها الاعلى انقساماً جانبياً بشكل قضبان دقيقة

وهذا الانقسام كثيراً ما يحدث في بعض الانواع بعد نصف ساعة من زرعها وما يشتق منها يعود فينقسم ايضاً بمثل هذا الوقت فيبلغ عدد ما يتولد منها في ٢٤ ساعة ملايين الملايين كما لا يخفى على الحساب . وبعد هذا الايضاح نعلم شدة الخطر جلياً من كثرة تولد الميكروبات الضارة داخل الجسم . بمثل هذه السرعة . ولا يكون على الجسم خطر منها الا اذا كانت من الانواع التي تترك في الدم مفرزات او بقايا سامة اي لا تلائم بطبيعتها طبيعة الدم لاختلاف مادته عن مادتها اختلافاً عظيماً

اما فعل البكتيريا في الجماد والاحياء، فعلى غاية الشأن . لانها هي التي تخمر الحبوب والخل والخمر وسائر المشروبات وتعديل المواد السائلة من دم وماء فتفسد وتنفع بها كيفية هذا التعديل وهي التي تفتت الصخور وتسحل وجه الارض وتساعد على نمو النبات وحياة الحيوان بل قد عدوا بعضهم اصل جميع الكائنات العضوية . واليك اخص فعلها في الحيوان والنبات والجماد

فعلها في الحيوان — اهم افعال الميكروبات بالنظر الى حياة الحيوان ما تحدثه من المنفعة والضرر . فهي تفيد الحيوان من اوجه عديدة لا يتسع ارقام لا يراوها بما لا تفصيل ويكفي لتقدير نفعها مكانة وجودها في الماء الذي نشرب . لانه اذا خلا منها بالتقطير صار ضاراً واذا خلت مياه اي نبع خلواً تالماً منها انقلبت سماً نافماً كما يعلم ذلك من اختصار الينا بيع الشديدة الصفاء في بعض انحاء العالم فانها تفسد شار بها ضرراً بليغاً اذا انثني منها وجورد الميكروبات

وقد ثبت بعد امتحانات باستور ان لا حي يتولد من غير الحي ولذلك فلا يفسد اللحم ولا تختمر السائلات على انواعها الا بفعل هذه الميكروبات ومفرزاتها . فهي التي تهيب لنا ما ننعم به من المشروبات المخمرة كالخمر والبيرة واللبن الرائب والجبن والزبدة وغيرها مما لا يحيط به العدد . فلوفرنا فقد هذه الميكروبات فجأة لا تقلبت احوال المعيشة انقلاباً يهولنا نصوره . لانها هي التي يتم بواسطتها الاختار والتفنن وديع الجلود وتحضير النيل والتبغ وسائر ما له اتصال برغد العيش خصوصاً انماء الزرع كما سيجي . فمعظمها نافع لدوات الحياة

غير أن بعضها يفرز في الدم مادة سامة فيمرض او يهيئ للمرض . وقد ثبت الآن ان جميع الامراض وفي جملتها القروح والبثور وغيرها مسبب عنها . ولا نستثني من ذلك الا بعض العلل الناجمة عن فعل حيويونات ضارة

وبعد كشف كيفية فعل هذه الميكروبات صار من السهل شفاء الجراح بحفظها سليمة من الفساد وما الفساد الا فعل هذه المخلوقات الصغيرة في الدم . فكل ما يمتها من الادوية والعقاقير يسمى مطهراً لانه يمنع افسادها للدم وميكروبات الامراض تختلف كثيراً في شكلها ومدة حياتها . فبعضها هو ضمي الشكل كيكروب الكوليرا ومنها ما هو يضيوي او مستدير او غير ذلك . وبعضها لا يعيش بضعة ايام كيكروب الكوليرا الذي علم انه يموت بعد اسبوع من ولادته او اقل من ذلك . وغيره كيكروب الخناق او الدفتيريا قد يعيش سنة كاملة . وميكروب السل يعمر ابناً وتساعده المواد الحامضة على الفتك بالناس ليس لان الحامض يلائم طبعه بل لانه يهدم جدران الخلايا الرئوية المسلوكة كلما أهداتها التغذية المقوية الى حالة كسبية . ولذلك فلا يجوز للسلول تناول الاطعمة الحامضة مطلقاً . واذا اقتصر على الاغذية القلوية ساعد الطبيعة على شفاؤه

فعلها في النبات — في التربة انواع من البكتيريا لا تعيش الا على المواد النباتية كما انه يوجد غيرها مما يعيش على المواد المعدنية . فيكروبات النبات تتناول من الهواء المادة الكربونية فتشملها اي تضمها وتفتت بها فتفصل بذلك النيتروجين وتبته في جذور النبات . ومنها انواع تحمل الماء والهواء الى عناصرهما فتسهل على النبات الاغذاء بما يلائمه من هذه العناصر

وما يستحق الذكر من افعالها ان بعضها يعمل عكس عمل الآخر فيتكون من هذه الاعمال دورة في تكييف المواد الغذائية تشبه الدورة المائية التي تتم بتبخير الشمس لمياه الابحر وغيرها فتصعد المياه الى الجو حيث تتعقد مطراً يعود الى الارض فيتبخر ثانية ويصعد ثم يعود وهكذا . وعلى هذا المنوال تحول انواع البكتيريا المواد النشادرية في التربة الى نيترات نباتية يتناولها الحيوان بعد تحولها الى بروتيد ثم تعيدها البكتيريا الى نشادر ثم الى نيترات وهكذا كان ييدها قياد العناصر الغذائية تصرفها طبقاً لنواميس حفظ الوجود

وفي التربة نوع من البكتيريا الخيطية الشكل تدخل أهداب جذور النباتات القرنية كالقول السوداني وتخترق نسيجها فتشله فتكون عقداً او غدداً تغذيها بانتهروجين . وهذا هو سر تولد البطاطا وسائر الاثمار التي تحت الارض والغدد المفصية في السديان . وهي التي تنخر قصب السكر وغيرها .

وقد عني الألمان بتربية الانواع البكتيرية التي تخصب بعض النباتات وسموها بكتيريا النتروجين لكثرة ما تقدمه من هذا العنصر لتغذية النبات . وربي غيرهم غيرها مما يحسن به نمو الورد والقمح والقطاني والخضر وغير ذلك فتفعل فعل السماد «الزبل الطبيعي»

وطريقة استعمالها انهم يربون انواع البكتيريا في مادة تلائم نموها ثم ينقعون بهذه المادة البذار او يذرون منه في التربة المراد زرعها فيقبل الزرع إقبالاً غريباً . وفي أكثر عواصم اوربا واميركا الآن مستودعات لبعم هذا اللقاح البكتيري فمألى المزارعين عندنا الا ان يخذواخذو مزارعي البلدان الراقية فيستفيدون ويفيدون البلاد

فعلها في الجماد — اي المواد غير الآلية . من البكتيريا انواع انما تعيش على الجماد كالصخور والمعادن على اختلاف اجناسها فيكون لها المكانة المهمة في بنائها وهدمها ما يشبه الدورة المسائية المذكورة آنفاً . فبكتيريا الكبريت مثلاً تفعل هذا الفعل بتوليدها الكلتيسيوم الذي تحول الى تجسيوم ثم الى كبريت ثم تحله وتعيده سيرته الاولى . ويقال مثل ذلك عن بكتيريا الفخور والحديد وسائر المعادن . وتعد التربة لتكون صالحة لان ينشئ منها النبات ولان ينشئ من هذا الحيوان ثم تعود مفرزات هذا وبقاياها الى التربة . فهي اول ممثل لا قدم اشكال الحياة المحرزة بقوة تحول عادات الحياة الى اشكال حيوية . ولذلك فلها المقام الاول في انشاء الحياة على سطح كرتنا الارضية حتى عداها بعضهم اول جرثومة حية في الوجود كان لها شأن واي شأن على وجه البسيطة

وفوق ذلك كله قد اتفق انما هي التي تحدث الحرارة بشدة حركاتها عند تضسيد الشبغ بعضه فوق بعض وعند تكويم القطن والبن الخ حتى لقد تحدث اشتعال بعض هذه المواد اذا ساعدتها حرارة الطبيعة

وهي التي يضي بها سطح البحر لانه انوكسد الهيدروجين المنفصر في الماء كما توكد الكحل في الخمر فيقلب حلاً

خلاصة — نحن عاشون في وسط هوالم خفية عن النظر تدعى البكتيريا او الميكروبات . ومعظمها نافع للانسان بما يحدثه من التغيرات المفيدة في الجوامد والسوائل . ويمكن اتقاء الضرر منها بتلقيح الجسم بسم مخفف منها كصل الدفتيريا ولقاح الجدري وغيرهما . وان هذه الاحياء تعيش في درجات متفاوتة من الحر والبرد . فبعضها يعيش في قلب الثلج وبعضها يتي حياً في حرارة تبلغ أكثر من مئة درجة بمقياس سنتيفراد ولذلك يجب اتقاؤها بالحيلة الصحية التي قاعدتها الذهبية «احفظ بدلك وصن شغلك»

ولنا في أجسامنا من كريات الدم البيضاء خير واق من كثير من الميكروبات الضارة
لان هذه الكريات تبتلعها فتمنع انتشارها وتوليد السم بمفرزاتها
وقد علم ان التعب والجوع الشديد والتعرض للبرد جميع هذه تقلل مناعة الجسم
فتزيد تعرضاً لفعل البكتيريا السامة . وان الحوامض تخفف فتكها بكريات الدم الحمراء .
وبعض الناس يمتنعون على بعض الامراض لعدم وجود إغفة كيميائية بين خلايا اجسامهم
وبين سم البكتيريا وهذا هو السر في نجاة الكثيرين من فعل الاوبئة في حين وقوع
غيرهم فريسة لها

ويقال اجمالاً ان درس طبائع البكتيريا واخصاً اعما لقوة الانسان في كثير من
الحالات من حسنات النصف الاخير من القرن الماضي الذي فتح باباً واسعاً للتوغل في
البحث البكتيري الذي لا بد ان ينتهي الى كشف حقائق نافعة تدهش العقول بما تحدثه
من الانقلاب في سير العمران وترقية حياة الانسان .

خليل سعاد

بيروت

آيات العادات

يقف الناظر في دواوين الادب ومجاميع الشعر والاخبار على آيات غامضة المعنى
يشكل عليه فهمها يسميها علماء الادب بآيات المعاني . وقد عونا قديماً يجمعها وتدوينها
وشرح معانيها وتفسير مستغلقها الا ان يد الضياع تلاعبت بتلك المؤلفات فلم يصل اليها
منها الا القليل ولم تقف على هذا النوع من الشعر الا باعتباراً مفارقاً في تضاعيف الاسفار
المختلفة . اذكر اني كنت اراجع مرة في شرح القاموس مع الامير محمود سامي باشا
البارودي فمر بنا قول القائل

فوردت مثل الياني الهزاهز تدفع عن اعناقها بالاعجاز

فلم يتكشف لنا معناه مع اطالة الروية واجهاد الفكر الا بعد ان سألنا عنه استاذنا
الامام الشنقيطي رحمه الله فقال هذا من آيات المعاني يذكر ابلا وردت غديراً كالسيف
الصقيل في الصفاء وقوله تدفع عن اعناقها الخ يعني انها كثيرة الالبان ممثلة الضروع
وضروعها في اعجازها فاذا نزل الضيوف بصاحبها قرام من لبها فأغنى ذلك عن نحرها
فتكون دفعت عن اعناقها باعجازها قال وقام الرجز (اعيت على مقصدنا والرجاز) انتهى

وقد عثرت على ضرب آخر من الشران لم يكن من هذا النمط فهو منه قريب
رأيت ان اجمع ما تيسر لي منه واسميه (بابات العادات) وهي آيات ظاهرة اللفظ
والمعنى الا انها غامضة من جهة القصد والمرمى فلا يفهم مراد قائلها الا بمعرفة عادة من
عادات العرب او مزعم من مزاعمهم بني عليه البيت كقول الخنساء في رثاء اخيها معاوية
فلا والله لا تسلاك نفسي لفاحشة اتيت ولا عتوق
ولكني رأيت الصبر خيراً من النعلين والرأس الحليق

فليس في الفاظ البيتين لفظ غريب غير مفهوم كما ان معناه ظاهراً في غاية الوضوح
وانما الاشكال في مرادها بالنعلين والرأس الحليق فاذا عرفنا ان العادة كانت عند
نساء العرب اذا اصبن في حميم ان يحلقن رؤوسهن وتأخذ الواحدة منهن نعلين في يديها
تصفق بهما وجهها زال عنا الاشكال واستبان لنا القصد . وفي معنى بيتي الخنساء
قول عبد مناف بن ربيع الهذلي

ماذا يغير ابنتي ربيع عرويلهما لا ترقدان ولا بوئسى لمن رقدا
كلتاها أبظنت احشاؤهما قصباً من بطن حلية لا رطباً ولا نقدا
اذ اتاؤب نوح قامتاه ضربا اليما بسبت يلعب الجلدا
وهو نوع مستخلص من الشعر لم ارم اعتنوا بجمعه اعتناءهم بابات المعاني . فمنه قول زهير
ابن ابي سلى

ومن يعص أطراف الزجاج فانه يطمع العوالي ركب كل لهزم
الزجاج بالكسر جمع زج بالضم وهي حديدة تكون في ساق الرمح واللهزم السنان
ويكون في عاليته وظاهر المعنى ان من ابى الصلح ذلته الحرب او من لا يقبل الامر
الصغير اضطر الى قبول الكبير والبيت مع صلاحه لهذا المعنى فانه ينفعن شيئاً آخر من
عاداتهم وذلك ان الفتيين من العرب كانتا اذا التقتا في القتال سددت كل واحدة
منهما زجاج الرماح نحو صاحبتها ثم يسمى الساعون في الصلح فان ابتا الا التادي سفي
القتال قلبت كل واحدة منها الرماح واقتلتا بالاسنة
(ومن آيات العادات) قول النابغة الدباني :

فبت كاني ساورني ضئيلة من الرقش في انيابها السم نافع
يسهد من ليل التام سليمها لحلي النساء في يديه قعافع
السليم الملدوغ وفات عادتهم كما في لسان العرب وشرح الديوان ان يضعوا في ابدي

المهدوغ شيئاً من الحلي لثلاثين فيدب السم في جسده فيقتله ومثله قول الآخر
فبت معنى بالهموم كأنني سليم نفي عنه الرقاد الجلال
قلت وغريب تقارب بعض العادات عند الام فقد حكى لي شيخ من من الجراكسة
ان من عاداتهم في بلادهم انهم لا يدعون الجريح ينام لثلاثين يوماً فيهم فيعملون
حوله من يقرع على طست او قدر من النحاس ليوقظه كلما اغنى ولا يزالون يتناوبون
ذلك حتى يتم شفاؤه .

(ومن آيات العادات) قول الربيع بن زياد في مالك بن زهير العبسي
من كان مسروراً بمقتل مالك فليأت نسوتنا بوجه نهار
يمجد النساء حواسراً يندبهن بلطمعن اوجهن بالاسحار
فان مراده ان من كان شامتاً مسروراً بمقتل مالك فليأت نسوتنا وهن على هذه
الحال ليعلم اننا اخذنا بثأره فلا يشمت به وذلك لان العرب كانت تندب قتلاها بعد
ادراك الثأر وقد حكى التبريزي اقوالاً اخرى في البيتين نخرجهما عما نحن فيه .
(ومنها) قول النكيت

احلامكم لسقام الجبل شافية كما دماؤكم تشفي من الكلب
جاء في معاهد التنصيص قال ابن الاعرابي : كانت العرب تقول من اصابه الكلب
او الجنون لا يبرأ منه الا ان يسقى من دم ملك فهو يقول ان ممدوحه ارباب العقول
الراجحة ملوك واشراف ومثله قول القاسم بن حنبل من شعراء الحماسة
بنات مكارم وأساءة كلم دماؤهم من الكلب الشفاء
وقد حكى التبريزي في شرحه نحوه مما حكاه ابن الاعرابي ثم قال وقيل في دوائه
ان تشرط الاصبع الوسطى من يسرى رجل شريف ويؤخذ من دمه قطرة على قمرة
فيطعم المعضوض فبرأ وقيل انه يسعط به انتهى . ومثله قول عبد الله بن الزبير
(بفتح الزاي وكسر الباء) الاسدي في عبده بن زياد

من خير بيت علمناه واكرمه كانت دماؤهم تشفي من الكلب
وقول عبده بن قيس الرقيات
عاودني النكس فاشتفيت كما تشفي دماء الملوك من كلب
وقول ابن عباس الكندي ابني أسد في قتلهم حجر بن عمرو
عييد العصا جثمت بقتل رئيسكم تريقون نامورا شفاء من الكلب

التامور هنا الدم . وكلهم اقتصروا على ذكر الكلب وقد جمع الفرزدق بينه وبين الجنون فقال :

ولوتشرب الكلبى المراض دماءنا شفتها وذو الخبل الذي هو أدلف
وذكر الجنون عامم بن فرية الجاهلي فقال :

وداويته : يا به من مجنة دم ابن كهال والنطاسي واقف
وقلده دهرأ تميحة جده وليس لشيء كاده الله صادف

صادف بمعنى صارف . قال الجاحظ وكان اصحابنا يزعمون ان قولهم دماء الملوك شفاء من الكلب على معنى ان الدم الكريم هو الثأر المنيم وان داء الكلاب على معنى قول الشاعر :

كلب من جس ما قد مسه وافانين فؤاد مختبل

وعلى معنى قولهم (كلب بضرب جاحم ورقاب) فاذا كلب من التليظ والغضب فأدرك تأره فذلك هو الشفاء من الكلب وليس ان هناك دماً في الحقيقة يشرب ولولا قول عاصم ابن الفرية (والنطاسي واقف) لكان ذلك التأويل جائزاً انتهى كلامه . قلت وقد

تظرف البحتري فقال يعني من انتصد واخرجه مخرج هذا الزعم عند العرب
ليهنك البرء مما كنت تألمه وليهنك الاجر عقبى صائب الوصب
لئن فصدت ابتغاء البرء من سقم فقد ارقط دماً يشفي من الكلب

(ومن ايات العادات) قول القائل :

ولا عيب فينا غير عرق لمعشر كرام وانا لا نخط على النمل

النمل هنا جمع نملة وهي فرحة تخرج في الجسد ولولم يكن البيت مبنياً على عادة لم لا كان معنى لافتخاره بانه ممن لا يخطون على تلك القروح ولكن مراد الشاعر اننا نجوس نتزوج الاخوات لزعم العرب ان ابن المجوسي اذا كان من اخته وخط بيده على النملة ابرأها كذا في كتابات الجرجاني وذكر صاحب اللسان والعلامة ابن القيم في كتابه الفوائد المتوق الى علوم القرآن وعلم البيان ان ذلك من زعم المجوس انفسهم . قلت لا مانع من ان يكون انتقل منهم الى العرب فاعتقدوه و اضافوه الى مزاعمهم في الجاهلية كما انتقلت لبعضهم اشياء من التمجس عن الفرس .

(ومنها) قول سبرة بن عمرو الفقعسي

انسى دفاعي عنك اذ انت مسلم وقد سال من ذل عليك قراقر

ونسوتكم في الروح باد وجوهها يُخاف اماء والاماء حرائر
وذلك لان الحرائر كن في مثل ذلك الوقت يتشبهن بالاماء في كشف وجوههن
ليزهد فيهن فيأمن السبي كما في شرح الحماة للتبريزي وقال ايضا في تفسير قوله
عمرو بن معد يكرب

لما رأيت نساءنا يفحصن بالجزاء شدة
وبدت ليس كأنها بدر السماء اذا تبدى

ان المعنى برزت كاشفة عن وجهها كأنها قد ارسلت نقابها ودل على هذا بقوله
كأنها بدر السماء اذا تبدى وانما فعلت ذلك اما للتشبه بالاماء حتى تأمن السباء او لما
تدخلها من الرعب انتهى . قلت وليس من هذا ما انشده الاثنانداني في كتاب معاني
الشعر لذي الخرق الطهوي او لغيره

ولما رأين بني عاصم ذكرن الذي كن أنسينه
فوارين ما كن حصرنه واخفين ما كن ابدينه

لان معناه كما فسرهن انهن نساء قد سبين فسين الحياء وابدين وجوههن فلما رأين
بني عاصم ايقن انهن قد استنقذن فراجعن حياءهن فسترن ما كن ابدينه انتهى .
(ومنها) قول عذرة

تركت جريرة العمري فيه شديد العير معتدل شديد
فان هيرا فلم انتف عليه وان يفقد فحق له الفمود

يريد تركته وفيه سهم شديد العير والعير الثاني وسط النصل والبيت الثاني بني علي
عادة كانت لم وهي ان الرجل منهم كان اذا رمي بسهم واراد سلامة الرمية منه رقى
سهمه واذا اراد الاهلاك لم يفعل ذلك
(وهي) قول بكشة اخت عمرو بن معد يكرب

ارسل عبد الله اذ خان يومه الى قومه لا تعقلوا لم دمي
ولا تأخذوا منهم افالا وابكرا واترك في بيت بصعدة مظالم

البيت الاول مخروم وصعدة مخلاف من مخالفات اليمن والمعنى ان هذا المراثي ارسل
يقول لقومه بلسان الحال لا تأخذوا بدل دمي عقلا اي دية وتتركوني في قبر مظلم تريد
بذلك تحريضهم على اخذ الثأر ولا يفهم من ظاهر قولها بيت مظلم الا حكاية الحال لان
القبر لا يكون الا مظلمًا ولكن الامر ليس كذلك بل هو مبني على ما كانوا يزعمون ان

قبر المقنول لا يزال مظلماً حتى يثأروا به فان فعلوا اضاء .

(ومنها) قول جرير يرثي قيس بن ضرار

اغلن انهمال الدمع ليس بمنتنه عن العين حتى يضمحل سوادها

وُحَقَّ لقيس ان يباح له الحلى وان تُعقر الوجناء ان خف زادها

وهو مبني على عادة لم وهي ان الرجل كان اذا مرَّ بقبر رئيس وهو في صحبة احب ان ينوب عن المتبور في الضيافة واذا لم يساعده من الطعام ما بدعوا الناس اليه عقر نافته اكراماً له . ولما قتل ربيعة بن مكدّم كان لا يمر بقبره احد من العرب الا عقر عليه دابة او بعيراً حتى مرَّ به شيخ كبير فقال لا اعقر فاقني ولكن اريه مكان ذلك ورثاء بقوله :

لا يبعدن ربيعة بن مكدّم وسقى الغواذي قبره بذنوب

نفرت قلوصي من حجارة حرة بنيت على طلق اليمين وهوب

لا تنفري ياناقي منه فانه شرّيب خمر مسعر لحروب

لولا السفار وبمدخرق مهمة لتركتها تحجو على العرقوب

فكان اول من ترك العقر عليه

(ومنها) قول الخطيئة

قد ناضلوك وسلوا من كنانتهم مجدّاً تليداً ونبلاً غير انكاس

قال التبريزي في شرح الحماسة اراد بالمجد التليد ان الشجاع منهم كان اذا أمر

فارساً مذكوراً فمن عليه جزئ ناصيته وجعلها في كنانته . وفسره ابن ابي الاصبع في

كتابه بديع القرآن تفسيراً آخر فقال معنى هذا البيت لا يعرفه الا من عرف ان عادة

العرب اذا منوا على اسير اعطوه نبلاً من نبلهم عليها اشارة تدل على انها لاولئك القوم

لا تزال في كنانته فقال الخطيئة لهذا الممدوح الذي عناء بهذا المدح ان عداك لما

فاخروك سلوا من كنانتهم نبلك التي اعطيتها لم حين مننت عليهم تشهد لك بانهم

عناؤك فكان هذا مجدّاً تليداً لك لا يقدرّون على جمده ثبته لك هذه الذيل التي

ليست بانكاس يعني الصائبات التي لا تنكس اذا ناضلت بها عن العرّض وهذا غاية

المدح للممدوح ونهاية المهجاء لعداء اذا خبرناهم مع معرفتهم بفضلهم عليهم فباخرونه بما

اذا اظهروه اثبت له الفضل عليهم وهذا غاية الجبل منهم والغبوة انتهى كلامه .

(ومنها) قول سميم عبد ذي الحنظاس

فكم قد شققنا من رداء منير ومن برقع عن طفلة غير عانس
 اذا شقَّ برد شق بالبرد برقع دواليك حتى كلسا غير لابس
 جاء في شرح شواهد الجمل ان العرب كانت تقول ايا امرأة احبت رجلاً فلم يشق
 برقعها وتشق هي رداءه فسد ما بينهما انتهى . ويروى (اذا شق برد شق بالبرد مثله)
 وحكوا ان العرب كانت تزعم ان النخابين اذا شق كل واحد منهما ثوب صاحبه دامت
 موتهما ولم تفسد .

(ومنها) قول عمر بن ابي ربيعة

أهيم بها في كل مسمى ومصبح واكثر دعواها اذا خدرت رجلي
 لانهم كانوا يزعمون ان الرجل اذا خدرت رجله وذكر من يجب او دعاه ذهب
 خدرها . ومثله للجمل

وانت لعيني قرة حين نلتني وذكرك يشفيني اذا خدرت رجلي
 (ومنها) قول الاعشى

وبأمر للجحوم كل عشية بقت وتعلق فقد كاد يستنق
 روى الثعالبى في فقه اللغة بعين بدل قت . والجحوم فرس كان للنعمان بن المنذر
 والسبق في الدواب بمنزلة الخنعة في الانسان وليس في ظاهر معنى البيت ما يستحسن بل
 قال فيه بعض من لا يعرف عاداتهم ان القيام على الفرس والاعتناء به لفته حتى يكاد
 ينغم ليس مما تمدح به السوق فضلاً عن الملوك ومراد الشاعر وراء كل هذا لانه بناء
 على عادة كانت لملوك العرب وذلك انه بلغ من حزمهم ونظرم في العواقب ان احدم
 لا بيت الا وفرسه موقوف بسرجه ولجامه بين يديه قريباً منه مخافة عدو يفجوه او
 حالة تصعب عليه فكان للنعمان فرس يقال له الجحوم يتعاهده كل عشية وهذا مما تادح
 به العرب من القيام بالخيول وارتباطها بافنية البهوت كما في العقد الفريد . وقد ذكر
 الاعشى الجحوم ايضاً في قوله

او فارس الجحوم يتبعهم كالطلق يتبع ليلة البر
 يعني بفارسه النعمان وقال ليبد

والحارثان كلاهما ومحرق والنعمان وفارس الجحوم

(ومنها) قول الشاعر

كفك الله يا عصم بن لائي حبال بني ابيك وهم عيام

إذا مروا بمجيزك لم يعرجوا ولو غطى سبيلهم الظلام
عيام أي شهاوى إلى اللبن ومجيزك يعني بنواحيك جمع جيزة بالكسر . وكان
من عادتهم أن الرجل كان يحمل حبلاً ويستترده عشيرته فإذا أعطى التاة والحاشية من
الأبل ربطها بالحبل كذا في معاني الشعر للاشتانداني والبيت أقرب لآيات المعاني منه
لآيات العادات .

(ومنها) قول الآخر يصف حمراً

يلوي مجامع لحيه فكأنه لما تخط في السحيل نقيب

نقيب أي منقوب الخبيرة وكان من عادة العرب إذا اشتد الزمان نقبوا حجارة
الكلب أو غلصته ليضعف صوته فلا يسمع الضيف صياحه فشبّه نقيق هذا الحمار
بصياح الكلب النقيب . وفي اللسان أن ذلك كان يفعله البخلاء من العرب لئلا
يطرقهم ضيف باستماع نباح الكلاب . وانشد الاشتانداني في معاني الشعر
تجاوبن إذ بركن والليل غاسق تعاوي منقوبات حي محارب
وقال في نفسه منقوبات الكلاب كانوا إذا اشتد الزمان نقبوا لسان الكلب
لئلا يسمع نباحه يقول فهذه الأبل كأنها منقوبات يصف ابلاً معيية فهي ترغو رغاء
ضعيفاً .

(ومنها) قول الآخر

تلفت نحو الحي حتى وجدتني وجعت من الاصغاء لينا واحد

فظاهر معناه أنه لشدة شوقه إلى الحي أكثر التلفت نحوه حتى وجعته عنقه .
ولكن الراغب الأصمغاني في محاضراته حمله على عادة كانت لهم وهي زعمهم أن المسافر
إذا خرج فالتفت لم يتم سفره قال فالتفت له لأنه كان عاشقاً فأحب أن لا يتم سفره ليرجع
إلى من يحب .

(ومنها) قول بشر بن أبي خازم (دخاء المعجمة والزاي)

تظل مقاليت النساء يطانة يقان الأياقي على المرء مئزر

المقاليت جمع مقالات بالكسر وهي التي لم يبق لها ولد . والبيت مبني على ما كانت
العرب تزعم أن المقالات إذا ولدت رجلاً كرمياً قتل غدرًا عاش ولدها كذا في اللسان
(ومنها) قول متم بن نويرة في أخيه مالك

لقد كفن المنهال تحت ردائه فني غير مبطان العشيات أروعا

وكان المنهال قتل ما نكأ والرداء هنا السيف وكانت العادة عند العرب اذا قتل الرجل منهم رجلاً مشهوراً وضع سيفه عليه ليعرف قاتله كما في اللسان .
(ومنها) قول القائل

فقات لها عين الفخيل تعيفا وفيهن رعلاء المسامع والحامي
انشده الجاحظ في البيان والتهيين والفخيل بفتح فكسر الفحل الكرم وانشد ايضا
وهب لنا وانت ذوا متنان نفقا فيها اعين البعران
وانشد ايضا

فكان شكر القوم عند المنن كي الصحاح وفتح الاعين
وكلها مبنية على عادة كانت لم ذكرها الجاحظ وهي انهم كانوا اذا بلغت ابلم الف
فقوا عين الفحل فان زادت فتوا عينه الاخرى قال فذلك المفق والمعمى . وفي مادة
(عمى) من اللسان قال الازهرى وقرأت بخط ابي الهيثم في قول الفرزدق
غلبتك بالمفقي والمعمى وبيت المحتبي والخانقات

قال نحر الفرزدق في هذا البيت على جرير لان العرب كانت اذا كان لاحدم الف
بغير فقا عين بغير منها فاذا تمت الفان عماء وأعماء فافتخر عليه بكثرة ماله قال والخانقات
الرايات انتهى ما في اللسان . نلت اذا كان معنى البيت على ما فهمه ابو الهيثم كان
الصواب ان يكون المفقاً بصيغة اسم المفعول لا بصيغة اسم الفاعل . وقد روى البيت في
مادة فقاً (بالمفقي والمعنى) بالنون ونقل المصنف عن الليث ان العرب كانت في الجاهلية
اذا بلغ ابل الرجل منهم الفا فقا عين بغير منها وسرحه حتى لا ينتفع به ثم حكى عن
الازهرى ان معنى المفقي في هذا البيت ليس على ما ذهب اليه الليث وانما اراد الفرزدق
قوله لجرير

ولست ولو فقات عينك واجدا أبالك ان عد المساعي كدارم
انتهى . قلت القول ما ذهب اليه الازهرى لما سيرد عليك والظاهر ان الذي حمل
الليث على ان بفهم في المفقي ما فهم كونه المعنى بطلق على حمل كان اهل الجاهلية
ينزعون مناسن فقرته اي حروفها وبقرون سنانه لئلا يركب ولا ينتفع بظهره بفعل
فذلك الرجل منهم اذا بلغت ابله مائة ليعرف انه عمي . فظن الليث ان الفرزدق اراده
يحمل المفقي عليه وكان وجهه على ما فهم ان يرسم ايضا بصيغة اسم المفعول كما قدمنا .
والصواب في معنى البيت ما ذكره صاحب اللسان في مادة (عنا) نقلا عن ابن سيده

ان مراد الفرزدق بالمفقي، بيته في جرير المتقدم ذكره ومراده بالمعنى (ضبط بكسر
النون) قوله له

تعنى يا جرير لغير شيء وقد ذهب القهائد للرواة

فكيف ترد ما بعمان منها وما يجيال مصر مشهرات

ونقل عن الجوهرى ان مراده بالمعنى قوله

فانك اذ تسعى لثدرك دارمًا لأنك المعنى يا جرير المكلف

قلت وعليه يصح ضبط المعنى في بيت الفرزدق بالفنح . قال واراد بالمعنى قوله

بيت زرارة محتب بفنائيه ومحاشع وابو الفوارس نهشل

لا يحجبني بفناء بيتك مثاهم ابداً اذا عد الفعال الافضل

واراد بالخافات قوله

واين يقضي المالكان امورها بحق واين الخافات اللوامع

اخذنا بافاق السماء عليكم انما اقرها والنجوم الطوالع

اي غلبتك باربع قصائد منها هذه الايات وتلى هذا لا بعد البيت من ايات

العادات وانما اطلت الكلام فيه لانه كان سبباً لخلاف استطار شرره بين بعض الادباء

بمصر

(ومن ايات العادات) قول آدم مولى بلعنبر

وان اراد جدل صعب أرب خصومة تعقب اوساط الركب

اطلعة من رتب الى رتب

من رجز يقوله لابنه انشده الجاحظ في البيان والتبيين . وقد يسأل لم كانت هذه

الخصومة لتعقب الركب فالجواب نه كان من عادتهم اذا تخاصموا جثوا على الركب

(ومنها) قول عتيبة بن مجير المازني من شعراء الحماسة

ومستبج بات الصدى يستنبيه الى كل صوت فهو في الرحل جانح

فقلت لاهلي ما بغام مطية وسار أضافته الكلاب النواجم

فقالوا غريب طارق طوحت به متون الفياقي والخطوب الطوارج

وهذا مبني على عادة وهي ان الرجل من العرب كان اذا ضل وتخير في الليل فلم

يدري اين البيوت اخرج صوته على مثل النباح فتسمعه الكلاب وتظنه كلباً فتنبج فيستدل

بنياحها ويهتدي الى المكان . ومثله ما انشده ابو علي الثعالبي في اماليه

ومستنجح بات الصدى يستنبيه فتاه وجوز الليل مضطرب الكسر
رفعت له ناراً ثقبوباً زنادها تليح الى الساري هلم الى قدري
وانشد ايضاً في معناه

ومبدئ لي السخاء بيني وبينه دعوت وقد طال السري فدعائي
يعني كلاً نبح له فنبج فاهتدى به فكأنه دعاه بنباحه . والايات في هذا المعنى
كثيرة لا فائدة من سردها في هذه العجالة . وفي معنى استنجح ايضاً كلب الرجل
يكلب من باب ضرب واستكلب انشد ابن سيده في المختصر على الاول
وداع دعا بعد ما افقرت عليه البلاد ولم يكلب
وانشد صاحب اللسان على الثاني : ونبح الكلاب استكلب :
(ومنها) قول لبيد

ولقد حميت الحي تحمل شكتي فرط وشاحي اذ غدوت لجامها
الفرط بضمين الفرس المتقدمة السريعة والمعنى انني توشحت بلجام هذه الفرس
وهو بني على عادة ذكرها التبريزي في نسرح المعلفات وهي ان الفران كان احدهم
يتوشح لجام فرسه ليكون ساعة يفرع قريباً منه وتوشح اياه ان يلقيه على عاتقه ويخرج
منه بده . ومنه قول زياد بن حمل من شعراء الحماسة
ليست عليهم اذا يغدون اردية الاجياد قسي النبع والجهم
(ومنها) قول القائل

قلبت ثيابي والظنون تجول بي وترمي برجلي نحو كل سبيل
فلأيا بلاي ما عرفت جليتي وابصرت قصداً لم يصب بدليل
لان عادتهم كانت اذا ضل رجل منهم في فلاة قلب فيصه وصفق يديه كأنه
يومي بهما الى انسان يزعمون انه ان فعل ذلك اهتدى . هذا ما تبسر لي جمعه الآن
فان ظفرت بشيء بعد ذلك الحقته به .

احمد تيمور

القاهرة

الشرطي والورق

اللغوي اذا عثر على لفظه ووقف على اصلها ومعناها ومأناها بقر عيناً ويطيب نفساً ويثلج صدرأ كما نه وقع على كنزتين . ومن اغرب الامور ان المستشرقين يذولون شطراً صالحاً من اوقاتهم لتتبع معرفة اصول جميع الكلم السامية ولا سيما العربية . ولا نرى من 'بناء العرب 'ر' يعنى بمثل هذا الامر . واذا رابت نفراً يكتبون في هذا الموضوع من الناطقين بالضاد فلا تراه يخرجون عما جاء في كتب الاجداد الاولين ولا يوردون من الكلام الا ما نأقله الحلف عن السلب بدون ان ينقدوا كلام القائل ولا ينعموا النظر فيه اذا كان مصيباً في رأيه هذا او مخطئاً فترى كتبنا اللغوية الحديثة لا تخرج عن كتب الاقدمين ولو تقدم هذا العلم عند باحثي الافرنج من اللغويين المستشرقين تقدماً عظيماً وظهر بمظهر النور في الدياجي .

فالى متى نبقى في هذه الحالة المفرغة في قالب الجود او الخمود او الركود ؟ الم يحين الآن الذي نكسر فيه قيود الامر والرق ونخلق نفسنا من هذه السلاسل الضخمة التي بتينا راسفين فيها الى يومنا هذا ؟ بلى . لقد حان بل لقد فات الوقت كما فائنا في امور جمه ونحن في غفلة عنها وذهول .

على ان بعض كتاب العصر اخذوا يتابعون علماء الغرب من المولعين باللغات الشرقية في ابحاثهم وآرائهم ومذاهبهم وهبوا ويحارونهم واي مجازاة حتى كادوا يفوقونهم في بعض الابحاث . بيد ان بعضهم قاموا يقلدونهم تقليداً اعمى حتى انهم اذا رأوا ان غريباً قال بقول لم بعد الشرقي يتجاسر على مخالفة رأيه نأنا منه ان الافرنج اذا اوتروا القوس اغرقوا فيها ولا يتركون لمن ينزع فيها من عدم منزناً كما لا يقولون له منزناً . وهذا وهم ظاهر لكل ذي عينين اذا ما اراد ان يتروى في الامر ادنى ترو .

هذا ولنا نحن عدة شواهد اثباتاً لقولنا هذا . وهي وان كان بطول مردها جميعاً الا انه لا يحذر بنا ان لا نذكر منها بعضاً اثباتاً لقولنا واظهاراً للحق . فهذه كلمة شرطي او شرطة فان اللغويين قد ذهبوا فيها مذاهب . فمنهم من قال بانها عربية فصحي ومنهم من انكر اصلها هذا وجماعة ذكرت انها من معدن رومي او لاتيني ومنهم من خالف هذه الآراء . وها نحن ذا نورد بعض الشواهد .

قال في القاموس : « الشرطة بالضم واحد الشرط كهمرد وهم اول كتيبة تشهد

الحرب ونهباً للموت وطائفة من اعوان الولاية م وهو شرطي كثير وجنبي . سمو بذلك لانهم أعلموا انفسهم بعلامات يعرفون بها . ٨١٠ . والى هذا الرأي ذهب السيد المرتضى . فزاد على ما سبق : قاله الاصمعي . وقال ابو عبيدة : لانهم أعدوا (اي أعدوا انفسهم لذلك وأعلموا انفسهم بعلامات) . وبمثل هذا القول قال صاحب لسان العرب بل وجميع اصحاب المعاجم اللغوية بدون ان يشذ واحد منهم . وتأجهم في ذلك لغويو الافرنج أصحاب المعاجم العربية الافرنجية كوليوس وفريتاغ وقزيرسكي ولين وغيرهم .

على ان هذا الرأي لا يمكن ان يتسك به اللغوي . والسبب هو : لو كان الحرف مأخوذاً من الشرط لقالوا فيه « شارط » كضابط مثلاً من الضبط . او « مشطر » كالتزم . او نحو ذلك من المشتقات الدالة على الفاعلية لا شرطي بضم ففتح او بضم فسكون بل وكيف قالوا الشرطة . فلا شك ان اللغوي المتبحر حقائق الاصول ودقائق الفصول لا يقنع بهذا القول غير المعقول . فعي ولا جرم لمن الالفاظ الدخيلة وقدا تابه لها المستشرقون . واول من ذهب الى هذا الرأي فرنكل الالماني صاحب كتاب الالفاظ الارمية في اللغة العربية اذ قال : والاحسن اني احب ان يقول علماء العربية انها كلمة مصرية يونانية من *Cohore* او لعلها اليونانية (*Chortha* =) وتأثره في ذلك الاب لامنس اليسوعي في كتاب الفروق اذ يقول : « من المحتمل ان يكون معرباً عن *Cohore* مثل كردوسة » .

قلنا : وهذا ايضا لا يمكن ان يكون صحيحاً لان هذه اللفظة الاجنبية ان كانت مصرية يونانية او رومية محضة فهي لا تدل الا على طائفة او جماعة من العسكر والجنود ولا ترد بمعنى المفرد . والحال ان صح هذا الكلام عن الشرطة فلا يصح عن الشرطي فيجب ان تكون اللفظة الاصلية المنقولة عنها مفردة ليصح فيها التعريب او النقل عنها بصورة المفرد . وهذا يصح اذا قلنا انها تعريب اليونانية (*Stratiwthe*) وبالفرنسية (*Stradiot*) او (*Estradiot*) وهي بمعنى الشرطي العربية كما ان الشرطة هي تعريب (*Stratia as*) ويروا بها كتيبة الزحف او الجيش الزاحف الذي يهده الحرب ونهباً للموت . او من (*Stratos*) بمعناها

ومن هذا القبيل كلمة ورق والرقعة المراد بهما الدراهم المضروبة . فقد قال الفيروز ابادي : الورق مثله . وككتف وجبل : الدراهم المضروبة ج اوراق ووراق كالرقعة .

وزاد صاحب التاج : قال ابن سيدة : وربما سميت الفضة ورقاً . يقال اعطاه الف درهم رقة لا يخالطها شيء من المال غيرها . وقال ابو الهيثم : الورق والرقعة : الدرهم خاصة . وقال شمر : الرقة : العين ويقال هي من الفضة خاصة . ويقال الرقة الفضة والمال . عن ابن الاعرابي الى آخر ما هناك من الكلام الدال على ان الورق عديم من الاصل العربي الفصحى الصريح حتى انه لم يخطر على بال لغويي العرب انها دخيلة في لسانهم . وتابعهم في ذلك لغويو الافرنج ايضا اصحاب المعاجم العربية ولم يرتابوا في عجمتها او في عربيتها اذ قلدوا العرب في اغلب الاحيان عند نقلهم المعاجم الى لغتهم .

واول من تابعه لعجمتها في العربية فرنكل اللغوي الالماني المذكور اذ ذكر انها من الارمية (يرق) او من الحبشية « رنة » . قلت : وفي كلا اللغتين لم ترد اللفظة في الاصل على ما يدل انها بهذا المعنى في اول وضعها بل يحتمل ان اللغتين اخذتا هذا المعنى عن العرب انفسهم .

ومن قال بعجمتها ايضا الاب لامنس البسوعي في كتاب الفروق ص ٢٦٠ في الحاشية وهذا نص كلامه : « وفيه (اي الورق بمعنى الدرهم المضروبة) ثلاث لغات أخرى (كذا والاصح اربع لغات اخرى) : ورق . ورق . ورق (وزد عليها : ورق ككتف) ولا احسبه عربياً ولم يوجد في الكلام القديم . » اهـ . (كذا . ولوتروى . انا قال هذا القول . لان لفظة الورق وردت في شعر ثمامة السدومي وفي الحديث وفي شعر خالد بن الوليد وفي كلام كثيرين من الاقدمين عند مطالعة دواوينهم .) اما الصحيح عندي ان الورق من الفارسية تعريب « پره » بياء فارسية مثلثة رقيقة في الاول ثم راء . وفي الآخر هاء غير منقوطة . ويقال فيها ايضا پاره بمعناها . ويراد بها مطلق القطعة وتخص بقطعة الفضة المضروبة كما هو معنى البارة عندنا قبل خمسين سنة . ثم عوض عن البارة الفضية بارة نحاسية وبقي الاسم عليها وان تغيرت المادة التي اخذت منها .

هذا وانت تعلم ان الهاء الفارسية في الآخر تنقل الى القاف او الكاف او الجيم او الهاء في العربية . وقد صرح بذلك اغلب اللغويين كما في بابونج وبرذعة وبورق ونيزك واصلها بابونه وبرزه وبوره ونيزه واما الباء المثناة التحتية الفارسية فتكون اما رقيقة . واما مخجمة واما رقيقة ومخجمة معاً فلأن كانت رقيقة فنقل الى الواو بالعربية

او الباء الموحدة التحتية كما في بابوج وواشق اصلها بابوج ويأشبه واذا كانت مفخمة
فككون فاء في العربية كما في فارس واصفهان وان كانت بين المفخمة والمرفقة فهي تكون
تارة بالباء وطوراً بالواو واخرى بالفاء مثل قبان فيقال فيها قبان وقفان . قال الاصمعي : قفان :
قبان بالباء التي بين الباء والفاء اعربت باخلاصها فاء وقد يجوز اخلاصها بباء لان سيديويه
قد اطلق ذلك في الباء التي بين الفاء والباء (الاج في قفف) ومعنى قفان كل شيء . :
جماعه واسنقصاء معرفته .

وعليه قالوا في برة . ورق . وفي ياره : باره . لكن لما توهم العرب ان الورق مشتق
من ورق بل وانها مصدر ورق اجازوا فيها الوجه من فتالوا فيها ورق ورقة كما قالوا وعد
وعدة .

واغرب من هذا انهم جمعوا رقة على رقين كما قالوا في ارة : ارين . وقوم من
العرب توهموا الجمع مفرداً فوزنوه على فعمل بفتح الاول فقالوا : الرقين وفسروه بالدرهم
والرقيم ولعل الرقيم ورد بهذا المعنى ايضاً تحيفاً للرقين بالنون وهم يكثررون مثل هذا
الابدال في آخر الالفاظ كقولهم : الائم والالين . الغيم والغين . اسود فاتم وقاتن .
الحزن والحزن . البنان والبنام . القعم والقعن . ومثل هذه الالفاظ تعد بالئات .
فانظر حرصك الله كيف يتلاعب العرب بالالفاظ وكيف تنسج اللغة عندهم .
وكيف يبعد مجرى الكلام عن ينبوعه ومصدره ويكاد ينسيك الاصل الذي أخذ
عنه . كل ذلك من الاسرار الغامضة يتلذذ بالاطلاع عليها كل من له ذوق بهذه اللغة
الشريفة البعيدة الغور

واذ قد اطلمت على اصل لفظة الورق ولمي انها من الفارسية علمت علم اليقين ان
معناها كل قطعة من قطع المسكوكات كما تقول بالفرنساوية *pièce de monnaie*
ثم اطلمت على دراهم الفضة او على مطلق الدراهم ان فضية او ذهبية او نحاسية بشرط
ان تكون قطعة معدن مضروب لا غير .

هذا ما اردنا ايراده في هذا الباب ولما عداة شواهد من هذا القبيل

ساتنا

بغداد .



رسائل الانتقاد

تابع لما سبق

قال أبو الريان ومن شر عيوب الشعر كلها الكسر لانه يخرج من نعت شعراً وليس مما يقع ان نعت بشاعر . فاما الاقواء . والايطاء . والسناد . والاكفاء^(١) . والزخاف . وصرف ما لا يتصرف فكل ذلك يستعمل الا ان السالم من جميع ذلك اجمل وافضل قال ومن عيوبه المذمومة مجاورة الكلمة ما لا ياسبها ولا يقار بها مثل قول الكيت حتى تكامل فيها الدل والائب^(٢)

وكما قال بعض الآخرين في رثاء

فانك غيبت في حفرة تراكم فيها نعيم وحرور

وان كان النعيم والحرور من مواهب اهل الجنة فليس بينها في النفوس تقارب . ولا

لفظة تراكم مما يجمع بين الحرور ولا النعيم . ومثله قول بعضهم

والله لولا ان يقال تنبروا وصبا وان كان التصابي اجدر

لأعاد تفاح الحدود بنفسجاً لثني وكافور الترائب عذرا

فالتفاح ليس من جنس البنفسج لان التفاح ثمرة والبنفسج زهرة . وقد أجاد في

جمعه بين الكافور والعنبر لانهما من قبيل واحد . ولو قال

لأعاد ورد لوجنتين بنفسجاً لثني وكافور الترائب تنبروا

لأجاد الوصف . واحسن الرصف . لكون الورد من قبيل البنفسج . فهذا النوع

فانقذ . وهذا الشعر فاعتمد

قال أبو الريان ولغضلا المولدين سقطات مختلفات في اشعارهم اذا كرك منها في

اشياء لتسندل بها الى اعراضك لا لطلب الزلات . ولا لاقفاء العرات . كان

بشار ثديين طبقات شعره فيدع كبرها . ويهبط قليلا كبرها . وكذلك كان حبيب

ابن أوس الطائي فاذا سمعت سيدهما كذبت ان رديهما لها . واذا صح عندك ان ذلك

(١) قال الخليل : الاقواء ان يكون بعض القوافي مرفوعاً وبعضها منصوباً وبعضها

محفوظاً . والاكفاء ان يكون بعض القوافي على حرف وبعضها على حرف آخر . والانطواء

اعادة القافية من غير اختلاف المعنى (كتاب خاص الخاص طبعة تونس ص ٥٩) .

(٢) وبكتاب الصنائع : خود تكامل فيها الدل والشنب

الردّي لها اقسمت ان جيدهما اغيرهما . قال وما يعاب من الشعر الافتتاحات الثقيلة
مثل قول حبيب اول قصيدة

من عوادي يوسف وصواحيه فمزماً تقدم ما أدرك الا أو طالبه^(١)

ومثل قول ديك الجن اول قصيدة

كأنها يا كائن^(٢) خلل الخلة وقف الملوكة اذ بغيا

فابتدأ هو وحبيب بمضمرات على غير مظهرات قبلها وهو ردّي قال ويعاب ايضاً
الافتتاحات المتطير بها . والكلام المضاد للعرض كابتداء قصيدة ابى نواس التي انشدها
الفضل بن يحيى بن خالد البرمكي يهينه بنيانها الدار الجديدة فدخل اليه عند كمالها وقد
جلس للهناء والدعاء وعنده وحوه الناس فأشده

أربع البلى إن الختوع لبادي^(٣) عليك وإني لم أنذك ودادي

فتطير الفضل من ذلك ونكس رأسه ونظرا الناس بعضهم الى بعض ثم ادى فحتم الشعر بقوله

سلام على الدنيا إذا ما أقدمت^(٤) بقي رملك من رائحن وغادي

فكمل جملته وقم خطاه وزاد القلوب المتوقعة للخطوب سرعة توقع . واضاف للنفوس
المتوجعة بذكر الموت شدة ترجع . وأراد ان يمدح فهجا . ودخل ليسر فشيحا قال
وقريب من هذا ما وقع للثاني في اول شعر أشده كافوراً

كفى بك داء ان ترى الموت شافياً وحسب المايان يكن امانياً

فهذا خطاب بالكاف بفتح ولا سيما في اول لقية . وفي ابتداء واستعطاف ورقية .

وفي هذا البيت غير هذا . العيوب سنذكره بعد

ووقع مثل هذا من قبح الاسئفحة في عصرنا وذلك ان بعض الشعراء انشد بعض
الامراء في يوم المهرجان فقال :

(١) قال أبو هلال العسكري (كتاب الصناعتين) « لما نظر ابو العميش في

قصيدة ابى تمام

من عوادي يوسف وصواحيه فمزماً تقدم ما أدرك الشار طالبه

استرذل ابتداءها فاسقط القصيدة كلها حتى صار اليه ابو تمام ووقفه على موضع

الاحسان منها فراجع عبد الله بن طاهر فأجازه »

(٢) روى ابن رشيقي في العمدة — ما كأنه بدل يا كأنه — (٣) جاء في ديوان

ابى نواس : البلاء عوض البلى . ولياد بدل لبادي —

لا نفل بشرى ولكن بشريان وجه من أهوى ووجه المهرجان^(١)
 فأمر باخراجه واستطار بافتتاحه وحرمة احسانه قال ابو الريان ولو كان هذا الشاعر
 حاذقاً لكان اصلاح هذا الفساد ايسر الاشياء عليه وذلك بان يعكس البيت فيقول
 وجه من أهوى ووجه المهرجان اي بشرى هي لا بل بشريان
 قال ويقبح جداً الاتيان بكلمة القافية معجمة لا ترتبط بما قبلها من الكلام وانما
 هي مفردة لحشو القافية كقول بعضهم

فلغت المنى برغم اعاديك وابذاك سالماً رب هود^(٢)
 فأنت ترى غثاثة هذه القافية والله تعالى رب جميع الخلق وكل شيء يخص هوداً
 عليه السلام وحده لضعف نقده وعجزه عن الاتيان بقافية تليق وتحسن
 قال ويقبح ايضاً الجفاء في النسب على الحبيب والتضجر بعده . وعظيمة العتاب
 على صده . كقول ابي نواس

أجارة بيتينا ابوك غيور وميسور ما يرجي لديك عير^(٣)
 فان كنت لاخلأً ولانث زوجة فلا برحت منا عليك ستور
 وجاورت قوماً لا تزاور بينهم ولا قرب الا ان يكون نشور

فلم اسمع باوحش من هذا النسب . ولا أخن من هذا التسبب . وذلك قوله ان لم تكوفي
 لي زوجة ولا صديقة فلا برحت منا ستور للتراب عليك ولا كان جارك ما عشناً نحن
 الا الموقى الذين لا يتزاورون ولا يتواصلون الى يوم النشور نكح ان كلامه يهد عليه
 بانه شاك وانما المعروف في اهل الرقة والظرف . والمعهود من اهل الوفاء والعطف .

(١) ورد عجز البيت في كتاب الصنائعين هكذا : غرة الداعي ووجه المهرجان
 وقائل البيت ابو مقاتل اشده الداعي فاوجعه الداعي ضرباً ثم قال — هلا قلت :
 ان نفل بشرى فعندي بشريان

(٢) قائل البيت ابو عدي القرشي ورواه قدامة (نقد الشعر ص ٨٩) :

ووفيت الختوف من وارث وال وابذاك صالحاً رب هود

(٣) هذه الايات من قصيدة فريدة مدح بها ابو نواس الحبيب بن عبد الحميد
 المعجمي ثم المرادي امير مصر . وقد يوجد بعض اختلافات في روايتها منها في البيت
 الثاني : خلأً وهو الصديق او صاحب بدل خلأً . وروحة بدل زوجة . ودوفي
 عوض منا — وفي البيت الثالث : وصل بدل قرب

ان يقدوا احبابهم بالنفوس . من كل مكروه وبوس . فأين ذهبت ولادته البصرية
وأدابه البغدادية . حتى اختار الغدر على الوفاء . وبلغت به طباعه الى اجفاء الجفاء .
فاعلم هذا واياك ان تعمل به

قال ومن عيوب الشعر السرق وهو كثير الاجناس . في شعر الناس . فمنها
سرقة الفاظ . ومنها سرقة معان . وسرقة المعاني اكتر لأنها اخفى من الالفاظ . ومنها
سرقة المعنى كله . ومنها سرقة البعض . ومنها مسروق باختصار في اللفظ وزيادة في
المعنى وهو احد المسروقات . ومنها مسروق بزيادة الفاظ وتصور عن المعنى وهو اقبحها .
ومنها سرقة محضة بلا زيادة ولا نقص والفضل في ذلك للمسروق منه ولا شيء للسارق
كسرقة ابي نواس في هذه القصيدة التي ذكرنا معنى ابي الشيبان بكلامه .
قال ابو الشيبان

وقف الهوى بي حيث انت فليس لي متأخر عنه ولا متقدم (١)
فسرقة الحسن بكلامه فقال

فما جازه جود ولا حل دونه ولكن يصير الجود حيث يصير (٢)

فهذا هذا على ان بيت ابي الشيبان احلى واطيع ومع حالوته جزالة . وقد ذكر
عن الحسن انه قال ما زلت احسد ابا الشيبان على هذا البيت حتى اخذته منه وسرقة
المعاصر سقوط همة . وبهذه القصيدة يناضل اصحاب الحسن عهه ويخاصمون خصماه
مقرين بان ليس له افضل منها . ولا لم الى سوى هذه القصيدة معدل عنها . فقس
بفهمك واعمل فكرك على ما وصفناه من ابواب السرق ما وجدته في اشعار لم اذكرها
يظهر لك جميع ما وصفناه . ويبدو لك جميع ما رسمناه قال وما يقع في عيوب الشعر
ويغفل الشاعر عنه ويجوز له الامر فيه لصغر جرم العيب وسلامة اللفظ الذي احتجى
فيه ثم يكون ذلك سبب غفلة النقاد ايضا عنه . مثل قول المتنبي

كفى بك داء أن ترى الموت شافيا

فضع هذا الكلام على انه انما شكاه داءه ووصفه بالعظم فماد شاكيا نفسه وجعلها
اعظم الداء لانه اراد كفى بدائك داء فغلط وقال كفى بك داء فصار كفى بالسلامة

(١) قصيدة ابي الشيبان التي طالعها هذا البيت تعد من ابلغ ما قيل في التشبيب

(٢) ورد عجز البيت في نسخة خطية من ديوان ابي نواس على هذه الصورة :

ولكن يسير المجد حيث يسير

داء فالسلامة هي الداء يريد طول البقاء سبب للفناء . وقال الله تعالى وكفى بنا حاسبين
فإنه هو اعظم شهيد فجعل المتنبي نفسه اعظم الداء . ولم يرد الا استعظام دائه واصلاح
هذا الفساد . وبلوغه الى المراد . ان يقول

كفى بالنابا ان تكن امانيا وحسبك داء ان ترى الموت شافيا
فيعود الداء المستعظم كما اراد وتزول خشونة ابتدائه . وشدة جفائه . اذ خاطب الممدوح بالكاف
فجعله داء عظيما في اول كلمة سمعها منه . وقد نادى بخواص الناس وكثير من هوامهم في مثال هذا
المكان فهم يقولون عند مخاطبات بعضهم بعضا بما يخشون ذكره قلت لا بعدو يا كذا او كذا لا لا بعد
ومن عيوب هذا القسم ايضا ان قائله قصد الى سلطان جديد والى مكان يحتاج
فيه الى التعظيم والتفخيم وقد صدر عن ملك نوه به أعني سيف الدولة وأغناه بعد فقره
وشرفه ورفعته . وأدنى موضعه . فورد على كافور هذا في مرتبة شريفة . وخطة منيفة
فجعل بجعله يصفه في اول بيت لقيه به انه في حالة لا يرى منها المنية . او يرى المنية اعظم
أمنية . وعلم كافور بذلك ووصول أخبار الناس اليه انه في حالة خلاف ما قال وانه
كفر النعمة من المزمع عليه وأراه ان جميع ما عامله به من الجاه الواسع . والغنى القاطع
حقير لديه . صغير في عينيه . فعلم كافور في هذا الوقت انه ممن لا تزكولده الصنيعة
وان عظمت . ولا تكبر في عينيه المواهب وان جسمت . ولم يكن في خلق كافور من
الصبر على اتساع البذل . ولا من الرغبة في اهل الآداب والفضل ما عند سيف الدولة
من ذلك فزهد فيه بعد رغبة وعمله بالقليل . وشاوقه بالجزيل . ورأى المتنبي ان الاسود ليس
له في قلبه من الحب والقرب ماله عند سيف الدولة فلم يدل عليه ولا كثر من التعتب والعتاب
ما يعطفه عليه فاضاع وضاع . وكان يتوقع الايقاع . واكفر ان الهم نعم . ثم نجاه ركوب ظهر
الحرب وأقبل يعترف لسيف الدولة بالذنوب . وكان لحظه وشعره شريفيين . وعقله ودينه
ضعيفين . ومع ذلك فسقطاته كثيرة الا ان محاسنه أكثر وأوفر . والمرء يجوز لا المحالة .
وكان يميل الى تعقيد الكلام ويعتمد على علمه بقبحه فيقول من ذلك ما يصف به ناقته
فتبت تستد مستدأ في نيبا اسادها في المهمة الانضاء

ويقول في المدح

أنى يكون ابا البرية آدم وأبوك والثقلان أنت محمد

ويقول في بيت آخر من قصيدة أخرى يمدح بها واليت لا يتعلق بشيء مما قبله
فيما يظهر ولا فيما بعده بشيء

كانك ما جاودت من مان جوده عليك ولا قاومت من لم تقاوم
ومثل هذا كثير وهذه الاجناس من ايات وان ظهرت معانيها بعد استقصاء .
وأطاعت فوامضها بعد استقصاء . فهي مذمومة السلك وان اطلعت منها على اجزى الافادة
فكيف اذا حصلت منها على السلامة بلا زيادة . وكان ايضا يغفل عن اصلاح اشياء من
كلامه على قرب ذلك الاصلاح من الفهم . مثل قوله يرثي أخت سيف الدولة
يا أخت خير أخ يا بنت خير أب كناية بهما عن اشرف النسب
فجعل يا أخت خير وبنت خير كناية عن اشرف النسب والكناية لا تكون الا
لعل تتسع فيها التهم لان الكناية ستر وتعمية فما بال شرف النسب يورى عنه تورية
المعائب . ويكنى عنه والصرح به من المفاخر والمناقب . وقد غفل عن اصلاح هذا
بلفظ فصيح . ومعنى صحيح . قد كاد يبرز من الجنان . الى طرف اللسان . وهو لو فطن اليه
يا أخت خير أخ يا بنت خير أب غنى بهذا وذا عن اشرف النسب
قال ابو الريان وهذه الجملة التي أثبت لك فيها ما دخل على الشعراء المجيدين من
التقصير والغفلة والغلط وغير ذلك كافية ومغنية عن ايراد سوى ذلك وان لقيتها
بجودة بحث وصحة قياس . لم تحتاج الى كشف عيوب اشعار الناس . ولعل فائلاً
يقول مال على هؤلاء وترك سوامهم لبله على من بكت . ولتفضيله من عنه سكت . فقل
لمن قال ذلك الامر على خلاف ما ظننت لم أذكر الا الافضل فالأفضل . والاشهر فالاشهر .
اذ كانت اشعارهم هي المروية . فالحجة بهم وعليهم هي القوية . فقد نقلته على من يبلي عليهم .
الى مبلي بالحق اليهم قال ابو الريان فاما نقد المستحسن فتمثيله لك يعظم ويتسع لكثرة فلا يسعنا
ايراده ولكن ما سلم من جميع ما اورده فهو في حيز السالم . ثم تتسع طبقات الجودة فيه .
واحسن منه ما اعتدل مبناه . واغرب معناه . وزاد في محمودات الشعر على سواء . ثم يمدح
الادون فالادون بمقدار انحطاطه الى حيز السلامة . ثم لا يمدح ولا كرامة
قال محمد فقلت لله درك يا ابا الريان فما البين جانبك . وما أقرب غائبك . وما المحم
طالك . وما اسعد صاحبك . فقال انجح الله مطالبك . وقضى ما ربك . وصنى من
القذى مشاربك . وبث في الحواضر والبادي مناقبك

تمت المقامة المعروفة بمسائل الانقاذ

بلطف الفهم والاقتصاد

والحمد لله أولاً وآخراً وصلاته على نبيه سيدنا محمد وآله وسلامه

نفس المرأة

انصرفت افكار الباحثين الى درس طبائع المرأة ومميزاتها الجنسية وخلاتها الخاصة على اثر ما كان من نهوض المرأة لباراة الرجل في ميدان الاقتصاد وتشوقها بمد ذلك الى مشاركته في الحقوق السياسية فتوفر على هذا البحث جماعة من العلماء الاعلام عنوا بتحقيقه وتجرده مما لصق به من خرافات الاقدمين واوهامهم جارين على اسلوب علمي لا يدع مجالاً للظن والشبهات المائعة بآراء الاقدمين والسادة على الحقيقة ستاراً من الغلو ينهض بالمرأة الى مستوى الملائكة او يحطها الى دركات الجحيم ومن الغريب اننا لانجذب باحثاً تصدى للموضوع الا زعم انه بين حقيقة المرأة وكشف عن اسرار نفسها على ان معظمهم جهلوا طبائعها الاصلية وخواصها المميزة فجاءت بحاشتهم مزعة فاسدة المقدمات والنتائج ولم يفرق بعضهم بين صفاتها الخلقية وبين الصفات العارضة التي اكدسبتها في احوال خاصة

وربما اتفق العلماء النفس ان رأوا المرأة في حال الضعف او الخوف او الاحتيال او الرياء فزعموا ان هذه الصفات من طبائعها الخلقية وانتقلت هذه المزاعم الى الاخلاف في الاجيال المتوالية فهي لاتزال تستدكف او تعجب اليوم بطبائع في المرأة انت عليها سنة النشوء والارتقاء فبدلتها او محتها . ولقد مررت على المرأة عصور وهي بعيدة عن الحياة الفكرية والعملية تراد على الطاعة العمياء لوليها فكانت اشبه بالاطفال غير ان الزمان تغير والمرأة تبدلت وبقي معظم علماء النفس واقفين عند الآراء القديمة يحسبونها رقيقة غاية حياتها خدمة الرجل

تملصت المرأة من اسرار الجود وشاركت الرجل في الحياة العملية وتركت في زوايا القرون صفاتها القديمة وتخلقت باخلاق جديدة فلا تصح فيها آراء المغالين في اعتبارها ولا المفرقين في امثالها

ولا بد للباحث ان يتساءل هل للمرأة صفات نفسية خاصة بها تميزها عن الرجل وما هي تلك الصفات الجنسية التي لا يؤثر فيها مركزها الاقتصادي والاجتماعي ؟

يقول علماء الحياة باختلافات جوهرية بين الخليتين اللتين تشكل الحياة من انضمامهما وان شروها الحياة متوفرة في الخلية المذكورة اما الانثوية فهي هائلة هديئة الاختلاف

بقوتها العضوية وهذه الصفات تبدو آثارها في الاحياء وكما ارتقى الجنس البشري كانت الظروف الجنسية اوضح اثرًا فتركيب المرأة وطبائعها تميل بها الى السكون والدعة والراحة بينما نرى الرجل جلدًا على مشاق الحياة يتجشم الاخطار ويخوض غمار الجهاد ويرى كل ما حوله يدفعه الى المتاجزة والاقدام

واذا سلنا بآراء علماء الحياة والنفس انضح لنا سبب تخلق المرأة باخلاقتها الخاصة واشغالها في المجتمع مركزها الخاص فالرجل الحرب والجهاد والمغامرة والنشاط والحزم والمرأة اللطف والعبر والهدوء الا انها تشد في بعض الاحيان فتفوق الرجل حزمًا ومضاء وقد يوقد الرجل نار الثورة فتسعى في اخمادها وتهدة روعه ويحملها اميلها الى السكون النفسي على الاعتصام بمجل الدين وهي اقل اقدامًا على الجرائم من الرجل لما تتطلبه من تضحية القوى الجسدية والعقلية ويزعم علماء النفس ان المرأة ضعيفة المدارك مما يحملها على الاستسلام لحوافها فهي غريبة عن الحرب والعلم والفنون وسرى فيما يلي فساد مزاعمهم في هذا الصدد

سار علماء النفس والحياة على اسلوب واحد في ابحاثهم فأدت بهم الى نتائج متشابهة فقالوا ان المرأة اليوم هي ذات المرأة في القرون السالفة ويتبين لك خلل آرائهم من عرضها على احوال الحياة الحقيقية واذا تتبعنا ارتقاء العالم الحيواني وضح لنا المناقضة بين آراء الباحثين في المرأة وبين حالتها الحاضرة على اتم اشكالها

المرأة المحاربة - نتقدم الى البحث في إحدى صفات المرأة التي قالوا بها من الجبن وصغر النفس ونخذ هذه الصفة اساسًا لمبحثنا فقد اجتمعت آراؤهم على ان المرأة لا تصلح للقتال والدود عن الوطن فلما ارتفع صوت النساء المطالبات بالحقوق دافعها المنكرون عليها بقولهم انها لا تستطيع مشاركة الرجل في الحرب والذب عن حياض الوطن على انا اذا انعمنا النظر وجدنا هذه الصفة عارضة لا جوهرية وليست هي من صفاتها الخلقية التي لا تتغير فتساءل الحبش يقاتل مع ازواجهن جنبًا الى جنب راكبات على الجمال او الخيل ومتمللات سلاح الرجال ولا يتقصن عنهم شجاعة واقدامًا وصبرًا على المشقات ويقول الرحالون ان النساء يتدربن على فنون القتال فينشأن شديداً القوى وقد اكتبتهن ممارسة الحروب بطشًا لا ينصف به سوى شجيمان المنازلة .

ويقول تاسيت ان جيوش البريتونيين القدماء كانت تزحف الى القتال والنساء في طلبيتها ويقول مومسن بمثل ذلك عند الالبيين فقد كانت نساؤهم يقتنن

الحصون ويقتلن زرافات في الهجوم
وأكد جماعة من السياح ان النساء الامازونيات المقاطعات على ضفاف نهر الامازون
يشاركن الرجال في القتال ويقتلن بلغم البشر ويقصر آخرون مثل ذلك عن نساء
الموريكيس والكواي موراس

وذكر ارثن ان نساء الانتيل يترسن بالفنون الحربية حتى يضارعن الرجال ولقد
قامى كولبوس الامر من بأس نساء الامازون الهنديات وفي اميركا الجنوبية يتناقلون
اخباراً كثيرة عن وجود النساء المحاربات

وشاهد الرحالة ستانلي مقاتلة النساء في بلاط منزا ملك الاوغندا فعنده نساء من
الامازون يتقلدن الحراب الطويلة وتزحف نساء الغراتوتو الافريقيات مع الرجال
في الحرب

وفي الداھومي جيش من الامازونيات مؤلف من صنفين احدهما الصنف العامل
وعده ثلاثه آلاف والاخر المستحفظ يدعى في ابان الحاجة ويخضع لنظامات حربية
شديدة ويتعردن احتمال الجوع والعطش وغيرها من المشاق ويجبرن على مقاساة الآلام
صابرات ويتميزن بالشجاعة والبأس فاذا اثار اليهن الملك اقتحمن الاخطار وخضن
الغمرات وقد شاهد احد رؤساء المبشرين سنة ١٨٦١ مشهداً ملاً دهشة وعجباً نقداً
الملك النساء الامازونيات ان يقمن حواجز علو هامتان وعرضها ستة اقدار وكانت الحواجز
من النباتات الذائكة يؤلم لسمها فتشمعت سوق المقاتلات العارية غير انهن ثبتن اي
ثبات فتقدمت الفرقة الاولى ومازالت تجهد حتى اجمعت فوقفن منهوكات يائسات ولكن
الملك صاح بهن ونظر اليهن نظرة دفعت فيهن تياراً كهربائياً فعادون المهجوم بهالة نادرة
حتى ظفروا بما اردن

وعند هياج البولونيين سنة ١٨٦٣ تزيت نساؤهم بزي الرجال وابين في المعارك بلاء
حسناً فاصبحت شجاعتهن مضرب المثل وسارت باحادتهن الركبان وقدرت منهن الانسة
يوسنافو بشو بالبأس والجلد حتى اصبح لها مجد حربي لا يقل عن مجد اعالم الرجال
ان صيد الحيوانات الكامرة ليس اقل خطراً من خوض المبارك ونساء التتر الصينيات
يصحن ازواجهن في صيدها ونساء الروس والبولونيين يشاركن بعولتهن في صيد الدببة
والذئاب والغازير البرية غير عابئات بما في ذلك من المهلك
ولا يسع الباحثين بعد ذلك الا ان يسلموا معنا باسمطاحة النساء القتال ولا سيما في

الحروب الحاضرة وقد اصبح معظم الاعتماد فيها على الحذر واليقظ والحكمة في وسع المرأة ان تشارك الرجل في الدفاع الوطني ولا ثقل عنه جلدًا واقدامًا لولا ان ذلك يعوتها عن واجباتها المنزلية وانجاز وظيفة الام

قابلية الانفعال في الجنسین . — كتبت الوف من المجلدات في بسيكولوجية المرأة تراوحت بين الاغراق في تعظيم « الشبيدة الابدية » وامتيان « عدوة الرجل القديمة » ولم ينتبه مؤلفوها انهم رسموا خطوطاً لصورة المرأة في عصر او عصور سائلة واغفلوا وصف امرأة اليوم والغد فرماها بعضهم بكل شائنة وقال الآخر انها ادق احساساً وارق شعوراً من الرجل ومن ذهب هذا المذهب الفيلسوف اوغست كونت فقال « توثر الموارث الطبيعية في المرأة بسهولة وشدة » وقد برهن على ذلك علمنا نفر من الكتاب وترى انفعالها واضحا في جميع الصروف فانها تقطب جبينها وتغضب وتحتقر ويؤلها الاضطراب وننقاد احوافها فهي في ذلك اقرب الى الطفل منها الى الرجل وسرعة التأثر في المرأة تجعلها طوراً ارق وطوراً اقسى من الرجل ثم ان الفواعل يزول اثرها من نفسه لانه عرضة لاختلافاتها فالخزن يعقب السرور والبشر ينلوا الامي كما تنوالى السحب في الساء ولكن طبيعة المرأة الساكنة اذا لامستها الفواعل تركت فيها اثراً يصعب زواله فتري عواطف الحب والبغض والرحمة والقسوة ارسخ في المرأة مما هي في الرجل

على اننا نرى الرجل في بعض اطواره لا يقل عن المرأة في الاستسلام للعواطف ويرجع ذلك الى احوال البيئة والاخلاق الشخصية لا الجنسية

الحب ريمحان حياة الرجل غير انه حياة المرأة ذاتها ولكن لا تفعل العواطف في الرجل فعلها في المرأة ؟ قال لا كوردير في كتاب بعث به الى احدى صديقاته « يخطئ من يقول ان الرجل يعيش بالعقل والمرأة بالعواطف فالرجال يحبون ايضاً بالعواطف الا انها راقية تنزل لديهم منزلة العقل »

وبعض علماء النفس ينكرون على المرأة هذه المزية ويعزون اليها نقصاً يناسب شواعرها كافة ويصفونها بطرف يسير بها الى قمة المجد او يهبط بها الى دركات النار فهي مفرطة في الحالين والانانية والغيرة على اشد هما عند المرأة لانت فطرتها الثائرة ترجي بها الى الغائتين المتناقضتين

وخالف هؤلاء نفرا دعوا انها واحة بالاعتدال مخمولة عليه بما لها من سكون الطبع فهي ثابتة في اعمالها وافكارها تقاوم الفواعل التي ربما اخرجتها عن بينمها اقتضاتها الاوثون

ينكرون عليها حتى الحكم لأنها تطاوع في ذلك عواطفها وحماستها الخرقاء، ويوافقهم الآخرون على هذا الرأي مستندين في ذلك على مقدمات أخرى فهم يقولون ان اخلاص المرأة للسكون يبطل كل ارتقاء اجتماعي تلك هي آراؤهم المختلفة باختلاف وجهة النظر تذبذبك ان هذه الخواص ليست جنسية وانما هي شخصية واذا عاش الرجل في بيئة تشبه بيئة المرأة لا يلبث ان يتخلق بهذه الاخلاق لان قابلية التأثر لا حد لها وهذه الصفات انما هي نتيجة احوال المحيط ذكر هيرت - بنسر ان المرأة تفوق الرجل قوة في البلاد التي يمثل اهلها بالامري وقبيلة الداكوتاس تدفع الشيخ الى النساء يتلذذن بتعذيبه ويقول ما كسيم دي كامب ان النساء اثناء ثورة الكومون فتن الرجال فظاظة وشراسة ومع عاطفة القسوة يتلأأ الحنان الانثوي فقد عطفت نساء البرابرة على الرحالين واظهرن لهم ضروب اللطف والرفقة واتفق على ذلك مشاهير الجوابين كستانلي ولفستون وغيرهما

والباحث المنصف يجد للنساء مواقف مشهودة في الاخطار وعوارف محمودة في تسكين ثورة الرجل فدخول بعضهن في صفوف الثوار لا ينسينا بنات جنسهن ممن بعين السكينة في النفوس لحفظ لمن التاريخ صفحات مجيدة المرأة والديانة - رقة شعور المرأة جعلتها متدبنة في جميع العصور والشعوب وهي اسرع تلبية لدعاة المذاهب فيجد هؤلاء بين النساء مؤمنات مخلصات كان لهن في ثبات الديانات ونشرها تأثير شديد

خضوع المرأة المتديم لسلطة الرجل سهل عليها الاعتقاد بعناية الهية غامضة فهي لا تزال تقارع انواع المشاق في التماس مصدر الرحمة الازلي وينبوع السلام الابدی وادى بها ذلك الى الاعتقاد بتفوق كل من يسودها وكيف لا تعتقد باله اهل وهي تنوق منه المكافأة على ما تفجسه من المصائب في هذا العالم فهي مسوقة الى التدن لا هن ميل فقط بل هن حاجة وتربيتها الانكالية زادتها اعتصاماً بالايان لانه يقول باله قادر يحبها ويرعاها

وهي لا تشعر بخوف الله فقط بل تشغف بحبه وتبتهل اليه في النوازل الشداد فيجتري الظلمات المطيفة بها نور رجاء ينضربه عيشها وكما قلت مطالبتها في الحياة زادت استمسكاً بمجل الدين وكثيراً ما تنتابها اضطرابات دينية تذهل صوابها

ولا يجوز لنا الاغضاء عن ان الرجل هو الذي اوجد في المرأة تلك الفطرة ودعا الى الدين فأجابته مذعنة شأنها في الخضوع لما تعتقد به العظمة والثفوق فهي تلقف من افواه الاحبار مبادئ الدين وتستهذب سلطته لانه يمنحها غبطة دائمة ويمني آمالها بحياة مستبلة فهو جميع آلامها الحاضرة فلم يخطر لها قط ان ترغب عن ذلك الجمال الفتان والأمل المتألي

وعلى ان تفرق بين الديانة والتدين فشعور الرجل بالدين يختلف عن شعور المرأة بذلك الدين وبين التقي والثقية والاخ والاخت اتباع المذهب الواحد اختلاف جنسي في الايمان وتلازم المعجزات المعابد واجدات في الصلاة غبطة ونعياً ومن في ذلك اقرب الى الرجال الطاعنين في السن منهم الى اخواتهن في ريعان الصبا وكلتا تعمق الباحثون في درس هذه العاطفة عند المرأة وجدوها منبعثة عن المركز الذي تشغله في المجتمع الحاضر فهي اقوى استمساكاً بمجمل الدين واشد خضوعاً للعقائد والافكار - صفات للمرأة افادتها اياها حالتها الاجتماعية والادبية وتلك العاطفة الدينية ليست سوى نتيجة اعمال الرجل في الوف من السنين

هل المرأة ارقى شعوراً من الرجل . — منذ خمسين سنة قام جدال بين علماء النفس على المخطاط احساس المرأة فذهب لومبروزو وتلامذته الى ضعف شعورها وخالفه في رأيه مانتكيزا ومن تابعه ويطوي في هذين المبدأين العاملين نظريات ثانوية لا تكاد تخصي وانما نشأ ثنائهم عن اقتصار الباحثين على بعض الموضوعات المحدودة واوسع مجال الاختلاف ان التجارب انجزت في ممالك مختلفة وبما لا ريب فيه ان البيئة وطرز المعيشة تأثراً في الشعور فالبرابرة اقل شعوراً بالالم من المتمدنين وهؤلاء متفاوتون ايضاً في شعورهم فان ابناء الطبقات العالية المترفين ممن القوا الرفاهية واناقة العيش بشعرون بالالم فوق شعور المزارعين وحتى علما ذلك لم يسعنا ان نعرض للتفاوت في الشعور الى الجنسية بل الى احوال الحياة التي تفرق بين الجنسين

قلنا ان بين العلماء اختلافاً كبيراً على ارتقاء حواس المرأة والمخطاطها وقد استشهد القائلون بالمخطاطها على زعمهم بانها لا تستطيع التمييز بين انواع الخمر المختلفة وذلك يشير الى ضعف حاسة الذوق ويقولون مثل هذا في سائر حواسها فيفند المراضون حججهم قائلين انما اعجز المرأة التمييز بين صنوف الخمر لانها لا تدمنها كالرجال والمدمنات منهن يضارعن في ذلك ارقى الرجال

أما شدة احساسها بالآلم فيفسر كثرة الآلام التي تنتابها ويقول مانتكيذا ان شعورها به اضعاف شعور الرجل ويذهب مرجا الى ما يناقض ذلك فيقول ان المرأة سريعة الانفعال كالطفل فندري العبرات عند اقل طاري وتبدو على عيها علامات الآلم غير ان مظاهر الآلم ليست هي ذاته والتربية ونسق الحياة شأن خطير في الشعور فان النساء الكثيرات الامتزاج بالرجال اللواتي يمارسن حياة العمل يصبح دمعهن عصياً فيتجلدن على احتمال المصائب والالوجاع ويتصلبن على لقاء الخطوب ويقول لومبروزو ان ضعف حواس المرأة نعمة كبرى على المجتمع إذ يسهل عليهن تحمل آلام الحمل والوضع

سبب الانفعال ٠ — نعود في ذلك الى آراء الفيسيولوجيين فقد برهنوا ان لتسقي معيشة المرأة اثرآ في جسمها ونفسها لان حياتها المنزلية واقتصرها على الحجاز الواجبات العائلية قلل من مناعة جسمها وخفض من مضائها ونشاطها وقال بان «نمو العواطف الرقيقة حيث يضعف النشاط» على ان سرعة الانفعال لا تعود الى تركيبها العضلي بل تعزى الى فقر الدم الناشئ عن قلة التمرين فالنساء العاملات اقل تعرضاً للانفعالات التي تشكك عيش غيرهن من النساء وقد قال احد الباحثين ان امرأة العصور القديمة تختلف كل الاختلاف عن امرأة اليوم

ولا ريب في ان دخول النساء في الحياة العامة واساليب تهذيبهن التي تبدلت كان لها اشد اثر على حياتهن المعنوية فكما تحككت المرأة بالرجل فقدت صفاتها الانثوية فهل يأتي يوم تضمحل فيه خواصها المميزة ؟ ان ذلك بعيد الاحتمال استبحار العمران وانتشار التمدن يختلفان من الم المرأة الناتج عن الامومة فهل يوجب ان يقويا على هاتيك الالوجاع حتى بلاشيها ؟ والذي نراه ان الامومة كانت وسيكون لها الى الابد شأن

الحب والجمال المعنوي ٠ — ان ما تخسره المرأة مادياً ترجه معنوياً وهذه الامومة تكبدها آلام لا تطاق الا انها تحبها ارق الصفات التي يمتاز بها الجنس البشري وهي الحب والحنان فالمرأة في سهرها الدائم على طفلها وعنايتها به يرتقي شعورها بالحنانة والعطف

في حب الامهات تسطع اسمى عاطفة في الوجود ويزدهر رجالة لاحد له نقر به عين الانسانية وينفجر ينبوع هذا الحب في كل مكان فيسرم على كياننا آثاراً لا تحصى ٠ ولا

بشمحل حب المرأة الا بانقراض آخر رجل فارتباطها بوجودنا يجعلها على حفظ العهود وصيانة المواثيق ويحق للمرأة ان تفتخر بوظيفتها الاجتماعية فان الامة هي مصدر الفضائل والمحبة الغيرية التي يحيا بها المجتمع الانساني . وهذا الحب الشديد الذي يفصل بينها وبين الرجل ليس الا ليبسوها في الحياة الاجتماعية مكانة اسمى من مكانته إذا اعيا تكافل الجنسين دون مساواتهما في العظمة واشترآكهما في مقاساة الآلام

كذب المرأة . — نتمو على شجرة حياة المرأة في احوالها المختلفة فروع تخيل للرائي انها المميزات الفارقة بين الجنسين وكثيراً ما يمر بها المفكرون غير محفلين بالاسباب الطارئة التي جعلت بعضها نظيراً زاهراً يستهوي العيون مرآة والآخر ذوايا جافاً ينبوعه البصر على اننا اذا بدلنا بيئة الشجرة تلاشت الفروع الذابلة ولو احاطت بالمرأة صروف الرجل لكان لها فضائله ورذائله

وما وجدنا اعجز من رأي من يأخذ على المرأة اعتلاقيها باسباب الرياء وهي سلاح الضعفاء في النزاع الحيوي ولا بد لنا من كلام يزيد القضية وضوحاً ونحن نرى علماء النفس على اتفاق في هذا الحكم الذي يشمل المجتمعات الانسانية من ارقاها الى ادناها فاذا قضى على الضعيف ان ينازع القوي مال الى المراوغه والكذب وذلك شأن المرأة فكما تخرج موقفا لجأت الى الافك والبهتان ذوداً عن نفسها ويقول سبنسر « ان الكذب يرافق كل حالة اجتماعية قائمة على دعائي القوة والخوف قوة السائدين وخوف المسودين قوة واقتداراً » غير ان الفلاسفة والمتشرعين وعلماء النفس والشعراء والقصاصيين اغضوا عن مصدر الشر وجعلوا الكذب صفة غريزية في المرأة ومشى على هذا المذهب الشارعون فحرموا المرأة حق الشهادة زاعمين انها اقل صدقاً من الرجل فادى ذلك الى اضطرابها في هذا السبيل وما كان ذلك الا ليزيد تعاسة الرجل فشقاؤه ورياءها متلازمان والآلام التي يكبدها اياها نفسد نظام حياته العائلية فالمرأة عنصر ينحل في حياة الرجل وفي وسع ان يظهر ذاك العنصر او يفسده

نفث في روعها انها لم تخلق الا لارضائه فتوسلت الى هذه الغاية بوسائل مملوكة واضطرت ان تصنع لتستر الطوارىء التي تلم بها فتذهب بروعة جمالها ومالت الى اغترافه بهرجتها فترينت وتبرجت وتخيترت جملاً عذبة تسردها عن غير شعور وزاغ بها هذا التصنع عن طبيعتها واكسبها صفات مستنكرة حتى سهل عليها بتوالي الازمان صكمت عواطفها والتظاهرها بما لا تحس به فاصبحت تصرخ اذا مستها شوكة وتثالك اذا

استغرق الالم وجودها والتمست من الرجل ان يحميها لانها رأت أنه يميل الى المرأة الضعيفة ثم ضعفت فيها ملكة للتقدم والتميز باهمال تثقيفها فاصبحت تنظر الى المحسوسات نظراً مزوئراً وتفسرها على غير حقيقتها ولم يشهر الرجل الا والمرأة قد تبدلت فبات ينكسر الصفات التي افادها باياها واثال الافك بعث كل العث في المجتمع حتى اصبح دعامة الحياة العامة كذب الرجل . — لا ننكر ان المرأة اند رياء من الرجل غير انه ليس بفارق هذه الصفة وانما الفرق في الكمية لا في الكيفية وقد تكذب المرأة وتداجي فلا تجر مداجاتها على الهيئة الاجتماعية ما يجره بهتان الرجل من الويلات فما يسم وجودنا من الشواعر المكاذبة ويباعد بيننا وبين الغبطة بظهر لا بين الافراد فقط بل بين الاجناس والشعوب وما السلم المسلح سوى اكذوبة هائلة نفذت الى جميع الضمائر فن التهذيب العام والخاص وعلاقات الطبقات الاجتماعية ومبادئ الحكومات والمدل وتحديد حقوق الوطنيين وواجباتهم تنول تلك الآلة المائلة فهدد البيئة التي نعيش فيها وهذه العوامل غدت وسيلة الخداع والوطنية مدرجة المنافع الذاتية والتزوير عنصر جوهرياً للحياة فالسلطة الفردية تستعين بالقول ان حق الملك من حق الله والديمقراطيون بادون بوجود المساواة وكلا الفريقين تازع الى القبض على السلطة ولم يكتف مدعو الزعامة بادخال السم في الحياة العامة حتى جاعروا بذلك غير خجلين وقد افترت الانسانية على الهديانات والادبيات فينا ترى التعاليم الدينية تقضي علينا بمحبة القريب نجد المتدينين يتنازعون ويتقارعون والشعوب تنطاحن في مضمار الجهاد

والصنائع من ارقاها الى ادناها مدعوة بالافك والتزوير وهؤلاء السياسيون يأتون ضروب الفس والفش والرياء ويرتقون المناصب على سلم من المزايعيد التي يستحيل تحقيقها وكلما قام مصالح لمناهضة البهتان رموه بضعف الوطنية وكل ذلك من عمل الرجل وحسبنا بما تقدم دليلاً على مبلغ الرجل من الافك مما حمل المرأة سيف دورها على اقتفاء آثاره مسوقة بضعفها الطبيعي وعجز منتها فاقصرت على الاكاذيب البسيطة وافرط رفيقها في البهتان

يستحب الرجل في شريكة حياته الرقة والخضوع شأن كل كائن قومي فيزينا في عينه وداعة الورقاء ويحببه اليها القوة والرجولية ومهما بلغ من اخلاقه فالمرأة مدفوعة الى مجاراته على اهوائه احتفاظاً بحبته وصيانته لانوع الانساني فلم يكفها في ذلك جماله وورقتها بل سعت الى استرضائه فغالبت فطرتها توسلاً الى بلوغ هذه الغاية وما وقفت عند حد

التبرج والدل بل اتخذت مظهرًا مذهبًا ملائمًا لميوله فتأصل حب الاسترخاء في نفسها حتى غدا لها طبيعة ثانية واثرت فيها الوراثة والانتخاب الطبيعي حتى حسبت ارضاء الرجل الغاية الكبرى من حياتها وارتاح الرجل الى تلك المظاهر مأخوذًا بما فيها من الروائع الخلابه فالتته رياه الزهر عما فيه من السم الزعاف واستنفدت المرأة مجهودها في استمالة ولو شوهت تكوينها المعنوي فاصبحت كثيرة المجاملة قديرة على كتمان عواطفها لنظامها بالابتسام والعاصفة نشور في داخلها لتلقي على نفسها ستارًا وخادعت شريكها بقولها وحر كاتما وابتساماتها فبرهن ذلك على أنها لم تخسر طبيعتها الانسانية في عصور العبودية والرق فهي تأفك لتحفظ مزيتها الانسانية مما يدل على ثباتها وصلابتها ومقاومتها للماساها الرجل من الحيف والضغط

تعاقبت القرون وتأثير الاحوال الخاصة يعمل في نفس المرأة حتى جعل لها سمة خاصة فطوت في ارضاء الرجل جميع غايات حياتها الدنيوية غير عابثة بما يسومها من ضعف فضيلتها ولكن مرونة النفس البشرية لا نهاية لها وفيها استعداد تام للرق المعنوي فلما زالت الصروف التي تبدل من وجدانها نشطت للحرية واستعادت ما فقدته من المواهب وخرجت الشعوب النخطة من بيتها المظلمة لتضارع ارقى الشعوب مدنية ويكفي لمحو تأثير عشرين قرنًا عقبان او ثلاثة اعقاب فهذه قبائل الماوريس كانت منذ قرن واحد ساردة في ظلمات الجهل فما فتح لها باب المدنية حتى ضربت فيها بسهم وافر ونساؤها اليوم لسن دون النساء الانكليزيات وزنوج الولايات المتحدة عدوا منذ مائة عام بين احط الشعوب الافريقية وقد بلغوا اليوم تأوًا بعيداً في الحضارة وشغلوا مركزاً رفيعاً في عالمي الاقتصاد والاجتماع

وكان يحق لنا اليأس من المستقبل لو ان الانسان استغرق في سبيل الاسلاف واضاف الى النقائص الموروثة ما تنتجه العصور بتواليها غير ان النفس مرنة ومرونتها ننش الرجاء بالمستقبل والمرأة في ذلك على مستوى الرجل فتبدل تهذيبها ومركزها الاجتماعي تستعيد الصدق احدى صفات السادة وتهجر الرياء وهو تركة عصور العبودية وعلى هذا المتوال يتغير مجموع الافات الانثوية لان نفوسنا تكيف على ما بلانهم شروط البيئة فلم يخاف الرجل ولا المرأة كاذبين او صادقين فاذا مزج البهتان حياتنا لم يكن الا عجب الصلات التي ربطت الجنسين

بعض الملاحظات - - تنبهت في المرأة خاصتنا الفهم والملاحظة لتكشف مقاصد

الرجل وتعمل على بلوغها فاكسبت من بينها فضائل خاصة كما استفادت نقائص خاصة واصبحت قادرة على التخلص من المآزق والنظر في اعماق نفس الرجل لمعرفة مظاهر الضعف فيها فعرفت كيف تلتطف بكلماتها العذبة الآمنة وتبيح اشواقنا واصبحت مداهنتها اوضح اثرأ واشد فعلاً واستطاعت لتقص شخصيتها ان تنزع بشخصية الرجل اذ لا يمنعنا من الانقياد الى الغير سوى وثوقنا بالقوة واعتمادنا على الذات اما المرأة فقدت هاتين الخاصتين واستغرقت في حياة الرجل واصبحت العنصر الجوهرى لسعادتنا وشقاءنا

ثم ان نفسها الساكنة جملتها يسر انفعالا فحبها وبغضها واعجابها فوق ما يشعر به الرجل على ان الايام لا بد ان تخفف من هذه العواطف

مالت المرأة الى الوم ذلك الشعور المهم العقيم ووجدت من تهذيبها ما تنزع بها هذا المنزع فولت بقراءة الروايات وشغلت جل افكارها في الحب لانها تحبها للحب وعكفت على مطالعة الافاصيص الغرامية فصبحت لها كالحب مصدر عواطف لا ينضب غير ان انصرافها الى القصص اضعف فيها ملكة الذكاء

التصورات الحسية . - مالت الرجل في دوره الى الغرام وما وجد اجمل من حديثه وقعا في نفس المرأة فصيح للحكايات الخيالية الشأن الاكبر في حياتنا وهي غير جديدة بالنظر وغدا القصصيون من رجال ونساء قادة الانسانية يضعون دعائم مستقلة لها واشتغل الناس بالاوهام والاحلام عن الحقائق الثابتة ولعل مؤرخا ينشأ في القرن الثلاثين ينظر الى ولوعنا بالخيال هازنا بما نندعيه من الرقي العقلي وربما اوقفنا في مستوى المصريين القدماء الذين عبدوا الكوائن المنخطة فلا يبعد عن الحقيقة موها نحن ذاتى المرأة مشغوفة بالروايات مستميلة اليها الرجل وقد استغرق الحب وجودهما وقربا على مذهبه اعظم الفحاي

حياة المرأة الضيقة الحدود التلية الواجبات جعلتها تتألم لادنى مظاهر الحياة ومضى رأيا شديدة حب المرأة وكرها حكمة ان العاطفتين اقوى فيهما امامها في الرجل والشجرة المنفردة في عرض البرتحيل للرأي انها اكبر مما هي

اثبت الباحثون ان وحوه الشبه بن نفس المرأة والطفل اوفر مما هي بين نفسي المرأة والطفل والرجل وقد يفوق الرجل في بعض المزايا ويخط عنه في غيرها شأن المرأة فمركزها التاريخي عند جميع الشعوب اكسبها بعض الصفات الفاضلة وافقدها أكثر منها اطاعت الرجل واصبحت مصدر افراده ومسراته فلم تقو على مضارعة في الفكر والتجسس

خواص تقربها من الولد حتى وصفها بعضهم بقوله انها رجل غير كامل الا انها تسطيع في دورها ان تعزو الى الرجل ذلك اللقب ولقد يكون الطفل في حالة نموه احد ذهنًا وافر ذكاء من الرجل إذا تراجع في سلم النسوة وهو على الاطلاق اطهر منه قلبًا واقل اهتمامًا

الارتقاء العقلي لا يجري على خط مستقيم فينض بنا طوراً الى اعلى الذرى ويحطنا نارة الى اعلى المماوي وهذه المميزات التي تفصل بين الرجل والمرأة ليست سوى نتيجة عوارض طارئة تزول بزوالها ومهما يكن من موقف المرأة ازاء الرجل فهو اثر من آثار المركز الذي وجدت فيه خلال عصور متوالية فهي كما وصفوها رجل ناقص لانها امرأة غير كاملة ومما يميزنا انها لم تخسر في عصور العبودية ذرة من القوة العضوية فيعجزها فقدانها عن استعادة مركزها واقل تغبير في شروط حياتها العقلية والخلقية يمكنها من استرجاع الصفات التي اضعتها

ان نجاح المرأة في عصرنا الحاضر ينش في نفوسنا آمالاً ناضرة وبما ان ارتقاء الرجل قائم بارتقاء المرأة يحق لنا الوثوق بمستقبل الانسانية الزاهر . اه معرباً بتصرف من مقالة لجان فينو في المجلة الباريزية دمشق : جرجي الحداد



ابن زيدون^(١) وابن جهور

هذه رسالة ذي الوزارتين ابي الوليد احمد بن عبد الله بن زيدون الخزومي الاندلسي القرطبي (٣٥٤ - ٤٦٣) كتب بها الى رئيسه ابي الوليد بن جهور من ملوك الطوائف بالاندلس توفي عام (٤٤٣) يستعطفه بها لما كان في اعتقاله (٢) يا مولاي وسيدي الذي ودادي له واعتدادي عليه واعتدادي به ومن ابقاه الله

(١) (المقتبس م) ص ٤٤٩ و ٤٨٦ و ٤٨٤

(٢) لابن زيدون رسالتان فريدتان في اسلوبهما ضمنهما كثيراً من الامثال العربية والاشارة الى وقائع تاريخية مهمة

احداها الرسالة التي كتبها الى الوزير ابي عامر بن عبدوس يسخر به فيها وجعلها حينئذ ولادة لبث المسكين في الايام الاندلسية المشهورة ولقد نشرها جمال الدين بن

ماضي حد العزم واري زند الاملى ثابت عهد النعمة .

اذا سلبتني اهرك الله لباس انعامك وعطيتني من حلى ابتاسك واظمأتني الى برود
اسعافك ونفضت بي كف حياطةك وغضضت عني طرف حمايتك بعد ان نظر الاعمي
الى تأميلي لك وسمع الاصم ثنائى عليك واحس الجمد باستنادي اليك فلا غرو فقد
يغص الماء شارب به وبقتل الدواء المستشفى به ويؤتق الحذر من مأمنه وتكون منية اثمتي
في امتنته « والحين قد يسبق جهد الحريص »

كل المصائب قد تمر على الفتى ونهون غير شامة الحساد
واني لا تجرد واري الشامتين « افي لريب الدهر لا انضعع »
فاقول : هل انا الايد اوماها سوارها وجبين عض به اكليله ومشرقي الصقه بالارض
صاقله وسميري عرضه على النار مثقفه وعبد ذهب به سيده مذهب الذي يقول
فقسا ليزدجروا ومن يك حازما فليقس احيانا علي من يرحم
هذا العتب محمود عواقبه وهذه النبوة غمرة ثم لنجلي وهذه النكبة « سحابة صيف عن
قليل تقشع »

ولن يربيني من سيدي ان ابطأ سحابه او تأخر غير ضنين غناؤه فابطأ الدلاء فيضاً
املاً وها واثقل السحاب مشياً احفلها وانقع الحيا ما صادف جدبا والذ الشراب ما
اصاب غليلا ومع اليوم غد ولكل اجل كتاب . له الحمد على اعتباله ولا عتب عليه
في اغفاله

وان يكن الفعل الذي ساء واحدا فافعله اللاتي سررن الوف
واعود فاقول : ما هذا القنب الذي لم يسعه عفوك والجهل الذي لم يأت من ورائه
حلمك والتطاول الذي لم يستغرقه تطولك والتحمل الذي لم يف به احتمالك .

نبأته المصري الكاتب الشاعر المعروف (٦٨٦ — ٧٦٨) شرحاً سماه شرح العيون في
شرح رسالة ابن زيدون وهو مطبوع في مصر

والرسالة الثانية كتبها الى ابي الوليد بن جهور (وهي المنشورة في هذا الجزء)
وشرحها الاديب المؤرخ صلاح الدين الصفدي (٦٩٦ — ٧٦٤) شرحاً سماه تمام
المثون في شرح رسالة ابن زيدون وقد وقفنا على نسخة مخطوطة من هذا الشرح (ومنه
جردنا هذه الرسالة) في خزانة صديقنا السيد عبد الباقي الحسيني الجزائري والكتاب
يقع في نحو مائتي ورقة كتب عام ١٢٥٦

لا اخلو من ان اكون بريئاً فاين عدلك او مسيئاً فاين فضلك

الا يكن ذنب فعلك واسم او كان لي ذنب فضلك اوسع
حنانيك قد بلغ السيل الزبى وناني ما حسبي به وكفى وما اراني الا لو امرت بالسجود
لآدم فايبت واستكبرت وقال لي نوح اركب معنا فقلت ساوي الى جبل يعصمني من
الماء وامرت ببناء صرح لعلي اطلع الى اله موسى وعكفت على العجل واعتدبت في
السبت وتعاطيت فقرت وشربت من النهر الذي ابتلي به جيوش طالوت وقدت الفيل
لابرهة وعاهدت قريشاً على ما في الصحيفة وتأولت في بيعة العقبة ونفرت الى العير
بيدر وانخذلت بثلك الناس يوم احد وتخلفت عن صلاة العصر في بني قريظة وجئت
بالافك على عائشة الصديقة وأنفت من امارة أسامة وزعمت ان خلافة ابي بكر كانت
فلته ورويت رمحي من كتيبة خالد ومزقت الاديم الذي باركت يد الله عليه وضجيت
بالاشمط الذي عنوان السجود به وبذلت لقطام

ثلاثة آلاف وعبد وقينة وضرب علي بالحسام المصمم
وكتبت الى عمرو بن سعدان جميع الحسين وتمثلت عند ما بلغني من وقعة الحرة
ليت اشياخي بيدر علموا جزع الخرج من وقع الاسل
ورجعت الكعبة وصلبت العائذ على الثانية اكان فيما جرى علي ما يمحتمل ان يكون
نكالا وبدعى ولوعلى المجاز عقابا

وحسبك من حادث بامريء ترى حاسديه له راحمين
فكيف ولا ذنب الانميعة اهداها كاشح ونأ جاء به فاسق وهم الهازون المشاؤون
بنعيم والواشون الذين لا يلبثون ان يصدعوا العصا والغواة الذين لا يتركون اديما صحيحا
والسعاة الذين ذكرهم الاحنف بن قيس فقال : ما ظنك بقوم الصدق محمود الا منهم
حلفت فلم اترك انفسك رية وليس وراء الله للمرء مذهب

والله ما غششتك بعد النصيحة ولا انخرفت عنك بعد الصاغية ولا نصبت لك بعد
التشيع فيك ولا ازمعت بأسا منك مع ضمان تكلفت به الثقة عنك وعهد اخذه حسن
الظن بك فقيم عبث الجفاء بأزمي وعاث العقوق في موافي وتمكن الضياع من وسائلتي
ولم ضاعت مذاهبي واكدت مطالبي وعلام رضيت من المركب بالتعليق بل من التنيمة
بالاياب واني غلبي الغلب ونغر علي العاجز الضعيف ولطمعتني غير ذات سوار ومالك لم
تنعم مني قبل ان افترس وتدركني ولما امزق ام كيف لا تنضم جوانح الا كفاء

حسداً لي على الخصوص بك وثنقطع انفاً النظراء منافسة في الكرامة عليك وقد
زاني اسم خدمتك وزهاني ومم نعمتك وابليت البلاء الجميل في سمالك وقت المقام
المحمود في بساطك

الست الموالي فيك غر قصائد هي الانجم اقتادت مع الليل انجما
ثناه يخال الروض منه منوراً ضحى ويخال الوضي فيه منمنا

وهل لبس الصباح الا برداً طرزته بفضائك وثقلت الجوزاء الا عقداً فصلك بما أثرك
واستملى الربيع الا ثناء ملائته من محاسنك وبث المسك الا حديثاً اذعته في حمامدك
ما يوم حليلة بسر وان كنت لم اكسك سلبياً ولا حلينك عطلاً ولا وسمتكم غفلاً بل
وجدت أجراً وحصى فبنيت ومكان القول ذاصمة فقلت وحاشا لك ان أعد من العاملة
الناصبة واكون كالدبالة المنصوبة « تضي للناس وهي تحترق » فلك المثل الاعلى وهو
بي وبك اولى ولعمرك ما جهلت ان صريح الرأي ان التحول اذ بلغني الشمس ونبا بي
المنزل واصفح عن المطامع التي تقطع اعناق الرجال فلا استوطي العجز ولا اطمنن الى الغرور
ومن الامثال المصروبه خاسري ام عامر واني مع الحرفة بان الجلاء - بلاء - والقفلة مثله

ومن يغترب عن قومه لم يزل يرى مصارع مظلوم مجراً ومسحبا
وتدنن منه الصالحات وان يسيه يكن ما اساء النار في رأس ككبها

عارف بان الادب الوطن لا يخشى فراقه واخليط لا يتوقع زبالة والنسيب لا يخفى
والجمال لا يخفى ثم ما قران السعد للكواكب ابهى اثرأ ولا اسنى خطراً من اقتران غنى
النفس به وانظامها نسقا معه فان الحائز لها الضارب بسهم فيهما « وقيل مام » ابنا
توجه ورد منهل بروحط في جناب قبول وضوحك قبل ائزال رحله وأعطى حكم الصبي
على اهله

وقيل له اهلا وسهلاً ومرحباً فهذا ميت صالح ومقيل
غير ان الوطن محبوب والمنشأ مألوف والديب يحن الى وطنه حنين النجيب الى عطنه
والكريم لا ينجف ارضاً فيها قوابله ولا ينسى بلداً فيها مراضعه قال الاول
احب بلاد الله ما بين منيع الى وسلمي ان يصوب سبحانه
بلاد بها حق الشباب قمائي واول ارض مس جلدي ترابها
هذا الى مغالاتي بعقد جوارك ومنافستي بالحظة من قربك واعتقادي ان الطمع في
غيرك طبع والنهي من - والله عنا والبدل منك اعور والمغرض لفا

واذا نظرت الى اميري زادني ضناً به نظري الى الامراء
كل الصيد في جوف القفا وفي كل شجر نار واستجد المرخ والغفار فما هذه البراءة
من يتولاك والميل عمن لا يميل عنك وهلاك هواءك فيمن هواء فيك ورضاك فيمن
رضاء لك

يا من يمز علينا ان نفارقهم وجدنا كل شيء بعدكم عدم
أهيك ونفسي من ان أشيم خلبا واستطر جهام واكرم غير مكرم واشكو «شكوى
الجريح الى العقباء والرخم» فما أبست لك الالندر وحركت لك الحوار الالحن
وزنتك الالانام وسريت اليك الالاحمد السرى لديك وانك ان سنيت عقد اسري
تيسر ومتى اعذرت في فك اسري لم يتعذر وعلمك محيط بان المعروف ثمة النعمة
والشفاعة زكاة المروءة وفضل الجاه تعود به صدقة

واذا امرؤ اهدى اليك صنعة من جاهه فكأنها من ماله
لعلمي التي العصي بذراك وتستقر بي النوى في ظلك واستأنف التأدب بادبك والاحتمال
علي مذهبك فلا اوجد للحاسد مجال لحظة ولا ادع للقادح مساخ لفظة والله مبسر من
اطلا بي بهذه الطلبة واشكاي من هذه الشكوى بصنعة يصيب منها مكان المصنع وتستودعها
احفظ مستودع حسبا انت خليق له وانا منك حري به وذلك بيده وهين عليه .
ولما توالى غمر هذا النثر وانسقت درره فنهى طغف غلوائه وجر ذيل خيلائه عارضه
النظم مباحيا بل كايده مداها حين اشفق من ان يعطفك استعطافه وتميل بنفسك
الطافه فاستحسن العائدة منه واعتد بالفائدة له وما زال يستكده الدهن العليل والخطار
الكيلى حتى زف اليك منه عروسا مجلوة في اثوابها منصوعة بجليها وملابسها
وبعد ان اورد القصيدة^(١) قال :

هاكها اعزك الله بيسطها الامل ويقبضها الخجل لما ذنب التقصير وحرمة الاخلاص
فهب ذنباً لحرمة واشفع نعمة بنعمة ليتأتى لك الاحسان من جهاته ويسلك الى الفضل
من طرفاته ومثق محمد رشدي الحكيم

مخطوطاتنا وطبوعنا

تاريخ اليعقوبي

مجلدان في ٩٤٠ ص طبع بمطبعة بريل في لندن سنة ١٨٨٣

من جملة الكتب العربية التي نشرها الاساذ هونسا احد علماء المشرقيات هذا السفر النفيس لابن واضح من اهل القرن الثالث للهجرة وقد عني بطبعه عنابة اخوانه المشتغلين باحياء آثار الشرق الاسلامي فجاء وافيًا بالمرام ساداً ثغرة مهمة في تاريخ الاسلام وقد وثقه باختلاف النسخ وشفعه بفهرس لاسماء الرجال وفهرس باسماء البلدان التي ورد ذكرها في متن الكتاب ليتيسر الانتفاع به على الطالب في الحال . والنسخة التي غفر بها الناشر ناقصة من اولها وفيها نقص من بعض فصولها لايجول دون الانتفاع منها بدأ فيها المؤلف بذكر شيث بن آدم وبعد ان ذكر عني عادة اكثر مؤرخي العرب تاريخ الانبياء تعرض للسلام على ملوك الاسرائيليين وملوك الموصل وبنو ملوك بابل والهند واليونانيين والروم وفارس وملوك الجربي والصين ومصر من التبت والبربر والافارقة والحشة والسودان ومملكة البجة وملوك اليمن وملوك الشام وملوك الحيرة من اليمن وحرب كندة وادبان العرب وحكامهم وازلامهم وشعرائهم واسواقهم وبهذا ينتهي المجلد الاول ويبدأ المجلد الثاني بمولد الرسول عليه الصلاة والسلام وتاريخ الاسلام وخلفائه الى ايام احمد المعتضد على الله بعبارة سهلة موجزة . واليك مثالين من الكتاب تعرف بها طريقة ابن واضح قال في اسواق العرب :

« كانت اسواق العرب عشرة اسواق يجتمعون بها في تجارتهم ويجتمع فيها سائر الناس ويأمنون فيها على دمايتهم واموالهم ففنها دومة الجندل يقوم في شهر ربيع الاول وروساؤها غسان وكلب اي الحيين غلب قام ثم المتمر بهجر يقوم سوقها في جمادى الاولى تقوم بها بنو تميم رهط المنذر بن ساوى ثم صحار يقوم في رجب في اول يوم من رجب ولا يحتاج فيها الى خفارة ثم يرتحلون من صحار الى ربا بمشرهم فيها الجاندي وآل الجاندي ثم سوق الشجر شجر مهرة فيقوم سوقها تحت ظل الجبل الذي ثليه فرهود الربي ولم تكن بها خفارة وكانت مهرة تقوم بها ثم سوق عدن يقوم في اول يوم من شهر رمضان بعشرهم بها الابهاء ومنها كان يحمل الطبيب الى سائر الآفاق ثم سوق

صنعاء يقوم في النصف من شهر رمضان يعشرون بها الالباء ثم سوق الراية يحضرموت ولم يكن يصل اليها الا يخفارة لانها لم تكن ارض مملكة وكان من عز فيها بز وكانت كعدة تحفر فيها ثم سوق عكاظ بالي نجد يقوم في ذي القعدة وينزلها قريش وصائر العرب الا ان اكثرها مضر وبها كانت مفاخرة العرب وحملاتهم ومهادناتهم ثم سوق ذي المجاز وكانت ترحل من سوق عكاظ وسوق ذي المجاز الى مكة لحجهم وكان في العرب قوم يستحلون المظالم اذا حضروا هذه الاسواق فسموا المحلين وكانت فيهم من ينكر ذلك وينصب نفسه لنصرة المظلوم وانع من سفك الدماء وارتكاب المنكر فيسمون الدادة المحرمين فاما المحلون فكانوا قبائل من اسد وطى وبني بكر بن عبدمناة ابن كنانة وقوم من بني عامر بن صعصعة واما الدادة المحرمون فكانوا من بني عمرو بن نجيم وبني حنظلة بن زيد مناة وقوم من هذيل وقوم من بني شيبان وقوم من بني كلب بن وبرة فكان هؤلاء يلبسون السلاح لدفعهم عن الناس وكان العرب جميعا بين هؤلاء تضع اسلحتها في الاشهر الحرم . . . وكانت العرب تحضر سوق عكاظ وعلى وجوها البراقع فيقال ان اول عربي كشف قناعه ظريف بن غنم الصنبري ففعلت العرب مثل فعله .»

اما المثال الثاني فنقبس منه بعض الجمل فقط دلالة على حربة المؤلف وردا على من يقول ان مؤرخي بني العباس اضطرتهم السياسة ان يحملوا على بني أمية ارضاء لبني هاشم مع ان من اوائلك المؤرخين من طعنوا الطعن المبرح بالعباسيين انفسهم وهم معاصرون لهم كل ذلك بفضل الحرية التي تمتع بها العلم في القرون الاولى لبني العباس قال المؤلف بعد ان ذكر طرفا من سيرة المتوكل على ما هي معروفة ومن قبض عليهم واستنصف اموالهم من عماله . وفي هذه السنة امر المتوكل بلبس اهل الذمة الطيالة الصليية وركوبهم البغال والحير يركب الخشب والسروج التي فيها الاكرولا يركبون الخيل والبراذين وان يصيروا على ابوابهم خشبا فيها صور الشياطين . وقال : وامر المتوكل في هذا الوقت ان لا يستعان باحد من اهل الذمة في شيء من عمل السلاطين وان تهدم الكنائس والبيع المحدثه ومنعوا من العبادة وكتب بذلك الى الآفاق . ولعل نادعا المتوكل الى تشديد الوطأة على اهل الذمة الانقام منهم عما كان يأتيه ملوك الروم من غزو الاطراف فقد ذكر ابن واضح في ترجمة المتوكل ايضا انه لما وجه عبيسة بن اسحاق الضبي لم يتم فيها الا شهوذا حتى اتاخذت الروم على ذنبها في خمسة وثمانين نمر مجاهدين خلقا من المسلمين

واحرقوا ألفاً واربعمائة منزل وسبوا من المسلمات ألفاً وثمانمائة وعشرين امرأة ومن نساء
التبطل ألف امرأة ومن اليهود مائة امرأة واخذ السلاح الذي كان بدمياط والسقط
وتنارب الناس ففرق في البحر نحو الفين واقاموا يومين وليلتين ثم انصرفوا . ومع هذا
وجه « طافية الروم » برسل وهدايا وكانت يسيرة فبعث اليه باضعافها .

وترى من خلال السطور ان المؤرخ يكاد يصرح بسوء حالة المتوكل خصوصاً في
سخطه على بعض عماله وتعذبهم ومما قاله فيه : وبني المتوكل قصوراً اتفق عليها اموالاً
عظماً منها الشام والعروس والشباز والوديع والغريب والبرج واتفق مئى البرج ألف ألف
وسبعائة الف دينار . قال وعزم المتوكل على المسير الى دمشق ووصف له برد هوائها وكان
محروراً فكاتب الى محمد بن احمد بن مدبر يأمره باتخاذ القصور واعداد المنازل وكتب
في اصلاح الطريق واقامة المنازل والمرافد وصار من سر من رأى يوم الاثنين لعشر
بقيين من ذي القعدة سنة ٢٤٣ وتزل دمشق يوم الاربعاء لثمان بقيين من صفر سنة ٣٤٤
فتزل تلك القصور فاقام ثمانية وثلثين يوماً وبلغه عن بعض الموالي من الاتراك امر
كرهه فشخص عن دمشق الى العراق ولم يسافر في ولايته غير هذه السفرة الا في تزهة
ولم يرف في سفرته هذه شيئاً ولا نظر في مصلحة احد واصابت الشام كله زلازل حتى
ذهبت اللاذقية وجبله ومات عالم من الناس حتى خرج الناس الى الصحراء واسلموا منازلهم
وما فيها واتصل ذلك شهراً من سنة ٢٤٥ وانتقل المتوكل الى موضع يقال له الماحوزة
على ثلاثة فراسخ من قصر سر من رأى وبني هناك مدينة سماها الجعفرية وحفر فيها نهراً
من القاطول ونقل الكتاب والدرارين والناس كافة اليها وبني فيها قصرأ لم يسم بثلثه
وذلك في المحرم سنة ٢٤٦

ومما رواه المؤلف في سيرة المأمون وحرية، وعلمه ان بشر بن الوليد الكندي قاضيه
ببغداد كان قد ضرب رجلاً قرف بانه شتم ابا بكر وعمر وامانه على جبل فلما قدم
المأمون (ببغداد وكان متغيباً عنها في الشام) احضر الفقهاء فقال اني قد نظرت في قضيتك
يا بشر فوجدتك قد اخطأت بهذا خمس عشرة خطيئة ثم اقبل على الفقهاء فقال : انيكم
من وقف على هذا قالوا وما ذاك يا امير المؤمنين فقال : يا بشر بما اقامت الحمد على هذا
الرجل قال : بستم ابي بكر وعمر قال : حضرك خصومه قال : لا قال : فوكلك قال :
لا قال : فلما كن ان يقيم حد القرفة بغير حضور خصم قال : لا قال : وكنت تأمن ان
يهب بعض القوم حصته فيبطل الحمد قال : لا قال : فاهما كلورين ام مسلمين قال : بل

كافرتان قال : فيقام في الكافرة حد المسلمة قال : لا قال : فهبك فمك هذا بما يجب
لاي بكر وعمر من الحق افيشهد عندك شاهدا عدل قال : قد زكي احدهما قال : فيقام
الحد بغير شاهدين عدلين قال : لا قال : ثم أفت الحد في رمضان فالحدود تقام في شهر
رمضان قال : لا قال ثم جلده وهو قائم فالحدود يقام قال : لا قال : ثم شجته بين
العقابين فالحدود يشبع قال : لا قال : ثم جلده عريان فالحدود يعرى قال : لا قال ثم حملته
على جمل فاطفته فالحدود يطاف به قال : لا قال : ثم حبسته بعد ان افت عليه الحد
فالحدود يحبس بعد الحد قال : لا قال : لا يراي الله ابوه باثمك واثارك في جرمك
خذوا عنه ثيابه واحضروا المحدود ليأخذ حقه منه فقال له من حضر من الفقهاء : الحمد
لله الذي جعلك عاملاً بحقوقه عارفاً باحكامه نقول الحق ونعمل به وتأمر بالعدل وتؤدب
من رغب عنه ان هذا يا امير المؤمنين حاكم اجتهد في رأيه فاخطأ فلا نفرض به الحكم
وتهتك به القضاء فامر به فحبس في داره حتى مات اه .

والكتاب كله فوائد غزيرة يشف عن علم صاحبه ونشره فيا حبذا لو صحت العزائم
في الشرق لاعادة طبعه على صورة احسن تسهيلاً لاقتنائه لان معظم الكتب التي
نشرها علماء المشرقيات قصدوا بها فائدة بلادهم او فكراً خاصاً لهم ولذلك يقللون من
النسخ المطبوعة منها ما امكن بحيث يتعذر على ابن الشرق اتياعها لغلاء اثمانها بالنسبة
لما ألف من رخص الكتب في بلاده وكثيراً ما يتطلبها فلا يظفر منها بنسخة لانها
تنفد في مدة قليلة ولا يصل خبرها الى الشرق الا وتكون قد نفدت او كادت .

تقويم البلدان

قلنا غير ما مرة ان علماء المشرقيات من الفرنسيين قصروا في العهد الاخير عن
البحاق برصفائهم من الالمان وان ما ينشرونه اليوم من الكتب العربية دون ما كان
اسلافهم ينشرونه في النصف الاول من القرن التاسع عشر وكتاب تقويم البلدان
تأليف السلطان الملك المؤيد عماد الدين اسمعيل صاحب حماة اكبر شاهد على صحة
هذا القول فقد طبعه في باريس بدار الطباعة السلطانية سنة ١٨٤٠ الميسور بنود
والبارون ديمسلاان بمناظرة سلفستر دي سامي شيخ المستشرقين في فرنسا الذي افضل
كثيراً على العرب والعربية بما نشره من آثار السلف .

ونقويم البلدان في الجغرافية العامة كما يفهم من اسمه عظيم الفائدة من وجوه أقلها ان
المؤلف كان من بعد الطبقة الراقية بين علماء القرن الثامن مدقق في كل ما خطه يده من

المصنفات فهو في ملوك الطوائف المتأخرين بعلمه وفضله بمنزلة المأمون من خلفاء
العباسيين .

غفر الناشر ان من كتابه هذا بنسخة صححت على المؤلف وكتب عليها بقلمه بعض
التعليقات او هي نسخة المؤلف فجاءت والعناية قد بذت بها من اصح ما طبع علماء
المشريات

اعتمد المؤلف على ما كتبه ابن حوقل والادريسي وابن سعيد وعلى كتابي العريزي
والباب ونقل عنهم حتى في جغرافية بلاده وكان ابو الفدا طاف سورية ومصر وقسماً
من بلاد العرب من الحجاز وبلغ افرات فعد كلامه ثمة فيما كتبه والغالب انه تحدى
بطليموس في تقسيماته الجغرافية قال في مقدمته : بسم الله الرحمن الرحيم وبه نستعين
الحمد لله حمداً يليق بجلاله وصلى الله على سيدنا محمد وآله وبعد فاني طالعت الكتب
المؤلفة في البلاد ونواحي الارض من الجبال والبحار وغيرها فلم اجد فيها كتاباً موفياً
بغرضي فمن الكتب التي وقفت عليها في هذا الفن كتاب ابن حوقل وهو كتاب مطول
ذكر فيه صفات البلاد مستوفياً غير انه لم يضبط الاسماء وكذلك لم يذكر الاطوال ولا
العروض فصار غالب ما ذكره مجهول الاسم والبقعة ومع ذلك لا تحصل به فائدة تامة
وكتاب الشريف الادريسي في المسالك والممالك وكتاب ابن خرداذبة وغيرها وجميعهم
حدوا حدوا ابن حوقل في عدم التعرض الى تحقيق الاسماء والاطوال والعروض واما
الزيجات والكتب المؤلفة في الاطوال والعروض فانها عريضة عن تحقيق الاسامي وعن
ذكر صفات المدن واما الكتب المؤلفة في تجميع الاسماء وضبطها مثل كتاب الانساب
للسمعاني والمشارك لياقوت الحموي وكتاب مزبل الارتياب عن مشبه الانتساب وكتاب
الفصل كلاهما لابي المجد اسمعيل بن هبة الله الموصلي فانها اشتملت على ضبط الاسماء
وتحقيقها من غير تعرض الى الاطوال والعروض ومع الجهل بالاطوال والعروض يجهل
سمت ذلك البلد فلا يعرف الشرقي منها ولا الغربي ولا الجنوبي ولا الشمالي

ولما وقفنا على ذلك وتأملناه جميعاً في هذا المختصر ما نفرق في الكتب المذكورة من
غير ان ندعي الاحاطة بجميع البلاد او بغالبها فان ذلك امر لا مطعم في الاحاطة به
فان جميع الكتب المؤلفة في هذا الفن لا تشمل الا على القليل الى الغاية فان اقليم
الصين مع عظمتها وكثرة مدنها لم يقع اليها من اخباره الا الشاذ النادر وهو مع ذلك غير
محقق وكذلك بلاد البلغار وبلاد الجركس وبلاد الروس وبلاد السرب وبلاد

الاولى (الاولاح) وبلاد الفرنج من الخليج القسطنطيني الى البحر المحيط الغربي فانها بلاد كثيرة وممالك عظيمة متسعة الى الغاية ومع ذلك فاك اسما مدنها واحوالها مجهولة عندنا لم يذكر منها الا القليل النادر وكذلك بلاد السودان في جهة الجنوب فانها ايضا بلاد كثيرة لجنوس مختلفة من الحبش والننج والنوبة والتكرور والزيلع وغيرهم فانه لم يقع اليينا من اخبار بلادهم الا القليل النادر وغالب كتب المسالك والممالك انما حققوا بلاد الاسلام ومع ذلك فلم يحصوها عن آخرها ولكن كما قيل ما لم يعلم كله لا يترك كله فان العلم ببعض خير من الجهل بالكل وقد جمعنا في هذا المختصر ما تفرق في كتب عديدة على ما صنف عليه ان شاء الله عند ذكرها وحدونا في تأليفه حدوا ابن جزلة في كتاب تقويم الابدان في الطب وسمينا كتابنا هذا تقويم البلدان ١٠٨ .

بدأ المؤلف بذكر الارض والاقليم السبعة والابحار والاطوال والخلجان والجميرات والانهار والجبال قال في الكلام على ترتيب كتابه : اما ترتيبه فانه مجدول على وضع التقويم وقد ذكرنا فيه الاقليم الحقيقي والاقليم العربي في يثين والمراد بالاقليم الحقيقي احد الاقاليم السبعة المتقدم ذكرها والعربي كل ناحية او مملكة تشتمل على عدة كثيرة من الاماكن والبلاد مثل الشام والعراق وغيرهما . نال وقد جعلنا في الجدول بيتا لضبط الاسماء فان في هذه الاسامي اسماء المجمية لا يهتدى اليها بغير ضبط وكذلك في الاسماء المشهورة اسماء قد غيرتها العامة تارة بتغيير الفحة الى الكسرة او الضمة وبالعكس وتارة بزيادة الحروف في الكلمة وتارة بالنقص . مثل ما يقولون في تبريز توريز وتستر شستر ومثل ما يقولون تدمر بضم التاء وهي بانفتح فلذلك احتجنا الى ضبط الاسماء وذكرنا في الهامش من فوق وتحت كلاما على ذلك الاقليم وتحديده وذكر بعض مسافاته ونحو ذلك واما ترتيب الاماكن وتقديم بعضها على بعض في الذكر فانه امر لم يتبأ لنا فيه ترتيب يرضينا فبما فيه ابن حوقل وابتدأنا بجزيرة العرب لكون بيت الله الحرام وقبر نبيه عليه افضل الصلاة والسلام فيها .

ومع ان مؤلفنا اعتذر بتعذر الوصول الى اخبار بلاد الافرنج فقد ذكر منها جملة صالحة فذكر منها مملكة بولية على بحر الروم عند فم جون البنادقة من غربيه وهي تقابل مملكة الباسيلسة التي من البر الآخر وملك بولية كان يقال له في زمانه الريدشار وذكر بلاد قلقرية والمر (المورة) والمغجوط وفرنس والتسقاله (ايطاليا) واستنبري والروس وفرنسة والمانية وذكر مدينة باريز فقال : مدينة باريس قاعدة فرنسا وهي ثلاث قطع

كما هي مدينة الباب فالوسطى التي في الجزيرة لفرنسيس سلطان الفرنج والجنوبية للجنود
والشمالية لسائر قوامسهم وتجارهم ورعيتههم وذكر عن ابن سعيد بلاد الباشقرد وهم
ترك جاوروا المانيين على عهد متواتق وهم مسلمون من جهة فقيه تركاني نصرهم بشرائع
الاسلام واكثر عمارتهم على نهر دوما وعلى جنوبيه قاعدتهم قرات وهي مما دخله النهر
وخرابه واهلكوا اهلهم وفي شرقها بلاد الصنقر (المجر) اخوة الباشقرد انصروا المجاورة
المانيين ولهم مدائن وعمار على النهر الكبير مستعجمة وقاعدتهم مدينة تربوا وذكر بلاد
التبردية وجنوة وبيزة والبندقية ورومية وبرشان (قاعدة امة البرجان) قال فيهم
وكان لهم شهرة وبأس في قديم الزمان فاستولت عليهم الالمانية وابادوهم حتى لم يبق
منهم احد ولا بقي لهم اثر وذكر مدن اثينية وقسطنطينية وتسمى بوزنطيا وماقدونية
وصحبي وايزو وطرنو وبلاد (بلغار) وطلوزة قال ابن سعيد وفي شرقي بردال مدينة
طلوزة يقال ان صاحبها الفرنجي في الجبال التي في شماليه وشرقيه ما ينيف على الف حصن
وهو قريب من صاحب فرنسة والنهر في جنوبها يصعد منه مراكب البحر المحيط اليها
بالقصدير والنحاس اللذان يجلبان من جزيرة انكطرة وجزيرة ارلندة وتحمل على الظهر
الى نربونة ومنها تحمل في مراكب الفرنج الى الاسكندرية وذكر مدينة مرشيلية ومدينة
سبقلوا في شمالي جبل جرواسيا قال فيها نقلا عن ابن سعيد انه يصنع فيها السيوف
الالمانية المشهورة ولها معدن حديد يجلبها ويقال ان في مكان منه معدن حديد مسموم
يصنع منه السيوف والخناجر لا يبيع الملوك اكتسابها لغيرهم وفي شرقها وسمت عرضها
مدينة نفصين (هصن ؟) وهي مخصوصة بالماء المانية وحكائهم وذكر عراز ولوشيرة
وسينتقو ومشقة وبرغاذما ومن هذه المدن ما دثر الآن او تغير اسمه .

وقصارى القول ان كتاب ابني الفدا من اصدق كتب الجغرافية العربية التي ألقت
في القرون الوسطى وكأنها ألقت في هذا القرن لم يفيض صاحبها الا فيما علم فكان حجة
ثبتا في كل ما روى تكاد لا تقرأ له خرافة ينكرها طبعك ونفا في ارتقاء العصر الحاضر
فياحبذا لو صحت ممة احد لطبعه فان نسخه فقدت ولا تكاد توجد الا في مكاتب
الخاصة ودور الكتب العامة



اخبار وافكار

بدائع الصنائع
والمرأة المسلمة في العصور المتقدمة

تكلمتم في الجزء العاشر من المجلد الخامس على كتاب بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع وبينتم فضل الكتاب وماله من المكانة عند المشتغلين بفقهاء الامام الاعظم فأحييت ان تحف قراء المجلة بترجمة المؤلف وترجمة استاذاه و بنت استاذاه زوجته فاطمة الفاضلة فانها النموذج مما كانت عليه الامة الاسلامية من العناية بتربية النساء

قال الفاضل محمد عبدالحى الككنوي الهندي في طبقاته المسماة بالفوائد البهية في تراجم الحنفية في صفحة ١٥٨ : محمد بن احمد بن ابي احمد ابو بكر علاء الدين السمرقندي صاحب تحفة الفقهاء استاذ صاحب البدائع شيخ كبير فاضل جليل القدر تفقه على ابي المعين ميمون المكحولي وعلى صدر الاسلام ابي اليسر البرزدي وكانت ابنته فاطمة الفقيهة العلامة زوجة علاء الدين ابي بكر صاحب البدائع وكانت تفقهت على ابيها (وحفظت تحفته) وكان زوجها يخطي قترده الى الصواب وكانت الفتوى تأتي فتخرج وعليها خطها وخط ابيها فلما تزوجت بصاحب البدائع كانت تخرج وعليها خطها وخط ابيها وخط زوجها . اهـ

وقال في الكتاب الموهوم بمدينة العلوم (وهو من البقية الباقية من نفائس مخطوطات مكتبة المدرسة العثمانية بجلب) ومنها (اي من كتب الحنفية) كتاب التحفة للشيخ الامام محمد بن احمد بن ابي احمد الامام علاء الدين السمرقندي وهو الذي تزوج الكاساني ابنته فاطمة وشرح تحفته وفاطمة هذه كانت تنقل المذهب نقلاً جيداً وربما ترد فتوى زوجها الكاساني ويرجع هو الى قولها وكانت الفتوى أولاً تخرج وعليها خطها وخط ابيها السمرقندي ثم كانت تخرج بخطها وخط زوجها الكاساني وكانت في يدي فاطمة سواران (باعتهما) وعملت بالثمن الفطور كل ليلة بالحلاوى واستمر ذلك الى اليوم ولهذا سميت تلك المدرسة بالحلاوية اهـ (لم يزل هذا اسمها وهي من آثار نور الدين الشهيد عمرها سنة ٥٤٤)

وقال في الفوائد البهية ايضا في صفحة ٥٣ : ابو بكر بن مسعود بن احمد علاء الدين

ملك العلماء الكاساني صاحب البدائع شرح تحفة الفقهاء اخذ العلم عن علاء الدين محمد السمرقندي صاحب التحفة عن صدر الاسلام ابي اليسر البزدوي وعن ابي المدين ميمون المكيولي وعن مجد الائمة السرخسي وله كتاب السلطان المبين في اصول الدين وتفقه عليه ابيه محمود واحمد بن محمود الغزنوي صاحب المقدمة الغزنوية مات في عاشر رجب سنة سبع وثمانين وخمسمائة ودفن بظاهر حلب عند قبر زوجته فاطمة ابنة صاحب التحفة الفقيه العالمة والدعاء عند قبرهما مستجاب قال الجامع قال علي القاري هاته مصنف البدائع الكتاب الجليل والسلطان المبين قيل ومياه المعتمد في المعتمد ومن شعره

سبقت العالمين الى المعالي بصائب فكرة وعلومه
ولاح بحكمتي نور الهدى في ليل بالضلالة مدله
يريد الجاهلون ليطفؤه ويأبى الله الا ان يتمه

وتفقه علي محمد بن ابي السمرقندي وقرأ عليه معظم تصانيفه وزوجه شبيخة ابنته فاطمة وقيل ان سبب تزويجها انها كانت من حسان النساء وكانت حفظت التحفة لابيها وطلبتها جماعة من ملوك بلاد الروم ولما صنف صاحب الترجمة البدائع وهو شرح التحفة وعرضه على شبيخة ازداد به فرحاً وزوجه ابنته وجعل مهرها منه ذلك فقالوا سيفه عصره شرح تحفته وتزوج ابنته وارسل صاحب البدائع رسولا من ملك بلاد الروم الى نور الدين محمود بحلب وكان قبل ذلك قدم الرضا السرخسي صاحب المحيط الى حلب فولاه نور الدين الخلاوية وانفق عزله فولاه نور الدين الخلاوية فتلقاه الفقهاء بالقبول . وقال ابن العديم سمعت ضياء الدين الحنفي قال حضرت الكاساني عند موته فشرع في قراءة سورة ابراهيم حتى بلغ قوله تعالى (يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت) فخرجت روحه، ودفن عند زوجته داخل مقام الخليل بظاهر حلب والدعاء عند قبرها مستجاب ويعرف عند الزوار في حلب بقبر المرأة وزوجها انتهى قلت ان الاشعار التي نسبها اليه وقد نسبها حسن جلبي في حواشي التلويح الى الحكيم عمر الخيام والله اعلم . ونسبته الى الكاساني بالكاف ثم الالف ثم السين المهملة ثم الالف ثم النون بلدة وراء الشاس ذكره السمعاني وقد يقال سيفه نسبته الكاساني بالمعجمة بدل المهملة وفي مشبه النسبة للذهبي قاسان بلد كبير بتركستان خلف سيجون واهلها يقولون كاسان وكانت من محاسن الدنيا خربت باستيلاء الترك عليها ومنها العلامة علاء الدين الكاساني من ائمة الحنفية بدمشقي (صوابه بحلب) ايام الملك نور الدين اسمي

وقال العلامة ابن عابدين في حاشيته على الدر المختار في اوائل باب الطهارة مانصه : هذا الكتاب (اي البدائع) جليل الشأن لم ار له نظيراً في كتبنا اه
وقد أكثر العلامة المذكور في حاشيته من النقل عنه والمنبوع لها يرى انه حينما يأتي بالنقل عنه يكون قد آذن بالاتيان بما فيه فصل الخطاب في المسائل المختلف فيها .

فكتاب يلقب المؤرخون صاحبه بملك العلماء ويشهد فيه العلامة ابن عابدين هذه الشهادة ويكون عمدته في حاشيته التي عليها المعول في عصرنا هذا يدل دلالة واضحة على عظم فضل مؤلفه وجلالة قدره وغزارة مادته ومع هذا الفضل والعلم الزاخر كانت زوجته فاطمة ربما ردت فتواه ورجع هو الى قولها ولا ريب انها لم تقدم على ذلك الا حينما آنت من نفسها انها ضاعته في العلم وبلغت مبلغه في الفضل

وحسبنا هذا دليلاً على ما وصلت اليه المرأة المسلمة من الرقي في تلك العصور وقايس ايها القاري بين امثال هذه الفاضلة وبين المرأة المسلمة في عصرنا هذا وقل لي رعاك الله هل يوجد اليوم في مشارق الارض ومناربها امرأة مسلمة حازت من العلماء هذه الدرجة وقل لهؤلاء العلماء القائلين بتحريم تعليم المرأة الكتابة أ كان صاحب التحفة السمرقندي الذي هذب ابنته فاطمة وعلمها ما علمها جاهلاً بالحكم الذي يعلمه هؤلاء

فهل لنا ان نأخذ من ترجمة هذه الفاضلة درس عظة يوقظنا من سباتنا ويبعثنا من اجداث خمولنا ويرشدنا الى النهوض الى تعليم بناتنا واجباتهم الدينية وحوالجتهم الدنيوية لنحيي في الدنيا حياة طيبة ونعيش في الآخرة عيشة راضية .

حلب محمد راغب طباع

(ننبه) علم مما تقدم ان بدائع الصنائع هو شرح لتحفة الفقهاء لكن المتصفح للكتاب لا يرى فيه المتن البتة وذلك لانه شرح على طريقة المتقدمين اي انه اتى الى كل بحث من ابجاث التحفة فوسع دائرته وجعله فصلاً ومزج المتن مع الشرح مزجاً لا يمكن التفرقة بينهما الا لمن يرى التحفة على حديثها فالككتاب عبارة عن فصول متتابعة

تجدد ايطاليا

كتب احدهم في المجلة مقالة تحت هذا العنوان قال فيها ما محصله : كما خر قوا جانباً من جبال الالب ينزل على ايطاليا يذوع من الخصب والمال وبنينا تجد العجز مستحكماً في ميزانيات المانيا وانككترا وفرنسا ترى ميزانية ايطاليا يزد دخلها على خرجها فزادت تجارة ايطاليا الخارجية . منذ اواخر القرن التاسع عشر جهوة عجيبة لم تضاهها به التجارة الألمانية ولا

تجارة الولايات المتحدة . نمت تجارة اميركا ٨٥ في المئة والمانيا ٨٤ وفرنسا ٥٠ وانكلترا ٤٠ اما ايطاليا فقد زادت ٩٩ في المئة . ومدينة ميلان معهد المقدمين من المالبين كما هي معهد دعاة الاشتراكية التخمسين ولكنهم يراعون النظام في حركاتهم ومطالبهم وما قط اهرقوا دماً حراماً او اغتصبوا مالا حراماً فلا اشتراكيون على جرائتهم والماليون كذلك ويكفي ان مدبني تورين وميلان قد اقدمتا على صنع السيارات (الاتوموبيل) قبل فرنسا ورجتا ارباباً طائفة

وبعد فان ايطاليا مخضبة برجلها كما هي مخضبة بالاعمال والواردات ومعدل نفوسها اكثر من المانيا في كل كيلومتر من بلادها ١١٧ ساكناً على حين لا يوجد في كل كيلومتر من المانيا سوى ١٠٤ اشخاص . وينسب الاجتماعيون نفوس الشعب الابيطالي المتزايد لاعتقاد البكور في الزواج فقد تجد عروساً في الخامسة عشرة من عمرها وأماً في السادسة عشرة في كل خطوة تسيرها في البلاد ويغلب على العامل الابيطالي القناعة والعمل والاقتصاد وهو مولع بحب الأسرة فاذا ابتعد عنها فلما يتعد ليكون عوناً لها ولا يغادر المهاجر الابيطالي بيته الا ليوطد دعائمه وهو ابدأ يحلم بالعودة اليه

العامل الابيطالي مثال القناعة والتوفير والصبر أعطه من الاجرة ما يموت من مثله العامل الانكليزي وتراه مع ذلك يتنصّد من اجرة جانباً في صندوق التوفير نعم ان اجرة اليد العاملة في ايطاليا رخيصة ولكن الوقود فيها قليل فتكاد لا تجد في تلك البلاد اخصية فخماً جرياً وليست ميناء جين دون مرسيليا تجارها فاذا كانت مرسيليا تغرف نساء دخلها البضائع لنقل منها الى غير هافان جين مصرف مهم لداخلية ايطاليا فقد وقف عليها سنة ١٩١٠ - ١٣ الف سفينة في حين وقف على مرسيليا ١٧ الفاً وكان حظ جين سبعة ملايين طن من البضائع وحظ مرسيليا ثمانية واعتصاب العملة غير مألوف كما هو مألوف في مرسيليا لان العملة يعرفون ان مصالحتهم مرتبطة بمصلحة علمهم ولذلك يحلون بينهم ~~كل~~ اشكال يقع بالحسنى

قال ولقد اوشكت ايطاليا ان تموت مرتين وما لاقته من الشدائد لا يخلو من عبرة فقد ماتت للمرة الاولى عند ما داهمها برايرة الشمال وجعلوا أعزّة اهلها اذلة وذلك لانها نقضت عهد وطنيتها وفسدت اخلاق ساكنيها واهملت زراعتها وأضعفت جيشها فاعادت البابوية الحياة الى رومية وبدلاً من تأليه قيصر صارت تذكر اسم الله ثم جاء دور النهضة واثت بالمفئتين والشاعر بن ورجال الحرب والسياسة من لوائها . ونراجع

عمران رومية للمرة الثانية بما حدث من العوائل بين البابا والامبراطور حتى اذا كانت الثورة الفرنسية انفضت ايطاليا كما انتفض العصفور بلله القطر . وفي اواسط القرن التاسع عشر نشأت تلك الثورة الوطنية التي كان من نتائجها وصول ايطاليا الى ماوصلت اليه . كانت ايطاليا منذ ستين سنة منقسمة الى ممالك حقيرة كلحم على وضم فمن مقاطعة صقلية الى رومان الى اميليا الى طوسكانيا الى يمون ومن كان يرجو ان بدأ صناع تقدر على عجن هذه الاجزاء النحلة لتوحيدها وارجاعها الى الحياة وكم من ايطالي عظيم مات وهو يفكر في هذا الامر الجلل ويرسم هذه الخطة العجيبة

ولقد تبنيا لاطاليا مثل غاريبالدي الذي قاد فتياها ومازيني الذي كانت حظوته من الشعب سلاحا اقوى من كل سلاح وكاثور رجل السياسة الهدي احيا الزراعة كما لم شعث الجيئس واقام نصاب العدل والحق كما فاوز اوربا فجعل ايطاليا وطنيا

وهكذا بني بناء الوحدة الايطالية بسرعة ومواد متينة على ارض لا تنزع فتوطدت دعائم هذا البناء منذ خمسين سنة وعادت رومية عاصمة ايطاليا الجديدة وميلان وتورين ونابل هي مدن العمل النافع الراجع . ولا يميزها وجين هما ولا مراة ثغران تنبعث منها الحياة القوية فايطاليا عملاء بماض وهي كذلك في المستقبل ترى فيها بقايا العاديات كما تجد فيها المجددات والمبتدعات وان ارواح عظماء رجالها المفنيين امثال ميشل آنخ وليوناردي قنسي لتسر بما ترى الآن من معامل لومبارديا المائية الكهربائية العجيبة والمناطيد الطائرة السابحة في الفضاء . كم من آمال تحققت في ايطاليا ففيها ارادت مملكة القياصرة ثم البابوية ان تلتقي السلام في العالم وفيها نشأت الخطط الشريفة في الابنية الاجتماعية والالهامات الصناعية العجيبة وكل ما ينهض بالامم ويعلي مقامها قد بدأ في صور بدبعة لطيفة فايطاليا من ثم معمل الكمال والخيال

المقعدون والصناعة

في كل مجتمع افراد مصـابون بعاهات تمنعهم عن تعاطي كثير من الاعمال فما هي الوسائل التي يجب على المجتمع ان يقوم بها لنحوهم ؟ يجيب الانسان لاول وهلة انه يجب عليه ان يعلمهم حرفة يتحرفون بها وهذا ما قامت به المدرسة الخيرية في مدينة نيويورك من المساعدة للانتفاع من المقعدين فقد رأت بعد البحث العميق ان صنعة الصياغة اوفق ما يكون لهؤلاء المنكودي الحظ لاسباب اهمها ان هذه الحرفة لا تتطلب كثيرا القوة الجسدية وفي استطاعة الصانع ان يعمل طول النهار دون ان يضطر الى الوقوف وطلب

صناع ماهرين في هذه الصنعة متواصل ولا يخشى عليها من تنافس المهاجرين الاقوياء فيفسدونها على اهلها كما افسدوا كثيراً من الصناعات البسيطة اذ هذه الحرفة تحتاج الى مهارة لا تنأى الا بصرف وقت غير قصير في تعلمها . فلذلك الغاية انشأت تلك المدرسة صفاً للمتعدين يتعلمون فيه هذه الحرفة تحت رعاية صانع ماهر وهم الآن يصلحون ما يدفع اليهم من العقود المجوهرة المنتشرة بالاجرة عدا عما يصيغونه ويبيعونه على حسابهم والمدرسة ستجد لهم محال في المعامل متى اتموا تعليمهم .

نادي السجناء

كثير من الاحداث الذين يدخلون السجن لجرائم ارتكبوها ثم يخرجون منها غامضين على ان يكونوا مستقيمين في مسلكهم ولكنهم لا يجدون عملاً ساعة خروجهم ينتج لهم منه ما يقوم باودهم اذ الناس تحجب عن استخدامهم لعدم الثقة بهم فيجربون على ارتكاب جرائم اخرى طلباً للرزق فيخرجون في اعماق السجن . فلمساعدة امثال هؤلاء الاحداث أسس في بركن احد احياء مدينة نيويورك ناد يأون اليه ريثما يحصل الواحد منهم على عمل يقات منه فعندها يترك النادي . والآن يوجد كثير ممن ساعد هذا النادي يقومون باعمال مفيدة وهم يمدونه بما لديهم من الوسائل

طهارة اللبن

قال احد فلاسفة العصر « حقق لي طهارة اللبن الذي يتناوله الطفل أوكد لك سلامته » وما زال علماء العالم منذ امد بعيد يبحثون عن الوسائل لحفظ اللبن من الجراثيم المتعددة الانواع التي تضر بصحة البالغين فضلاً عن الاطفال فلذلك الغاية اختراع علماء مؤلف من وعائين الواحد ضمن الآخر الاول من المعدن والثاني من الخشب وبينهما فسحة لوضع الجليد لكي يحفظ اللبن رطباً والوعاء محكم يبر من الوعاء الداخلي أنبوب يفرغ الى وعاء آخر خارج الاثنين ذو غمر كل غمرة تشير الى كذا من الوزن فلا يشكف البائع الا لفتح انبوب يفرغ الى الوعاء المعبر ويضع فيه قدر ما يطلب الزبون ثم يغلقه ويفتح انبوباً آخر يفضي الى ابريق الزبون فهذه الوسطة يكون قد حفظ اللبن من الفساد بالحر ولم يدخل اليه شيء من الجراثيم وقت المناولة

الراحة في السفر

قد فتح حديثاً في مدينة بونس ايرس عاصمة الجمهورية الفضية نزل يسع ٣٢٠ نزيل وهو نزل حسن البناء والفرش ذو طابقتين وفيه ادارة خصوصية لبيع بطاقات السفر في

السكك الحديدية فالنازل فيه لا يحتاج الى الخروج منه اذا كان يريد السفر فيه داخل البلاد لا يتباع البطاقة وشحن اثقاله

اصلاح زبي المرأة

اهمل النساء في ملابسهن مقنضيات الصحة وراعين شروط الجمال فعمدن الى المشد الثماساً لشفة الخصر وبرز الصدر وارتدين بروداً لا تدفع تأثيرات الطقس الى غير ذلك مما انهنك الاجسام واعدها لعوادي الضعف والوهن والنساء لاهيات بالمظاهر الخلافة عما وراها من النحول والسقم ولما استفحل شر هذا الداء تألفت في المانيا جمعية نسائية غرضها اصلاح الازياء على ما تقتضيه شروط الصحة وانغم اليها كثيرات من علية نساء الالمان واصدرن مجلة وضعن فيها رسوم الازياء الصحية ودعت الادبيات فيها الى خلع الازياء الجديدة وفي مقدمة اولئك الكاتبات ملكة رومانيا

وصرت الحركة الى فرنسا فاهتمت مجلاتها بهذا الاصلاح ونشرت فيه الفصول الضافية وحرضت الجمعيات النسائية في فرنسا على اقتفاء اثر الجمعية الالمانية واتشترت هذه الفكرة في بلاد الانكليز فكانت الملكة اول من ابرزت الفكر الى حيز العمل فاصدرت منشوراً لنساء الشرفاء صرحت فيه انها لا تقبل في البلاط الا من ارتدين باكسية واسعة عينتها لمن وانكرت الترف والفخفة على نساء الاغنياء وعسى ان نهض نساء الشرق الى مجارة اخواتهن في البلاد الراقية

السكر الآسيوي

يصطنعون في الشرق انواعاً من السكر غير معروفة في المغرب منها ما يصطنع في نيبون ويدعى سكر الرز ويسميه الاهلون ميزيام اي السكر السائل لانه غير جامد تماماً ولذلك لا يمكن تداوله في التجارة وانما يرسلون منه زجاجات محكمة السد تحتوي الواحدة منها من ٥٠٠ غرام تباع بنحو ثمانية غروش وتلك الزجاجات تحفظ السكر من الفساد ولكنها اذا استمرت مفتوحة هنيئة خثر السكر ونفث طعمه والتجار يستعملونه لاصاق الغلافات وطوايع البريد و يصطنع الصينيون نوعاً آخر من الجاورس فيسخرجون عصارة البساتين ويضعونها اياماً في اوعية صغيرة معرضة لحرارة الشمس فتنبخر المياه ويرسب في قعر الوعاء مقدار من السكر ينشرونه على مائدة

المقارن

الاركيولوجيا

Archéologie

الاركيولوجيا كلمة يونانية معناها الكلام على العاديات او الآثار القديمة . وقد خص استعمالها مؤخراً بالبحث عن قدم الانسان وحال معيشته حتى زمن التاريخ وقبل الدخول في البحث عن تاريخ الانسان القديم لا بد من تمهيد جيولوجي لشدة علاقة موضوعنا بعلم الجيولوجيا — اي قدم العالم — فنقول :

يرى معظم علماء الجيولوجيا ان الارض كانت قديماً سديمية القوام ثم جمدت فبردت قشرتها الظاهرة بعد زمن طويل الى ان صارت صالحة لظهور الحياة عليها فظهرت (بقوة علل) منذ مئات الالوف من السنين . ويسمى زمن ظهورها بالدور الثلاثي وتلا هذا الدور الرباعي فوجد الانسان في اوائله على الارجح . ويرى بعضهم ان الانسان ظهر في أواخر الدور الثلاثي غير ان الآثار التي يعتمدون عليها لتعصيد رأيهم ليست بثبت . ثم جاء العصر الحجري الطويل المدة حين كان اسلافنا الاقدمون يستخدمون الادوات الغرانية من حجارة العسوان . وعقب هذا الزمان البرونزي فالحديد وفيه بدأت الحضارة الحقيقية ووضح التاريخ . والازمنة الثلاثة الاخيرة من اخص مباحث علم الاركيولوجيا

وتختلف مدد هذه العصور في طولها فبعضها يخطئ عشرات الألوف من السنين وبعضها كالزمان البرونزي لا يتجاوز ثلاثة آلاف سنة

وبما ان ما اكتشف من آثار الدور الرباعي لا يزال في معرض البحث والتخليص من شوائب الربب نبدأ ببيان عاديات العصر الحجري التي قد كشف للآن شيء كثير

منها . و يتبين من هذه الآثار ان الانسان ظهر على الارض منذ نحو عشرين الف سنة على الأقل ومائة الف سنة على الأكثر

العصر الحجري — هذا العصر قديم جداً سابق لآقدم التواريخ البشرية من مثل الميوروغليفية المدونة على هياكل مصر وفي مدافنها . وانتهى على الجملة قبل المسيح بنحو ثلاثة آلاف سنة . غير ان بعض البلدان كمصر كانت قد تحضرت قبل المسيح بستة الى سبعة آلاف سنة وغيرها بقي الى مابعد ذلك بزمان طويل في حالة الهمجية كما يرى اليوم في سكان استراليا الاصليين وبعض اهالي جزر المحيط وغيرهم المنفصلين عن العالم المتحضر

ويقسم علماء الاركيولوجيا العصر الحجري الى عدة ازمئة أضربنا عن ذكرها لتسوق الكلام عليه هنا خلواً من عرقلة التقسيم والتداخل

ويظهر من الآثار القديمة ان الانسان لم يهتد في اوربا الى استعمال المعادن الا قبل التاريخ المسيحي بالفين الى ثلاثة آلاف سنة حين بدأ استعمال البرونز وبعد ذلك استعمال الحديد (قبل المسيح بنحو الف سنة)

ولذلك فالعصر الحجري في اوربا وكثير من انحاء العالم انتهى في بدء زمان استعمال المعادن بعد ان استمر زمناً طويلاً

وقد وجدت آثار عديدة في جميع انحاء العالم تدل على ان الانسان استعمل الادوات الصوانية في ممحيته حيث حل في القارات الست . وهك كانت هذه الادوات خشنة الملمس غير منقنة في اوائل عهد الهمجية ثم انقنت شيئاً في زمن سكن الكهوف ثم صقلت وارتقت في اواخر هذا العصر الذي نلاه زمن يسمى بالجديد وهو ما نسميه هنا بزمان العبور من العصر الحجري الى الزمن المعدني اي استعمال المعادن

وفي جملة ما عثر عليه الباحثون من البقايا الحيوانية والآلات الصوانية في كنت بيلاد الانكليز وفي بلجيوم والمانيا وفرنسا ومصر وآسيا واليابان واواسط افريقية والمكسيك وغيرها ما يدل دلالة واضحة على كيفية معيشة الانسان قديماً وعلى انواع الحيوانات المعاصرة له التي انقرض بعضها الآن كالموثر والغيل الكبير ونوع من فرس البحر هائل الجثة وكثير من الطيور التي لورأنا هياكلها الآن لهاذا كبر حجمها وغرابة منظرها

وقد وجدت عظام هذه الحيوانات المنقرضة بجانب ادوات الانسان في مدافنها

وكهوف. ورئي شيء من لحم بعضها لا يزال لاصقاً بالعظام
العصر الجليدي — واستدل علماء الآثار من أدلة عديدة وجدوها في طبقات
متباينة العمق تحت الأرض وفي كهوف كاسية ان نصف الكرة الشمالي كان معتدل
الهواء في اواسط الدور الثلاثي الا ان سطح اوروبا الشمالي كان في ذلك الوقت غير ما
كان عليه في الدور الرباعي بعده . فكانت مياه الاوقيانوس الشمالي تغطي جميع
الاراضي الواقعة الآن الى الشمال من خط يمد من جنوب انكلترا الى بطرسبرج . وبعد
ذلك شخصت جبال الألب والقوقاس والكربتيان وباقي الجبال فغيرت هواء تلك
الاصقاع بما أحدثته من الرطوبة والبرد فيجلدت المياه وكانت تذوب صيفاً فيتكون منها
انهر جليدية تكسح في طريقها الشواخص وتتحد المظمنات حاملة الاوحال الى ابعاد
سحيقة وجارفة الصخور تحل بها وجه الأرض . فنجم عن ذلك النواتج الصخرية والرواسب
الترايية في السهول كما نشاهده اليوم . ويقدر العلماء ان عمق الجليد في الدور المذكور
المسمى بالجليدي ايضا بلغ في جهات اسكندينايا نحواً من ستة آلاف قدم . وجعل
يقل شيئاً فشيئاً في الجنوب حتى محاذاة انكلترا ولكنه لم يبلغ قط جنوبها كما ظهر من
تحليل تربة الانهر الجليدية عند لندن .

والغريب انه كان يتخلل هذا الدور القارس مدد معتدلة الهواء تدل عليها بقايا
الاشجار والحيوانات المنقحرة . فتقلبات كهذه لا يمكن تصورها كما هي حقيقة لعدم
وجود مماثل لها في عصرنا الثابت او القليل التغيرات

زمن سكنى الكهوف — حدث في القرن السادس عشر ان عني اهل اوربا بالبحث
عن قرن الكركدن القديم المعروف بوحيد القرن لاعتقاد عامتهم ان لهذه القرون
خاصة الشفاء من كثير من الامراض فجر البحث عنه ذلك الى اكتشاف كثير من
الكهوف والمغاور التي كان يسكنها الانسان . ووجد فيها من الآلية والادوات
الظرانية ما يكفي للدلالة على نوع معيشة الانسان في اواسط العصر الحجري . الا ان
هذه الابحاث لم تأخذ وجهة علمية الا منذ نحو قرن حين عثر على مغاور الضباع الهائلة
التي كانت تفترس المموت وفرس البحر . وكان المظنون ان هذه الآثار متابقة لظهور
الانسان غير انهم اكتشفوا بعد ذلك كهف كنت وهو من هذا النوع فوجدوا فيه آثار
الانسان وآثار هذه الحيوانات المنقرضة جنباً الى جنب فلموا ان الانسان كان معاصراً لها
وقد ارتقى شيئاً حتى انه يشبه بعض متوحشي اوستراليا اليوم . ولكنه ارقى من

متوحشي جزائر سندويج لانهم اكتشفوا على نقوش ورسوم رسما على العظام تشهد له بالتفوق حتى نلّى بعض من خطي اهل زماننا

والتي شهدت رسم الوعل والموث وغيره منتولاً عنه عظام محفوظة في متحف بريطانيا فدهشت لدقة صنعها واتقان رسما انتفاذ نقضي له حكمة ورياسة وارتقاء عظمي مما لا يمكن ان يتم الا بعد عصور عديدة من التقدم التدريجي . ويثصف هذا الزمان بكثرة الاوهام حتى ان لمعظم اوهام اوربا علاقة بسكان الكهوف

زمن الطران المصقول — بمد ان مضى على الانسان روح من الدهر وهو يستعمل الآلات الصوانية السمجة الكل الخشنة الملس توصل الى صقلها وجعلها مستطيلة اكثر من سابقاتها المائلة الى الاستدارة وجعل يعني بمقالع الصوان ويبحث في الارض بقرون الحيوانات كالوعل لاستخراج افضل انواعها . وكان يستعمل المطارق من الصوان ايضاً ومن الحجارة المستديرة القاسية . وفي هذا الزمان كثرت اثار الانسان في الارض لان آثاره وجدت في معظم جهات العالم

زمن العبور من الممجية الى الحضارة — مر على الانسان نحو من الف سنة حاول فيها العبور من استعمال الحجارة الى استخدام المعادن . وكان الناس في آخر هذا الزمن قد ارتقوا كثيراً عن سابق عهدهم حتى انه وجد عند اكتشاف اميركا من بقايا الهنود وآثارهم الراقية ما يجعل سادتهم الاسبانين الفاتحين ووجدت كتابات رمزية في المكسيك لم يهتد اليها الى حل رموزها الى الآن واسوف تحل مع الزمان فيكون من وراء ذلك أعظم فائدة للتاريخ . لان في لمكسيك شيئاً كثيراً منها فائدتها عن كشف رموز اللغة الهيروغليفية في وادي النيل خصوصاً لان رسومها تماثل شيئاً ما في الهند والصين وحيواناتها تشبه حيوانات هاتين المملكتين فاذا حلت هذه الرموز كانت للعلم من اثنى الكنوز

ويمتاز هذا الزمان بوفرة كوم بتايا الاطعمة من اسداف الاسماك وغيرها لان معظم المساكن كانت بالقرب من البحيرات والانهر وكان لها منافذ للنجاة الى المياه عند الوقوع في خطر من هجوم الضواري . ووجد كثير من آثار الابنية على الآكام وعلى مرتفعات صناعية محضة وحولها ركام من فضلات الماء كولات وهي اسماك وحيوانات ونباتات بعضها مطبوخ بالنار

اما في سويسرا حيث البحيرات الجميلة تحيط بها الجبال فيظهر ان الانسان هناك

سبق جيرانه في الارتقاء مستقلاً استقلالاً نوعياً فكان بيني أكواخه على ضفافها وبقي فضلات طعامه فيها وبني الحطير بفتح نوافذ الى المياه او ببناء مسكنه في وسط الماء كما شوهد في بعض الاماكن ولذلك انصرف ايضا الى زراعة القمح والشعير مع صيد الاسماك والحيوانات . وتوصل الى صنع الخزف ونسج الحصر والجبال وشي من الاثواب وكانت أهم ادواته الحجر وقرن الوعل .

ويمتاز جميع أهل هذا الزمان بإقامة ابنية مستديرة الشكل منجبة الى الشرق او الغرب او الى احد الكواكب ولها دهاليز تحت الارض . والاربع انها هياكل . وقد علم من انحراف اتجاه الشمس عن المياكل التي كانت مخصصة لها انها بنيت منذ نحو النفي سنة قبل المسيح . وبعد هذا التاريخ بدأ استعمال المعادن في انكثرا مع انها كانت مستعملة في مصر وغيرها قبل ذلك .

الزمن البرونزي — كان البرونز وهو مزيج من النحاس والتنك مستعملاً في آسيا وغيرها فأدخل استعماله الى اوربا قوم من السلتيين سلالة الآر بين هاجوا اوربا من جهات مختلفة . فاستعمل البرونز اولاً في كريت قبل المسيح بثلاثة آلاف سنة وفي صقلية بعد ذلك بخمس مئة سنة وفي فرنسا بعد صقلية بنحس مئة سنة ولم يدخل الى بريطانيا حتى سنة ١٨٠٠ ق م .

وكان هؤلاء السلتيون عند دخولهم انكثرا يحرقون بعض موتاهم ويدفنون البعض الآخر . واذا دفنوا احداً وضعوا معه آلة عمله وسبباً من الطعام ليتبلغ به في العالم الاسفل واما لتساؤمهم من بقاء عدته وطعامه بعد موته

ومن الغريب ان يستعمل الانسان البرونز اولاً وهو مزيج مركب مع امكانه استخراج الحديد حالاً من معدنه الاصلي . ولعل هذا المشكل يحل فيا بعد اما الآن فيظن ان الانسان وقع عرضاً على شيء من هذا المزيج فوجده وافيّاً بالغاية وعلم نسبة تركيبه بالاختبار وهي ١ الى ٩ فجرى عليها

وعلم ان اول معدن نحاسي هدر عليه الانسان وجده في السواقي والجداول حيث كان اهل العصر الحجري يخبثون عن مواد صوانية ينعون منها ادواتهم . فسكب اهل الزمن البرونزي ما وجدوه منه في يراني حجرية محفور فيها رسم الفؤوس والسيوف وغيرها بمهارة نقضي باحباب صناعتنا اليوم . وكانت هذه الصناعة قد بدأت في مصر قبل ان يعرفها سكان شمالي البحر المتوسط .

وفي هذا الزمن كان الذهب كثيراً في ايرلندا بدليل ما صنع من الادوات المبتذلة منه . وان وفرة ما كان يستخرج منه مما يدهش ولا مثل لها الا في كولمبيا من اعمال اميركا الجنوبية . الا ان الفضة لم تكشف الا بعد الذهب بزمن ليس بقليل . واول ما ظهرت على ما نعلم في سواحل اسبانيا بجوار اناريا حيث وجد منها كثير من الحلقات التي تستعمل لثمين المقابض الخشبية في اماكنها من تجايف الفؤوس

ومن الغريب مشابهة رسوم الادوات الحجرية في جميع انحاء العالم مما يدل على تفرق الانسان من بقعة كانت قديماً بمحده الاصلي

وخلاصة ما نقدم ان للانسان تاريخاً مقروءاً من هذه الادوات الصوانية والمعدنية تدل على ارتقائه بارتقاء صنعها وتعدد خروبها واشكالها مما لا يترك محلاً للشك في كون الانسان تدريج في معارج النشوء والارتقاء من الآدمي العريق في الوحشية الى البشري ساكن الكهوف ومقتنر الحيوانات الى صانع الآلات البرونزية التي اجتاز بواسطتها من طور التوحش الى طور استعمال الحديد فالحضارة

وهو الآن قد ابدل العصر القديمة بعصر البخار وجعل ينتقل منه الى عصر الكهرباء . وعمما قليل نجد يأكل ويشرب ويلبس ويطير ويسبح وينام وبسائقظ وبني ويهدم ويزرع ويحصد ويطبخ ويسافر ويشهد الالعب والملاهي على الارض وفي القبة الزرقاء بمساعدة قوة الكهرباء

هذا هو متوحش الامس ومخضّر اليوم فما عسى ان يكون انسان الغد ؟

لا ريب ان الكثير من غرائب الزمان لا يزال مخبوءاً للانسان ومن يعيش ير

خليل سعد

بيروت

ما ذا يقال

الطابور ام التابور

كان الكتاب يقولون دائماً « الطابور » ومنذ وقف احد اعضاء نادي دار العلوم على كلمة « تابور » في تاج العروس واداعها بين الناس لم نعد نرى الا القليلين يكتبون الكلمة بالطاء والسبب ان ورود الحرف المذكور منصوص عليه بالتاء في التاج ولم يتعرض له بالطاء . فيستنتج ان « الطابور » عامية وبالتاء افصح

قلنا : ١ — ان تعاقب التاء والطاء وبالعكس بالعربية مما لا يحتاج الى التصریح به . فان الالفاظ من هذا القبيل تعد بالاثبات لا بالعشرات . وربما نستطيع ان نغلا نصف حدد من اعداد المقتبس بمثل هذه الكلم التي تتعاور فيها التاء والطاء . على اننا نجتري بذكر بعضها من ذلك : القطر والفتى (الناصية) . وما اسطيع وما استيع . وهرت الثوب وهرطه . وطاح وتاه . وعفت في كلامه وعفط . (لواء عن وجهه وكسره لكنته) وذهب دمه تلفاً وطفلاً وعليه فتكون تابور وطابور من هذا الباب ولا سيما لان كلتا اللغتين مشهورتان .

٢ — عدم ورود لفظة في ديوان لغة لا يفي صحتها . لان المعاجم لم تدون جميع الفاظ العرب . وحسبك دليلاً على ذلك ان المعاجم التي أنشئت في صدر الاسلام هي دون المعاجم المؤلفة اخيراً في السعة وكثرة تعدد الالفاظ . أفيسفنتج من ذلك ان ما جاء في هذه الكتب المتأخرة هو من اوضاع العوام او دون الاولى فصاحة . مع ان ما قيد ودون في أخريات هذه الازمان قد يكون اقدم عهداً مما جاء في دواوين اللغة المؤلفة في القرون السابقة .

٣ — ليست طابور محرفة عن « تابور » وانما الطابور كلمة دخيلة قديمة العهد في العربية ربما كانت قبل سنة ٧٣٢هـ (= ١٣٣١ م) واما « تابور » بالتاء فانها حديثة العهد لم تدخل لسان آل عثمان الا بعد سنة ١٥٦١ م (= ٩٦٩) ولم ترد في كتب العرب الا بعد شيوع اللفظة التركية بين العثمانيين . والذي استزل اهل النادي للقول بعربية اللفظة وجودها في تاج العروس بلا تنبيه على عجمتها . بيد ان صاحب التاج كثيراً ما يغفل عن اصل اللفظة . والافسائر امهات اللغة ودواوينها القديمة لا تذكرها

واما طابور بالطاء فاقدم منها بكثير . فقد جاء في تاريخ ابن خلدون المغربي في كلامه عن اخبار سيف ذي يزن : « ولما استوثق لذي يزن الملك جعل يعتسف الحبشة ويقتلهم حتى اذا لم يبق الا القليل جعلهم خولاً واتخذ منهم طواوير يسعون بين يديه بالخراب » اه وانت تعلم ان ابن خلدون ولد سنة ٧٣٢ هـ (= ١٣٣١ م) وقضى نحبه سنة ٨٠٦ و قيل ٨٠٨ هـ (= ١٤٠٣ او ١٤٠٥ م) فتكون طابور وجمعها طواوير قبل استعمال ابن خلدون لها وبعد انتشارها بين العرب وفشوها في المغرب .

اذًا : الطابور انصح من التابور ولو كانت كلتا الالتين دخيلة

ايقال طيارة ام مطيرة

كثر الكلام في هذا الهد عن الآلة التي اخترعها الاجانب للتخليق بها في الجو المعروفة عند الفرنسيين باسم *Aéroplane* فساها كتاب العرب « طيارة » الا ان هذه اللفظة مشتقة من طار يطير اللازم فيكون معناها : هذه الخنة التي يتخذها الصبيان من الورق فيطلقونها في الهواء وترفع فيه من ذاتها . واما الآلة التي يتخذها الانسيان ليخلق بها صعداً فانما تتخذ لطير الانسان وترفعه في الجو فهي « مطيرة » لا « طائرة » وبالاصل لان راكبها هو الذي يسيرها يديه . فالاصح فيها ان يقال « مطيرة » اية الآلة المطيرة لا « طيارة » لا سيما ان هذه اللفظة مخصوصة بالهنة المذكورة المشهورة نعم قد يجوز ان يقال انها طائرة او طيارة لارتفاعها في الهواء ونسبة الفعل اليها كنسبته الى صاحبها . لانه اذا اطارها ولم تطر لم يقد عمله تياراً . وعليه فكلاهما طائران في الهواء الا ان التحقيق احب الى اللغوي من إلقاء الكلام على عواهنه بدون تبصر وتدبر . ومن ثم فعندنا ان القول بأن « المطيرة » اصح من « الطيارة » في هذا المعنى هو ارجح ووجهه أبين . واستعمال الكتاب لما يعني كل معني ثان ويمنع الفكر من ان يتصور المعنى الاول المقود بناسية الطيارة

أيقال وسط ام محيط ام حال ام بيئة ام مرى ام مشأ

للانرج لفظه « *Milieu* » ومعناها حرفياً « الوسط او المحيط » ويريدون بها مجازاً : الوطن الذي يوافق عيشة الانسان الادبية او العلمية او العمرانية » فقال كاتب بقابلها في العربية « الوطن والاقليم » وليس الامر كذلك فالوطن هو *la patrie* والاقليم هو *le pays* او *le climat* فقد يكون كل منهما وسطاً للانسان الا ان معنى الوسط اعم من هذا كما يظهر لادنى تدبر . ثم عدل عن رأيه هذا وقال

هي الحال وهذا أيضاً خطأ . فالحال يقابله عند الافرنج *S'état* . اما البيئة فأنصح من الوطن والاقليم والحال اذا اردنا بها الابانة عما في خاطرنا من معنى الوسط وال المحيط . على ان الذي ورد عند العرب من هذا المعنى هو المرابي والمنشأ . وقد وردت الاولى مراراً عديدة في مقدمة ابن خلدون . وترجمها ناقلاً الى الفرنسية بلفظة *Milieu* المذكورة من ذلك مثلاً ما جاء في الفصل الذي عنوانه « ان حملة العلم في الاسلام أكثرهم العجم » من الغريب الواقع ان حملة العلم في الملة الاسلامية أكثرهم العجم لا من العلوم الشرعية ولا من العلوم العقلية الا في القليل النادر . وان كان منهم العربي في نسبته فهو عجمي في لغته وصرهه ومشيخته مع ان الملة عربية وصاحب شريعته عربي « اه .

وهذه اللفظة قد تكررت مراراً لا تعد في هذا السفر . وقد ورد بهذا المعنى لفظة منتأ ووجه الترادف واضح . على اننا لا نرى سبباً لردل كلمتي « وسط ومحيط » فانها تفيان بالمراد من باب المجاز و باب المجاز واسع لم يقيد الاقدمون بقيود من حديد ولم يضعوا له قواعد غير القواعد المروفة عند جميع اهل اللغات . وعليه فان جاز الافرنج ان يقولوا بهذا المعنى « الوسط والمحيط » فلما ذا يحظر على العرب العلفظ بمثل هذه الحروف . ان هذا لما يأباه كل عاقل عارف بأداب اللغات .

بغداد

ساتسنا

الزلزلة العظمى

في دمشق واعمالها

قرأت في الجزء السابع من التذكرة الكالية لجدا المرحوم الشيخ كمال الدين النزي هذه الواقعة العظمى فاحببت ان اطلع القراء عليها لئلا ينحنا الحديث قال : انه في سنة ثلاث وسبعين ومائة والف سادس ربيع الاول في الساعة العاشرة من الليل قد رجفت الارض رجفة مقلقة برياح عواصف ورعود قواصف فطاشت لها العقول وحصل والعباد بالله غاية الذهول وتخلعت السقوف وتشققت الجدران وهدمت في الشام بيوت لا تحصى وسقطت رؤوس مآذن دمشق فيها المآذنة الغربية والشرقية

في جامع بني أمية وقم منها في تلك الساعة حصة ومنارة العروس في ذلك الجامع ذهب منها شيء يسير وبقية منارات جوامع دمشق لم يسلم بها الا القليل وتلتها رجفات وزلازل وفي ثاني يوم من تلك الليلة ضحوة النهار رجفت الارض وتزلزلت زلزلة شديدة فسقطت من منارة الجامع الشريف الأموي الشرقية جدران الشرقي والشمالي وسمع لها صوت هائل وما من منارة بدمشق الا وهي بناؤها حتى ان منارة السليمية المحيوية بصالحية دمشق طارت منها حصة وافية وسقطت والجامع المظفرى بها ايضا ومنارة جامع سيبيي والجامع المعلق وجامع حسان وجامع الامير منجك بمحلة مسجد الاقصا ومنارات الجامع بمحلة الميدان وبقية منارات جوامع دمشق نقصت ولم يسلم منها الا النذر القليل وقبة النسر العظمى في الجامع الشريف الأموي تشققت ووهت وتشقق الجدار الشرقي من هذا الجامع وهى وخرب أكثر دور دمشق ووقعت تلك الليلة سقوف وبيوت لا تحصى ووقعت شراريف الجامع الزبور وكان طول كل شرافة مقدار خمسة اذرع على حائط حول سقف الجامع مقدار قامة من جميع جهات الجامع الاربع بحيث ان الشخص اذا وقف على سطح الجامع لا يرى شيئاً من الدور التي حوله فسقطت تلك الشراريف وهدمت بعض الاماكن المجاورة للجامع كدار بني الغزي وحجرة الخلوتية الطباخية بالخانقاه السمسانية ورمت قبو ابوانها وهذه الاماكن شمالي الجامع وفعلت ببقية جهاته كذلك وفعلت افعالا عنيفة في الاحجار وانصدع في الجامع العمود الذي تجاه باب مشهد الحيا الشريف النبوي تجاه العضادة الكبرى وبقيت الرجفات والاهترزازات لنوالى ليلاً ونهاراً الى آخر شهر ربيع الاول والعاس يدعون الله تعالى في اذهاب تلك الشدة التي ما عهدوا مثلها وقرأوا جميع البخاري مرتين والقرآن العظيم مراراً وتوسلوا في رفع ذلك بكلام الله تعالى وكلام رسوله صلى الله عليه وسلم

وانهدم في تلك الليلة المقدمة في بيت الشهاب احمد المنيبي مكانان احدهما فوق الآخر فسقط الاعلى فوق الاسفل فقتل تحت الردم في الاسفل ستة انفس من اولاده وعياله جهزهم بحجة ذلك اليوم ودفنهم جملة واحدة بمرج الدحداح وثلاثة انفس آخر سقطت عليهم منارة في محلة الميدان ورجل وقع عليه هلال منارة جامع حسان فقتل ايضا . وفي تلك الليلة تزلزلت بلاد صفد فذهب أكثر اهلها قتلى وقتل بها من اليهود الف وثلاثمائة نفس وذهبت حصة عظيمة من بلاد نابلس وقتل بها خلق كثيرون وتزلزلت عكا وذهبت حصة من برجها في البحر وطبريا ودير حنا وقلمة الجندل وبلاد الشوف

وسائر بلاد الساحل الشامي كصيدا وبيروت واللاذقية وبافا وحيفا وباقي تلك البلاد الشامية ولم يبق في جبل الدروز قرية الا واصابها حادث عظيم وبلاء جسم تهدمت الخانات على من بها من القبول وفي دمشق قتل ما لا يحصى من الرجال والنساء والذي اصاب مسجد دمشق ما عهد مثله وهذا الزمن الذي حصل فيه هذا البلاء في البلاد في اقل من درجة نسال الله السلامة من احوال الحشر والقيامة

ووافت الداس من سائر الاقطار من الوجه الغربي والساحل بقولون لاهل دمشق احمدوا الله تعالى على ما حكّم به من اللطف فان الخارجين عنكم لم يسلم منهم الا القليل واغاث الله تعالى بكافل دمشق الدستور الاعظم الوزير عبد الله باشا ابن ابراهيم التهم بجنه جي ومتولي اوقاف الجامع المشار اليه شيخ الاسلام علي بن محمد بهاء الدين بن محمد مراد المرادي الحسيني النقشبندي مفتي السادة الحنفية بدمشق فبذل الوزير الهمة في اصلاح المنارات وتنقّض المنارة الشرقية الهائلة التي اعجزت البناين واهل الصناعات ان يضعوا ايديهم فيها لما هي عليه من البناء الهائل المتداعي للسقوط وطلبت طائفة البناين من النصارى اموالاً عظيمة على نقضها وان يجعلوا لذلك السقايل الهائلة من الاخشاب حولها لاجل النقض فأمر الوزير بقطع الاخشاب ونقلها للجامع فقطع شي كثير من الغيضة الشهيرة الكائنة بالوادي بدمشق ومن غيرها ونقل الى الجامع حتى املاً خشباً واجتمع جميع نشاري دمشق لنشره قطعاً ضخماً كل قطعة سمكها مقدار ثلث ذراع او ربع ذراع وشرع البناؤون في عمل السقايل لاجل النقض حول المنارة الزبورة واستعظم طائفة البناين من النصارى نقضها فانتدب رجل من طائفة النجارين المسلمين لنقضها من غير سقالة وطلع الى رأس المنارة الى ان انتهى الى هلالها ولم ينزع من ثيابه شيئاً بل خرج بقاووقه وشيشيره وأخرج معه مطرقة وازميلاً حديداً صغيراً وصار يقلع بهما الاجار وبلقيها الى اسفل والناس ينظرون اليه من صحن الجامع ونقض في ذلك الوقت حصة من المنارة وكانت اعلا ما هي عليه الآن بخمسة وثلاثين ذراعاً واغلظ بمقدار خمسة اذرع وهلالها فوق شاش من الحجر الكبير وبذل الوزير للنجار وكان حاضراً لما سعد الى المنارة جائزة ووعدته انه اذا اتم العمل ان يقابله بالجوائز السنية واخذ البناؤون في تهيمّة اسباب البناء من عمل الدواليب وحفر الأسس

ثم استهل شهر ربيع الثاني يوم الاربعاء في ليلة الاثنين سادس الشهر المذكور بعد صلاة العشاء بالجامع الشريف بنحو ثلث ساعة رجفت الرجفة العظمى والزلازمة الكبرى

التي لم يروم يعهد مثلها في سوائف العصور فصارت الجبال تمور والارض تغور والمياه تغور وبقيت بعد سكونها لنوالى رجفات لطيفة الى ان اصبح الصباح واستمرت نحو درجتين فانخلت لها القلوب وصار الناس يبشّون بالدعاء والتفصرع لعلام الغيوب وحاتر العقول وطاشت الرجال الفحول وثار في ذلك الوقت الغبار والقمام واشتد في ذلك الآن الظلام وادهش الناس في ذلك الخطب المعمر والمربع المدلم الذي انعدت له الالسن وخرست وغارت له العيون والشفاه يبست وصارت الارض تغور وتغلي مثل المرجل وانكشفت تلك الساعة عن غالب منارات دمشق بالسقوط وبالقصف والمأذنة الشرقية الأموية المنقندم ذكرها وقعت الى الاسفل ولم تحوج الى فك وسقطت قبة النسر في الجامع المرقوم مع عظمها وسقط جميع الرواق الشمالي باعمدته المحكمة وعضاداته وكان مشتملاً على عضادات واعمدة بين كل عمودين عضادة مبنية بالرخام وانواع الحجار الثمينة من اسفلها الى اعلاها وسقطت المنارة الشرقية على جهة الجامع فهدمت مقدار ثلث المعازب الثلاث التي بقرها وتشققت غالب الجدران واشترفت على السقوط فسبحان الفعال لما يريد الحي القيوم الذي لا يموت

ولم تبق قبة في دمشق الا واصابها عاهة او سقطت ولم يسلم منها الا النادر وسقط جميع جامع بلبغا مع قبة، الهائلة ومنارته مع ان بناءه كان في غاية الرصانة والمتانة وسقط من الخان البديع الذي بناه الوزير اسعد باشا والي دمشق ونائبها ثلاث قببات هائلة وتهدمت دور دمشق الا القليل وكثرت القتلى في تلك الليلة وتهدمت القرى التي حول دمشق وهلك بسبب ذلك من الانفس والمواشي ما لا يحصى كثرة وكان من جملة قربة التل قتل بها تحت الدم ما ينوف على خمسمائة ولم يسلم منها الا القليل وقرى الجبل كالهامية والزبداني ووادي بردى هلك فيها تحت الهدم ما لا يعد ووقع سور مدينة دمشق في نهر عقر باحد انهار دمشق فسد سور قلعة دمشق الغربي سقط جميعه وسد نهر بانياس وسدت الطرق بالتراب والاشخاب والصخور وصارت السماء مع الارض تمور وتلف من الاموال والانفس ما لا يحيط به حد ولا يحصره عد وذهب من الاثاث والامعة والاواني الصنيغ وغيرها الشيء العظيم الكبير فسبحان من قضى بذلك ليعلم العباد ان كل شيء هالك الا وجهه فصار الناس لا يألون الاوطان ولا يستقرون بمكان وخرج اهل دمشق جميعاً باموالهم وانفسهم وعيالهم الى خارجها ونصبوا الخيام ونقوا مقدار ثلاثة اشهر وهم في الخارج وقد نظم في تلك الزلافة الهائلة الفاضل

العالم الاديب مصطفى بن احمد بن محمد الدمياطي اياتاً قال
 ان ثناسيت اوقات أنس نقضت لست أنسى ليالي الزلزال
 اذكرنا كيف المنام بمهد وأرتنا بالعين رقص الجبال
 أشهدتنا تمايلات قصور باهتزاز كحالة الاطفال
 ولما عرض كافل دمشق الوزير عبد الله بن ابراهيم الشهير بالجنجي الى الابواب
 العالية السلطانية بقسطنطينية المحمية حال الجامع الشريف الاموي المزبور وقلمة دمشق
 وما اصابها من الانهدام وصاؤوا الدولة في تعميرها وكان صاحب الخنت العثماني السلطان
 مصطفى ابن السلطان احمد فلما وصل الخبر اليه صدر الامر منه بتعميرها وارسل اميناً
 على العمارة المزبورة احد البوابين بالاابواب العالية مصطفى بن محمد الشهير باسباخنجي
 فلما وصل الى دمشق بالاوامر والاموال وذلك في سنة اربع وسبعين ومائة والى نزل
 كافل دمشق الوزير عبد الله باشا المذكور الى الجامع وحضر معه قاضي قضائها اذ ذاك
 المولى ساطع علي بن مصطفى ختن علي احمد افندي ومفتي الحنفية بدمشق ومتولي
 اوقاف الجامع المزبور المولى العلامة شيخ الاسلام علي بن محمد المرادي النقشبندي وبقية
 اعيان دمشق من العلماء وكشفوا عما يحتاج اليه الجامع المزبور وجمعوا المعمرين والمهندسين
 وارباب الصنائع من كل حرفة تتعلق بالتعمير فامرهم المتولي على العمارة ان يشرعوا في
 اعادة ما انهدم ومرمته انتهى .

دمشق محمد فهمي الغزي

في خمسين قرناً

اليك اربعمائة وخمسين حادثه كبرى من حوادث خمسين قرناً او منذ فجر التاريخ
 المعروف حتى فجر القرن العشرين .
 « قبل المسيح »

في سنة ٣١٠٠ أسس نمرود مدينة نال
 في سنة ٢٣٢٤ بدأ الكلدانيون برصد الاندك
 في سنة ٢٢٥٥ ظهرت سلالة (الهيا) الملوكية في الصين
 في سنة ٢٢٢٩ أنضم آشور بلاد آشور

- في سنة ٢١٨٨ استعمر مصر ايم مصر
 في سنة ٢٠٠٠ شرع باستعمال الكتابة المسماة
 في سنة ٢٠٠٠ أسس نينوس نينوى
 في سنة ١٩٩٦ ولد ابراهيم الخليل
 في سنة ١٩٢١ دعي ابراهيم من اور الكلدانيين الى ارض الميعاد
 في سنة ١٨٩٦ ولد اسحاق
 في سنة ١٨٥٦ أسست مملكة ارغوس
 في سنة ١٨٣٧ ولد يعقوب وعيسو
 في سنة ١٧٢٩ بيع يوسف من المصريين
 في سنة ١٥٨٢ دوتن تاريخ الار بوندلين على صفائح رخامية جلبت الى انكلترا على
 عهد الملكة حنة سنة ١٦٢٧ المسيح
 في سنة ١٥٧١ ولد موسى بن عمران وقضى نحيبه في سنة ١٤٥٠
 في سنة ١٥٠٠ ملك سيزوستريس مصر
 في سنة ١٤٩١ انطلق نو اسرائيل من مصر الى ارض كنعان
 في سنة ١٣٥٢ بدأ حكم قضاة بني اسرائيل وانتهى سنة ١١٩٣
 في سنة ١٢٧٣ قامت دولة الاشوريين
 في سنة ١١٣٦ قام شمشون الجبار بمجزرة الفلسطينيين ومات سنة ١١٢٠
 في سنة ١١٨٤ حدثت حرب ثورجان
 في سنة ١١٢٥ ظهر صموئيل النبي
 في سنة ١١٠٠ أسست في اله بن مملكة اشوا
 في سنة ١٠٩٥ أنصب شاول ملكاً على بني اسرائيل ومات سنة ١٠٥٦ ومات يوناتان
 في السنة نفسها
 في سنة ١٠٥٥ أنصب داود ملكاً على اليهود وفي سنة ١٠٤٨ استولى على اورشليم
 ومات في سنة ١٠١٥
 في سنة ١٠٥٠ أنصب قودرس ملكاً على اثينا
 في سنة ١٠٤٨ - ١٠٠٦ ازهرت صور على عهد الملك حبرام بالصناعة والتجارة والعمران
 في سنة ١٠٤٢ نقل تابوت العهد لبني اسرائيل الى اورشليم

في سنة ١٠٢٣ قام ابشالوم بالثورة
 في سنة ١٠١٢ بُنِيَ بناه هيكل سليمان العظيم وفي سنة ١٠٠٠ أتم الملك سليمان بناءه
 في سنة ٩٧٥ تولى رجبام اريكة الملك
 في سنة ٩٧١ تمرّد عشرة أسباط من اسباط بني إسرائيل بقيادة برعام على الملك رجبام
 في سنة ٩٧١ استولى المصريون على اورشليم ونهبوها
 في سنة ٨٨٤ أصلح ليكرغس شرائع اسباطة
 في سنة ٨٧٨ أسست مدينة قرطجنة
 في سنة ٧٧٦ بدأ تاريخ اليونان وذلك في اول عهد الملاعب اليونانية التي كانت تحدث
 كل اربع سنوات بوّرخون بها
 في سنة ٧٥٣ أسست مدينة رومية
 في سنة ٧٤٧ استقلت مدينة بابل تحت حكم الملك نبوخذ ناصر (يختصر)
 في سنة ٧٣٠ أخضع الملك شالما ناصر فينيقية
 في سنة ٧٢٢ استولى سرغون ملك الآشوريين على السامرة احدى اقسام الارض
 المقدسة التي هي السامرة واليهودية والجليل
 في سنة ٧٢٠ حاصر صغاريب الملك اورشليم وهلك جيشه
 في سنة ٧٠٠ تولى يوليوس عرش الملك في رومية
 في سنة ٦٨٧ حدثت حروب مسينا للمرة الثانية
 في سنة ٥٩٨ حاصر نبوخذ ناصر اورشليم وفي سنة ٥٨٦ دمرها وصيرها خراباً وفي
 سنة ٥٧٩ ق م استولى على مدينة صور
 في سنة ٥٨٦ أفلت شمس مملكة اليهود
 في سنة ٥٥٠ أسس قورش مملكة ايران
 في سنة ٥٤٠ بدأ دور فوطيفار سيد يوسف بن يعقوب في مصر ودامت مدته
 عشر سنوات

في سنة ٥٣٩ استعمر الفينيقيون مرسيليا في فرنسا
 في سنة ٥٣٨ استولى قورش على بابل
 في سنة ٥٣٦ أعاق قورش اليهود من السبي
 في سنة ٥٣٥ تهدد بناء الهيكل في اورشليم

في سنة ٥٢٩ مات قورش
في سنة ٥٢١ تولى داريوس (دارا) أريكة الملك في بلاد المعجم وكان أول ملوك الفرس
في سنة ٥١٥ احتفل بافتتاح هيكل اورشليم للمرة الثانية
في سنة ٥١٠ هارت كل من رومية وأثينا جمهورية
في سنة ٥٠٧ تغلب دارا الملك على مكيدونية
في سنة ٤٩٠ فاز اليونان على الفرس في معركة بارثونة وفي سنة ٤٨٠ قهرهم سيف
محرقة باس

في سنة ٤٧١ بُني اسقفولس مدة عشر سنوات
في سنة ٤٦٠ جدد نحميا وعزرا بناء هيكل اورشليم
في سنة ٤٣٠ ولد ثيوقدوس
في سنة ٤٠٥ حُطَّ اسطول أثينا
في سنة ٤٠٠ ولد قينوفون
في سنة ٣٩٩ مات سقراط مسموماً
في سنة ٣٨٥ ولد ديموستينس الخطيب الشهير وقضى نحبه سنة ٣٣٢
في سنة ٣٨٧ رفعت أعلام السلام فوق مدينة الفلاسفة أثينا
في سنة ٣٧١ حدثت معركة ليوقتره
في سنة ٣٦٢ حدثت معركة باثينا
في سنة ٣٤٢ نشبت حرب طاحنة بين الامتين اللاتينية والرومانية
في سنة ٣٥٠ دمرت صيدا
في سنة ٣٣٨ حدثت معركة قورنية وتحرر اليونان يومئذ من ربة الاستعداد
والاستعباد

في سنة ٣٣٤ حدثت موقعة غرينقوس
في سنة ٣٣٢ اكتسح الاسكندر الكبير مدينة صور
في سنة ٣٣١ حدثت موقعة أرييلا (أرهل)
في سنة ٣٢٤ ظهر ديجنيس الفيلسوف
في سنة ٣٢٣ مات الاسكندر الكبير
في سنة ٣١٧ حاصر القرطاجنيون مدينة سيراكوس

في سنة ٣٢٢ انتحر ديموستينس الخطيب
في سنة ٣١٦ قام أنطيوخوس بمقام اسكندر الكبير
في سنة ٣١٢ ظهر متوقوس
في سنة ٣٠١ حدثت موقعة أنسوس
في سنة ٢٨٤ نقلت التوراة من العبرانية الى اليونانية
في سنة ٢٨١ بدأت حروب بيرهوس الساحقة
في سنة ٢٨٠ ظهر نيقراط الفيلسوف
في سنة ١٣٥ ابتدأ حكم المكايين على اليهودية
في سنة ٧٢ قام السود بثورة هائلة
في سنة ٣٠ أصبحت مصر اقليماً رومانياً
في سنة ٣٠ تولى اغسطس قيصر الحكم
« بعد المسيح »

في سنة ٤ مسيحية ولد المسيح
في سنة ٢٩ صلب المسيح
في سنة ٤٠ دعي تلاميذ المسيح مسيحين لأول مرة في التاريخ
في سنة ٦٤ حدث أول اضطهاد للمسيحيين في رومية
وثاني اضطهاد في سنة ٩٥
وثالث اضطهاد في سنة ١١٠
ورابع اضطهاد في سنة ١١٨
وخامس اضطهاد في سنة ١٦٧
وسادس اضطهاد في سنة ١٧٧
وسابع اضطهاد في سنة ٢٠٢
وثامن اضطهاد في سنة ٢٣٦
وتاسع اضطهاد في سنة ٢٥٠ في رومية وأقاليميا
وعاشر اضطهاد في سنة ٢٥٨ في رومية وافريقية
وحادي عشر اضطهاد في سنة ٣٠٣
في سنة ٣٠٦ تبوأ قسطنطين عرش الملك

- في سنة ٣٣٠ فُتحت مدينة القسطنطينية
 في سنة ٣٢٥ اجتمع مجلس الدول العام لأول مرة في نيقية
 في سنة ٣٨١ اجتمع المجلس المذكور ثاني مرة في القسطنطينية (فروق)
 في سنة ٣٩٤ أُبطلت أربعة عباداة الاوثان
 في سنة ٤١٠ غادر الرومان بريطانيا
 في سنة ٤٣١ اجتمع مجلس الدول العام ثالث مرة في أفسس
 في سنة ٤٣٩ استولى البرابرة على قرطجنة
 في سنة ٤٤٩ غزا السكسونيون بريطانيا
 في سنة ٤٥٠ اجتمع مجلس الدول العام رابع مرة في خلكدونية
 في سنة ٤٥٥ نهب البرابرة رومية
 في سنة ٤٧٦ سقطت المملكة الغربية
 في سنة ٤٨٨ حاصر الاشروغوطيون ايطاليا
 في سنة ٥١٠ صارت باريس عاصمة الكلوفاين
 في سنة ٥٢٧ ابتدأ جستينين بالملك
 في سنة ٥٣٣ توالى انتصارات بالسار بوس في افرقية ومن سنة ٥٣٦ الى سنة
 ٥٣٩ تلبست انتصاراته في ايطاليا
 في سنة ٥٥١ عرفت لأول مرة في التاريخ كيفية اصطناع الحرير في اوربا
 في سنة ٥٥٣ انتهى ملك الاستروغوطيين في ايطاليا
 في سنة ٥٦٨ ملك (لومباردس) ايطاليا
 في سنة ٥٧١ ولد محمد نبي الاسلام (وعاش سثن عاماً)
 في سنة ٥٩٥ بمث اوغسطينس برسالته الدينية الى ايطاليا
 في سنة ٦٣٧ استغوذ عمر بن الخطاب على اورشليم
 في سنة ٦٤٠ اكتسح المسلمون الاسكندرية بقيادة عمرو
 في سنة ٦٦٨ = ٦٧٥ انزعم العرب في القسطنطينية
 في سنة ٦٨٠ اجتمع مؤتمر الدول العام لسادس مرة في القسطنطينية
 في سنة ٧١١ حمل العرب حملتهم المشهورة على اسبانيا
 في سنة ٧١٦ = ٧١٨ فشل العرب ثاني مرة في محاصرتهم القسطنطينية

- في سنة ٧٣٢ هزم (مارتل) العرب في موقعة (طورس) العظيمة
 في سنة ٧٥٢ تولى (تيفي لي ريف) عرش الملك في فرنسا
 في سنة ٧٨٧ اجتمع مؤتمر الدول العام سابع مرة في نيقية
 في سنة ٧٨٧ نزل (دانس) في انكلترا
 في سنة ٧٨٨ ظهرت (ايرين) ملكة الشرق
 في سنة ٨٠٠ توج (كارلفن) في رومية
 في سنة ٨١٤ مات الملك المذكور
 في سنة ٨٢٧ حكم (اغبرت) انكلترا
 في سنة ٨٤١ حدثت معركة (فونتايل)
 في سنة ٨٦٢ أسس (روق) مملكة روسيا
 في سنة ٨٧١ ظهر الفرد الاكبر ملك انكلترا
 في سنة ٨٧٥ أسس (هرولف فيرهير) مملكة نروج
 في سنة ٩٠١ مات الفرد الاكبر ملك انكلترا
 في سنة ٩١١ بهت استيريا من (رولو)
 في سنة ٩١١ استحوذ الامبراطور (كونراد) على جرمانيا
 في سنة ٩٣٦ نبغ (اوئو) امبراطور جرمانيا الكبير
 في سنة ٩٤٠ ظهر لقب امير الامراء لأول مرة في التاريخ
 في سنة ٩٦٢ نصب (اوئو) امبراطور جرمانيا السابق الذكر امبراطوراً على الغرب
 في سنة ٩٦٩ = ٩٧٥ نصب يوحنا (زمسكس) امبراطوراً على الشرق
 في سنة ٩٧٣ مات (اوئو) امبراطور الغرب
 في سنة ٩٨٧ ابتدأت مملكة (كابيتين) في فرنسا
 في سنة ١٠٤٠ استحوذ نورمن على جنوبي ايطاليا
 في سنة ١٠٥٥ استولى الاتراك على بغداد
 في سنة ١٠٦٥ استولى المسلمون على اورشليم
 في سنة ١٠٦٦ بدأ ملك ملوك (نورمن) في انكلترا
 في سنة ١٠٨١ حدثت موقعة (دورزو)
 في سنة ١٠٩٦ حمل الصليبيون حملتهم الاولى على الشرق

- في سنة ١٠٩٩ استحوذ الصليبيون على اورشليم
 في سنة ١١١٨ أسس الصليبيون معهد الفقه
 في سنة ١١٤٧ حمل الصليبيون حملتهم الثانية على الشرق
 في سنة ١١٥٢ نصب فريدرش امبراطوراً على جرمانيا
 في سنة ١١٥٤ بدأ ملك ملوك (بلانتيفرن) في انكلترا
 في سنة ١١٧٢ زحف هنري الثاني ملك انكلترا على ايرلاندا
 في سنة ١١٧٦ انهزم الجرمانيون بقيادة الامبراطور فريدرش في (لفانو)
 في سنة ١١٨٧ استولى صلاح الدين على اورشليم
 في سنة ١١٨٩ حمل الصليبيون حملتهم الثالثة على الشرق
 وفي سنة ١١٩٥ حملوا حملتهم الرابعة
 وفي سنة ١١٩٨ حملوا حملتهم الخامسة
 وفي سنة ١٢٠٣ استحوذوا على القسطنطينية
 في سنة ١٢١٥ حاصر الملك يوحنا في انكلترا (ماغانا كارنا)
 في سنة ١٢٢٧ حمل الصليبيون حملتهم السادسة على الشرق
 في سنة ١٢٢٧ نشر جنكيزخان لواء سلطته على العرب
 في سنة ١٢٣٧ باشر المغوليون دفع الجزية لروسيا
 في سنة ١٢٤٨ حمل الصليبيون الحملة السابعة على الشرق
 في سنة ١٢٦١ استرجع اليونانيون القسطنطينية
 في سنة ١٢٧٠ حمل الصليبيون حملتهم الثامنة على الشرق
 في سنة ١٢٧٠ سقطت مصر بأيدي المماليك
 في سنة ١٢٧٣ نصب (رولف هابسبورغ) امبراطوراً على جرمانيا
 في سنة ١٢٩١ انتهت الحروب الصليبية
 في سنة ١٣٠٧ بدأت الثورة في السويس
 في سنة ١٣٠٢ حدثت معركة (كورثري)
 في سنة ١٣١٤ حدثت معركة (بانو كبرن)
 في سنة ١٣١٥ حدثت معركة (مورغرن)
 في سنة ١٣٤٦ حدثت معركة (كرومي)

- في سنة ١٣٤٧ حكم (رينزي) رومية
 في سنة ١٣٥٢ اتحدت اقاليم السويس
 في سنة ١٣٦١ — ١٣٨٩ دوخ مراد الاول آسيا الصغرى
 في سنة ١٣٧٧ علوت سلطة الباباوات الى رومية
 في سنة ١٤٩٢ اكتشف البرنقاليون رأس الرجاء الصالح
 في سنة ١٣٩٧ وقعت الملكة مرغريت على المعاهدة بين الدنيارك واسوج ونزوج
 في سنة ١٣٩٨ استولى تيمورلنك على (دهلي)
 في سنة ١٣٩٩ نصب هنري الرابع ملكاً على انكلترا
 في سنة ١٤٠٢ تلب تيمورلنك على الاتراك العثمانية
 في سنة ١٤١٥ حدثت موقعة (اغنكورت)
 في سنة ١٤٤٥ ارلني قسطنطين عرش الملك في بزنطية وكان آخر ملوكها
 في سنة ١٤٥٣ بسط العثمانيون سلطانهم على بزنطية اي القسطنطينية غابراً
 والاسانة حاضراً
 في سنة ١٤٥٥ ابتدأت حروب (روزس) في انكلترا
 في سنة ١٤٧٤ بلغ ميشل انجلو أوج شهرته
 في سنة ١٤٧٩ اتحدت مملكتا فرديناند و (ايزابلا)
 في سنة ١٤٨٥ حدثت موقعة (بوسورت)
 في سنة ١٤٩١ سقطت غرناها
 في سنة ١٤٩٢ اكتشف كولمبس اميركا
 في سنة ١٤٩٤ حمل كاراس الخامس على ايطاليا
 في سنة ١٤٩٧ طاف القبطان قابوت شواطيء اميركا الشمالية
 في سنة ١٤٩٩ استقلت اسوج
 في سنة ١٥١٥ نصب فرنسيس الاول ملكاً على فرنسا
 في سنة ١٥١٦ نصب كاراس الاول ملكاً على اسبانيا
 في سنة ١٥١٧ بشر لوثر زعيم الاصلاح الديني الدير قضاياه الشهيرة على الكنيسة
 الرومانية وعددها تسعون قضية
 في سنة ١٥٢٩ سمي الانجيليون بروتستانت لاول مرة في التاريخ

- في سنة ١٥٣٥ أسس (لويولا) نظام العدلية لأول مرة في التاريخ الحديث
 في سنة ١٥٥٢ وقع على معاهدة (باسو)
 في سنة ١٥٥٦ خلع كارلس الخامس
 في سنة ١٥٥٨ ارتقت اليمصبات عرش الملك في انكلترا
 في سنة ١٥٥٨ نشأ مجلس التفنيش في فرنسا
 في سنة ١٥٧١ تغلبت اوستريا على الاتراك العثمانيين
 في سنة ١٥٧٢ حدثت مذبحة القديس برنلماوس
 في سنة ١٥٨٧ قطع رأس ماري ملكة اسكتلندا
 في سنة ١٥٨٩ نصب هنري الرابع ملكاً على فرنسا
 في سنة ١٦٠٣ انضمت اسكتولندا الى انكلترا
 في سنة ١٦١٠ قتل هنري الرابع
 في سنة ١٦٤٩ قطع رأس كارلس الاول
 في سنة ١٦٥٣ ظهر كرومل الانكليزي
 في سنة ١٦٦٠ رجعت أسرة (ستورس) الملك في انكلترا
 في سنة ١٦٨٣ تغلب القائد جان سيبسكي على العثمانيين في فينا
 في سنة ١٦٨٨ بدأت الثورة في انكلترا للمرة الثانية
 في سنة ١٦٨٩ ارتقى بطرس الأكبر عرش الملك في روسيا
 في سنة ١٦٩٧ امتدت سلطنة كارلس الثاني الى اسوج
 في سنة ١٦٩٩ استعمرت ولاية لوزيانا في اميركا الشمالية
 في سنة ١٧٠٢ حطم اسطول فرنسا في (فيفو)
 في سنة ١٧٠٩ اتحدت انكلترا واسكتولندا
 في سنة ١٧١٤ ارتقت أسرة (غولفس) الى العرش الانكليزي
 في سنة ١٧١٥ مات لويس الرابع عشر
 في سنة ١٧١٨ قتل الملك كارلس السابع على اسوج
 في سنة ١٧٢٥ مات بطرس الأكبر امبراطور روسيا
 في سنة ١٧٤٠ رقي فيدريك الكبير الى عرش الملك في بروسيا
 في سنة ١٧٤٤ تمت معاهدة (برسلو)

- في سنة ١٧٥٥ حدثت زلزلة في لشبونة
 في سنة ١٧٥٥ ابتدأت الحروب السبع
 في سنة ١٧٥٧ حدثت موقعة (روسباك) و (ليذن)
 في سنة ١٧٥٨ حدثت موقعة (روزندوف)
 في سنة ١٧٥٩ حدثت موقعة (ميندن)
 في سنة ١٧٥٩ حدثت موقعة (كوبك)
 في سنة ١٧٦٢ ارتقت الملكة كاترينا عرش الملك
 في سنة ١٧٦٣ انتهت الحروب السبع
 في سنة ١٧٦٣ صارت كندا من مستعمرات انكلترا
 في سنة ١٧٦٥ قرر استعمال الطوابع لأول مرة في التاريخ
 في سنة ١٧٦٦ ألغى استعمال تلك الطوابع
 في سنة ١٧٦٨ نشبت الحرب بين الدولة العلية وروسيا
 في سنة ١٧٦٩ ولد نابليون بونابارت
 في سنة ١٧٧٠ حدثت مذبحه بوسطن في الولايات المتحدة
 في سنة ١٧٧٤ رقي لويس السادس عشر الى عرش الملك في فرنسا
 في سنة ١٧٧٤ اقل الانكليز مرفأ بوسطن في الولايات المتحدة
 في سنة ١٧٧٥ بدأت الثورة في اميركا لاجل الاستقلال وفي السنة نفسها حدثت
 معركة (بنكرهل) على مقربة من مدينة بوسطن (ماس) الولايات المتحدة
 وفي سنة ١٧٧٦ حدثت موقعة (لونج أبلند) و (ترتن)
 وفي سنة ١٧٧٧ حدثت معارك (بنفثن) و (براندوين) و (جرمان ثون)
 في سنة ١٧٧٨ جرى الوفاق بين اميركا وفرنسا
 في سنة ١٧٧٨ حدثت موقعة (مونومون) في الولايات المتحدة
 في سنة ١٧٧٩ تم الاتفاق بين الولايات المتحدة واسبانيا
 في سنة ١٧٨٠ حدثت موقعة (كارلتن) و (كامدن) قهر فيهما الامير كيون
 في سنة ١٧٨٢ انتهت حرب الاستقلال
 في سنة ١٧٨٣ اسنقلت اميركا من الحكم الانكليزي
 في سنة ١٧٨٦ شبت الثورة في ولاية (ماس) الولايات المتحدة

وفي هذه السنة مات الملك فيدرلك الأكبر
في سنة ١٧٨٧ عقد اشراف فرنسا مؤتمراً عاماً تفاوضوا فيه بشأن الدتب عن
سلطتهم وسلطة فرنسا الملكية

في سنة ١٧٨٨ طلب (غستيفس) الحرب مع روسيا
في سنة ١٧٨٩ عقد قواد الولايات المتحدة مؤتمراً عاماً
في سنة ١٧٨٩ بدت طلائع الثورة في فرنسا
في سنة ١٧٨٩ أنشأت كل من الولايات المتحدة دستوراً لها يربطها مع اخواتها
في سنة ١٧٨٩ رأس الولايات المتحدة جورج واشنطن وهو اول رئيس لهذه
الجمهورية الكبرى

في سنة ١٧٨٩ دكت أسس سجن الباستيل في فرنسا
في سنة ١٧٩٠ اعلنت نروج استقلالها
في سنة ١٧٩١ مات الخطيب ميرا بو
في سنة ١٧٩١ تألف مجلس التشريع في فرنسا
في سنة ١٧٩١ منحت كندا الدستور
في سنة ١٧٩٢ حدثت معركة (جيباس)
في سنة ١٧٩٢ عقدت المؤتمرات في جميع الولايات المتحدة
في سنة ١٧٩٣ قطع رأس لويس السادس عشر
في سنة ١٧٩٣ اخترع حليج القطن
في سنة ١٧٩٣ اقتسمت بولندا بين روسيا وبروسيا
في سنة ١٧٩٤ جعلت (تورونتو) عاصمة لكندا العليا
في سنة ١٧٩٥ طبع الدليل الجغرافي اول مرة في الولايات المتحدة
في سنة ١٧٩٥ أطلق بونابارت سبيل الحراس
في سنة ١٧٩٦ خيم بونابارت بعسكره الجزائر في بلاد ايطاليا
في سنة ١٧٩٦ حدثت مواقع (لودي) و (اركولا) و (ربنولي) و (لافيفورتا)
في سنة ١٧٩٧ عقدت معاهدة (كابوفوميو)
في سنة ١٧٩٧ انتخب جان آدموس رئيساً للولايات المتحدة
في سنة ١٧٩٧ رفعت اعلام السلام في (توليفنو)

- في سنة ١٧٩٨ حدثت معركة الاهرام
 في سنة ١٧٩٩ أعيد طبع الدليل الجغرافي في الولايات المتحدة
 في سنة ١٧٩٩ انتصر الفرنسيين في معركة أبي قير اول مرة
 في سنة ١٨٠٠ قطع بوناپارت جبال الالب
 في سنة ١٨٠٠ هزم بوناپارت النمساويين في (مارنغو) و (هووخلندن)
 في سنة ١٨٠١ رأس تومس جفرسن الولايات المتحدة
 في سنة ١٨٠١ انضمت ايرلندا الى انكلترا
 في سنة ١٨٠٢ عقدت معاهدة (أميين)
 في سنة ١٨٠٢ أنشأ نابليون القنصلية في البلاد الاجنبية
 في سنة ١٨٠٣ تجددت الحرب بين انكلترا وفرنسا
 في سنة ١٨٠٣ اشترت الولايات المتحدة لوزيانا من فرنسا
 في سنة ١٨٠٣ استقلت سويسرا
 في سنة ١٨٠٣ أطلقت الحرية للسود في كندا
 في سنة ١٨٠٤ نصب نابليون الاول امبراطوراً على فرنسا
 في سنة ١٨٠٥ حدثت موقعة طرف الغار واوسترليتز ومات فيها القائد نلسن
 في سنة ١٨٠٥ عقدت معاهدة (برسيرغ)
 في سنة ١٨٠٦ حدثت موقعة (جينا) وقتل فيها القائد بوت
 في سنة ١٨٠٧ حدثت مواقع (ايلو) و (فريبلاند) و (كوكو) بنهاغن)
 في سنة ١٨٠٧ فرت هيئة محكمة ليسيون (فرنسا) الى برازيل
 في سنة ١٨٠٨ بدأت حرب (بنسول) وفي السنة عينها امتدت سلطة بوناپارت
 الى اسبانيا ودعي امبراطوراً عليها
 في سنة ١٨٠٩ حدثت معركة (واغرم)
 في سنة ١٨٠٩ عقدت معاهدة (سكويريون)
 في سنة ١٨٠٩ طلق نابليون زوجته جوزفين
 في سنة ١٨٠٩ حرم البابا نابليون حرماً دينياً ففضب نابليون وسجن البابا
 في سنة ١٨٠٩ هزم (ولنتن) جيوش فرنسا في معركة طرف الغار
 في سنة ١٨٠٩ انتخب (جيمس مادسن) رئيساً للولايات المتحدة
- الجزء ٩ (٧٤) المجلد ٦

- في سنة ١٨١٠ تزوج نپوليون (ماريا لوسيا)
 في سنة ١٨١١ ولد ابن نپوليون ملك روميا
 في سنة ١٨١١ حدثت موقعة (نيبكانو)
 في سنة ١٨١٢ قامت روسيا بمناورات جيوشها الحربية ارهاباً للدول المناوئة لها
 في سنة ١٨١٢ نشبت الحرب بين انكلترا واميركا
 في سنة ١٨١٣ حدثت معركة كاثاجيرة (ايري) و (تومس)
 في سنة ١٨١٣ حدثت معارك (لوتزين) و (فونيريا) و (ليبسك)
 في سنة ١٨١٤ نفي بوناپارت الى (الالب)
 في سنة ١٨١٤ حدثت موقعة (لاندي لين)
 في سنة ١٨١٤ حرق الانكليز مدينة واشنطن
 في سنة ١٨١٥ عاد نپوليون من منفاه وحدثت معركة وترلو ونفي الى جزيرة
 القديسة هيلانة
 في سنة ١٨١٥ نشرت رابات السلام في باريس للمرة الثانية
 في سنة ١٨١٥ نظمت المعاهدة المقدسة
 في سنة ١٨١٥ حدثت موقعة (نيو اورلينس) وكان النصر فيها حليف (جكسن)
 في سنة ١٨١٧ انتخب جيمس مونرو رئيساً للولايات المتحدة وهو الرئيس الذي سن
 شريعة اميركا للامهركيين
 في سنة ١٨٢٠ شبت الثورة في اسبانيا
 في سنة ١٨٢١ مات نپوليون
 في سنة ١٨٢١ بدأت حرب الاستقلال في اليونان
 في سنة ١٨٢٢ انفصلت برازيل عن برنقال
 في سنة ١٨٢٤ بوشر العمل في قناة (ولاند)
 في سنة ١٨٢٤ نصب كارلس العاشر ملكاً على فرنسا
 في سنة ١٨٢٤ مات اللورد بيرون
 في سنة ١٨٢٥ انتخب جان ادامس رئيساً للولايات المتحدة
 في سنة ١٨٢٥ قطعت لاول مرة اول باخرة المحيط الاطلنطيكي
 في سنة ١٨٢٥ هاج الشعب في كندا

في سنة ١٨٢٦ حدثت معركة نافارين
 في سنة ١٨٢٩ انتخب اندرو جاكسن رئيساً للولايات المتحدة
 في سنة ١٨٢٩ ثار الشعب في كندا العليا طالباً حاكماً عادلاً
 في سنة ١٨٣٠ حكم اللورد (البلد) كندا السفلى
 في سنة ١٨٣٠ نشبت الثورة في فرنسا للمرة الثانية
 في سنة ١٨٣١ حدثت موقعة (أوسترواكا)
 في سنة ١٨٣١ انفصلت باجيوم عن هولاندا (البلجيكا)
 في سنة ١٨٣٢ نصب (اوغو) ملكاً على اليونان
 في سنة ١٨٣٢ منحت السلطة لمجلس النواب في كندا
 في سنة ١٨٣٥ قرر عتق العبيد في انكلترا
 في سنة ١٨٣٥ اخترع الثلغراف الكهربائي
 في سنة ١٨٣٧ قامت الفتنه في كندا
 في سنة ١٨٣٧ تولت الملكة فيكتوريا عرش الملك في انكلترا
 في سنة ١٨٣٧ انتخب مارتن (بيورن) رئيساً للولايات المتحدة
 في سنة ١٨٣٩ اتحدت كندا العليا مع كندا السفلى
 في سنة ١٨٤٠ نصب فريدريك وليام ملكاً على بروسيا
 في سنة ١٨٤٠ زفت الملكة فيكتوريا الى البرت سكسكوبرغ
 في سنة ١٨٤١ انتخب هرسن رئيساً للولايات المتحدة
 في سنة ١٨٤٢ عدلت شريعة الذرة في الولايات المتحدة
 في سنة ١٨٤٤ انتقلت دائرة الحكومة في كندا الى منتريال
 في سنة ١٨٤٥ ضمت تكسس الى الولايات المتحدة
 في سنة ١٨٤٥ حدث الحريق الهائل في كوبك كندا
 في سنة ١٨٤٥ انتخب هولك رئيساً للولايات المتحدة
 في سنة ١٨٤٦ نشبت الحرب بين الولايات المتحدة والمكسيك
 في سنة ١٨٤٦ تم السلام بين الولايات المتحدة والمكسيك
 في سنة ١٨٤٦ رقي فرنسيس جوزف الى عرش الملك في النمسا
 في سنة ١٨٤٦ أعلنت هنغاريا استقلالها عن اوستريا

- في سنة ١٨٤٦ افتتحت عساكر فرنسا رومية
 في سنة ١٨٥١ حدث المعرض العام في لندن
 في سنة ١٨٥٢ تولى نابليون الثالث امبراطورية فرنسا
 في سنة ١٨٥٥ رقي الكسندر الثاني الى عرش قيصرية الروس
 في سنة ١٨٥٦ شبت نيران الحرب بين انكلترا والصين وبلاد فارس
 في سنة ١٨٥٧ نشبت الثورة في الهند
 في سنة ١٨٥٩ استعرت نيران الحرب بين اوستريا واطاليا
 في سنة ١٨٥٩ بدأ حكم كارلس الخامس عشر على اسوج ونروج
 في سنة ١٨٦١ اشتعلت نيران الحرب بين الشمال والجنوب في الولايات المتحدة
 في سنة ١٨٦١ رقي فيكتور عمانوئيل عرش الملك في ايطاليا
 في سنة ١٨٦١ شبت فتنة البولنديين
 في سنة ١٨٦٢ شهرت فرنسا الحرب على المكسيك
 في سنة ١٨٦٢ تولى بسمارك رئاسة النظار في جرمانيا
 في سنة ١٨٦٣ حرر العبيد
 في سنة ١٨٦٣ دخلت الجنود الفرنسية الى مدينة المكسيك
 في سنة ١٨٦٤ ضمت جزائر انديان الى اليونان
 في سنة ١٨٦٤ حدثت الحرب بين روسيا واوستريا والدانمارك
 في سنة ١٨٦٦ حدثت الحرب بين جرمانيا واوستريا
 في سنة ١٨٦٧ حدثت الحرب بين انكلترا والهند
 في سنة ١٨٦٧ ابتاعت الولايات المتحدة الاسكا
 في سنة ١٨٧٠ استعرت جذوة الحرب بين فرنسا وجرمانيا
 في سنة ١٨٧٠ حدثت موقعة سيدان وحاصر نابليون الثالث
 في سنة ١٨٧١ رقي وليم الى عرش امبراطورية بروسيا
 في سنة ١٨٧١ صارت فرنسا حكرمة اشتراكية جمهورية
 في سنة ١٨٧٣ مات نابليون الثالث في انكلترا
 في سنة ١٨٧٥ تولى الفونسو الملك في اسبانيا
 في سنة ١٨٧٦ دعيته فيكتوريا امبراطورة الهند

- في سنة ١٨٧٨ نشبت الحرب بين العثمانية وروسيا
 في سنة ١٨٧٨ نشبت الحرب في افغانستان
 في سنة ١٨٧٨ مات الملك عمانوئيل وخلفه الملك هيومبرت
 في سنة ١٨٧٨ مات بيوس التاسع وخلفه ليون الثالث عشر
 في سنة ١٨٧٨ تمت معاهدة برلين
 في سنة ١٨٧٨ استقلت رومانيا ووتيفدو
 في سنة ١٨٧٩ حدثت الحرب بين شيلي وبيرو
 في سنة ١٨٨٠ حدثت المجاعة في ايرلاندا
 في سنة ١٨٨٠ أطلقت حرية العبيد في كوبا
 في سنة ١٨٨١ قتل اسكندر الثاني في روسيا
 في سنة ١٨٨١ يوشر بمشروع اكتشاف القطب الشمالي
 في سنة ١٨٨٢ استمرت نيران الحرب بين انكلترا ومصر
 في سنة ١٨٨٣ حدثت حرب الهنود
 في سنة ١٨٩٣ شبت ثورة برازيل وارجنتين من اجل الحكم الجمهوري
 في سنة ١٨٩٤ قتل كارنو رئيس الجمهورية الفرنسية
 في سنة ١٨٩٤ تولى نيقولا الثاني عرش الملك الروسي
 في سنة ١٨٩٤ نشبت الحرب بين الصين واليابان
 في سنة ١٨٩٤ أضرب عمال معادن الفحم والسكك الحديدية في الولايات المتحدة
 في سنة ١٨٩٤ شبت الثورة في كوبا لاجل الاستقلال عن الحكم الاسباني
 في سنة ١٨٩٥ حدثت المجازر الارمنية
 في سنة ١٨٩٥ رأس فيليكس فور الجمهورية المغربية
 في سنة ١٨٩٦ توج قيصر روسيا
 في سنة ١٨٩٧ رأس مكابي الجمهورية الايركية
 في سنة ١٨٩٧ حدثت الحرب بين العثمانية ويونان
 في سنة ١٨٩٨ حطم الاسطول الاميركي في هاافانا
 في سنة ١٨٩٨ نشبت الحرب الايركية الاسبانية
 في سنة ١٨٩٨ قتلت البصابات ملكة أوستريا

في سنة ١٨٩٨ حدثت حاوثة دريفوس في فرنسا
 في سنة ١٨٩٨ اكشف الذهب في الاسكا
 في سنة ١٨٩٨ مات بسمارك
 في سنة ١٨٩٨ عقدت المعاهدة بين الولايات المتحدة واسبانيا
 في سنة ١٨٩٨ ابتدأت حرب الفلبين
 في سنة ١٨٩٩ ابتدأت الحرب في افريقية الجنوبية
 في سنة ١٩٠٠ حدث معرض باريس
 في سنة ١٩٠٠ هجم الصينيون على دور السفارات الاجنبية في بكين عاصمة الصين
 في سنة ١٩٠٠ قتل هيومبرت ملك ايطاليا وخلقه ابنه الملك عمانوئيل
 في سنة ١٩٠٠ أعلنت الدول الغربية الحرب على الصين
 في سنة ١٩٠٠ رأس مكثلي الجمهورية الاميركية
 لنكلن نبراسكا (الولايات المتحدة)
 يوسف جرجس زخم

ام الطفل

في مشهد الحريق

ما الديار ترآى وهي اطلال
 كانت بها السمرات الخضر زاهية
 ما بالها وهي انقراض مبعثرة
 هل هدّ بنيانها من فوق صاعقة
 هل خف بالقوم عنها اليوم ترحال
 واليوم لا سمر فيها ولا ضال
 تعبر فيهن ابكار وآصال
 او هد بنيانها من تحت زلزال
 ريج لها من لميب النار اذبال
 فما اتى الصبح الا وهي اطلال
 من الدخان كأن النار ابطل
 صرعى بيوت واموال وامال
 حتى حكمت معركة خرت بساحته

دار السعادة امنست من تحرقها دار الشقاء وقد ضاقت بها الحال
 تنزو الى البحر ترجو نغم غلتها لحظ المهجر اذ يبدو له الآل
 ننهال كالزمل بالنيوان ادورها حتى تكاد لها الارواح ننهال
 ياربج مهلا فلا تذري الرماد بها ان الرماد الذي تذر ين اموال

...

قد رحت للحي مذعوراً أيممه ولي عن الزمر البساكين تسأل
 وفي العراص ديار القوم خلوبة وفي الشوارع نسوان واطفال
 جلسن والشمس فوق الرأس دانية وللقبار بعرض الحي تجوال
 ولا خمار فيرددن الغبار به ولا يقين حر الشمس سربال
 حتى وقفت وقلبي كله جزع وادمعي لجج طوراً واوشال

...

ما انس لانس ام الطفل قائمة وفوق وجنتها للدمع تهطل
 اني تجردت عن دنياي حاسرة مالي سوى طغلي الباكي بها مال
 اي اسريء بعد هذا اليوم ذي جدة بعولتي حيث لا زوج ولا آل
 اودى الحريق بدار كنت اسكنها وكنت من بعضها للقوت اكتال
 واليوم اصبحت لادار ولا وزر آوي اليه ولا عم ولا خال
 ان الحريق خبت نيرانه ومضت وماخبت في فؤادي منه وجال
 يارب رحماك اني اليوم عاجزة عما دها وبظهري منه ثقال
 يارب قد ضقت ذرعاً في الحياة فما ادري حنايبك ربي كيف احتال

...

وعند ما قد شجاني من مقالتيها
 دنوت منها قليلاً وهي باكية
 حتي وقفت وايناساً لوحشتيها
 وقلت يا خت لا تستيشي جزعاً
 اتجزعين اكتباً بآ بين اظهرها
 مالي اراك بعين اليأس باكية
 الست من أمة ايدي الرجال بها
 حتى لقد اصبحوا ابناء واحدة
 مستعصمين بجبل من اخوتهم
 امسى التماضد كالحصن الحصين لهم
 فاستبشري اليوم فيما مس من ظلم
 وان حقت عول في مساكنهم

...

تلك التي قد شجنتني في مقالتيها
 فهل يصدق قومي ما ظنت بهم
 فالجود يدرك مرماه البعيد فتى
 واكثر البذل حمداً ما يعان به
 يا قوم هذي سبيل العرف واضحة
 ومن تك الحال فيها لا تساعده
 الاستانة

وكم لها في نساء الحي امثال
 حتى تقوم لهم في المجد افعال
 رحب الذراعين طاق الكف مفضل
 من عضهم من نيوب الدهر اقلال
 فليض فيها بكم وخذ وارقال
 «فليس هذا انطق ان لم تسعد الحال»
 الرصافي

اخبار وافكار

الكليات الاميركية

يخاف الكثيرون من التهذيب المشترك بين الجنسين ان يخرج النساء عن طورهن ورفقتهن ويفيدهن قسوة وصلابة لامتزاجهن بالذكور ولكن التجارب دلت على خطايم وفساد مزاعمهم وانتشرت طريقة التعليم المشترك في معظم الكليات الاميركية فعدد الطالبات في جامعة نيلاند ستانفورد في كاليفورنيا يناهز الخمسمائة وقد حاولوا في جامعة شيكاغو ان يفصلوا بين الذكور والاناث في سن الطلب الاولى

ولم تحافظ على القواعد القديمة سوى كلية هارفرد فانها اصرت على ايجاد اجابها في وجوه الطالبات وفي اميركا ٣٢١ جامعة وكلية ومدرسة عالية تقبل الطلاب والطالبات على السواء بدون اقل تمييز بين الجنسين

والتعليم في الجامعات الاميركية يقسم الى ثلاثة اقسام : الاول فيه اساليب خاصة بكل من الجنسين : والثاني يشترك فيه الذكور والاناث بدون تفريق ولا استثناء : والثالث يشترك فيه الجنسان ويختص الاناث بفروع تساعدن في حياتهن المستقبلية والمدارس المختصة بالاناث هي دور الجامعات في رقيها العلمي والاليب تهذيبها وفي الولايات المتحدة الاميركية اربعمائة جامعة لكل منها رأس مال يبلغ ٥٠٠ مليون وفي الولايات ولها دخل سنوي لا يقل عن مليون ريال ٠ فلا يستطيعون ان ينشؤوا جامعات انثوية تضارع الجامعات الراقية

ونرى من جهة ثانية انه اذا وضعت خطط التعليم في الجامعات بدون نظر الى الفروق الجنسية لم تحمد الطالبات فيها ما يستحقن على انجاز وظائفهن الخاصة في حياتهن العائلية وقد نظر علماء الاميركيين في هذه القضية فأدخلوا دروساً كثيرة في بعض الجامعات بلقنونها للفتيات خاصة

واليك مثلاً من خطة التعليم في جامعة شيكاغو :

(١) حفظ الصحة الجسدية وعلاقاته الاجتماعية والادبية

(٢) : الهيجين العمومي

(٣) : علم الحياة والبكتير يولوجيا

(٤) تدبير صحة الاطفال و ينطوي في هذا الدرس المواد الآتية : الوراثة والبيئة — ارتقاء الطفل الطبيعي والعقلي والادبي . — حفظ الصحة في سن البلوغ . — وبضاف الى هذه المواد ملاحظات عن الطفل في المدرسة واللعب والدرس وتأثير الاموال الطبيعية في ارتقائه الادبي والعقلي

(٥) : الاسرة . — باعتبار الوجهة التاريخية والفسيولوجية ويدرسون ايضاً احوال الأمرة الاجتماعية والادبية والاقتصادية

(٦) : درس في الشرائع الاكثر تأثيراً في حياة الافراد والحياة التجارية
(٧) : العلم السيامي . وفيه درس تأليف الحكومات المتحدة ووظائفها وادارة المملكة ومبادئ الحقوق الاساسية

(٨) : تاريخ الصناعة ولا سيما ما يتعلق منها بالنساء
فسألة التهذيب المشترك قد حلت في الجامعات الاميركية بحضور طالبات الدروس العالية واختصاصهن ببعض الفروع

اساليب التعليم الجديدة

تمتاز فرنسا بارتقاء مدارسها ولاسيما معاهد التعليم الحر ويصح ان تكون في ذلك قدوة سائر الام الا انها ينقصها بعض الاوضاع التهذيبية الحديثة التي اتخذتها المدارس في اميركا وانكلترا واسكندنياقيا

اجتذبت اميركا انتباه العالم المتمدن بتلميها المؤسس على قواعد البسيكولوجيا فجامعة كولومبيا في نيويورك وجامعة شيكاغو فيهما معاهد خاصة لدرس هذه الطريقة واصلاح ما تظهره الايام فيها من الخلل وارتقاء خواص الطفل الادبية والعقلية يرجع الفضل فيه الى ذلك الاسلوب العملي المحض الذي يرقى بالطفل سنة ف سنة بل شهراً فشهرًا والطلبة من الجنسين ينتابون تلك المعاهد ويشتركون في تلقي الدروس وتراقب احوالهم العمية وتطعم تجارب الاساتذة وابحاثهم في مجلة خاصة تدعى « اخبار اساتذة الكلية » فيطبقها الطلاب والطالبات الذين سيكونون اساتذة في المدارس الابتدائية والوسطى ويصرفون جل عنايتهم الى هذه الابحاث والاختبارات التي كان لها اثر شديد في تربية الاطفال وترقية مواهبهم

اما في مدارس السويد فعم لا يعلقون على الفكرة كبير امر ولا يعنون بتلقين الطلبة دروساً يستظهرونها بل يلقون اليهم مبادئ العلوم الطبيعية والجغرافية وغيرها

في شكل حكايات يرتاح اليها صغار الطلبة ويحفظون فيها مبادئ العلوم ولا يشعرون وهذا الاسلوب المتبع في التعليم يشابه طريقة الاميركان من وجوه كثيرة وقد انتشرت في المانيا ايضا طريقة الاستظهار الفاشية في المدارس الشرقية وبعض اقسام اوربا وهي تؤدي الى خلاف الغاية المطلوبة فلا توسع مدارك الطفل ولا تترن شعوره بل توول الى انحطاطها شيئاً فشيئاً ومتى دخل الطالب غمار الحياة العملية لم يستطع الانتفاع بما تلقته من تلك المعلومات ولا وسعه تطبيقها

والمدارس الانكليزية تعنى بتعليم الطلاب والطالبات الاشغال اليدوية وتحاول ان تكون الواصلة بين الحياة المدرسية والحياة العملية والطرق التي تجري عليها المدارس الاميركية في التربية والتعليم مزاياء اخرى وهي ان الطالبات يشتركن مع الذكور في تلقي العلوم ويتقاسمون لفتها جميعاً فتتوثق بينهم صلات لا اثر لليل الجنسي فيها ومتى خرجن الى معترك الحياة وتفنن ازاء الرجال وقفة القادر المستقل الواثق بنفسه والمعتمد على حوله وهي خاصة تمتاز بها المرأة الاميركية عن شقيقتها الاوروبية لانها اعتادت من صغرها ان تعد نفسها مساوية للرجل ثم ان وجود الطالبات يلطف من عواطف الذكور ويدمث من اخلاقهم فلا يشذ احد عن المنهج السوي خيفة من عيون رفيقاته اللواتي يراقبنه مراقبه لها في نفسه تأثير يفوق تأثير مراقبة الاساتذة

وانتشرت هذه الطريقة في شمالي اوربا اي في بلاد نروج فاكسبت النساء قوة وجلداً على احتمال مشقات العيش ومباراة الذكور في الحياة العملية ومشاركتهم حتى في الاعمال السياسية فتلحق التصويت في انتخاب بعض المجالس ونبغت منهن نساء ففن الرجال في جميع الاعمال التي تعاطينها واصبحن قدوة للنساء العاملات في الممالك الراقية

التعليم الادبي في اليابان

التعليم في اليابان علمي محض وليس الديانة اقل سلطة في المدرسة ففرنسا واليابان هما المملكتان الوحيدتان اللتان نشرتا اصول التهذيب اللاديني « العلماني » في العالم بأسره وفي اليابان فصل التعليم عن الديانة حسب شريعة التهذيب الصادرة سنة ١٨٧٢ ولا يقتصرون في المدارس العامة بل يشمل المدارس الابتدائية والثانوية حتى التي تسمى الجمعيات الدينية إذ يحظر عليها ان تلقن التعليم الدينية وهذا العمل من التهذيب

والديانة كان القاعدة التي جرت عليها الحكومة منذ سنة ١٨٦٨ اي منذ فطحت البلاد اليابانية الاحاب

وقبل ذلك العهد لم يكن للحكومة ايسر اهتمام بالتهذيب العام بل تركته للأفراد حاشا بعض المدارس الاريسثوقراطية المختصة ببناء الموظفين ولم تكن الحكومة تدير المدارس فقد فخت اليابان في التعليم منحي المدارس الغربية منذ نشر قانون التعليم سنة ١٨٦٨ والف فيها نظارة المعارف عقيب صدره بسنة فلم تحجم الحكومة عن المفاداة باعز مال لديها في سبيل الارتقاء ونشر التهذيب بين ظهرا في الامة وفكرة التهذيب العلماني ليست من ابتداع الحكومة الجديدة بل يجدون ما يشبهها في تاريخ اليابان القديم

فقسوس البوذيين لم يعلموا الديانة في معادهم ولا في مدارسهم المجاورة للهيكل والمعابد ومعظم الطلاب اليابانيين لا يزور الكنيسة المسيحية ولا الهيكل البوذي وانما بنشئهم المدارس على الآداب ومكارم الاخلاق فالتعليم في اليابان علماني محض ليس للديانة تأثير فيه والاهلون راضون بما يعقب ذلك التعليم من النتائج ولهم بكل الثقة بالاساندة الذين يحبهم الطلبة ويحترمونهم

ليس للحكومة اليابانية ديانة رسمية ولكنها لا تقاوم الاديان بل تترك لكل فرد حرية المذهبية

الامر الملكي والتهذيب . — سنة ١٨٩٠ صدر الامر الملكي وفيه مثال للتهذيب الادبي وجب على مدارس اليابان جميعها ان تتخذاه وفيه كثير من الآراء التي تنفق مع آراء الفرنسيين وبعضهم يعزو وطنية اليابان الى ما تبثه المدارس في نفوسهم بمقتضى الامر الملكي ولكنهم اهممون في ذلك لان حب الوطن احدى طبائع الرجل الياباني والامر الملكي قسمان احدهما في التهذيب العام والاخر في التهذيب الوطني واليك الواجبات التي ذكرت في الاول :

حب البنين لا بائتهم . تواد الاخوان والاخوات . اتفاق الزوجين . حفظ عهد الاصدقاء . الحشمة والاعتدال . الرغبة في خير الجميع . طاب العلوم والفنون . ترقية المواهب العلمية . الاشتراك في خدمة الامة والوطن . احترام الشورى . طاعة القوانين تضحية المانفع الشخصية في سبيل المملكة وهذه الواجبات تنقسم على النحو التالي : واجبات المرء لنفسه وللأسرة والمجتمع

والحكومة والانسانية فهي تطوي على جميع الواجبات ومنها نشأ فضائل الاخلاص والشهامة والصدق والامانة والرجاء والوطنية وهذه هي حقيقة التهذيب الصالحة لجميع الاعصر والامكنة تشمل الشريعة الادبية التي يجب ان يخضع لها العالم بأسره والنفس الثاني ينفرع عن احوال الشعب فقد ادبهم بأداب خاصة وغرست في نفوسهم فضائل يفردون بها

الامة اليابانية عريقة في التمدن وهي تعتقد انها اسرة كبيرة من اصل واحد يقوم الملك عليها بمناوبة الوالد واعتقاده هذا سبب احترامها الشديد للامبراطورية فحب الامبراطور والوطن واحد في عندهم والميكادو يمثل الوطن

ويبالغ اليابانيون في اكرام اسلافهم وتبجيلهم ويستمتعون في سبيل الوطن لانه بلاد آبائهم واجدادهم ومنذ سنة وعشرين قرناً أسس الامبراطور الاول المملكة الاولى ولم تنج من الغزاة غير ان اهل البلاد اتحدوا على الذود عن حوضهم فلم يستعبدوا للفاحين

ولا يتيسر للمطالع ان يفهم حقيقة احترام اليابانيين للأسرة المالكة وشدة تعلقهم برب السرير ما لم يعرف مبلغ احتفاظ القوم بذكرى اجدادهم وانساب سلاطنتهم فكل فرد منهم يعرف آباءه الى عهد بعيد والاسرة المالكة اليوم هي نسل الحكام الذين تعاقبوا على عرش المملكة اليابانية منذ نشأتها حتى عصرنا الحاضر وكلهم من أسرة واحدة وللقب الامبراطور بابن السماء لان الشعب يحسبه من سلالة الآلهة ولكن آلهة

اليابانيين اسلافهم واجدادهم فاحترامهم الامبراطور فيه شيء من مواجب الدين واول تمدن ساهده اليابانيون كان عند مجاورتهم الصينيين غير انه لم يؤثر في الروح الوطنية شيئاً وكانت قاعدتهم في التهذيب « الروح اليابانية ثم الحكمة الصينية » ودخلت البوذية الى اليابان في القرن السادس فكان لها في آداب اليابانيين شأن خطير ومنذ اصلاح سنة ١٨٦٨ اطرأ على اليابان تغيرات حمة بانتشار المدنية الغربية ولكن النفس اليابانية لم تفقد شيئاً من خواصها ومزاياها

وفي كل مدرسة اوقات معينة للتعليم الادبية وهي لا تدرس في المعاهد الابتدائية والوسطى بل تعتمد على المدارس العليا والتجارية والفنية والطبية وغيرها والناشئة من هذا التعليم حقل نفس الطفل وطبعه على المبادئ القومية ويعلقون عليه شأنًا جليلًا فيقولون ان ارناء مملكتهم ونخطاطها منوطان به اذ ليس لهم ديانة يتأدبون بأدابها

وعند اليابانيين سنة بدعونها سنة القربان او البوشيدو وقد ذكرت فيها آداب هؤلاء وما يجب ان يتحلوا به من الفضائل وفي مقدمتها الاخلاص للامبراطور وطاعته وفداء النفس من اجل الحاكم والشجاعة والافدام ويجب عليه ان لا يعرف في حياته الخوف وان يكون ابدأ على اهبة الموت في قتال خصم من اكفائه وان يجمع بين الصلابة والحزم والجودة والسخاء فيحمي الضعفاء ويمجبر المساكين ويستقيم في اوره وقد خسرت البوشيدو مظهرها القديم ولكنها اكتسبت شكلاً جديداً في نفوس الشعب على ان التعليم الادبي تعترضه عقبات كثر اهمها انفاق جل وقت الطلب في دراسته وتخصيه وتخير الاساتذة الكفاة ممن يصح اتخاذهم قدوة في الفضائل الخلقية وكثرت التبدلات في حياة اليابان الاجتماعية بانتشار المبادئ الغربية وتأصلها واذا كانت اليابان قد اقتبست اصول العلوم الحديثة والفنون عن بلاد الغرب فان التعليم الادبية لم تنصل بها عن ذلك الوجه وانما هي تركت الاسلاف والاجيال القديمة يحرص اليابانيون عليها اشد الحرص ويحفظونها خالصة من شوائب الفساد علماً منهم ان مستقبل مملكتهم معقود بها

التعليم الاهلي

التي في نادي المدارس العليا بمصر احمد افندي فهبي القبطان استاذ التربية بمدرسة المعلمين الحديثية خطاباً قال فيه :

مهما اطنبنا في شرح حسنات القرن التاسع عشر فاننا لا نشك لحظة واحدة في ان نظمات التعليم التي اوجدها ستكون اما سبياً في سعادة عيش الجيل القادم ورغده او انها ستجلب عليه المصائب والحسرات . كان يلتفت في العصور المختلفة في البلاد المتقدمة بنوع خاص لتربية الافراد الذين يحكون البلاد ويديرون شؤونها في المستقبل وكان هؤلاء في العادة من نسل الحكام والاشراف وقد تكرم بعض الغيورين من وقت لآخر فسهلوا سبل التلميم لافراد قليلين من ابناء الفقراء الذين اظهروا ذكاءً مفرطاً استمر الحال على هذا النوال حتى جاء القرن الماضي فتبسط العالم المتمدن وادرك ان كل وظيفة كبيرة كانت او صغيرة وكل مهنة مهما كانت صغيرة لا بد ان يستعد لها المحترف بها وذلك الاستعداد لا يكون الا في المدرسة — واقصد بذلك الاستعداد ان يربي جسمه وخلقه وعقله حتى يصبح قادراً على امرين الاول — ان يكافح الحياة ويصير قادراً على المعيشة واسط حبال هذا الدنيا

التي هي في تعقيد كل يوم عن سابقه
والثاني — ان يقوم بوظيفته او مهنته القيام الذي يليق بالعمى الذي يعيش فيه
وبالوسط الذي هو فرد منه

فلما ادركت الام هذه الحقيقة بدأت تكون ما اسميه نظمات التعليم الاهلية — اي
نظمات تضمن التعليم بجميع ادواره لجميع افراد الامة على اختلاف طبقاتها من غير
تمييز بين وضع ورفيع

ظهرت الاختراعات العلمية في اواخر القرن الثامن عشر واولائل التاسع عشر فادخلت
لتحسين الزراعة والصناعة وظهر في الوقت عينه أئمة للتربية رجال رأوا ان مستقبل
بلادهم الحقيقي ليس بالزراعة والصناعة فقط بل هو بالتربية فقرروا نظريات شتى وبنوا
عليها اعمالهم وأكدوا وجوب تهذيب الرجل الذي سيكون مزارعاً او صانعاً في المستقبل
— وجوب تهذيبه من الوجهة الجسمية والاهلية والعقلية

وقد قضت نفس تلك الاختراعات الصناعية على العمال بالزيادة معلواتهم حتى يصحوا
قادرين على ادارة الآلات الحديثة التي عهدت اليهم

ولا يخفى ان الرجل الذي يقضي كل حياته في تأدية عمل بسيط — نتيجة ثابتة
مدى السنين كالفلّاح مثلاً — لا تأتى عليه احوال يحتاج فيها لاجهاد فكره او تمرين
قوته الاختراعية لمقاومة طارئ هو في الحقيقة لن يقع — فبالطبيعة يفقد عادة اجهاد
النفس وفي المعتاد يصبح في درجة من الغباوة والجهل اقصى ما يمكن ان يصل اليها انسان
فكأنه اشترى موارثه في فلاحته بثمن غال الا وهو فقد غرائزه الادية والاجتماعية
والحرية ولكن واسفاه هذه هي الحالة التي يصير اليها فقراء العمال او بالاحرى اغلب
السكان من كل أمة متقدمة — ان لم تبذل حكومتها كل جهد لمداواة تلك الحال .

وبالاختصار فان ظهور تلك الاختراعات في القرنين الماضيين سبب نتيجتين

(١) وجوب تربية الامة باجمعها تربية عامة خوقاً عليها من السقوط

(٢) تربية الافراد الذين سيناط بهم ادارة تلك الاعمال سواء كانت زراعية

او صناعية او تجارية — تربية خاصة تشمل دراسة العوامل الطبيعية التي اكتشفت وقتئذ
كانت انكلترا هي اول الممالك التي ظهرت فيها الاختراعات الصناعية الجديدة آخر

الدول في تقرير التعليم العام . فقد قرره بروسيا وسكسونيا وورتمبرج في اواخر القرن
الثامن عشر وفرنسا وكان لها نظام تعليم تام بكل حذافيره ايام نابليون اما انكلترا فانها

لم ننشر المدارس الابتدائية لتعليم جميع ابناء الشعب الاسنة ١٨٧٠ — وبلنمس المؤرخون لانكادرا العذر في تأخيرها تعميم التعليم ويقولون ان الانقلابات الداخلية التي طرأت على دارندوتها كانت سبباً في تأخرها

اما نحن فلم نفكر في التعليم اصلاً الامندستين قلائل مع ان مصر كما قال اسماعيل باننا الخديوي الاسبق هي جزء من اوربا فيجب علينا ان نجاري الزمن الذي نعيش فيه — يجب علينا ان نعمل لنشر التعليم بن طبقات الامة حتى تستدير وتسير الى الامام محزم وعزم ثابتين . يجب علينا ونحن جزء من اوربا ان نجاري اوربا تعليماً ان كنا نريد ان نجاريها زراعة وصناعة وتجارة

ولقد قال احد أئمة التربية باميركا في زمن مثيه بزماننا

« نحن الآن نختبر أنفسنا في الحكم الذاتي — اي ان الامة تحكم الامة — ومن العادات المتبعة من قديم الزمان ان يكون للحكام 'وفر نصيب من التعلم اذا اقتضى ان يتعلم كل فرد من افراد شعب ديمقراطي حاكم نفسه بنفسه اذ ان الشعب هو الحاكم الحقيقي »

قال المستر روبرت لو في مجلس النواب الانكليزي عتب التصديق على لائحة الاصلاح الدستوري سنة ١٨٧٠ « الآن وقد عيننا الشعب نواباً عنه لتنفيذ اغراضه او بعبارة اخرى الآن وقد اصبح الشعب هو السيد الحقيقي فاوول واجب مقدس علينا هو ان نربي جميع سادتنا »

حارب نابليون البروسيين وكسروهم في وائة يتنا فجمع ملكهم شتات شملهم وخطم قائلاً « ايها الجنود ثقوا ان الفرنسيين لم ينعصروا علينا في ساحة القتال ان انتصارهم الحقيقي كان في المدرسة »

قال ملك البروسيين ذلك اعترافاً منه بان رقي التعليم الفرنسي وقتئذ عنه في بروسيا كان سبباً في انتصار الفرنسيين على البروسيين لذلك افرج البروسيون جهدهم في اصلاح التعليم بمملكاتهم وحذا حذوهم جميع الممالك الجرمانية الاخرى وانضمت جميعها تحت لواء الامبراطورية الالمانية وخسا التعليم فيها خطوات واسعة ونبع كثير من أئمة التربية في المانيا حتى جاءت سنة ١٨٧٠ فخارب الالمانيون الفرنسيين وكسروهم واخذوا منهم الالزاس واللورين ولكنهم في الحقيقة لم يأخذوا هاتين المقاطعتين في ساحة القتال . بل اكتسبوهما في المدرسة .

اني لا ارى ان حالتنا الحاضرة تسمح لنا بمجاراة المانيا او السويد مثلا في برامج مدارسها الاولى اذ هذا يحتاج لمال اكثر مما يمكننا تقديمه الآن - وعدد من المدرسين الاكفاء لا يمكننا الحصول عليه الا بعد بضع سنين

فارى ان تتبع الخطة الطبيعية ونبدأ صفراً ثم نرقي مع الزمن وبعد التجارب ارا في مقتنماً بنشر التعليم بواسطة الكتاتيب في الوقت الحاضر فان المال الذي تحتاجه مثل هذه المعاهد قليل ومدارس معلمي الكتاتيب التي اخذت تنتشر في القطر ~~كفيلة~~ بتخرج العدد الكافي من المدرسين ما بين فقهاء وعرفاء فيجب علينا اذن ان يكون لدينا من الكتاتيب ما يفي بحاجة هذه الامة

ولتنفيذ ذلك يجب علي كل فرد غني ان يساعد الحكومة في إيجاد مثل هذه المعاهد وزكاة المال التي هي ركن من اركان الاسلام والتي من اجلها حارب ابو بكر الصديق رضي الله عنه المرتدين من العرب هذه الزكاة كفيلة ببناء الكتاتيب

لذلك اقول ثانياً يجب علي كل فرد غني منكم ومن جميع ابناء هذا القطر من حلقا الى البحر الابيض ان يقدم زكاة ماله لمواطنيه في شكل يفيد الجميع ولا ارى افيد من انشاء معاهد التعليم في الوقت الحاضر

ترمي التربية الحققة الى ثلاثة امور تهذيب الجسم والاخلاق والعقل . فالتربية الجسمية مهمة جداً اذ يترتب عليها تخرج رجال ونساء اشداء اقوياء يقدرون على القيام بواجباتهم المختلفة ولان العقل المحكم في الجسم السليم اريد ان ارى ابناء مصر في صحة تامة وعقل متين وقوام معتدل ودورة دموية منضبطة . .

اما التربية الاخلاقية فلا يشك احد في ضرورتها ووجوبها فيها وحدها يتعلم الشعب الصدق والامانة والوفاء بالوعد والاخلاص وآداب الزيارة والاكل والطريق واحترام الغير وغير ذلك

وبها وحدها نقل الجرائم على اختلاف انواعها كالسرقة والقتل وكثير من المحرمات والمنكرات

وبالتربية العقلية تهذب قوى العقل المختلفة ما بين ملاحظة وحفظ وذكر وتخييل وتفكر وبرهنة وحكم وقياس

فللعلم بموجب هذا التقسيم اقترح ان يكون برنامج التعليم بالكتاتيب كالاتي :

اولاً قراءة وكتابة ومبادئ اللغة العربية اذ هذه هي الوسطة الوحيدة للوقوف على ما يجري من الحوادث في العالم تتجلى وجه عام وبالوطن على وجه خاص . وبالكثابة تدون الكتب والتواريخ وهي الوسطة في المراسلة

ثانياً حساب . حتى يعرف الشخص دخله ومصروفه ويعرف معنى التوفير والاقتصاد في المصروف ويعرف التاجر لدفاته معنى والمزارع يدرك قيمة محصوله من القطن بالنظارة والجنيه

ثالثاً دروس الاشياء ولتنتخب الموضوعات من الانتباه التي تحيط بالكتاب فان كان في القرى وجب ان تكون اكثر الموضوعات زراعية وان كان بالمدن فحتم ان يكون اغلبها صناعية ودروس الاشياء عظيمة الفائدة جداً اذ انها تفتح الذهن وتدعو الطالب الى ملاحظة ما يحيط به فضلاً عن كونها تعطيه معلومات مفيدة مما يحيط به من مزروعات او مصنوعات

رابعاً الخط . كي يتعود الطالب تحسين خطه ولا ارى ضرورة ابدأ لتعليم الخط الثالث بمثل هذه المعاهد

خامساً الاخلاق . وارى ان يكون اساسها القرآن . وذلك انه متى كان الدرس على احترام الوالد مثلاً وجب على المعلم ان يستشهد بالآيات الكريمة التي تأمر بذلك وهكذا في الاخلاق الاخرى

ولسنا في حاجة لان ندرس القرآن الشريف باجمعه لمثل هؤلاء التلاميذ بل يكفي منه ما يتعلق بقواعد الدين والمعاملات المختلفة وذلك هو الجزء الذي يستظهر ويلاحظ في انتخاب الآيات الشريفة احتياجات التلاميذ — فلا ضرورة لاعطائهم شيئاً عن الزواج والطلاق مثلاً في سنينهم الاولى بل هم في حاجة لمعرفة قيمة الصدق واحترام الوالدين وطاعة الله ورسوله

واري ان لا يكون العمل العقلي بالكتائب الا في الصباح فقط وبعد الظهر يتعلم التلاميذ اشياء يدوية — ففي القرى يترنون الى الفلاحة وفي المدن يتعلمون مبادئ احدى الصنائع

اما البنات فيجب ان يتعلمن الطباخة والاشغال اليدوية ومبادئ الاقتصاد المنزلي عامة . يجب الاهتمام بتعليم الفتاة اذ انها ستكون أمّاً في المستقبل فيجب ان نعدّها لان تكون أمّاً صالحة . يجب ان نعلمها وتربيتها التربية الحسنة حتى نقدر هي على تربية

ابنائها الصغار قبل دخولهم المدرسة

ارسلني الحكومة المصرية لدراسة الاشغال اليدوية ببلاد السويد في صيف سنة ١٩٠٣ فدرست ما يتعلق منها بالتجارة على وجه خاص ثم بدأت اطوف البلاد السويدية لارى نظامات التعليم بها واكتب تقريراً عنها فوزت ذات يوم مدرسة للبنات سيفي استوكهولم وكانت من ارقى مدارس البنات التي رأيتها في سياحاتي بأوربا
كان لتلك المدرسة مطبخ بالقرب منها تعلم فيه البنات الطبخ فيذهب عشرون منهن كل صباح على التناوب ويطبخن الطعام تحت مراقبة ثلاث معلمات متخصصات بهذا الفن وكانت كل فتاة مرتدية بالثياب الخاصة بالطباخت فوطة بيضاء طويلة على صدرها وقبعة صغيرة من التيل الابيض فوق شعرها

وبجوار ذلك المطبخ قاعة كبيرة للاكل والقرب منها مصنع للاعمال اليدوية للذكور الفقراء الذين لا نقل سنهم عن اثني عشرة ولا تزيد عن ست عشرة. وكان هؤلاء الاولاد غالباً من المتشردين في الشوارع يؤتي بهم اما برضام او بواسطة البوليس كي يتعلموا صناعة . والصنائع التي كانت تدرس بذلك المصنع هي النجارة والحدادة وعمل الاحذية والفرش سواء كانت للشعر او للملابس او غير ذلك

تطبخ البنات الطعام وتحضره للغذاء في قاعة الاكل وترتب الموائد وتنف في خدمة من يحضر لتناول ذلك الغذاء — اما الاكلون فكانوا تلاميذ ذلك المصنع المجاور — يأكلون بلا ثمن ويخدمون بلا اجر وبعد ذلك يذهبون لاصنعهم لباصرة اعمالهم — وما يخرجونه من اثاث او فرش او غير ذلك يتباهت الناس على شرائه حبا في مساعدة ذلك المعهد والتمن يكفي للامور الآتية :

(١) شراء ما يلزم المطبخ من سمن وخضر ولحم ووقود ورواتب معلمات الطباخة

(٢) شراء ما يلزم للمصنع من خشب وحديد وشعر وجلد ومشاهرات معلمي

الصنائع

(٣) يبقى احتياطي يعطى منه ١٠ جنيهات بصفة مكافأة لكل تلميذ اقام سنتين بالمصنع واثمن صناعة ما وحسنت في حقه الشهادة — يعطى ذلك المبلغ مساعدة له في الشروع في فتح دكان للنجارة او الحدادة او غيرها حتى لا يعود كما كان متشرداً بالشوارع وكنت عند زيارتي لذلك المعهد اتباحث مع مديره في فوائده . فبعد ان ذكرت له ما تراهي لي من تلك الفوائد قال لي : « ففهمك فائدة كبيرة ففهمك تعلم ان التعلم

ببلاد السويد اجباري مجاني من زمن مديد فابناؤنا متعلمون وخدمتنا متعلمون فالجو الادبي في منزلي نقي طاهر والجو في المدرسة كذلك نقي طاهر — فاذا خفت على آداب ولهي مثلاً فلا اخاف الا من الشارع حيث المتشردون — فهذا المصنع وامثاله يجمع المتشردين من الطرقات وبذلك يصير جميع جو المدينة نقياً طاهراً لا تسمع فيه لفظاً واحداً ميس شعورك اذ تشمئز منه نفسك وقد جرت لي حادثة اثناء وجودي بقاعة الطعام — وذلك انني رأيت فتاة تبلغ من السن نحو الرابعة عشرة ذهبية الشعر زرقاء العينين معتدلة القوام يدها بمسحة بيضاء نظف بها اواني الاكل وادواته قبل تقديمه للاولاد — فذهبت لمحادتها كي اعرف ان كانت تخدم هؤلاء المتشردين اضطراراً وخضوعاً لامر مدرستها ام ماذا ؟

وقلت لها امثلك انت يخدم هنا المشرد القذر ؟ فرفعت عينها الزرقاوين وهزت رأسها في وجهي وقالت به نلمة وربما كان باحتقار لي : (*Älskade inte honom*) ومعناها بالعربية اما هو سويدي فشعرت بارتياح وادركت ان هذه الفتاة الجميلة تخدم هذا الولد القذر طوعاً لا كرهاً — تخدمه لانه سويدي وهي سويدية

ففي تلك اللحظة قرب مني مدير المصنع واظهر اهتماماً زائداً بمحادثتي الفتاة ولما انتهيت أخذني على انفراد وقال لي اتعلم من اخترت لنوحيه سوالك . قلت : لا قال هذه حفيدة الملك — حفيدة الملك اوسكار — فدهشت دهشة شديدة ثم أقفقت نفسي مسرعاً وقلت له : ان هي الابرهان حي على تأثير حسن التربية فالترية الحقة تلطف الشعور الترية الحقة تقرب القلوب بعضها من بعض تفرس في القلوب حب الوطن والمواطنيين

قررت انكثرتا ان يكون التعليم الاجباري من سن الخامسة الى الرابعة عشرة ولكن المانيا والسويد قررتاه من السادسة الى الرابعة عشرة فكان المالك الثلاث اتحدث في تحديد نهاية التعليم الاجباري ولكنها اختلفت في سن الابتداء وعندي ان يعمل بموجب نظام المانيا والسويد اذ يجب ان يترك الطفل عدداً من السنين يرتع ويمجري ويلعب ويقوى جسمه قبل دخوله في مضمار العلم حتى يكون له من الجسم وصحة المخ ما يضمن اقيامه باعماله العقلية بدون تأثير في جسمه او اضعاف لحيته كما يحصل كثيراً للصغار في سن عقلية محضة — فمن رأيي اذن ان يكون التعليم الاجباري بهذا القطر من سن السادسة الى الرابعة عشرة

ينبغي التعليم الثلاث السنوات الاولى بالكتاب وبعد ذلك يجب ان ينتقل الى

المدرسة الابتدائية فيمضي بها خمس سنوات ويجب ان يكون برنامج المدارس الابتدائية على طراز يوهل التلميذ للانخراط في سلك المدارس الثانوية اذا اراد ان يشمل برنامجها شيئاً من الصناعة والزراعة ولذا يجب ان لا يشتغل تلاميذ هذه المدارس بالمواد العقلية الا في الصباح

فمضى اجتمع هذان الشرطان امكن التلميذ دخول المدارس الثانوية ومنها الى المدارس العالية او الجامعة

اما اذا كان برنامجها لا يوهل التلميذ لدخول المدارس الثانوية فنكون كأننا اغلقنا باب التعليم في وجهه عقب انتهائه من دور التعليم الابتدائي وبذا نكون قد اتينا جرماً لا يغتفر

هذا فيما يخص طالبي التعليم المجاني . اما الاغنياء فعندي انه يجب ان يكون نظام تعليمهم كالأقوي مدارس بسنتين الاطفال او الكندر جارتن . كما سماها موجدتها فردريك فروبل الالماني . وهي مدارس لصغار الاطفال من سن الرابعة الى الثامنة تقريباً وفيها ينظر للطفل كما لو كان نباتاً صغيراً يقوم بحسن العناية والمدرسة هي في هذه الحال بستان والبستان هي المدرسة اذ دلت التجارب على ان النساء وحدهن هن القادرات على ادارة مثل تلك المدارس — فيرى الطفل في هذه المعاهد من الوجوه الثلاثة الجسمية والادبية والعقلية وبعد ان يخرج الطفل من بستان الاطفال يجب ان ينتقل الى مدرسة ابتدائية توهله للمدارس الثانوية ومنها ينتقل الى المدارس العالية او الجامعات

اما الاختصاص في دراسة الزراعة او الصناعة فيجب ان لا يأتي الا بعد التعليمين الاولي والابتدائي على الاقل حتى تضمن لذلك المزارع او الصانع مقدراً وافياً من الذكاء يوهله للقيام باعماله بفكر وروية

اما في الوقت الحاضر الذي يكثر فيه عدم الاميين من البالغين الراشدين فيجب ان نعمل عملاً آخر بجانب عملنا الخاص بالاطفال . يجب ان نسرع في اعطاء هؤلاء المساكين شطراً من التعليم يساهم على ترقية احوالهم ويمكنهم من ان يكونوا اعضاء عاملين في المجتمع الانساني بالمعنى الحقيقي .

السيد تانوغراف الناطق

اختراع جديد لاديسون لم يفجره بعد وانما اجرى بعض التجارب في نيو يورك فانت بتفصيل مواصفاته ويرجو المزارع ان يتغلب على ما يعترضه من العقبات .

لغة الاسبرانتو

وضعها ذاك الطبيب الروسي لتكون كما هو معلوم اللغة التي يتفاهم بها بنو البشر وهي
تنتشر بوجه فيوماً فلجمعية الاسبرانتو الالمانية ١٩٢٢ فرعاً يبلغ عدد اعضائها ٦٠٠٠ وللجمعية
البريطانية ١٣٠ شعبة يختلف اعضاؤها بين الاربعة والخمسة آلاف . اما فرنسا فقد
سبقت عامة البلاد الى درس لغة الاسبرانتو ففيها ٢٤٠ جمعية اعضاؤها عشرة آلاف
وعدد جمعيات هذه اللغة في العالم باسره يناهز الالف وستائة

المؤتمر النسائي السادس

اجتمع في مدينة استوكهولم برئاسة العقيلة شبان كات فافتتحت الحفلة بخطاب ذكرت
فيه انضمام بلاددين الى الاتحاد النسائي وهما سربيا وايسلاندا فبلغ مجموع البلاد المنضمة
٢٤ وقالت ان النساء في خلال سبع السنوات الاخيرة قرين من مطالبهن في خمس
عشرة امة وفي هولاندة والويس نلن حق الانتخاب لعصوبة الكنائس وفي الدانمارك
حزن حق التصويت في المجالس العامة وفي اوسترااليا ونروج وفنلاندا وبعض اقسام اميركا
الشالية تعد النساء (منتخبات) وقد تألف عند انعقاد هذا المؤتمر جمعية للرجال الساعين
في اسعاف النساء بمطالبن

انتباه الصين

عين احد امراء الاسرة المالكة وزيراً فانقذ الناس تعيينه انتقاداً شديداً وقام
الفوضيون يهددون حتى قال المارشال فوكي النثري انه يود الانتقام للاربعمائة مليون
صيني الذين تظلمهم الاسرة المالكة . على ان الصحف الصينية تطري الامير الوزر لانه
صرح ان الوطنيين في الحقوق سواء وقد صدرت الاوامر الى رجال السياسة
والقنصليات ان يرتدوا بالملابس الاوروبية على بعض التغيير فيها واصبح رجال الصين
يؤمنون بلاد اوروبا لتلقي العلوم الحديثة ولم يكونوا يجيئونها قبل ثورة البوكسر سنة
١٩٠٠ وصدر الامر بتبديل الازياء على اثر ما كان من سخرية الاوروبيين بعطاء
الصين الذين يشخصون الى ديار الغرب ولكن نهضة الصين تراقفها جميع معايب المدنية
الحديثة فالمبارزة دخلت حديثاً للبلاد وشرع الفوضيون باستعمال الديناميت

حوض البحر الميت

يشغل البحر الميت مساحة ٩٢٦ كيلومتراً مربعاً ومياهه ملاءى بالبحر وقد كانوا
يستخرجون من جنوبه ايام عظيمة بزنطية المرمر الثمين والرخام السابقي والكبريت

والنحاس والفحم والملح ومع هذه الثروة الطبيعية فقد اضرب القوم منذ عهد بعيد عن التعدين فيه حتى نال ملك الامتياز بذلك احد مواطني الانترك وقد اوشك ان يتنازل عن حقوقه الى ماليتين امير كيين لقاء مليون ونصف من الريالات الموت جوعاً

دل الاحصاء الرسمي على النتيجة الحزينة الآتية وهي ان ١٩ شخصاً هلكوا في انكلترا جوعاً خلال سنة ١٩٠٩ ومنهم ٥٤ قضا نهبهم في لندن عاصمة الدولة البريطانية واكبر مدن العالم فاعتقد الكثيرون ان هؤلاء البائسين لم تسعفهم الجمعيات الخيرية بشيء

العال الليليون

من اغرب ما يشاهد في نيويورك ان مائة وخمسين الف عامل يقومون بواجباتهم ليلاً وبينهم قواد الترامواي والحوذبون والوقادون ومستخدمو البريد والتلفون وغلان المطاعم والمسارح فدار في خلد بعضهم ان ينشي ملهى يشغل من الساعة الواحدة بعد الظهر الى الرابعة والنصف لان معظم هؤلاء يودون ان يروا شبناً من الملاهي عند افاتهم الظهر قبل العودة الى اعمالهم فانشي الملعب ونجح نجاحاً باهراً فافتنى كثيرون اثر منشئيه وقاموا باعمال اخرى من القاء الخطب والمحاضرات والاجتماعات الدينية

الفنون في الدور الحجري

بينت الحفريات التي جرت سنة ١٨٧٥ في وادي الفيزير ان الانسان في الدور الحجري كان مهراً في الفنون فقد استطاع ان يحفر على الحجر صور الحيوانات التي عاش بينها وفي الحفرة دقة غريبة ومهارة معجبة وقد وجدوا اجمل تلك الرسوم في مغارة التاميرا فرأوا صور البقر والخيول الوحشية والخنزير البرية وقد رسمت بالتراب الاحمر والاسود في مظاهر مختلفة ومهارة فنية مدهشة واكتشفوا رسوماً اخرى في كومبارلس وكلها تروق النظر بدقة صنعها ومن اجمل ممثلات الفن في العصور الحجرية الرسوم التي عثروا عليها في مغارة نيو فقد وجدوا الرسوم مخطوطة بالمرادومزيج من الفحم واوكسيد المغنيزيا ورأوا في غيرها من المغاور رسوماً ونقوشاً ترد الى ما قبل العصر الحجري وقد نقتت على العظم والعاج ثم انحطت هذه الفنون في العصور التالية لاسباب لا تزال مجهولة

المناطيد في الحرب

يتوقعون ان يستخدموا المناطيد في آكة: اف مواضع العدو فتحقن بذلك دماء جنود الاستكشاف ويفضلون في هذه الخدمة الطيارات على المناطيد المسيرة وميزة هذه انها

تستطيع الوقوف على علو شاسع اذا كان الهواء ساكناً لتفحص الاراضي بدقة ويحاولون اليوم نقل الاثقال في المناطيد وقد استطاع المهندس بريكث ان ينقل ١٢ شخصاً وزنتهم ٦٣٣ كيلو ان قطعاً معدنية صغيرة تزن احداها خمسة وعشرين غراماً إذا القيت من طائرة تجري على علو ١٣٠٠ متر بسرعة ٩٠ كيلو متراً لنفذ في الاجسام نفوذ قذائف البنادق وعشرة آلاف من هذه القطع لا تزن أكثر من ٢٥٠ كيلو

انتقال الطيور

عكف العلماء على دراسة هجرات الطيور وتمكنوا من معرفة أمور عنها على انها لا تزال محاطة بالامرار الغامضة فلم يستطيعوا ان يفسروا كيف يجتاز بعض انواع الطيور ٣٨٥٠ كيلومتراً فيعبر الاوقيانوس الى جزائرها واي وكيف ينقل سنونو البحر كل سنة من اقاصي الشمال الى البلاد التي حول البحر المتوسط فيقطع في ذهابه وايابها نحو ٣٥٠٠ كيلومتر وقد ابدى احد العلماء ملاحظات غريبة بهذا الصدد فقال: ان هجرات الطيور بدأت بمسافات قصيرة فارتادت الارض وكانت المسافة تبعد كلما جربت تجربة عند ما عرفت الطيور مزاياب الهجرة التي اعتادتها اما المسالك الموائية التي ينتخبها النازحون فلم يقرأ عليها الا بعد ان اثبت لهم الاختبار انها امثل الطرق الى اماكنهم الصيفية او الشتوية والمزبة التي جعلتهم يؤثرن تلك السبل على سواها هي انهم يجدون فيها الغذاء الكافي اثناء رحلاتهم غير مراعين في ذلك طول الطريق وقصرها قال فالقمري ذوء الرأس الاسود يعين في جنوبي الولايات المتحدة عند نهاية نيسان حتى يبلغ المكسيك ويرافقه في رحلته السنونو الاميركي وفي ايار يعود الى الشمال في طرق اخرى فيتدرج قسم القمري نحو الاسكا توتاً يخطف السنونو الى كريتلندا فتزيد مسافة ما يجتازه ٣٢٠٠ كيلومتراً وبتقوت في رحلته بما يعرض له من الهوام الطائرة

بحيرة تشاد

ليس لهذه البحيرة الافريقية التي يكثرا الجغرافيون من وصفها زوايا غيرها من البحيرات فقد قررت بعثة بتلموا انها اشبه بمستنقع قليل العمق يمتد على مسافة واسعة ويختلف مقدار مياه باختلاف الفصول وكية الامطار ومياه تشاد تقيع نقل فيها كلورات الصوديوم مما يبدل على وجود مصرف خفي لها تحت الارض وقد اكتشفوا بحيرة اخرى جفت مياهها وكانت قبلاً بمثابة مصب لبحيرة تشاد واقعة على بعد ٤٠٠ كيلومتر الى الجنوب الغربي و يزعمون ان هذه البحيرة كانت احدي موارد النيل

غداثر الصينيين

كان الصينيون يفاخرون بدوائبهم المسدلة على ظهورهم حتى دخلت بلادهم المدنية الحديثة فشرعوا يحزنونها ولهذا التبديل نتائج اقتصادية واجتماعية خطيرة الشأن فان الصيني كان يصرف على هندمة شعره خمس عشرة دقيقة في اليوم على الاقل وإذا حسبنا ان الرجل يجب ان يدفع للزين خمسة سانتيمات على الاقل عرفنا المبلغ الكبير الذي يقتصده الصينيون بالاقلاع عن تلك العادة ثم ان الذوائب تخلف الثوب الذي تسدل عليه فنقل مدة بقائه عشرة في المائة فاذا وفر الصيني على هذا الوجه عشرين سانتيمًا في السنة اقتصدت الامة نحو مائة مليون فرك سنويًا نضيف اليها ثمن اوقات الهندمة ونفقاتها فيبلغ المجموع بضع مئات ملايين من الفرنكات فجر الغداثر في الصين عمل اجتماعي اقتصادي ترجع البلاد منه ارباحًا طائلة

مستقبل الكونفوشوسية

ارتاح اليابانيون ارتياحًا شديدًا الى تعاليم الديانة الكونفوشوسية وفي جميع البلاد اليابانية الكبرى يلتقون في فصلي الربيع والصيف محاضرات عن الفيلسوف الصيني العظيم فيأخذ الاساتذة البارعون يسردون فضائله ومزايا تعاليمه وتلفت حوله الجماهير الغفيرة لتلقى عنهم العقائد كما تلقاها اول اتباعه لم يطرأ عليها خلل ولا تحريف تاريخ الملاحه

اسم الرجل الاول الذي ركب البحر غائب في ظلمات العصور ولكننا نعرف ان الانسان اقمع البحر على جذع شجرة واستعان على التجديف بغصن من غصونها ثم شرع يتجوزيف الجذع فبدأت الزوارق الحقيقية تطفو على وجه الغمر ثم استخدم الريح في سیر السفن واقدام ما نعرف من السفن الشراعية مراكب البابليين التي اخترعتها مصر وفي مؤخرتها غرفة للربان على سطح مرتفع يمكن الربان من مراقبة السفينة ويأتي الفنيقيون بعد المصريين وقد نشروا تجارتهم البحرية في جميع سواحل البحر المتوسط وركب اليونانيون الحجج في القرن الثالث عشر قبل المسيح وفي مراكبهم الحربية كانت ثقف المقاتلة على جسر طاف ثم تجي المراكب الرومانية وقد اصبحت اشبه بقلع تطفو على وجه اليم مزدانة بقطع من الرخام وتماثيل محفورة واصنام من البرونز وفيها المكاتب الواحدة على نحو ما كانت عليه سفن كالينولا في سفراته على سواحل كامبانيا . ومركب القيكين صلب البناء قصبدو فيه الى مقاومة الامواج المتضاربة في بحور الشمال ولهذا بنى الفريد الكبير اسطولاً لانكفروا

عَلَى ذلك الطرز ولكن الملاحه الحديثة في تلك البلاد ترلني الى عهد تيدورس واول باخرة اجتازت بحر الظلمات الاتلانتيك سنة ١٨١٩ بنيت في اميركا ودعيت سافانا ولصكن الجمهور لم يرغب في ركوب السفن البخارية ولم تنزل شكوكه ومخاوفه حتى كانت سنة ١٨٣٨ فاجتازت الاتلانتيك اربع سفن تجارية كبرى بدون مساعدة التلوع اسنان من خشب

اخترعها احد اطباء اليابان للقوم مقام العاجية وغيرها ولا يزال فيها بعض الخلل غير ان المخترع يرجو ان يتداركه

المهجين العام

شرع الصينيون يفكرون في حفظ الصحة فاتخذت مراكز الامبراطورية الوسائل الفعالة لمقاومة الطاعون وأنشئت في البلاد الادارات الصحية

جامعة باريز

يزداد عدد الطلاب في هذه الجامعة سنة فسنة وعدد الاجانب فيها يقارب عدد الفرنسيين ففي قسم الآداب يوجد ٨٠٠ اجنبي و١١٤٧ فرنسويا وفي قسم الطب ٣٥٠ اجنبيا و٣١٨ فرنساويا ومجموع طلبتها ٢١٢١

موسيقى المستشفيات

أثت في باريز موسيقى خاصة بالمستشفيات تعزف لتسليه المرضى ولا سيما الناهين منهم فأثت بنتائج حسنة حملت جميع البلاد عَلَى اقفاء اثر فرنسا في هذا الصدد فتأثت موسيقى من نوعها في بطرسبرج عاصمة البلاد الروسية

الاتومويل في المانيا

نجحت صناعة الاتومويل في المانيا نجاحاً باهراً فزاد عدد معاملها من ١٥ الى ٥٨ في بضع سنوات وارثى ثمن المصنوعات من ستة ملايين مارك الى ثمانين مليوناً قوة الولايات المتحدة

بات حديث الحرب شائعاً في جميع انحاء الولايات المتحدة وشرعوا يتساءلون عن مبلغ قوتها ابان الحرب فكتب كاتب اميركي قول : عندنا جيش منظم في زمن الحرب فجهز الميليس والمنطوعين فيستدعي الاولين رئيس الجمهورية على ان الآخرين لا يجتمعون الا بعد قرار المجلس والميليس انفسهم يقسمون الى قسمين الحرس الوطني وغير المنظم ولنا حسب تقرير سنة ١٩١٠ جيش فيه ٨٥٣٩٢ جندياً وضابطاً وليس لنا من فرق

الخفر سوى فرقة المدفعية الساحلية والتابور يولف من ٨٠٠ الى الف رجل فيهم المشاة والمدفعية والفرسان وليس عندنا في زمن السلم سوى ٣٤٤٥٦ جندياً وضابطاً وينبغي لنا ان ننجد ٧٠٠٠ - آخرين ليكونوا قوة سيارة ومعظم ما يبلغه عدد الميليس المظم ١١٩٠٠٠ بين جندي وضابط اما سائرهم فلا يعمل عليه في غمرات الحرب واذا ضممتنا اليهم المشطوعة بلغ عدد جيشنا ٢٢٤٠٠٠ تملك ٥٣٢ مدفعاً . يقولون ان الحاجة تسن الشريعة فعلينا ان نحدد الجيوش وندعو الامة لحمل السلاح وفي الولايات المتحدة ١٦ مايوئنا من الرجال تختلف اعمارهم بين ١٨ و ٤٥ فاذا دعي نصف هؤلاء للتدريب كان لنا جيش يبلغ الثمانية ملايين يزود عن بلادنا غارات الاعداء ولا ينكر ان مواقيتنا محصنة ولكن ننقصها الذخائر والمؤمن

جنازات المعمرين

كان قدماء المعمرين في عهد الفراعنة يعتقدون ان الاموات يعبرون الى اواراء جبال ليبيا حيث تموت الشمس في المساء لتبعث في اليوم التالي فكانوا يشيدون اضرحتهم في الغرب ويمسبون ان الاموات ينزلون سهل عيرو وفي احدى اوراق البردي المكتشفة رسم الشعائر الدينية التي قاموا بها في جنازة احدى السيدات وكانوا يحاكون الميت محاكاة عثروا على صورتها في ورقة اخرى ويضخون عن نفس الاموات التلفور في الابعاد السابعة

تقدمت المراسلات التلفونية تقدماً غير منتظر ونجح المكتشفون بنقل الاصوات في الابعاد السابعة فدوا اسلاكاً تحت البحر بين ابونس كليف قرب دوفر في انكلترا ورأس كرينه في فرنسا وقد توفرت في الاسلاك جميع الشروط المطلوبة حتى انها فاقت عامة الجهازات المستعملة للمخاطبة عن بعد صحيح ويمكن استعمالها بين محطات لا تتجاوز المسافة بينها الفاً وخمسمائة كيلومتر ويعتقدون انهم يستطيعون ان يصلوا بين لوندرا واستراخان بالتلفون فيمتاز مدن اوربا كافة ويؤكد المهندس الانكليزي انه بعد عشر سنوات تقدر شيكاغو ان تخاطب بطرسبرج وشركات التلفراف والتلفون في اميركا ترى انها باللغة يوماً بتسنى لها فيه الوصل بين شرقي الولايات المتحدة وغربها باسلاك التلفون وتعلن انه قبل انقضاء هذه السنة يتم معظم المشروع ويسود في نيويورك ولوندرا اعتقاد بان الاكتشافات الكهربائية ستجعل المخاطبة التلفونية ممكنة بين اي نقطة وثبت اليوم ان الاصوات المنقولة بالجهازات الحديثة تسمع بوضوح وجلالة

وهرفوا من التجارب ان ليس ثمة من فائدة في تقليد الاسلاك بالمطاط اذا لم يكن منه اضرار وفي التليفون اسرار لا نكتشف الا تدريجاً كما هي الحال في التلغراف والفونوغراف والنور الكهربائي ومحركات البخار وتوفر العمال على الانتفاع بذلل كل يوم هبات حمة حتى لنستطيع القول مع نابليون ان العالم ليس لديه مستحيل
باريز ميناء بحرية

يفكرون اليوم بمحرف قناة بين باريز والاقويانوس ويقدرّون نفقاتها بنحو اربعمائة مليون فرنك وبالفون في منزلة هذه القناة الاقتصادية والحربية غير ان باخرة واحدة تفرق فيها ايام الحرب تسدها وتجعل المرور فيها مستحيلاً والقانون بالمشروع يهبجون رغبة الناس اليه ويضربون الامثلة ان انكسرتا حفرت قناة مانستر والمانيا قناة كيال وان بلجيكا تدأب لتحول عاصمتها بروكسل الى فرضة بحرية . ولكن هذه الافقية الاجنبية لم تكن للدول مورد غنم وفائدة لأن ارباحها ضئيلة جداً مقابل نفقاتها الفاحشة
المرض في روسيا

نشر احد الاساتذة في الاكاديمية الطبية احصاء للأمراض التي تنفاب الروسيين جاء فيه انه يمرض كل سنة منهم ١٧ مليوناً اي واحد في السنة ويمحذ مليون وخمسمائة الف وفاة . اما الاصابات فتمتد ستة ملايين بالامراض السارية يتوفى منها ١٢٠٠٠٠٠ واشد تلك الامراض فتكاً الجرب والملاريا والسل الرئوي وحى النفوس
التعليم في نروج

سنة ١٨٨٥ انشيء في نروج جامعة للفعلة مدت فروعها في البلاد منذ ذلك الحين فاصبح لها سبعون شعبة ونظارة المعارف تساعد هذه الجامعة والفعلة المتخرجون فيها يتعهدونها بالهبات والاعطيات وبلغ عدد الحضور في جامعة كريستيانيا ٤٢٠٠٠ وهو عدد مفرط الكثرة بالنسبة لعدد الشعب وفي هذه الجامعات مكاتب للمطالعة ومعامل من الطراز الاول

الجامعات في الدانمارك

الدانمارك بلاد زراعية رأى الناعون من اناسها ان يطلّفوا بنشر المعارف فيهم فانشأوا الجامعات الوطنية تلي دروسها في الشتاء فقط اذ لا يكون للزارع وقتئذ ما يجب عليه عمله
فيجدهم اليها الوف من خياف الدانماركيين ومزارعيهم من يعملون صيفاً في الحقل

والمزارع فيقبلون على الطلاب ويتلقون الدروس في معاهد تقوم بها جمعيات مختلفة تمدّها الحكومة بالمال

وبقصدون من هذه الدروس الى تعريف العامل بوسائل تحسين الزراعة فيدروسونه الكيحياء والزراعة على الاصول الحديثة ويزودونه بالمعارف التي تفيدته فيحياته ولا يهملون فيها التهذيب العام

المدرسة الافرنسية في بطرسبرج

تسعى فرنسا لنشر تهذيبها في العالم بأسره فهي لم تكف عن يقد عليها من الطلبة الاحانب بل عمدت الى نشر مدارها في البلاد فانتأّت مدرسة فلورنسة واخرى في مدريد وسيوسس لها مثيل في بطرسبرج عاصمة الروس وقد قال احد كبار الفرنسيين « ان وجود مثل هذه المدرسة في عاصمة شعب يبلغ عدده ١٦٠ مليوناً شديد الارتباط بالشعب الفرنسي يكون له نتائج جلي » فاصفت امته الى قوله ولا يلبث المشروع ان يتحقق

دور المطالعة في اميركا

سبقت اميركا سائر البلاد في اشاء هذه الدور وتألّفت الجمعيات للاكثار منها وعقد مؤتمر لها في فيلادلفيا سنة ١٨٧٦ قرر ان تنشر دور المطالعة في عرض البلاد وطولها لتهذيب الشبان والعمال وكانوا لا يسمحون بدخولها الا لمن ناهز الثامنة عشرة من عمره ثم خفضوا ذلك الى الثانية عشرة فالثالثة فالتاني وقيمو تلك الدور مكفوفين بارشاد الاطفال الى مطالعة الكتب الاغزر فائدة لهم وقد يجهشهم الطفل طالباً كتاب قصص عن ذوي الجلود الحمراء فلا يزالون به حتى يطلب كتاباً اوفر نفعا واجزل عائداً ولم تكف الجمعيات بذلك بل اشأت مستودعات للكتب في الحارات المختلفة قائلة يجب علينا ان نسير الى الفتيان والفتيات ولا ننظر مجيئهم اليانا وارادت المدرسين على تسهيل المطالعة للطلاب باعارتهم الكتب التي يرغبون فيها او باشاء مكاتب صغيرة للمطالعة في مدارسهم وما ازدهرت هذه المكاتب الا بفضل المتبرعين لها من انصار العلم والانسانية والباذبن في سبيلها مبالغ جسيمة وحسبك بهات كارنجي وغيره من كبار الاغنياء دليلاً على ما نقول وبنوا لمن بلغوا اندم مكاتب فيها جميع المجلات والصحف الصادرة في ذلك اليوم فيحيثما الشبان في اول امرهم لمطالعة هاتيك الوريقات ثم يالفون المطالعة رويداً رويداً فيتشوقون الى قراءة المصنفات النافعة المتمعة وفي مدارس

الشعب مكاتب عامة خدمت التهذيب العام اجل خدمة وعملت على ترقية روح الشعب .
قلنا ان اغنياء الاميركنيين تمهدوا تلك الدور بالهبات الطائلة ولقد انشأ المستر
اندر و كارنجي الغني المشهور الفكا وثم ثمانية مكتبة انفق عليها ٥١ مليون دولار ونيفاً
وكها في البلاد التي يتكلمون فيها باللغة الانكليزية فهي منتشرة في الولايات المتحدة
وكندا وانكلترا وبلاد الغال وايرلندا وايكوسيا وزيلاندا الجديدة والهند الغربية
الانكليزية واوستراليا وسمانيا وافر بقية الجنوبية وغيرها

مخطوطات وطبوعات

توجيه النظر الى علم الاثر

تأليف الشيخ طاهر الجزائري طبع بالمطبعة الجمالية بمصر على نفقة احمد افندي ناجي
الجمالي ومحمد امين افندي الخانجي واخيه ص ٤٢٠

اعتاد استاذنا مؤلف هذا الكتاب ان يضع تأليفه في اكثر العلوم المختلفة التي هو امامها
الحققي بحسب المناسبات فبينما تراه يؤلف كتاباً في البيان اذا هو ينظم بدعيمة
ويشرحها وبنها هو يؤلف كتاباً في الطبيعيات اذا هو يكتب كتاباً في قصص الانبياء
وفيه رد على من طعن بالاسلام فتارة يؤلف في العقائد واخرى في النحو وطوراً في
الخطوط واحياناً في الحساب والمساحة ثم تراه يشرح رسائل ابن نباتة ويودعها من
دقيق الابحاث ما ينفع ويلذ ثم يكتب كتاباً في الاغاز والاحاجي وآخر في الادب
ثم في اللغة ثم في التاريخ ثم في التفسير وآخر كتبه هذا المصنف الجليل الفه على غير مثال
احذاه وان كان المؤلف الامام لا يسير خطوة بدون الاحالة الى كتب الائمة واستخراج
درر مجوهرهم والانتفاع بعلومهم . لا نعلم اليوم عالماً من علماء الاسلام جمع فاعى في الفنون
المختلفة مثل هذا المؤلف واجاد كل الاجادة فيما ألف واختار المناسبات لاطهار مارزقي
من علم وفضل تجارب . وقد وصف كتابه الاخير في سطر فقال : « اما بعد فهذه
فصول جليلة المقدار ينفع بها المطالع في كتب الحديث وكتب السير والخبار واكثرها
منقول من كتب اصول الفقه واصول الحديث » ولكن ما نقله الاستاذ لا يسهل على
كل عالم ان يظفر به دع عنك من دون درجة العلماء وقد ضمه انفع ما وقع عليه في

ابجائه وما اطلع عليه من كتب السلف ومن اهم ما قرأنا فيه مقالة في الخط العربي والحركات العربية ما نظن عالماً شرقياً او غربياً يكتب ما يدانيها في التحقيق والجمع باطراف هذه المسألة مما دل على بعد غور العلامة المؤلف واصلاحه الشديد في خدمة العلم امنع الله الاندية العلمية بثمرات فضله

المجازات النبوية

للشريف الموسوي السيد الرضي طبع بمطبعة الآداب في بغداد على نفقة سيد حسن صدر الدين ص ٢٨٧

كتاب جليل يشتمل على مجازات الآثار النبوية وفيها كثير من الاستعارات البديعة ولعل البيان الغربية واسرار اللغة اللطيفة وهو من افيد ما احب من آثار السلف قدم الطابع امام الكتاب ترجمة مؤلفه وناهيك به من حبر كبير من احبار الاسلام وبحر من بحور العلم والعرفان . وكنا نود لو عني الطابع بتصحيح الكتاب على احد علماء العرب في العراق ليكمل تأليفاً ووضعاً وطبعاً وشكلاً وعلى كل فله من الآداب الثناء

تاريخ التمدن الاسلامي

تأليف جرجي افندي زيدان نقله الى التركية زكي بك مغاخر طبع بمطبعة قناحت في الاسكندرية سنة ١٣٢٩

نشر المترجم وهو من الكتاب المجيدين بالعربية والتركية ترجمة تاريخ التمدن الاسلامي وسماه « مدنيت اسلاميه تاريخي » عني بنقله طبق الاصل بحيث لا يشعر قارئه باللسان العثماني انه مترجم ويوقن من قرأه بالعربية اولاً ثم قرأه بالتركية ان المترجم استعمل غاية الامانة في نقله فاستحق ثناء الآداب العربية ونفع بما نشر مكاتب اللغة العثمانية . وقد نشر منه حتى الآن ثلاثة اجزاء وبقي عليه الجزآن الاخيران

كتب مختلفة

رحلة قيصر افندي صباغ وقرينته العقيلة فحلا (مطران) صباغ بين الولايات المتحدة الاميركية وسورية ولبنان طبعت بالمطبعة الايوبية في بيروت

العبر — نظمها ميخائيل افندي الصقال بعد حوادث سنة ١٩٠٩ في انطاكية وغيرها من بلاد قيليقية طبعت بحلب في المطبعة المارونية

صحيفة الوجدان — هي شذرات من منظومات محمود رمزي افندي نظم من ناشئة شعراء مصر في موضوع التربية والاجتماع وتربية النساء

سمير الاليلي — الجزء الثاني مصدر الغرائب الزمانية في اشهر الحوادث التاريخية تأليف
محمد امين افندي الصوفي السكري طبع بمطبعة البلاغة بطرابلس الشام على نفقة المكتبة الرفاعية
ارجوزة في علم القيافة — للتشيخ محمد امين العمري المتوفى سنة ١٢٠٤ طبع
بمطبعة دار السلام ببغداد

تحذير المسلمين عن اتباع غير سبيل المؤمنين للشيخ عبد العزيز البداح الكويتي
طبع بمطبعة دار السلام في بغداد
منظومات جميل افندي الشطي الدمشقي نظمها في اغراض مختلفة ومنها الاجتماعي
طبع بمطبعة الانصاف بدمشق

ثلاث مجلات

كان الشهر الماضي من ابرك الشهور على الآداب العربية في مصر والشام والعراق
نشأت للغة العربية في هذه الاقطار ثلاث مجلات رائقة نشرها رابها عن كفاءة بعد التخرج
في الموضوعات التي عانوها سنين فجاءت مجلاتهم ناضجة في الجملة من اول صدورهم فالجدة
الاولى صدرت بالقاهرة اسمها « البيان » وهي تبحث في الادب والتاريخ والفلسفة
والاخلاق والتربية والاجتماع والنقد والروايات والصحة وتدبير المنزل وتعنى بنشر آثار
الغرب وآثار العرب لمنشئها الشيخ عبد الرحمن البرقوقي ومحمد افندي السباعي وهي
شهرية في ٨٠ صفحة واشتراكها السنوي ٥٠ قرشاً مصرياً . والمجلة الثانية « مجلة
الآثار » وهي عامة المباحث شهرية تصدر عن رحلة في لبنان لمنشئها عيسى افندي
اسكندر المعلوف واشتراكها في البلاد العثمانية ريال مجيدي ونصف وفي غيره عشرة
فرنكات وهي شهرية في ٣٢ صفحة . والمجلة الثالثة « لغة العرب » وهي شهرية ادبية
علمية تاريخية لمنشئها في بغداد الاب اناس ماري الكرمل واشتراكها في الديار
العربية تسعة فرنكات وفي الديار الاجنبية اثنا عشر فرنكاً وعدد صفحاتها ٤٠ .
تصفنا الاعداد الاول من هذه المجلات المتقنة رأينا فيها ابحاثاً متمعة وشذرات مفيدة
تدل على بعد غور اصحابها العالمين الباحثين وادبهم وغيرتهم على نشر الفضائل والمعارف
واكل منها ميزة تختلف عن الاخرى وكلها متناسبة في التنسيق والجمع بين ما يروق
الخاصة ولا يتبرم به العامة فمسي ان تجد هذه الصحف من الناطقين بالصادا تستفي من
الاقبال ليزيد ذلك في نموها ويضمن لها البقاء حتى تضاهي اكبر المجلات الاوربية بعون الله

المقابر

كتب اللغة الانتقادية

اختلط العرب بالاجانب بعد الفتح فأثر التياهم بهؤلاء فيهم آثاراً سبقها التأثير في لغتهم لان اللغة وهي آلة الترجمة والتفاهم اقرب الى الانفعال من الاخلاق والعادات بل هي المدخل الى انفعال الآداب ولنا من اهتمام الامم الحية بنشر لغاتها دليل بات على ذلك ولا اريد هنا شياع الالفاظ الدخيلة^(١) وتسربها الى العربية فان ذلك انما ظهر بعد تبسط الامة في العمران ولكن اريد بذلك اللحن الذي حدث بعد الفتح او في آخرياته والعرب عرب في ازياتهم واوضاعهم وشظفهم في المعيشة فقد بدأوا يلحنون في التراكيب ثم في المفردات وانتهى ذلك بوضع علمين علم يحفظ التراكيب عن الخطأ وهو النحو وآخر يحفظ المفردات الصحيحة وهو علم اللغة وابتدأ العلماء قبل عهد التدوين ينتقدون اللحن في محاوراتهم ثم دونت اللغة ودون في اثنائها فن يصح ان يسمى (اللغة الانتقادية) وهو فرع بمعنى خاص من علم اللغة تنتقد فيه المفردات المستعملة غلطاً في كلام الخاصة والعامة فيذكر فيه المصحف والحرف والمقلوب والمستعمل في غير موضعه والمتغير وضع حر كانه وسكناته وقد ألف في هذا الفن جماعة من اقدمهم ابو عبيدة

(١) شاع في العصر العباسي استعمال العرب والمولد شيوع الاجنبي في هذه الايام وهذا هو القصد من نسبته لذلك العصر عصر تبسط الامة في العمران لانه حدث فيه ابتداء فان كثيراً من الدخيل يرجع الى عهد احتكاك العرب بقدماء المصريين وبالفرس والهنود وغيرهم من الامم التي احتك العرب بها في الجاهلية فافتبسوا منها مفردات غير يسيرة

ممر بن المنى اللغوي البصري المتوفى سنة ٢١١ وقيل قبل ذلك الف كتاب (ما لحن فيه العامة) ولعله اول من كتب في هذا الشأن فاني لم أجد غيره ممن طرق هذا الباب الا اتى منه وللإمام ابي بكر المازني المتوفى سنة ٢٤٨ كتاب بهذا الاسم ولا ياتي حاتم سهل بن محمد السجستاني العالم الشهير المتوفى سنة ٢٥٥ وقيل قبل ذلك بقليل كتاب (لحن العامة) وبهذا الاسم كتاب لابي حنيفة احمد بن داود الدينوري المتوفى سنة ٢٩٠ والفاضل بن سلمة الفاضل الكوفي صاحب الاستدراك علي العين وكان معاصراً للفراء ومنقطعاً للفنم بن خاقان كتاب (الفاخر) في لحن العامة وبهذا الاسم ايضاً كتاب في لحن العامة لابن البلخي وكان مستوفياً في بلخ علي عهد السلطان محمد السلجوقي والفاضل بن الحسن الزبيدي الاشبيلي المتوفى سنة ٣٧٩ كتاب (ما يلحن فيه عوام الاندلس) ولا ياتي هلال العسكري صاحب كتاب (الصنائع) المتوفى سنة ٣٩٥ كتاب (لحن الخاصة) والفاضل بن باقي محمد بن علي السبتي المتوفى سنة ٧٣٣ كتاباً في لحن العامة وفيه كتاب لابن هشام محمد بن احمد اللخمي المتوفى قبل الستمائة

وقد انتقد جماعة من اللغويين كتب آخرين منهم فن الكتب المتقدمة وهي في موضوع انتقادي كتاب (درة القوام في اوامير الخواص) وهو الكتاب المعروف لابي القاسم محمد بن عثمان الحريري البصري صاحب المقامات المتوفى سنة عشر وخمسمائة وقيل سنة ٥٤٦ وقد اعتنى به الادباء فحشاه وشرحه واختصره وزاد عليه ورده ونظمه جماعة منهم ومن شرحه شرحاً انتقادياً شهاب الدين الخفاجي المصري صاحب الديوان المعروف وابو الثناء اللوسي البغدادي صاحب (روح المعاني) وسمى شرحه (الطرة) وزاد عليه ابر منصور موهوب بن احمد الجواليقي المتوفى سنة ٥٣٩ ملحقاً سماه التكملة واكن في لحن العامة ومن رد عليه ابن الخطيب المتوفى سنة ٦٧٠ ورد علي الحريري في الدرر ايضاً ابو جعفر محمد بن عبدالله المكي اللغوي المتوفى سنة ٥٦٥

ومن العلماء النقاد ابي نعيم علي بن حمزة اللغوي البصري المتوفى سنة ٣٧٥ رد علي ثعلب في الفصح كما انتصر له ابن خالويه ولا ياتي نعيم هذا ردود علي جماعة من اللغويين وصنف ابو حاتم المروزي كتاب (الرد علي ابي عبيدة) في غريب القرآن ولعبد السلام بن عبد الرحمن اللخمي الاشبيلي المتوفى سنة ٦٢٧ كتاب يرد به علي ابن سيده صاحب المختص المتوفى سنة ٤٥٨

ومن رجال الانتقاد في اللغة محمد الدين الفيروز بادي صاحب القاموس فقد خطأ جماعة من اللغويين منهم احمد بن فارس القزويني اللغوي صاحب (المجمل) المتوفى سنة ٣٩٨ فان الفيروز بادي جمع عليه الف وهم في كتابه المعروف بالمجمل وذلك في كتاب مستقل وكتاب المجمل هذا يقع في جزئين كبيرين ويوجد جزؤه الاول عند احد الادباء في النجف مخطوطا في القرن السادس على ما اظن ولا احفظ السنة ويوجد منه جزء في مكان آخر ولا اعلم اهو الاول ام الثاني ومن خطأ صاحب القاموس الامام ابو نصر اسمعيل بن حماد الجوهري صاحب (الصحيح) المتوفى سنة ٣٩٣ فان من يتصفح القاموس يجد نسبة الوم الى الجوهري في مواضع كثيرة منه والقاموس انما بني على انتقاد الصحاح والزيادة على ما فيه ثم ان الفيروز بادي يغامى ابن فارس اكثر مما يتحاشا من الجوهري على ان صاحبي المجمل والصحيح متعاصران لا يعلم ان الجوهري اجد فيما كتب اكثر من ابن فارس ولكنه انما تناول الاول وحطه منه لتوفر الناس على مطالعة كتابه واشتهاره اكثر من المجمل فنال غرضه وهو ان نبذ القراء الصحاح واقبلوا على القاموس وهو وان كان اوفر مادة الا انه اعجمي اللهجة ثقيل العبارة عكس الصحاح

وانتقد الصحاح جماعة غير الفيروزبادي منهم الامام ابو عبدالله ابن بري المتوفى سنة ٥٧٢ هـ كتابه (التنبيه والابضاح عما وقع من الوم في كتاب الصحاح) والقايني الاكرم علي بن يوسف القفطي مؤلف تاريخ النحاة^(١) من علماء القرن السادس كتاب (اصلاح الغلل الواقع في الصحاح) والصفدي صاحب شرح لامية المعجم المتوفى سنة

٧٥٧ كتاب (تفوذ السهم فيما وقع للجوهري من الوهم) وقد انتصر للصحيح على القاموس جماعة منهم القاضي اويس بن محمد المتوفى سنة ١٠٣٧ في كتاب سماه (مرج البحرين) ومنهم ابو زيد عبدالرحمن بن عبدالعزيز نزيل مكة في كتاب سماه (الوشاح في رد توهم المجد للصحيح) وقد اعتمد المؤلف في رده على مجمل ابن فارس ومختصر العين للزبيدي وعلى نسخة من نهاية ابن الاثير بخط المصنف وعلى نسخة وقت له من الصحيح خالية من التصحيف والتخريف المعارضين للذين اوها بعض المنتقدين فرد على الجوهري في بعض المواضع وقد احسن نصير الصحيح هذا في دفاعه ماشاء ولا يكاد يوجد هذا الكتاب الانتقادي على انه مطبوع وهو يقع في ١٣٤ صفحة متوسطة طبع سنة ١٢٨١ يولاق بالمطبعة الكبرى الممتازة

وقد ألف النقادون كتباً في الرد على القاموس نفسه منها كتاب (الدر اللقيط في اغلاط القاموس المحيط) لمحمد بن مصطفى الشهير بدادود زاده المتوفى سنة ١٠١٧ ولدي كتاب (القول المأثور في شرح مغلق القاموس) وهو تعليقه جمعها مؤلفها من حاشيتين احدهما لعبد الباسط سراج الدين البلقيني والاخرى لجمال الدين الشهير بسعدي الرومي والكتاب مبني على ايفساح بعض الجمل والمفردات وقد تذكر فيه مواضع الخلاف بين صاحب القاموس وصاحب الصحيح وغيره ويزاه عليه من المعاني في الصحيح ما قد اغفله الفيروزبادي وردت فيه بعض المواد التي ادعى اغفال الصحيح اياها الى نسخة من الصحيح مصححة وجدت تلك الالفاظ في هامشها وخط التعليقة حسن متأخر وورقها جيد مذهب وصفحاتها ١٤٦ ولا اعرف لها ثانية

ومن انتقد القاموس ورد عليه السيد علي خان صاحب (سلافة العصر) و (انوار الربيع) وهو احد اعلام الادب في القرن الحادي عشر فانه ألف كتاباً سماه (اللغة سماء الطراز) ولكنه لم يتم ويوجد جزآن منه في بعض المكتبات الخاصة في النجف وسمعت صاحبه يقول انه تدبج سقطات صاحب القاموس كما تتبع هذا سقطات صاحب الصحيح فهو يقول ووم (الفيروزبادي) كما يقول الفيروزبادي ووم (الجوهري) وآخر من تجرد للرد على القاموس فيما اعلم الرحوه احمد فارس صاحب الجوائب وكتابه (الجاسوس) معروف عند المتأدبين وهو من احسن الكتب الانتقادية

والمنفعة العربية في نشأتها الاخرى اي بعد انتشار الصحف اخذ بعض الكتابين بنقد الالفاظ والأساليب العامة والريكة المفضية من الأجانب ومن اقدم جهاداً

في ذلك الرحم الشيع ابرهم اليازجي فانه كتب في مجلة (الضياء) وفي غيرهما فصولاً في
الاصلاح اللغوي صحح فيها اغلاط الكتاب وانتقد لهجتهم ولكنه اخطأ في اشياء بني
علي خطم القوم فيها ولا يزال ييجي في الجرائد والمجلات شي من الانتقاد اللغوي سواء
كان ذلك على الكتب المؤلفة او في مقالات خصت بانتقاد اغاليط الكتابة المصرية
والمقتبس في المجلة التي تسير على هذا المبدأ الصحيح الذي يبشرنا بحياة جديدة لهذه
اللغة التي امتنها اهلها وحمل الناس على اهانتها اقتعاد ابنائها غوارب الفرقة والجهالة

ومن الرسائل التي قرأناها في اللغة الانتقادية رسالتان وفقت عليهما في مجموعة ذات
رسائل في موضوعات شتى واسم احدهما (سقطات العامة) وهي كراسة صغيرة مرتبة
على حروف الهجاء وقد شذ منها بعض حرف الحمزة والرسالة غير منسوبة لاحد ولم
اجدها في كشف الظنون الا ان لهجة كاتبها تدل على انه من المتأخرين والرسالة الثانية
تقع في كراستين ونصف وهي كسابقتها مرتبة على الحروف لكنها خيرة منها واجمع انصح
لفظاً وارصن تعبيراً ولم ننسب لمؤلف ايضاً وفي كثير من فصولها يذكر ما نصه (الزائد
من كلام ابن الحوزي) ولعل هذا هو ابو الفرج عبدالرحمن صاحب كتاب (المدهش)
الذي نشر المقتبس وصفه وخط الرسالتين سقيم حتى لا يكاد يقرأ هذا والى قراء المقتبس
شيئاً مما جاء في سقطات العامة ^(١)

فصل الحمزة

مما جاء فيه (الابوان) بكسر اوله الصفة العظيمة والناس يفخون همزته وهو لحن
اذ هو لفظ عربي كالديوان ولكن يجوز الفتح في الديوان حكاه في القاموس

فصل الباء

مما فيه (البرية) بتشديد الراء الصحراء والجمع ابرار وتخفيف الناس راءها (عامة
العراق تشدها اليوم) غلط اذ هي بالتخفيف من برأ الله الخلق اي خلقهم (البشارة)
هي بالفتح بمعنى الجمال والاسم من البشرى بكسر الباء وضمها لا غير والناس (عامة العراق
تسكن الباء) يفخون الباء في الاسم من البشرى وهما منهم (الباكرة) هي من مخترعات

(١) يراد بلعامة احط طبقات الهيئة الاجتماعية في العلم والآداب والظاهر انه
ينبغي لنة بلاد خاصة من بلاد العرب فان بعض اللحن لا يوجد في بعض الاقطار وان
كان بعضه عاماً

العوام وليست من كلام العرب والصحيح البكر (بنيامين) هو كاسرافيل اخو يوسف عليه السلام ولا نقل (ابن يامين) وقد شاع بين الناس ابن يامين ظناً منهم انه لفظ عربي وليس كذلك بل هو اعجمي وهو غير الذي في معلة طرفة (البلور) على وزن نور وسنور معروف فكسر الباء مع ضم اللام على ما هو المشهور لحن

فصل التاء

مما جاء فيه (التوامان) هذه اللفظة ثنية توأم يقال اتأمت المرأة فهي متأم اذا وضعت اثنين وغلط الناس انهم يستعملونه بمعنى (التوأم) اي المفرد (الترجمة) بفتح الجيم مصدر على وزن فعلة من ترجمه وترجم عنه اي فسر وما شاع بين الناس من ضم الجيم خطأ (التهمان) يقولونه بفتح التاء وضم الجيم ولم يقل به احد من اصحاب اللغة

فصل التاء

مما فيه (الثقل) كمنب ضد الخفة ويستعمله البعض في هذا المعنى بسكون القاف وهو خطأ قال في القاموس الثقل واحد الاثقال كجمل واجمال (الثيب) يزيدون في هذه اللفظة تاء ويقولون (ثيبة) وهو خطأ لانها وردت مجردة عن التاء بلا خلاف

فصل الجيم

مما جاء فيه (جمادى الاولى والاخرى) فعلى كجالي والعوام تستعمله (لم نسمع هذا الاستعمال) بالمعجمة المكسورة ويصفونها (هذا معروف) بالاول فيكون فيه ثلاثة تحريفات قلب المهملة معجمة والفتحة كسرة والتأنيث تذكيراً وكذا جمادى الاخرى يقولون فيها جمادى الآخر بلا ياء والصحيح الآخرة او الاخرى وهما معرفتان من اسماء الشهور وكذا ربيع الاول وربيع الآخر في الشهور واما ربيع الازمنة (يريد الفصول) فالربيع الاول باللام

فصل الحاء

مما جاء فيه (الحباب) يستعمله الأكثر في النفاخت التي تعلو على وجه الماء بضم الحاء وهو خطأ اذ هو بضم الحاء المحبة فالصحيح فتح الحاء (كعب الاحبار ^(١) هو بالحاء) المهملة واشتهر بين العوام بالمعجمة لكثرة ما يرويه من الاخبار قال في الصحاح كعب

(١) في القول المأثور ما نصه قال المصنف وكعب الحبر ويكسر ولا نقل الاخبار انتهى قوله (ولا نقل) قد وقع ذلك للؤلؤف صيف تبع وتبيع بن حاسم بن امرأة كعب الاحبار

الحبر منسوب الى الحبر الذي يكتب به لانه كان صاحب كتب وقال صاحب القاموس ولا يسمع الاخبار (اي بالمجمعة) الا في الروايات (الحيدر) هو بالحاء المهملة من اسماء الاسد والحمانون يستعملونه (هذا الاستعمال لا يعرف في العراق) بالمجمعة وههنا حمل المؤلف على الناس متأففاً من الجهل والتقليد فكأنه يدعوهم ليعملوا مستقلين لا يضلحكم القديم ولا العادات الموروثة فقال يستعملونه بالمجمعة لعدم زوال الكزازة منهم بتحصيل طرف من العلم بل ربما يسمعون الحق فلا ينتهيون لان ترك المؤلف صعب ! (الحيوان) هو بالتحريك جنس الحمي وأصله حيوان ذكره في القاموس فاسكان الياء كما فعله العامة لحن

فصل الدال

مما فيه (الدعاوي) هي كهماري ^(١) جمع الدعوى وبكسر الراء خطأ (الديانة) هي معروفة فلحن بعض العوام بتقديم النون على الياء (هو غير معروف) وقولهم دنابة عن الجهل كناية وعلي اللفظ جناية

فصل الذال

من بعض ما فيه (الاذعان) الغلط فيه من حيث يستعملونه بمعنى الادراك فيقولون اذعنت بمعنى فهمت والصحيح اذعنت له وهناه الخضوع والذل (الاذئاب) وقع في مختصرات الصرف (الزاجر عن الاذئاب) زعموا انها الاذئاب على وزن افعال جمع ذنب بمعنى الاثم وانما الاذئاب جمع ذنب بفتح النون

فصل الزاء

جاء فيه (المراثية) هي بالتخفيف مصدر قال سيف الصحاح رثيت الميت من باب رمى رثاءً ومراثية ايضاً اذا بكيت، وعددت محاسنه قشديد الناس ياءها (وهذا شائع بن الشنئين الى الادب) لحن محض واما القصيدة فهي مرثي فيها (وبصح اطلاق المراثية عليها) (الرفاهية) هي بالتخفيف كالطواغية يقال فلان في رفاهية من العيش اي في سعة وخصب ولين والناس يلحنون (هذا اللحن شائع ايضاً) فيها بتشديد الياء

فصل الزاء

بعض ما فيه (الزعيم) هو بمعنى الكفيل قال سبحانه وتعالى (ولن جاء به حمل بعير وانا به زعيم) وفي الحديث (الزعيم غارم) فاستعمال الناس اياه على انه من الحسبان مبني على الزعم الفاسد

فصل السين

مما جاء فيه (السبق) من باب ضرب والناس يزيدون فيه تاءً فيقولون (السبقة)

(١) لو مثل بالفتاوى لكان احسن لان الصحاري بكسر الراء موجود صحيح

فهو لحن منهم ويمكن ان يقال يجوز ان تكون الراء للمرة كالضربة لكن من تتبع استعمالهم يعرف انهم لا يقصدون بها المرة بل يستعملونها بمعنى المصدر فقط فيقولون (هومن قبيل سبقة الاسان) (السحور) هو بالفتح اسم لما يتسحر به كالنبوق والصبح لما يشرب في العشاء والصبح فضم السين (وبالضم يستعملونه اليوم بمعنى السحر الذي هو قيل الفجر) كما يفعله بعضهم خطأ (السلس) عُلِّيَ وزن كَتَفَ نقول شتى سلس اي سهل ورجل سلس اي لين منقاد وفلان سلس البول اذا كان لا يمسكه فالسلس بزيادة الياء عُلِّيَ ما هو المشهور غير سلس بل هو لحن محض (مسيلم) تصغير مسلمة اسم للكذاب المشهور فمن يقوله بالفتح ويدعي الصحة اكذب منه

فصل الشين

فيه (الشباة) هي لفظة مستعملة بين الناس ولكن لا صحة لها والصحيح الشبه بفحنتين نقول بينهما شبه

فصل الصاد

فيه (الصلاحية) اخبرها اصحابنا بتشديد الياء واستعملوها كذلكها من الالفاظ المحملة والمصدر هو الصلاح والصلوح

فصل الظاء

مما فيه (المظلة) بكسر اللام عُلِّيَ وزن محمودة مصدر ظلم قال في الصحاح ظلم بظلم ظاناً ومظلة انتهي والناس يفتخون لامها فيقولون مثلاً ضرب اليتيم مظلة اي ظلم وهو خطأ اذ هي بفتح اللام ما تطلبه من الظالم وهو اسم ما اخذ منك

فصل العين

فيه (المحجب) شاع بين الناس بكسر الجيم وهو خطأ (المعلن) بكسر الدال مثبت الجوهر من ذهب ونحوه من عدن بالمكان يعدن اي اقام ومنه (جنات عدن) اي جنات اقامة (الاعطاف) هو جمع عطف بكسر العين بمعنى جنب الشيء والجانبان المعطفان والناس يحسبونه جمع العطف بفتح العين بمعنى الاشفاق فيقولون (لا يبعد من الطاف مولانا واعطافه ان يفعل كذا) (عاين) بخفيف الميم خطأ والصحيح

(١) لم ينقد فيه شيئاً ولعله يريد ان استعماله في نفس الجوهر خطأ وليس كذلك :
المقنيس الاظهر انه اراد شيوع فتح داله وهو خطأ لانه كجلس ولذا قال الزيدي في تاج العروس : وحكى كقعده وليس بثبت اه

بتسديد الميم منسوب الى العامة (العيش) هو بفتح العين وكسرها على ما شاع خطأ
لان العين اذا كسرت تلزم التاء كعيشة راضية

فصل العين

مما فيه (الغذاء) بالذال المججمة على وزن كساء ما به نماء الجسم وقوامه هكذا فسرره
في القاموس وقال في الصحاح (الغذاء) ما يتغذى به من طعام او شراب وقد شاع بين
الناس بالذال المهملة اسماً لما يؤكل فقط ففيه غلطان (اي افعال داله وتخصيصه بالطعام)
واظنهم يغلطون من (الغذاء) بالفتح والمد ضد العشاء بمعنى طعام الغد كما ان العشاء
بالفتح والمد طعام العشاء (الغيبة) بالكسر من الاغتياب وفتح غيبتها لحن اذ هي بالفتح
مصدر بمعنى الغيبة

فصل الفاء

فيه (الفراغة) هي لحن استعملوه من غير تكبير لكن الصحيح الفراغ بلا تاء
(الفلاكة ^(١)) هي من الالفاظ التي اخترعوها يستعملونها في ضيق الحال كأنهم اشتقوها
من لفظ (الفلك) فقالوا به فلاكة وهو مفلوك اي اصابه الفلك

فصل القاف

فيه (القوابل) يستعملونها جمع قابل وهو جمع قابلة لان فواعل في الصفة جمع فاعلة
الا فوارس جمع فارس على ما عرف في موضعه (القنديل) هو بكسر القاف معروف
وووزنها فعليل لا فتعيل وفتح القاف لحن مشهور

فصل الكاف

(الكراهية) هي بالتخفيف من مصادر كرهه فتشديد الياء على ما فعله البعض مما
يكبره السمع ويمجه الذوق

فصل اللام

مما فيه (اللكنة) هي بضم اللام معجمة وفي اللسان يقال رجل الكن وقد لكن من
باب ضرب كما ذكر في اللغة وما زلت اسمع من بعض العوام تحريف هذه الكلمة وارى
بعض الناس حيارى في امثال هذه الاغاليط تارة يصيرون ولا يدرون اصابتهم

(١) اطلق على بعض الكتب المطبوعة اخيراً في مصر اسم (الفلاكة والمفلوكون)
اي الفقر والفقراء وربما هذا الوضع فيما احسب من ناسر الكتاب لا من المؤلف
والطابعون يفعلون ذلك كثيراً

ويخطئون ولا يدرون ولم لا يرجعون الى اللغة فيما أشكل عليهم حتى يخرجوا من
ظلمة الشك الى نور اليقين

فصل النون

(المنبر) هو بكسر الميم لكن شاع بين العوام فتح ميمه (هو كذلك اليوم) وكذا فم
ميمه (النزل) بضم نين وبالتسكين ما يهبط للنزول اي الغصيف والعوام يزبدونه واوا
(لعلها من اشباع الضمة) وليس النزول الا مصدراً بمعنى المبوط والحلول (النزلة)
وهي الزكام يقال به نزلة والجم نزلات والجاهلون يهبرون عنها بالنزلة ويجمعونها على
النوازل (تجمع كذلك الآن) وهو خطأ اذ النازلة هي الشديدة من شدائد الدهر
نزل بالناس كما نفصح عنه كتب اللغة (النقرس) هو داء معروف وزيادة الياء على
ما هو الشائع بين العوام خطأ لان النقرس الدليل الحاذق (النكاة) بكسر النون
جمع النكته واذا ضمت النون حذفت الالف (فيقال النكت) وكثير من الناس يضمنون
النون ويثبتون الالف هذا بعض ما جاء في الرسالة الاولى ولهمي في فرصة ثانية آتي
بثانية الرسائلين

النجف

محمد رضا الشيباني

بين الفيحاء والشهباء (١)

عمران حلب القديم والحديث

كان اجدادنا بقطعون المسافة بين دمشق وحلب في تسعة ايام على الدواب وها قد
اصبحنا نقطعها في ست عشرة ساعة في القطار وهو يمر مرالسحاب ولو وجدت الشركة
داعياً قويا لقطعت اليوم في ساعة فيفطر الراكب في الصباح في الفيحاء ويتمشى في
حاضرة سورية البيضاء لان المسافة نقل عن اربعمائة كيلو متر يتيسر قطع الخمسين
كيلو متراً في ساعة واحدة من رياق الى حلب والخط بينهما من النوع العريض وقطاراته
منظمة اكثر من قطارات بيروت — دمشق — حوران او يافا — القدس او حيفا —
دمشق — المدينة

(١) نشرنا بضعة فصول من هذه المقالات في جريدة المنبس واذا رأينا العامة من
قرائنا ترموا بها عمدنا الى قطع سلسلتها قبل ايراد ثمتها وزدنا عليها ما فاتنا الالمام به وحذفنا
منها ما لا علاقة له بموضوع المجلة

انبت الشهباء او عاصمة سورية البيضاء ^(١) لأول مرة فرأيت فيها الصورة التي كانت
 تُخيلها الخيلة الا قليلاً وذلك لار القداماء والمحدثين اشبهوا الكلام عليها اكثر من
 كل بلد سواها ولان الحكومات التي توالى عليهم ارفعت من شأنها واعلت من بين البلدان
 ذكرها . وناهيك ببلد كان ينزله ويمدحه ويحمن اليه مثل البحتري ^(٢) والمتنبي والصنوبري
 وكشاجم والمهري والخفاجي وابن جبوس والوزير المغربي وابي العباس الصفرعي وابي
 فراس والحلوي وابن سعدان وابن حرب الحلي وابي النحاس وابن ابي حصينة وابن
 الحداد وابن المعجمي والملك الناصر وبافوت وغيرهم من رجال الادب والعلم . وما قاله
 الشعراء في مدحها ينكد بقرب مما قالوه في اختها الفيحاء فقد قال كشاجم :

ارتك ندى الغيث آثارها واخرجت الارض ازهارها
 وما امنت جارها بلدة كما امنت حلب جارها
 هي الخلد تجمع ما يشتهي فزرها فطوبى لمن زارها

وقال البحتري

اقم كل ملث الودق رجاس على ديار بعلوى الشام ادراس
 فيها لعلوة مصطاف ومرتبِع من بانقوسا وبابلي وبطيماس
 منازل انكرتنا بعد معرفة واوحشت من هوانا بعد اتناس
 يا علو لو شئت ابدت الصدود لنا وصلّا ولان لصب قلبك القامسي
 هل لي سبيل الى الظهران من حلب ونشوة بين ذاك الورد والآس

وقال المتنبي

كلما رحبت بنا الروض قلنا حلب قصدا وانت السبيل
 فيك مرعى جيا دانا والمطايا واليهما وجيفنا والذميل

اول من استوطن بقعة حلب ^(٣) بنو حام بن نوح وكانوا ينزلون من شط بغداد الى
 مصر وقد كانت فرقة منهم فيها قيل انها تسمى الكيما فسكنت بقعة حمص وحماة وحلب .
 وسكن حلب ابراهيم الخليل ثم جاء بعده بنو آرام بن لوط من بني سام واستولوا على تلك

(١) في قاموس الجغرافية القديمة : كان القديما يطلقون هذا الاسم على شمالي الشام
 وارض كبدوكية Cappadoce وكيلىكيا Cilicie الشرقية

(٢) الدر المنخبة لابن الشحنة

(٣) نسخة الانبياء في تاريخ حلب الشهباء ليهوشوف الجرمانى .

البيتة واخرجوا منها اولاد حام فسميت مملكة الآراميين والسريانيين وقسموها الى ثلاثة اقسام الاولى جزيرة الآرام وهي من الخابور الى الفرات والثانية المملكة الشامية وهي دمشق وما قرب منها والثالثة مملكة آرام صوبابو وهي الجبول من ضاحية حلب وما قرب منها

ووصفت حلب بالشبهاء لان القادم اليها تراءى له يضاء من بعيد بخلاف غيرها من البلدان . ويقولون انها من بناء العالقة بدليل الكتابة التي وجدت على الحجر الاسود في الحائط بظاهر جامع القيقان داخل باب انطاكية مكتوبة بالخط الميروغليفي بلغة الكيتا او الحماتيين وكانت هذه الكتابة مصطلحاً عليها في ايامهم وكان اسم حلب بلغتهم هلبون وهلبة واستمرت بايديهم الى ان اتى ملوك الفراعنة من مصر وحاربوهم وملكوها منهم وهم توتمس الاول وتوتمس الثاني وسياتي ورعمسيس الاول وذلك قبل التاريخ المسيحي بالفين وخمسةائة سنة الى ثلاثة آلاف سنة ثم استردها الكيتا منهم صلحاً واتي بعد ذلك ملوك بابل وحاربوا السريانيين وملكوها وذلك قبل التاريخ المسيحي بستائة وستين سنة وقد عثروا في قرية من قرى جبل سمعان قرب حلب اسمها كفر نابو على الصنم الذي كان يعبد به البابليون ومعنى نابو بلغتهم اله فيكون معنى كفر نابو قرية الاله وفي سنة ٨٦٠ ق م حارب شلناصر الرابع الحماتيين وملك حلب في جملة ممالك من البلاد فظل ملوك الحماتيين تحت سلطة البابليين الى ان اتى ملوك الهيجم واستولوا على البلاد واخرجوا البابليين منها وبقيت بايديهم الى ان جاء الاسكندر واخذها منهم فصارت مسكناً للروم اليونانيين يقولون لها خلب ولما حولها خلبن بالغلاء المعجمة وكانوا يقولون لها برو بالانها فيما قيل تشبه احدى مدنها واعلمها عريية من قولم بريى لان الناظر الى البر من قلعة حلب يراه ممتداً امامه .

وجد د سلوقس نيكاتور احد ملوك الرومان قبل المسيح بثلاثمائة واثنى عشرة سنة باء نحو النصف من مدينة حلب وبنى القلعة وامر اليهود ان يختلوا اليها للتجارة و يقيموا بها فكثرت دورهم حتى بلغت نصف ساعة طولاً ثم استولى الروم على حلب وجعلوها كرسي ممالكهم مع سورية وانطاكية

واراد السلوقيون ان يزيدها في بناء حلب ثم عدلوا موثرين لقنسرين لانها كانت اعظم والتجار يختلفون اليها اكثر فكانت تأتيا القوافل من البحر الى الفرات ومن الفرات الى البحر عن طريق قنسرين ولم يكن في حلب مائي قنسرين من

الصناعات وغيرها حتى ان تجار اوربا كانت تأتي اليها من السوادية في طريق انطاكية ويأتي اليها تجار العجم من الفرات بطريق بالس (مسكنة) ولم تكن الطريق في ذلك الوقت سالكة الى حلب الا من يقصد الذهب الى منبج (هيرا بلس)

وقنسرين هي التي نسب اليها احد اجناد الشام الحسة وهي جند فلسطين وجند الاردن وجند دمشق وجند حمص وجند قنسرين والجند هنا بمثابة القيلقي في ايامنا يتجمع فيه الجند ويقبضون أعطياتهم قال ابن جبير: ان قنسرين بلدة شهيرة في الزمان لكنها خربت وعادت كأن لم تكن بالامس فلم يبق الا آثارها الدراسة ورسومها الطامسة ولكن قراها منتظمة لانها على محث عظيم من البصر صراط طولاً وقد فسر ياقوت سبب خرابها ووصف موقعها فقال انها كورة بالشام منها حلب فتحت على يد ابي عبيدة بن الجراح سنة ١٧ هـ وكانت مدينة بينها وبين حلب مرحلة من جهة حمص بقرب العواصم وبعضهم يدخل قنسرين في العواصم وما زالت عامرة أهلة الى ان كانت سنة ٣٥١ غلبت الروم على مدينة حلب وقتلت جميع من كان برضا فخاف اهل قنسرين ونفروا في البلاد فلم يكن بها في القرن السادس الا خان ينزله القوافل وعشار السلطان وفريضة صغيرة وذكر ابن جبير الخانات من حلب الي قنسرين الى باقدين ان خانات هذا الطريق كانوا القلاع امتناعاً وحصانة وابوابها حديد وهي من الوثاقة في غاية

والعواصم^(١) حصون موانع وولاية تحيط بها بين حلب وانطاكية وقصبتها انطاكية كان قد بناها قوم واعصموا بها من الاعداء واكثرها في الجبال فسميت بذلك وربما دخل في هذا ثغور المصيصه (Moboueste) وطرسوس (Antradus) وتلك النواحي ولم تزل قنسرين وكورها مضمومة الى حمص حتى كان زمان يزيد بن معاوية فجعل قنسرين وانطاكية ومنبج وذواتها جنداً فلما استخاف الرشيد افرد قنسرين بكورها فصيرها جنداً وافرد منبج ودولوك ورعبان وقورس وانطاكية وتيزين وما بين ذلك من الحصون فسميها العواصم لان المسلمين كانوا يعتصمون بها فتعصمهم وتمنعهم من العدو اذا انصرفوا من غزاهم وخرجوا من الثغر وجعل مدينة العواصم منبج واسكنها عبد الملك ابن صالح في سنة ٧٣ هـ فبنى فيها ابنية مشهورة ذكرها التميمي في مدح سيف الدولة فقال :
لقد اوحشت ارض الشام طراً صليت ربوعها توب البهاء

نفس والعواصم منك عشر فيوجد طيب ذلك في الهواء
جدد الملك كيرويس الشرواني ما انهدم من سور حلب وقت حرب العجم وعمر
بالقرب من باب انطاكية بيتاً للنار لانه كان ممن يعبدونها فاشتعلت حلب اذ ذاك على
اربعة انواع من الديانات وهي اليهودية والنصرانية وعبدية الاوثان وعبدية النار ثم دخل
الاسلام وكانت حلب في المذاهب الاسلامية تختلف باختلاف الدول عليها شأنها في
ذلك شأن دمشق فتارة توالي عليها واصحابه واخرى توالي غيره

ولما اراد بدر الدولة ابو الريح سليمان ابن عبد الجبار بن ارنق صاحب حلب بناء
اول مدرسة للزنازية في هذه المدينة لم يمكنه الحلبيون اذ كان الغالب عليهم حينئذ
التشيع وكان اهل حلب كلهم سنية حنفية حتى قدم شخص الى حلب فصار فيهم شيعة
وشافعية وهو الشريف ابو ابراهيم الممدوح

وقد اتى صلاح الدين يوسف بن ايوب وخلفاؤه على التشيع في حلب وكان
المؤذنون في جوامعها يؤذنون بحجى على خير العمل وحاول السلجوقيون الاتراك مرات
القضاء على التشيع في هذه الديار فلم يوفق لذلك الا الملك الناصر صلاح الدين كما ضرب
على التشيع في مصر وكان على اشدّه فيها على عهد الفاطميين بحيث لا بكاد عالم مصري
يصرح بمذهبه اذ ذاك ولا يزال الى اليوم اثر من آثار التشيع بادياً على حائط صحن
المدفن الذي في سفح جبل الجوشن بظاهر الشهباء وفيه ذكر الائمة الاثني عشرية وكان
حكم بني حمدان وهم شيعة من جملة الاسباب التي نشرت التشيع في حلب وجوارها
وابتدأت حكومتهم سنة ٣٣٣ هـ وانقرضت سنة ٣٨١ وفي سنة ١٤١ ظهر في حلب
قوم يقال لهم الراوندية خرجوا بحلب وحيران وكانوا يزعمون انهم بمنزلة الملائكة وصعدوا
تلاً بحلب فيما قالوا ولبسوا ثياباً من حرير وطاروا منه فكسروا وهلكوا

ولقد كان لحلب كما كان لغيرها من امهات المدن الاسلامية عرامة وشدة في التعصب
على المخالفين ويمد في سيئات الجالدين تأليههم على الشهاب السهروردي الحكيم الالهي
العالم فقد حاورهم فبزم في حضرة صاحب حلب الملك الظاهر غازي^(١) بن الملك الناصر
صلاح الدين يوسف فلم يروا واسطة لاهلاكه احسن من الاستشفاع بوالد مليكهم
فكتبوا اليه محضراً وبالغوا في عاقبة امر السهروردي حتى صدر الامر الى الملك الظاهر
بقتل هذا الفيلسوف فاختر ان يلقى الله بمنع الطعام والشراب وعنه وهلك في قلعة

حلب وقبره فيها بلغني معروف الى اليوم ناعياً على الدهر تلاعب اولئك المتلاعبين بالدين والمتعصبين لاهواء نفوسهم زارياً على عصور الظلمات ولو كره السفسطاثيون عاداً ذلك سبباً لصلاح الدين وان كانت اعمال هذا كلها حسنات وابامه غرراً محجلات . قضى السهروردي ولم يتجاوز السادسة والثلاثين من عمره . ومثله من حكميم قضت عليه اهواء معاصره . ولو عمر ملأ الدنيا علماً وعقلاً

وبعد فقد كان شأن حلب في العهد الاسلامي شأن سائر مدن الشام دخلت في حكم بني أمية وولياها عمالهم ثم انتقلت الى ابيدسيه بني العباس وولياها صالح بن علي سنة سبع وثلاثين ومائة فنزل حلب وابنتي بها خارج المدينة من شرقها قصرأ بقرية يقال لها بطباس بالقرب من النيرب وآثاره باقية ذكرها الجعدي وغيره في اشعارهم وقد كان جماعة من بني أمية اختاروا المقام بناحية حلب وآثروها على دمشق ومنهم هشام ابن عبد الملك انتقل الى الرصافة *Sergiopoliis* وسكنها واتخذها منزلاً لصحة تربتها ومنهم عمر بن عبد العزيز اقام بخنصرة واختارها منزلاً ومنهم مسلمة بن عبد الملك سكن بالناعورة وابنتي بها قصرأ بالحجر الصلد الاسود

وما زال عمال بني العباس يتولون من امر حلب ما يتولون من سائر بلاد الخلافة حتى ولي المعتصم أشتناس التركي الشام جميعاً والجزيرة ومصر وجاء القرامطة حلب سنة ٢٩٠ فقاتلهم اهلها ودخل الاخشيدي حلب وانسد اصحابه في جميع النواحي وقطعوا الاشجار التي كانت ظاهر حلب كانت كثيرة جداً وقيل انها كانت من اكثر المدن شجراً . قال ابن الخطيب : وكانت حلب كثيرة الاشجار وكان موضع بانقوسا (احد احيائها اليوم) اشجار كثيرة كما ذكر ابن الملا في تاريخه ايضاً فقد كان الاخشيدي اذا نزل حلب يقطع اشجارها ويحارها فاذا اخذها ورجع الى مصر جاء سيف الدولة بن حمدان وفعل ذلك الفعل وتكرر ذلك مهما حتى في ما بها من الشجر ولذلك لما امر الملك المؤيد شيخ بنسقيف قصر القلعة امر ان يقطع له من الاخشاب من بلاد دمشق فقطعت وجيء بها الى حلب في غاية الطول ونهاية الغلظ وقيل ان بعض الاخشاب المذكورة كانت من بعلبك ولما جاء الصليبيون حلب سنة ٥١٨ اخذوا يقطعون اشجارها من جملة ما اتوه من تحريمها . وحدائقها المشجرة اليوم قليلة ليس بينها وبين ضخامة المدينة نسبة

وتشرب حلب من نهر قوبيق وهو نهر ينبعث ^(١) على ستة اميال من دابق ثم يجري الى

حلب ثمانية عشر ميلاً ثم الى قنسرين عشرين ميلاً ثم الى المرج الاحمر اثني عشر ميلاً ثم يصب في بحيرة المطبوع وذلك في زمن الشتاء وقال ياقوت ان مخرجه من قرية تدعى سبتات وقيل ان مخرجه من شنادز قرية على ستة اميال من دابق ثم يمر سبعة رساتيق حلب ثمانية عشر ميلاً الى حلب ثم يمتد الى قنسرين اثني عشر ميلاً ثم الى المرج الاحمر اثني عشر ميلاً ثم بغيض في اجمة هناك فمن مخرجه الى مغيضه اثنا عشر واربعون ميلاً وماؤه اعذب ماء واصحها فيما قال ياقوت الا انه في الصيف ينشف فلا يبقى الا نزور قليلة واما في الشتاء فهو حسن المنظر طيب المخبر وقد وصفه شعراء حلب بما الحقوه بنهر الكوثر ومن امثال عوام بغداد يفرح بفلس مطلي من لم ير دياراً وقد احسن القيسراني في وصفه قوله :

رأيت نهر قويق فساء في ما رأيت
فلو ظننت وأسقيت ماء ما رويت
ولو بكيت عليه بقدره ما اشتفيت

واسم قويق القديم شالوس^(١) وسبب تسميته بقويق ان رجلاً من رؤساء عشائر التركان في القرن الرابع للهجرة اسمه قويق اغا انشأ لهذا النهر عدة سدود ليجري جرية حسنة فاطلق اسمه على النهر من ذلك الحين وارباب الرقاعة يسمونه ابالحسن وهو ينحس اليوم من قرية اسمها چاغديغن من اعمال عينتاب ويجري الى قرية تبعد عن حلب ثلاث ساعات اسمها حيلان ويصب نحو ثلثه الى حلب تجري اليه فيه عدة ينابيع وجداول من قضاء عيني عينتاب وكليس وينضم اليه نبع عين التل وعين البيضاء المنجستين من جوار حلب وفي الشتاء تجري بقاءه الى خان طومان وتل طومان من اعمال جبل سمعان وتكون من مياهه بحيرة تجف بحجارة الصيف .

قال ابو فراس :

الشام لا بلد الجزيرة لذتي وقويق لا ماء الفرات مثائي
وايت مرتين الفؤاد بمنبع السوداء لا بالركة البيضاء

ويرى بعضهم ان نهر الساجور الذي كان اجراء ارغون الى حلب ليزيد به نهر قويق اذا اضيف الى ماء قويق تختص اكثر ضواحي حلب . واصل نهر الساجور من عينتاب وتجتمع اليه عيون آخر من بلاد تل باشر ثم ينتهي الى الفرات ويصب فيه ويرى

آخرون ان خير ذريعة لتكثير ماء حلب اقتطاع ترعة من الفرات وهو من حلب على ١٨ ساعة ولا يمنع انخفاض مجراه عن الانتفاع به في حلب على علوها وكيف كان الحال ففي زاد عمراء الشهداء يفكر ابناؤها في تكثير ماؤها

وبعد فقد كانت الحرب سجالا بين سيف الدولة ابن حمدان والروم منذ استقرت له ولاية حلب سنة ٣٣٦ الى حين وفاته سنة ٣٥٦ فكان يغزوه ويغزوه فيغزب حلب ثم تمر واستولوا عليها سنة ٣٥١ وحرقوا المسمق وعاث فيها بالقتل والنهب والسبي وبعد تسعة ايام رحل عنها ولم تكن حكومة سيف الدولة مباركة على حلب بقدر ما صورها شعراؤه الذين كان يصدق عليهم هباز ليقطع السنتهم ويشغلهم عنه ومن جملة ما قرأناه من مظالمه ان ابا الحصين علي بن عبد الملك الرقي ولي قضاء حلب وكان ظالما فاذا مات انسان اخذ تركته لسيف الدولة وقال: كل من هلك فليسيف الدولة ما ترك

استولى الروم على معظم البلاد المجاورة كعرش واذنة وطرشوس الا ان حلب لم يشولوا عليها وكذلك استولى الصليبيون على كثير من عملاتها مثل انطاكية والسويدية ولم يقدر بودوين احد ملوكهم ان يستولي عليها سنة ١١٢٤ م وما زالت حالتها حال بلاد الشام على عهد الدولة الايوبية حتى وافاها التتر وحاصروها سنة ٦٥٨ حصارا شديدا وقتلوا من اهلها كثيرا وقتل هولاكو اهل حارم عن آخرهم وسبي النساء وخرّب اسوار قلعتها عن آخرها وجاء قازان التتري سنة ٦٩٩ فحاصر حلب وخرّبها وقتل واسر كثيرا من اهلها وجاء تيمورلنك سنة ٨٠٣ واجرى في حلب ما اجراه في دمشق من الفظائع والنهب والقتل والسبي وفي سنة ٨٦٣ وقع الطاعون بحلب فاحصي من مات بها وبضواحيها فاربي على مائتي الف انسان وكادت تخرب بالفتن الالهية سنة ٨٩٦ عن آخرها كتب ابن بطلان الى هلال بن المحسن الصابي في نحو سنة ٤٤٠ هـ في دولة بني مرداس حلب فقال انها بلد سورت بحجر ايض وفيه ستة ابواب وفي جانب السور قلعة في اهلها مسجد وكنيسة في البلد جامع وست بيع وبيارستان صغير والفقهاء يفتون على مذهب الامامية وشرب اهل البلد من صهاريج مملوءة بماء المطر وعلى بابها نهر يعرف بقويق يد في الشتاء وينضب في الصيف وفي الوسط دار علوة صاحبة البحر وهي بلد قليل الفواكه والبقول والنبذ ومن عجائب حلب ان في قياسارية البر عشرين دكانا للوكلاء يبيعون فيها كل يوم متاعا قدره عشرون الف دينار مستمر ذلك منذ عشرين سنة والى الآن وما في حلب موضع خراب اصلا اه

قلنا وقد اشتهرت حلب في عامة ادوارها باتساع تجارتها لوقوعها في طريق القوافل وتوسطها من بلاد الروم والجزيرة والعراق والشام ولذلك لم يُنْهَضْ صناعة البزاة الاقمشة حتى في ايامنا هذه كما انحطت في معظم بلدان الشام لان لها من بلاد الروم مصارف تُنْفَقُ فيها سلعتها وبعثت اهل الروم الخير في تجار الشبَاء فلا يعاملون غيرهم للاف والعادة وذكر المقدسي ان من التجارات التي كانت تحمل من حلب القطن والياب والاشنان والمغرة

قال ياقوت ولاهل حلب عناية باصلاح انفسهم وتثمين الاموال فقلما ترى من ناشتها من لم يقبل اخلاق آبائه في مثل ذلك فلذلك كان فيها بيوتات قديمة معروفة بالثروة واثوار ثوبها ويحافظون على قديمهم بخلاف سائر البلدان . هذا ما وصف به الحليون منذ نحو سبعة قرون وهي اخلاق لم تبحر متسلسلة في اعقابهم الى يوم الناس هذا ولذلك صح ان يقال ان الحليين اغنى من الممّثقيين والبيرونيين والحويين والحمصيين والطرابلسيين والنايليين والمقدسيين والعكاويين واليافاويين والحيفاويين

وصف ابن حوقل^(١) مدينة حلب في القرن الرابع فقال انها مدينة جند قنسرين وكانت عاصمة جيداً غاصه باهلها كثيرة الخيرات كان لها سور من حجارة لم يغن عنهم من العدو شيئاً فخرّب الروم جامعها وسبى ذراري اهلها واحرقها وكان بها قلعة غير طائفة ولا حسنة المارة فلجأ اليها قوم من اهلها فنجوا وهلك بها من المتاع والجهات للفرباء واهل البلد وسبى بها وقتل من اهل سوادها ما في اطادته ارماض من سمعه ووهن على الاسلام واهله وكان لها اسواق حسنة وحمامات وفنادق ومحال وعراص فسيحة وهي الآن كالمتماسكة ولم تزل اسعارهم في الاغذية وجميع المآكل قديماً واسعة رخيصة وعليهم الآن للروم في كل سنة قانون يؤدونه وضريبة تسخر من كل دار وضيفة معلومة وكأنهم معهم في هدنة وليست وان كانت احوالها متماسكة وامورها رضية بحال جزء من عشرين جزءاً مما كانت عليه من قديم اوقاتها وسالف ايامها

ووصف ابن جببر حلب في القرن السادس فقال : ان هذا البلد موضوعه ضخم جداً حقل التركيز بديع الحسن واسع الاسواق كبيرها متصلة الانتظام مستطيلة تخرج من سماء صنعة الى سماء صنعة اخرى الى ان تفرغ من جميع الصناعات المدنية وكلها مسقف بالخشب فسكانها في ضلال وارفة فكل سرقة بائقيد الابصار حسناً وتستوقف

المستوفز تيجاً واما قيساريتها فحديقة بستان نظافة وجمالاً مطبقة بالجامع المكرم لا يشوق الجالس فيها مرأى سواها ولو كان من ارائي الرياضية قد اتصل السمات خزانه واحدة وتخلها ترف ختبية بدبعة النقش وثفتت كلها حوانيت فجاء منظرها اجل منظر وكل سمات منها بتصل بباب من ابواب الجامع المكرم

وقصارى القول فان عمران حلب القديم شبه عمرائها الحديث الا قليلاً ومن اعظم ما يجعل الشبه كثيراً بين ادوارها المختلفة ذاك الحجر الابيض المثين الذي يبنى الحلبيون به بيوتهم وحوانيتهم وخاناتهم وتكاد تظن الشوارع والمارات والمسالك قطعة واحدة لانها كلها مبنية معمولة من صنف واحد من الحجارة تلبس له النفس بخلاف الحجر الاسود الكثيب المستعمل في البناء بدمشق وحمص وغيرها

وقد اصاب حلب من مقوضات دعائم العمران في القرون الاخيرة ما اصاب غيرها من بلدان سورية ومنها الزلازل والاربعاء التي انتشرت فيها عتية استيلاء السلطان سليم العثماني عليها سنة ٩٢٢ بعد وقعة دامت ست ساعات بين جنده الموائف اذ ذاك من ثمانين الفا وثمانمائة^(١) مدفع وجند الغوري الجرکسي سلطان مصر والشام الذي كان ضعيف التدبير قليل النظام وذلك في مكان يعرف بمرج دابق على بضع ساعات من حلب ونهض الحلبيون ففتحوا ابواب مدينتهم للفتح بزعمه خيرى بك والي حلب من قبل الجراكسة كما تلقاه اهل دمشق كذلك لان الناس كانوا سموا في مصر والشام من حكم الجراكسة وعلقوا الآمال الطويلة بدولة ابن عثمان الفتية القوية وقد اتولى السلطان سليم على مليوني ذهب ومهات كثيرة كان اذخرها الغوري في خزانه حلب ليقوى بها على محاربة العثمانيين والاستيلاء على القسطنطينية منهم فعجل الله باهلاك الغوري وانقض الناس من حوله وابقى السلطان العثماني البلاد على حالتها الاولى من حيث الادارة في حلب وخطب فيها له لاول مرة ملقباً بمخادم الحرمين الشريفين

والظاهر مما في ايدينا من توارىخ حلب انها لم ترتق ارتقاء محموداً على عهد العثمانيين بعد ان كانت في عهد العباسيين تضاهي بعظمتها بغداد والموصل على قول شيخ الرواة وكان جيش الانكشارية (بيكي جرى) وغيره من اكبر ادوات التخريب ينسفون العمران ولا نسف المصائب السماوية ولم ينتظم لها امر بمحكمة الاقطاعات والنهب الا عندما جرى تأليف الولايات على التسق المعارف اليوم في السلطنة سنة ١٢٨٣ هـ

فدخلت الحكومة في طور قليل من النظام واصبحت الحال تحسن باحسان الولاة الذين يتولونها فاذا كانوا افعه قادرين على الادارة يزيد عمران حلب والا فيقف او يتمقهر ومن ساعد على عمرانها الحديث وتنظيمها وفتح الشوارع الجديدة فيها على الاصول المدنية جميل باشا ورائف باشا

ويكفي في تقدير غنى حلب في القرون الوسطى والقرون الحديثة ايراد دخلها من الجباية والعشور وغيرها والمقابلة بينها . هذا مع غلاء النقود اذ ذاك ورخصها في الايام الاخيرة . فقد كان ارتفاع حلب () سنة تسع وستائة في الايام الظاهرية دون البلاد الخارجة عنها والضياح والاعمال ستة آلاف الف وتسعمائة الف واربعاً وثمانين ألفاً وخمسمائة درهم وذكر ابن شداد تفصيل هذه الارتفاعات من الزكوات والعشور وضرائب البقول والفواكه والخليل والجمال والبقر والغنم والرقيق والصناعات والغلات والخطب والقلم والخشب والحديد والذهب وغير ذلك من الحكورة والموارث وغيرها فكانت في بعض النسخ ٧٤٣٠٥٠٠٠ درهم

وقال ياقوت (٢) "وسافة ما يمد مالكها في ايام الملك العزيز من المشرق الى المغرب مسيرة خمسة ايام ومن الجنوب الى الشمال مثل ذلك وفيها ثمانمائة ونيف وعشرون قرية ملك لاهلها ليس للسلطان فيها الا مقاطعات يسيرة ونحو مائتين ونيف قرية مشتركة بين الرعية والسلطان وهي بعد ذلك تقوم برزق خمسة آلاف فارس مزاحمي العلة موسع عليهم . قال الوزير الاكرم ابن النفطي وزير صاحبها لياقوت الحموي: لوم يقع اسراف في خواص الامراء وجماعة من اعيان المفارب بد لقامت بارزاق سبعة آلاف فارس لان فيها من الطواشية المفارب ما يزيد على الف فارس يحصل للواحد منهم في العام من عشرة آلاف درهم الى خمسة عشر الف درهم ويمكن ان يستخدم من فضلات خواص الامراء الف فارس وفي اعمالها احدى وعشرون قلعة يقام بدخانها وارزاق تحفظها خارجاً عن جميع ما ذكرناه وهو تجلة اخرى يسيرة ثم يرتفع بعد ذلك كله من فضلات الاقطاعات الخاصة بالسلطان من سائر الجبايات الى قلعتها حباً وخبواً ما يهارب فيه كل يوم عشرة آلاف درهم وقد ارتفع اليها في الامام الماضي وهو سنة ٦٢٥ من جهة واحدة وهي دار الزكاة التي يجبي فيها العشور من الافرنج والزكاة من المسلمين وحتى البيع سبعمائة الف درهم وهذا مع العدل الكامل والرفق الشامل بحيث لا يرى

فيها متظلم ولا متهضم وهذا من بركة العدل وحسن النية ٥٨١ وقد بلغ دخل حلب سنة ١٣٢٢ شرقية من ضريبة الاملاك والبدل العسكري والاغنام والجمال والاعشار وغيرها ٤٥٦٤٠٨٦٤ غرشاً صحيحاً ودخل لواء حلب كله ٤١٦٠٦٧٠٢٩٤١ غرشاً وبلغ دخل ولاية حلب كلها في تلك السنة ويدخل في ذلك لواء آمرعش واورفة ٤١٦٣٢٢٦١٠٧ قروش صحيحة انفقت الحكومة على جندها وموظفيها وغير ذلك ٤٤٠٦٣٤٤٠٦٧١ غرشاً هذا مع ان الجباية لمهدنا فاحشة والضرائب متعددة أكثر من الادوار السالفة . ويقدر يوم قيمة الدراهم اليوم بثلاثة قروش صحيحة

غنى حلب ولغتها ومعاهدها وتدليها

لما كانت حلب في طريق قوافل الهند اصبحت ممارة بموقعها منذ القديم بين البلدان ومعدودة قاعدة شمالي سورية وقد كان الافرنج ولا يزالون فيها اكثر عدداً مما هم في دمشق لانها اقرب منفذ لاتصال الشرق بالغرب فكان تجارهم يأتونها من ثغر السوبدية يعجرون مع اهلهما ويقايضون محمولاتهم بمحصولاتها ومحصولات الشرق ولا سيما الهند وفارس والعراق

وكانت فرنسا والبندقية ^(١) اول البلاد الاوربية التي اتجرت مع حلب واقامت معها الصلات المهمة والمكاتب التجارية ثم جاء الانكليز في القرن السادس عشر وتلامه الهولنديون ولا يزال الافرنج فيها الى اليوم يقربون من عدد اخوانهم نزلاء بهورت وبعضهم تناسلوا في حلب وارثاوتوا وتأثلوا وعدوا كأنهم من اهلهما . وقد كان البنادقة يعجرون بالبحار ياخذونه من حلب بكهيات وافرة كما كانوا يجلبون منها الشب والقطن

وام ما اصاب حلب من الزلازل زلزلة سنة ١١٧٠ م على عهد نور الدين محمود بن زنكي فقام يرمعها وقطعتها وقد اصبحت بزلازل مدمرة في قرون مختلفة وآخرها زلزال سنة ١٨٢٢ الذي خرب به ثلثها وزلزال سنة ١٨٣٠ وانهضت حلب على عهد حكم ابراهيم باشا المصري من سنة ١٨٣١ الى ١٨٤٠ م اذ قد جعلها معسكراً له

لا يتجاوز سكان حلب في التعداد الرسمي ال ١٣٠ الفاً وزعماء كانوا في الحقيقة نحو ١٨٠ الفاً اكثر من المسلمين والباقون روم ويهود وارمن وموارنة وكاثوليك وبرتسنتات ولكل طائفة من الطوائف الغير الاسلامية عدة مدارس ابتدائية .

والمسيحيون متشبعون بالعربية أكثر من اخوانهم المسلمين لانهم أكثر عراقة في التعلم بفضل مدارسهم الطائفية والافرنجية . اما المسلمون فان المتعلمين منهم يتعلمون على الطريقة التركية يعيشوا حالة على التوغل ولذلك ترى الشعور العربي يقل في حلب مع ان اهلها كلهم يتكلمون بالعربية اللهم الا بضع مئات من الاتراك الاناضوليين الذين ينزلونها للتجارة او الموظفين الذين يأتونها لخدمة الحكومة

وليس للمسلمين مدارس اهلية راقية والمدارس التي تصنع المأمورين هي المدرسة السلطانية وكانت اعدادية من قبل فقلبوا اسمها كما قلبوا اسم كثير من اسماء المكاتب الاعدادية في امهات المدن العثمانية والمكتب الرشدي العسكري ومكتب الصنائع وفيها ٩٢ كتاباً ومدرسة ابتدائية اميرية و ٣٩ مدرسة لغير المسلمين و ٣٢ مدرسة دينية وبعضها عامر و ٣ مكاتب للانات و ٧ خزائن كتب عامة كما ان فيها ١٦٠٠٠ منزل ونحو ٨٠٠٠ دكان ومخزن و ١١٧ خاناً و ١٠٦ احياء و ١٦٩ جامعاً و ١٨٢ مسجداً و ١٩ نكية وزاوية و ٤٠ حماماً و ٢١ كنيسة وديرًا و ٤ بيع و ٢٩ طاحون ماء و ١٢٨ طاحوناً على الدواب و ٣٠٠٠ نول و ١١٢ فرنًا و ٨ مدايق و ٢٧ معمل مناديل وزهاء ١٠٠ قهوة و ١٢ معمل صابون و ٥٠ خماره و ١٨٨٥ حديقة

وحلب يبرز بين البلاد العربية والتركية وعلى نحو اربعين كيلومتراً من شمالي حلب يقل المتكلمون بالعربية وتصبح البلاد تركية محضة وان كان من اقصية حلب القريبة من لا يعرفون غير التركية من الفلاحين اسكنتهم الحكومة هناك مهاجرين من بلاد بعيدة . فمعظم اقصية لواء حلب يتكلم اهلها بالتركية كما ان اهالي لواء اي اورفة ومرعش يتكلمون بالتركية وبعض العشائر في لواء مرعش يتكلمون بالكردية وفي بعض الاقصية جراكسة يتكلمون بالجر كسية وهم مهاجرون وبعض السكان في بعض الاقصية من التركمان والعرب

ويمكن ان تلخص من ذلك ان جهات الغرب من حلب كلم اعرب وهي عبارة عن اقصية ادلب وحارم وجسر الشغور ما عدا بعض قرى من اعمال حارم سكانها جركس وسكان العمق اكرد ومن الشمال من حلب الى قبيل كليس عرب وتكلم بعض قرام بالتركية والعربية ومن كليس الى اورفة فصاعداً كل السكان اتراك ومن الجهة الشرقية جميع السكان عرب وكل قضاء الباب في الشرق الشمالي من حلب عرب وفيهم قليل جداً من التركمان والأتراك والاكراد والجر كسة وكل قضاء منهم جركس نزله حديثاً

وفيهم عرب وقضاء الرقة عرب وقضاء المعرة في الجنوب عرب كله . ويقال ان اهالي قضاء عينتاب يتكلمون بالتركية وقضاء كبس وان تكلم اهل المركز بالتركية فان النواحي يتكلم اهلها بالعربية والتركية والكردية

واهل قضاء اسكندرون يتكلمون على الاكثر بالتركية والارمنية واهل انطاكية منهم من يتكلم بالتركية ومنهم من يتكلم بالعربية فيصح ان يقال فيهم ان تركيهم تعرب وعربيهم تترك واهالي ادب كلهم عرب وكذلك اهالي حارم وفي بعض قرى هذا القضاء مهاجرون من الاتراك والجرس والتاتار واهالي قضاء ييلان يتكلمون بالتركية واهل اقضية المعرة والباب وجبل سمعان واهالي مركز قضاء جسر الشغور وناحية المضيق عرب وناحية اردو اتراك واكثر اهالي قضاء منبج من مهاجري الجراكسة واهل قضاء الرقة عرب واهالي قضاء حران منهم من يتكلم بالعربية ومنهم بالكردية .

هذه هي اللغة الغالبة على حلب واعمالها وليس اليوم في هذه المدينة ما يستحق الذكر من اعمال العمران سوى بناياتها الجديدة التي اقيمت الاقليلاً على مثال ابنية الامم الراقية مفردة بعضها عن بعض لتتخللها الهواء والشمس بعيدة عن الطرق العامة لان السكان من عاداتهم اليوم ان يؤخروا بناء بيوتهم وحوالياتهم ما امكن ويعطوا فضل اراضيهم للشارع حتى يكبر بحسب الخريطة التي تريد البلديّة ولذلك تجد الاحياء الجديدة مثل العزيزية والجليلة فيجّة عريضة كأنها بنيت في يوم واحد او هي لرجل واحد وكان من ذلك ان صرفت واردات البلديّة القليلة وهي لا تتجاوز السنة آلاف ليرة مسانحة على تنظيف المدينة وتطهيرها وتنويرها

ولقد كنا نود ان نرى في الشهباء نهضة علمية راقية لما عرف في اهلها من الذكاء والمضاء والحساب للادققول ولكن رأينا الخاصة الذين يرجي منهم ان يسيروا في المقدمة متابعين بخويصة انفسهم ومن كان على خطتهم من المتأدبين وأهليهم النبل من الكبراء وارباب النفوذ والثراء ممن يتوفرون على اعنات الفقراء واجتباان الصغراء والبيضاء وربما صح اكثر هذه الشكوى ولكن لا حيلة فيمن اعجزوا الحكومة وعرفوا كيف يفسرفونها على ما يشاؤون . وعندنا ان يترك الطعن جانباً ونعرف الطبقة المستفيدة الى الطبقة القابضة على زمام البلاد من الاعيان المومرين ليتسنى بذلك النهوض بالشعب المسكين ونثقيف عقول الناشئة وما دام الاختلاف مستحكماً بين المنورين والمومرين فالغرباء يجدون سبيلاً الى التلاعب وينطبق ذلك مع رغائبهم

نحن نعتقد انه ربما كان من ارباب اليسار من جمعوا ثرواتهم الطائلة من طرق غير مشروعة في حكومة عبد الحميد وقبله ولكننا نعتقد ان منهم من جمعوها بالاتفاق كأن نتوالى سني الجذب — واخذه بقلما يدوم سنين كثيرة في حلب وعملها — فياً في الفلاح با كياً شاكياً الى ذلك الوجهه يتخلى له عن كل ما يملك من عقار وارض ليعوله وعياله ويدفع عنه الضرائب والعشور التي يتعذر عليه جداً في غير سني الخير ان يقوم بها حق القيام

وسواء جمع ارباب اليسار ما يملكون بالطرق القانونية المشروعة او من السحت البحت وارهات الفلاح والعبث بمصلحة الفقير فان من ملك ملك ومن هلك هلك وليس من وسيلة الآن لنزع ما ملكوا من ايديهم فالأحجى ان تحسن سياستهم في الجلمة للانتفاع من اموالهم تصرف على اعمال الخير وانشاء الكتاتيب والمدارس . وما نظن اكثرهم الا قانعين من الطبقة المستنيرة بالسكوت عما مضى . وماتم في الغابر هو ولا جرم نتيجة ضعف الحكومة وفسادها ولو عرفت منذ القديم كيف تحسن سياسة الرعية وتدفع الناس بعضهم عن بعض لما اختل النظام ولرضي الخاص والعام .

نحن نعلم ان اموال الاغنياء هنا بل وفي كل مكان تصرف على الاكثر فيما لا يرضى عنه الادب والاخلاق وان ابناء الطبقة الوسطى امضى عزائم واجمل اخلاقاً ولكن ليست المهارة في النقد من بعيد بل المهارة بدخول المجتمع واصلاح ما امكن من فسادده ومهلكاته . ان في التباعد جفاء وفي الاجتماع حسن تفهم وكمن عدو لك يتحكك به ينقلب على الزمن صديقاً وكمن صديق يكون بابتعادك عنه عقوقاً .

ان ما رأيناه من حلب وهي ماهي من عظمتها وغناها وما نقل لنا وشهدناه من تنوع ضروب الفجور والملاهي فيها ابكنا على قاعدة من اهم قواعد الشام وكف عظيم من كهوف الاسلام ودعانا الى ان ننسب القصور للعالمين والجاهلين على السواء فلا يخلص من تبعة هذا الانحلال طافل والفوم بلحق العالم قبل ان ينال الجاهل

تالله لو صرفت حلب ربع ما تنفقه في سبيل اللهو والموبقات على المعارف والآداب الراقية لاصبحت في بضع سنين ذات مدنية راقية . وبعد أليس من العار ان تكون نابلس في فلسطين وهي مشهورة بانتماسها في حماة الجاهالة وصغيرة بعدد نفوسها اقرب الى التعلم من حلب دخل من ابناء اعيانها بضعة وعشرون ليدرسوا في مدارس الاستانة العالية وبضعة قصدوا ديار الغرب ولا نرى الا هدواً قليلاً من الحليين يقصدون

الاستانة ليعتبر جواً في مدارسها ليحيي منهم اتكالون من عباد الوظائف وعبيد الحكومة ولا نرى في الغرب من ابتائهم سوى اثنين او ثلاثة فقط وبهذا نرجو النهوض وتوسل باسباب الارتفاع

أليس من العار ان يكون بلد يبلغ مساحته ضعف مساحة دمشق وفي غناه التجاري من اهم المدن التجارية في البلاد العثمانية وفي طيب مناخه من اجود البقاع وفي مضاء سكانه مثلاً مشهوراً ثم لا تشهد فيه صحيفة عربية واحدة تصدر باسم رجل مسلم من اهله يعرف طرق الاصلاح ويحسن المطالبة به . ولا مدرسة ابتدائية اهلية تعلم ابن الفلاح والتاجر والصانع ما يلزمه في دينه ودينه ولا نادياً ولا جمعية ولا شركة ترفع في التعارف والتعاطف والتكافل .

ان معظم البلاد استفادت من نعمة الدستور فهبت لتعلم وتفكر في الاصلاح ولكن حلب على ما ظهر لنا في مؤخرة البلدان التي لم تدرك حتى الآن ما يراود بالحري . ان تلك الطائفة التي تعتز اليوم باموالها وبنبياسيحي عليها زين تدثري وماجمعت ومن جمعت لم ان لم تعالج ذاك الضعف الميت بقوة العلم والاخلاق ويستغفر ربنا غيرها في ارضهم ممن يصلحها شأنه في خليقته منذ دحى الارض ورفع السماء

قلعة حلب

اصاب الآثار القديمة في هذه المدينة ما اصاب آثار غيرها من البلدان فلم يبق منها الا انقاض تنبئ بمغلاء السلف في تجويد البناء واخكامه ومن اهم هذه العاديات قلعة حلب فهي انغم ما في الديار الحلبية من القلاع بنيت وسط المدينة على اكمة ربما كانت صناعية ويحيط بها خندق عظيم كان القدماء يملأونه ماء ليتعذر الوصول اليها الا من مدخلها وهذا من احسن ما يتصور العقل ويقال ان مدينة بروا *Bereaa* اي حلب القديمة كانت كلها مبنية في هذه القلعة وقد تعاورتها الايدي بالبناء في قرون مختلفة وظلت مسكونة الى سنة ١٨٢٢ م ايام خربت بالزلازل

يسير الداخل الى القلعة على جسر بديع اقيم فوق الخندق فيبلغ برجاً خارجاً جعل في واجهته انواع من نوافذ الحديد البديع قيل انه من عهد الملك الظاهر لما وجد في مدخله من كتابة تاريخها سنة ٦٠٥ مع بعض الآيات الكريمة وقد بذل بعض علماء الآثار قدراً وافراً من المال لقطع تلك النوافذ واخذ حديدتها واحجارها الى متاحف اوربا فلم تقبل الحكومة ولا تزال تحظر الدخول الى القلعة الا برخصة لانها جعلت فيها مستودعاً

لبعض المهمات العسكرية وفيه دليلاً القاعة المتعرج عدة كتابات ونقوش بارزة على الحجر ومنها صورة نمرين على يمين الباب ويساره من أجل ما زيرت ايدي الناقلين على الصخور فاذا دخل المرء من الباب وجد ساحة وآثار عدة شوارع وكلما من الانقاض بعضها انقاض جامع ومأذنة وأخرى انقاض اروقة وأخرى محال لرصد العدو وفي الوسط صهريج كبير يستقي منه الى اليوم ماء عذب والغالب انه من ماء المطر . والنظر الى حلب من قلعتها يدرك عظمتها ويحلى له برها الفسيح البديع ولا سيما زمن الربيع وقد اكنت السهول والجبال بحللها السندسية

قال ابن الشحنة اول من بنى قلعة حلب سلوقس الديلمي بنى مدينة حلب وهي على تل مشرف على المدينة وعليها سور محكم البناء وفي وسطها بئر ينزل اليها بمائة وخمس وعشرين درجة قد هندست تحت الارض ويقال لها الآن ساطورة وكان بها دير للنصارى ويقال ان في اساسها ثمانية آلاف عمود ولما ملك كسرى حلب بنى بها مواضع ولما فتحها ابو عبيدة في ايام عمر بن الخطاب رضي الله عنه رم اسوارها لانها خربت بسبب زلزلة كانت اصابتها قبل الفتح فاخرت اسوار البلدة والقلعة

ولما استولى تغفور ملك الروم على حلب سنة ٣٥١ امتنعت عليه القلعة ولم يكن لها يومئذ سور محكم ومن ذلك الوقت اهتم الملوك بعارة القلعة وتحصينها فبنى سيف الدولة وابنه سميد الدولة وبنو مرداس وعماد الدين اق سنقر وابنه عماد الدين زنكي وابنه نور الدين محمود وابنه الملك الصالح ولما ملك الملك الظاهر غياث الدين غازي حصنها وحسنها وبنى بها مصنعاً للحاء ومخارن للغلات وبنى سفح تلها بالحجر المرقلي واعلى بها الى مكانه الآن وبنى على الباب برجين لم يبن مثلها قط وجعل لها ثلاثة ابواب حديد ولما تسلم التاتار القلعة اخربها واخذ ما كان بها من الذخائر والزردخانات والمجانيق ولم يبقوا بها مكاناً للسكنى واستمرت خراباً الى ان جددت عمارتها في ايام الملك الاشرف خليل بن قلاوون ولما اتى التتر تلك اخرب اسوار البلد والقلعة واحرقها واستمرت خراباً الى ان جاء الامير سيف الدين جكم نائباً من قبل الملك الناصر فرج برقوق فأمر ببناء القلعة والزم الناس بالعمل في الخندق وازال التراب منه حتى انه عمل بنفسه واستعمل وجوه الناس بحيث كان الامراء يحملون الاحجار على ظهورهم اه

هذا اجل تاريخ لهذه القلعة البديعة اكبر قلاع سورية واما الى القرن العاشر وما نظن العثمانيين جددوا فيها شيئاً بعد الى يومنا هذا وقد وصفها ابن جبير في رحلته فقال

ومن كمال خلاصها المسترطة في حصانة القلاع ان الماء بها نابع وقد صنع عليه جبان فها ينبعان ماء فلا تخاف الظأ ابد الدهر والطعام يصير فيها الدهر كله وليس في شروط الحصانة ام ولا آكد من هاتين الخلتين ويطيف بهذين الجبين المذكورين سوران حصينان من الجانب الذي ينظر للبلد ويعترض دونها خندق لا يكاد البصر يبلغ مدى عمقه والماء ينبع فيه وشأن هذه القلعة في الحصانة اعظم من ان تنتهي لي اوصفه وسورها الاعلى كله ابراج مننظمة فيها العاللي المنيفة والقصاب المشرفة قد تفتحت كلها طيقاناً وكل برج منها مسكون ودخلها المساكن السلطانية والمنازل الرفيعة الملوكية اهـ . وهذا اخصر وصف للقلعة زمن عزها وعمرانها ايام كان بها « يضر المثل في الحسن والحصانة لان مدينة حلب في وطاء من الارض وفي وسط ذلك الوطاء جبل عال مدور صحيح التدوير مهتدم بتراب صح به تدويره والقلعة مبنية في رأسه ولها خندق عظيم وصل بحفره الى الماء وفي وسط هذه القلعة تصل الى الماء المعين وفيها جامع وميدان وبساتين ودور كثيرة »

وما احرى هذا الحصن بقول المجتري من قصيدة يصف بها ايوان كسرى :

لو تراه علمت ان الليالي	جعلت فيه مأتماً بعد عرس
وهو ينيلك عن عجائب قوم	لا يشاب البيان فيهم بلبس
ليس يدري اصنع انس لجن	سكنوه ام صنع جن لأنس
عمرت للسور ودهراً فصارت	للتعزى رابعهم والناسي
فلها ان أعينها بدموع	موقفات على الصباة حبس
ذاك عندي وليست الدارداري	باقتراب منها ولا الجنس جنسي

زراعة حلب

ليس في ظاهر حلب من الحداثات الانيقة ما يبلغ نحو عشر ما في ظاهر دمشق على كثرة الماء وجودة التربة هنا . اما في اعمالها فتنبت أكثر الحبوب وتجد معظم الثمار ولولا قلة الري التي تحدث بعض السنين بقلة الغابات وتدرجها نحو الفناء وما يشتر في ارباضها من الجراد في معظم السنين لكانت زراعتها كزراعة بلاد دمشق وأكثر ومع هذا فان اقضية دمشق لا تعادل اقضية حلب في زيتونها قال المهلبى وتجلبل من كور حلب وضياعها ما يجمع جميع الغلات النفيسة فان بلدة معرة مصرين وجبل السماق بلد الثين والزيتون والزبيب والفسق والسماق والحبة الخضراء وقال ابن شداد وفي بعض ضياع حلب ما

يجمع عشرين صنفًا من الغلات . وقال ابن الشحنة ومما اختصت به حلب ما ورد
النصيب الذي يستخرج بالباب من اعمالها فانه لا يوجد في الدنيا . ا مثله بحيث لا يقار به
شيء مما يجلب الى الديار المصرية من الشام مع ان المجلوب من دمشق عند المصريين
في غاية العظمة بحيث يصفه اطباؤهم للرضى فيقولون ما ورد شامي . وقال ياقوت
ويزرع في اراضيها القطن والسمسم والبطيخ والخيار والدخن والكروم والذرة والمشمش
والتين والتفاح عذبًا لا يسقى الا بماء المطر ويجيء مع ذلك رخصًا غصًا رويًا يفوق ما
يسقى بالمياه والسج . وقال ابن حوقل ان ما حول معرة نسرين من القرى اعذاء ليس
بجميع نواحيها الا جار ولا عين وكذلك اكثر ما يجمع جند قنسرين اعذاء ومياههم
من السماء وقال ابن جبير في بلاد المعرة وهي سواد كلها بشجر الزيتون والتين والفسقى
وانواع الفواكه ويتصل التفاف بساتيه بانتظام قراها مسيرة يومين وهي من اخصب
بلاد الله واكثرها ارزاقًا

ويصدر من حبوبها اليوم ^(١) الحنطة والشعير والارز والقطن والحمص والعدس
والبقلاء وبذر الكتان والابنسون والسمسم والخردل والكررة اليابسة والماش والقصب
والدخان وغير ذلك ومن الثار الفستق الجيد في اقصية حلب وقلعة الروم وعينتاب
ويجود الزيتون كل الجودة في اقصية حلب وادلب وكليس وحارم وعينتاب وانطاكية
وجسر الشفر وتريب ويجود الليمون والبرنقال بين انطاكية واسكندرونة وفي حلب
والباب يجود الرمان وفي اريحا الكرز والوشنة كما يجود في حلب واعمالها انواع الثار
والبقول على اختلاف ذرونها

ويجود التوت في اقصية انطاكية واسكندرونة وبيلان وحارم بكثرة فيكون منه
حرير جيد وفي اقصية الولاية ولواء مرعش مثل اقصية جسر الشفر وانطاكية وبيلان
وكليس واسكندرونة وقلعة الروم من اعمال اورفة تخرج غابات كثيرة كالبلوط والردار
والصنوبر والعفص والدفلى وغيرها وفي جبال البستان تخرج على اطراف الانهار والجداول
اشجار برية من الحور والصفصاف وفي السهول عرق السوس في داخل الولاية بكثرة
التين والعنب والاجاص والدراق وفي السواحل الليمون والبرنقال والكماد والطورنج
ويكي دنيا وفي هذه الولاية بكثرة البصل والثوم ويجود البطيخ الاحمر «الجبس» من
وراء العقيل وتزرع البطاطا في بعض الانحاء كما ان الكماة تستخرج من باديتها وسهولها

هواء حلب وصحتها

يبلغ ارتفاع حلب خمسمائة متر عن سطح البحر وبالنظر لتعرضها لحرارة الشمس من جهاتها الاربع وعبث الرياح التي لا يحول دونها حائل من الاشجار او غيرها كان بردها شديداً وحرها على تلك النسبة فهو اقل اعتدالاً من هواء دمشق يزيد في ذلك قلة مياهها في الدور كما هي في دور الفيحاء المشهورة بقاعاتها واحواضها . هواء حلب جاف معتدل للغاية ولولا بناء منازلها بالحجر لضاقت انفاس سكانها ايام القيظ وقد تبلغ درجة الحرارة الاربعين او أكثر بالميزان المثوي وقد نزلت الحرارة في الشتاء الماضي الى تحت الصفر بخمس وعشرين درجة .

ومع ذلك تجد لاهل حلب رجالاً ونساءً من صحة الاجسام ونفسرة الوجوه ما لا تكاد تجد مثله في معظم البلاد الداخلية من سورية . قال المهلي واما اهل حلب فهم احسن الناس وجوهاً واجساماً والاغلب على الوانهم الدرية والحمرية والسمرة وعيونهم سود وشمل . قلنا اما البياض الناصع فهو كثير للغاية ويزيده رونقاً في بعض النساء تلك الحبة التي تخرج على الاغلب في الوجوه وتترك اثرأ في الحدودود بحجم الريال يزيدها رونقاً وحسناً

وهذه الحبة يقال لها في هذه البلاد حبة حلب وهناك يقال لها حبة السنة وليست في الحقيقة خاصة باهل حلب بل يشترك فيها سكان الشرق حتى بلاد فارس . واختلف العلماء في تعليلها فقال قوم 'انها تخرج لخاصية في ماء حلب ولو صححت هذه النظرية' (١) لكان اهل عينتاب وروم قلعة (قلعة الروم) وبيرة جك (البيرة) واورفة (الرها) وخربوت وديار بكر والموصل ودير الزور وبغداد ناجين منها والحال انها تصيبهم كما تصيب الحلبيين حذو القذة بالقذة . وقال قوم انها منبعثة من الماء ولو كانت الامر كذلك لاقضى من ذلك ان تطلع في سكان القرى البعيدة ساعتمين عن حلب على انك لا ترى لها فيهم اثرأ

واغلب الاطباء على انها من الامراض السارية ودليلهم على ذلك ان ابراهيم باشا المصري لما قدم حلب كان في حملته رجل من قرية بشامون في لبنان فأصيب بالترحة المذكورة وقبل ان يبرأ منها عاد الى بلاده فمضى بها اهل قريته ويقال انها لا تزال الى اليوم موجودة ويقال لها الحبة الشامونية

والحقيقة ان امر هذه القرحة لم يبرح سرّاً غامضاً على الاطباء ومرضاً جلدياً يصاب به الاطفال في الطفولية وبعض الغرباء الذين ينزلون حلب في الكبر وبقيمون فيها سنة وقد ينجون منها واهراضها عبارة عن بثور تظهر في اي طرف كان من اطراف الجسم ويكون في الوجه او اليد او الرجل غالباً حتى اذا شفيت بدون ان ينشأ عنها وجمع ترك آثاراً وندوباً بيضاء. ويصاب بها الغرباء والوطنيون على السواء كما يصاب بها الكلاب والقطط وكثيراً ما تخرج بعد ان ينادر المرء البلاد بزم

متنزهات حلب

تتغير اسماء المتنزهات كما تتغير اسماء البلدان بتغير الازمان فمن متنزهات حلب القديمة «اشمونث» قال ياقوت انها عين في ظاهر حلب في قلبتها تسقي بستاناً يقال له الجوهري وافضل منها شيء صب في قويق ذكره منصور بن مسلم بن ابي الخرجين يتشوق حلب ايا سائق الاطعمان من ارض جوتن سملت ونلت الخصب حيث ترود الى اين عنها تشف ما بي من الجوى فلم يشف ما بي عالج وزرود هل العوجان الغمر صاف لوارد وهل عين اشمونث تجري كغفاتي عليها وهل ظل الجناب مديد اذا مرضت وودت بان تراهها لها دون احوال الأساة برود ومن جرب الدنيا على سوء فعلها يعيب ذم العيش وهو حميد اذا لم تجد ما تنغيه فحضر بها غمار السرور ام الطلاب ولود «بابلا» قرية كبيرة بظاهر حلب بينها نحو ميل وكانت عامرة أهلة في ايام ياقوت قال الوزير ابو القاسم بن المغربي

حن قلبي الى معالم بابلا لا حنين الموله المشفوف

مطلب الله والهوى وكناهي ا غرد العنين والظباء المهف

حيث شطافوق مسرح طرفي والاسامي مؤانسي واليني

«بطيلاس» قال ياقوت اهل حلب كالمجموعين على ان بطيلاس قرية من باب حلب بين النيرب وبابلا كان بها قصر لعلي بن عبد الملك بن صالح امير حلب وقد خربت القرية والقصر قال الجعدي

يا برق اسفر عن قويق فطرتي حلب فأهلى القصر من بطيلاس

عن ثبوت الورد المعصر صبغه في كل ضاحية ومجني الآس

ارض اذا استوحشت ثم اتبتها حشدت علي فاكثرت ابناسي
وقال ايضا

نظرت وضمت جانبي التفانة وما النفط المشتاق الا لينظرا
الى ارجواني من البرق كلما نمر علوي السحاب تعصفرا
بضي غماما فوق بطياس واضحا ببض وروضات بطياس اخضرا
وقد كان محبوبا الي لوانه اضاء غزالا عند بطياس احورا

« تل ماسح » قرية من نواحي حلب ذكرها امروء القيس في شعره

بذكرها اوطانها تل ماسح تنازلها من برعيص وميسرا
« جوشن » جبل مطل علي حلب في غربيها في سفحه مقابر ومشاهد للشيعة وقد أكثر
شعراء حلب من ذكره جداً فقال منصور ابن مسلم بن ابي الخرجين النخعي الحلبي
من قصيدة

عسى مورد من سفح جوشن نافع فاني الى تلك الموارد ظمآن
وما كل ظن ظنه المرء كائن يحوم عليه للتحقيقة برهان

وقال ابن سنان الخفاجي

يا برق طالع من ثنية جوشن حلبا وحي صكرية من اهلها
واسأله هل حمل النسيم تحية منها فان هبوه من رسلها
ولقد رأيت فهل رأيت كوكفة للبين يشفع هجرها في وصلها

قال الخفاجي ومن هذا الجبل كان يحمل النحاس الاحمر وهو معدنه « حربنوش »

قرية من قرى الجزر من نواحي حلب قال حمدان بن عبد الرحيم الجزري

الاهل الى حث المطايا اليكم وشم خزامى حربنوش سبيل

« دابق » قرية قرب حلب من اعمال عزاز بينها وبين حلب اربعة فراسخ عندها

مرج معشب نزه كان ينزله بنو مروان اذا غزوا الصائفة الى ثغر المصيصة وبقر بها قرية

اخرى يقال لها دوبيق قال عيسى بن سعدان الحلبي

ناجوك من اقصى الحجاز وليتهم ناجوك ما بين الأحص ودابق
أمفارقى حلب وطيب نسيمها يهنيكم ان الرقاد مفارقي
والله ما خفق النسيم يارضكم الا طربت من النسيم الخافق
واذا الجيوب تخطرت انفاسها من سفح جوشن كان اول ناشق

«الدارين» هو رضى الدارين بحلب ذكره عيسى بن سعدان الحلبي في مواضع من شعره فقال :

ياسرحة الدارين اية سرحة مالت ذوائبها علي تخنينا
ارسي بواديك الغمام ولا عنا نفس الخنزعي الحارثي وجوشنا
أمنفرين الوحش من ايلاتكم حباً بظيكم اساً او حسنا
اشتاقه والاعوجبة دونه ويصدني عنه الصوارم والقنا

وقال الاعشي :

وكأْس كمين الديك بأكرت خدرها بفتيات صدق والنواقيس تضرب
سلاف كأن الزعفران وعندما يصفق في ناجودها ثم يقطب
لها ارج في البيت عال كأنه المء به من بحر دارين اركب
«دير حشيان» بنواحي حلب من العواصم ذكره حمدان بن عبد الرحيم فقال :

يا لهف نفسي مما اكابده ان لاح برق من دير حشيان
وان بدت نفحة من الجانب ال غربي فاضت غروب اجفاني
وما سمعت الحمام في فنن الا وخلت الحمام فاجاني
ماء متضت مذغت عنكم بدلاً حاشا وكلاما القدر من شاني
كيف سلوي ارضاً نعمت بها ام كيف انسي اهلي وجبراني
لا خلق رقب لي معالمها ولا اجنني انهار بطنان
لكن زماني بالجزر اذكروني طيب زماني به فابكاني

«دير مازين» يعرف أيضاً بدير السابان وهو بين حلب وانطاكية مطّل علي بقعة تعرف بسرمد وهو دير حسن كبير وكان خراباً في القرن السادس وآثاره باقية وفيه بقول الشاعر :

الف المقام بدير رومانينا للروض الفا والمدام حزينا
والكأس والابريق يعمل دهره وتراه يبحي الآس والنسرينا

«دير عمان» بنواحي حلب وتفسيره بالسريانية دير الجماعة قال فيه حمدان بن عبد الرحيم الحلبي :

دير عمان ودير سابان هجن غرامي وزدن اشجاني
اذا تذكرت منها زمناً قضيته في عرام رباعي

ومرّ ابو فراس بن ابي الفرج البزاعي فقال مرتجلاً :

قد مررنا بالدير دبر عمانا ووجدناه . داثراً فثجنا
ورأينا منازلنا طولاً دارسات ولم نر السكنا
وارثنا الآثار من كان فيها قبل تفنيهم المخطوب عيانا
فبكينا فيه وكان علينا لا عليه لما بكينا بكنا
لست أنسى يادير وقفنا فيه لك وان اورثني النسيان
من اناس حلوك دهرنا غلوا لك وامسوا قد عطلوك الاثنا
فرقتهم يد المخطوب فاصبح ت خراباً من بعدهم اسيانا
وكذا شيمة الليالي تمت الا حي مننا وتهدم البنيانا
حرباً ما الذي لقينا من الدهر روما ذا من خطبها قددهانا
نحن في غفلة بها وغرور وورانا من الردي ما وورانا

« دير مرقس » من نواحي الجزر قال حمدان بن عبد الرحيم يذكره :

الاهل الى حث المطايا اليكم وشم خزاي حربوش صليل
وهل غفلات الدهر في دير مرقس تعود وظل اللهب فيه ظليل
اذا ذكرت لغاتها النفس عندكم تلاقي عليها وجدة وعويل
بلادها اسمى الهوى غير انهي اميل مع الاقدار حيث تميل

وذكر ان الشحنة في تاريخ حلب طرفاً صالحاً من منزهات حلب فقال انها كثيرة
فنها ما يقصد في ايام الاحياء والمواسم ويستوي فيه الخاص والعام كباب المقام داخل
وخارجاً يجعل فيه فيالات ^(١) وتعمل فيه انواع الفنون وتعد به الخلق لارباب الصنائع
وبيع في انواع الآكل وكذلك خارج باب النعرب وخارج باب الفرج الى ارض الماتين
والمجدية وخارج باب النصر وظاهره بالقوسا وظاهره باب قنسرين ماداً الى جسر الانصاري .
واما ما يقصد في سائر الايام والاوقات التي تخطر للتلذذين فأولها من جهة القبلة الابيض
ثم مرج الخالدي وعين مباركة وعين اشموليت وهي المعروفة بعين اشمول وارض بطياس
والسعددي وهو قضاء فياح تجري فيه انهر متشعبة من نهر واحد بجافتها مروج خضر
وبها من الزهر المختلف ما لا يبلغه الوصف ثم الجوهرية وهو بستان قديم وصفه الشعراء والبلغاة
ومنها الانصاري وجسراه المعروف احدهما بجعل ابن رافع والفيض وجندبات وزاوية عباس

(١) الفيال بالكسر والفتح لبة للصبيان يجثون الشيء في التراب ثم يقسمونه

ويقولون في ايها هو

ومنها ارض الخواي وطواحين السلطان وشهد الزراير وبستان شمس لولو وجبل
جوشن والقلاوت وجسر الطواشي وبستان البقعة وبستان العجمي والكهف وبستان
الجزيرة والحيشي وقصر ومرجة القرايين وجسر باب انطاكية وجسر باب الجنان
وجنينة المهندار المعروفة آخر وقت باين نجيح وبستان الوزير وجهرة الانكليس ومنها
بايلي وهي قرية قريبة متصلة ارضها بارض بانقوسا بها عدة جواسق وبحرات وجنينات
وغير ذلك . ومنها قرنيا وجبل البخجي والمزايزة والميدان الاخضر ومشهد سيدي فارس
وقسطل الحاجب وبعادين ومرجة اغليك وارض باصفراء وعين التل والارض المسماة
بالجوز سميت به لاشجار جوز عظام كثيرة الظل على شاطئها المهر ممتدة الى حيلان وحوش
البدوية وهو مكان فياح على نسرمن الارض بنبت فيه الشيح والقيصوم والقرفل
والصعبر ومنها الخناقية والكتف الازرق والارض المجدة وجورة الاسقف التي بها
بستان النصبي وتجاه مرج السلحوية ثم جنينة عبيد والناهورة وارض الحلبة ورأس
الطابق والنهريات وهي مسافة يومين من اول المسلمية الى تل السلطان .

والعنوبري الشاعر قصيدة طويلة في وصف بعض متزهات حلب وقراها
القرية جاء فيها

حبذا البآت باء آ	ت فوق ورباها
بانقوساها بها	ياحي المياه حين باها
ويا صفرا وباء	لا وباء (?) مثلي وناها
لاقلي صحراء نافر (?)	قل شوقي لا قلاها
لا سلا احيال باسا	بين قلبي لا سلاها
وياسلين فليب	خ ركابي من بغاها
والى باشقليشا	ذو التناهي ينناي
وبعاذين فواها	لبعاذين وواها
بين نهرو قنائة	قد تلتها وتلاها
ومجاري برك يجل	وهمومي مجتلاها
ورياض تلتني آ	مالنا في ملتقاها
زاد اعلاها علوا	جوفنا لما علاها
وازدهت برج ابي الحما	رث حسنا وازدهاها

واطبت مشرف المحض من اشتياقاً واطباها
 وارى المنية فازت كل نفس بناها
 اذ هو ابي العوجان السالب النفس هواها
 ومقيلي بركة الله ل وسبيات رحاها
 بركة تربتها الكا فور والدر حصاها
 كم غرافي طربي حيه ثنائها لما غراها
 اذ تلا مطبخ الحيه ثاب منها مشنواها
 بمروج اللهو القت غير لناقي عصاها
 ومعنى الكاملي اس تنكملت نفسي منهاها
 وغرت ذا الجوهرى الا حزن غيثاً وفراها
 كلاً الراموسة الحس ناء ربي وكلاها
 وجزى الجنات باله عدى بنعمى وجزاها
 وفدى البستان من فا رس صب وفداها
 وغرت ذا الجوهرى الا حزن محلولاً غراها
 واذكروا دار السليما نية اليوم اذ كراها
 حيث عجا فمحوها العي س تباري س في براها
 وصفا العافية المو سومة الوصف صفاها
 فعي في معنى اسمها حذ ويجذو وكفهاها
 وصلاسطعي واحوا ضي خليلي صلاها
 وردا ساحة صهرى جي على سوق رداها
 وامزجا الراح بماه منه اولا تمزجاها
 حلب بدر دجى از جمها الزهر قراها

للرحلة صلة



قانون الجماعات

وشرح المضمّن منه

أبنت في جزءه سبق أن القوانين التي تبحث عن أفعال الناس الناشئة من اجتماعاتهم تقسم إلى قسمين : قسم له أساس بالامن العام رأساً وآخر بالواسطة وقلت أن أفعال الناس المجتمعمة التي قد تتخلل بالامن العام تظهر في مظهرين . الاول دائمي والآخر مؤقت والقانون الذي يبحث عن الاجتماعات الدائمة قانون الجمعيات وقد مرت ترجمته وشرح مفرحاً اجمالياً . واما القانون الذي يبحث عن الاجتماعات المؤقتة فهو قانون (الجماعات) وهو موضوع بحثنا اليوم .

هذا القانون كتابة عن (١١) مادة فقط . وهو مأخوذ عن القانون الصادر في فرنسا عام ١٨٨١ وكميمر الشبه به . وقد نشر في ٢٠ جمادى الاولى عام ١٣٢٧ الموافق ٢٧ ايار سنة ١٣٢٥ . عقيب حوادث ٣١ آذار المعلومة .

المادة الاولى — العثمانيون احرار في عقد الاجتماعات العامة بلا سلاح . وبشرط الرضاية للمواد الآتية فلا حاجة لاخذ الرخصة .
ايضاح — . أعلن واضع القانون حرية الاجتماع بهذه المادة بكل صراحة . لان هذا حق من حقوق الامة الطبيعية متولد من حرية الكلام وحرية تعاطي الافكار وحرية اتحاد الآمال .

الاجتماعات قسمان (١) سياسي (٢) وغير سياسي وكلاهما جائز . والدليل قول واضع القانون (الاجتماعات العامة) كما مر في المتن بدون قيد

وهنا تجد بيننا وبين فرنسا فرقاً مهماً يجلب نظر . وهو ان قانون الاجتماع الفرنسي يمنع الاجتماعات لاجل الانتخابات . واما قانوننا فيموزها كما هو مستفاد من اطلاق هذه المادة . اي ان قانون الاجتماع الفرنسي لا يسوغ الاجتماع الا للمرشحين والمختارين فقط . واما قانوننا فهو مطلق الحرية للمرشحين والمختارين ولكل ناظر

ثم مر في معنى المادة كلمة (العثمانيون احرار) فيفهم من هذا بان الاجانب ممنوعون

من الاستفادة من هذا الحق . لان لكل كلمة مفهومين : موافقة ومفهوم مخالفة . فان ذكر احدهما يستدل على ان الآخر غير مقصود وغير مطلوب . فقول واضع القانون هنا (العثمانيون) يدل بانه قصد اخراج غير العثمانيين من مدلول هذه الكلمة . ومن هنا يستدل بانه لا يسوغ لغير العثمانيين الاستفادة من حق الاجتماع .

يقول بعض علماء اصول الادارة الملكية ولا سيما الاستاذ ضيا بك يجوز عقد الاجتماع من قبل الاجانب نزلاء بلادنا بشرط ان لا يتدخلوا بالسياسة المحلية . واما هذا العاجز فيرى ان هذا القول من قبيل التوسع الفكري وليس من التفسير القانوني . لان القانون حصر هذا الحق بالعثمانيين حصراً بيتاً بقوله (العثمانيون احرار) بدون تقييد بشيء آخر .

اما اذا قيل بان هذا حق لكل الافراد طبعي لا يجوز نزعه من الاجانب . فاقول بان القوانين توضع في الاصل لاجل تحديد كل حق يحتمل ظهور اقل ضرر منه . وناهيك بما يقول له الاجانب حق وهم منفردون وحينئذ احكم كما تشاء على ما يمكن حدوته منهم وهم مجتمعون . فلماذا السبب ارى الاكتفاء بصراحة القانون اوفق للاحتياط والتبصر بعواقب الامور . واما ان قيل : اما يسوغ لهم الاشتراك مع العثمانيين في اجتماعاتهم ؟ -- فقول ايضاً لا يجوز لان القانون وحساب العواقب هكذا يقضيان لان اقل امر يحدث في اثناء الاجتماع ربما احدث اعظم المشاكل مع الدولة التي ينسب اليها هذا الاجنبي . ولذلك كان اتباع ظاهر القانون اوفق واسلم وانفع . ولا سيما اذا كان الاجتماع سياسياً فعدم قبول الاجنبي فيه من اضر الضروريات لا علاقة له به مطلقاً .

مر في المتن ايضاً كلمة (بلا ملاح) فاذا كان المجتمعون مسلحين علناً او سراً فهذا الاجتماع ممنوع . اما ان كان شخصان او ثلاثة من بين هذا الجمع الغير مسلحين فيجب على هيئة الادارة تجريدكم من سلاحهم واذا امتنعوا فيعد الاجتماع مسلحاً وينع .

مر في المتن ايضاً بان الاجتماع غير متوقف على اخذ اذن من الحكومة . نعم لا يجب الاستئذان لذلك الا انه لما كان من الممكن وقوع ما لا تحمد عتياه اثناء الاجتماع اشترط واضع القانون بعض الشروط على مسبي الاجتماع حفظاً للامن العام . وهذه الشروط مدرجة في المادة ٢ و ٣ و ٤ و ٥ و ٦ و ٧ و ٨ كما سيأتي بيانها .

المادة الثالثة - قبل الاجتماع يجب تنظيم بيان يتضمن يوم الاجتماع وساعته

ومحل وقوعه وان يضى من شخصين احدهما متوطن في محل عقد الاجتماع وان يكونا نائلين حقوقها المدنية والسياسية على شرط ان يصرحا باسميهما وشهريتهما وصفتهما ويجلي اقامتهما

ايضاح — . الاجتماع غير منوط باذن الحكومة . الا انه يجب اخبارها بوقوعه لاجل اتخاذ التدابير اللازمة خوفاً من وقوع ما يكدر الحاضر ولاجل منع الاجتماعات الغير الجائزة قانوناً بمقتضى المادة ٣ و ٦ و ٧ و ٨ و ٩ من هذا القانون

قيل في المتن (يجب تنظيم البيان قبل الاجتماع) . وهذه المدة يجب ان تكون (٤٨) ساعة . تتمكن الحكومة من جلب قوة عسكرية كافية من المحال الاخرى ان لم يوجد هناك عسكري . اما فرنسا فجمعت هذه المدة (٢٤) ساعة . بالنظر لكثرة المواصلات هناك وسهولة جلب العسكري .

مر في المتن ايضاً ضرورة بيان (يوم الاجتماع وساعته ومحل وقوعه) وهذا ايضاً ضروري . تتخذ الحكومة التدابير اللازمة بالوقت المعين خوفاً من اجراء الاجتماع قبل ان تتخذ الحكومة التدابير الاحتياطية .

وهكذا قيل في المتن (يجب ان يضى من شخصين احدهما متوطن في محل عقد الاجتماع) فاذا امضى البيان شخصان احدهما متوطن في البلد الذي سيقع الاجتماع فيه والثاني من بلد آخر فهو جائز بنظر القانون . وقصد واضح القانون من كلمة (محل) البلاد والقصبات والقرى .

مر في المتن (نائلين حقوقها المدنية والسياسية) واليك البيان :

الحقوق المدنية — . هي ان يكون غير ساقط من هذه الحقوق وهي المذكورة اجمالاً في المادة ٣١ من قانون الجزاء ومدرجة في الصفحة (٢٦٥) من مقتبس هذه السنة في شكل خلاصة الخلاصة

الحقوق السياسية — . هي الحقوق التي تؤهل المرء للاشتراك في ادارة المملكت . مثل حق انتخاب المبعوثين وحقوق التوظيف في دوائر الحكومة والعسكرة الخ .

ثم يجب ان يصرح هذان الرجلان اللذان سيمضيان البيان باسميهما وشهريتهما وبجميع علائقهما المميزة ليسهل علي الحكومة البحث عنهما عند الاقتضاء .

المادة الثالثة — . يعطى البيان في استانبول لناظر الضابطة وفي المحطات للولاة والمتصرفين والقائم مقامين والمديرين . ويجزء اعطاء البيان يؤخذ بمقابلته علم وخبر .

وان يعطى علم وخبر لمقدمي البيان تنظيم ورقة ضبط وامضاؤها من شخصين من الحاضرين يكونان من الحائزين على الشروط المدرجة في المادة الثانية . وحينئذ يسوغ عقد الاجتماع . ويجب التصريح باليوم والساعة التي سيقع الاجتماع فيها في العلم وخبر وورقة الضبط . اما الاجتماعات التي تقع بلا علم وخبر وورقة ضبط فهي ممنوعة . ويجازى مرتبو الاجتماع بالحبس من اسبوع الى شهر او بالتغريم بجزء تقدي يختلف بين الثلاث ليراث وخمس عشرة ليرة

ايضاح — (. ورد بان البيان يعطى باستانبول لناظر الضابطة) . اما وقد اصبحت استانبول ولاية كسائر الولايات فيجب والحالة هذه اعطاؤه للوالي بها . ثم اذا امتنع مأمور الادارة عن اعطاء علم وخبر في مقابل البيان فعلى مقدمي البيان تنظيم ورقة ضبط تبين امتناعه . ويجب ان يمضى هذا اللضبط من رجلين آخرين غير مقدمي البيان . وبهذه الصورة تكون ورقة الضبط محتوية على اربعة امضات . اثنان مدعيان واثنان شامدان لاجل محاكمة المأمور . وجزء من يمتنع عن اعطاء هذا العلم والخبر قطع راتب شهر لاول مرة واذا تكرر فيطرد من مأموريته وفقاً للمادة (١٠٢) من قانون الجزاء .

العلم وخبر لا يتضمن الترخيص بل يتضمن الاستخبار من قبل من هو مكلف بحفظ الامن العام . اي ان معنى البيان الاخبار ومعنى العلم والخبر وثيقة لاجل عدم الانكار في المستقبل . حتى اذا ما وقع محظور من الاجتماع وسئل عنه مأمور الادارة الملكية واراد الانكار وادعى بانه لم يعلم بوقوع الاجتماع ليتخذ التدابير اللازمة يقال له ان المجتمعين قد اخبروك وهذا العلم والخبر دليل على ذلك اذا انت متهاون ولهذا انت جدير بالجزاء هذا هو سر لزوم اعطاء البيان والعلم والخبر لا غير . لان الاجتماع غني عن الاستئذان لكونه حقاً من الحقوق الطبيعية . اما الاجتماع الذي يقع بدون اخبار الحكومة بتاتاً فهو ممنوع . اي ان للبوليس الحق في فضه اولاً بالكلام ثم بالتهديد ثم بالاكراه ثم ان الضرب والجرح والقتل الذي يقع من مأموري الضابطة اثناء ايفاء وظائفهم يؤدي الى المعذرة بموجب المادة ١٨٩ من قانون الجزاء العام وقانون البوليس والجنדרمة الخصوصيين وعلى هذا ففي كلمة (ممنوع) فسخ الاجتماع بكل التدابير حتى تصل الى قتل من يخالف امر البوليس . وهذا الاخبار غير مسؤول عن هذا القتل بالنظر لما هو مصرح به في المادة المذكورة من قانون الجزاء .

وبعد تفريق المجتمعين يخاضى المرتبون بالجزاء المدرج في متن المادة المذكورة آنفاً .
المادة الرابعة — . يجب ان تمر ثمانتي واربعون ساعة بين اخطاء البيان وعقد الاجتماع .
مر سبب هذا اعلاه في شرح المادة الثانية .

المادة الخامسة — . يجب ابضاح سبب الاجتماع والمقصد منه في البيان .
ابضاح — . حتى يتسنى للحكومة منح الاجتماع الغير القانوني ولالجل التبصر في مقدار
المسكر الذين يجب ارسالم للحفاظة ولالجل ارسال مأمور خاص لحل الاجتماع لانظاره
عليه وحتى اذا ما خرج عن الموضوع يفسخ الاجتماع الخ
المادة السادسة — . الاجتماعات ممنوعة في المحال المكشوفة والقرية مقدار ثلاثة
كيلو مترات من سراي السلطان المعظم ومن دائرتي المبعوثان والاهيان اثناء انعقاد
المجلس العمومي .

ابضاح — . مر في المتن كلمة (مكشوفة) ومعناها ان الاجتماع يقع اما في محال
مكشوفة او في محال مغلقة اي ذات سقف وباب . ومثال الاول الساحات والعراص
ومثال الثاني القهاوي ودور التمثيل والاندية . لما ذا ؟ لان من الاجتماعات ما يجب
اجراؤه في محل مغلق كالمحاضرات العلمية . لان هذه لا تلقى على قارعة الطريق .
ومنها ايضاً ما هو واجب اجراؤه في المحال المكشوفة كالاحتجاج على عمل ما يخالف
القانون صدر من الحكومة او من شركة ما ولما كان هذا شاملاً لجميع الاهلين غالباً
فبالضرورة يجتمعون في الساحات والعراص على الاكثر . فلهذا السبب اصاغ واضع
القانون كلا النوعين من الاجتماعات .

واستثنى منها ما يقع في المحال المكشوفة القريبة من سراي السلطان المعظم ومن
مجلس المبعوثان والاهيان اثناء انعقاد المجلس العمومي مسافة ثلاثة كيلو مترات اي
ثلاثة آلاف متر .

كذلك قيل في المتن (سراي السلطان) والقصد من هذه الجملة مرايه في استانبول
لا القصور العامة في الملحقات . لان كلمة (همايون الملصقة بسراي في الاصل التركي
اي سراي همايون) نفيد التخصيص بسرايه الخاص .

اعرف واليا بمن ظلمهم الحظ واجلسهم على عرش الولاية اراد منع احتجاج على عمله
وذهب لنفسير (سراي همايون) بدار الحكومة . وبعد التبا والتي اقتنعه بمحقيقة المسألة
قيل في المتن ايضاً (اثناء انعقاد المجلس العمومي) ومعنى هذا ايضاً اذا لم يكن

المجلس العمومي أي مجلس المبعوثين والاعيان منمقدين فالاجتماع جائز بالقرب منهما ولو بمسافة اقل من ثلاثة كيلومترات .

وهكذا يستفاد من كلمة (المحال المكشوفة) بان الاجتماعات التي تقع في المحال المغلقة في القرب من السراي السلطاني ومن المجلس ولو كانوا منمقدين فهي غير ممنوعة ايضاً ثم قيل في اول المتن (ممنوعة) وقد مر معنى المنع القانوني في شرح المادة السابقة فالاجتماع الممنوع اذاً (١) هو الذي يقع في المحال المكشوفة القريبة من سراي السلطان مسافة ثلاثة آلاف متر (٢) التي تقع في المحلات القريبة من مجلس الاعيان والمبعوثين على مسافة ثلاثة كيلومترات اثناء انعقاد المجلس العمومي . اما الاجتماعات التي تكون في محال مستورة فهي جائزة ولو كانت على مقربة من سراي السلطان والمجلسين المادة السابعة — . لا يسوغ الاجتماع في الطرق العامة المعدة للردور والعبور . واما زمان الاجتماع فهو من طلوع الشمس الى غروبها في الاماكن المكشوفة .

ابضاح — . شرع الاجتماع ونظر اليه من قبل علماء فن تدبير المملكة بنظر حق طبيعي لانه مؤد الى نفع عام وخاص . اما اذا وقع في الطرق العامة فن المحقق انه يعطل المارين والعايرين ويعوق سير التجارة ويخل بحرية ارباب الصنائع وسائر المسالك الاخرى . ولما كان درء المفسدة اولى من جلب المنفعة وفقاً للمادة الثلاثين من قانوننا العام اي مجلة الاحكام منع هذا الاجتماع الذي يقع في الطرق العامة . لكي لا نكون جلبنا ضرراً محسوساً جلب نفع موهوم .

هذا هو سبب الفقرة الاولى الادارية من هذه المادة .

واما الفقرة الثانية فهي تبين وقت الاجتماع . فكما ان الاجتماع يقع في المحال المكشوفة والمستورة فهو محتمل الوقوع في الليل والنهار ايضاً . زمان الاجتماع في المحال المكشوفة من طلوع الشمس حتى مغربها . واما في المستورة فيجوز دوامه ليلاً ايضاً كما انه يسوغ عقده في منتصف الليل او في اوله او آخره . لان المحافظة هناك سهلة جداً . لا سيما والمحال المغلقة هي اما قاعة خاصة دار تمثيل او قهوة كبرى . وهذه الايضاحات مستنبطة من مفهوم المخالفة لقيود هذه المادة والتي قبلها .

المادة الثامنة — . يدار الاجتماع من هيئة مركبة على الاقل من ثلاثة اشخاص . وعلى هذه الهيئة الاعتناء بحافظة الانتظام ومنع ما يخالف القانون والاهتمام بعدم الخروج عن موضوع البيان وعدم ايراد الخطب المحلة بالامن العام والآداب العامة وعدم

التفوه باقوال تكون من قبيل التشويق لايقاع الجرائم . وان لم تعين هذه الهيئة من قبل ممضي البيان فيجب انتفاها من المجتمعين . واذا وقع فعل يخالف المادة السابعة وهذه المادة فالتبعة توجه على هيئة الادارة وقبل تأليفها فالتبعة على ممضي البيان .
ابضاح — . يجب ان يكون الثلاثة الاشخاص الذين يؤلفون الهيئة الادارة حائزين على الشروط الثلاثة المدرجة في المادة الثانية من هذا القانون . لانه لا فرق بين هيئة الادارة وممضي البيان ابدأ . لا صبا وهو مجاز للحكومة توجه تبعة الاجتماعات على ممضي البيان كما هو مذكور في متن هذه المادة .

هيئة الادارة مكلفة بواجبات ستة واليك بيانها بمثال :

اولاً — المحافظة على الانتظام : لان التشتت بضيع افائدة المنتظرة من الاجتماع وهي مثل تعارض الخطباء والصراخ وكل ما يخل بالسكون المطلوب . الاجتماع المنتظم هو الذي يحط به الخطيب والناس تسمع له والذي لا يتكلم به احد سوى الخطيب . فاذا عارض الخطباء بعضهم وظهر لكل واحد منهم حزب يؤيده فهناك يعد الانتظام مختلا يحتاج لمداخلة هيئة الادارة .

ثانياً — منع ما يخالف القانون : اذا ترك احد ارضه الاميرية ثلاث سنين متوالية معطلة امد محمولة ويؤخذ من صاحبها الاصلي (بدل المثل) عنها وان لم يدفع هذا فتؤخذ منه وتباع بالمزاد من غيره . هذا ، ويؤيد في المادة (٦٨) من قانون الاراضي .
فلو اراد خطيب بخطب بعكس هذا لما جاز له ويجب هنا ايضا مداخلة هيئة الاجتماع الادارية ويجب عليها منعه . وهكذا جميع القوانين بلا استثناء . اما من رأى اعوجاجا في القوانين فعليه ان ينبه مرجعها بلائحة خاصة او بواسطة الجرائد وهذا مشروط بأن يكون تصديق القانون التصديق الرسمي .

ثالثاً — — عدم الخروج عن موضوع البيان : مثلاً لو قيل في البيان بأن هذا الاجتماع هو لاجل الاحتجاج على حكومة اليونان فقط فلا يجب الخروج عن ذلك ويجب المنع ان حصل احتجاج على حكومة الجبل الاسود لان البيان كان عبارة عن الاحتجاج على اليونان لا غيره . وقس عليه البواقي .

رابعاً — الامن العام : غني عن الايضاح

خامساً — الآداب العامة : لو اراد الخطيب استعمال اليد او احدى المشروبات

الاخرى اثناء خطابه فيمنع من ذلك . لان آدابنا الاسلامية تضرر علينا التهتك بالمنكرات .

وهنا يضاً يجب على الهيئة الادارية ان تتدخل بالامر .

وهذا الامر يشمل الغير المسلمين ايضاً . نعم يسوغ لم استعمال المشروبات المسكرة ولكن في اماكن خاصة لا علناً لان الآداب العامة الوطنية (وهي اسلامية بالنظر الاكثرية) لا تجيز ذلك بنة والقصد من الآداب العامة مراعاة العواطف لا غير . وهل يجوز لغير المسلمين عقلاً ومنطقاً جرح عواطف اخوانهم المسلمين اكثرية المملكة باستعمال المشروبات علناً ؟ كلا . اذن يجب منع الخطيب الغير المسلم ايضاً ان اراد استعمال البيرا او الكونياك على منبر الخطابة العلني . وهم يحلون هذا تقليداً للاوربيين . اما آدابنا فلا نستطيع ان نهضم هذا بوجه من الوجوه . ولذلك منع واضع القانون هذا وامثله وبهذه الصورة حفظ الآداب العامة من طرود الخلل عليها :

وهذا لا يحجز حرية الانسان حر في بيته يفعل ما يشاء ويشرب ما يشاء .
سادساً — عدم التفوه بأقوال تشوق الى ارتكاب الجرائم : وهذا ايضا غني عن الايضاح .
هذه الامور الستة واجبات الادارة يجب الانتباه لها واذا حصل تهاون بها فالجزاء محقق بموجب المادة العاشرة من هذا القانون .

قد يمكن ان لا يبين الشخصان اللذان يعضيان البيان اسماء هيئة الادارة لاسباب عديدة . فاذا ما وقع مثل هذا الحال . وجب على المجتمعين انتخاب ثلاثة اشخاص من بينهم قبل كل شيء وتعريف الحكومة عنهم واذا لم ينتخب احد لهيئة الادارة فتوجه التبعة على ممضي البيان والجزاء يكون بموجب المادة العاشرة .

المادة التاسعة — . يرسل من قبل الحكومة الى محل الاجتماع مأمور ملكي او عدلي ولهذا المأمور ان يوجد في المحل الذي بعده . مناسباً . وله ان يفسخ الاجتماع اذا طلبت هيئة الادارة ذلك او وقعت منازعة ومجادلة تخل بالضبط والربط
ايضاح — اذا قبل حكومة يجب ان يخطر على البال رؤساء الادارة الملكية اي المختار والمدير والقائم مقام والمتصرف والوالي وفاطر الداخلية والصدر الاعظم .
واذا طلبت هيئة الادارة فله ان يأمر البوليس والجندمة فسخ الاجتماع .

قيل في المتن (منازعة ومجادلة) وهذان قسمان قولي وفعلي . فان كانت قولية فلا يسوغ له المداخلة بدون طلب من هيئة الادارة واذا حصل ما يخالف القانون فتوجه التبعة على هيئة الادارة والفاعلين . اما اذا كانت المنازعات والمجادلات فعلية فله ان يتدخل من نفسه او يفتتح الاجتماع . وهذا مستبعد عن قول القانون لان المنازعة ومجادلة

بالضبط والربط) والاخلال بالضبط والربط لا يكون بالقول مطلقاً .

اما اذا اتى احد المجتمعين بشيء يعارض الآداب او تكلم بكلام يحل بالامن فعل الهيئة الادارية ان تراجع الأمور الخاص وهو يمنع هذا الرجل من عمله وكلامه وينظم ضبطاً وودعه للعدلية لاجل مجازاته بموجب المادة العاشرة . وان لم تراجع الهيئة الادارية الأمور فتكون الهيئة مسؤولة ايضاً . وان عدلها من الأمور خاطره ولم ينظم ضبطاً بها فيجازى هو ايضاً بقطع راتب شهر جزاء تهاونه . وفقاً لقانون الجزاء لاهذا القانون .

المادة العاشرة — يجازى من يخالف احكام هذا القانون بالحبس من ٢٤ ساعة الى اسبوع او بالغريم بنجزاء نقدي من ٢٥ غرشاً الى ليرة . بشرط ان لا تخل احكام القوانين الاخرى بحق من بأنون بالجرائم الاخرى

ابضاح — لو ضرب احد آخر اثناء الاجتماع فيجازى جزاء الضرب العادي المدرج في قانون الجزاء ولا يكتفى بهذا الجزاء الجزئي المحرر في هذه المادة . وهذا الجزاء خاص بمن يخالف هذا القانون المؤلف من احدى عشرة مادة فقط فلو صرح مثلاً احد المجتمعين اثناء الاجتماع يجازى بهذا الجزاء لانه اخل بانتظام الاجتماع . والحاصل ان هذا القانون لا يعارض قانون الجزاء العام بتاتاً

المادة الحادية عشرة — ناظر الداخلية والعدلية مأموران باجراء هذا القانون . في ٢٠ جمادى الاولى ٣٢٧ و ٢٧ ايار ٣٢٥ .

ابضاح — الداخلية والعدلية ابداً كحفظ الصحة والطب . فكما انه قبل المرض تراعى قواعد حفظ الصحة ولا يراجع الطبيب الا بعد وقوع المرض فأمور الداخلية والبوليس والجندرية يتخذ كل انواع الاحتياط ويتخذ جميع التدابير لاجل منع كل عمل يخالف هذا القانون . واما ان حصل خلاف فمناك تبتيدي^١ وظيفه مأموريه العدلية . اي وظيفه العدلية تبدأ حيث تنتهي وظيفه رجال الداخلية .

هذا هو قانون الاجتماع منبأ وشرحا وقد استندت في شرحي له على اربع مسائل^(١) اقوال علماء أصول الادارة الملكية^(٢) وعلى دلالة القوانين الاخرى^(٣) وعلى الاوامر الصادرة من المراجع العليا^(٤) اقوال علماء اصول الفقه والمنطق . وانشرت الى ذلك فيما رأيت لذلك داعياً ؟

وبعد ترجمة المتن وشرحه كما مر ارى الحاجة ماسة لبيان اقوال علماء فن تدبير المملكة بحسن الانجتماعات على طريق^١ الاجاز الزائد ليكون القارئ على بصيرة تامة واليك البيان:

يقول العلماء لهذه الاجتماعات الاجتماعات العامة *Réunion publique* ويقسمونها الى اقسام عديدة: ^(١) اجتماع شامل ^(٢) واجتماع خاص ^(٣) دينوي ^(٤) ديني ^(٥) مشروع ^(٦) غير مشروع ^(٧) مهياً *Organisés* ^(٨) غير مهياً او مشوش *Attroupent* . ونبحث الآن في تعريف كل قسم من هذه الاقسام على وجه الابعاز .

الاجتماع الشامل — الذي يسوغ لكل الناس الاشتراك به سواء كان باجرة او مجاناً مثل الاشتراك لاجل سماع المحاضرات العلمية والسياسية والادبية .
الاجتماع الخاص — الذي لا يوغ الاشتراك به لغير الدعويين مثل الضيافات وانواعها . وهذه حرة عندنا بدون قيد وشرط .
الاجتماع الديني — هذا يكون لمقاصد عديدة تارة سياسية واخرى اقتصادية ومرة علمية وثانية تجارية .

الاجتماع الديني — هو من قبيل الاجتماع بالجوامع والكنائس . لاقامة الشعائر واستماع النصائح . وهذه الاجتماعات ايضاً غير تابعة بصور وشرط قانونية
الاجتماع المشروع — ما كان موافقاً للقوانين . واما الغير المشروع الغير الموافق للقوانين الاخرى

الاجتماع المهياً — الذي يكون مبنياً على نية معلومة وقصد محدود معين
الاجتماع المشوش — هو الذي يكون من قبيل التصادف او التشويق الوقتي .
فقانون الاجتماع الذي ترجمته وشرحته بهذا العدد من مقننينا يبحث عن الاجتماعات الشاملة والدينية والمشروعة والغير المشروعة والمترتبة . ولم يتدخل قط في الاجتماعات الخاصة والدينية والمشوشة قطعاً . ولا بد ان ننبه الحكومة لهذه الاقسام الثلاثة الاخيرة وتضع لها قوانين تبيح عنها أسوة بجميع الدول المتقدمة ووقاية لحال الامة من تشويشات المشوقين الضالين المضلين ومن سوء تفسير رجال الادارة صيغة الحظ والاتفاق . فان تسعة اعشار تذهبنا الاداري ناشئ في الامر الحق من هؤلاء الضالين ارباب النفوذ ومن جهالة من يقال لهم آملون

اخبار وافكار

الاسفنج

لا يعرف العلماء حتى الآن فيما اذا كان الاسفنج يعد من الحيوان مع انه ايضا مشترك مع النبات كما لا يعرفون كيف يفتدي فهو يتناول غذاءه من منافذه ولكن ما هي ماهية هذا الغذاء الموزع على نصاب العدل وهذا من المجهولات ايضا .

وان الاسفنجة المعتدلة لتبلغ ١٨ سنتيمترًا في اربع سنين واهم مصايد الاسفنج في سورية وبحر الادرياتيک وعلى شواطئ تونس . وقد اخذت اميركا ولا سيما شواطئ فلوريدا تخرج الاسفنج منذ مدة ايضا ويجيء هذا الصنف من كوبا وجزائر براهاما . ويستخرج الاسفنج على صور مختلفة واكثرها استعمالا ما يفوصون عليه في اعماق تختلف من ١٠ الى ١٥ مترا فينزعون هذا الحيوان من الصخر الذي علق فيه ومنهم من يستعملون اجراس الفواصة فيتراکض كلاب البحر فلا يتقيها الغائص الا بان يتموت فتكف عنه لان كلب البحر لا يقترب من الجثث الهامدة . وقد عني الدكتور مور بزراعة الاسفنج بدون ساق وهو انقى من غيره من الانواع وطريقته ان يقطع الحيوان قطعاً قدر كل واحدة خمسة سنتيمترات مربعة ويركها الى اوتاد مغموسة بماء البحر فتكبر هذه القطع ويصبح وزنها خمسة وعشرين ضعفا عما كانت عليه وذلك في خلال ثمانية عشر شهرا .

العصر الحجري

لم تدثر اجناس البشر التي كانت معروفة في العصر الحجري الفريق في القدم فان قبائل اواسط اوستراليا تمثل آخر بقاياها . فقد باد قدماء التاسمانيين الذين كانوا فرعاً من تلك القبائل ولم يتحقق اصل قرصان اندمان (ارنجيل في خليج بنغالا) واحتفظ اهل اوستراليا بسحناتهم وصفاتهم وهم قوم رحل مختلفة لهجاتهم بعيدون عن كل مدنية احط خلق الله في المعارف وصحة الاجسام ينزلون رمالاً لا ينبت فيها غير العوسج يعيش رجالهم بالصيد بالحرايب والنساء يقلعن جذوعاً ويبحثن عن الديدان يفتدين بها . وكلهم من اكلة البشر لا يعرفون الثياب يسترون عوراتهم بزناير بسيط واذا اكلوا انساناً من البيض الضالين في اصقاعهم يأخذون قبعة يجعلونها على رؤوسهم واحذته وجواربه في ارجلهم علامة على اكبرياء والعظمة . ومساكنهم عبارة عن اكواخ من الاهصان

لا يعرفون المعادن الا منذ زارهم بعض ارباب الرحلات وليس لهم آنية في مساكنهم ولا يحسبون الا على اصابعهم الى الصف الاول من الاعداد لا يتعدونها الى اكثر ولكنهم ماهرون في رسم بعض الصور على الحجارة وفي تزيين اتراسهم بيد ان حذقهم في هذه الصناعة احط من حذق اهل عصر الوعل في اوربا الغربية . ويقول العالم الاخصائي في احوالهم ان سكان اوستراليا الوسطى الاصليين جاؤا من اختلاط بين زنوج بابوان وجنس من الخلق ارقى من الجنس القوقازي امتزج الجنسان معاً منذ الزمن الاطول ايام كانت استراليا جزءاً من قارة آسيا

السماك الاحمر

كان الغرييون يتسلون بتربية السمك الاحمر كما تتسلى به في سورية بجعله في بواطي وزجاجات وتغير مائه اليوم بعد اليوم وقد عدلوا المهدنا عن تربته ولم تبقى الا جزيرة صقلية تأتف تربته فيعملون فيها غدراناً مساحتها مئة متر مربع تفصل الواحدة عن اختها حواجز وسدود تفصلها بعضها عن بعض قليلاً وهي قليلة العمق يجعلون ماء الاحواض على حرارة ٥٠ درجة ولا يفتأون يغيرون عنها الماء ويلونونها بان يضعوا في الماء شيئاً من الحديد والعطان (قشر البلوط المسحوق للدبغ) والعفص وطعامها من الهوام والدم المحمد وبقايا اللحوم والشعير به نغو ونشكاثر ويكثر في تلك الاحواض من المذكور اكثر من الاناث . ويقال ان السمك الاحمر قد يستغني عن الغذاء شهراً كاملاً

صناعة الفنادق

سهقت سويسرا غيرها من بلاد الغرب والشرق بان كانت افضل البلاد بفنادقها وتزلها التي تجلب السياح اليها بمئات الالوف كل سنة وترجع منهم الارباح الطائلة وليس في هذا الشرق العربي اليوم من يحذو حذوها من البلاد غير جبل لبنان فاذا تم له ما ينبغي من دواعي الاصلاح وتوفرت في فنادقه وقصوره اسباب الراحة مع الاقامة وعدم الاشتطاط في الطلب وامتدت فيه كل الطرق المعبدة وعشرات من كيلومترات الخطوط الحديدية ايضاً يصبح في آسيا بمثابة سويسرا في اوربا . وان بلد الفنادق اي سويسرا بل الفندق الاكبر في الغرب لم يصل الى ما وصل اليه الا بفضل العلم والمدارس وربما يعجب ابن الشرق اذا قلنا له ان صناعة الفنادق يتعلمونها هناك في المدارس تعليماً نظرياً وعملياً ولذلك سبقوا غيرهم من سائر امم اوربا الذين لم من بلادهم ايضاً ارض

طيبة ومناظر جميلة ولكن ليس لم ا- تعداد السويسرين في جلب قلوب السائحين ولا يكفى اليوم في النزول ان يعرف صاحب الفندق تقديم الطعام الجيد الطبخ بواسطة طهاته ولا ان يحسن اللقاء والتشجيع ويطش في وجه نزيله بل عليه أمور أخرى كثيرة تستدعيها المدينة ولا يتعلمها الا من دخل مدارس سويسرا او لاسيما مدرسة لوزان الفندقية . فلاحرى احد ارباب الفنادق في سورية ان يبعث باحد اولاده يتعلمون فيها ليطرس غيره على آثاره وتغنم البلاد فوائد كلية من دنائير السائحات والسائحين

سجون النساء

نادت ليزابت فري في اوائل القرن الماضي باصلاح سجون النساء فلم يتيسر في اميركا اجابة طلبها الا في العهد الاخير فأنشأت بعض الولايات المتحدة الشرقية سجوناً لتنفيذ اليها الشمس مضاءة نتيحة طاهرة مستوفاة من حيث الصحة وجعلوا الفئات على السجينات من النساء يعنين بامرهن كل العناية ويحبين اليهن اذ رأته اميركا ان السجن وحده كاف في اصلاح النفوس فلا ينبغي ارهاق المسجون بل تعليمه بالقراءة والمطالعة ولذلك ترى العناية بعصمتن الادبية وصحتن الجسمية بالغة حدها من النيقة فيجتمع السجينات في اوقات الراحة في مكتبة حوت انفع الكذب لمن يطالعهن وما يصرفن فيه اوقاتهن زراعة البقول وغيرها فلا يخرجن من السجن الا وقد تطهرت نفوسهن بالمطالعات والتمن تربية البقول والازهار وبذلك تم للحكومة ما أرادت من انتشار صناعة الحدائق بفضل جودة التربة والتربية في تلك الولايات . فتمى بكون في هذا الشرق القريب سجون كهذه للرجال والنساء

الكليات الروسية

نقول احدى المحلات في روسيا ان حالة كلياتها اليوم اشبه بساحة وغى غداة القتال والنزال فان سيطرة الاساتذة ان لم تكن زالت فقد تضعفت كثيراً واغلغل مستحکم في صفوف الطلبة لان السياسة منذ زمن متاماً عظيماً في حياة الكليات مما هو مضر بالغاية المطلوبة من هذه المعاهد . ومن العجب أن تساعد الكليات على نمو هذه الافكار واذا قد ضعفت سياسة التطرف في هاتيك المدارس اخذت الحكومة تدخل فيها سياسة حزب اليمين وذلك باانشاء جمعيات تكون بحجة جمع شخات الطلبة آلة لبث الدعوة الارتجائية اى العودة الى سياسة الحكم المطلق فالواجب العدول عن الاعتصابات لانها لم تثمر ثمرة ما لتلك البيوت العلمية واطالما اضرت بمن يأنها والحكومة تعمد اليها للتخلص

من الاسانذة والتلامذة الذين عرفوا باستقلال الارادة والفكر . والخلاصة فان روسيا تنمو بكتلياتها من حيث الفكر السيامي نحو تقديس الحكومة المطلقة والمانيا تنمو بكتلياتها نحو تقديس الحكم المقيد تحت رعاية الامبراطور وشتان بين الامبراطورين والامبراطوريتين .

الزحافات ذات الدف

كان علماء المظمورات (Les paleontologistes) يدعون بان اعظم الزحافات ذات الدف في ولاية داكوتا وغيرها من الولايات المجاورة في اميركا الشمالية ولكن البحث في مظمورات افريقية النباتية وغير ذلك ابان تقيض هذا الزعم . فقد اكتشفت في الطبقات الجيولوجية في جنوبي افريقية من سهل كارو العظيم في مستعمرة الرأس مظمورات لها شبه عظيم آثار الزحافات الاميركية الاولى وأيد احد اسانذة المانيا هذا القول وقال ان في افريقية الشرقية الالمانية جبلاً اخرجت من صدره بقايا حيوانات تشبه هذه . وكان كارنجي المثري الاميركي اهدى متحف برلين حيواناً سموه ديلودو كوس زعم انه اكبر زحاف في الارض ولكن تبين ان في المستعمرة الالمانية الافريقية ما هو اضخم منه جثة يبلغ طوله مترين و ٤٥ سنتيمراً على حين لا يبلغ طول حيوان كارنجي اكثر من متر و ٨٢ سنتيمراً وطول اعظم فقرة من عظمه من ناحية عنقه ٦٢ سنتيمراً في حين ان مثلاً في الحيوان الافريقي متر و ١٨ سنتيمراً وعظم العضد في الاول ٩٢ سنتيمراً وعظم العضد في الثاني يتجاوز المترين ورأس الزحاف الافريقي صغير بالنسبة لحجم جسمه

الهجرة الايطالية

لم يهاجر منذ سنة ١٨٦٦ الى ١٩٠٨ اقل من ٥٨١٣٤٦٠ مهاجراً ايطالياً ما يعادل مجموع سكان الجمهورية الفضية او سكان الجزائر وقد كان المهاجرون عرضة لتلاعب اللصوص والمحتالين عندما يغادرون بلادهم فيتلاعب المتلاعبون بعقولهم واكثرهم من ضعاف العقول بالطبع فانتبهت الحكومة الايطالية والشعب الايطالي للامر وألفت جمعيات كثيرة في امهات مدن اميركا الشمالية والجنوبية لاستقبال مهاجري الطلاب والسير بهم في الطرق الموصلة القريبة الى احتياز المال والعيش الخفسال وهكذا تم لم ذلك . وللسور بين على ضعفهم في تلك الاصتاع جمعيات من هذا القبيل وكانت ضئيلة ولكنها تستخدم الهجرة والمهاجرة .

السرطان البحري

لما كان السرطان البحري في اميركا اكبر من السرطان الاوربي مرتين اصبح الطلب عليه كثيراً والرغبة فيه ولا سيما للتدريد أكثر مما يصاد منه . وقد عمدت اميركا الى تجميعه بالطرق الصناعية الكثيرة فلم تفلح وقضت بان يكف عن صيده ولو بضع سنين فلم يسمع لها خصوصاً وان كثيراً من الاسماك الكبرى تسطو عليه عند ما يكبر واذا كان صغيراً فأبناء نوعه يأكلونه ولو لم يكن قليل الامراض لفني منذ زمن طويل . وكان هذا النوع في اميركا ضعفي ما هو عليه اليوم وزن الواحدة منه من خمسة الى ستة كيلو تباع بالواحدة اما اليوم فيباع بالوزن . ونوعه يقل كما يقل عندنا السمك البحري والنري لان الصيادين يصيدونه في الغالب بوضع قذائف من الديناميت تقتل كباراه وصغاره والحكومة تمنع ذلك ولكن منعها جبراً على ورق

الاقتصاد في الوقت

من اعظم ما يتكو منه ارباب الصحف كثرة ما يرد عليهم من المقالات الثافهة والبارات الساقطة لا يعرف ذلك ألا من يعانيه ولذلك كثيراً ما يضطرم الوقت الى عدم اتمام قراءة ما يعرض عليهم فيدركون ضعفه لاول وهلة فيوفرون بذلك اوقاتهم . وقد شعر ارباب المطابع والمجلات والجرائد في اميركا بهذا الامر فأصبحوا اذا القيت الى احد الطابعين رواية ليراها هل تصلح ام لا ينظرون الى اسم مؤلفها فان كان ممن له شيء من الشهرة تدفع قصته الى من يقرأها وتكلف قراءة قصة مؤلفة من مئة الف كلمة خمس ايرات فاذا جرى في كل قصة تأتية على هذا النحو يخسر كثيراً لان قيمة الساعة التي يصرفها قارئ القصص في ادارته نصف ريال فاذا كانت القصة من قلم من يجدر ان يقرأ كتابه تدفع الى امين سر المحل وساعته تساوي اثني عشر فرنكاً فتأمل

الحمامات

عادة الاستحمام قديمة جداً ورد ذكرها في اساطير الاقدمين ويقال ان البطل هر كول اليوناني استمتع بما استمتع به من القوة والعضلات المفتولة لاعتياده الاستحمام بالمياه فاشتهرت حماماته ودعي كثير منها باسمه . وكذلك ديان وايزون المشهورتين في الاساطير اليونانية فانهما حفظا صحتها بل جعلتا لها بالمياه قوة زادت عن القوة المعتادة عشرة اضعاف . ولقد كان القدماء يعتبرون الماء البارد دواءً ينفع في كل الادواء ذكرت ذلك التوراة واشارت اليه في مواطن كثيرة . وكان للعبرانيين حمامات منذ العهد الاقدم وهي ولا

جزم ضرورية لم لحرارة الجو في البلاد التي نزلوها وقد فرض موسى الاستحمام ولا سيما على النساء وكان المصريون يرون الاستحمام من الواجب وكذلك الاشوريون على ما تراه الى اليوم فيما أخرج من آثار بلادهم من بقايا الحمامات وجميع أم الشرق ترى الوضوء فرضاً دينياً ومنها ديانة ماني وزردشت والاسلام . وكانت الحمامات في يونان على اختلاف انواعها بحرية او نهريّة عامة للكل يستعم فيها من يريد والرشاش من الامور العادية في يونان وكان لرومية حمامات فاخرة فيها انواع الراحة من حجر للتعريق واخرى للتمسيد وغيرها للتبريد واخرى لذلك والتغميز . وكانت هذه الحمامات ولا سيما حمامات اغريبيا ودبوكلين وكاراكالا تنفع جد النفع وكثير من الرومانيين والرومانيات كانوا يستحمون في نهري الثبر وكونون وكثيراً ما كان حكام رومية *Pea Censeurs* يطلقون السنتهم في انكار اختلاط الرجل بالنساء وكان في القرون الوسطى في الغرب حمامات على اختلاف انواعها وفي القرون الحديثة أدست عليها تعديلات جسيمة هذا ما ناله احدى الصحف الافرنجية اما حمامات الشرق فقد اشتهرت شهرة فائقة ومن احسنها اليوم حمامات دمشق فيما نحسب وان كانت تحتاج شيء من مراعاة قواعد الصحة كأن يرجع اربابها عن استعمال المغطس يغوص فيه مئات كل يوم وفي بعضهم من الامراض الجلدية وغيرها ما تمكن مرابته وتفصل المناشف كل مرة فلا يعطى لزبد ما نشف به بدن عمرو في ذلك من الضرر ما لا يخفى على لبيب محله فقد صار من المثل عندم ان الشيء القلاني مبذول كقوطة الحمام من بدن الى بدن

المحاضرات والمسامرات

اصبحت المحاضرات والمسامرات في الغرب من الامور الطبيعية الشائعة في مجتمعاته فالمحاضرون درجات وكذلك الحضور ومنهم المجيد ومنهم الوسط ومنهم العاطل والنكل في الاغلب يصفق لم تحسبنا ويستمع لما يقولون استحسنانا او تصبراً او تأدباً ويشنون عليهم في الجرائد . وهذا العلم يحتاج الى قابلية لدنية وطبيعة كسبية ولا يجيد فيه المجيدون الا بالتدريج والاستعداد الاجادة متوقف على معلومات موعة وأدلة لم تعرف ونفاصيل غريبة جديدة والارتيال يصعب فيها فالواجب ان تعين لها خطة وجميع تجعل على نظام خاص . ويختلف المدخل والمخرج منها باختلاف الموضوعات والاحوال . وعلى المحاضر ان يتبين استحسنان سامعيه له من النظر الى عيونهم فان رآهم فرحين عرف ان لكلامه تأثيراً فيهم . وفي فرنسا والمانيا وانكلترا واطاليا تلى المحاضرات بدون لاحق فلاذا؟

تكلم المتكلم سمع السامع اما في اليابان فان التأثير جعلت على صورة يشخص فيها المحاضر محاضراته او مسامراته تشخيصا بلذا سامعيه ويضجهم كأنت تجعل نافذة تحت رجله فتفتح وتبطله فينتني عن الانظار وياخذ الحضور يقهقهون وفي افريقية الوسطى ينبع الخطيب خطابه بمحركات متتابعة ويقف على ساق واحدة ويده اليمنى مسندة الى ركبته الخفية واليسرى فوق رأسه وهذا من ادوات الاقتناع والتأثير في ذهن السامعين من الزنوج وحالة الحضور اضحك لما فيها من التصفيق واشارة اليدين وفتح الافواه والاشداق

اصلاح اجتماعي

الثام في مدينة الله آباد من مدن الهند مؤتمر مثل فيه كثير من اعضاء الجمعيات الراقية الهندية فقرر المؤتمر ابطال زواج الاولاد لان الصبيان كثيراً ما يخطبون بعض اقاربهم وهم بين الثامنة عشرة والرابعة عشرة فلا يلبثون ان يتزوجوا منهم فيجني ذواربهم ضعيفة لا تتدر على مقاومة الطاعون ولا التحط فحدد المؤتمر سن الزواج وجعلها ١٦ للبنات و ٢٥ للرجال وقرر ايضاً ابطال الزواج الامن طبقات مخصوصة لان طبقات الهنود تعد بالثلاث وكل طبقة يفرض عليها ان لا تنزوج الا من اهل طبقتها فاذا وقع تطبيق هذين القرارين جاء من الهنود نسل قوي نشيط . وفي مملكة ترافكور وهي من الممالك الهندية المستقلة يقضى ان لا تكون سن الزوج اقل ثلثي عشرة وسن الزوجة ست عشرة .

علم العلم

قالت احدي المجلات الايطالية ان الحكومات تشابه منذربعين سنة فاذا ما نظرنا الى التعليم العالمي في الأمم على اختلاف قاراتهم نراه ينبعث من ٢١٨ مدرسة كلية و ١٨٩ مجمعا علميا جامعا و ٤٣٤ مجمعا علميا غير جامع و ٣٩ مجمعا علميا (اكاديميا) و ١٣٦٣ جمعية علمية منتشرة في الاصقاع المختلفة ومنها اوستراليا وآسيا التي تهب من سباتها وافريقية التي تلتفت من قبور الظلمات . ولكي ندبر سرعة هذه الحركة يجب علينا ان نعتبر بان ألمانيا قد ارنقى عدد اساتذتها في المدارس العليا من سنة ١٨٨٧ الى ١٩٠٨ من ٢٠٩٥ اساتذاً الى ٣٢٤٧ وانفسا من سنة ١٨٨٥ — ١٩٠٧ من ٨٠٨ الى ١٣٠٨ وسائر البلاد تتجهو هذا الحدو في ارتفاعها وكذلك الحال في زيادة عدد المتعلمين ورجائنا اكثر من بعبو المعلمين فقد كان لفرنسا مثلاً سنة ٢٩٠٧ — ٧٨١ طالبة في الآداب والفلسفة

من الفرنسيات و ٨٠٦ من الاجنبيات اما سائر الفروع فقد كان دارسوها في فرنسا ٣١٦٠ طالبة منهم ١٦٦٦ من الفرنسيات والباقيات اجنبيات وكان لالمانيا في سنة ١٩٠٨ ٤٥٣ طالبة المانية و ٦٧ اجنبية في الفلسفة ومجموع الطالبات في الفروع الاخرى ١١٣٢ منهم ٥٩ : غير المانيات ولهولاندة ٥٠٦ طلبة ولرومانيا ٤٤٠ وهكذا كثر الميل الى التعليم العالمي اكثر من زيادة عدد السكان

الاستعمار الالماني

التي احد اساتذة كلية مونيخ ومدير المدرسة التجارية العالية خطاباً في السياسة الاستعمارية الالمانية قال فيه : ان المانيا دخلت ميدان الاستعمار منذ خمس وعشرين سنة في زمن تزايدت فيه الهجرة من بلادها ايام هاجر ٥٤٠ ألفاً بين سني ١٨٨٠ — ١٨٨٣ و ٨٧٥ ألفاً بين سني ١٨٨١ — ١٨٨٥ وكان قد مضى نصف قرن على المانيا وابوابها ينتشرون في الارض . وادعى دعاة الاستعمار انهم كانوا يستخدمون الهجرة بتحويل وجهة المهاجرين نحو البلاد التي يحقق عليها العلم الالماني : فقد رجحت المانيا من سنة ١٨٨٤ — ١٨٨٥ الى سنة ١٩١٠ مليونين ونصف مليون كيلومتر مربع كان فيها سنة ١٩١٠ — ٢٠٠٧٤ رجلاً من البيض يدخل فيهم الجند ورجال الشرطة وهم ١٣٦٦٢ رجلاً و ٣٣٣٧٢ امرأة و ٣٠٧٥ ولداً فاذا اخرج منهم الاجانب بقي من هذا العدد ١٦٠٠٠ الماني فقط . وليس للامانيات اليوم حاجة للاراضي الجديدة ينزلها الفائض من بنيتهم كما كانوا قبل خمس وعشرين سنة فقد زاد عدد سكان المانيا من ٤٥ مليوناً سنة ١٨٨٢ الى ٦٥ مليوناً سنة ١٩١٠ وكانت يبلغ معدل المهاجرين مساندة ١٧١ ألفاً سنة ١٨٨١ — ١٨٨٥ فلم يتجاوز معدله سنة ١٩٠٦ — ١٩٠٩ اكثر من ٢٦٨٩٣ ويستدل على ان الالماني يجد ما يعمل اليوم في بلاده وان عدد الرحلة قد زاد في ربع قرن من اربعة ملايين الى ثمانية ملايين وسدس وعدد عملة التجارة من ٢٠٠ الف الى مليون وتسعمائة الف وكان عدد الاجانب في المانيا في اواخر القرر التاسع عشر ٤٨٤٤٢٣ فاصبح ١٠٠٧١٧٩ سنة ١٩٠٥

ومناجم فتغاليا والاعمال الزراعية الكبرى واعمال البناء كلها تحتاج الى عامين في المانيا فيجئها العملة من النمسا ومن روسيا بحيث بلغ عدد العملة فيها من غير انائها ٥٨٥٠٠٠ في سنة واحدة . والمانيا تستخرج من مستعمراتها المواد الاولى اللازمة لها في صناعاتها التي يعمل في صنعة القطن وحدها ثلثاثة الف من الالمان ومع هذا فان

ما تصدره مستعمراتها اليها بلغ في السنة الماضية ٧٠ مليون مارك اي واحداً في المئة من مجموع الواردات الالمانية فلا تصدر مستعمراتها مثلاً أكثر من ٨٠٠ الف مارك من القطن في حين يساوي قطنها اللازم لها ٥٣٢ مليوناً وليست المستعمرات الالمانية كلها صالحة الآن لسكنى البيض فاذا حذفنا مستعمرات المانيا في الجنوب الغربي من افريقية بلغت مساحة مستعمراتها ١٠٨٠٠٠٠٠٠ مليون مربع منها ٥٦٦ فقط يعمل فيها ٧٠ الف زنجي ويشارك الاوربيون في استعمارها واستثمارها وسكان مستعمرات المانيا كلهم ١٤ مليوناً يصيب كل فرد من اهلها خمسة ماركات من الصادرات في حين يصيب الفرد في جامايك ٤٨ ماركاً وفي ترينيداد ١٧٥ ماركاً . وقد انشأ الالمان في مستعمراتهم ٢٥٢٦ كيلومتراً من الخطوط الحديدية و ١٤٦٨ كيلومتراً آخذون بانشاءها . والصعوبة في مستعمرات الالمان ان اليبش على البيض متعذر ولذلك تراه يضطرون الى الزواج من بنات البلاد السود فيأتي اولادهم خلاسيين وقد يكون فيهم عيوب آبائهم هذا مع ان العامل الاوربي يقبض عمالته زهاء خمسة ماركات والعامل الوطني لا ينال نصف اجرته الا بشق الانفس . وقد اساءت المانيا بسياستها العسكرية التي جرت عليها مع الزواج فابادت المرووس العصاة عن بكرة ابيهم ليحل محلهم البيض هذا وافريقية قليلة بسكانها واراضها محتاجة لاستخراج كنوزها الى ايد عاملة قد يتعذر جلبها من اوربا لرداءة المناخ لان اوستراليا قد جلبت من انكلترا ٧٦٠ الف انكليزي أعطوا جوائز عن عملهم اراذي يستثمرونها فكانت باعثة لهم على التوطن في البلاد . وحيثما يكثُر السكان في افريقية يكتفي الاوربيون بالتجارة مع الوطنيين . والمدنية الاوربية تقرض الزوج فقد بلغ عدد من يموت من العملة السود في الترنسفال ٢٨ في المئة نصفهم بامراض الكبد كما يهلك كثير منهم ومن غيرهم بمرض النوام الذي يحار به الغريوت ليتغلبوا على فتكاته بادويهم فيفيدوا الانسانية والامور الاقتصادية .

وقد تبين بالاختبار ان سياسة الاستعمار التي ترمي الى ملاحظة مصالح الوطنيين وتعنى بتكثير سوادهم هي نافعة من حيث الوطنية ورايحة من حيث المالية فالعمل الاجباري لا ينجح وما قط كانت له ثمرات كالعمل الحر المطابق — انتهى عن مجلة الاقتصاديين الفرنسية

نتائج الحروب

نشرت مجلة ادلة الترقى مبحثاً قالت فيه ان الافكار العامة في اوربا اليوم اختلفت

كثيراً في تصور معنى الحرب والسلام عن سنة ١٨٨٠ وكثير العاملون للسلام والقائون به والداعون اليه فانه اذا نظر الى الصلات الاقتصادية بين الأمم نرى ان الحروب لا تدوم كثيراً لان الغالب يخسر كالمغلوب او اكثر . وما الباعث الرئيسي للفجاء في الشعوب الاوربية الا كثرة السكان والشدة في تحصيل الرزق فالانسان مصرف لآخيه الآخر ولذلك كان العيش في البلجيك وسويسرا اشق مما هو في جرمانيا لكثرة نفوس هذه . وما تاريخ القرون الغابرة الا فتوح طويل بطي ؟ لاستحصا الخبز وهو الى الآن غير مضمون الحصول للناس كلهم . اننا نسكن كثرة من التراب الموحد مساحتها ١٢٦ مليون كيلو متر مربع وفيها نحو ١٥٠٠ مليون من البشر والاراضي الى عهد قريب كانت موزعة توزيعاً غير معقول على السكان . انا نسكن على هذه الارض ويسكن معنا انواع من الحيوانات وما قط رأينا ابناً الجنس الواحد منها يأكل بعضها بعضاً ويفترس احدها الآخر . وللأسراع بالانتفاع من هذه الارض في حاجتنا وجب ان يكون الشرط الاول فيها ان يتفق جمهور العاملين من البشر . ان العقل يرشدنا الى ان جهادنا عبارة عن التغلب على المصائب والمصائب الطبيعية لا احداث امور من مثلها طبيعية . علينا ان نحفر اقنية ونخرق جبالات لا ان نقيم سدوداً كسدود الصين . ولذا وجب ان تزال تلك الحدود المصنعة ليعيش الناس العاملون عملاً عاملاً . والاستعداد العسكري واستغراق ميزانيات الدول في الانفاق على الجيوش هما من اكبر دواعي الضعف فان المدينة الاوربية تنفق في السنة عشرين ملياراً من الفرنكات في هذه السبيل فمنذ سنة ١٨٧٠ انفق الغرب مبلغ خمسمائة مليار بلا طائل فلو أبطلت الحروب منذ اربعين سنة لاستطاع البشر كلهم ان يأكلوا كما يريدون اليوم

ايظن الظائون ان البشر يرضون بعد بان يعمل المرء ساعة كل يوم زيادة حتى يقف الملوك وروساء الجمهوريات يستعرضون الجيوش ايام الاعياد الوطنية فقد ادرك الناس اليوم ان الحرب ليست الاجنبية وهي حماقة ورقاعة . ليس الجهاد في الحياة بين الاخ واخيه بل بين الانسان والطبيعة بذلها كما يشاء ليكون مقامنا في هذه الارض مقبولا محموداً . وللوصول الى هذه الحياة يجب نزع فكر الحروب من العقول وذلك بوجود كثيرة اولها تربية الاطفال والبالغين . فاذا فكر كل انسان كما يفكر كاتب هذه المقالة نثقل الحال عما قريب . على ان العالم سائرون الآن للسلام وان كان على طريقة هبة السبيل الى ذلك ان يحدد حمل السلاح بحيث يؤول ذلك الى نزع التدرج وان

يُحد المتجانسون من الشعوب اتحاداً سياسياً فيتحدهم سكان الغرب من اوربا اي الفرنسيين والانكليز وتُحد الممالك البلقانية. وتُحد الممالك الوسطى اي النمسا والمانيا وتعقد معاهدات التحكيم بكثرة. لا جرم ان الامم اليوم يقترب بعضها من الآخر بما ينشؤون من العهود ويعقدون من الوفاقات ويخضعون عليه من السباقات والمؤتمرات والزيارات ولكن الطريقة الناجمة في ذلك ان يكون لمحكمة لاهاي الصلحية يد اقوى في ابقاف كل امة عند حد معين من التسلح وذلك بان يقاطعهما كل الامم على السواء فاذا وقع خلاف بين المانيا وفرنسا وكانت الاولى معتدية يعلن عليها الدول كلهن المقاطعة فلا تلبث ان تعود الي رشدها في ثنائي واربعين ساعة على الاكثر فقد قاطع الصينيون اليابانيين والاميركانيين وقاطع العثمانيون النمساوين بتدبير افراد منهم فكم تكون المقاطعات الدولية عظيمة اذا صدرت عن الحكومات مباشرة

طرابلس وبرقة

يصدر هذا الجزء والحرب البرية البحرية يتلظى اوارها بين جيوش الدولة العلية ودولة ايطاليا لاعتماد هذه على طرابلس الغرب العثمانية بدون مسوغ دولي معقول وبهذه المناسبة رأينا ان ننقل للقراء شيئاً من وصف تلك البلاد وتاريخها فنقول:

طرابلس هي القسم الشرقي من بلاد البربر يحدها من الشمال البحر الرومي ومن الشرق لواء بنغازي ومصر ومن الجنوب الصحراء ومن الغرب الصحراء وتونس ومساحة طرابلس مع بنغازي ١٢٠٠,٤٠٠ كيلومتر مربع في رواية اي قدر ولاية سورية ١٣ مرة او ستة اضعاف مساحة تونس ونحو ثلاثة اضعاف ونصف مساحة ايطاليا — وسكانها زهاء مليونين وهواء السواحل منها من جهة سهول برقة وما جاورها معتدل . اما في جهة الجنوب اي في فزان فالحرارة تغلب عليها وانهارها قليلة ليست سوى جداول لان مياهها تنجس بشدة الحرارة وتضع في الرمال المحرقة واكثر شرب اهلها من صهاريج عملاً بماء السماء كان ذلك قديماً ولا يزال الى اليوم . وسواحلها منتبة في الجملة ولا سيما جهات برقة فانها تخرج انواع الحبوب والبقول والثمار والافهران والقوت والحلقالبرية والتمر والبرنقال والليمون والتين والزيتون ومن سواحلها يستخرج الاسفنج والمرجان وانواع الاسماك

ويقسم هذا الصقع بحسب التقسيم الاداري الاخير الى ولاية ذات اربعة الوية ولواء مستقل وهو بنغازي فلواء طرابلس يدخل فيه تسعة افضة وهي قضاء طرابلس

والتواحي الاربع وغريان واورفله وترهونة والزاوية وزوارة وعزيزة ونجيات ولواء
خمس وهو مؤلف من خمسة اقصية وهي قضاء خمس ومصرطة وظلتين ومسلطة
وسرت ولواء الجبل الغربي وهو اربعة اقصية فصر بفرين وغدامس ونالوت وفساطو ولواء
فزان وهو اربعة اقصية مرزوق وسوكنة وشايلي وغات وفي هذه الولاية عشرون ناحية
تنبع الاقصية وفي لواء بنغازي اربعة اقصية وهي بنغازي ودرنة ومرج واوجلة وجابو
وجداية وعشر نواح وبنغازي في المدخل الشرقي من السرت الكبرى وحاضرة برقة
وتجارها مع خانبا ومالطة ووداي في السودان الشرقي حسنة في الجملة وكان اسمها
بيرنيس *Bérénice*

واشهر مدن هذا القطر اليوم طرابلس الغرب اضافوا اليها الغرب تمبيراً لها عن
طرابلس الشام سميت الولاية باسمها وكانت الولاية ولا سيما قسمها الشرقي نحو بنغازي
تسمى برقة قديماً ومدينة خمس على الساحل وقصر بفرين ومرزوق وغدامس وغات
وبنغازي على الساحل ودرنة واوجلة وهما واحتان مشهورتان . وسكان طرابلس نحو
اربعين الف نسمة وسكان بنغازي زهاء عشرين ألفاً .

وبرقة كما قال ياقوت اسم صقع كبير كان يشتمل على مدن وقرى بين الاسكندرية
وافريقية (تونس) واسم مدينتها انطابلس وتفسيره الخمس مدن ولها ساحل يقال له
اجية وساحل آخر يقال له طلموبه وبين الاسكندرية وبرقة مسيرة شهر من القسقاط
(مصر) الى برقة مائتان وعشرون فرسخاً وهي مما افتتح صلحاً على يد عمرو بن العاص
سنة ٢٣ ومن برقة الى القيروان (تونس) مائتان وخمسة عشر فرسخاً

قال المقدسي ومن مدن برقة ذات الحمام . رمادة . اطرابلس . اجداية . صبرة
قابس . غافق . وبرقة قصبة جليلة عامرة نفيسة كثيرة الفواكه والخيرات والاعسال
مع يسار وهي ثغر قد احاط بها جبال عامرة ذات مزارع على نصف مرحلة من البحر في
هوة قد احاط بها تربة حمراء شربهم من آبار وما يحوونه من امطار في جباب وهي على
جادة مصر يحسنون الى الغرباء اهل خير وصلاح واطرابلس مدينة كبيرة على البحر
مسورة بحجارة وجبل شربهم من آبار وماء مطر كثير الفواكه والانجاص والتفاح
والالبان والعسل واسمها كبير . واجداية عامرة بنيانهم حجارة على البحر وشربهم من
الامطار وصرت كذلك ولها بواد وشعار - ي . وصبرة في بادية وهي حصينة بها نخيل
وتين شربهم من ماء المطر . وقابس اصغر من طرابلس لم واد جرار وبنيانهم من

الحجارة والآجر كثيرة النخيل والاعناب والتفاح مسورة باديتها بربر . وغافق ناحية واسعة كثيرة القرى والاسواق على ايام الجمعة بحرية ومن الناس من ينسبها الى افريقية (تونس) وذات الحمام مدينة عمرت من قرب

وكانت طرابلس من عمل تونس في القرون الاولى للاسلام ثم غلب اسمها على الكورة واصبحت بنارة قصبتها وذلك بدثور برقة وغلبة الخراب عليها وقد وصف ابن حوقل الجغرافي هذه البلاد في القرن الثالث وقد زارها فقال :

ان برقة مدينة وسطية ليست بالكبيرة الفخمة ولا بالصغيرة الزرية ولها كورة عامرة وغامرة وهي في بقعة فسيحة يكون مسيرتها يوماً كبيراً في مثل ذلك ويحيط بالموضع جبل من سائر جهاتها وارضاها حراة خلقية التربة وثياب اهلها ابدأ محمد يعرف اهلها بالفلسطاط من بين اهل المغرب بحمرة ثيابهم وتغيرها ويطوف بها من كل جانب بادية يسكنها الطوائف من البربر وهي برقة بحرية جبلية ووجوه اموالها حمة وهي اول منبر ينزله القادم من مصر الى القيروان

وبها من التجار وكثرة الغرباء في كل حين ووقت مالا ينقطع طلاباً لما فيها من التجارة وعبوراً عليها مغربين ومشرقين وذلك انها تفرد من التجارة التي ليس في كثير من المغرب مثلها والجلود المجلوة للدباغ والتمور الواصلة اليها من اوجلة ولها اسواق حارة من يبيع الصوف والفلفل والعسل والشمع والزيت وضروب المتاجر الصادرة من المشرق والواردة من المغرب وشرب اهلها من ماء المطر في مداخن تدخر واسعارها في اكثر الاوقات فائضة بالرخص في جميع الاغذية

ويليها اجداية مدينة على صحراء من حجر في مستوى بناؤها من طين وآجر وبعضها بحجارة ويطيف بها من احياء البربر خلق كثير ولها زروع مباحس وليس بها ولا ببرقة ماء جار وبها نخيل حسب كفايتهم وبمقدار حاجتهم وواليها القائم بما عليها من وجوه احوالها وصدقات بربرها وخراج زروعهم وتعشير خضرهم وبساتينهم هو لاميرها وصاحب صلاتها ولها من وراء ذلك لوازم على القوافل الصادرة والواردة من بلاد السودان وهي قريبة من البحر ترد عليها المراكب بالمتاع والجهاز وتصدر عنها بضروب من التجارة واكثر ما يخرج عنها الاكسية الماربة وشقف الصوف وشرب اهلها من ماء السماء .

واوجلة منها على ايام بين غربها وجنوبها وهي بلد ذات نخيل عظيمة وغلات تنصل

مها لاهلها جسيمة ومنها الى ودان طريق قصد وودان هذه ناحية ومدينة في جنوب مدينة سرت وهي جزيرة لا تقصر في رخص الثمر وكثرتها وجودتها عن اوجلة وسرت مدينة ذات سور صالح كالنوع من طين وبها قبائل من البربر ولهم مزارع وهي على البحر ترد عليها المراكب بالدماع وتصدر به عنها وفيها من جهاز الصوف ما لا يقصر عن اجداية وبرقة

واما طرابلس فكانت قديماً من عمل افريقية وسمعت من يذكر ان عمل افريقية لما كانت طرابلس مضافة اليها معروف معلوم وذلك انه من صبرة وهي منزل من طرابلس على يوم وهي مدينة من الصخر الابيض على ساحل البحر خضبة حصينة كبيرة صالحة الاسواق واسعة الكورة كثيرة الضياع والبادية وارتفاعها دون ارتفاع برقة وبها من الفواكه الطيبة اللذيذة الجديدة القليلة الشبه بالمغرب وغيره كالفستق والكثير من اللذين لا شبه لها في كثير من المواضع وبها الجهاز الكثير والصوف المرتفع واما قانس الاكسية الفاخرة الزرق النفوسية والسود الرفيعة التمنية الى مراكب تحيط عليها ليلاً ونهاراً وترد بالتجارة على مر الاوقات والساعات صباحاً ومساءً من بلد الروم وارض المغرب بضروب الامتعة والمطاعم واهلها قوم موقرون من بين من جاورهم متميزون بالتجمل في اللباس وحسن الصورة والقصد في المعاش الى مروءات غامرة ولهم عشرة حسنة ورحمة مستفيضة ونيات جميلة الى مرء لا يفتر وعقول مستوية وصحة بنية ومعاملة محمودة ومذهب في طاعة السلطان شديد ورباطات كثيرة ومحبة للغريب اثيرة ولم في اخير مذهب من طريق العصية لا يدانيه اهل بلد . واما قابس فانها مدينة ذات مياه جارية واشجار متهدلة وفواكه رخيصة ولها من التمر والزروع والضياع ما ليس لما جاورها من زبتون وزيت وغلات وعليها سور يحيط به خندق ولها اسواق وجهاز كثير ويعمل بها الحرير ويدبغ بها الجلود وينتجها التجار ولها صدقات وزكوات وضرائب وجوال على اليهود بها وسائمة كبيرة اه .

وقال اليعقوبي في كتاب البلدان : وحوالي برقة ارباض لها يسكنها الجند وغير الجند وفي دور المدينة والاراض اخلاط من الناس واكثر من بها جند قدم قد صار لهم الاولاد والاعقاب وبين مدينة برقة وبين ساحل البحر المالح ستة اميال وعلى ساحل البحر مدينة يقال لها اجية وساحل آخر يقال له طليثة . وبرقة اقاليمة كثيرة تسكنها بطون من البربر ولها من المدن برنيق وهي مدينة على ساحل البحر الملح ولها ميناء عجيب في الامان

والجودة تجوز فيه المراكب واهلها قوم من ابناء الروم القدم الذين كانوا اهلها قديماً وقوم من البربر ومن مدينة اجداية الى مدينة سرت على ساحل البحر المالح خمس مراحل وآخر حد برقة على مرحلتين من مدينة سرت بموضع يقال له تورغة وخارج برقة قانون قائم كان الرشيد وجه بمولى يقال له بشار فوزع خراج الارض باربعة وعشرين الف دينار على كل ضيعة شيء معلوم سوى الاعشار والصدقات والجوالي ومبلغ الاعشار والصدقات والجوالي خمسة عشر الف دينار ربما زاد وبما نقص والاعشار للمواضع التي لا زيتون بها ولا شجر ولا قري مقراة . ولبرقة عمل يقال له اوجلة وهو في مفازة مغرب لمن اراد الخروج اليها فيعرف الى القبلة ثم يصير الى مدينتين يقال لاحدهما جالو وللأخرى ودان وهذه من اعمال برقة المضافة ومن مدينة سرت الى ودان مما يلي القبلة خمس مراحل ووراء ذلك بلد زويلة مما يلي القبلة وسكانها اباضية اي خوارج وفزان جنس يعرف بفزان اخلاط من الناس لم رئيس يطاع فيهم وبلد واسع ومدينة عظيمة وتسمى برقة انطابلس هذا اسمها القديم

وبعد فهذا من احسن ما وصفت به طرابلس و برقة ومنه نفهم درجة عمرانها في القديم اما اليوم فقد قال واصفوها فيها بانها مختلفة احوالها باختلاف كورهما فسواحل الشمال من سرت مقفرة ومن الشرق خضراء انضرة وهي برقة ومن نحو فزان مصخرة . وبلاد طرابلس اشبه بالصحراء وفي الساحل مناجم الكبريت وفي بحيرة فزان المالحلة الظرون وشجر الحلفا يتناء تجار الانكليز خاصة والصناعات محصورة في المدن الكبرى مثل طرابلس وبنغازي واشتهر بالتجارة سكان طرابلس وغدامس وكانت القوافل تسير من طرابلس الى داخلية افريقية تحمل الاقمشة والخرداوات والاسلحة والزجاج والبارود وتعود منها بالعاج والجلد والصمغ والشمع وريش العام والشعر

وسكان طرابلس مزيج فالبربر ينزلون الجبال والعرب السهول ويكثر فيها الزوج لان سوق الرقيق قبل ابطاله كانت فيها رائجة وفيها نحو خمسة آلاف مالطي لقرب سواحلها من جزيرة مالطة وهم منتشرون في المدن الساحلية كما ان فيها زهاء الف ايطالي ونحو خمسة آلاف يهودي اكثرهم في السواحل وايس في اهل البلاد مسيحيون اصليون وكانت طرابلس من اهم المدن التجارية ومنها كانت تسير القوافل المهمة الى داخلية افريقية فما برح الفرنسي منذ استولوا على تونس يحاولون سلبها هذا المركز حتى فقدت مركزها التجاري وتحولت وجهة القوافل الى تونس وخصوصاً بعد ان عمرت انكلترا

اعالى النيل والسودان الشرقي وفتحت الطرق الجديدة الى بحيرة تشاد من النيجر والكونغو فلم تعد برقة مركز الاتصال بين الساحل واواسط افريقية

وكان اليونان في القرن السابع قبل الميلاد اشأوا مدينة برقة متخبرين لها الجودة هوائها وغناها وازهرت على ايامهم كما ازهرت قرطاجنة واغنى اهل برقة بتجاراتهم الواسعة مع داخلية افريقية الا انهم انصرفوا بعد الى البذخ والرفاهية فاضمحل عمرانهم بعد ان اخرجت برقة مثل ارشيب الفيلسوف وكاليناك وايراتوستين وخلف بنوها من الآثار النارية التي تدل على عظمتها اليوم خرائنها المدهشة

وتاريخ طرابلس الغرب القديم غارق في ظلمات الخفاء لا يعرف ^(١) عنه الا ان البربر بعض سكانها الحاليين كانوا فيها . وقبل المسيح ببضعة قرون كانت انحاء طرابلس بيد الفينيقيين وقسم منها للقرطاجيين اما جهة برقة فاتخذها اليونان مهجراً كما يهاجرون اليوم الى سواحل مصر وغيرها . ولند انثبت في جهات طرابلس ثلاثة بلاد (تربوليس) ومنها اشق اسمها فقال العرب طرابلس وانتأ اليونان في جهة برقة . خمس قصبات سموها پندابوليس ثم صار حكم طرابلس الى يد حكام البربر في نوميديا بعد سقوط دولة القرطاجيين واستولى البطالسة المصريون على برقة ثم استولى الرومان على كل من اقلبي برقة وطرابلس ووسموا تخوم حكومتهم الى فزان وغدامس

كانت طرابلس الغرب وحيات الشرق من تونس والجزائر معروفة عند الرومان باسم افريقية وكذلك اطلق العرب على هذه الاصقاع اسم افريقية . ولما تخلى الرومان عن هذه البلاد استولى عليها الروم البيزنطيون فتحوها عقبة بن رافع في عهد عمر بن الخطاب (رضي الله عنهما) ثم استولى عليها الامويون وبقيت مدة في يد بني الاغلب على عهد العباسيين ثم حكمها الفاطميون وكانت معقلاً من معقل الخوارج ولذلك كانت لهم فيها ايام مشهودة ولم يزل في بعض انحاءها بقايا منهم .

ولقد تألفت فيها عدة حكومات صغيرة وبعضها كان مهماً على عهد الاسلام واكثر ما تكون طرابلس تابعة لتونس في حكومتها وعلى عهد السلطان سليمان خان استولى على طرابلس طغور باشا مسترداً لها من فرسان مالطة وكانوا . تملوا عليها بعد ان سقطت الاندلس في ابدي الاسبان فالحقها هذا القائد بالملكة الثانية ودامت تدارش ووثونها دهرأ على صورة اباله ثم اقطعت لاسرة قوه مانلي فلم يلبث ان استحكم الخلاف بين افرادها

فارسلت الدولة سنة ١٢٠٨ اسطولاً ووالياً من لديها ضبط البلاد
وفي سنة ١٠٩٢ بعثت اسبانياً اسطولاً الى طرابلس فكادت لتغلب عليها لان
قلاعها يومئذ لم تكن فيها القوة الكافية فلما رأى الوالي عجزه عن المقاومة اتفق مع
الاسطول على دفع غرامة حرية على عهد السلطان احمد الثاني رفض الوالي الصلح
الذي ابرمه سلفه مع حكومة اسبانيا فبعث خمسة عشر مركباً بقصد احتلال طرابلس
فاتفق الاهالي مع العساكر وتغلبوا على الاسطول المذكور وفي سنة ١٢١٧ قدمت
اساطيل اميركانية لطرابلس لان اسطولها كان يعاكس مراكب اميركا التجارية ويغنم
منها كثيراً فطلب قنصلها من يوسف باشا قهرمانلي تعيين ضريبة تقدمها حكومة اميركا
الى حكومة طرابلس في كل سنة فعين ضريبة عدها القنصل خارجة عن الحد فطلب
تحفيضها بواسطة والي الجزائر فرفض يوسف باشا وساطته واصر على طلبه فمكث
اسطول اميركا عشرين يوماً يرمي طرابلس بالتقابل وقلاعها ترميه ثم رجع بعد ان
غنمت حكومة طرابلس جزاً منه وفي كل هذه المواقع كانت تشتبك الاهالي مع العساكر في
الدفاع .

ثم انتقض اهلهما فاستعاد الامر يوسف باشا وحكم البلاد الى سنة ١٢٤٨ ثم اضطرب
لاستقالاته من حكمها فاصبحت البلاد في حال اضطراب وهاجها بنو سليمان من القبائل
المشهورة مرات ونهبوها ثم عاد الاهلون فطلبوا انقاذهم من شُرور الاختلاف فبعثت
الحكومة اسطولاً فضبطت القلاع على اسر سبيل ثم عينت لها والياً . وكانت فزان
من القديم تتبع طرابلس وتتبع احياناً حاكم السودان وحياناً سرفاء مراكش وبعد ان
ضبط طغورث باشا طرابلس الحق فزان بها

وهذه الولاية الواسعة او المملكة العظيمة ليس فيها شيء من الطرق المعبدة ولا من
السكك الحديدية ولا تعرف الحوانات ولا اسباب الري وتكثير الاشجار والنبات وتربية
الحيوانات . تحمل بضائعها على الجمال وتقصّد قوافلها ولا سيما قبل ان يستأثر الفرنسيين
بها لتونس من تمبوكتو في اقاصي بلاد السودان مارة بواحات غات ومرزوق وغدامس
اما مواصلاتها المجرّبة فلا يرسم في موانئها في الولاية غير البواخر الاجنبية ونصفها او
اكثر يحمل الاغلام الاباطالية ثم يجيء الانكليز والفرنسيين وسائر الدول بكثرة مراكبهم
وتبلغ تجارة طرابلس السنوية زهاء مليون ليرة منها ٥٥٠ الف للواردات و٤٦٠ الف
ليرة صادرات منها ٢٣ الف ليرة صادراتها للبلاد العثمانية و٤٢ الف ليرة وازدادتها منها

ولانكترا المقام الاول بين الدول بوارداتها البالغة ٥٧ الف ليرة وصادراتها التي تبلغ ١٨٨ الف ليرة ثم تجيء فرنسا فايطاليا فالولايات المتحدة فالنمسا وقد بلغت مداخيل الحكومة منها سنة ١٣٢٢ ش ١٦٦٠٠٠٠٠٠ غرش

السكك الحديد الصينية

نقيم الصين الآن سكة حديدية من عاصمتها بكين الى كالفان مارة ببلاد المغول التي اجتازها التاتار في غاراتهم ولا تزال تحتجزها القوافل وسيلتقي هذا الخط بخط ماوراء سبيريا الروسي ويختصر المسافة بين اوربا والشرق الاقصى بضع مئات من الكيلومترات . ومن الغريب انه تم من هذا الخط حتى الآن زهاء مائتي كيلومتر وجميع العاملين فيه صينيون ونفقاته من دخل بعض الخطوط الحديدية الاخرى وقد بدأ هذا المشروع يرمح ولذا عازمت حكومة بكين ان لا يهد لاجنبي مهما كان ان يمد لها خطوطاً من هذا النوع وبذلك يقصد المتعهدون من اجور اليد العاملة اقتصاداً كبيراً لان الصيني يرضى باجرة اقل من اجرة الاوربي والاميركي ويتبارى ابناء البلاد في العمل مدفوعين الى تجويده بامل الوطنية والصينيون اليوم يستخرجون من ارضهم الفحم الحجري اللازم لخطوطهم وليسوا الآن في حاجة لغير القاطرات يستصنعونها في اميركا ولكن يستعملون عواماً قريب بما تنتجه لهم مصانعهم فتى تكون البلاد العثمانية وهي صاحبة الحضارات القديمة والذكاء الخارق كذلك

الهيثيون

قالت المجلة : دخلت دراسة الحضارات القديمة في آسيا الصغرى في دور جديد فقد تألفت جمعية ووضعت لها دخل للاتفاق عليها من اجل اجراء الحفر في بلاد الهيثيين والبت بتاعلياً في علاقتهم مع شعوب يونان القديمة وسكان سواحل بحر ايجه (الارخبيل) فان مسألة الهيثيين تهم في الدرجة الاولى علم الآثار واصول الشعوب والاجتماع . وان هذا الشعب البائد كان مدة قرون منتشرأ في آسيا الصغرى وسورية كما يستدل من الكتابات ومع هذا لم يعرف الا بما اشارت اليه التوراة من الاشارات . ومنذ ثلاثين سنة ابان بحث علماء المشرقيات بحثاً علمياً امثال الاستاذ سايس والدكتور ويرغت ان شعباً معاصراً للفراعنة كان ينزل حوض قزل ايرمق في *Calys* والفرات استولى عليه الكلديانيون منذ الزمن الاطول فاقبس منه بعض اوضاعه المدنية التي كانت لها صبغة اقطاعية وكان الهيثيون قبل المسيح بعشرين قرناً مختلفين مع بابل ويمدون تخوم

بلادهم الى جنوبي سورية والى تخوم مصر التي نشب بينهم وبينها حرب على عهد رعمسيس الثاني . وفي القرن الرابع عشر والثالث عشر قبل الميلاد استولوا على جزء عظيم من آسيا الصغرى . وكان الاشوريون يدعونهم خاتيس *Khatis* والعبرانيون ختي ختين *Khéti-khétina* ودثروا في قرون ولم يبق منهم الا تذكارهم ايام فتح الاسكندرية وامتزجت بقاياهم بالآراميين او لجأوا الى مضائق جبل طوروس . وقد اكتشفت في خرائب مصانعهم القديمة الواح كثيرة من الخزف كانت لهم بمثابة سجلات ولكن معظمها مما يصعب حله وليس للعلماء عنهم من المعلومات الحقيقية الا ما كان من الآثار المكتوبة بالخط الآشوري نثبت عظمتهن اوائل الالف الاولى السابقة لمملكة الرومان و ربما كان من الابحاث الحديثة فيها حل مسألة تشغل العلم كثيراً ويعتبر الهيتيون اعتبارات بانهم اقدم الشعوب المتقدمة

انكلترا والشاي

تكثر انكلترا من تناول الشاي سنة بعد سنة في احصاء سنة ١٩٠٩ انه بلغ مشروباً منه ١٤٠ مليون كيلو غرام يصيب الفرد منها ثلاثة كيلو غرامات ومعظم هذا الشاي تجلبه انكلترا من بلاد الهند يبدل ٦٠ مليون فرنك يلزم لها ثلاثة ملايين ونصف من الفرنكات ثمن ورق ومقوى لوضع الشاي فيه لتعدل قيمتها بثمانية ملايين فرنك

فن تكثير السمك

L'apisciculture

ان في تنمية الاسماك في المياه الجارية والغدران في البلاد تنمية ثروتها الاقتصادية بيد ان دخول الحضارة في كثير من الممالك زهد في تربية الاسماك وقليل في الاقطار ما عنت عناية حقيقية بالاسماك واتخاذ الذرائع لتنميتها واهم مصاب الانهار لاستخراج الاسماك في العالم في النيو احدى ولايات اميركا الشمالية وفيها مصب نهر المسيسيبي العظيم وطوله من ٥٠٠ الى ٦٠٠ كيلومتر ووضع الجراف في اسبابه الطبيعية تجعله صالحاً لتكثير الاسماك وتغذى جميع تلك الولاية من اسماك ووزن ما يستخرج منه كل سنة عشرة ملايين كيلو تقدر قيمتها بنحو اربعة ملايين فرنك ويستخدم ١٧٦٧ رجلاً في صيدها



المقنن

رسالة في اسماء الاضداد

للملا جامي المتوفى سنة ٨٩٨^(١)

عني بنشرها من مجموع قديم محمد جميل افندي النطفي في دمشق

بسم الله الرحمن الرحيم :

حامداً لمن خلق الاشياء اضداداً • وصلياً على نبي نهي الناس عن اتخاذهم لله انداداً •
ولم يعبث به وأسرته الممدنين لسيرته امداداً • وبعد فلما استملت العربية على كلمات وضعت
للدلالة على الضدين وغفل عنها من اغفل تصفح اللغات التقطتها حسب الاستطاعة •
وجمعتهما مرتبة ترتيب البضاعة • استبضع بهافي اكتساب الامتياز بين اولي النهى وزباب الدعى
ونتبين الانبياء باضدادها ومن الله العظمة عن الرخصة

(مقدمة) قال النكيا المشترك يقع على ضدين كالجون والايض والاسود وعلى مختلفين
كالعين وقال ابن فارس من دأب العرب تسمية الضدين باسم واحد نحو الجون وانكر

(١) المقنن : الملا جامي هو مولانا نور الدين عبد الرحمن من اعظم شعراء ايران
ولد في قرية جام من اعمال خراسان سنة ٨١٢ هـ وحصل العلم في هرات ووقف على العلوم
والفنون حتى صارت له يد طويلة بالآداب العربية والفارسية وسلك طريق التصوف
والف عدة كتب في النظم والنثر وبمد صيته في الآفاق وخف الناس الى لقائه من
الامصار وتوفي سنة ٨٩٨ هـ وله عدة تصانيف ودواوين منها ما هو بالفارسية ومنها بالعربية
وشعره الفارسي غاية الغايات لا يعرف له السقط (المختصاً عن قاموس الاعلام شمس
الدين سامي)

ذلك ناس وليس بشيء فان الذين رَووا ان العرب تسمي السيف مهنداً والغرس طرفاً هم الذين رَووا انهم يسمون المتضادين باسم واحد .
 الهمزة : (ثانياً) الابل ارواها وعطشها وثأثأت الابل عطشت ورويت ضد لازم ومنعد (جفأ) الباب اغلقه وفتح ضد اخفي (بالجمع استخفي وتكلم بالفحش ضد دارأه) دافعه ولا ينه ضد (ناء) نهض بجهد ومشقة وبالحمل نهض مثلاً وبه الحمل اثقله واماله كانه وفلان اثقل فسقط ضد .

الباء : (اترب) كثر ماله وقل ضد (اجلب) الرجل اضطجع والابل مضت جادة ضد (الحوشب) الثعلب الضامر والمنتفخ الجبين ضد (خشب) في الصحاح خشب السيف احكم عمله وصقله وخشبه لم يحكم عمله ولم يصقله وفي القاموس خشبه خلطه وانتقاه والسيف صقله وطبعه (ارتاب) شك وقال ابو علي تيقن ضد اذ يكون شكاً وبقيناً ذكره الطرطوشي في قوله تعالى ان ارتبتم فدينتهن الاية (السائب) القريب والبعيد ضد (شرب) عطش وروي واشرب سقى وعطش (شعب) الشيء اصلحه وفسده ضد واما شعب بمعنى افترق واجتمع فليس بضد بل كل حرف منها لغة لقوم ومن شرط الاضداد اتحاد اللغة (الصقب) كلقب القرب والبعد ضد (اضب) صاح وتكلم وعلى ما نقل سكت ضد (الطب) الداء والدواء ضد في المثالث للبطلومي (الطرب) محرقة الفرح والحزن ضد في الاساس هو خفة من سرور اوم (اطلب) في الاساس طلب مني فاطلبته فاسعفته واطلبه الفقير احوجه الى الطلب (استعجب) اعطاه العتبي كاعتبه وطلب اليه العتبي ضد (العجباء) هي التي يتعجب من حسننها ومن قبحها ضد (استعذبه) استحلاه وامتنع عنه كضد (الاعراب) الفحش وقبح الكلام والدرد عن القبيح ضد (العناب) كغراب الجبل الاسود الصغير المستدير والطويل ضد (العنيان) محرقة الذئيطا خفيف والثقيل من الظباء ضد (التغريب) الاتيان بآبناء يرض وبآبناء سود ضد (المغلب) المغلوب مراراً والمحكوم له بالغلبة على اقرانه ضد (فرضب) الخم جمعه في البرمة والشيء فرفه ضد سيف (قضيب) مجلوصدي وثوب قديم جديد وخلق ضد (قعب) له العطية اجزها وقعب له قعبه اعطاه قليلاً ضد (قاب) هرب وقرب ضد (اللجة) كوجبة وقصبة وخربة وعنبة الشاة القليلة اللبن والغزيرة ضد (انجب) جاء بولد شجاع وجبان ضد (النجب) الموت والاجل كضد (نصب) الذي وضع ورفع ضد (الوثب) القفز والقعود بلغة حمير كضد (الرغب) الضعيف البدن والجلل الضخم ضد (الملوب)

في المتقربة من زوجها والمتجبة منه ضد (تهيب) الشيء وتهيبه الشيء ضد في الزهر .
 التاء : (الامت) في القاموس هو المكان المرتفع والتلال الصغار والارتفاع والانخفاض
 ضد (السبت) خلق الرأس وارسال الشعر عن العقص .
 التاء : (اقث) له العطية اجزها وقعت له قمشة اعطاه قليلاً ضد (الاولث)
 المسترخي والقوي ضد .

الجيم : (الزوج) الذكر والانثى ضد (الفاشج) الناقة الحامل والحائل ضد (الايجيج)
 الوادي الواسع والضييق ضد .

الحاء : (جمع) امسرع وابطأ ضد (الزوج) تفرق ابل وجمعها ضد (السبع)
 النوم والسكون والقلب والانشار في الارض ضد (الششح) من الارض ما لا يسيل
 الا من مطر كثير والذي يسيل من ادنى مطر ضد (المشج) الجاد والحذر ضد (قرحان) من
 الامر وقرأه خارج ومن لم يشهد الحرب كالقراحي ومن مسته القروح ضد (كنج) التي جمعه
 وفرقه ضد (المسيح) المبارك والمعون ضد يعني المبارك مسيح الهدى عيسى عليه السلام وبالمعون
 مسيح الضلالة الدجال (النخاعة) السقاء والشح ضد (نشج) تشحأ ونشوحا شرب دون الري او حتى
 ابتلاً ضد (نبح) الله عظمه شدده ورضضه ضد

الحاء : (الصارخ) المنعيث والمستعيث ضد (المرنج) صوت المدمصرخ والمنعيث
 ضد .

الدال : اسد كفرح دهش عند رؤية الاسد وصار كالاسد ضد (افد) كفرح
 امسرع وابطأ ضد (بعد) بمعنى قبل في قوله تعالى من بعد الذكر (جعد) للكرم واذا
 أضيف الى البنان او الانامل او الاصابع او الكف فلينجى في الاساس واما قولهم لكرم
 بعد فن الكناية عن كونه سخيّاً عربياً لان العرب موصوفون بالجمودة (اساد) ولد سيداً
 واسود ضد واسود على الاصل مثله (سجد) خضع وانتصب (صرد) السهم اخطأ ونفذ حده
 ضد (صعد) في الجبل وعليه علاه وفي الوادي انحدر ضد (صعد) العطاء والوثاق
 ضد (الصمار يد) انتم السمان والمهازل ضد (الضمد) خيار الغنم ورذالها وفي المزهرة
 صالحة الغنم وطاحتها ضد (الصمرد) الناقة الكثيرة اللبن والقليلة (اصاده) داواه من
 الصيد وآذاه ضد (الضمد) رطب الشجر وبابسه ضد (العبد) انذل والمكرم ضد
 (العيد) واحد الاعياد وعادك عيد اهي نزل بك حزن كضد (غمدت) الركبة كثر
 ماؤها وقل ضد (افاد) بذل المال واستفاده ضد (القعدو) القريب الآباء من الجد

الاكبر والبعيد الآباء منه ضد (اشبح المطر اقلع ودام (المصد) شدة البرد والحر ضد
(المجادة) السخاؤه والنج ضد في المزهري (المنجدة) القتال والجاعة والشدة والهلول
والنزع الظاهر انه ضد (الناشد) طالب الضالة ومعرفها ضد (النكد) الغزيرات
اللبن من الابل والتي لالبن لها ضد جمع نكداء (وطد) الشيء اثبته وثقله ضد والشيء
رسا وسار ضد (الهاجد) المصلي بالليل واتائم ضد (تهجد) نام واستيقظ ضد فلان
(هد) قال ابن الاعرابي هو الكريم الجواد واما الجبان الضعيف فهو الهد شبه ضد
(احمد) بالمكان اقام وفي السير اسرع ضد .

الذال : (الحذاء) قصيدة فيها الحذو وهو سقوط وقد مجموع من البحر الكامل من
مفعاعن فينقل الى فعلن والقصيدة السائرة التي لا عيب فيها ضد (الحنذيذ) هو الفحل
والخصي ضد (المخاوذة) هي المخالفة والمواقفة ضد .

الراء : (الأزر) هو القوة والضعف ضد (أتر) اعطى ومنع ضد (البشارة) مطلقة
لا تكون الا بالخير ومقيدة لا تكون الا بالشر فيشرهم بعذاب أليم (البهيرة) هي السيدة
الشريفة والصغيرة الخلق الضعيفة ضد (ثغر) كنع ثلم والثلمة سدها ضد (اثغر) الغلام
التي ثغره ونبت ثنره ضد (الجبر) الملك والعبد ضد (جعفر) هو النهر الصغير والكبير
الواسع ضد (الحرور) هي الريح الحارة بالليل وقد تكون بالهار (حرور) هو الغلام القوي
والضعيف ضد (الاحمر) ما لونه الحمرة والايض ضد (خشر) ابقى على المائدة الخشارة
ونفي الخشارة ضد (الخطر) كالشرف الاشراف على المكروه والقدر والمبرلة ضد (امخنوره)
الرحمة والداية ضد (الذفر) كل ريش ذكية من طيب او تنن ضد (المسجور) الموقد
والساكن ضد (السادر) هو المتخير ومن لا يبالي ضد (أسسر) الشيء كشمه واظره
ضد يقال اتى عليه (شراشره) اي ثقله وحماه ضد (الصفرة) بالضم معروفة والسواد
ضد (اعذر) ابدى عذراً وقصرو لم يبلغ وهو يري انه مبالغ وبالع كضد (التعزير)
ضرب دون الحد والتوقيف وتعزروه وتوقروه (غبر) مضى وبقي ضد (الفطارة) كفرحة (?)
الناقة اللاحق والحائل ضد (قصر) العلم قصوراً غلا ونقص ورخص .

الزاي : (الحوز) هو السريق المين والتديد ضد (عز) ان يفعل كذا اشدت وعز
ضعف ضد (الفوز) النجاة والهلاك ومنه المفازة للمهلكة والنجاة في القاموس فازمات
ومنه نجا وبه ظفر .

السين : (الرس) الاصلاح بين الناس والافساد ايضاً ضد (عسمى) اليل اقبل

ظلامه قال الفراء اجمع المفسرون على ان معنى عسبن ادير (امرس) مرس الجبل اذا وقع في احد جانبي البكرة مرماً فاذا اعدته الى مجراه قلت امرسته واذا انشبهته بين البكرة والقعو قلت امرسته وهو ضد عن يعقوب (الميعاس) الارض لم توطأ والطريق ضد (الويس) الفقر وما يريد به الانسان ضد .

الشين : (الرعشيش) بالكسر الجبان والسريع الى القتال ضد « الرشاء » هي الرشاء اي الكثيرة العشب والجدة من صفات الارض ضد « الرش » الاكل الكثير والاكل القليل ضد « الفياش » المتكبر المعجب والسيد المفضل ضد .

الصاد : « قلص » ماء البر ارتفع بمعنى ذهب ومعنى تصعد لجومه انتهى فهو ضد .
 الضاد : « ارض » ابطأ وثقل وعدا شديداً ضد « غرض » الحوض ملؤه والنقصان عن الملء ضد .

الطاء : « الاشرط » الارذال والاشراف قال يعقوب هذا الحرف ضد « قسط » جار وعدل حكى ابن السكيت في الاضداد عن ابي عبيدة واقسط بالالف عدل لا غير « هبط » قال الفضل المهبوط الخروج عن البلد ودخولها ايضاً فهو من الاضداد من قطف الازهار للسيوطي .

المين : « باع » بعت الشيء شربته وبعته ايضاً اشتريته وفي الصحاح شربت اي بعت في برد (كذا) « التامة » ما ارتفع من الارض وما نهبط منها عن ابي عبيدة « خلع » ثوبه وعليه اعطاه خامة « الزمان » محرمة خفة الارنب وسرعتها والمشي البطيئ وفعله كمنع ضد « السميع » السامع والمسمع « طلع » عليهم غاب عنهم حتى لا يروه واقبل عليهم حتى يروه « فرع » الجبل صعد وفي الجبل انحدر « الفرع » المصعد في الجبل والمنحدر ضد « الفرع » الدرع والغوث ضد « افزع » الانزع الاخافة والاغاثة ايضاً يقال فزع اليه فافزعني اي لجأت اليه من الفرع فأغاثني « فزع » فلاناً خوفاً وعنه كتف عنه الحوف « افرع » الى الحق رجع وذلل وامنع « القنوع » هو السوء والتذلل قال اهل العلم ان القنوع قد يكون بمعنى الرضى فهو من الاضداد « الانباع » يكثران رفعاً وخفضاً مقتضي رؤوسهم رافعيها من الاضداد « اودع » قال الكسائي نقول اودعته مالا اذا دفعته اليه يكون ودبعة عنده واودعته ايضاً اذا دفع اليك مالا يكثر ودبعة عندك وقبلتها وهو من الاضداد .

الفاء : « الخلوف » حي غيب والحضور المتخلفون « خاف » بمعنى توقع من قولم اخاف

ان يرسل السماء « السدمة » الظلمة والضوء عند بعضهم وبعضهم يجعلها اختلاط الظلام والضوء كوقت ما بين طلوع الفجر الى الاسفار « الشف » هو الفضل والنقصان ضد « العرف » الريح طيبة كانت او مننته يقال عرف المسك « نصف » خدم وفلاتا استخدمه ضد « توذف » وهو الامراع عن ابي عبيدة ومريتوذف اذا مر يقارب الخطو ويحرك منكبيه من الصحاح وفيه ابطاء « اليهفوف » الجبان ويقال لحديد القلب من الصحاح ضد .
 الداف : « الحائيق » الابل الضمر والسمن ضد « دهق » الكأس ملامها وكأس دهاق والماء افرغه ضد (سبقتة) بالتشديد اخذت منه سبق وهو الذي يتراهن عليه المتسابقان وسبقة ايضا اعطيت السبق قال الازهرى وهذا من الاضداد « صفق » الباب رده واعلقه وفتحه « المفرق » كحسن القليل اللحم والسمين ضد « فوق » بمعنى دون بعوضة فما فوقها « ملق » الشيء يلقه لقا كسبه في لغة عقيل ومحا في لغة بني قيس ولعله لغة في نقي على ان اتحاد اللغة شرط في الاضداد .

الكاف : « البك » هو التفريق والازدحام كأنه ضد .

اللام : (البسل) الحلال والحرام (الجلل) العظيم والصغير (حال) في متن فرسه وثب وعنه سقط واستوى تلى حال متنه (ازعله) نشطه ومن مكانه ازعجه (الشمل) ما اجتمع من الامر فرق الله شمله وما تتنت منه جمع الله شمله (الكل) بالضم اسم لجميع الاجزاء وقد جاء بمعنى بعض ضد (كلل) في الامر جد وعن الامر اجم وجبن ضد (مثل) مثولاً انتصب قائماً وزال عن موضعه وتمثل مثله وفي الصحاح لطيء بالارض وهو من الاضداد (تمهل) اتأد وتقدم « النبل » الكبار والصغار « انتبل » مات وقتل ضد « النجل » يطلق تمي الولد والوالد فهو من الاضداد من نواهد الابكار للسيوطي « نصل » السهم اذا خرج منه النصل واذا ثبت نصله فلم يخرج « نصل » بالتشديد نزع النصل وركبه « الناهل » الريان والعطشان ضد .

الميم : « الجمشم » كقنفذ وجندب التصير الغليظ والطويل الجسيم ضد « الادم » الاسود والجديد من الآثار والقديم الدارس ضد « السليم » ويطلق على الدبغ ثقولا وبسلامته « سام » البائع السلعة عرضها للبيع وسامها المستري « شام » السيف شيئا انعمه وسله وهو من الاعداد من اصلاح المنطق « الصريم » هو الليل المظلم والصبح « الغريم » الذي عليه الدين : قد يكون للذي له الدين « قامت » السوق نفقت وركدت .
 النون : (بن) لاقطع والوصل ضد (الجون) الابيض والاسود والجونة الشمس

قال « تبادر الجؤنة ان تغيبا » « دون » بمعنى فوّت في الإساس هذا دون ذلك اي اخس منه ودونه خرط القنادر اية امامه وجلس دونه اية تحته ، « المنّة » القوة والضعف .

الواو : « الزنو » الشد والارخاء « الزهوة » الارتفاع والانحدار « الرجاء » هو الامل والخوف « الا » قصر واستطاع « القفوة » الخيرة والتهمة فلان قفوتى اية خيرتى وتهمتى « عفا » درس ومنه العفو وهو محو الجريمة وكثر حتى عفوا .

الهاء : « النبه » من الاضداد يقال للضائع نبه وللموجود نبه .
الياء : « الجادى » السائل والمعطي « اخفى » الشيء كتمه ، واظهره اكاد اخفيها « الدواعي » البواعث وصروف الدهر « ارأى » صار ذاعقل وتبينت فيه الحماقة ضد « الزبية » هي المكان المرتفع وحفرة الاسد جاءني « سواؤه » اي نفسه وغيره « الشرى » خيار المال ورذاله جمع شراء « شرى » الشيء باء ، وشروه بثمن بخس في الصالح شربت اي بهت في برد (كذا) واشتراه « اشكاه » حمله على الشكاية وازال شكواه « غبيت » الكلام وغبي عني ليلة « غاضية » اي مظلة ومضيفة « أكرى » زاد ونقص « انتدى » القوم ونادوا اجتمعوا والشيء تفرق « وراءه » خلفه وقد يكون بمعنى قدام فهو من الاضداد وكان وراءهم ملك « ولى » اقبل وادر « الوى » كفتى التعب والفقرة « هوى » من الجبل صعد والله اعلم واليه يصعد الكلم الطيب

بين الفيحاء والشهباء

عمل حلب وحدودها

اجمع الجغرافيون من العرب والافرنج ان حد الشام من عريش مصر الى الفرات ومن البحر الرومي الى جبال طي ولكن مما يشوش الفهم ان جميع اعمال حلب اليوم هل هي داخله في حدود سورية ام بعضها خارج عنها بعد من آسيا الصغرى فقد قال بوليه في معجمه الجغرافي التاريخي ان حد سورية شمالاً الى آسيا الصغرى من خليج اسكندرونه الى نهر الفرات وشرقاً نهر الفرات والبادية الى بلاد العرب وجنوباً قسم من العربية

يسمى تيه بني اسرائيل الى نخوم مصر وغرباً الى البحر المتوسط وطولها المتوسط على هذه النخوم من الشمال الى الجنوب نحو سبعمائة كيلو متر وعرضها المتوسط من الغرب الى الشرق نحو اربعمائة وخمسين كيلومتراً وهذا التعريف يدل على عمل حلب الحقيقي خصوصاً ويؤيده قول صاحب الخريدة ان الرها (اورفة) معدودة من الجزيرة لان حلب قال ابو زيد البلخي^(١) فشرقي الشام غربي الفرات وغربي الشام ساحل الروم وشماله جبال الروم وجنوبه فلسطين والاردن وبعض البادية قال ابن حوقل واما الشام فان من غربيها بحر الروم وشرقيها البادية من ايلة الى الفرات ثم من الفرات الى حد الروم وشمالها بلاد الروم ايضاً وجنوبها حد مصر وتيه بني اسرائيل^(٢) وآخر حد رومها مما يلي مصر فرخ ومما يلي الروم الثغور المعروفة كانت قديماً بالجزيرة وهي ملطية واذنة وطرسوس وقد جمعت الثغور الى الشام وبعض الثغور يعرف بثغور الشام وبعضها يعرف بثغور الجزيرة وكلها من الشام وذلك ان كل ما كان وراء الفرات فن الشام وانما سمي من ملطية الى مرعش ثغور الجزيرة لان اهل الجزيرة بها كانوا يربطون ويفزون منها لانها من الجزيرة وكور الشام هي جند فلسطين وجند الاردن وجند دمشق وجند حمص وجند قنسرين والعوامم والثغور وبين ثغور الشام وثغور الجزيرة جبل اللكام وهو الفاصل بين الثغرين وجبل اللكام جبل داخل في بلد الروم ويقال انه ينتهي الى حد مائي فرسخ ويظهر في الاسلام بين مرعش والهارونية وعين زربة فيسمى اللكام الى ان يجاوز اللاذقية ثم يسمى جبل بهراء ويزنوخ الى حمص ثم يسمى جبل لبنان ثم يمتد على الشام حتى ينتهي الى بحر القلزم من جهة ويتصل بالمقطع من أخرى

وقال ابو الفدا^(٣) : حدود الشام على وجه دخل فيه بلاد الارمن وهي المعروفة في زماننا ببلاد سيس والذي يحيط بالشام من جهة الغرب بحر الروم من طرسوس التي

(١) البدء والتاريخ (٢) قال ابن حوقل واما تيه بني اسرائيل فيقال ان طولها اربعون فرسخاً وعرضه قريب من طولها وهو ارض فيها رمال وبعضه جلد وبه نخيل وعيون مفروشة قليلة يتصل حد له الى الحفار وحد الى جبل طور سينا وما اتصل به وحد باقاضي بيت المقدس وما اتصل به من فلسطين وحد له ينتهي في مقازة في ظهر ريف مصر الى حد القلزم (٣) تقوم البلدان

ببلايا الارمن الى رفح التي في اول الجفار بين مصر والشام ويحيط به من جهة الجنوب حد يمتد من رفح الى حدود تيه في اسرائيل الى ما بين الشوبك وابلة الى البلقاء ويحيط به من جهة الشرق حد يمتد من البلقاء الى مزاريق (لا مشارف) صرخد آخذاً على اطراف القوطة الى سليية الى مشاريت حلب الى بالس ويحيط به من جهة الشمال حد يمتد من بالس مع الفرات الى قلعة نجم الى البيرة الى قلعة الروم الى سميساط الى حصن منصور الى بهسنا الى مرعش الى بلاد سيس الى طرسوس الى بحر الروم ومن حيث ابتدأنا وبعض هذه الحدود تقع شرقية عن بعض الشام وهي بعينها جنوبية عن بعض آخر مثل البلقاء فانها جنوبية عن حلب وما في سمتها وهي شرقية عن مثل غزة وما في سمتها اه

وبعد فهذا اتمتع تعريف بلاد الشام وبه تبين البلاد التي تعد من اعمال حلب من حيث التقسيم الطبيعي الجغرافي والبلاد التي تعد من الروم وآسيا الوسطى وكن عمل حلب في الحكومة السالفة منذ عهد الاسلام تابعاً في تحوله للإحوال السياسية الطارئة واليك الآن وصفها من مصادر ثلاثة مختلفة ولكن وقتها متقارب وهو بين القرن الثامن والعاشر قال شيخ الربوة : ان لحلب من البلاد ذوات الكور دون العواصم المحاصرة (يقال لها الخناصر الآن) وهي على سيف البرية وجبل بني القعقاع وكان يسمى قصر ابن الثانية وقسرين وكانت هي القنصة قبل حلب وهي مدينة رومية كان اسمها صوما وسرمين وهي في طرف جبل السماق (يسمى الآن جبل الزاوية او النصيرية) وهذا الجبل معمور بطائفة تسمى النصيرية ومن جند حلب معرة النعمان وتعرف بذات القصرين ولها عمل من احد الن اعمال وهو شعراء ممدودة وغالب شجرها التين وانفسق واللوز والشمش والزيتون والرمان والتفاح وكثير من الفواكه وسائرها يشرب من ماء السماء لا يعتنى في فلاحته باكثر من الحرث تحته وجبل السماق من اعمر الارض واعملها فلاحه من رآه ورأى الاندلس لم يفرق بين فلاحتها وفلاحة الاندلس والقوة ولها عمل حسن وشعر وبكاس ومعرة صرمين (سرمين او مصرين ؟) وتبزين بلدة طيبة ولها عمل متسع وحارم كذلك وكان ثغراً حسناً وشيزر مدينة حصينة وبيشة يشرب أهلها وارضاها من البحر العاصي ولها قلعة طاولها ظاهر يسمى عرف الديك محاطة من ثلاث جهات بالعاصي وحندراس ولها جومة اي كورة فيها اجمة كبيرة البناء لا يعلم العالم من اين يجي^١ ماؤها ولا اين يذهب ودلوك (Doliche, Dolica, Delouc)

ورعبان (؟) وكيسوم وفوارس « ؟ » وكفر طاب وفوذ « ؟ » وفامية وبرزية حصن منيع يضرب به المثل وتحتة بالقرب بحيرة فامية بحيرة كبيرة يدخلها العاصي ويخرج منها ولها سكر يصاد فيها نوع من السمك شبيه بالحيات ويسمى انكليس لحمه شبيه بالالاية المشوبة والنصارى فيه رغبة عظيمة يحمل في المراكب اليهم داخل البحر ضماته في السنة نحو ثلاثين الف درهم و « عمورية » بناها الرشيد على اثر عمارة قديمة رومية ولحاب من جهة الشمال والشرق عين تاب بلدة ولها حصن مليح واهلها تركمان ولها نهر يسيح عليه بستان وهو جار و « اعزاز » قلعة في الشمال الغربي من حلب وتسمى عند الافرنج *Alaxax* و *Haraxth* وهو حصن و « الباب ويزاعة » وهما مدينتان ويدهما واد يعرف بيطنان ولها نهر يسمى الساجور يجري اليهما من عين تاب و (بالس) وهي مدينة قديمة على الفرات وفي حيزها « صفين » و « رصافة هشام » بن عبد الملك بناها لنفسه على اثر بناء قديم كنعاني و « منبج » وهي على مرحلة من الفرات بناها كسرى وسماها منبه اي جود وفي عملها قلعة « نجم » وكانت تسمى قلعة منبج و « تل باشر »^(١) ولها نهر يجري اليها من عين تاب وهو الساجور . ويجلب ايضا مما هو داخل في اعمالها وجندها « قلعة الروم » يقع بها خليفة الارمن وبطركها و « مرعش » ولها بحيرة متسعة و « بهسنا » حصن مليح و « الكختا » و « كركر » و « تل حمدون » و « قلعة نجم » و « قلعة حميص » و « الراوندان » وكل هذه ثغور تجاه الارمن والذار و « البيرة » حصن منيع شرقي الفرات ومن الثغور الساحلية الجبلية « ديركوش » و « در بساك » و « بغراس » (ييلان) و « حجر شعلان » و « اسكندرون » و « قصير » و « انطاكية » و (يفر) ولها بحيرة حلوة من نهر الاسود بينها وبين بغراس وبين انطاكية وهي قصبة السواحل كانت قبل ثغورها وكانت احدى كراسي الروم ويسمى الروم تعظيماً لها مدينة الله كما تسمى الارض المقدسة وانطاكية من المدن القديمة ويحيط بها سور كبير يحيط على اربعة جبال وشعاري ولها بساكن ولها فريضة تسمى السويديدة على الساحل عند مصب العاصي في البحر والمارونية بناها هارون الرشيد . ومن اعمال حلب ايضا (النقدة) (؟) و (حلقة سرمد) و (حلقة تيزين) و (ارتاح) و (الجبول) و (جبرين) و (ريحا) وكثير مثل ذلك والمذكور نحو ستمين عملاً وكل عمل يحتوي على اعمال وكور وضباع عامرة

(١) وقد بكتبه الاتراك تلباشر تسمى في كتب المؤرخين من الصليبيين *Turbe de*

ورسائيق منها قائم وحصيد انتهى ما قاله شيخ الربوة وصنفها ابن فضل الله العمري (١) باخصر من هذا فقال :

واما بلاد حلب فيجدها من القبلية المعرة وما وقع على سمتها الى الممنة الخراب والسلسلة الرديئة وبحرى القناة القديمة الواقع ذلك كله بين الحيار والقرية المعروفة بقبة ملاعب ومن الشرق البر حيث يجد براً أخذاً على الثلج (٢) ونهر الخلاب على اطراف بالس الى الفرات دائرة تحدها وبهذه القسم تكون بلاد جعبر داخلية في حدودها ومن الشام بلاد الروم مما وراء بهسنا وبلاد الارمن مما وراء نهر جاهان ومن الغرب ما اخذ مع بلاد الارمن على البحر الشامي وبحلب قلاع ولايات فاما القلاع فهي البيرة وهي التي لا تماثل ولها عسكر ومنعة ولنا بها مكانة جليلة وقاعة المسلمين وهي المعروفة بقلعة الروم كانت مسكناً لخليفة الارمن ولم يزل بها حتى افتتحها وسماها قلعة المسلمين وهي من جلائل القلاع والكثنا وهي ذات عمل متسع وعسكر متطوع مجتمع وكركر وبهسنا وهي الثغر المتاخم لبلاد الدروب والمشتعل حجره في الحروب به عسكر من التركان والاكراد ولا يزال لهم آثار في الجهاد ولنا بها مكانة جليلة وان كان لا يلتحق بنائب البيرة وعينتاب وهي مدينة حسنة والراوندان والدر بساك وبفراس وكانت ثغر الاسلام في عز الارمن حتى استضيفت الى الفتوحات الجاهانية وبها الرصاص وهو عضو من اعضائها وجزء من اجزائها والقصور وهو لانطاكية والشفر وبكاس وهما كالشيء الواحد وحجر شعلان وابوقبيس وشيزر فهذه جملة قلاعها وهي على هذا الترتيب وان كانت عينتاب داخلية عن النطاق فانها في موقعها بين ما ذكر واما ولايتها فاجلها الغريبات وهي مرمين وما معها وجملة ولايات حلب كقرباط وقامية ومرمين والجبول وجبل سمان وعزاز وتل باشر غير ما في هذه القلاع ماله ولاية مضافة اليه والمدينة حلب نفسها ولاية بركا للمشرق فهذه جملة البلاد الحلبية اه .

وعدد غرس الدين الظاهري (٣) بلاد المملكة الحلبية فقال انها : ملكة متسعة الى الغاية تشتمل على مدن وقلاع ومعاملات وقرى عديدة واعظم مدنها حلب ثم ذكر مدن انطاكية وجعبر والرحبة وسيجر (شيزر) ومرمين والباب وبزاعة وكليس وعزاز واقليم العمق والجزيرة ومدينة الحديدة واباس (يباس) وسيس وطرسوس ومصيص (مسيس) واذنة والرمضائية والاوزازية وقيسارية وعينتاب وشيخ وقلعة المسلمين والبيرة والرها

وكركر وقلعة خروس وكحتا وحصن منجور وبهسنا ودارندة (فوق مرعش باربعة ايام) ودوركي وعربكيرو وبما ملتها عشر قلاع وحشكر ك وبما ملتها اربع وعشرون قلعة وخر بوت وهذه المدينة وعربكيرو وحشكر ك وقلاعها ومعاقها كانت من ديار بكر فحقت في الايام الاشرية واضيفت الى المملكة الحلبية . وذكر ان لكل مدينة من هذه المدن اقليماً فيه عدة قرى وبعض هذه المدن اليوم من عمل ولاية شيوخا والآخر من عمل ولاية ديار بكر والآخر من عمل مملكة العزيز والآخر من ولاية اطنة

وقال ابن جبير : وعدة جميع قلاع حلب وحصونها ثلاثة وعشرون عملاً وهي عمل شيزر وقلعة النجم وعمل الشمر وبكاس وهي قلعة وعمل القصير وهي قلعة وعمل ديركوش وعمل حارم وشيخ الحديد وعمل انطاكية وعمل بغراس وهي قلعة حصينة والدر بساك وهي قلعة وعمل حجر شعلان وهي قلعة وعمل الراوندان وهي قلعة ومعها تل هران وبرج الرصاص وتل باشر وعمل عينتاب ولها قلعة ومعها دلو ك وقوص وعمل بهسنا وكركر وكحتا والبيرة وقلعة الروم ومنيج والجبول والباب وبزاعا وتيزين واعزاز وكيسوم وممرين والفوعة ومعة مصرين ومرةجوان وكفرطاب وبالس وصفين والرصافة وخناصره وحيار بني القعقاع وقنسرين وحاضر قنسرين

وعلى الجملة فقد اختلفت تسميات حلب فيما مضى وكانت في الاكثر ينتهي حدود عملها من جهة الشمال الى دروب الروم وقد تكلم ابن شداد من بلاد حلب على بالس والرصافة وخناصره وحيار بني القعقاع وقنسرين وحاضرها وممرين والفوعة ومعة مصرين ومرةجوان وحارم والعمق وقال انه كان في هذه النواحي ما يزيد على ثلاثين والياً يتصرفون من جهة من يكون نائباً عن السلطان بحارم . وذكر ايضا ديركوش واعزاز والراوندان وتل هران وتل باشر وعينتاب والمرزبان وخروص والزرب وبهسنا والباب وبزاعا والشمر وذكر من الحصون التي استولى عليها الخراب حتى صارت قرى غير دافعة ولا مانعة حصن سنياب وحصن سلعان وحصن سويرك او بزر بك وحصن تل رمان شمالي نكفالون وحصن باسوطا في المضيق وحصن عنسايب وحصن بابر ك وشيخ الحديد في الراج الشرقي وكفرميت في الراج الشرقي وحصن راشيا وهو الآن راثي وحصن هاب وسرفون ضربني مرمدا في الحلقة وارنيا في بلدة الزاوية يقال لها الآن (في عهده) ارنبا وحصن آتب او آتب وتل كشيكان او كشفان في الراج الغربي وحصن زردناني بلد اداب وحصن الزرقال والآن ازرقان مقابل تل كشفان وبينهما العاصي وحصن هم

وسلقين وتل عماد غربي سلقين وتل خالد وارمناز وسلمان وحصون العواصم وسلموس
وزياد وهو خرت برت بين آمد وملطية والعيون وكانت اذنة والمصيصة وطرسوس من
الغفور الرومية داخله من جملة عمل حلب

وقال ابن الشحنة واعلم ان اعمال حلب قد زادت قبل الفتنة التيمرية وبعدها عما
ذكره ابن شداد وعملها اليوم من جهة الروم ينتهي الى دارندة وهي آخر عملها ومن جهة
الغرب من الروم الى البحر ومن الشرق الى بعض اعمال الجزيرة كالرها والركة وجعبر
والبيدة وما والاها من جهة الشرق ومن جهة القبلة الى قرب حماة واما حماة فهي منفردة
الآن (في عصر المؤلف) بعمل وكانت من مضافات حلب

واما المسافات فن حلب الى قنسرين يوم — على قول ياقوت — والى المرة يومان
والى انطاكية ثلاثة ايام والى الرقة اربعة ايام والى الاناثرب يوم والى توزين يوم والى
منبج يومان والى بالس يومان والى خناصره يومان والى حماة ثلاثة ايام والى حمص
اربعة ايام والى حران خمسة ايام والى اللاذقية ثلاثة ايام والى جبلة ثلاثة ايام والى
طرابلس اربعة ايام والى دمشق تسعة ايام .

بلاد حلب وكورها وحصونها

اتينا في النبذة الماضية على مجمل البلاد التي كانت تعد من عمل المملكة الحلبية قبل
دخول الدولة العلية العثمانية وقد رأينا هناك ان نعزها بمجملتها ثانية فيها وصف كل مدينة
وحدها في الجملة معتمدين في ذلك في الاكثر على معجم البلدان لياقوت الحموي ونقوم
البلدان لابي الفدا صاحب حماة نذكرها بما يجاز ما امكن لما يتخلل من الفوائد العمرانية
والاجتماعية والادبية ونذيلها غالباً بما يعرفها للقاريء اليوم ثم نردفها بما كتبه ابن حوقل
في وصف الديار الحلبية

(الاناثرب) قلعة معروفة بين حلب وانطاكية بينها وبين حلب نحو ثلاثة فراسخ وفيها
يقول محمد بن نصر بن صغير القيسراني :

عرجا بالاناثرب كي أقضي مآربي
واسرقا نروم مقاتي من جفون الكواعب
واعجبا من ضلالتني بين عين وحاجب

(الاحص وشبث) ويقال الاول الحص الآن بالقرب من ملاحه جبول وهما
موضعان والغالب انها بالقرب من قنسرين وانشد الاممعي في كتاب جزيرة العرب

لرجل من طيء يقال له الخليل بن قردة وكان له ابن واسمه زافر وكان قد مات بالشام
ولا آب ركب منه دمشقي واهله ولا حمص اذ لم يأت في الركب زافر
ولا من شبيث والاحص ومنتعي الـ مطايا بقنسر بن اوبخناصر
(الارتيق) كورة من اعمال حلب «ارتاح» حصن منيع كان من العواصم وهو من
اعمال حارم (ارقاد) قرية كبيرة من نواحي حلب ثم من نواحي عزاز يقال لها رقاد
(ارناز) بلدة قديمة من نواحي حلب بينهما نحو خمسة فراسخ يعمل بها قدور وشربات
جيدة حمر طيبة ولا تزال كذلك (اسفونا) اسم حصن كان قرب معرة النعمان بالشم
افتتحه محمود بن نصر الكلابي ويقال لها اليوم (عصر ياقوت) سفوهن فيما بلغني
(الاعماق) كورة قرب دابق بن حلب وانطاكية والعمق اليوم فيها نحو مائتي قرية
(افلاطنس) حصن عظيم عال مشرف جداً من اعمال جبل وهرا من عمل حلب الغربية
ولعله المشهور اليوم بقصر البنات (انب) حصن من اعمال عزاز يبعد عنها نحو
اربع ساعات

(انطاكية) لم تزل قصبة العواصم من الثغور الشامية وهي من اعيان البلاد وامهاتها
موصوفة بالزاهة والحسن وطيب الهواء وعدوبة الماء وكثرة الفواكه وسعة الخير زارها
ابن بطلان في سنة نيف واربعين واربع مائة فقال ان المسافة بينها وبين حلب يوم وليلة
عامرة لا خراب فيها اصلاً ولكنها ارض تزرع الحنطة والشعير تحت شجر الزيتون قراها
متصلة لسورها ثلاثمائة وستون برجاً يطوف عليها بالنوبة اربعة آلاف حارس يتفدون
من القسطنطينية يضمنون حراسة البلد سنة ويستبدل بهم في السنة الثانية وتشكل البلد
كنصف دائرة قطرها متصل بجبل والسور يصعد مع الجبل الى قلته فتتم دائرة وفي
رأس الجبل داخل السور قاعة وفي وسط المدينة بيعة القسيان وهو هيكل طوله مائة
خطوة وعرضه ثمانون وعليه كنيسة على اساطين وكان بدور الهيكل اروقة يجلس عليها
القضاة للحكمة ويعلم النحر واللغة وهناك من الكنائس ما لا يحصى كلها معمولة بالذهب والفضة
والزجاج الملون والبلاط المجرع وفي البلد بمارستان يراعي البطريك المردني فيه بنفسه
ويدخل المجذمين الحمام في كل سنة فيغسل شعورهم بيده ومثل ذلك يفعل الملك بالضعفاء
كل سنة ويعينه علي خدمتهم الاجلاء من الرؤساء والبطارقة التماس التواضع .

وقال ابن الفقيه ومن عجائب الجزيرة كنيسة الرها والروم ثل ما من بناء
بالحجارة ابهي من كنيسة الرها ولا بناء بالخشب ابهي من كنيسة منبج لانها بطاقات

من خشب العناب ولا بناء بالرخام ابهى من قسيان انطاكية ولا بناء بطاقات الحجارة ابهى من كنيـة حمص

قال ياقوت وبين انطاكية والبحر نحو فرسخين ولما مررت في بليد يقال له السويدية ترسمي فيه مراكب الافرنج يرفعون منه امتعتهم على الدواب الى انطاكية واستمرت هذه المدينة في ايدي الافرنج الى ان استنقذها منهم سليمان بن قتلمش السلجوقي جد ملوك آل سلجوق سنة ٤٧٧ وقد كان فتحها المسلمون مع حلب وملكها الروم سنة ٣٥٣

وفي غربي الفرات مقابل قلعة جعبر ارض (صفيـن) التي بها كانت الوقعة ومن قلعة جعبر الى الرقة سبعة فراسخ . (البارة) بليدة وكورة من نواحي حلب وفيها حصن وهي ذات بسانين ويسمونها زاوية البارة (بارين) والعامية تقول بمرين مدينة حسنة بين حلب وحماة من جهة الغرب وهي الآن خربة على طريق المعرة (باعربايا) بلد من اعمال حلب من مضافات افامية واقلمية خراب فيها بعض بيوت شعر (بالس) بلدة بين حلب والرقة وكانت على ضفة الفرات الغربية فلم يزل الفرات يشرق عنها قليلاً قليلاً حتى صار بينهما في ايامنا (ياقوت) هذه اربعة اميال

قال ابو الفدا ان بالس كانت مسكونة وهي صغيرة على شط الفرات الغربي وذكر ابن حوقل انها اول مدن الشام من العراق وهي فرضة لاهل الشام وفي شرقيها الرقة قال في العزيزي ومنها الى قلعة دوشر المعروفة الآن بقلعة جعبر في شرقي الفرات خمسة فراسخ

(براق) من قرى حلب بينها نحو فرسخ وهي اليوم ناحية برق من اعمال قضاء الباب من اعمالها نحو خمسين قرية (برج الرصاص) قلعة ولها رساتيق من اعمال حلب قرب انطاكية واباها عنى ابو فراس بقوله :

فاوقع في جلباط بالروم وقعة بها العمق واللكام والبرج فاخر

(البرزمان) قلعة من العواصم من نواحي حلب (بسرفوت) حصن من اعمال حلب في جبل بني عليم (بزاعة) بلدة من اعمال حلب في وادي بطنان بين منبج وحلب بينها وبين كل واحدة منهما مرحلة وفيها عيون ومياه جارية واسواق حسنة وهي اليوم قرية

وقال ابن جبير في وصفها بقعة طيبة الثرى واسعة الدرى تصغر عن المدن وتكبر عن القرى بها سوق تجمع بين المرافقي السفرية والمتاجر الحضرية وفي اعلاها قلعة كبيرة

حصينة رامها احد ملوك الزمان فغالطته باستصاهاها فأمر بثلث بنائها حتى غادرها عورة
منبوذة بعرائها ولهذه البلدة عين معينة يخرق ماؤها بسيط بطحاء ترف بساتينها خضرة
ونضارة وتريك برونقها الانيق حسن الحضارة وبنائها في جانب البطحاء قرية كبيرة
تعرف بالباب هي باب بين بزاعة وحلب وكان يعمرها منذ ثمانين سنين قوم من الاسماعيليين
لا يحصي عددهم الا الله فطار شرارهم وقطع هذه السبيل فسادهم واضرارهم حتى دخلت
اهل هذه البلاد العصية وحركتهم الانفة والحمية فجمعوا من كل اوب عليهم ووضعوا
السيوف فيهم فاستأصلوهم عن آخرهم ونجلوا بقطع دابرهم وكومت بهذه البطحاء جماعهم
قال وكانها اليوم قوم سنيون . وروى ابو الفدا : الباب بلدة صغيرة ذات سوق وحمام
ومسجد وجامع ولها بساتين كثيرة نزهة واما بزاعافضوية من اعمال حلب في الجهة الشمالية
الشرقية وفي بساتينها يقول المنازي وقد اجتاز بها

لقنا نلحة الرضاء واد وقاه مضاعف النبت العميم
يصد الشمس اني واجهتنا فيجيبها ويأذن للنسيم
يروع خصاء حالية العذارى فتلمس جانب العقد التظيم
ووجدنا هذا البيت في مكان آخر

نزلنا دوحه فحنا علينا حنو الوالدات على الفطيم
وارشفنا على ظماء زلالا الذ من المدامة للتدويم

(بفراس) مدينة في لحف جبل اللكام بينها وبين انطاكية اربعة فراسخ على يمين
القاصد الى انطاكية من حلب في البلاد المطلة على نواحي طرسوس قال البلاذري
وكانت ارض بفراس لمسلمة بن عبد الملك ووقفها على سبيل البر وكانت بيد الافرنج ففتحها
صلاح الدين يوسف بن ايوب في سنة ٤٨٥ وقد ذكرها البحري في شعر مدح به
احمد بن طولون

سيوف لها من كل دار غدا ردي وخيل لها من كل دار غدا نهب
علت فوق بفراس فضاقت بماجنت صدور رجال حين ضاق بها درب

قال يحيى بن سعيد بن يحيى الانطاكي ان تغفور ملك الروم نزل على انطاكية سنة
٣٥٧ واقام عليها يومين وفتح المعرة وحماه وحمص وطرابلس وعرقه وجبله واللاذقية
وانطرسوس وخرق قري كثيرة وبنى حصن بفراس مقابل انطاكية في فم
الدرب (ادلب)

« بكاس » قلعة من نواحي حلب على شاطئ العاصي ولما عين تخرج من تحتها بينها وبين ثغور المصيصة مقاباتها قلعة اخرى يقال لها شجر بينها واد كالحندق يقال له الشجر . (بلاطس) حصن متيع بسواحل الشام مقابل اللاذقية من اعمال حلب (بياس) مدينة صغيرة شرقي انطاكية وغربي المصيصة (مسيس) بينها قرية من البحر بينها وبين الاسكندرونة فرسخان قريبة من جبل اللكام (امانوس) . (بيت لاه) حصن عال بين انطاكية وحلب على جبل ليلون كان فيه ديدبان ينظر في اول النهار انطاكية وفي آخره الى حلب . (البيرة) (بيرة جيک) بلد قرب سميساط بين حلب والثغور الرومية وهي قلعة حصينة ولما رستاق واسع وهي على حافة الفرات في البر الشرقي الشمالي لاترام ولما واد يعرف بوادي الزيتون به اشجار واعين وهي بلدة ذات سوق وعمل قال ابن سعيد وقلعتها على صخرة وهي اليوم ثغر الاسلام في وجوه التتروهي فرضة على الفرات وهي في الشرق من قلعة الروم على نحو مرحلة وفي الغرب عن قلعة نجم وفي الجنوب والغرب عن مروج (البيضاء) اسم لمدينة حلب لبياض تربتها (تاذف) قرية بين حلب وبينها اربعة فراسخ من وادي بطنان من ناحية بزاغة ذكرها امروء القيس في شعره فقال :

ويارب يوم صالح قد شهدته بتاذف ذات الثل من فوق طرطرا

ويقال لهذه البلدة اليوم تائف وهي على نصف ساعة من الباب ولا يقل نفوسها عن خمسة آلاف نسمة وفيها الى اليوم كنيس لليهود وبضع اسرات منهم يسكنونها بنيت فيما يقال قبل ٢٢٠٠ سنة وهي محل مبارك عند الاسرائيليين بقصدونه للزيارة وقد زرته وزرت ضاحية البلد غراف ابي طرطر وهو بئر ماء لذيذ يحتاج ماؤه على مدار يحركه بفلان فيسقي حدائق هناك وهذا هو طرطر الذي زاره امروء القيس في الغالب . ويرى الاسرائيليون في تلك الاشياء ان من زار منهم كنيس تائف وشرب من غراف ابي طرطر واغتسل من عين العزيز على مقربة منها اتي عملاً صالحاً ينيله الزاني من المولى . (تل باشر) قلعة حصينة وكورة واسعة في شمالي جلب يد او بين حلب وبومان واهلها ارمين ولها ربض واسواق وهي عامرة آهلة . (تل خالد) قلعة من نواحي حلب (تل السلطان) موضع بينه وبين حلب مرحلة نحو دمشق وفيه خان ومنزل للقوافل وهو المعروف بالفنيدي كانت به وقعة بن صلاح الدين يوسف بن ايوب وسيف الدين غازي بن مهدي بن زكي صاحب الموصل سنة ٥٧١ : تل منس) حصن قرب معرة النعمان وفيه من قرى حمص (توزين) ويقال تبين كورة وبلدة بالعوام من ارض حلب (جبل التسمي)

هو جبل عظيم من اعمال حاب الغربية يشتمل على مدن كثيرة وقرى وقلاع عامتها للاسماعيلية وفيه بساتين ومزارع كلها عذني والمياه الجارية به قليلة الا ما كان من عيون ليست بالكثيرة في مواضع مخصوصة ولذلك ثابت فيه جميع اشجار الفواكه وغيرها حتى الشمس والقطن والسمسم وغير ذلك وقيل انه سمي بذلك لكثرة ما ثبت فيه من السماق قال عيسى بن سعدان :

وقولها وشعاع الشمس منخرط حيث يا جبل السماق بن جبل
ياحبذا التلعات الخضراء من حلب وحبذا طلل بالسفح من طلل
يا ساكني البلاد الاقصي عسى نفس من سفح جوشن يطني لاعمج الغلل
طلال المقام فوا شوقا الى وطن بين الاحص وبين الصمصح الرمل

(الجبول) قرية كبيرة الى جنب ملاحة حلب وفي الجبول يصب نهر بطنان وهو نهر الذهب ثم يجمد ملحا فيمتار منه اكثر بلدان الشام وبعض الجزيرة ويضمن بمائة وعشرين الف درهم في كل عام ويجمع على هذه الملاحة انواع كثيرة من الطير قبل جمودها وضفها حسن الساكنون في الحموي بقوله :

قد جبل الجبول من راحة فليس تعرفوا ساكنيها هموم
كانما الماء واطيابه فيه سماء زينت بالنجوم
كان سود الطير في بيضا خليط جيش بين زنج وروم

قل يا قوت في نهر الذهب ان اهل حلب يزعمون ان وادي بطنان الذي يمر ببزاعة وهو الذي يقال له عجائب الدنيا ثلاثة دير الكلب ونهر الذهب وقلعة حاب والمعجب فيه ان اوله يباع بالميزان وآخره بالكيل وتفسير ذلك ان اوله يزرع على الحصار كالقطن وسائر الحبوب ثم ينصب الى بطيخة طولها نحو فرسخين في عرض مثل ذلك فيجمد فيصير ملحا يمتار منه اكثر نواحي الشام ويباع بالكيل وطول الملاحة الآن نحو ٣ كيلومترات وعرضها ١٨ كيلومترا

(الجرجومة) مدينة يقال لاهلها الجراجمة كانت على جبل اللكام بالقرب الشامي عند معدن الزاج فيما بين بياس وبوقة قرب انطاكية والجراجمة جبل كان من امرهم في ايام استيلاء الروم ان خافوا على انفسهم فلم ينتبه المسلمون لهم وولى ابو عبيدة انطاكية حبيب بن مسلمة الفهري فغزا الجرجومة فصالحه اهلها على ان يكونوا اعوانا للمسلمين وعيونا ومسالح في جبل اللكام وان يؤخذوا بالجزية وان يطلقوا اسلاب من

يقتلونه من اعداء المسلمين اذا حضروا معهم حرباً ودخل من كان معهم في مدينتهم من تاجر واجير وتابع من الانباط من اهل القرى ومن معهم في هذا الصلح فسموا الروادف لانهم تلوم وليسوا منهم ويقال انهم جاؤوا الى عسكر المسلمين وهم ارداف لم فسموا روادف وكان الجراحمة يستقيمون للولاة مرة ويعوجون اخرى فيكاتبون الروم ويمالونهم على المسلمين ولما استقبل عبد الملك بن مروان محاربة مصعب بن الزبير خرج منهم الى الشام مع ملك الروم فنفرقوا في نواحي الشام وقد استعان المسلمون بالجراحمة في مواطن كثيرة في ايام بني امية وبني العباس واجروا عليهم الجرايات وعرفوا منهم المناصحة . (جلباط) ناحية بجبل السكام بين انطاكية ومرعش كانت بها وقعة سيف الدولة بن حمدان بالروم

(حارم) حصن حصين وكورة جليلة تجاه انطاكية وهي الآن من اعمال حلب وفيها اشجار كثيرة ومياه وهي لذلك وبثة وهي فاعل من الحرمان او من الحریم كأنها لخصائتها يحرمها العدو وتكون حرماً لمن فيها قال ابو الفدا وقد خص بالروان الذي يظهر باطنه من ظاهره مع عدم العجم وكثرة المياه وهو على مرحلتين من حلب في جهة الغرب وبين حارم وانطاكية مرحلة

(الحاضر) في كتاب الفتح للبلاذري انه كان بقرب حلب حاضر يدعى حاضر حلب يجمع اصنافاً من العرب من زنوخ وغيرهم جاءه ابو عبيدة بعد فتح قنسرين فصالح اهله على الجزية ثم اسلموا بعد ذلك وكانوا مقيمين واعاقبهم به الى بعيد وفاة امير المؤمنين الرشيد ثم ان اهل ذلك الحاضر حاربوا اهل مدينة حلب وارادوا اخراجهم عنها فكذب الهاشميون من اهلها الى جميع من حولهم من قبائل العرب يستنجدونهم فسارعوا الى انجادهم وكان اسبقهم الى ذلك العباس بن زفر الهلالي فلم يكن لاهل الحاضر بهم طاقة فاجلهم عن حاضرهم وضربوه وذلك في فتنه محمد الامين بن الرشيد فانقلوا الى قنسرين فتلقاهم اهلها بالاطعمة والكسوة فلما دخلوا ارادوا التغلب عليها فاخرجوهم عنها فنفرقوا في البلاد قال فنههم قوم بتكربت وقد رأيتهم ومنهم قوم بارمينية وفي بلدان كثيرة متباعدة وفي رواية اخرى (١) ان يعقوب بن صالح الهاشمي خرب الحاضر الذي كان الى جانب حلب حتى الصقبة بالارض وكان فيه عشرون الف مقاتل فهو خراب اليوم

(حصن منصور) قال في المشترك وحصن منصور بالقرب من سمسطا قال هو منسوب

الى منصور بن جعونة العامري وكان قد تولى عمارته في ايام مروان الحمار آخر خلفاء بني امية
قال ابن حوقل وحصن منصور حصن صغير في مبزر زرع عذري اقول (ابو الفدا) وهو
الآن خراب ولكنه مزدرع وهو في مستو من الارض شمالي النهر الازرق وجنوبي
الفرات وغربها قريب من كل منهما والجبل واقع في غربي حصن منصور بينه وبين
ملطية وفيه الدربند الى ملطية

(حبيب) بلد من اعمال حلب يقال له بطنان حبيب (دانث) بلد من اعمال حلب
بين حلب وكفرطاب . (دركوش) حصن قرب انطاكية من اعمال العواصم (دوك)
بلدة من نواحي حلب بالعواصم كانت بها وقعة لابي فراس بن حمدان مع الروم قال
بعضهم يذكرها

واني ان نزلت على دوك تركتك غير متصل النظام

وقال عدي بن الرقاع

اهم سرى ام غار للغيث غائر	ام انسابها من آخر الليل زائر
ونحن بارض قلنا يحشم السرى	بها العرييات الحسان الحرائر
كثير بها الاعداء يحسرونها	يريد الامام المستنح المشابر
فقلت لما كيف اهتدبت ودونها	دوك واشراف الجبال القواصر
وجيمان جيمان الجيوش واأس	وحزم خزاز والشعوب القواصر

(الراوندان) قلعة حصينة وكورة طيبة معشبة مشجرة من نواحي حلب قال ابو
الفدا انها قلعة حصينة عالية على جبل مرتفع ابيض ولها عين وبساتين وفواكه وواد
حسن ويمر تحتها نهر عفرين وهي في الغرب والشمال عن حلب وبينهما نحو مرحلتين
وهي في الشمال عن حارم ويجري من الشمال الى الجنوب على الراوندان الى عمق حارم في
واد متسع بين جبال وبذلك الوادي قرى وزيتون كثيرة وهي كورة من بلاد حلب
وتسمى الجومة بضم الجيم وسكون الواو وميم وهاء

(سلوقية) اقطع الوليد بن عبد الملك جند انطاكية ارض سلوقية عند الساحل وصير
عليهم الفاترو هو بسط من الارض معلوم كانفدان والجرب بدينار ومدي قح فمروها
واجرى ذلك لم وبني حصن سلوقية (سميساط) قال في اللباب وسميساط من بلاد الشام
قال ابن حوقل واما سميساط فهي على الفرات وكذلك جسر هبيج وهما مدينتان صغيرتان
حصينتان لها زروع سقي وغيره وماؤه من الفرات وسميساط في الغرب عن قلعة الروم

وفي الشمال عن حصن منصور وكل واحدة على مسافة قريبة من الاخرى
(سرمين) بلدة ذات اشجار كثيرة وزيتون وغيره وليس لها ماء الا ما يجتمع من
الامطار في الصحاريج ولها ولاية وعمل متسع وهي ذات خصب واسواق ومسجد جامع
وليس لها سور وبين سرمين وبين حلب مسيرة يوم وحلب في شمالها وهي على منتصف
الطريق بين المعرة وحلب

(سروج) بلدة قريبة من حران من ديار مصر .
(رعبان) مدينة بالمنصور بين حلب وحمص قرب الفرات معدودة في العواصم
وهي قلعة تحت جبل خربتها الزلزلة في سنة ٣٤٠ فانفذ سيف الدولة ابا فراس بن
حمدان في قطعة من الجيش فاعاء عمارتها في سبعة وثلاثين يوماً

(سيثا) بليدة بظاهر معرة الزمان وهي القديمة والمعرة اليوم محدثة اجتاز بها القاضي
ابو يعلى عبد الباقي بن حزم المعري والناس ينقضون بنيانها لعمروا به موضعاً آخر فقال:

مهرت برسم في سيثا فراغني به زجل الاحجار تحت المعاول
نساولها عبل الذراع كأنما رمى الدهر فيما بينهم حرب وائل
انتقامها شعلت ميثك خلها لمشبر او زائر او مسائل
منازل قوم حدثنا حديثهم ولم ارا حل من حديث المنازل

(الشعر) قلعة حصينة مقابلها اخرى يقال لها بكاس على رأس جبلين بينهما واد
كالخندق لها وكل واحدة تناوح الاخرى وهما قرب انطاكية قال ابو الفدا: الشعر
وبكاس قلعتان حصينتان بينهما رمية سهم على جبل مستطيل وتحتها نهر يجري ولها
بساتين وفواكه كثيرة ولها مسجد جامع ومنبر ورستاق وهما بين انطاكية وفامية على
قرب منتصف الطريق بينهما وفي شرقها على شوط فرس جسر كشفان وهو جسر
النهر وهو مشهور وله سوق يجتمع الناس فيه في كل اسبوع والشعر وبكاس في جهة
الشرق والشمال عن صهيون وفي الجنوب عن انطاكية وبينهما الجبال

« شقيف دركوش » قلعة من نواحي حلب قبلي حارم . « شقيف دبين » قلعة
صغيرة قرب انطاكية ودبين ضيعة كالبض لها « عرض » بلد في برية الشام يدخل في
اعمال حلب وهو بين تدمر والرصافة الهسامية . (عزاز) بليدة فيها قلعة ولها رستاق
شمالي حلب بينهما يوم وهي طيبة الهواء عذبة الماء . (عما) صقع في برية خفاف بين
بالس وحلب . « الممقي » كوزة بنواحي حلب الشام وكان اولاً من نواحي انطاكية

ومنه أكثر ميرة انطاكية واباه عنى ابو الطيب المتنبى حيث قال

وما اخشى نوك عن طريق وسيف الدولة الماخي الصقيل
وكل شواة غطريف تمى لسيرك اب مفرقا السيل
ومثل العمق مملوء دماء مشت بك في مجاريه الخيول
اذا اعتاد الفتى خوض المنايا فاول ما يمر به الوحول

(عين تاب) قلعة حصينة ورستاق بين حلب وانطاكية وكانت تعرف بدولك ودولك رستاقها وهي الآن من اعمال حلب . ويقول ابو الفدا انها بلدة حسنة كبيرة ولها قلعة منقوبة في الصخر حصينة وهي كثيرة المياه والبساتين وهي قاعدة ناحيتها ولها اسواق حليلة وهي مقصودة للتجار والمسافرين وهي عن حلب في جهة الشمال على ثلث مراحل وبالقرب من عينتاب في جهة الجنوب عن قلعة الروم على نحو ثلث مراحل ايضا وكذلك بين عينتاب وبهسنا وعينتاب في جهة الشرق والجنوب عن بهسنا

(فايا) كورة بين منبج وحلب كبيرة وهي من اعمال منبج في جهة قبلتها قرب وادي بطنان ولها قرى عامرة فيها بساتين ومياه جارئة . (الفرزل) ناحية من نواحي معرة النعمان في العلاء والعلاء كورة من كورها . (الفنديق) من اعمال حلب كانت به عدة وقعات وهو الذي يعرف اليوم بتل السلطان بينه وبين حلب خمسة فراسخ وبه كانت وقعات الفنديق بين ناصر الدولة بن حمدان وبني كلاب من بني مرداس في سنة ٤٥٢ فأسره بنو كلاب

(قلعة جعبر) على الفرات مقابل صفين التي كانت فيها الوقعة بين معاوية وامير المؤمنين علي ابن ابي طالب رضي الله عنه وكانت تعرف اولاً بدوسر فتملكها رجل من بني غدير يقال له جعبر بن مالك فغلب عليها فسميت به (قلعة الروم) قلعة حصينة في غربي الفرات مقابل البيرة بينها وبين سميساط بها مقام بطرك الارمن ويقول ابو الفدا ان لها روضاً وبساتين وفواكه ونهراً يعرف بمرزبان يجيء من ناحية الجبل ويصب في الفرات تحت قلعة الروم والفرات تمر بذيل القلعة وهي من القلاع الحصينة التي لا ترام انتقدها من الارمن السلطان الملك الاشرف ابن السلطان الملك المنصور قلاوون وهي في البر الغربي الجنوبي من الفرات وهي عن البيرة في جهة الغرب على نحو مرحلة وهي في الشرق عن سميساط وهي في الجنوب من الرها وكل ذلك على الغرب منها (قلعة النجم) قلعة حصينة مطلة على الفرات على جبل تحتها روض عامر وعندها جسر

بعبروهي المعروفة بجسر منبج وبعبركلي هذا الجسر القوافل من حران الى الشام وبينها وبين منبج اربعة فراسخ (قورس) مدينة ازلية بها آثار قديمة وكورة من نواحي حلب وهي الآن خراب وبها آثار باقية (كرزين) قلعة من نواحي حلب بين نهر الجوز والبيدة لها عمل (كسفر يد) بلد في جبال حلب ثلثاً فيه رجل في سنة ٥٦١ وانضم اليه جمع فخرج اليه عسكر الشام فقتل وقتل اصحابه « كفردبين » حصن بنواحي انطاكية (كفر روما) قرية من قرى معرة النعمان وكان حصناً مشهوراً خربته لؤلؤ الشيعي المعروف بالجراحي المتغلب على حلب بمدني الفضائل ابن سعد الدولة في سنة ٣٩٣ (كفر سوت) من اعمال حلب الآن قرب بهسنا بلد فيه اسواق حسنة عامرة (كفر طاب) بلدة بين المعرة ومدينة حلب في بركة معطشة ايس لم شرب الا ما يجمعونه من مياه الامطار في الصهاريج وبلغني (ياقوت) انهم حفروا نحو ثلثائة ذراع فلم ينبط لهم ماء وفيها يقول ابو عبدالله محمد بن سنان الخفاجي :

بالله يا حاديه المطايا بين حناك وارصنايا
عرج على اهل كفرطاب وحيها احسن التحايا
واهد لها الماء فهي ممن يفرح بالماء في الهدايا

وقال عبدالرحمن بن محسن المعري :

اقسمت بالرب والبيت الحرام ومن اهل معتمراً من حوله وسعى
ان الاولى بنواحي القوطتين وان شط المزار بهم يوماً وان شسعا
اشهى الى ناظري من كل ما نظرت عيني وفي مسمعي من كل ما سمعنا
ولا كفرطاب عندي بالحي عوضاً نعم سقى الله سكان الحمى ورعا

قال ابو الفدا انها بلدة صغيرة كالقرية قليلة الماء يعمل فيها القدور الخرف وتجلب الى غيرها وهي قاعدة ذات ولاية ولها عمل وهي على الطريق بين المعرة وشيزر قال في العزيري ومدينة كفرطاب اهلها اخلاط من اليمن وبينها وبين شيزر اثنا عشر ميلاً وكذلك بينها وبين المعرة

(كفر غما) صقع بين خساف وبالس من نواحي حلب (كفر لاثا) بلدة ذات جامع ومنبر في سفح جبل عال من نواحي حلب بينهما يوم واحد وهي ذات بساتين ومياه جارية بركة طيبة واهلها اسماعيلية (كلز) قرية من نواحي عزاز بين حلب وانطاكية (مرعش) مدينة في الثغور بين الشام وبلاد الروم لها سوران وخندق وفي وسطها حصن

عليه سور يعرف بالرواني ثم أحدث الرشيد بعده سائر المدينة وبها ربض يعرف بالهارونية وهو مما يلي باب الحدث وقد ذكرها شاعر الحماسة فقال :

فلو شهدت ام القديد طعانا بمرعش خيل الارمي ازنت
عشية ارمي جمعهم بلبانه ونفسي قد وطنتها فاطمأنت
ولا حقة الآطال اسندت صفها الى صف اخرى من عدى فاقتعرت

قال ابن حوقل : الحدث ومرعش مدينتان صغيرتان عامرتان فيهما مياه وزروع واشجار كثيرة وهما ثفران قال في العزيزي وبينهما وبين انطاكية ثمانية وسبعون ميلاً وبينهما وبين مخاضة العلوي على نهر جيجان اثنا عشر ميلاً

(معرة مصرين) بليدة وكورة بنواحي حلب ومن اعمالها بينها نحو خمسة فراسخ قال حمدان بن عبد الرحيم يذكرها

جادت معرة مصرين من الديم مثل الذي جاد من دهمي لينهم
وسالمتها الليالي في تغيرها وصاغتتها بد الآلاء والنعم
ولا تناوحت الاعصار عاصفة برصتها كما هبت على ارم
حاكت يد القطر في افنائها حللا من كل نور شبيب الثغر مبتسم
اذا الصبا حركت انوارها اعتنقت ومثلت بعضها بعضاً فكأنهم
فطال ما نشرت كف الريح بها بهار كسرى ملك العرب والعجم

(معرة النعمان) مدينة كبيرة قديمة مشهورة من اعمال حمص بين حلب وحماة ماؤم من الآبار وعندهم الزيتون الكثير والنتين قال ابو العلاء المعري :

فيا برق ليس الكرخ داري وانما رماني اليها الدهر منذ ليال
فهل فيك من ماء المعرة قطرة تغيث بها ظلمات ليس بسالي

ونقل ابو الفدا عن الاسمعي ان النسبة الى المعرة معرقي قال لان ثم معرتين معرة النعمان ومعرة نسرين فالنسبة الى الاولى معرقي والى الثانية معرسي غير ان اكثر اهل العلم لا يعرف ذلك

(منبج) قال ابن جبير بلدة فسيحة الارعاء صحيحة الهواء يحف بها سور عتيق ممتد الى الغاية والانتها جوها صقيل ومجتلاها جميل ونسيمها ارج النسر عليل نهارها يندى ظله وليها كما قيل فيه سحر كله تحف به بها وبشرقيها بساكنين ملتفة الاشجار مختلفة الثمار والماء يطرد فيها ويتخلل جميع نواحيها وخصص الله داخلها بآبار معينة شهيدة العذوبة

سلسبيلية المذاق تكون في كل دار منها البئر والبئران وارضها ارض كريمة تستنبط مياهها كلها واسواقها وسككها فسيحة متسعة ودكاكينها وحوانيتها كأنها الخانات والمخازن اتساعاً وكبراً واعالي اسواقها مسقفة وعلى هذا الترتيب اسواق اكثر مدن هذه الجهات ولكن هذه البلدة تعاقبت عليها الاحقاب حتى اخذ منها الخراب كانت من مدن الروم العتيقة ولم فيها من البناء آثار تدل على عظم اعتنائهم بها ولها قلعة حصينة في جوفها ننقطع عنها ونحازمها ومدن هذه الجهات كلها لا تخلو من القلاع السلطانية واهلها اهل فضل وخير سنيون وشافعيون

قال ابو الفدا : منبج احدى بلاد الشام بناها بعض الاكاسرة الذي غلب على الشام وسماها منبه وبنى بها بيت نار ووكل به رجلاً يسمى ابن دينار من ولد ازديشيرين بابك وهو جد سليمان بن مجاهد الفقيه فغلب على اسم المدينة قال ابن حوقل : وهي في برية الغالب على مزارعها الاعضاء وهي خصبة اقول (ابو الفدا) وهي كثيرة القني السارحة والبساتين وغالب شجرها التوت لاجل القز ودور سورها متسع كبير وغالب السور والبلد خراب (المارونية) مدينة صغيرة قرب مرعش بالثغور السامية سيف في طرف جبل اللكلام استعديها هارون الرشيد وعليها سوران وابواب حديد ثم خربها الروم فأرسل سيف الدولة غلامه غرقويه فأعاد عمارتها وهي اليوم من بلاد بني ليون الارمني

هذا ما تيسر جمعه من اسماء المدن والكور والحصون بقيت هناك اسماء قري ذكرها ياقوت فأخرى بنا عن ذكرها تغير اسمائها اليوم وطموس معالمها على الاكثر وقد وصف الرحالة ابن حوقل المملكة الحلبية بقوله : وقسرين مدينة نسبت الكورة اليها وهي من اضيق تلك النواحي بناء وان كانت زهرة الظاهر مغوثة في موضعها بما كان بيا من الرخص فاكنت حثيها الروم فكأنها لم تكن الا بقايا دمن فدبتها من دمن ومعة النعمان مدينة هي وما حولها من القرى اعذاء ليس بنواحيها ما لاجار ولا عين وكذلك جميع قنسرين شريهم من السماء وهي مدينة كثيرة الخير والدة والتين والفستق وما اكل ذلك من الكروم وبيد اوين جبلة التي الى ساحل البحر الرومي ٠٠٠ وكانت مدينة جبلة يسكنها اوزير الجبلين فافتتحها الروم وسبوا منها خمسة اوثلاثين الف امرأة وصبي ورجل بالغ وجزيرة قبرس تحاذي جبلة في وسط البحر الرومي وبينها وبين جبلة مجرى يوم وليلة وكانت للمسلمين والروم فاحتوت الروم عليها بتفريط المسلمين وخذلان واما الخناصره فهي حصن يحاذي قنسرين الى ناحية البادية وعلى شفيرها وسبها كان يسكنه عمر بن عبد العزيز صالحه في قدرها مغوثة للجبازين عليها في وقتنا هذا لان

الطريق انقطع من بطن الشام باتيان الروم عليه وهلاك ولاه فلجأ الناس الى طريق
البادية بالادلاء والخفراء . . .

والعوام اسم الناحية وليس بمدينة تسمى بذلك وقصبتها انطاكية وهي بمد دمشق
انزه بلد بالشام وعليها الى هذه الغاية سور من صخر يحيط بها ويجبل مشرف عليها لم فيه
مزارع واجنة وارحية وما يستقل به اهلها من مرافقها ويقال ان دور سورها يوم تجري
مياههم في اسواقهم ودورهم وسككهم ومسجد جامعهم وكان لهم ضياع وقرى ونواح
خصبة وحسنة استولى عليها العدو فملكها وكانت قد اختلت قبيل افتتاحها - في ايدي
المسلمين وهي ايضا في ايدي الروم اشد اختلالاً وفتحها الروم في اول سنة ٣٥٩

ومدينة بالس مدينة على نهر الفرات من غربيه صغيرة وهي اول مدن الشام من
العراق وكان الطريق اليها عامراً ومنها ابلاً وكانت فرضة لاهل الشام على الفرات
ففت آثارها ودرست قوافلها وتجارها بعد سيف الدولة وهي مدينة عليها سور ازلي ولها
بساتين فيما بينها وبين الفرات واكثر غلاتها القمح والتمر ومن مشهور اخبارها ان
المعروف بسيف الدولة علي بن حمدان عند انصرافه عن لقاء صاحب مصر وقد هلك
جميع جنده انفذ اليه المعروف بأبي حصين القاضي فقبض من تجار كانوا بها معتقلين عن
السفر ولم يطلق لهم النفوذ مع خوف ناهم فأخرجهم عن احوال بز واضواف زيت الى ماءدا
ذلك من متاجر الشام في دفعتين ؛ بهما شهر قلائل وايام بسيرة الف الف دينار وعلى
الغرب منها مدينة منبج خصبة كثيرة الاسواق قديمة الآثار عظيمة الاسوار في بيرة
الغالب عليها وعلى مزارعها الاعضاء وهي حمينة عليها سور ازلي رومي وبقربها ايضا مدينة
سجدة وهي مدينة صغيرة بقربها قنطرة حجارة تعرف بقنطرة سجدة ليس في الاسلام قنطرة
احسن منها ويقال انها من عجائب الزمان

ومدينة سميساط على الفرات وكذلك جسر منبج وهما مدينتان صغيرتان حصينتان
لها زرع سقي ومباحس وماؤها من الفرات وكانت مدينة ملطية مدينة كبيرة من اكبر
الثغور واكثرها سلاحاً ورجالاً دون جبل الحكام الى ما يلي الجزيرة ويحف بها جبال
كثيرة فيها الجوز والكرم واللوز وسائر الثمار الشتوية والصيفية مباحة لاهلها وهي
من اقوى بلاد الروم في هذا الوقت ؛ كتبها الارمن وفتحت في سنة ٣١٩

وكانت المدينة المعروفة بحصن منصور صغيرة حصينة بها منبر وبها رستاق وقرى
برسمها اعذاء فاستأثر القضاء بهلاكها على ايدي الروم وبني حمدان . والحدث ومرعش

مدن اثنتان صغيرتان اقتنهما الروم من قبل يومنا هذا فأعادها سيف الدولة علي بن عبد الله وعاد الروم فانتزعوها ثانية من المسلمين وكان لها زرع واثibar كثيرة وفواكه وكانتا ثغرين يرباط فيهما المسلمون ويجاهدون ففسدت الثبات وافتتحت الاعمال وارفعت البركات وفسدت المذاهب ولج الملوكة في الظلم والاستئثار بالاموال والعامة في الاصرار على المعادي والطغيان فهلك العباد وتلاشت البلاد واقطع الجهاد وبذلك نطق الكتاب العزيز حيث يقول سبحانه وعز من نائل واذا اردنا ان نهلك قرية امرنا متفرقها ففسقوا فيها فحق عليها القول فدمرناها تدميراً

وكانت الهارونية من غربي جبل اللكام في بعض شعابه حصناً صغيراً بناه هارون الرشيد ادركته عاصراً حسناً فاهلكته الروم

وكانت الاسكندرونة ايضاً حصناً على ساحل بحر الروم ذا نخيل وزرع كثير وغلة وخصب كثير فأتى عليه العدو وكذلك حصن الثبات حصن كان على شط البحر فيه مقطع خشب الصنوبر الذي كان ينقل الى الشام ومصر والثغور وكان فيه رجال فذك اجلاد لهم علم بمضار بلد الروم ومعرفة مخابضهم وكانت الكيسة حصناً فيه منبر وهو ثغر في معزل من ساحل البحر يقارب حصن المثقب الذي استحدثه عمر بن عبد العزيز وعمره وكان فيه منبره ومصحفه بخضه وكان فيه قوم سراة من عبد شمس اعتزلوا الدنيا ورفضوا المكاسب وكان لهم ما يقيم بهم من المباح

وكانت عين زربة بلداً يشبه مدن الغور بها نخيل وخصب واسعة الثار والزرع والمرعى وهي المدينة التي كان وصيف الخادم بالدخول منها الى بلد الروم فأدركه المعتضد بها وكانت حنة الداخل والخارج نزهة داخل سورها جليلة في جميع امورها وكانت المصيصة مدينتين احدهما تسمى المصيصة والاخرى تسمى كفرياً على جانبي جحيان وبينهما قطرة حجارة وكانتا حصنتين جداً على شرف من الارض ينظر منها الجالس في مسجد جامعها نحو البحر اربعة فراسخ كالبقعة بين يديه خضرة نضرة جليلة الاهل نفيسة القدر كثيرة الاسواق حسنة الاحوال وجحيان يخرج من بلد الروم وكان كثير الضياع وغزير الكراع

وكانت اذنة مدينة كأحد جانبي المصيصة على نهر سحيان في غربي النهر وسحيان دون جحيان في الكبر عليه قطرة محببة البناء طويلة جداً ويخرج هذا النهر من بلد الروم ايضاً وكانت جليلة الاهل حسنة المحل في كل اصل وفصل وعلى اصل طريق طرسوس .

فاما مدينة طرسوس فالمدينة المشهورة المستغنى بشهرتها عن تحديدها كبيرة عليها سوران من حجارة كانت تشتمل على خيل ورجال وعدة وعتاد وكراع وكانت من العماره والخصب بالغاية الى رخص عام على مر الايام وتعاقب الاعوام وكان يذبحها وبين حد الروم جبال متشعبة من السكام كالحاجز بين المعلمين

ورأيت غير عاقل مميز وسيد حصيف مبرز يشار اليه بالعبارة والفهم واليقظة والعلم يذكر ان بها مائة الف فارس وكان ذلك عن قريب عهد من الايام التي ادركتها وشاهدتها وكان السبب في ذلك انه ليس من مدينة عظيمة من حد سيجستان وكرمان وفارس وخوزستان والجبال وطبرستان والجزيرة واذربيجان والعراق والحجاز واليمن والشامات ومصر والمغرب الا وبها دار ينزلها غزاة تلك البلدة ويرابطون بها اذا وردوها وتكثر لديهم الصلات وترد عليهم الاموال والصدقات العظيمة الجسيمة الى ما كان السلاطين يتكافونهم وارباب النعم يعانونه وينفذونه متطوعين متبرعين ولم يكن في ناحية ذكرتها رئيس ولا نفيس الا وله عليها وقف من ضيعة ذات مزارع وغلات او مسقف من فنادق فهلكوا فكا منهم لم يقطعوها وعفوا فكا منهم لم يسكنوها حتى لظننتهم كما قال الله تعالى هل تحس منهم من احد او تسمع لهم ركزا وكانت اولاس حصنا على ساحل البحر فيه قوم متعبدون حصين وكانت فيهم خشونة في ذات الله تعالى وكان في آخر ما على بحر الروم من العماره فكانت مما بدا به العداوة وبغراس كان فيه منبر على طريق الثغور وكانت فيها دار ضيافة لضيافة ولم يكن بالشام دار ضيافة غيرها كبيرة اه

ولاية حلب وسكانها وحيواناتها

تبين من الابحاث السالفة ان ولاية حلب او مملكة حلب كانت تقسم بحسب الازمان وقد يضاف اليها البعيد من البلدان ويتبع القريب منها غيرها . وتقسمات الولاية الحلبية بحسب التقسيم الاخير هي كما يلي نقلا عن اصح المصادر التركية :

ان ولاية حلب عبارة عن شمالي سورية وجزء من البلاد الجنوبية في آسيا الصغرى ومنها مرعش او مملكة ذو القدرية وكانت تدعى قديما كبدوكية *Cappadocia* وقسم من الجزيرة *Mesopotamie* وهو لواء اورفة (الرها) وهذا اللواء قد انفصل عن ولاية حلب في هذه السنة فاصبح من الالوية المنفصلة بخاير الاستانة في شواطئه الادارية مباشرة كالقدس والزر وبيضا واذميت وغيرها

يحد الولاية بحسب تقسيمها قبل انفصال لواء اورفة من الجنوب ولاية سورية ومن

الغرب البحر الابيض واطنة (اذنة) ومن الشمال ولايتا اقنوة وسيواس ومن الشرق لواء الزور وولايتا ديار بكر ومعمورة العزيز وطولها من الشرق الى الغرب ٨٥ ساعة وعرضها ٩٠ ساعة

يقولون ان اصل سكان هذه الولاية من نسل سام والجنس القافقاسي بدليل انه سكنتها قبائل الكيتا الوثنية وهم من اولاد سام بن نوح ثم الآراميون وبعده ان تناقل الحكم عليها قبل المسيح بنحو ثلاثة آلاف سنة المصريون والاشوريون والفرس انتهت الى ايدي المسلمين ففتحها من افصاها الى اقصاها كل من الفاتحين العظميين ابو عبيدة بن الجراح وخالد بن الوليد . فكان ولاية حلب اليوم من المسلمين العرب والترك والتركان والجركس والاكرد والنصيرية ومن المسيحيين الروم الارثوذكس والروم الكاثوليك والارمن والارمن الكاثوليك والسريان الكاثوليك والموارنة والبروتستانت والكلدان واللاتين وفي المدن والبلدان زمر من اليهود . ويرد انساب العرب النازلين في هذه الولاية على الاكثر الى ابراهيم الخليل اما الاتراك فقد حلوا فيها على عهد الخلافة العباسية ونزلها التركان ايام دولة بني مرداس والاكرد على عهد دولة بني ابوب وكثر الاتراك فيها على عهد الدولة السلجوقية التركية وعلى عهد الدولتين التركية والجركسية في مصر وزادت زيادة كبرى على عهد الدولة العلية . قال ابن جبير ان حلب مبنية بالحجر الاصفر الذي لا يوجد في البلاد مثله وهي اوسع الشام بلاداً واطناها اكثافاً ولها المرح الفسيح والبر الممتد حاضره وبادته وبها منازل عربان واتراك وبها جند كثيف وام من طوائف العرب والتركمان وبلادها متصلة بسيس والروم وديار بكر وبرية العراق ويغلب السخاء والدكاء والمضاء على سكان هذه الولاية على اختلاف طبقاتهم

هذا كلام موجز على اننا اما حيوانها فانك تجد في اطراف الولاية كلها الفئم والماعز وتري في بعض اقضية مرعش كثيراً من البقر الحلاب والجاموس وكذلك في اقضية حارم والمهرة والباب وجبل سمعان ومنبج والرقعة وبكثر الجبل عند عشائر الاكراد في لواء مرعش وفي مدينة حلب جنس من البقر يقال لها الشامي يدر لبناً كثيراً وفي اقضية حلب والمهرة والباب ومنبج والرقعة جنس جيد من الخيول المطهمة والافراس العربية وفي جميع اطراف الولاية تكثر الابقار والثيران والبغال والحمر وفي جبال ييلان (بغراس) والبلاد المجاورة لها وفي جبل باريشا من اعمال حارم

وفي لواء مرعش النمر والذئب والثعلب والدب وابن آوى والخنزير والابل والغزال
والارنب والنمس وكلب الماء، وعلى اطراف الفرات تجرد الاسد . ومن الطيور الدجاج
المهندي والبط والسمن والشجر والحجل والحمام والدجاج ودجاج الماء وابوسعد والنسر
واللقلق ومن الحشرات الحية والقرب
جبالها وانهارها وبحيراتها وسواحلها

اهم جبال هذه الولاية جبل بركت وهو اعظم شعبة من سلاسل جبال طوروس
Taurus — ومعناه جبل الثور وهو سلسلة مشهورة بآسيا الصغرى وله في العربية
اسماء كثيرة منها دماوند وكورين — التي تنشعب بالبحر الرومي وهو الذي عرفه العرب
بجبل اللكام وجبل سور والثغور الترمانية وهذا الجبل هو الحد الطبيعي بين سورية او بر الشام
وبين آسيا الصغرى ولعله هو المعروف بالابواب الشامية *Portes Syriennes*
وهو اسم يطلقه التدماء على مضائق في الجبال الفاصلة بين بلاد الشام وارض كيليكيا
وكيليكيا عبارة عن لواء اطنة اليوم او اذنة فالبلاد الواقعة شرقي هذا الجبل حتى
الجهة الغربية ويدخل فيها بر الشام تعد من آسيا الصغرى في قمة هذا الجبل قصة
اسمها ياربوز وفي سفوحه اقصية خاصة واصلاحية وعثمانية وبولانق ويياس وتسمى
كلها لواء جبل بركت من اعمل ولاية اذنة وفي سفح هذا الجبل قضاء اسكندرون
وقضاء ييلان من اعمال حلب وعلى ذلك تعد اقصية ييلان وخاصة واصلاحية وبولانق
من ارض سورية وفي شمالي جبل بركت جبال مرعش وقوزان يفصلها نهر جيحان ويمتد
الى الجنوب حتى يصل الى ييلان والى قمة اكمة معر المشهورة ترتفع ٢٥٠٠ متر عن
سطح البحر وت شاهد من نفس حلب ويكون الثلج في قمتها صيفاً وشتاء وطول هذا الجبل
ثلاثون ساعة وعرضه عشر ساعات وسكانه نحو مائة الف نسمة تسعون في المئة منهم
من اهل الاسلام

ويخرج في هذا الجبل الصنوبر والسنديان والعفص والمصطكى والدردار والخور
والصفصاف والداب والارز والعرعر وقزلبحق ويوجد التفاح البري والاجاص البري
بكثرة

وان منظر هذا الجبل بما ينحس منه من المياه الغزيرة النفيسة ليحلو جداً من انحاء
حلب واطنة فاذا صعد المرء القمة العليا والتي ينظره الى جهة حلب يرى الخضرة الزمردية
والسهول البديعة ويشهد نهر العاصي والنهر الاسود ونهر عفرين ويمتع النظر بصخور

الجبـال الصعبة التي تخـلها اشجار الزيتون والصنوبر التي تنبعث من الجبل الاعلى وجبل الاكراد وسهول اصلاحية وبازارجق وحلب وفي ذلك مصور بدئم يصعب على ابلع الكاتين والمصورين وصفه ورسمه واذا عطف الناظر بصره الى ناحية باس لا يشبع من النظر الى اشجار البرنثال والليمون في البر القلعة وفي البحر برجقوراوه ويقسمه نهر جيحان واكمت سبـس وسلسلة جبال طوروس الواصلة الى قوزان ومنفرج جزيرة قبرص وهناك الوف من الطيور تشدو بالخانها فتطرب الاسماع

والمنظر الثاني الماطاغ الذي تزدان به سواحل بحر الروم واودية انطاكية وبفرق بين جبل طوروس وجبل لبنان . وهذا الجبل اسمه الماطاغ بتشعب من سلسلة جبال طوروس بانفراج بيلان عن جبل بركت متصلاً بالجنوب الغربي ويكون معظم ارتفاعه في خليج اسكندرونة ويمتد الى الجهة الغربية الى خط عمودي وتبلغ الى قم هذا الجبل ١٥٠٠ متر واسمه القديم امانوس (اللكام) ^(١) ويقال له الآن الجبل الاحمر (قرل طاعغ) وجبال اردو والقصير وموسى وسلمان من جملة شعبه ويفصل بين هذا الجبل وبين لبنان سلسلة منفرجة من الجبال بين طرابلس الشام وطرطوس

وسمى جبل امانوس هذا علائم البراكين وفي سنة ١٢٩٨ رومية ثار بركان صغير بالقرب من فرضة ارسوز . ويقال لجبال اردو والجبل الاقارع واسمه القديم كاسيوس ^(٢)

(١) في تاريخ النهج السديد والجبال المحيطة بسبـس جبل اللكام مد البصر طوله مائة ميل والميل من الارض ينتهي مد البصر والفرسخ ثلاثة اميال قال ابن شداد جبل اللكام هو جبل الاسود اسمه اللكام في الكتب القديمة تمتد من مرعش على بيلان الى السويدية ويسمونه الآن الجبل الاحمر وهو شمالي غربي انطاكية وبالتركي قرل طاعغ ونهر الاسود هو باسم الجبل ايضاً واكن الاسم للنهر واسمه قديماً للآن الملند وهو نهران ملند كبير وملند صغير في طريق السويدية ويسمونه بالتركي قره جاي ولاجل هذا سميت سلوكية السويدية لما غلب عليها اسم النهر والجبل .

(٢) في قاموس الجغرافية القديمة مانعه : فاسيوس *Cassius* جبل بالشام يسمى عند العرب بالجبل الاقارع وسمي بقاسيوس او كاسيوس وهو قائد روماني ربما كان هو الذي فتح سورية واليهودية واللاذقية وفينيقية وقد سمي بالاقرع تقرباً لاسمه العبراني (حلاق) والمراد به وصف الجبل بكونه اجرد خالياً من النبات ولذلك ترجم بعضهم هذه اللفظة الاقلس غير ان الاقرع غلب

وبالعبرانية جبل حلاق او حلاق . ولقد اودى زلزال سنة ٢٥٠ ق م في انطاكية بشطر من هذا الجبل والتي به في البحر وانبعث منه دخان اسود كثيف وفي هذا الجبل من الاشجار الصنوبر والعفص والعرم والدلب والقصب والبلوط بكثرة

والجبل الثالث جبل اخور وهو المؤلف من جبال زيتون وصرعش وليس بجسامته كالجبلين السالفين . ومن الجبال الحرة بالذكر جبل نور الحق من اعمال قضاء البستان ولا تخلو قمم من الثلوج صيفاً وشتاء وفي هذا الجبل بحيرة متسعة وبنيت فيه نوع من الزهر العطر الرائحة الجميل المنظر وهناك جبال صغيرة مثل جبل الاكراد من اعمال كليس وجبل قره بيقلي (ذو الشارب الاسود) في قضاء عينتاب وجبل الزاوية وجبل سمعان في قضاء ادلب والجبل الاعلى في قضاء حارم

انهار حلب وبحيراتها

في الولاية الحلبية عدة انهار اولها نهر الفرات ينبع قسم منه من جبل في جوار دبادين من اعمال لواء بايزيد في ولاية ارضروم (كردستان) والقسم الآخر من بحيرة الالف (ييك كولي) من اعمال الولاية المذكورة فالنهر الذي ينبع من بحيرة الالف يقال له في تلك الانحاء قره صو (النهر الاسود) ونهر مراد وينضم هذان النهران احدهما الى الآخر في جوار معدن كبان ويسمى هناك الفرات ثم يجري الى محال كثيرة ويمر امام قصبة بيرة جك (البيرة) ويمتاز مسكنة (بالس) والرفة والزور وعانة ويجمع في القورنة بين البصرة وبغداد مع نهر دجلة وبعد ان يتألف منهم ما شط العرب يصب في خليج البصرة فطول نهر الفرات ١٨٠٠ كيلومتر . ويكون عرض الفرات في الشتاء ١٢٠٠ متر امام بلدة البيرة وعمقه سبعة امتار والفرات من اكبر انهار آسيا واحد الانهار الاربعة الكبرى . لا جرم ان هذا النهر بالنسبة لجسامته اذا طهر مجراه وعمقه يصلح لسير السفن ولذلك تفتنم الادارة النهرية في بغداد فرصة فيضانه فتُرسل في الفرات احدى بوأخرها الى مدينة مسكنة نقل الركاب والبضائع

وروى المؤرخون ان اودية الفرات كانت على عهد الاشوريين اسبى قبل اربعة آلاف سنة تزرع كلها وكانت تقطع منه نزع واقنية كثيرة حتى كان يجف اقصى بلاد بابل ولا يصل من مائه الى خليج البصرة شي وكان تجار بابل يحملون بضائع الاناضول (الروم) من قفقاسيا في قوارب مملوءة من جلود البقر الى مدينة بابل . والنهر الثاني من انهار هذه الولاية نهر العاصي (Oronte) وارنط الارند) قال الجيتري :

وكم نفست من حمص من متأسف . غدا الموت منها آخذاً بالخنق
وكم قطعت ارض الارند اليهم . كتاب تزجي فيلقاً بعد فيلق
وهو يخرج من عين الابوة في جبل لبنان وبعد ان يجري الى حمص وحماة ينضم الى
سهل العمق ويمتاز قصبي انطاكية وجسر الشحر الى ان يبلغ فرسة السويدية فيصب
في البحر الرومي وكان يقال له في القديم الاورنت ثم اطلق عليه النهر الكبير ونهر المقلوب
ونهر المباس

والنهر الثالث من انهار الولاية الحلبية نهر جيحان ينبع بالقرب من قصبة البستان
ويصب فيه نهر سوهلي (نهر الابن) وخرمن (البيدر) وغيرهما فمعظم جرمه وبعد ان
يمتاز قضاء زيتون وجوار مرعش يجري الى ولاية اطنة ويصب في البحر الابيض وكان
اسمه قديماً ببراموس

والنهر الرابع نهر قره صو (النهر الاسود) ينبس من جبل بركت فيسقي مزارع الارز
المقابلة لهذا الجبل وسهل العمق ويصب في بحيرة العمق . ثم يجمع الى مياه العاصي
ويسميه مؤرخو العرب وجغرافيوهم بالنهر الاسود . والنهر الخامس من انهار هذه
الولاية نهر عفرين وهو يخرج من جبل الاكراد فيجتمع من عدة منابع وينضم اليه
واديه صافي فيصبح نهراً مهماً وهو ايضاً يصب في بحيرة العمق . نهر الاسود ويمتاز
بالعاصي

في ولاية حلب ثلاث بحيرات اولها بحيرة العمق في سهل العمق تحيط بها شعاب
من جبال طوروس ومانوس وقسم من صفور الجبل الاعلى وجبل سمعان وطولها ٢٠ ميلاً
في عرض سبعة اميال وماؤها عذب ويقال لها بحيرة انطاكية ويقال لها البحر الابيض
ايضاً يصب اليها من الشمال النهر الاسود ونهر عفرين وقسم من بحيرة يفران المشهورة
بكثرة اسماكها ومن الجنوب نهر بركت ويصب ماؤها بالقرب من الجسر الحديد في
يجري طبيعي الى نهر العاصي . وفي هذه البحيرة البط والاوز وغيرهما من طيور الماء
ويربي الفلاحون والتركمان في اطرافها ابقاراً كثيرة

وتسمى هذه البحيرة بحيرة انطاكية قال ابو الفدا في وصف لبحيرة انطاكية انها
بحيرة بين انطاكية وبين بغراس وبين حارم في ارض مستوية تعرف تلك الارض
بالعمق وهي من معاملة حلب على مسيرة يومين عنها في جهة الغرب ويصب الى هذه
البحيرة ثلاثة انهار تأتي من الشمال فاحدها وهو الشرقي يقال له عفرين والآخر وهو

النري، منها يجري تحت در بساك ويقال له النهر الاسود والآخر في الوسط بين النهرين المذكورين ويقال له نهر (١) بغرا و بغرا قرية على النهر المذكور واهلها نصاري ودور هذه البحيرة نحو مائة يوم ويحيط بها الاقصاب وبها من الطير والسماك قريب مما في بحيرة افامية وتجتمع هذه الانهر الثلاثة اعني النهر الاسود و بغرا وغرين وتصير نهراً واحداً ويصب في البحيرة من شمالها ويخرج من شمالها نهر واحد ويتصل بنهر الارنط تحت جسر الحدبد وفوق انطاكية على نحو ميل منها وهذه البحيرة في شمالي انطاكية اه البحيرة الثانية من بحيرات الولاية بحيرة السمك وهي في سهل السمق ايضا وكان يقال لها قديماً بحيرة بغرا وهي صغيرة الحجم تضمها الحكومة لمن يصيد سمكها . والبحيرة الثالثة بحيرة المضيقي في قضاء جسر الشغفر وتكثر فيها الاسماك فتضمها الحكومة لمن يلتزمها ويستخرج اسمائها ويقال لهذه البحيرة بحيرة افامية قال ابو الفدا في وصفها انها عدة بطائح تقوت الحمر بين غابات من الاقصاب واعظم تلك البطائح بحيرتان احدهما جنوبية والآخرى شمالية وماؤهما من نهر الارنط يصب هناك من جهة الجنوب فيصير منه تلك البطائح ثم يخرج النهر المذكور عند النهاية الشمالية لهذه البطائح والغابات والبحيرة الجنوبية من البحيرتين هي بحيرة افامية وسعتها بالتقريب نحو نصف فرسخ وقعرها قريب دون قامة الانسان وارضها موحلة لا يقدر الانسان على الوقوف فيها ويحيط بها القصب والصفصاف من كل جانب وفي وسطها جميع قصب وبردي ولذلك لا يكاد ان تنظر العين الى جميعها لان الجعم التي بها تحجب بعضها ويكون بها وبغيرها من البطائح المذكورة من انواع الطير مثل التات والغريبات والجمعات والاصواع والاوز والطيور التي تأكل الاسماك مثل الجملط والابضانيات وغير ذلك من طير الماء ما لم يكن مثله في شيء من البحيرات التي بلغنا خبرها وفي ايام الربيع ينبت بهذه البحيرة المذكورة النيلوفر الاصفر حتى يغطي جميعها بحيث يتر الماء عن آخره بورقه وزهره وتبقى المراكب سائرة بين ذلك النيلوفر واما البحيرة ثمانية الشمالية فيبينها وبين البحيرة المذكورة غاب قصب وفيه زقاق يخرج فيه الراكب من البحيرة الجنوبية الى الشمالية والبحيرة المذكورة من عمل حصن برزية وتعرف ببصرة النصاري لان صيادي السمك بها نصاري ولم يوت على الخوازيق في شمالي

(١) بحيرة اليفرا بين انطاكية والثغر تجتمع اليها مياه العاصي ونهر غرين والنهر الاسود وبحيئها من ناحية مرعش وتعرف ببجيرة الساور وهو السمك البحري لكثرة هذا النوع من السمك فيها (ياقوت)

البحيرة المذكورة وتكون بقدر بحيرة فامية اربع مرعات ووسط بحيرة النصارى مكشوف وبنبت النيلوفر في طرفيها الجنبين والشمالي وبها من الطير نحو ما تقدم ذكره وبها السمك المعروف بالانكلبس ولشجرة بحيرة افامية وبطائحتها اقصرنا على هذا القدر من وصفها وهذه البطائح في الغرب مائلة الى الشمال عن افامية وقرية منها فعرضها وطولها مقارب لعرض افامية وطولها اه

موافي حلب ومياها المعدنية ومعادنها وملاحظاتها
ان سواحل هذه الولاية عبارة عن جون اسكندرونة وفرضتها المعروفة عند قدماء الجغرافيين بسنيوس واسيوس والمعدودة من اشهر موافي البحر الابيض وفرضة السويديّة المعروفة قديماً بسندلوس وفرضة قاب آو من اعمال اسكندرونة وقره طوران من اعمال جسر الشغفر وتؤلف هذه الفرض والمواني من الصخور التي تغطها ومن رأس الخنزير المشهور . ومعظم السفن التي تبحر بين سواحل سورية ترسي في ميناء الاسكندرونة اما السويديّة فان بعض المراكب التي ترسي فيها تجارية واكثرها شرعية . اما فرضتا قاب آو وقره طوران فلا ترسي فيها الا المراكب الشرعية

وبالقرب من السويديّة في وسط البحر نبع ماء لذيذ كالقنطرة وكانت هذه الفرضة قديماً مبنية بالحجر متينة للغاية فدكها الملك الظاهر بيبرس البندقداري لما رأى من الحاجة الى ذلك لانقاذها من ايدي الصليبيين ايام استيلائهم على انطاكية وجوارها في قضاء جسر الشغفر حمامان معدنيان ينفع ماؤهما في الامراض الجلدية وفي سهل العمق من اعمال حلب حمة ماء كبريتي تبلغ حرارتها الدرجة الثانية والاربعين وفي قضاء بيرة جك على الفرات حمة اخرى وفي كل من قضاء مرعش وقضاء زيتون حمة ايضا وفي قضاء البستان مياه معدنية اسمها ايجمه نافعة للامراض المختلفة

هذا وصف تقويم الحكومة لحمامات حلب ووصفها ابن شداد في القرن التاسع فقال ان الحمامات التي ينتفع بمائها في اعمال حلب خمسة بالسفنة من اعمال قنسرين ماؤها في غاية الحرارة ينتفعون بها من الباهم والريح والجرب وبناحية العمق اخرى وبكورة جومة من اعمال قنسرين عيون كبريتية تجري الى الحمة والحمة قريبة يقال له خندراس لها بنين عجيب معقود بالحجارة يأتيها الناس من كل الآفاق فيسبحون بها للعلل التي تضييهم ولا يدري من أين يجي ماؤها ولا اين يذهب

اما معادن الولاية فانه في جوار حلب من جهة الغرب الجعز وبني معدنيان فحماض ونيلي

عشرين ساعة من شرقي حلب في جبل اسمه ابو فياض فحم حجرى وفي جوار حلب معدن رخام اصفر وفي قضاء حارم معدن زجاج وفي ناحية ارسوز من اعمال اسكندرونة معدن يتروى وفي ذاك الاصقاع واعمال انطاكية معادن اميانت وبوراسيت ورصاص وانتمون وكروم وفي جوار قرية دير الجبل من اعمال كليس معدن كيل جسيم تلزمه الحكومة لمن يريد وفي جبل باريشا من اعمال حارم معدن رخام اصفر وفي قرية جاربين من اعمال عينتاب معدن رخام احمر وفي جبال مرعش مناجم ذهب وقضة وحديد ورخام اصفر ورخام اسود وفي قضاء زيتون معدنا حديد.

وفي ولاية حلب ملاحه واحدة وهي ملححة الجبول شرقي حلب من جهة البادية وهي عبارة عن عدة ملاحات واعظمها ما كان في جوار قرية جببول على شكل مخروطي عظيم لا تطاف اطرافها في اقل من ثلثي عشرة ساعة يجمد ماؤها في ابار الى تشرين الثاني فيكون في هذه الفترة ملحاً يتبعه الحكومة كما يتبع الملح من ملاحه جبرود وملاحه حماة وملاحه الجليل وملاحه قوج حصار من اعمال ولاية قونية وغيرها من الملاحات في السلطنة وفي جنوبي هذه الملاحه جبل اسمه جبل الخالص ومن ورائه الى البادية صبع ملاحات واسمها الحمرا وخرايجه وعيتا وزرقه ورملة ودرهم ومراغة يبعد بعضها عن بعض من اربع الى ست ساعات وتجمد في آن واحد وملكها كله جيد طيب ايض قوي نظيف وفي لداذته من اجمل ملح البلاد العثمانية

اقضية حلب وعمرانها

حلب ثلاثة عشر قضاء هي من عملها مباشرة وهي : قضاء عينتاب اهم اقضية حلب يبعد عنها من شمالها ٢٤ ساعة . ولم تكن عينتاب مشهورة بهذا الاسم حتى على عهد الصليبيين بل كانت مدينة دلوک وهي من عينتاب على مسافة ساعة وقد نقل مركز الحكومة من دلوک الى عينتاب في سنة ٨٠٠ كما فهم من سجلات المحکمة الشرعية هناك ومن هذا العهد ابتدأت شهرة عينتاب وهي اليوم بجسامتها وعمرانها تعد من المدن الثانية في هذه الولاية .

وكان في قضاء عينتاب بموجب احصاء الحكومة منذ اربع سنين ١٢٥٣١ داراً و ٤٨٥١ دكاناً و ٢٢٠ مسجداً و ٢٥ مدرسة و ١٠ نكاي و ٣٠ مستشفيات و ٦٠ فرناً و ١٦ دباغة و ٤ دوركيب و ٢٩١٤ نولاً لصنع الالاجه والافشيه والعبات والبسط وفيه ٣٥٢٦٠٠ ذئب من الالاجه في المزرعة و ١٢٧٠٠٠ ذئب من الاراضي تغذي المزرعة وكان القضاء

٨٩٩٤ نسمة والقضاء ثمانى نواح وهي : اورل . رشي . قزلحصار . تل بشار . هنزل . جاريدين . جكده . قزيق وفيها ٢٠٧ قري

وفي الشرق الجنوبي من عينتاب على نحو ست ساعات منها خرائب تل بشار وتل خالد المشهورة في زمن الصليبيين وفي الغرب الجنوبي منها على مسافة ثلاث ساعات خرابة قلعة برج الرصاص . وعلى ثلاث ساعات من شرقي عينتاب ينبع من مزرعة رأس الساجور نهر ال اجور المشهور فيسقي عينتاب وبعض اراضيها ثم يجري الى قضاء ي الباب ومنبع يسقي بعض زروعها ويصب في الفرات

وبكثر في قضاء عينتاب الفتح والعنب والتين والزيتون وتصنع فيها بسط وسجادات متينة جميلة وشغل الابرة وفوط الحمام والبيات والجلد المدبوغ والاواني النحاسية والكراسي والمقاعد الخشبية وغيرها ومنه مايسافر الى اميركا واوروبا ومنه الى مصر والاناضول والاسنانة ولها تجارة واسعة مع حلب واورفة ومرعش واسكندرونه . قضاء كليس — هي في الجهة الشمالية من حلب على مسافة ١٢ ساعة منها وفي القضاء ٤٧٢١ داراً و ١٩٥٥ دكاناً و ٣٧ جامعاً و ١٤ مسجداً و ٢٤ تكية و ٢٨ مدرسة وخزانة كتب واحدة و ٧٤ معصرة زيت و ٥٠ خاناً و ٣١ فرناً وفيه ٢٢٧٢٧٠٠ دونمات من الاراضي يزرع فيها الارز والقطن وسائر الحبوب والفواكه وتكثر في هذا القضاء الكروم والبساتين وزيت زيتونها يرجع على ما يخرج من جميع البلاد العثمانية وسكان القضاء ٧٢٢٠٦ فيه تسع نواح هي ترككان . فلاح . دنج . موسبكي . شقاني . عميكي . اوقجي عز الدين . الشيوخ . جوم و ٤٦٩ قرية بحيث يجدر ان يكون ولاية قائمة برأسها لا قضاء صغيراً ملحقاً بالولاية

لا يعلم تاريخ بناء مدينة كليس وغاية ما عرف انها كانت موجودة سنة ٤٩١ هـ يوم قدوم الصليبيين الى هذه البلاد ومعروفة باسم كالجيس وكانت تابعة لمدينة عزاز فلما اُخرب هذه ثيورك اخذ بعض اهلها يهاجرون الى كليس فبدأت تكبر كما يشاهد من طرز ابنتها ومعاهدها .

وفي هذا القضاء قلعة عزاز وراوند المشهورتان على عهد الصليبيين وفي ناحية جوم خرائب مدينة جنديرس في مزرعة صغيرة وفي ناحية العزبة خرائب قلعتي جم جمه وخروز . ومرج دابق المشهور بالمركتين العظيمتين اللتين وقعا فيه هواضاً من اعمال كليس بين هذه ومدينة حلب على اربع ساعات من الاولى وست من الثانية وهاتان

الوقت كان اولهما سنة ٨٠٣هـ بين تيمورلنك والملك الظاهر برفوق ملك مصر في دولة الجراكسة وكان عسكر تيمور فيما قيل خمسمائة الف جندي ومثله عدد العساكر المصرية فاندحر برفوق وفر لابلوي علي شي^١ والوقعة الثانية كانت سنة ٩٢٢ بين السلطان سليم العثماني والسلطان الغوري صاحب مصر والشام التي انتهت بفتح الدولة العثمانية لبلاد الشام ومصر

قضاء اسكندرونه — هو علي ١٠٥ كيلومترات من الغرب الشمالي عن حلب او علي ٢٤ ساعة واسكندرونه كانت من ام سواحل سورية بغارتها قبل فتح ترعة السويس لانها ميناء ولا يني حلب وديار بكر والمفد الطبيعي للعراق الى البحر الابيض وفي قضائها ٢٥٥٥٠ دونماً من الارض وفي المركز ١١٩٩ داراً و ٤٤٦ دكاناً ومعامل لعرق السويس وجامعان وه كنائس واديار ومدرسة ودار كتب و ٦ كتائب وفي القضاء ٢٤ قرية وناحية واحدة اسمها ارسوز وسكانه ١٩٣ ٦ انفس

ويقال ان الاسكندرونه هي مدينة ميرباندروس الفييقية والمغالب الاسكندر المقدوني دارا ملك الفرس في اباس سمي اسكندرونه باسم الكساندرا واراد الاسكندر ان يشير الي ثابته هذه فامر ببناء الاسكندرونه الحالية سنة ٩٥٥ قبل الاسلام واصيبت المدينة بزلازل شديدة سنة ١٢٣٨ هـ جمعت عاليها سافلها ثم تراجع اليها عمرائها مع الزمن وفي هذا القضاء ميناء اريسوس المشهورة في زمن الرومانيين ويقال لها اليوم ارسوز وكان يقال قديماً لخليج الاسكندرونه سايوس اسبكوس باللغة اللاتينية واكبر دليل علي ترقى الاسكندرونه تجفيف بعض بطائنها التي كانت تضر بصحة سكانها ويكثر في ارضها التيمون والبرغال وقد رسا في مينائها مدة سنة ٦٠٠ سفينة وبخرة محمولها اربعمائة الف طن وكانت قيمة مآدرها وواردها ٣٠٢٩٦٠٧٧٤ ايرة عثمانية

قضاء انطاكية — مدينة انطاكية غربي حلب وهي منها علي مئة كيلومتر او اربع عشرة ساعة وفيها ١٣٥ مسجداً وجامعاً وزاوية وثكية و ٣٠ مدرسته و دور كتب و ١٥ كنيسة وبهمة و ١٨ مكتبة للمسلمين ولغيرهم وفي القضاء كله ١٠٢٨١ داراً و ٢٥٥٣ دكاناً و ٣٣٠ مخزناً و ٢٤ خاناً و ١٢٣ طاحوناً و ١٥٠١٥ ممل صابون و ٣٠ ممل حري و ٥٠ ممل زيت و ١٦٠٢ انبار ومستودع و ٣١١٠ كروم و ٢٥٥ حديقة و ٤٩٥٢١ حقل وفيه اربع نواح وهي قصير . سوبد . قره مورطه حربية . وعدد قراه ١٧٣ وسكانه ٧٨٧٠١

بنى انطاكية سلوقس نيكاتور اكبر قواد الاسكندر المقدوني على اسم ابيه انطيوخوس قبل الهجرة بـ ٨٨٣ سنة واصبحت عاصمة المملكة السلوقية بعد وفاة هذا الفاتح وما برحت في ازدهار وعمران حتى بلغ سكانها سبعمائة الف واستولى عليها سنة ٧٢٣ قبل الهجرة يوناتان اليهودي فقتل في يوم واحد مئة الف نسمة فيما يقال وقد وقعت فيها سنة ٥٢٦ م زلازل هائلة هلك بها ربع مليون من البشر ثم عاودتها الزلازل والحرائق في اوقات مختلفة حتى بلغ عددها نحو عشرين زلزالاً وحريقاً ومثل ذلك من الحروب الطاحنة فخرت انطاكية ولم يبق من عظمتها التاريخية سوى بعض جدران قلعتها القديمة والظاهر من هيئة الجسر الممتد على العاصي انه من ابنية السلوقيين ومن يدخل انطاكية ويذكر ما كان فيها من القصور والدور والمعابد والمياكل المائية والحمامات الجسيمة والاقنية ودور التمثيل لا يلبث ان يذرف دموع الاسى على بلد انفتحت العاهات السماوية والارضية على تخريبه ولقد قالوا ان التمثيل ارتقى فيها حتى كانت تحجب الممثلين من صور وبهوت والمغنين من بعلبك ولا عجب فقد كانت في عصر الرومان ثالث هواصمهم بعد رومية والاسكندرية

راجت العلوم في هذه العاصمة ونفتت اسواق الصناعات ولا سيما علم الفلك والالهيات ولا تزال الى اليوم على ضعفها تحتوي على شيء من المصنوعات وزراعتها وحدائقها تغل كثيراً وبناء السويدية عنها على ست ساعات وهي فرصة خربة اليوم لا تطرقها السفن الا نادراً وكانت تعد من اهم مرافئ سورية واول فرصة منها عكاثم صور وطرابلس والسويدية وعلى ساعة من انطاكية مدينة دفنة القديمة ويقال لها اليوم بيت الماء وكانت مشتهراً لانطاكية على عهد سلوقس نيكاتور وقد بنيت دفنة قبل انطاكية وكان فيها الشوارع المتسعة ودور التمثيل المهمة وفيها هيكل ابولون وغيره من المياكل وابولون هورب الصناعات والآداب والطب والشمس في اعتقاد قدماء اليونانيين وقد بقي هذا الهيكل ١١٨٨ سنة وعلى مقربة من دفنة كان ملعب الالعاب الاولمبية وقد خربت دفنة برمتها سنة ٥٢٦ م بالزلزال ولم يبق منها اليوم سوى مناظرها الطبيعية المدهشة فقط

وعلى ستة اميال من السويدية من غربيها على سفح جبل موسى مدينة سلوقية القديمة ويقول بعض المؤرخين ان سلوقية كانت من مدن الفينيقيين ويقال لها ايليا هيريا وفي رواية ان سلوقس نيكاتور بناها على اسمه وغدت بعد ميناء انطاكية وكان اسمها يباريا وهو من اسماء الجبل الاقارع واذا كان تسع مدن تعرف بسلوقية في ذلك العصر اضافوا

اسم الجبل الى هذه تمييزاً لما عن غيرها . وفي رواية اخرى ان القيصر طيبار يوس جدد سلوقية وفي قول آخر انه انشأها انشاءً وقد خربت سلوقية في زلازل سنة ٥٢٦-٥٢٨ . ولما استولى عليها المسلمون لم يكن فيها غير الامم لا الرعم وسميت هذه الميناء بميناء مار سمعان في القرن السادس للهجرة ايام جاء الصليبيون الى هذه الديار ومالاً هم الارمن ونصارى انطاكية وغيرها وخدموا جيوش الصليبيين واتحدوا واباهم على المسلمين كما كان اللبنازيون ولا سيما اهل كسروان ادلاء الصليبيين يدلونهم على عورات اهل البلاد الاصليين

قضاء ادلب - قضاء ادلب في غربي حلب بعد عنها اثني عشرة ساعة وفي القصة ٣٧٠ سجداً وجامعاً ٣ مدارس و ٣ دور كتب و ١٥ تكية وزاوية وكنيسة و ١٧ كتاباً و ١٠ حمامات و ٩٥٩ دكاناً و ١٢ خاناً و ٥٦ معصرة و ٢١٥٧ داراً ونفوسها ١٣٢٣٠ و على ساعتين من ادلب مدينة ربحا وفيها ٦ جوامع ومساجد ومدرستان وثلاث تكايا وزوايا ومكتبة و ٤١ كتاباً وثلاثة حمامات و ٢٠٠ دكان و ١٥ معصرة زيت و ٨٨٢ داراً و ٤٨٦٨ . واشتهرت ربحا بجودة هوائها وهي في سفوح جبلي الزاوية والاربعة وفي ظاهر ربحا عدة ابنية قديمة وعلى ثلاث ساعات منها خرابة البارة تكون في جسامتها بقدر مدينة حلب وفيها رسوم هياكل واثار قديمة وخرائب قلعة وفيها من احجار البناء ما يبلغ طوله المترين والثلاثة وعرضه ٧٥ سنتيمتراً زيرت عليها حروف يونانية وقد اشتهرت قلعتها زمان الصليبيين وقاومت صدماتهم . وفي جنوبي البارة على مسافة ساعة مزرعة اسمها السرجلية فيها اثار فخمة قديمة يحيط باطرافها بناء شاهق يسمى الحمام زين سطحه بحصا في حجم البندقية ورسمت فيه صور بعض الحيوانات والاسماك فكانت من اجمل المناظر

واشتهرت ايضا على عهد الصليبيين قرية زردنا وهي من عمل هذا القضاء . وفي ناحية ربحا خرائب رويحة وفيها ايضا كثير من العاديات والمصانع ومن عملها ايضا قرية اسمها المارة فيها مغارات واحجار بديعة وقد زيرت صور حيوانات وغيرها في مدخل المغارات ونقشت انواع النقش البديع . ومعرفة مصرين ومن اعمال ادلب على ساعتين منها وفيها ١٤ مسجداً وجامعاً ومدرسة واحدة و ١٥ كتاباً و ٣ حمامات و ٢٠١ دكان و ٧ خانات و ٥٧٣ داراً و ٣٢٦١ نسمة من السكان وعلى ساعتين من ادلب مرمين وهي مدينة مشهورة خربت اليوم وفيها ٨ جوامع ومساجد و ٣ تكايا و ٦ كتابات و ٧٥ دكاناً

وه معاصرو ٣٦٧ داراً و ٢٠٥٤ نفساً . وفي جوار سرمين على ١١ ساعة من حلب
قصة من بركة بنش وفيها ١٢ جامعاً ومسجداً ٢٥ دكاناً و ٤٦٥ داراً و ٢٧٢٢ نسمة
وفي ناحية اريحا في سهل الراج ينبع نهر من محل اسمه عرى في سفح جبل البالعة
يفيض بعضه ويركد ماء الآخر فتألف منه بطائح ولا يستفاد منه في ارواء الاراضي
ولا في غير ذلك وهناك بحيرة صغرى فيها علق و اراضي القضا ١٢٦٠٠٠ دوم يزرع
زهاء اربعة اخماسها وهي منبثة للغاية جيدة الهواء وفواكهها وبقولها عذبة تروى بماء السماء
فقط وام محصولاتها الزيتون وبقدر محصوله سنوياً بثلاثة ارباع المليون لبنة وزراعة
القطن ترتقي هناك سنة عن سنة وتخرج ادلب الصابون والحصر الرفيعة اللطيفة وفي
القضاء كله ١١٧ قرية عامرة سكانها ٥٠١٨٥ نسمة

قضاء حارم — مركز هذا القضاء في قصة كفر تخاريم في الجهة القريبة من حلب
وعلى ست عشرة ساعة منها وفي القصة جامع ومسجد وثنية و ٤ كتابيب للذكور و ٣
للاناث و ٦٧٢ داراً و ١٠٦ دكاكين و ١٣٠١٣ مصرة و ٣١٩٦ نسمة . و بلدة حارم على
ساعتين ونصف من مركز القضاء وفيها جامع ومسجد وسكانها ١٠١٠ وعلى نصف ساعة
من المركز بلدة ارمناز وفيها ممل واحد للزجاج والقرانز و ٥ جوامع ومساجد و ١٠
معاصر زيت و ٣ مدايح ونفوسها ٣٠٦٨ وعلى نصف ساعة من مركز الحكومة ايضاً قصة
سلقين ونفوسها ٢١٧٤ وتقدر اراضي القضاء المزروعة وغيز المزروعة ب ٦٦١٠٩٩ دوغماً
ونفوسه ب ٢٧٤٨٢ وقراه ب ١٧٢ قرية وفيه ناحية يارينا وناحية الريحانية وفي ناحية
الريحانية — وهي ٧٧ قرية ومزرعة واهلها عشائر من الاتراك والتاتار والجراس كسة على
طريق اسكندرونه — حمام معدني في محل اسمه عمر آغا وآثار الطريق المعروف بالراف
الذي كان يمتد قديماً من فرضة السويدية الى الموصل وفي هذه الناحية ينبع نهر عفرين
وفي ناحية باريشا ٣٦ قرية عربية كلها وفيها ثلاث قرى كبرى فيها المرافق اللازمة للندن
وهي ترمانيين ودانا وقورقينا وفي دانا وجوار باريشا معايد قديمة وخرائب مخازن فخمة
ومصانع مهمة . وفي ناحية حارم ٦٧ قرية منها من يتكلم بالعربية ومنها بالتركية وفي هذه
الناحية جبل الاعلى وجميع سكانه من عشائر الدروز . وفي هذا القضاء خمسة اعين
غزيرة وهي عين الجديدة وبكي شهر وعين الجوز وعين عبدة وحارم كلها تجري الى نهر
عفرين ويختلط هذا بالعاصي ولا سيما ايام الشتاء

ويقوم من الكتابات المزبورة على قلاع حارم وارتاح وسرمدا والحسن انها من

بناء سلوقس ربحها الملك الظاهر، وقد اشتهرت من بين هذه القلاع في الاكثر على عهد الصليبيين قلعة ارتاح وكانت على عهد الفتح الالامى مدينة عظمى واشتهرت تزيين من اعمال هذا القضاء على العهد العمري فكان لها شأن وفيها اسواق وجوامع . واكثر الحبوب نبت في هذا القضاء ومن غلاته القطن والزيتون والافيون

قضاء بيلان — مركز هذا القضاء على ٣٤ كيلومتراً من شرقي جنوبي اسكندرونة وفي الغرب الشمالي من حلب على ٢٧ ساعة منها وهي بين جبل بغراس وجبل طوزوس سكانها ٥٠٤٠ وهي مبنورة بدبسها ومصيرها (صوجقها) وفيها ٥ مساجد وجوامع وتكية ومدرسة و٧ مكاتب وكنيسة للارمن و٦٧ داراً و١٣٠ دكاناً و٧ دباغات وتعرف عند العرب بمضيق بغراس وباب اسكندرونة وهي في منتصف مضيق « طوب » الممد ثلاث ساعات مطلة على سهل العمق من الشرق وعلى ميناء اسكندرونة من الغرب وهي على طريق القاصد من حلب الى الاسكندرونة وعمر خمس او ست ولايات محاطة بالا حجار ذات مكانة حرة مهجة وقد اقام فيها السلطان سليمان القانوني سنة ٩٦٠ — ٩٥٠ نفراً من الحراس وسماء دربند جبل بغراس واسكندرونة وانشأ فيها جامعاً وحماماً وخاناً وبعد بضع سنين امر هذا السلطان بترك القصبه وعلى مسيرة ساعة من جهاتها الاربع معقة من العشر على ان تهق رقبتها لبيت المال فهاجر اليها أناس فسميت مزرعة عين التل وزيد في عدد المهاجرين اليها سنة ١١٨٣ على عهد السلطان مصطفى الثالث وسنة ١٢١٧ صدر الامر العالي بترك اسم مزرعة عين التل وابداله ببيلان ومعنى بيلان طريق بين جبلين شاهقين والالف والنون اداة التثنية بالعربية فصار الاصل تركياً والتركيب عربياً وفي هذا الاسم مطابقة للواقع والموقع .

واصببت بيلان بزلالين شديدين سنة ١٢٨٠ و ١٢٨٨ هـ فانحطت وقد بدأت بالنهوض منذ زهاء ثلاثين سنة . وفي مضيق بغراس في محل اسمه ضار قسطلي انقاض سد عظيم يعرف بباب الباشا بابه سيف عرش عشرة اذرع . وفي هذا القضاء قصبة بغراس وقلعتها اشتهرت في زمن الامو بين عمرائها ولطافتها وكذلك في عهد الصليبيين . ومدينة در بساك القديمة كانت في هذا القضاء وهي الى الشمال من بغراس على مسافة مرحلة منها وربما كانت در بساك هذه في جوار جسر مراد باشا وفي القضاء خرائب بلدة كوندوزلي وفيه ٥٠ قرية و ١٢١٥١ نسمة

قضاء المعرة — هو على ٨٤ كيلومتراً من جنوبي حلب، او على ١٠٨ ساعة منها وسي

القصبة ٤١ مسجداً وجامعاً و ٣ تكايا وزوايا و ٥ مدارس وخزائن كتب و ٣٥٤٩ داراً و ٤٤٢ وكاناً و ٤٣ طاحوناً . وفي القضاء كله ٤٢ مزرعة (جفتاك او ابعديه) و ٢٧ حديقة و ٣٥٦١ كرمًا و ١٧٣١٢ حقلًا و ٢٥٩٧٨ عقاراً و ١١٠٢٧٩٩ دونماً من الاراضي البائرة والصالحة وتكثر فيه الحيوانات لذلك تكثر السموم والادهان والجبن والالبان كما انه يخرج منه الخروع . وكانت المعرة معروفة على عهد الرومان واسمها خالس وقد خربت قلعتها سنة ٣٩٠ هـ بآيدي القرامطة الباطنية وجرت فيها بين عماد الدين زنكي والصليبيين عدة وقائع فقدت معها المعرة عمرانها القديم . وفي قضاء المعرة محل كفرطاب الوارد في التوراة باسم كفرطوب وينزل في هذا القضاء عشائر الموالي والحديدي وبني خالد الجسيمة ويتوفرون على تربية الماشية وبيعونها ونواتجها في حماة وحلب واللاذقية وبيروت وولاية سورية . ولبس في المعرة من الفستق اليوم ما قاله ابن بطوطة فيها وتضمن في بعض قرى القضاء العباآت والاقسة وفيه ١٦٧ قرية سكنها ١٨١٨٨ وعدد عشيرة الوالي ٣٨٠٠ والموالي ٣٠٠٠ وبني خالد ١٥٠٠

قضاء الباب - هو شرقي حلب على ٣٧ كيلومتراً او اربع ساعات في المركبة ومشهورة من القديم بباب بزاعة وفيه ١٥ جامعاً ومسجداً و ٦ كتابت و ٤٦٩٨ داراً و ٢٩١٠ دكاكين و ٣٠ خاناً و ١٩ طاحوناً و ٧ معاصر وعلى نصف ساعة من الباب قصبة تاذف وفيها ٥٢ من اليهود ومعبد قديم بني بالحجارة الغليظة ويقال انها مدينة صوبا المذكورة في التوراة ويقول ابن حوقل ان مدينة صوبا في جوار الفرات تسمى « كعب »

واشتهرت بزاعة وهي على نصف ساعة من الباب ايضاً زمن الحروب الصليبية وهي في وادي بطنان المشهور وفيها ينابيع كثيرة وخرج من بزاعة كثير من الادباء . وعلى ١٥ دقيقة من شمالي الباب محل قلعة تل بطنان القديمة وكانت خربها الرومانيون ويسقي بعض هذا القضاء نهر الذهب ويمل فيها البسط وفراء جلد الخرفان وفيه ١٩٨ قرية وناحية واحدة اسمها ايلبكلا وسكان القضاء ٢٦٨١٦ وتنزل فيه خمس عشرة عشيرة رحالة عدد نفوسها ١٥٠٤٥ وهي الفردون ، شمر ، ابو خميس ، ابو حمد ، بنوزيد ، كيار ، بكاره ، جبارين ، مجازمة ، دمالحة ، نعم ، ابو بطوش ، غنایم ، بنو صعب ، ابو ضاهر

قضاء جسر الشفر - هو على مئة كيلومتر من حلب في الغرب الجنوبي او على مسافة ٢١ ساعة على ضفة ممر العاصي يحده القصبة من الغرب لواء اللاذقية وقضاء صهيون ومن الجنوب حماة والمرة وادلب ومن الشمال حارم وانطاكية وفي القضاء ٢٠ مكتبة ابتدائية

اسلامياً ٦ مكاتب غير اسلامية و ١٤ جسراً على العاصي وفي المركز ٢٢٥ دكاناً و ٦١٩ داراً و ١٠٠ مطاحن

وقد كانت قصبة جسر الشفر قبل اربعائة سنة عبارة عن ١٥ كوخاً من اغصان التجر فأنشأ فيها محمد باشا كوريلي المشهور جامعاً وخزاناً وحماماً واصبحت تنشأ فيها الدور والمساكن بعد فؤاد عمرائها

وفي هذه القصبة تعمل محجوف اخيل من القطن والحرامات وستور الموائد وفي ناحية اردو من جهة الشرق على حدود اللاذقية بعض غابات ويخرج منها معدن كروم والعاصي يسقي ناحية الغاب ويمتاز ناحية دركوش آخذاً الى انطاكية حيث يصب في البحر الرومي فتجد على اطرافه الحدائق والمطاحن .

ويخرج في هذا القضاء نهر اسمه البر الابيض لذيد الطعم خفيف على المعد ينبع من ناحية اردو بالقرب من قريتي قندون ولفشون ويمتاز قريتي زورف وشفر القديمتين ويصب في العاصي على بعد نصف ساعة من مركز القضاء

وفي هذا القضاء قرية شفر القديمة وفيها قلعة خربة وفي المحل المسمى بقلعة المضيق خرائب مدينة افاميا من بناء سلوقس وقد كان اتخذها معسكراً له وانشأ فيها مدرسة لتعليم الفرسان وجعل في الرعي السكان في رأس المدينة عشرين الف حصان مدربة للحرب وثلثمائة رأس جلموس .

وتعمل في هذه القلعة جواليق وخيام من الشعر وفي القضاء ماء معدني نافع اسمه حمام لاشيخ عيسى يقصده المرضى في شهري نيسان وايار وفي شهور الخريف للاغتسال بآله . ويصاد سمك كثير من نهر العاصي في جهة الغاب ومن بحيرة المضيق وداليان تبعتها ادارة الدبون العمومية بمئة وخمسين الف قرش سنوياً ويحمل سمكها الى حماة وحلب واسكندرونه واللاذقية وبيروت، وتبلغ اراضي القضاء ٤١٠٠٠٠ دونم وكسراً وفيه اربع نواح وهي قلعة المضيق وبداما ودركوش واردو وعدد قراه ١٦٩ ونفوسه ٢٧٩٠١

قضاء جبل سمعان — هو على قيد غلوة من حاب ومركزه في نفس حاب وهو ١١٣ قرية سكانها ٢٥٠٠١ نسمة وفيه ١٨٣ جامعاً ومسجداً وتكيتان و ٢٠ مدرسة ابتدائية و ٤٢٨٣ داراً و ٣٢ دكاناً و ١٨ خاناً و ٢٦٢ كرماً و ١٠٤ حدائق و ٥٢٦٧٥ حقلاً و ٧٨٠٦٧ دونماً مزروعة وغدير مزروع واهل القضاء مسلمون كلهم وفيه من الآثار

القديمة خرائب سمعان وخان طومان وارحاب والخاصر واثارب يقصدها سياح الافرنج للزيارة . وفي قرية دارة العزي بالقرب من خرابة سمعان وهي مرتفعة جداً جيدة الهواء يصعد الى ذروة جبله في ساعتين وفي هذا القضاء انواع البقول والحبوب تأخذ منها حلب حاجياتها كما تأخذ دمشق من غوطتها ويحجازنهر قويق هذا القضاء وتعمل فيه بعض الانسجة

قضاء منبج - في الشرق الشمالي من حلب قصبة منبج على مسافة ١١٠ كيلومترات او ٢٠ ساعة والطريق اليها في مستوى من الارض يجتاز المسافر من حلب الى الباب ومنها الى منبج على طريق اورفة وهي مشرفة على البادية وفي قضائها ٤٥٠ قرية ويقرب من نصفها من الاراضي الاميرية كانت للسلطان المخلوع وسكانها ٦٩٥٠ نسمة من الزراع و ١٧٠٠٠ من سكان البوادي واسم عشائرم ابرز ، كيار ، ابوخييس ، هلب ، غناطسة ، تويات ، ابوغيث واكثر اهالي القصبة من مهاجري الجركس وفيها قلعة قديمة وجامعان وتكية واحدة ومكثبان ابتدائيان وخمسة كسائيب و ٣١٠ دور و ٦٠ دكاناً وعلى ثلاث ساعات من شمالي القصبة يجري نهر الساجور الذي يصب في الفرات ويسقي اهالي الجوار بمائه زروعهم الصيفية وتحدث عنه منافع حمة منها تدوير بعض المطاحن . وطول قضاء منبج من اول نهر الساجور الى حدود لواء حماة والصقع المعمور هو ناحيته الشمالية اما انحاء جبل الخصاص فزراعها محدودة وارضى القضاء مستوية لا شأن للجبال التي تجتازه الا ما كان من بعض الروابي والاسكام في جهات حمر وكان الخراب ولم يزل كثيراً في اراضيه فاخذ الاهلوت يزرعون اكثر ممايجود من الغلات ويتوفرون على تربية الثين والعنب

منبج من المدن القديمة في سورية كانت تسمى هيراپوليس فقها ابوعبدة بن الجراح بعد فتح حلب وانطاكية صلحاً والظاهر من عاداتها ان جميع اماكنها كانت قبل ان يقيمها الخراب متظمة للغاية وقائمة على عمد مثقوشة مزينة وفي هذه القصبة وجوارها نحواربعة آلاف بئر تباح منها المياه بالدلاء لسقيا المزروعات وفي جوار القبة على عشر دقائق منها بئر جميل اسمه قصر البسات وبفهم من بقاياها انه كان مصيفاً بهيجاً ولعله كان قصر احد الملوك والامراء

كانت منبج معمورة للغاية على عهد الدولتين العباسية والايوية فخر بها تيوراك سنة ٨٠٤ وبقيت منذ ذلك العهد خراباً وفي سنة ١٢٩٥ نزلها مهاجرو الجركسة وبنيت

لم فيها الدور والمساكن وتوفروا على عمرانها. ولا تزال الى اليوم آثار الجداول التي حفرها القدماء من الفرات الى القصبه تحت الارض مائله. ومن اعمال القضاء خرائب بالس المعروفة اليوم بمسكنه وخرائب قلعة النجم التي كانت مشهورة على عهد الفتح الاسلامي والدولة الاتاكية ومدينة خناصره وكانت هذه الناصمة الثانية التي ينزلها عمر بن عبد المزي بالاموي رضي الله عنه قضاء الرقة - الرنة شرقي حلب تبعد عنها ٢٢٠ كيلومتراً او ٤٠ ساعة وهي على الساحل الشرقي من الفرات وفي مركزها ٢٢٨ منزلاً و ١٤٥ دكاناً وفي قضائها ٥٦ قرية و ٢٧ مزرعة جميع سكانها بادية رحالة واذا اعتبرنا عدد خيامهم كانوا عبارة عن ٢١٦٤ داراً وارضيتهم ١٢٢٩٥ دونماً عامرة و ٢٩٤٠٠٠ دونم غامرة

ومدينة الرقة قديمة جداً انشأها الاسكندر الكبير وسماها نيكفور يون وكانت مشهورة في سالف الاحقاب باسم البيضاء والرفعة افتتحها سعد بن وقاص سنة ١٧ للهجرة صلحاً على يد عياض بن غنم فاتح الجزيرة

وعلى مسافة ساعتين ونصف مقابل مدينة الرقة من جهة الشامية في سفح الجبل كانت وقعة صفين بين علي بن ابي طالب كرم الله وجهه ومعاوية بن ابي سفيان فقتل فيها من المسلمين والصحابه جمهور عظيم

وكانت الرقة مركز ديار مضر وهي قسم مهم من الجزيرة وعلى مقربة من الرقة غربي الفرات كان مصيف هشام بن عبد الملك الذي يسمى الرقة ايضاً ولا تزال خرائبه باقية وقد انشأ فيها هارون الرشيد معسكراً لموقعها من الثغور الاسلامية كما انشأ فيها مرصداً فلكتياً . وفي الرقة قاس بنو شاكر الجغرافيون الفلكيون طول العالم وعرضه . وفي قلعة جمبر من اعمال الرقة دفن السلطان سليمان شاه العثماني

ولا يزال اهالي قضاء الرقة بادية لم تسجل نفوسهم ويقدر بنحو ثلاثين الفا وعشائر القضاء يتوفرون على الضرع اكثر من الزرع ولوارادوا الاستفادوا كثيراً من مياه نهر بليخ في زروعهم وهو ينبع من قضاء حران ويمر شرقي الرقة على نحو ساعتين منها ويصب في الفرات . هذه نبذة من افضية حلب وعمرانها بقي الكلام على لواء ادرقة ومرعش ولما كان اكثرها في الجهة الشرقية من سورية كان بعضها يحسب من بلاد الروم والاخر من بلاد الاكراد فمدينة البيرة (بيرو جك) على ١٣٥ كيلومتراً من حلب هي على الفرات وما ندري ان كانت تحسب من سورية ام لا وكذلك قلعة الروم (روم قلعة) على ساحل الفرات

في القطار

من بيروت الى زحلة

ونافلي حيث يملو في الموى النقل
 كأنه جبل يمشي على جبل
 كأنه عند ما يجري على عجل
 كالطير ليس يزيد السهل سرعته
 لو ساقى الأرض نحو الشمس ما طلعت
 أو طارد الزهر في أفلاكها غلساً
 ما عاقه في السري برد ولا مطر
 لا انس فيه ركوبي والحبيب وقد
 فزعن (البور) والأفلاك قد غمضت
 يمشي الهويثا كخود ناعس نهضت
 ما سار نحو الشام الميل مكتملاً
 ينساب كالصل حرّان الحشاشة حي
 طوراً تخف الى استقباله قلل
 يمر كالسهم في الانفاق مخترقاً
 خلو من الحب لا ينفك متعباً
 مصعد زفرات كلما عصفت
 تلقي على الأرض من ابوابه بصراً
 لا يستقر على شيء لسرعته
 حتى اذا ما انجلي سهل البقاع انا
 امواجه الخضر بالازهار مزبدة
 هذا ومن خلفه الابعاد مدبرة
 لسرعة الجري ما لاح له عجل
 والكرم عن جانبيه مطرق نخيل

يمشي به الدافعان الشوق والامل
 يرسو اذا شاء طوراً ثم ينتقل
 يجري على عجل يجري بها الامل
 ولا يؤخره في سيرة جبل
 الا وقد جازها في الغرب تغسل
 ما حط الا ومن ارتاله زحل
 كأن لطم الحيا في وجهه قبل
 بتسا وكل بصبياء اللقا ثمل
 منها وقد سهرت طول الدجى المقل
 عند الضحى لم يزل في جفنها ثقل
 الا وجفن الضحى بالثور مكتمل
 راناً كن قطعت في وجهه السبل
 وتارة تثني من دربه قلل
 حشاشة الأرض لا بلوي به الوجمل
 يشكو ويكي وما في جسمه عل
 حسبتها طففات الجن تقتل
 يرد فسل في الطرف لا كل
 فلا ترى الأرض الا عند ما يصل
 بجرأ يرعى كل بحر عنده وشل
 مثل الحلي اذا ازدانت بها الحلل
 كالجد يدبر من قدومه الكسل
 كأننا في سفين ماله عجل
 كالغيد خف اليها فارس بطل

نرى المناقيد من اعناقها برزت مثل الـود ولكن درها غسل
حتى اذا الارض من حر المجير عُدت كأنها كبد بالهجر تشتمل
صرنا الى زحلة فالبعض قد ركبوا منها وكنت انا من بعض من نزلوا
* * *

يا من له هوس في كل ذي قدم هذا القطار فاين البغل والجل ؟ ١١
رشيد الخوري

اخبار وافكار

قصر بختنصر

اكتشفت البعثة الاثرية الالمانية في بابل عدة آثار من زمن عصور التوراة ومنها خرائب قصر الملك بختنصر ومعبد البعل وباب ايستار وغير ذلك من العمارات المهمة وفي النية الآن ان يعيد اولئك الاثريون تلك العاديات الى الصورة التي كانت عليها على عهد عظمة بلاد الكلدان يستعملون لذلك الادوات التامة ومنها آلات لجر الاثقال عظيمة هائلة مملوءة من الحديد والفولاذ وبها ينقلون تلك الاحجار الضخمة والاسود المجنحة ويجعلونها في محالها وكانت لنقل قديماً بانضمام ايدي العبيد والامسى وقوام الجمعية . وقد جعل الامبراطور غايوم الثاني هذا المشروع تحت حمايته وبذل المليون لاولئك العلماء من النفقة في هذه السبيل مايلزم . ومعلوم ان مدينة بابل على بضعة كيلومترات من بغداد والى هذه ينتهي الخط الحديدي الالمانى فبابل والحالة هذه داخلية في منطقة نفوذ الالمان كما يقول كتاب السياسة وترميم قصر بختنصر مما يساعد كثيراً على توطيد هذا النفوذ .

وكل من قرأ التاريخ يعرف عهد بختنصر المجيد وما تبعه من الكواثر وقد بدأ انحطاط بابل على عهد خليفته بالتآزر بعد فتح قورش الفارسي . اما القصر الذي يراد ترميمه الآن فهو غلي نشز من الارض وفي جواره اراض متسعة للغابة وكان الرجال يصعدون اليه على ادراج وكان ثمة طريق خاص بالركبات والأسس مملوءة بالحجر والحوائط من آجر لا يتفتت ولا يذوب وواجهات البناء مزينة بالنقوش تمثل الصيد وقتلوتن الصيادون وما يصيدون بانواع الاصباغ بالحرمة والزرق والصفرة . والثيران المجنحة تحرس الابواب

المحمولة من الفحاس وكان في القصر نحو مائتي ردهة وغرفة ينزل في أكثرها نساء هذا الملك العظيم وفي الداخل ترى انواع الطنافس والسجاد والزينات الفاخرة والافاريز منقوش عليها صور غزوات هذا الفاتح في مصر والقدس وصور . والغالب على الظن ان القائمين بترميم هذا القصر لا يكتفون بذلك فقط بل يرممون اسوار المدينة وكان سمكها بضعة امتار وهي شاهقة العلو ولها ابراج حصينة يبلغ طولها زهاء ٨٠ متراً وسيرم باب ايسنار الربة الحامية لبابل مع ما كان عليه من النيران والثانين الحجر والزرق . وقد رأت البعثة موقع الحدائق المعلقة المنسوبة لسميزاميس ملكة اشور وفي النية ايضاً اصلاحها

لفحة الشمس

كثرت ضربة الشمس في الصيف الماضي في بلاد الغرب فانتبه الاختصاصيون من العلماء للنظر في طرق الوقاية منها فقرأى احدهم في مونيخ ان الجسم الانساني لما كان مركباً من عناصر كيمياوية فضربة الشمس ناشئة عن اضطرابات كهربائية تحدث من فقدان الملح اللازم في تركيب الجسم فأبانت ابحاث ان الاختصاص الذين يعرفون كثيراً ولا سيما من يعملون اعمالاً شاقة في اليوم الحار يفقدون جزءاً عظيماً من الملح الضروري لصحة الجسم واستنتج من ذلك ان الجسم في هذه الحالة يضعف في اليوم من ٣٠ الى ٤٠ غراماً من الملح الذي لا يعوضه في الاحوال العادية الا الغذاء . وشرب كمية من الماء لا يكون دواءً كافياً ونافعاً في هذه الحال لانه يحول دون جمود الدم وعنه ينشأ الدوار وهو اول اعراض الغثيان . ويعتقد العالم الالماني كل الاعتقاد ان ضربة الشمس تأتي بتعديل التراكيب الكيماوية في حياة الجسم تعديلاً سلبياً وذلك بحرماته من الملح اللازم وذكر ان بعض السجون في المانيا كانت منذ اربعين سنة منعت من تمليح طعام السجناء بحجة ان الملح من الزوائد وهو دليل للرفاية في التغذية فكان يحدث للسجناء مرض شبيه بالغثيان او ضربة الشمس يقضون نحبهم معه . وقد تبين ايضاً ان السكدين اكثر استعداداً من غيرهم للوقوع بضربة الشمس وعلموا ذلك بان الالكحول اذا تناولته المرء بافراط يضر بالاغذية المالحه التي لا يستغني عنها الجسم وهي ثقيه من الاخطار التي يتعرض لها كضربة الشمس ونحوها

التربة السوداء

في كثير من اصقاع العالم ارض سوداء ولا سيما في مراكن وجنوبي روسيا

واستراليا وغيرها فترى تربتها سوداء فاحمة وهي مخصصة كل الخصب وتعطي غلاتها بدون ادنى سماد ويجود محصولها بضع سنين متوالية . ومن الغريب ان هذه التربة تكون كلها في السهول واطنة في الجملة معرضة للرطوبة واليبوسة في فصل المطر وفي ايام الجفاف تصلب وتتشقق . وقد نسب العارفون بطبائع التربة زمناً طويلاً سر هذا السواد والخصب في هذا الضرب من الاراضي الى الكمية الوفيرة من المواد المخصصة Humus والمواد النباتية التي تغذي على رايهم النباتات اثناء نموها ولكن اثبت البحث الدقيق ان هذه المادة النباتية تحتوي على كمية وافرة من البوتاس وحامض الفوسفور والنشادر بحيث ان المادة المخصصة هي السبب العارض في غنى النبات وخصب التربة السوداء في العالم تربة استراليا ولذلك انصرفت وجوه المهاجرين من اقطار الارض اليها وقصدوها لتربية الاشجار والحيوانات وكل مايفرس ويعرش ويحور ويبغم ويثغو

المطر الصناعي

اخترع احد مهندسي الجمهورية الفضية طريقة سهلة عملية لارواء الحدائق والحقول حتى سيف ايام الجفاف بواسطة الماء الموزع في اسلاك كهربائية وهذه الطريقة نافعة في الزراعة تأتي على الحشرات والحلمات الطفيلية المضرة فتهلكها ويمرر بها الماء من نهر او بئر توازي او نبع ثم يجعل في حوض من الحديد منفرد يوصل في انابيب ومجار ذات مضخة رشاشة ويمتلئ الحوض بالكهربائية بواسطة دينامو وتستعمل الكهرباء لبعض الثغيرات الكيميائية التي تولد شيئاً من الاوكسجين والاوزون والهيدروجين وغيرها مما يجعل الماء قابلاً للشرب . وبهذه الطريقة التي جربها المهندس لارواء حديقة في عاصمة تلك الجمهورية خلال الصيف الماضي وكان الماء عزيزاً في تلك الاصفاع تيسر ان ينبت عشب كثير لتربية الخيول . لا جرم ان المطر الصناعي سيكون نعمة حقيقية للزارعين ويستعمل المجرى الكهربائي في اضاءة بعض اجزاء من المدينة

ادب النشر

في جميع البلاد التي لها قانون للطبوعات مواد مخصوصة للحكم على من يخالفون العرف في مسطورهم ومنشورهم فيعيدون عن شرعة الادب . وقد حكمت احدى المحاكم الالمانية على كل من رئيس تحرير مجلة « بان » الالمانية وعلى مديرها بخمسين ماركاً غرامة لانها نشرت قطعة من مفكرات الفيلسوف فلوير فحكمت المحاكم عليهما بدعوى ان هذه المجلة مخالفة للآداب وكانت نشرت منذ ثلاثين سنة فلم يختلف اثنان في انها غير اديبة بل

ان كاتبها كان في وصفها كالجراح يشرح جثة ولا يرى في عمله ما يهيب بالادب وتعمد منه الوجوه . ومن الغريب ان احد النقاد ترجم الى الالمانية قطعة من الشعر الغزلي كتبت بالفرنسية في القرن الثامن عشر ولم يكذب ينشرها حتى حكمت عليه المحكمة بالسجن ثمانية اشهر

التمثيل والمؤلفون

بلغت واردات دور التمثيل في باريس سنة ١٩١٠ - ١٩١١ (٢٧٧٣٠٠٦٢) وحقوق المؤلفين ثلاثة ملايين ونصفاً من الفرنكات وعدد أعضاء جمعية المؤلفين ٣٠٤ وعدد من يستعدون للانخراط في سلكهم ٤٥٤٣

الحرب العثمانية الايطالية

قالت المجلة ما تعريه : لقد حزن كل الحزب جميع انصار السلام لانتشار الحرب الايطالية العثمانية فاذا كان ياترى من امر المادة الثانية والاربعين من قانون محكمة لاهاي القاضية بان جميع الدول يقضى عليهم ان يعمدون الى التحكيم قبل ان تقع السيوف وتلج الاسلحة فقد جاءتنا من كل مكان رسائل الاحتجاج على ما جر به بين الدولتين مما من شأنه ان يكدر صفو الانسانية ويذهب كل ما بذل لتفهمها ادراج الرياح . فكل الجمعيات الانكليزية التي تعنى بحركة السلم قليلاً او كثيراً قد اقامت الحجة في لندن وعزمت ان تبعث الى الاستانة بوفدنا السامي وصديقنا المستر سيد حتى تقرر الحكومة العثمانية طلب التحكيم (وقد جاء الاستانة وقابل السلطان الاعظم) والرجاء معقود بان الدولة العلية تطلب هذا المطلب وما ذا يكون من شأن ايطاليا ؟ لا جرم ان المستر كارنجي الذي منح محكمة لاهاي خمسة مليون فرنك لتستعين بها على نشر السلام يتوي ان يتدخل لدى الدول الموقعة على عهدة السلم . وذلك ما يدعو الى الرجاء في حركة سلمية ربما نجحت في ادخال الشعبين المتحاربين في مضمون . يادي حقوق الدول الاصلية

عاهات الصناعة

تبين بالاحصاء ان عدد من يصابون من العملة في الولايات المتحدة بعوارض قتالة قد بلغ سنة ١٩٠٨ ٣٥٠ ألف رجل فقط من اصل ٣٦ مليون عامل ولا يدخل في ذلك مليون عامل يعملون موثقاً وعدد المالكين في الصناعات يزيد كثيراً فقد دل احداث الاحصاء ان معدل من يهلك بسببها ٥٠ ألف رجل ولا ثقل الجروح والرضوض

الغير القتالة عن اصابة مليوني عملة على الأقل . اما نحن فما ندري ان كان في احيائنا ما يوازي قدر امواتهم من العاملين في الصناعات
صحف العالم المتخضر

دل الاحصاء الاخير الذي وضعه المجمع العلمي الدولي للكتب ان فرنسا في مقدمة دول اوربا بكثرة جرائدها ومجلاتها فيصدر فيها ٨٩٤٠ صحيفة ثم تجي ألمانيا ويصدر فيها ٨٠٥٠ ثم انكلترا ويصدر فيها ٤٣٣٩ ثم إيطاليا وفيها ٣٠٦٨ ثم البلجيك ٢٠٢٣ ثم روسيا ١٦٦١ ثم اسبانيا ١٣٥٠ ثم سويسرا ١٣٣٢ ثم بلاد القاع (هولاندة) ١٣٠٢ . وما نظن الجرائد والمجلات التي تصدر على صورة مطردة تحت السماء الدمانية والمصرية لناهنر الثلاثة صحيفة فتأمل

العودة الى الخلاء

في اوربا كثير من العقلاء يدعون الى التبدلي اي سكنى البادية والعودة الى الخلاء واستثمار الارض ولكن الحال ما زال في ازدياد وسكان القرى ينهالون على المدن اي انهيمال فقد كان معدل سكان المدن بالنسبة للقرى في الولايات المتحدة ٣٦ في المئة سنة ١٨٩٠ فبلغ سنة ١٩١٠-٤٦ وكسر أو المأمول ان يباع ٥٠ في المئة سنة ١٩٢٠ بتعديل قليل يدخل على اسباب الحياة الحديثة ويختلف هذا المعدل بين ولاية اخرى في الماساشوست يبلغ سكان المدن ٩٦ في المئة وفي ولاية داكاتو الشمالية والسيبسي ١١ في المئة وقد كان نحو سكان هاتين الولايتين اكثر من سكان الولاية الاولى ومع هذا فان المدن تجذب السكان رغم اقوال الخطباء وتأثيرات الكتاب

كليات اميركا

كان بدء كليات الولايات المتحدة ككليات اوربا عبارة عن مدارس دينية واولها واقدمها كليات هارفرد ويال فهما الكليتان المهورتان اللتان تبدلت دروسهما بالدرج ومسا عنهما صبة اللاهوتية فقد ادخلتا الى برنامجاتها تعليم فلاسفة الوثنيين وكبار الكتاب الحديثين والاقدمين وكانت العلوم الطبيعية باديء يديء يتسامح بتعليمها فيها فأصبح لها المكانة الاولى ثم المقام الاعلى وتعليم الدروس الوسطى أعني منه النساء الا قليلاً وانصرف الناس الى تعلم ما تظهر نتيجته في الحال وقمس فوائده عن أمم . ومنذ منتصف القرن التاسع عشر قد اقبلوا في التعليم بالاساليب الالمانية . والمدارس العالية في الولايات الشرقية قد أنشئت بعطابا الافراد اما مدارس الغرب والجنوب فقد انشأتها الحكومة

والمنافسة قائمة على ساق وقدم ولا تزال بين مدارس الاهليين ومدارس الحكومة وكل مدرسة تريد ان تظهر من تلاميذها النجابة والنبوغ وان يكون لها افضل المدرسين والباحثين وكلليات الغرب غنية كثيراً في حين اشهرت كليات الشرق بتأثيرها الاخلاقي

الجنسية في روسيا

لم تستطع روسيا على وسائل الشدة التي استعملتها في الجنوب الغربي من بلادها ان تنزع الدعوة الى الجنسية والتناغمي بحب القومية البولونية في كل مكان تبدو علامت الهضة والروسية لم تلتصق في مكان وستزيد الدعوة الى الجنسية عندما تنشأ في تلك الولاية جرائد تدعو للاستقلال الاداري المحلي وعلى ما استعملت روسيا من الدواعي للقضاء على نفوذ كبار ارباب الاملاك البولونيين وحرمانهم من حقوقهم فان الروسيين بل كبار المالكين منهم لا يكون لهم ادنى تأثير في تلك الجرائد التي هي ملك صغار المالكين وتصدر عن آرائهم . لا جرم ان هؤلاء لهم لبلادهم ولغتهم وتقاليدهم يعملون على ما فيه نجاح كلمة الوطنية وستكون مسألة اللغة اول مسألة تدخل فيها الحكومة مع الاهالي في اشكال فاذا توسعت الحكومة في اضطهادها يزداد الخرق بينها وبين المحكوم عليهم وتتمدد العدواة والبغضاء . قالت احدى المجلات الروسية ولا سبيل الى حل هذه المعضلة الا بان تعتمد الحكومة التي قضى بها العدل والحق فقري عليها وهناك الراحة لها واغبرها

منتدى العمرين

أنشي في يابان منتدى لا يدخله الا من بلغ مئة سنة من عمره سموه منتدى المثوبين ورئيسه الكونت اوكونا المشهور وجميع المشتركين معه متعهدون ان يحافظوا كل المحافظة على مبادئ الصحة الشديدة التي تضمن وتعد بطول الحياة وكلهم يودون ان يعيشوا او يرغبون في ان يعيشوا مئة سنة اخرى على الاقل . قالت احدى مجلات يابان وان هذا العزم لا تقع جداً من ان يفزع الممرور الى المعابد ويستنزوا رخصا الاربابك طول شيخوختهم ومن مبداء هذا المنتدى ان يبحث المرء ليكون نافعاً لآخوانه مالمكة، ويتأتى له ذلك اذا عني بصحة الجسم كما يعنى بصحة العقل وكل منهما نتيجة لازمة صاحبه حتى ان رئيس هذا المنتدى يشترك مع القائلين بطول الحياة ويرجون بعمر ١٨٥ سنة

مخطوطات وكتب

نظام القضاء والادارة

تأليف احمد بك قجة طبع بمطبعة الجريدة في مصر سنة ١٣٢٨ هـ - ١٩١٠ م ص ٣٤٣
 لو كتب لمصر ان يرتقي فيها كل فرع من فروع العلم على نحو ما ارتقى القضاء لاصبحت
 كفرنسا لا تنقصها الا ان اهل مصر ساميون عرب واهل فرنسا توتونيون فرنسيون
 وامامنا الآن هذا التأليف النفيس كتبه مؤلفه من اساتذة القضاء بلسان سلس ونسيق
 بديع وضمنه النظمات القضائية والادارية والمالية والسياسية في القطر المصري وطبعه
 طبعا نفيسا حتى حجب مطالعته والاخذ منه لكل من لا ميل عنده لمثل هذه الموضوعات
 وناهيك بمن يحتاجون اليها في بلاد الشرق ولا سيما العثمانية والمصرية . والناظر في
 هذا السفر يعرف مصر وطرفا مهما من تاريخها السياسي والاداري والقضائي . خذ
 مثالا لذلك ما اورده في امتيازات الاجانب وتعليقها قال : « وسبب ذلك ان الحكومات
 الاسلامية اعتادت من قديم الزمان ان تتساهل مع المسيحيين الذين في بلادها فاجازت
 لهم عدم اتباع الاحكام المرعية وتركتمهم يتقاضون في احوال مخصوصة بحسب قواعد
 دينهم وقوانينهم . فمع شدة الاختلاط وتمكين العلائق ومضي الزمن اصبحت هذه العادة
 بمثابة القانون واصحى هذا التساهل حقا لم لا يمتثل النزاع . هذا ما نتج عن مجرد التساهل
 ومحض التسامح على ان هناك ما بني على المعاهدات فانه توجد معاهدة عقدت بين سلطان
 مصر صلاح الدين بن ايوب وجمهورية بيزا مؤرخة في ١٥ صفر سنة ٥٦٩ (سنة ١١٢٢ م)
 يستدل من عباراتها ومن المعاهدات التالية لها على انه منح البيزانين جملة امتيازات خاصة
 بالنقاضي والمملكة وقد حصل كذلك الفلورنتيون (الفلورنتيون والبيزانينيون هم الطليان)
 من ابي النصر قايد باي سلطان مصر على عدة امتيازات قضائية بامر اصدره في سنة
 ١٤٨٨ جاء فيه ما يأتي : « اذا حدث خلاف بين الفلورنتيين انفسهم ليس لحكامنا
 وقضاتنا المسلمين ان يتدخلوا في مسائلهم ولكن الحكم في ذلك لقنصل الفلورنتيين
 فيحكم في هذه الحالة بما يناسب القوانين الفلورنتية »

وبما يلاحظ انه حصل التوسع في العمل بهذه المعاهدات حتي عمت جميع رعايا
 الدول المسيحية الواحدة بعد الاخرى وبقي الحال كذلك الى ان حلت الدولة العلية

المحل الاول من الدول الاسلامية فنسبت هذه المعاهدات بعض النسيان ولكنها مالبثت ان عادت بعودة الاختلاط ومقتضيات الاحوال فتعاقدت فرنسا معها على ارجاعها باتفاق جديد بصورة انه معاهدة تجارية في سنة ١٥٣٥ حررت بين السلطان سليمان الاول وفرنسوا الاول ملك فرنسا وكان مضمونها التأمين على ارواح الفرنسيين وتجارهم . وقد ظل تجديد هذا التقاعد الى ان عقدت معاهدة سنة ١٧٤٠ بين السلطان محمود الاول ولويس الخامس عشر ملك فرنسا وصارت هي صاحبة الشأن في حماية رعاياها وجميع الاجانب الذين يلتجئون اليها . وقلدت فرنسا الدول الاخرى في عقد هذه المعاهدات المعروفة ايضا باسم العهودناتم واخذت الامتيازات تزداد شيئا فشيئا بمساعي الدول من جهة وباممال الحكومات الشرقية من جهة اخرى من طريق كونها اقترت بعض العادات وان كانت خارجة عن نصوص المعاهدات في الواقع ونفس الامر . ولا خلاف في كون جميع هذه العهودناتم نافذة على مصر كما تقدم لانها جزء من ممالك الدولة العلية لا سيما ان فرمان الصادر لمحمد علي باشا في اول يونيه (حزيران) سنة ١٨٤٠ اشترط فيه اعادة المعاهدات الموجودة والتي ستوجد فلا شك حينئذ في ان الاجانب متمتعون بالامتيازات في مصر اسوة بسائر بلاد الدولة العلية . »

والخلاصة فان هذا المصنف تمتع نافع كتب على هذا النموذج فجاء ناطقا بالثناء على ابي عذره دالا على فضله بين الاساتذة وجميل ذكره

تاريخ حرب فرنسا والمانيا

سنة ١٨٧٠ — ١٨٧١

للمرجي افندي بني طبع على نفقة يوسف توما البستاني بمصر سنة ١٩١١ ص ٢١٦
مؤلف هذا الكتاب رصيفنا صاحب مجلة المباحث من المشهود لم ينف في التاريخ ألف تاريخ سورية في حداثته وهذا الكتاب نشره ايضا في جريدة الجنان ايام صدورهما في بيروت وقد كتب المؤلف عدة ابحاث تاريخية في بعض الجلات ولا سيما في المقتطف ابانت عن تضلعه من هذا الفن الجميل وتاريخه هذا من انفع ما يكون لاهباء العربية في تلك الحرب المشهورة ولذلك احسن نائره في تجريدته ونشره للناس على هذه الصورة فمؤلفه الرصيف احسن الثناء على محمده وحسن بلائه

مطبوعات مختلفة

القراءة العربية في المعلومات المدنية — عربيه من التركية السيد عبد القادر المبارك

وفيه ما يلزم كل عثماني من المعلومات عن حالة حكومته
قانون اصول المحاكمات الحقوقية وذيله الجديد الذي صدرت الارادة السنية آذنة
بالعمل به بعد التصديق عليه من مجلس الامة وقنون الجزاء الجديد وفيه القانون القديم
والمواد والقبول الجديدة التي اضافها مجلس الامة وبعض تعليقات معربة بقلم شاكر
افندي الحنبلي

وهذان الكتابان والكتاب الاول معربان احسن تعريب تشهد لمعربيها وهما من
فضلاء دمشق معروفين بالادب وطول الباع فمساهما يتوفران على تعريب كل ما كان من هذا
القبيل ليطلع العثمانيون العرب على ما يسن بالتركية من القوانين وبكتب من الكتب
النافعة وينفع في تقوية الشورى في النفوس

الجغرافيا الطبيعية — لجامعه عبدالله افندي عمر التنيز وهو يبحث في التربة والثلل
والجبال والادوية والانهار والبرك والبحيرات والاقيانوس والهواء وغير ذلك من الابحاث
التي تشي^١ التلميذ الصغير على حب العلوم والصناعات طبع في بيروت سنة ١٣٢٩ في
١١٦ صفحة مع بعض الرسوم

تحريم نقل الجنائز — رسالة لمؤلفها السيد هبة الدين الشهرستاني صاحب مجلة العلم
في النجف الاشراف في العراق ذكر فيها رأيه ونصوص علماء الشيعة في تحريم نقل الجنائز
من مكان الى آخر كما يفعل بعض العامة من الشيعة فيأتون الى كربلا والغري بموتاهم
من اطراف العراق وفارس بدفونها هناك وقد اجاد الرصيف في التنفير وهذه العادة
المضرة الملتبسة شعار الدين

اسماء البنات — معانيها وعلاقاتها التاريخية واشهر نساء وعين بها تأليف امين افندي
الغريب صاحب جريدة الحارس البيروتية وفيه كلام نافع في فلسفة الاسماء ولا سيما
الافرنجية والقدمية



المقابر

اعداء الاصلاح

الطرق شتى وطرق الحق مفردة والسالكون طريق الحق افراد
لا يعرفون ولا تدري مقاصد فهم على مهل يمشون قصاص
والناس في غفلة عما يراد بهم فجلهم من سبيل الحق رفاة

ما خلا عصر من عصور الاسلام من اعداء لكل جديد ومن جامدين ينكرون كل ما لا يأنفون . فقد لقي المعتزلة والفلاسفة والمتكلمون والنظار من اعداء العقل كل شدة في القرون الراقية وكان عقل الملوك هو الذي يحول على الاغلب بين الجامدين وبين ما يشتهون من الاعتداء على القائمين بتأييد سنن العقل والناصرين باقوالهم وافعالهم مذاهب السنة والنقل . ومن نظر نظرة مجردة عن الارض في سيرة المناهضين للمصلحين على اختلاف الاعصار يجدهم جروا على غير ما يعتقدون وطلبوا بمقاومة المصلحين ارضاء العامة ونيل الخطوى لديهم واستنباغ الجاهلين من الملوك والسلاطين وقليل جداً من كان الاخلاص رائدهم في اعمالهم ومآتهم .

بقاوم في العادة الخامل النابه لكون له مكانة كمكانته، ويغامل الجامل على العالم ليعرف بين قومه بانه قسيمه في صناعته ومثيله في فضيلته ويطعن الجامد المخفوق بمن يجب ان يعبد الله بعقل ويبحث في عالم الكون والفساد بروية ليتظاهر بانه بعيد النور شديد الغيرة وما اقواله الارباب وما افعاله الا وساس واهوا .

لبي المصلحون من الاهداء بل في الامة العربية اكثر مما لقيه امثالهم في الامم الاخرى فيما نحب وخموصاً بعد القرن السابع وقد توزعت بلاد الاسلام ملوك الطوائف وكان

أكثرهم على جانب من الجهل والغباء لا يهتمهم الارضاء المشعذين بالدين ليحولوا العامة اليهم فيقوى بهم ضعفهم ويستعينون بهم على تكبير رقعة ممالكهم وبسط ظل سلطانهم على النفوس فيستمتعون بشهواتهم وبذخهم ورفاهيتهم .

عجبت لما باع الضلالة بالهدى ومن يشتري دنياه بالدين اعجب
واعجب من هذين من باع دينه بدنياه سواء فهو من ذين اعجب

ساعد على الانتقام من المالمين العالمين اناس من ارباب المذاهب سرت احكامهم بقوة اربابها فكان الحكم يجري على المبتدعة وارباب الاهواء يزعمهم بموجب قوانين لم ينسوها ومنها المذهب المالكي الذي كان يحكم قاضيه بقتل اكبر عالم في الامة — والقتل يعد من التعزير في مذهب مالك — خالف المؤلف من العادات التي اعتقدتها من اصل الدين وعد الخروج عنها كفراً والحاداً وما اسهلها واسهل صدور الحكم بهما من اعداء الاصلاح المباحين

سالت الدماء كالاودية في بغداد للفن بين الحنابلة والشافعية مرات وسالت دماء كثير من الخاصة في كل قرن وعذبوا وأودوا بواسطة ارباب المظاهر من المنتطعين ممن شق عليهم ان يروا كلمة الاصلاح الديني والديني ففعل في الارواح فعلها المطلوب فحذتهم انفسهم ان يتساوى المفكرون وغيرهم في نظر العامة ان لم يتمكنوا من اسقاطهم ليخلو لهم الجو ويقتصر في تقبيل الايدي وطلب الدعوات والتماس البركات عليهم دون سائر المنتسبين للعلم والشرعية .

ومن غريب اسرار الله في خلقه ان جميع من قاوموا المخلصين من المصلحين دثروا ودثرت اسمائهم وظلت اسماء من عادوهم وأذوهم تشهد بالجهل المركب على اعداء العقل السليم والتمالم الصحيحة

ابن اعداء الغزالي والسهروردي والآمددي وابن جرير وابن نبيية وابن رشد ذهبوا كلهم كأمس الدابر وبقيت الامة تردد على وجه الدهر اسماء هؤلاء المصلحين العالمين وتتناقل ماخطته اناملهم من سطور الاصلاح « فاما الزيد فيذهب جفاء وامامنا يرفع الناس فيمكث في الارض »

لا يذكر التاريخ اليوم الا افراداً ممن ناوأوا رجال العقل والجميع والقتل الصحيح اشتهروا لاحتكاكهم بالحكام وموهوا على العامة بحسن حالهم لمظهر دينوي ارادوه وحطام من الدنيا تطالت نفوسهم لان يقتنوه كأن يكون احدهم قاضياً يخاف ان يشوكة ذاك العالم

المستنير في قضائه او شيخ عامة حديثه نفسه بالاستئثار بهذا المظهر الذي يعتقد جماع فضائل الدنيا والآخرة .

امثال هؤلاء المخرفين المنافقين بدلوا العالم والتعاليم مرضاة لارباب الرذائل والزعماء وسجلوا على انفسهم العار للبت فيما لم ينزل به سلطان وجازوا حد الشرع وهم يتظاهرون بانهم المؤمنون عليه ومنهم ومن اعمالهم يشكو ويثن كما تشكو المدنية والانسانية

وهل افسد الدين الا الملو ك واحبار سوء ورهبانها

ان من يتظاهرون بالدين وباطنهم منه بريء اضر على الدين من يعتونه . ومن يدعو في الغالب الى الصلاح ويتخذ التقية امام العامة درعه يكون اقرب الى الانحلال والضلal منه الى من لا يطنطنون بانهم دعاة الدين والقائمون عليه وعنهم يؤخذ ويهديم يهتدى . ومثل الناس من يسرون غير ما يظهرون ويتلونون باللون الذي يرون انه وافق لهم لجر مقنم واحراز مظهر

ان هؤلاء العامة ممن يتطاولون الى مقامات العلماء هم افسد من العامة لان شيطانهم يتكلم وشيطان هؤلاء اخرس لا يبدي ولا يعيد . هم سوس الفساد في كيان هذا المجتمع يدعون معرفة كل شيء وهم لم يتقنوا شيئاً الا ما سولته لهم انفسهم وحدثهم به شياطينهم . شعارهم التدليس والتظاهر بالغيرة على المحارم ولو بحثت عن اعمالهم لرأيتهم اول المجترئين على انتهاك حرمت الاديان والمصالح وهم يقدسونها بلسانهم والعابثين بحدودها وهم يدعون الناس الى الوقوف عند مراسيمها والسماحة بالمصلحين ليقتوا في اعضاءهم ويفسدوا عليهم امرهم ويأبى الله الا ان يتم نوره ولو كره ابالسة التدجيل والتضليل من علماء (١) سوء

لو كان اعداء المصلحين على شيء من التدوين الحقيقي لكانوا اشتغلوا منذ القدم بارشاد العامة وانكار المنكرات الماثلة في كل عصر امامهم مثول الشمس في السماء رأد الضحى ولكن المتدلسة امثالهم يتعلمون من قشور العلوم ما يستعينون به على الاخذ من اموال الحكومات والاغنياء والتغريير بالعامة ولذلك كان اكثر اشتغال من سمو انفسهم بالعلماء في كل عصر بالفقه لانه سلم الى ما يتطاولون اليه من الجاه والمال وحسن الحال

(١) في اول الجزء الاول وآخر الجزء الثالث من كتاب احياء علوم الدين فصول

بدهية في علماء سوء راجعها ان احببت .

قال حجة الاسلام الغزالي في الاسياء : « اعلم ان الخلافة بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم تولوها الخلفاء الراشدون المهديون وكانوا ائمة علماء بالله تعالى فقهاء في احكامه وكانوا مستقلين بالفتاوى في الاقضية فكانوا لا يستعينون بالفقهاء الا نادراً في وقائع لا يستغنى فيها عن المشاورة فمرغ العلماء لعلم الآخرة وتجردوا لها وكانوا يتدافعون الفتاوى وما يتعلق باحكام الخلق من الدنيا واقبلوا على الله تعالى بكنه اجتهادهم كاتفل من سيرهم فلما افضت الخلافة بعدهم الى اقوام تولوها بغير استحقاق ولا استقلال بعلم الفتاوى والاحكام اضطروا الى الاستعانة بالفقهاء الى استصحابهم في جميع احوالهم لاستفتائهم في مجاري احكامهم وكان قد بقي من علماء التابعين من هو متمر على الطراز الاول وملازم صفو الدين ومواظب على سمع علماء السلف فكانوا اذا طولبوا هربوا واعرضوا فاضطر الخلفاء الى الاحلح في طلبهم لتولية القضاء والحكومات فرأى اهل تلك الاعصار عن العلماء واقبال الائمة والولاة عليهم مع اعراضهم عنهم فاشترأبوا للطلب العلم توصلاً الى نيل العز ودرك الجاه من قبل الولاة فاكبروا على علم الفتاوى وعرضوا انفسهم على الولاة وتعرفوا اليهم وطلبوا الولايات والصلات منهم فنههم من حرم ومنهم من أنجح والنجح لم يخل من ذل للطلب ومهانة الابتذال فأصبح الفقهاء بعد ان كانوا مطلوبين طالين وبعد ان كانوا اعز بالاعراض عن السلاطين اذلة بالاقبال عليهم الامن وفقه الله تعالى في كل عصر من علماء دين الله وقد كان أكثر الاقبال في تلك الاعصار على الفتاوى والاقضية لشدة الحاجة اليها في الولايات والحكومات ثم ظهر بعدهم من الصدور والامراء من يسمع مقالات الناس في قواعد العقائد ومالت نفسه الى سماع الحجج فيها فعبت رغبته الى المناظرة والمجادلة في الكلام فاكب الناس على علم الكلام واكثرأوا فيه التصانيف ورتبوا فيه طرق المجادلات واستخرجوا فنون المناقضات في المقالات وزعموا ان غرضهم الذب عن دين الله والنضال عن السنة وقمع المبتدعة كما زعم من قبلهم ان غرضهم بالاستغال بالفتاوى الدين وتقليد احكام المسلمين اشفاقاً على خلق الله وذخية لهم ثم ظهر بعد ذلك من الصدور من لم يمتصوب الخوض في الكلام وفهم باب المناظرة فيه لما كان قد تولد من فتح بابه من التعصبات الفاحشة والخصومات الفاشية المفضية الى اهراق الدماء وتخريب البلاد ومالت نفسه الى المناظرة في الفقه وبيان الاولى من مذهب الشافعي وابي حنيفة رضي الله عنهما على الخصوص قترك الناس الكلام وفنون العلم واثالوا على المسائل الخلافية بين الشافعي وابي حنيفة على الخصوص

وتساهلوا في الخلاف مع مالك وسفيان واحمد رحمهم الله تعالى وغيرهم وزعموا ان غيرهم استبطا دقائق الشرع ونقير على المذهب وتمييد أصول الفتاوى واكثرها فيها التصانيف والاستنباطات وروا فيها انواع المجادلات والتصنيفات وهم مستمرون الى الآن وليس ندرى ما الذي يحدث الله فيما بعدنا من الاعصار فهذا هو الباعث على الاكباب على الخلافات والمناظرات لاغير ولو مالت نفوس ارباب الدنيا الى الخلاف مع امام آخر من الائمة او علم آخر من العلوم لملوا ايضا معهم ولم يسكتوا عن التعلل بأن ما اشتغلوا به هو علم الدين وان لا مطلب لهم سوى التقرب الى رب العالمين اهـ»

هذا موجز من تاريخ المتخلفين في الدين وصف به حجة الاسلام طغمتهم في عصره وعصره الخامس من افضل عصور النور في الاسلام فما بالك بامثالهم بعده وقد حدثت من الاحداث ما كان الجهل سداها ولحتها والنيل من المخلصين مبدأها وغايتها وما اصدق ما قاله حجة الاسلام ايضا في هؤلاء الطغام اعداء الاسلام والسلام في اول كتابه التفرقة بين الاسلام والزندقة قال : « وأنى نجلى اسرار الملوك لقوم الهتهم هوام ، ومعبودهم سلاطينهم ، وقبائهم دراهمهم ودنانيرهم ، وشريعتهم دعوتهم ، وارادتهم جاههم وشهواتهم ، وعبادتهم خدمتهم اغنياءهم ، وذكرهم وسواسهم ، وكفرهم سواسهم ، وفكرهم استنباط الحيلة لما ينتفضيه حشمتهم فهو لاء من اين نتميز لهم ظلمة الكفر من ضياء الايمان بأهلهم إلهي ولم يفرغوا القلوب عن كدورات الدنيا ليقولها ام بكال علمي وانما بضاعتهم في العلم مسألة الخجاسة وما الزعفران وامثالهما هيئات هيئات هذا المطلب النفس وأعز من ان يدرك بالمنى او ينال بالموى يا فاتنة تل انت بشانك ولا تضع فيهم بقية زمانك و) اعرض عمن تولى عن ذكرنا ولم يرد الا الحياة الدنيا ذلك مبالغهم من العلم ان ربك هو اعلم بمن ضل عن سبيله وهو اعلم بمن اهتدى) »

وبعد فان في هذا العصر فئات في هذا الشرق من استعاذ منهم المصلحون في كل عصر ولكنهم وبالاسف حثالة الحثالة ، ومثال الجهالة والفضالة ، ان قلت لهم تعاليم فلان ، قالوا لك او نسيت تعاليم فلان فهي احسن واسلم ، وان حرضتهم على علم كذا قالوا علم كذا افضل ، وان شرحت لهم اساليب المدنية ، قالوا اننا لم نؤث الا من قبل ديننا فتركناه فصارت حالنا الى ما ترى ، وان حدثتهم بطرق الارتقاء قالوا انه بدعونا الى الانحلال كانه ما كفنا ما نحن فيه من البدع ، وان دعوتهم الى الاخذ بما صح من احكام الحلال والحرام ، اوردوا لك من اقوال شيوخهم واقاصيص عجائزهم واحلام

حليهم ومثبطات المتبرهدين والمتورعين منهم ما تسأل الله به السلامة وان حبيت اليهم المعروف قالوا لك ما اكثر المنكرات .

حملة اهواء ، لاحملة شريعة ، وجعاب لغو وحشو لا قوام على ما يقوّم العقل ، سلاحهم المغالطة ، ومجنهم السفسة ، رأس مالم الثثرة ، ورجهم الغلبة بالباطل ، والمهارة في المهارة على غير طائل ، منام ، من دينهم ودينام ، ان تفغم القايهم ، وتماكراتهم وعجايبهم ، وترفع بين الفاقة متازلهم ، ويزيدوا بسطة في الجسم لافي العقل ، وتكتب لهم في العالمين شهرة بعيدة بدون ان يعدوا لها اداة من ادواتها ، ويصرفوا في التحصيل ساعة من اوقاتهم ، دأبهم الحط من الفضلاء ، وهجيرام النيل من العظماء ، يرفعون وبلفقون ، ويراوغون ويماحكون ، واكسون ما كسون ، مدلسون موالسون ، يعادون ما يجهلون ، يمجّدون على ما يعرفون ، يصانعون ولا يتلطفون ، يفتنون وهم لا يعلمون ، يجهنّدون ويخطؤون ، يهرفون بما لا يعرفون ، يعدون علوم البشر ذرة من معارفهم ، ويخترقون ما لا تبلغه مداركهم كأن فضل الله محصور فيهم ، وكأن من لا يجري على هوام محروم من السعادة هالك ، اولئك هم ثعالب الانس يأكلون لحم اخوانهم بالغيبة والوشاية ، ويمشون بين الناس بالنيمة والسبابة ، اسود ولكن على نحت اثلاث مخالفهم ، فمور ولكن لا يمتنون الوثب الا على من لا يصلحون خدمة لهم . يفترون و يفرون ، يفرون ولا يخافون ، يخربون ولا يدرون ، يخرفون ولا يستخون ، يخرقون ولا ينتهون ، فهم اضر على الناس من قطاع السابلة ، وافسد في جسم المجتمع من الادواء القتالة ، يرجعون بالامة القهقري ، والدواعي نهيب بها الى التقدم ، ويزنون لها الفناء والعدم ، والمصلحة قاضية بالتماسك والتعاون ، ويملون لها الدل والصغار ، وركوب متن العار ، والحالة تدعو الى تحكيم العقل في كل قول وعمل

فاللهم ثبت اقدام المصلحين وهي لم من الكفاءة ما يقوون به على رد غارات اعداء الامة في اصلاحها فقد كفأها جهلاً وضلة بما كسبت ابدى المنافقين وما جلبوا عليها من الخزي المبين «وعباد الرحمن الذين يمشون على الارض هوناً واذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاماً . . . والذين لا يشهدون الزور واذا منوا باللفو مروا كراماً»

بين الفيحاء والشهباء

المملكة الحلبية

« حماة » كلمة سامية معناها الحصن المنيع والحمي . وحماة عاصمة مملكة لا يعرف اتساعها يختلف باختلاف الدول والازمان وقد ذكر موسى اليهودي حماة الكبرى وذكر بعض الافرنج انه ربما كانت انطيوخوس الرابع ايفان هو الذي سماها ابفانيا وسماها مؤرخو النصرانية الاول كذلك . هذه رواية الافرنج ولم يصرح جغرافيو العرب بان فامية هي حماة بعينها بل قالوا ان فامية ويقال لها افامية هي مدينة ^(١) قديمة ويطلق هذا الاسم على كورنتها ايضاً وكانت فامية عظيمة قديمة على نشز من الارض لها بحيرة حلوة يشقها النهر المقلوب (العاصي) وقال ياقوت ان فامية مدينة كبيرة وكورة من سواحل حمص وقد يقال لها افامية قال عيسى بن سعدان الحلبي يذكرها

بادار علوة ما جيدي بمنطف الى سواك ولا قلبي بمنجذب
وياقرى الشام من ليلون لانحلت على بلادكم هطالة السحب
مامر بركك مجازاً على بهري الا وذكرفي الدارين من حلب
ليت العوام من شرقي فامية اهدت الي نسيم البان والغرب
ما كان اطيب ابامي بقرهم حتى رمقني عوادي الدهر من كشب

وهذا دليل على ان فامية كانت من المدن المعروفة غير حماة يؤيد ذلك ان حماة معروفة بهذا الاسم في الجاهلية فكان الشاعر حرياً بان يذكرها بلفظها المتعارف
افتتح حماة ابو هبيدة سنة ١٧ وكانت معروفة في الجاهلية بهذا الاسم وذكرها امرؤ القيس في شعره بقوله:

تقطع اسباب اللبانة والهوى عشية رحنا من حماة وشيزرا
بسير يفضح العود منه يمنة اخو الجهد لا يلوي لي من تعذرا

قال ابن حوقل ان شيزر وحماة مدينتان صغيرتان زهتان كثيرتا المياه والشجر والزروع والفواكه وقال ياقوت ^(٢) ان حماة مدينة كبيرة عظيمة كثيرة الخيرات رخيصة الاسعار واسعة الرقعة حفلة الاسواق يحيط بها سور محكم وبظاهر السور حاضركبير جداً

فيه اسواق كثيرة وجامع مفرد مشرف على نهرها المعروف بالعاصي عليه عدة نواعير وفي طرف المدينة قلعة عظيمة عجبية في خصائصها واثقان عمارتها وحفر خندقها نحو مئة ذراع واكثر للملك المنصور محمد بن نقي الدين عمر بن شاهنشاه بن ايوب . ولم تكن قديماً مثل ما كانت في القرن السادس من العظم بسلطان مفرد بل كانت من عمل حمص وسماها احمد بن الطيب قرية سنة ٢٧١ وذلك فيما ذكره من البقاع التي شاهدها في سيره من بغداد واستولى الاسماعيليون على حماة زمن الصليبيين واستولى عليها تنكرد احد ملوكهم سنة ١١٠٨ م ثم استعادها طغتكين التركي من الافرنج سنة ١١١٠ واصيبت بزلازل شديدة سنة ٥٥٢ هـ حتى ذكر المؤرخون ان احد معلمي الكتائب خرج لحاجة وعاد وقد وقع السقف على رؤوس الاولاد كلهم قال ولم يحضر احد من اوليائهم يسأل عن ابنه المالك وذلك لانهم هلكوا عن بكرة ابيهم . واستولى على حماة صلاح الدين يوسف ابن ايوب .

وان ما عرف من تاريخ هذه المدينة يشهد بان ايام صاحبها ابي الفدا اسماعيل كانت اسعد من غيرها وبها وبها اشتهرت ولا عجب فالبلاد قد آتت بعد رجل وتشقى برجل فكما سعدت دمشق بعهد نور الدين وصلاح الدين وسعدت بغداد بالرشيد والمأمون هكذا سعدت حماة بابي الفدا الملك المؤيد صاحب حماة والمرة وبرزين . ولم تر بعده وهو ملك من اهلها ومن أسرة صلاح الدين يوماً يبه تلك الايام في السعادة وبقي الخراب يتخيفها حتى وصلت الى ما وصلت اليه لهذا العهد من الانحطاط . واحر بها ان يقال لها اليوم قرية كبيرة لالقلة نفوسها فانهم خمسون الفا ولا لتغير معالمها وضعف زراعتها فانها مازالت بحالها بل لقلة عمرانها وجعل سكانها اقل قليلاً .

لم يقل ابو الفدا في جغرافيته الا انها : مدينة ازلية ولها ذكر في كتب الاسرائيليين وهي من انزه البلاد الشامية والعاصي : تدبر على غالبها من شرقيها وشمالها ولها قلعة حسنة البناء مرتفعة وفي داخلها الارحية على الماء وبها نواعير على العاصي تسقي اكثر بساتينها ويدخل منها الماء الى كثير من دورها وحماة بلدة قديمة مذكورة في التوراة وهي وشيزر مخصوصتان بكثرة النواعير دون غيرها من بلاد الشام

وحدد ابن فضل الله (١) حماة من القبلة الرستن وما سامته آخذاً ما بين سلية وقبة ملاعب الى حيث مجرى النهر والآثار القديمة ومن الشرق البر آخذاً على سلية الى ما

استقبل عن قبة ملاعب ومن الشام آخر حد المعزة من انقرا تا (٩) ومن الغرب مضافات مصياف وقلاع الدعوة وليس لها نطاق يدور على غير ولاية برها الخاص بها نفسها وبارين والمعرة .

وقال شيخ الربوة (١) في القرن الثامن ان الشام كانت تنقسم على عهد الدولة التركية الى ثمانية اقسام او ممالك والمملكة الرابعة من الثانية حماة وبها سلطان ملك ونائب م نزل وهي مدينة حسنة خصبة كثيرة الخير والارزاق يحوطها النهر العاصي ويأمنها جاريًا من جانبها ويجمع بين الجانبين قنطرة ومن اعمالها الكبار بعين وتسمى بارين (٢) وهي قلعة منيعة وسلمية وهي على سيف البرية بناها عبد الله بن صالح وعلي ابن عبد الله بن عباس ولها قناة كبيرة

وذكر حماة غرس الدين الظاهري (٣) بلفظ المملكة ايضاً وقال انها متسعة تشتمل على مدن وقلاع واقليم وقرى واعظم مدنها حماة وان قلعتها اخرها تيورلوك وبها جوامع ومدارس ومساجد واماكن ومزارات .

ووصف ياقوت قرون حماة المروفة الى اليرم فقال انها ثلثان متقابلتان وجبل يشرف عليها ونهرها العاصي وبين كل واحد من حماة وحمص والمعرة وسلمية وبين صاحبه يوم وبينها وبين شيزر نصف يوم وبينها وبين دمشق خمسة ايام للقوافل وبينها وبين حلب اربعة ايام

وحماة اليوم لواء في الشمال من ولاية سورية ومن اعماله سلمية وقسم من جبال الكلبيّة او النصيرية وحمص واكثر اراضي هذا اللواء سهلية الا ما كان من انحاء جبل الكلبيّة ففيه ما في الجبال من سهول وآكام وتربته حسنة وما كان على مقربة من العاصي يسقى منه فينبت فيه القطن والقنب والحريز والبصل (القنار) والخروج وانواع البقول والاشجار وما كان بعيداً عنه يكون عذياً وخصوصاً في المحال التي يسمونها بالزوار فانها على غاية من حسن التربة وقوة الانبات بما يتوفر القائنون عليها من التسميد

(١) نخبة الدهر في عجائب البر والبحر (٢) بارين بلدة صغيرة ذات قلعة قد دثرت ولها عين وبساتين وهي على مرحلة من حماة وهي غربي حماة بميلة يسيرة الى الجنوب وبها آثار عمارة قديمة تسمى الرقنية لما ذكر شهير في كتب التاريخ وحصن بارين هو حصن احدثه الفرنج في سنة بضع وثمانين واربع مائة ثم ملكه المسلمون وبقي مدة ثم اخرجوه .

(٣) زبدة كشف المالك

الذي يأتون بسماحه من القرى المجاورة بحيث يكون دخلهم منها يوازي دخل اهل حدائق دمشق و بعض قراها مثل كفرسوسة والقابون وجوبر .

وموقع مدينة حماة والعاصي يشطرها والوادي عير ثن عن ايمانها وثمانيتها من اجل المناظر ولا سيما في فصل الربيع ومن اجل الزهات عندهم الركوب في قارب وقطع جانب من العاصي فيرى المتنزه ضفاف العاصي مخضلة بالثمار البانعة تعكس على المياه خضرتها ونضرتها وليس في حماة ما يستحق الذكر من انواع العمران الا بقايا صناعات قديمة مثل حياكة الاقشة للثياب والقوط والسائر والاعبثة والترايح (اللي) وغير ذلك من الامور الحظيرة وليس فيها مدارس اهلية ولا خزائن كتب عامة ولا مطابع ولا صحف يومية اللهم الا مطبعة واحدة وبعض صحف اسبوعية وشهرية لا نسبة بينها وبين مكانة حماة القديمة .

اما آثارها القديمة فأهمها دار اسعد باشا العظم احد ولاة سورية في القرن الثاني عشر وصاحب حماة بني هذا القصر منذ نحو ١٧٠ سنة تلي اجمل طرزي على مقربة من نهر العاصي وزين بانواع النقوش والتصاوير ويظن ان صناعه كانوا من الفرس لان في نقوشهم كثيراً من النقوش العجمية وبعض الايات الفارسية ومن ابدع ما رأيناه فيها قطعتان من الخشب جعلتا في حائط الغرفة الكبرى في الدار البرانية ونقشت عليهما صورة حماة ^(١) في ذاك العهد بجوامعها ومدارسها ونواحيها وقصورها والمناظر اليها يتبين ان المرسوم هو حماة بعينها وانها كانت اذ ذاك اعمر مما هي عليه الآن والعالم ان الزلزال الاخير اخرجها الا قليلاً . وبالجملة فان قصر ابن العظم في حماة حري بان يزار كقصره في

(١) كأن فن الرسم كان مرادياً في القرن السابع والثامن فقد ذكر ابو الفدا ان الشيخ علم الدين فيطر المعروف بشعاسيف كان مهندساً فاضلاً في العلوم الرياضية (توفي سنة ٦٤٢) بنى للملك المظفر ابراجاً بحماة وطاحوناً على النهر العاصي وعمل له كرة من الخشب مدهونة رسم فيها جميع الكواكب المرصودة وعملت هذه الكرة بحماة قال القاضي جمال الدين ابن واصل وساعدت الشيخ علم الدين تلي عملها وكان الملك المظفر يحضر ونحن نرسمها وسألنا عن مواضع دقيقة فيها . وجمال الدين هذا هو قاضي النضاة بحماة (٦٩٧) كان اماماً مبرزاً في علوم كثيرة مثل المنطق والهندسة والاصول والهيئة والتاريخ وله عدة مصنفات منها الانبرورية في المنطق صنفها الانبرور (الامبراطور) ملك الفرنج صاحب صتلية لما توجه اليه رسولاً في ايام الملك الظاهر بيبرس الصالح صاحب مصر والشام سنة ٦٥٩

دمشق وهندسة القاعة هنا وفي حاة واحدة والغالب ان من؛ وا هذه بنوا تلك وكذلك
الناقشون والمزبنون

قلنا ان سكان حماة خمسون ألفاً دع عنك من في ضاحيتها من اهابات القرى وما نظن لواء
حاة يقل عن اربعمائة الف نسمة لان بعض سكانها مكتوم في الاحشاء الرسمي ولا يجا
سكان جبال الكلبة وهم نصيرية واسماعيلية بالنظر لما رأوا من الضغط والندة في
الازمان الغابرة . وفي قضاء العمرانية حصن مصياف وفي قضاء المرقب القدموس ومما من
الاماكن المعروفة عند الاسماعيلية ولها ذكر في التاريخ
على قبر ابي الفدا صاحب حماة

حنانيك اسمعيل اجبني مدتك نفوس الملوكة يا عالم . وعادلم وسيدهم . كنت سيف
عصرك مثال العمل الصالح وها انت لمن بعدك عبرة لمن يعتبر .
زرت قبرك الشريف وذكرت سيرتك المثلى فكيت على الاسلام والعرب وقابات
بما قرأته على خير يحك بين السذاجة الغالبة عليك وتخفة الالقاء بعدك .
قرأت : « هذا ضريح العبد الفقير الى رحمة ربه الكريم اسماعيل بن علي بن محمود
ابن محمد بن عمر بن شاهنشاه بن ايوب عمر في شهر سنة سبع وعشرين وسبعائة » جملة
لا يجوز نقشها اليوم على قبر احد العامة فاين انت منها يا ابا الفدا في مفاخرك وسؤدذك
ومجدك العالود الطارف .

حنانيك اسماعيل كنت في حياتك قدوة الملوك العادلين تعلم الناس حب الخير
وتعلم العلماء فيما توفروا عليه والفالحين ما يفاحرون بمعرفته والحكماء ما هو ثمالة ايجادهم وها
انت الآن رهين حفرة قد كاد ينسى بين قومك ذكرك فلا تبدي ولا تعيد وقومك
نوا دينهم وديانهم فكيف لا ينسون رجالهم
نشأت اياها السلطان العادل من بيت عز وملك فلم تأخذ الزخارف بلبك بل تخرجت
في العلم وريبت على ادب النفس وادب الحرص حتى جاء منك عالم بل معلم للعلماء بسيرته
ونفته .

نشأت نشأة عالية في القرون الوسطى وغيرك من الملوك نشأوا ولا سيما بعدك نشأة
جاهلية على الخمر والزمر والقمر لا يعرفون غير القصور والولدان والخور وغاية مفاخرهم
انهم يبطون ولا يبالون يقتلون ولا يتألمون يشعظمون ولا يتواضعون يقتضون فلا
يراجعون بأمرهم ولا يعلمون .

اضحت احكام بعض الملوك ببدك ذوقية واعمالهم على الأكثر استبدادية . اتخذوا الاسلام ديناً وهو منهم بريء وعيشوا بالرخص والعزائم ليس لهم وازع من انفسهم ولا رادع من امهم . انصعوا جبايرة لاملوكاً وشياطين لا انسا وانعاماً لا يعرفون الا ما فيه راحتهم وتوفير قسطهم من اللذائذ والبذخ والنعيم .

كنت ابا الفدا ملكاً بالامم وملاً سكا بالفعل كنت شريكاً بماضيك وحاضرك وما انت الى يوم الناس هذا الى غد وما بعد غد شريف في عامة احوالك . لم نعهد لك كما عهدنا للملوك قبلك وبعدك ان تعدت الرعية كالسائمة التي تملك فيصرف مالكم ابدراها ووبرها وجلدها ولحمها ويعمل مطلقاً في الاستمتاع بها لا ينازعها متنازع . بلى عهدناك تواسي الضعيف ولا تجور على الفقير وتحسن للعلاء وتفضل على الفقهاء والادباء والشعراء وتصرف فضل اوقائك في التأليف والتصنيف يا ثاني المأمون بملك وعقلك وثاني صلاح الدين بعدك وجهادك .

ابا الفدا ان قومك اغفلوك وسيرتك بل اهلوا ضربك ولو ذكرك اساروا ولو قليلاً على سنتك المحموده فملت الملوك من بعدك بسيرتك الطاهرة كما كنت سبى عصرك خير معلم للملوك العادلين والعلماء العالمين

ابا الفدا ان الملوك بعد عصرك جمعوا كثيراً واضاعوا كثيراً اجمعوا فكان ملكك بجانب ما ملكو جزءاً صغيراً جداً وما خفلوا الا ما تحمر وجوههم نخلاً منه وبأتون في الآخرة وقد شهدت عليهم لاهم اعمالهم وانت سعدت بمن وليت عليهم وسعدوا بك فأبقيت ذكراً لا يتحوه الايام

انت علمت الخلق بان القليل مع العقل يستفاد منه أكثر من الجزيل بدونه وان وفرة المال والاقمار لا تكون من السعادة في شيء اذا لم تسبقها نفس مهذبة بالآداب والفضيلة وعقل يحسن التصرف بما يملك .

من لي بنظرة منك لترى ما حل بالعرب اليوم من التزيق والتفريق والفساد في المعاش والمعاد والجهل المطبق وضعف العقول . رثم اخلاف من حكمت للمذلة وختموا للاستبداد وتفرقوا تحت كل كوكب فرثي لم الصديق وشتمت بهم العدو وخانهم الدهر وكل ذلك بما فعله سفهاء الاحلام من امرائهم وعلمائهم كانوا ظالمين .

قم وانظر فقد بدلت الارض غير الارض بعد عصرك . اخترع الافرنج في زماننا البخار والكهرباء ووفروا مرافق الحياة وقربوا الابعاد وحسنوا العيش اما قومك فليس

لم من مدنية القرون الاخيرة الا الخطر وزادوا علي جهلهم فساداً في اخلاقهم بحيث لم يبق لهم من الامجاد الا ان يعودوا الى صحيفة اجدادهم ويفاخروا بما تم علي ايدي امثالك كالفرعاء تفخر بشعر أمها او العجوز الشوها لا نفتاً تذكر ماضي شبابه .

قالوا ان نظام الحكومات بعد ايامك ارنقى وانكم كنتم في عصر نقل فيه القوانين الوضعية وكان اكثر العمل بالقوانين السماوية فن لنا بمصر ك فان القوانين الوضعية ارنقت ولكن عند غيرنا من اهل الغرب والقوانين السماوية اعرضنا عنها الا قليلاً فلم نحسن تقليد المقتنين المحدثين ولا احتفظنا بآثار الاقدمين فكنا كالقنقري اراد ان يمشي كالحجل قنسي مشيته ولم يمش مثله بل كنا من الاخسرين اعمالاً

الا عطفة من نظراتك الرشيدة ايها الكريم ننظر امثلك الآن الى الانقراض اقرب منها الى البقاء : كل يوم تصغر رقعة بلادها ويخيفها الخراب وينقصها من اطرافها تحاول تقليد الراقيين من الامم فلا تراها تستطيع الا تقليدها في الموبقات والشور لا في مقومات الحضارة والساليب النهوض .

رحماك ابا الفدا ان امثالك انفقوا اموالهم واموال الامة في شهواتهم علي المغنين والمغنيات والكواعب الغانيات وانت انفقتها علي العلم والعلماء . انهم اذا كانوا جهلة اغبياء فقد كنت العالم المؤرخ الجغرافي الطبيب الحكيم الفلكي ومصنفاتك شاهدة لك علي غير الدهر بانك عالم الملوك وملك العلماء ، خلد اضرابك بشيرتهم صيت بطش وفنك وقطع وقت في الدبث وانت اقم نصاب العدل علي من وليت امرهم فكانت ايامك رياض الازمنة وبهجة العصور فجزاك الله عن امثلك اجزل ما يجازي ملكاً صالحاً عن رعيته وعالماً عاملاً يخدم الناس بعلمه وفضيلته

المملكة المحمية

ربما يستغرب بعضهم اطلاق لفظ مملكة علي حمص فقد كانت عظيمة في الجاهلية والاسلام . كانت الشام علي عهد الروم مقسومة ^(١) اربعة اقسام قسم قصبنة دمشق وقسم قصبنة طبرية وتسمى الاردن وقسم قصبنة حمص وقسم قصبنة ايليا (القدس) وتسمى فلسطين وكان لهم في كل عمل بطريق من البطارقة يحفظه وبعث الخليفة الاول لما اراد فتح الشام الى كل عمل جندياً وأمر اميراً فبعث الى حمص ببا عبيدة بن الجراح وسمي هذه الاعمال يومئذ اجناداً وكانت قنسرين مضافة الى حمص ثم افردت

الى حمص ثم صار الشام في خلافة الرشيد مقسوماً الى ستة اجناد ثم قسم في الدولة التركية الى تسعة اقسام منها قسم ملكه التتار والارمن والروم وانفصل عن الشام وسمي روما .

وكانت اقاليم حمص^(١) عبارة عن اقليم حماة واطليم شيزر واطليم فامية واطليم معرة النعمان واطليم صوران واطليم الحامين واطليم تل منس واطليم الغلاس واطليم كفر طاب واطليم جوسية واطليم لبنان واطليم الشعرة وخمسة اقاليم التمة واطليم البلعاس واطليم البارة واطليم الرستن واطليم زمين واطليم القسطل واطليم سلمية واطليم عقبرتا واطليم الجليل واطليم السوبدا ورفنية وتدمر . وخراج حمص ثلثائة الف واربعون الف دينار

وكان يحدد عمل حمص في القرن الثامن من القبلية قرية القصب^(٢) المجاورة لقرية جرسية - وجوسية - من كور حمص على ستة فراسخ منها من جهة دمشق تمر بها السكة الحديدية بين بعابك وحمص وهي بين جبل لبنان وجبل سنير^(٣) (قنون) - أخذ هذا الحد الى النبك الى القريتين ومن الشرق السماوة الى الفرات ينتهي الى مدينة سلمية ولها قلعة اثارها تعرف بشميش ومن الشام ما بين سلمية الرستن ومن الغرب نهر الارنط وهو العاصي ومدينة هذه الضفة حمص وهي دار ملك البيت الاسدي ولم يزل للملكها في الدولة الاسلامية سطوة تخاف وبأس يحذر وبها القلعة المصنفة ولا منعة لها ولها بناية جليلة وعسكر وتشمل هذه الضفة الى ولاية قارا وهي قبلي حمص وولاية مدينة حمص نفسها وولاية سلمية وولاية تدمر وهي ما بين القريتين والرحبة .

هذه المدينة العظيمة التي كانت مملكة وولاية الى القرون الوسطى ضعفت في القرون الحديثة حتى اصبحت اليوم قضاء من عمل حماة واما تاريخها قبل الاسلام فقد ورد ذكرها في مصنفات بلبن الروماني باسم اميزا (*Amisæ*)

وذكر الحمصيون قبل عهده في جملة سكان الخيام *Scénites* الذين قاتلهم الرومان ومن مشاهير حمص قبل الاسلام هليوكابال روبا سانيوس الكاهن الاعظم في معبد الشمس (بعل) في حمص الذي بويج امبراطوراً رومانياً سنة ٢١٧ وقد استولى الصليبيون على حمص سنة ١٠٩٩ م .

ولحمص وجند حمص ذكر كثير في كتب الفتوح^(٤) منها ان اهلها صالحوا ابا عبيدة

(١) ابن خرداذبة (٢) ابن فضل الله العمري (٣) ياقوت الحموي (٤) فتوح البلدان للبلاذري

عَلَى مائة الف وسبعين الف دينار وذلك لان الحمصيين كانوا مغنوفين لحرب هرقل عنهم وما كان يبلغهم من كيد المسلمين وبأسهم وغفرهم فامنهم الفاتح على انفسهم واموالهم وشورمدينتهم وكثائنهم وارحائهم وانثنى عليهم ربيع كنيسة يوحنا للمسجد واشترط الخراج عَلَى من اقام منهم وقسمت حمص خططاً بين المسلمين حتى نزلوها واسكنهم عاملها السمط بن الاسود الكندي في كل مرفوض جلا اهلها او ساحة متروكة وكانت مدينة حمص مفروشة بالبحر فلما كانت ايام احمد بن محمد بن ابي اسحاق المعتصم بالله شغبوا على عاملهم الفضل بن قارن الطبري اخي مايزدار بن قارن فامر بقتل ذلك الفرش فقلع ثم انهم اظهروا المعصية واعادوا ذلك الفرش وحاربوا الفضل بن قارن حتى قدروا عليه ونهبوا ماله ونساءه واخذوه فقتلوه وصلبوه فوجه احمد بن محمد اليهم موسى بن بغا الكبير مولى امير المؤمنين المعتصم بالله فحاربوه وفيهم خلق من نصارى المدينة ويهودها فقتل منهم مقتلة عظيمة وهزم باقيهم حتى الحقتهم بالمدينة ودخلها عنوة وذلك في سنة ٢٥٠ . قال البلاذري وبحمص هري^(١) يرد قمح وزيت من السواحل وغيرها مما قوطع اهلها عليه وسجلت لهم السجلات بمقاطعتهم

وفرش طرق حمص بالصخر قديم جدد مرات قال ابن حوقل ان جميع طرق حمص من اسواقها وسككها مفروشة بالحجارة والبلاط وذكر الجغرافيون (١) من حسن بناء حمص انه لا يوجد بها دار الا وتحتها في الارض مغارة او منارتان وماء ينبع للشرب وهي مدينة فوق مدينة . وقال بعضهم ان مدينة حمص هي سوريا وكان بها مرصدان اشبه بالمرصد الذي كان عند عين الهرمل وهو من مراصد الصابئة .

فلما انت الفاتح صالح اهل حمص على ربيع كنيسة لهم للمسجد وقد ظلت كذلك الى القرن الرابع (٢) وبعض بيعتها المسجد الجامع وتطرحها للنصارى فيه هيكلهم ومذبحهم ويبيعهم من اعظم بيع الشام . وقد دخلها الروم في الاسلام مرات واحاربوها واتوا على سوادها وزاد اختلالها بعد دخول الروم اليها ثم ان قوماً استوطنوا من سلم من الروم فانت البادية عليهم تأكل زروعهم كما كان يحدث ذلك لها الى عهد غير بعيد حتى القرن الماضي .

سكان حمص والحثيون

الاربعان سكان هذه البلاد مزيج من ام مختلفة باختلاف الفاتحين فبيهم دم من

(١) شيخ الربوة (٢) ابن حوقل (٣) بالضم بيت كبير يجمع فيه طعام السلطان

معظم الاجتناس التي حكمت هذه البلاد واهم عناصرها الحثيون والروم والعرب فما وقع في ديار كلب (١) من القرى تدمر وسلمية والعاصمية وحمص وهي حميرة وخلفها عما يلي العراق حماة وشيزر وكفرطاب لكنانة من كلب « وحمص كدمشق وما يليهما ديار غسان من آل جفنة وغيرهم .

اما الحثيون (٢) فهم جنوبيون وشماليون وكان الجنوبيون في جهات فلسطين والشماليون نزلاً أولاً جبل اللكام « امانوس » ثم انتشروا بمرور الايام من الفرات الى حماة وحمص ومن دمشق وبرية تدمر الى كبدوكيا . ويظهر من الآثار المصرية انه لم يكن لهم ملك واحد بل كان لكل فصيلة منهم ملك .

ولم يعرف شيء عن الحثيين الشماليين قبل ان يمر الرحالة بروكهارت الانكليزي في بحارة سنة ١٨١٢ وبرس على جدار ازقتها خطوطاً قديمة بالخط المسند المصري اي المهر وغلبي فيختلف عن الآثار المصرية ثم جاء بعده بعض رحالة من الاميركان والانكليز . واخذ العلماء بالانقياب عن امثال هذه الآثار فعثروا على كثير منها في حماة وحمص وحلب ومرعش وكركيش (ابرابوليس) وفي كبادوكيا وفي محال اخرى من آسيا الصغرى وقد غل من هيئة وجوه الحثيين الشماليين على مارسموا في الآثار المصرية انهم اقرب الى الروتانو (كذا تسمي الآثار المصرية شعباً كان يسكن سورية الشمالية قبل الحثيين او في جازهم) منهم الى سكان فلسطين ولون وجوههم ابيض ضارب الى الحمرة .

فلما ان اول محل احتلوه اودية جبل اللكام ثم اخذوا بسطون ولايتهم شبة فافشيتاً نحو الشرق والجنوب حتى اتصلوا شرقاً الى الفرات فاستخذوا على كركيش وغرباً الى وادي العاصي فاستولوا على حماة ثم على قادس في جانب حمص ثم غالبوا الاراميين في دمشق نفسها فحكموا فيها مدة وبسطوا سلطانهم في وقت غير معلوم الى الشمال والشمال الغربي حتى اضطروا آسيا الصغرى

وقادس كانت في بركة حمص (٣) وقد صورت على الآثار المصرية لان رمسيس الثاني احد فراعنة مصر حاصرها ايام غزاه فراعنة الدولة الثامنة عشرة سورية وبلاد اشور مرات ثم ضعفت مصر في آخر ايام هذه الدولة فنبذت سورية وفلسطين طاعتها

(١) صفة جزيرة العرب للهمداني (٢) تاريخ سورية للطهران يوسف الدبس

(٣) هي قدس قال ياقوت انها بلد بالشام قرب حمص من فتوح شرعيل بن

حسنة واليه تضاف ببحيرة قدس

وكان الحثيون في هذه الاثناء تغلبوا على الروتانو في شمالي سورية واجلوم من عقر دارهم وانضموا في مملكة واحدة فسيحة الارعاء تنبسط من شاطئي الفرات الى جبل طوروس والى البحر المتوسط وتمتد جنوباً الى قادس بل الى دمشق ايضاً اخفق رعمسيس الاول في اعادة سورية الى طاعة لان خصومه فيها كانوا قد جمعوا شملهم وقد لاحظ مسبرو في تاريخ الشرق ان الفراعنة لم يكونوا الى تلك الايام يعتبرون ملوك سورية بمنزلة ملوك م اوين لم انة ازلون اقد صلح معهم بل كانوا يحسبونهم امراء ينكولون بهم او عصاة يجرولن عقابهم وكانت نهاية الحروب معهم صاغرين دون شرط او تدميرهم التام

والظاهر من الآثار ان ساقى الاول ابن رعمسيس اراد ان يستريح حى الحثيين فقاتلهم قرب العاصي على قلعة قادس وطالت الحرب الضروس وتعددت المواقع الى ان افتحمها المصريون واستمات الحثيون في الدفاع حتى ايوافرعون فاضطر ان يوقع على عهدة صلح مع مونثار ملكهم عهدة ضمنت له سلامة ملكه حتى زدت عليهم قادس مدينتهم وبعد حروب طويلة على عهد رعمسيس الثاني مع الغينيةيين وقد كلت الاله ثمان المصرية والحثية من اوراق الدماء وعقدتا عهدة صلح وجدت صورته منقوشة على ظاهر جدار هيكل الكرنك بمصر انقطعت سائر الغزوات بين المصريين والحثيين مئة سنة وتزوج رعمسيس بابنة ملك الحثيين فتوطدت دعائم الوفاق بين الشعبين

وبتلخص من اخبار تغلت فلازار الاول ملك نينوى وكان نحو سنة ١١٣٠ ق م انه كان للحثيين في عهده صولة كبرى في شمالي سورية خاصة حتى كانت البلاد تسمى باسمهم اي بلاد الحثيين وكانت ولايتهم تمتد من لبنان الى الفرات وكانت بلاد الآراميين خاضعة لسلطانهم وانبسط ولايتهم شمالاً الى مدخل البحر الاسود فتوذي اليهم الجزية قبائل كبادوكيا (في آسيا الصغرى) وكانت عاصمة الحثيين كركيش وكانت كركيش هذه في محاربة الاشور بين للحثيين ما كانت قادس في محاربة المصريين لم فكانت قادس حصناً منيعاً يختر طريق آسيا في وادي العاصي وكركيش مثلها على القوات ونفضلها بانها كانت محطة تجارة ايضاً بين مغرب آسيا ومشرقها .

وقد اكتشفت آثار مدينة كركيش سنة ١٨٧٥ وكان اسمها عند العرب جرابولس ويسمى الانتراك جرابيس محرف هيرابولس اي المدينة المقدسة وموقعها على الفرات في الشمال من نهر الساغور المعروف الآن بالساجور وفي الشرق من حلان او حلفان وهي

حلب ومن خرزاز المعروفة الآن بأعزاز في قضاء كلس وفي الجنوب من بلاد ككوما المعروفة الآن بلقيس فهي نحو الشرق من حلب واعزاز وعلى ضفة الفرات الغربية وعلى بعد ثلاث ساعات تحت الساجور وست ساعات من البيرة .

جدد شلناصر ملك اشور حملات ابيه علي الحثيين بل قضى أكثر مدة ملكه يحاربهم ومن جاورهم . وكان من عادة الحثيين ان يرسموا خطوطهم نائمة لاصحفورة فنطرق من الورا على صفائح معدنية لتنتأ الحروف في جهتها الاخرى هكذا كانت عهدتهم مع مصر مكتوبة على صفيحة من فضة ونقرأ هذه الحروف تارة من اليمين وتارة الى الشمال وتارة بالعكس فان كانت رؤوس الحيوانات المصورة بها متجهة الى اليمين فنقرأ منها وكذلك ان كانت الى الشمال ونقرأ أحياناً من اعلى الى اسفل ومن اسفل الى اعلى . واما اللغة المكتوبة فيها هذه الخطوط فيرجح انها لبست من اللغات السامية فالاعلام المذكورة في الآثار المصرية والاشورية قل فيها ما يمكن رده الى اصل سامي

واشتهر الحثيون بالنحت كما تشهد لهم آثارهم الباقية ولا سيما في حصون بوزازكوي وايوق في آسيا الصغرى وانقروا فن تحصين الحءون واستخراج المعادن وصناعة تحويل الحديد فولاذاً وقد اخذ اليونان اشياء كثيرة في صناعتهم عن الحثيين . قال سايس في كتاب الحثيين ان مصدر فلاج اليونان هو الحثيون الذين اقتنحوا آسيا الصغرى من اقدم العصور ويظهر ان صناع الحثيين القوا من صناعة مصر ونيوى وبابل اسلوباً خاصاً بهم واخترعوا صوراً منها النسر ذوالرأسين الذي صار بعد ذلك شعاراً للسلاطين السلجوقيين ولبعض ملوك اوربا اما ديانة الحثيين فيظهر انهم اقدسوها عن بابل وبثوها في - ورية وآسيا الصغرى وتطرفت الى بلاد اليونان فان معبودات البلاد المذكورة واحدة وان اختلفت اسماً .

نبذة في عمران حمص

ليس في الايدي مصادر يعتمد عليها لاصدار حكم مسمط على عمران حمص في القرون المختلفة وغاية ما يفهم من روايات مؤرخي العرب وجغرافيتهم ان حمص في الاسلام كانت عامرة وان الزلازل اضررت كثيراً بعمرانها وان مدينة الرستن من الشمال وجوسية من الجنوب والقربتين ومهين وحوارين وتدمر من الشرق كانت من ام عمالها قال ابو نجيعة يمدح بني العباس ويشير الى انهم دكوا آثار الامويين في الشام :

وامست الانبار داراً تعمر وخربت من الشام ادور .

حمص وباب التين والموقر ودمرث بعدامثناع تدمر

والموقر حصن بالبلقاء وكان ينزله الامويون وكذلك حمص وباب التين وتدمروانا اذا اخضنا عباب معجم البلدان نقرأ فيه اسماء مدن كثيرة اكثرها دائر اليوم فمنها مدينة «الموتفكة» كانت بقرب سلمية وعلى آثارها بنيت هذه وسلمية اليوم كحمص قضاء من اعمال حماة ومنها «مريجين» وهي من قرى حمص بين الرستن وحماة معروفة الى اليوم و«مرفية» قلعة حصينة في وادخل حمص كانت خربت لمجدها معاوية ورثب فيها الجند واقطعهم القطناع و«لطمين» كورة بحمص ولها حـن و«كفر نغد» ولعلها كفرنان و«القرشية» قرية بسواحل خمص وهي آخر اعمالها و«فوز» من قرى حمص ولعلها محرفة عن فيروزة و«غثر» واد بين حمص وسلمية والام في قول ابي الطيب :

غطا بالفتنر البيداء حتى تخبرت المثالي والعشار

و«عقيربات» ناحية بحمص لا تزل موجودة و«الطوبان» و«صوران» اسم كورة بحمص وجبل و«شيزر» بنينها وبين حماة يوم كانت تعد حـف في كورة حمص و«سلمية» كانت تعد من عمل خمص كذلك و«رفنية» كورة ومدينة من اعمال خمص يقال لها رفنية تدمر و«الرستن» قرية مشهورة قال ياقوت : بليدة قديمة كانت على نهر الميلاس وهذا النهر هو اليوم المعروف بالعاصي الذي يمر بقدام حماة والرستن بين حماة وحمص في نصف الطريق بها آثار باقية الى الآن تدل على جلالتها وهي خراب ليس بها ذومري وهي في علو تشرف على العاصي و«دير مباس» بين دمشق وحمص على نهر يقال له مباس واليه نسب وهو في موضع نزه ولعله المتنزه الذي يقال له الميلاس اليوم ظاهر حمص و«دير مسحل» بين حمص وبلبك لا يعرف اليوم ولعله بعض الحرب التي لم تشتهر الا عند سكانها

و«دير باعنتل» غير معروفة وهي من جوسية على اقل من ميل وجوسية من اعمال حمص على مرحلة منها على طريق دمشق وهو «الدير» على يسار القاصد له مشق وفيه عجائب منها آراج ابواب فيها صور الانبياء محفورة منقوشة فيها وهيكلم مفروش بالمرمر لا تستقر عليه القدم وصورة مريم في حائط منتظمة بكاملت الى ناحية كانت عية اليك و«دنة» كانت من قرى حمص بها قبر عوف بن مالك الاشجعي من الصحابة سألت عنها فلم يعرفها أحد مع ان قبور الصحابة والعالمين معروفة في الاكثر ولعلها في الوحر فان وعمر حمص كبير فيها آثار مهمة وهو يمتد من حمص الى قرب طرابلس واكثره

وعر ومن حمص الى قرب حاة فما أبد و « دير اسحاق » غير موجود وهو بين حمص وسلمية في احسن موضع واتزه و بقر به ضيعة كبيرة يقال لها جدر التي ذكرها الاخلل فقال :

كأنني شرار يوم استبد بهم من قرف ضمنتها حمص او جدر
ولا هل القصف والشعراء فيه اشعار كثيرة :

و « حوط » قرية بمحمص او بجبله من ساحل الشام غير معروفة و « الحص » غير موجودة وهو « موضع بنواحي حمص لنسب اليه الخمر قال ابو محجن الثقفي :

اذا مت فادفني الى جنب كرمه تروي عظامي بعد موثي عروقها
ولا تدفني بالفلاة فاني أخاف اذا ما مت ان لا اذوقها
وتروي بخمر الحص لحدي فاني اسير لها من بعد ما قد اسوقها

وكانت « انطرسوس » اول اعمال حمص وهي من سواحل بحر الشام وكذلك « افامية » كورة من كور حمص على الساحل و « اعناز » بلد بين حمص والساحل . وعن ابن واضح « معرة النعمان » و « تل منس » وما والاها من اقليم حمص . و « الجبل » كورة بخمص و « بدين » من قرى حمص و « بانياس » كورة ومدينة صغيرة وحصن بسواحل حمص على البحر . و « بكسرايل » حصن من سواحل حمص مقابل جبله هذه هي حمص وبعض ما عثرنا عليه من اشعار قراها واعمالها اما اسماء قراها الاميرية فاليكها الآن وعددها ١٢٧ قرية نقلها عن سجلات الحكومة :

ابودالي . امحارثين عتيق . ام شرشوح . ام القصب . ام حارثين يهودية . ابوهامة (الاصل ابو امامة ونسبته الى الصعالي المدفون بها) اكوم . معين . ام العظام . آبل . اكراد دياسنه . اعور . ام دولا . بابا عمرو . بلتسه . براو . بريج . بتيسه . بويضة شرقية . بوير . برج قعية . تلعمري . تليسة . تلدو . تلدهب . تارين . تيرمعة . تسنين . تلبي مندو (تل النبي مندو قبلي حمص الى الغرب عند مصب العاصي على البحيرة) . ثنونه (وقف جامع خالد بن الوليد) . تايل . جرنابا . جوبانية . جوسية (قبلي حمص مه ا خراب وعمار فالعمار من سكة الحديد للزرب والخراب في الشرق وهي البلدة الاصلية) . جدبدة شرقية . حفر . حمام . حلاموز . حوارين . حدانة . حيصة . حاريك . حديدة العاصي . حوز . حسيه . حميديه . حمية . خربة السودا . خربة حمام . خربة تين نور . خربة تين محمود . خربة غازي . دحفة . دبين . دير بعلبه . ديرفور . ديمينة شرقية . دوير .

دار الكبيرة . دلبوز . مدينة غربية . رستن . رام العنز . ريلة . ريان . ربيعة . رأس العين . زور غربي العاصي . زور الموح . زعفرانة . زيتة وبويزة غربية . زراعة . زيدل . زور بقرايا . زيتا الحجر . سماقيات غربية . سماقيات شرقية . سمعيل . سكرة . سقرجه . شنشار . شمسين . شورمية . شيخ حميد . شرقلية . صيادية . صنون . صدد . حفر . طهبة . عين ظاظ . عين حسين . عز الدين . عامرية . عسيلة . عراقية . عيصون وشلوح . عرجون . غزيلة . غرامير . غنثر . غنطو . غور . فيروزة . قطينة . قريتين . فتاقيه . قزحل . قيرانية وحوش السيد علي . قصيرميري . قره وشر (ولها اسم ثان وهو تل الور) كفر عابا . كفر موسى . كفرا لها . كفر عهدي . كفرنان . ككام . لغتابا . مجيدل . مشرفة . مسكنة . مهن . مودان . مباركية . مرج القطا . مرج بولاد . مقطع . متعارض . مبصرة . مطربة . نويجة . ناعم . انثيرة . هرقل . هوب الريح . هيت . وجه الحجر . بوبت

وهناك اراض كانت للسلطان المخلوع عبد الحميد ثم اديرت الى الخزينة وهاك اسماءها: قرية قصير ورمزون وبابية . خربة الضبعة . كوكراف . دحبرج . هنزة . مضابج . عباسية . صايد . فرقلس . برهانية . بلها . رقامة . منزل . شعيرات . وازعية . حربية . عزيزية . حميرات . وهيب . دردغان . عاليات . فحيله . تلة الناقة . خرابة قنية . فيضة . بسبة . حولاية . دويليب . مخرم فوقاني . مخرم تخاني . تل الطويلة . سليمة . نوا . حميدية = ام العمد . شوكتية . جهنم . وريدة . جب عباس . تل الاغر القيلي . جوسة الخراب (قبلي الخط الحديدي وغريه) . ام النين . سنكري شمالي . سنكري قبلي . ام العلب . تل الورد . دوير شرقي . دوير غربي . مسعودية . ام السرج شمالي . ام السرج قبلي . ام الجباب . جنينات . حراقي . لثنان وام قدوم . فطيم العرنوق . عيون حنين . مسعيد . مكسر الحصان . هبرة غربي . هبرة الشرقية (ولها اسم آخر مزرعة هندواوي) . مزرعة جب الجراح . مزبن البقر . تلوا الهوا . رحوم . مزرعة ام صهيرج . مشرفة . ام جامع

هذه اسماء قرى حص وخرايها وبعضها مجدداً عن مركز الحكومة وخرب اعيش البادية فيه مثل القريةين مثلاً فلو جعات القريةين قضاء مع اي صاحبها من القرى والمزارع وكذلك جب الجراح لزد العمران والسكان لا محالة وخصوصاً اذا اباعت الحكومة مزارعها وخر بها من الاهلين يتدل المثل اذ لا اشتراها المحصيون انفسهم لان من اهلها من هو غني

جداً يتساوى في ذلك مسلموم ومسيحوم فالزراعة بيد المسلمين والتجارة بيد المسيحيين وكثير من الفريقيين هاجروا إلى مصر وأميركا فاعتنوا وتأنلوا حتى أن أهل حمص سمو لهم مدينة باسمهم في الولايات المتحدة على نحو ما سمي جندهم مدينة باسمهم يوم فتحوا بلاد الاندلس .

قال ياقوت أن في حمص مدارس وقال ابن جبير أن بها مدرسة واحدة وليس بها مستشفى على رسم مدن هذه الجهات . مثل حماة وغيرها أما اليوم فليس بها مدارس دينية مهمة فيما علت سوى بعض مدارس للعلوم الدنيوية مثل مدارس الروم والكاثوليك والبرتستانت وبعض مدارس حديثة اهلية أنشئت للمسلمين وبها مدرسة رشدية أميرية وبها مطبعة اسمها حمص تطبع جريدة حمص وجريدة جادة لرشاد وغيرها . وثلاث أهل حمص غير مسلمين والباقيون مسلمون وكان أهلها كما قال ياقوت « من أشد الناس على علي بن أبي طالب فلما انتقضت تلك الحروب صاروا من غلاة الشيعة حتى أن في أهلها كثيراً ممن رأى مذهب النصيرية وأصلهم الامامية » أما ما قاله كثير من المؤرخين والهمرائيين في أن البلدة يكثر في أهل حمص منذ القديم فهو مشهور عن عاهتها لأعن خاصتها فقد اشتهروا بذلك فصار يتناقل عنهم القرن بعد القرن وما خلا قرن فيها من خاصة فضلاء عقلاء ودليل عقلهم اليوم أنهم كانوا بعد الدستور أسبق البلدان السورية إلى ورود حياض المدينة وقد انتفعت بلدهم بمد السكة الحديدية العريضة الممتدة منها إلى طرابلس وكانت البضائع تصدر منها ترد على الجمال والبغال والمركبات والحوافل وسيزيد عمرانها يوم يمتد منها خط حديدي ضيق إلى تدمر ويجتئها السياح بالالوف وتحمل أشعة المدينة والامن إلى تلك الربوع في الداخلية وتعيد إلى تدمر وأرباضها عهد زنوبيا

يوم في بحيرة قدس

من يزور حاضرة من الحواضر ولا يشهد ريفها وقرىها تظل معلوماتها عنها قليلة ر بظل مقلداً فيما يكتبه وما كان المجتهد كالقليل سواء في شؤون الدين والدنيا . دعاني صديقي وصني أفندي الاتامي إلى قرية قره وشر فركبت وإياه عربية حتى وصلناها في ساعة وهي في جوار بحيرة قدس فجمعنا بين ثلاثة أمور نافعة الرياضة في الهواء والإطلاع على نموذج من قرى حمص وزيارة تلك البحيرة التي كان لها ذكر في تاريخ سوربة القديم كما نسلم اليوم بأهم خزان أسوان في مصر للتشابه بينهما فخران حمص يستقي تلعات وادي العامي وخران أسوان يستقي تلعات وادي النيل .

وطول هذه البحيرة الصناعية ساعتان وعرضها ساعة وقد نسبت لقدس عاصمة الهيئتين
او قد شو عاصمة الحثيين الثانية يجتازها العاصي وهي مدودة من مسافة كيلومترين وهناك
برج قديم على الناحية الشرقية وعدة قرى .

وقد وصف جفرانيو العرب هذه البحيرة فقال شيخ الربرة ان بحيرة حمص وهي بقعة
محفوفة ببناء حص محكم وفيها اسماك كثيرة كبار ثم يخرج منها الماء عكراً مثل ماء النيل
ولا يصفو بعد ذلك الى ان يدخل ارض الروج ويصل الى السويدية ويصب في البحر
الرومي . وذكر ياقوت ان طولها اثنا عشر ميلاً في عرض اربعة اميال وهي بين حمص
وجبل لبنان تنصب اليها مياه تلك الجبال ثم تخرج منها تنصير نهراً عظيماً

وقال ابو الفدا ان طولها من الشمال الى الجنوب نحو ثلث مرحلة وسعتها طول السد
وهي مصنوعة على نهر الارنط فانه قد صنع في طرف البحيرة الشمالي سد بالحجر من
عمارة الاوائل وينسب الى الاسكندر وعلى وسط السد المذكور برج (الآن ربح واحد)
من الحجر الاسود وطول السد شرقاً وغرباً الف ومائتان وسبعة وثمانون ذراعاً وعرضه
ثمانية عشر ذراعاً ونصف ذراع وهو حابس لذلك الماء العظيم بحيث لو خرب السد
سال الماء وعومت البحيرة وصارت نهراً وهي في ارض مستوية وهي عن حمص بمسافة
يوم في غربها وباصـ بها السمك اه .

اذكرني هذه البحيرة او السد او الخزان بما في بلاد الشام من الانهر والخلجان
والبحيرات الكثيرة التي يذهب ماؤها بداراً ولا ينفع به في السقياً وقد كان القدماء
اعرف بما ينفع من هذا القبيل من اخلافهم سكان هذه الديار اليوم وذلك على قلة ما
كان في عهدهم من الادوات التي احدثتها مدينة الغرب وتقدم فنون الحيل (الميكانيك)
والمدسة والبناء . ولذلك رأينا اعمال اسلافنا شاهدة على الدهر بعظمتهم وان عقولهم
كانت ارقى من عقولنا واعمالهم انعم من اعمالنا .

في سورية انهار كثيرة تجري ولا من ينفع بها من سكان الجوار فلو وقع الانتفاع
بمياه نهر الفرات والعاصي وابراهيم والاردن والبطاني والازرق كما ينفع بمياه نهر
الكلب ويردى والاعوج مثلاً لاختصت كثير من الاراضي التي تحرم من المياه اليوم
وكان في المكنة ان تسقى سيجاً وتغرس فيها انواع الاشجار

لا تنكرو سورية في عمرائها قلة الايدي العاملة ولا النفوس الذكية ولا قلة الخصب
وسعة الرباع والإصقاع ووفرة الامواه وجودة الاهوية بل انها تشكو من قلة من يفكر

في الانزاع من ثروتها الطبيعية ولو كانت هذه الحكومة تفكر في عمران بلادها على الأقل على مستوى ما تفكر روسيا مثلاً من دول الارض لاصبحت سورية في بضع سنين من عمر الاقطار تشبه المانيا والنمسا وفرنسا ان لم نفقها لاعتدال الفصول الاربعة فيها . ولكن جرت الاقدار بان يراجع عمرنا حتى اصبحنا بعد ان كانت سورية انبار العالم في الحبوب ونحن نجلب الدقيق من روسيا وآسيا الصغرى واميركا وفرنسا والحكومة ساهية لاهية لا يهمها الا قبض الضرائب والعشور ولو اوشكت البلاد ان تبور وفي المثل الفرنسي ان الاراضي تغل على نسبة اقتدار من يقوم عليها

Cant vaut l'homme tant vaut la terre ولا عبرة في الثروة

الا بما استخرج من كنوز الارض الا بما كان مذخوراً في عالم القوة

المملكة الطرابلسية

كانت طرابلس الشام ايضاً مملكة ايام حكومة الاقطاعات كما كانت صفد والكرك وحماة وغيرها من مدن سورية وكانت مدينة طرابلس او اطرابلس باثبات الف في اولها في رواية اعظم مدن هذه المملكة بل كانت طرابلس في القرن الرابع كما قال المتدي اجل من صيدا وبيروت وذكر الظاهري ان طرابلس مدينة حسنة بها جوامع ومدارس واسواق وحمامات وعمائر حسنة وهي على شاطئ البحر المحيط يقال انها شامية مصرية لحسن هيتها وكانت على عهده تشتمل على عدة مدن واقاليم وقلاع وقرى ومن جملة اعمالها قلعة صبيون في جبال الكلبية وقلعة المرقب وحصن الاكراد وقلعة قدموس واللاذقية وجبل الكهف والردافة وما والاها من القرى وتشتمل هذه المملكة الطرابلسية وتوابها فيما قيل على قريب من ثلاثة آلاف قرية

وسمى شيخ الربوة مملكة طرابلس بمملكة الساحل وكرسيها طرابلس المستجدة بعد فتح طرابلس الشام بجيش المسلمين في مملكة الملك المنصور سيف الدين قلاوون الصالحى قال: بنيت هذه المستجدة في سفح ذيل من اذيال جبل لبنان بكورة من اكوار طرابلس بعدها عن طرابلس القديمة الخروبة نحو من خمسة اميال على شاطئ نهر يجري الى البحر (١) وهي سهلية جبلية بحرية برية يتخلل الماء في جوانبها ولها قنطرة على واد بين جبلين يمر عليها الماء من منبعه اليها في ارتفاع نحو سبعين ذراعاً وطول هذه القنطرة نحو من مائتي ذراع والنهر يجري من تحتها الى سقي الاراضي ويصب في البحر الرومي

(١) يقال له اليوم نهر ابو علي وكان يعرف قديماً بنهر قاديشا اي المقدس

ولا يكاد يوجد فيها دار بغير شجر لكثرة تحرق ارضها بالمياه وهذا النهر ينبعث من جبل لبنان . وقد جمعت في بساتين طرابلس من الفواكه ما لا يوجد في سائر الاقاليم اصلاً قصب السكر والحميز والمحمضات الكثيرة الزائدة والبنفس الذي لا يوجد مثله والثلج وسبك البحر الطري والطير الكثير ومجموعها لم يجمع في بلد غيرها ومن بلادها واعمالها الساحلية البترون وهو حصن من فتوح الملك المنصور وله عمل متسع وأنفة مدينة ساحلية محكمة البناء وانطرسوس مدينة ساحلية

وعدد من اعمال طرابلس حصن عرفا وحصن حابا قال ولما عمل متسع به ولايات ومراكز ومن اعمالها جون ومه رجليه (؟) والحصنان خراب في عصره ومدينة مرقية (مرقب ؟) وجومة عكار اي كورة عكار وجومة بشسريه والكورة والحدث باذبال لبنان ولها اعمال يزيد عددها على الف قرية . وحصن عكار (١) حصن منيع من بناء الاسلام وينصب اليه ما من الجبل المطل عليه و يدخل الى القرية وحصن الأكراد حصن منيع مشرف بين الشام والدواحل ينظر الناظر منه الى الشام وقارى والنبك وبعلبك والى البحر والساحل .

قال ومن اعمال طرابلس المستجدة قلاع الدعوة وهي التي ملكها راشد الدين محمد تليذ علاء الدين علي صاحب الاموت في النجم وهو صاحب الدعوة الاسماعيلية والحصون هذه هي حصون الخواوي وحصن الكهف وحصن القديس وحصن العليقة وحصن المنيقة (البقيعة ؟) وحصن الرصافة باذبال طراز من جهة الشام وحصن ابي قبيس وثمر صياف وهو اهم هذه الثغور في اظهار الدعوة وارسال الرجال القداوية الى البلاد والاقاليم في قتل الملوك والاكابر وحصن بلاطنس حصن منيع جداً وله احد عشر باباً كل باب فوقه باب وحصن المرقب ثغر منيع على رأس شاهق مطل على البحر كبير مثلث الشكل بناء الرشيد على اثر بناء قديم ثم بناء الحصارى ثم ملكه المسلمون في عصره وعمروه وحصن صهيون حصن منيع عادي قديم البناء يقال انه من بناء أغسطس ملك رومية الكهري المسمى قيصر وليس هو أغسطس صاحب التاريخ اليوناني وهذا الحصن ضعب المرتقى على قمة جبل وعليه خمسة اسوار وله فُرْضة في الساحل في طرف دخله من الارض كالجزيرة من البحر

وذكر ان اللاذقية محاطة بالبحر من جهاتها الثلاث وهي اشبه بالاسكندرية في بنائها

(١) جبل عكار هو برجليوس القديم

وبارضا معدن رخام ابيض واخضر موني وبها دير الفارس من اعجب البناء في الديوروله يوم في السنة تجتمع النصارى اليه والمينا الذي باللاذقية من أعجب المواني في البحر واوسعها لا يزال حاملاً للسفن الكبار وعليه سلسلة من حديد حاصرة لمراكبه مائة من مراكب العدو وفرضة بلاطنس مدينة جبلة بن الابهيم الفسافي جدوت باسمه في صدر الاسلام وكانت مدينة عادية بناها الصابئة وفيها آثار مقرر الملك الذي كانوا اصطالحوا عليه في زمن نوح وابراهيم وموسى عليهم السلام وكان له مرب يركب الراكب فيه تحت الارض الى ظهر السفينة بالبحر ويركب في السفينة الى وسطه تحت الارض محجوباً .

وعد من عمل طرابلس مدينة بانياس فقال انها مدينة عبرانية يونانية رومية وبها انهار ساجحة قرية المتبع وبساتين كثيرة من اعجب بساتين الساحل وذلك ان حيطان البساتين متصلة بضرب موج البحر بغير حائل وبين بانياس وجبلة جزيرة صغيرة عندنهر غزير يسمى النهر الابتر وسمي بذلك لقصر جربته وقلة الارتفاع فلا يتشعب منه شعب ولا يتفرع فروع مع غزارته وقوته وعلى الجزيرة دمن حصن يقال له بلدة كاف من احسن الحصون بناء وخربه اهله بايديهم دون غيرهم ودخلوا البحر من غيظهم بمعضم على بعض وهذه الجزيرة من اعجب الجزائر شأناً بالماء وذلك ان البحر محيط بنصفها واكثر والنهر محيط بالنصف الذي الى البر والماء مختلطان فالنصف ملح اجاج والنصف عذب فرات وهما في النظر ماء واحد محيط به من سائرهما . ومن اعمال طرابلس ايضا البقية هي الحصن والناعم وجبال القصيرية نحو عشرين عملاً بين صهيون واللاذقية والى البترون والعاقورة

هذا وصف مملكة طرابلس وعملها في القرون الوسطى وحدها ابن فضل الله فقال من القبلة جبل لبنان ممتداً على ما يليه من مرج الاسل . حيث يمتد نهر العاصي ومن الشبرق نهر العاصي ومن الشمال قلاع الدعوة ومن الغرب البحر وبلاد طرابلس لها قلاع وولايات فذكر من قلاعها حصن عكار وحصن الاكراد وكانت محل النياية ومقر العسكر قبل فتح طرابلس وبلاطنس وصهيون ثم قلاع الدعوة وهي العليانة والمنيقة والكهف والمرقب والقدموس والخوابي والرافة ومصيف وهي دار ملك هذه القلاع الاسماعيليه ولها على قلها الرتب العلية واما ولاياتها فهي انطرسوس واللاذقية وجبة النيطرة وبلاد الضنين (الضنية) ومنها بشرية وجبلة وانفة وجبيل وما لمل في تلك جماله ولاية

وبعض هذه البلاد اليوم تابعة للواء اللاذقية من اعمال ولاية بيروت والاخر من

لواء حماة من عمل ولاية سورية وغيره من عمل متصرفية جبل لبنان وبعضه من عمل طرابلس كحصن الاكراد وعكار وصافيتا ونواحي المنية وحذور والقنية وطرطوس وارواد وطرابلس هي احد الوية ولاية بيروت وهي اللاذقية وعكا ونابلس .

وبداً اول عمل لواء طرابلس من السفح الجنوبي من لبنان ومن السفح الشمالي من جبال النصيرية فهو بين منفسحي هذين الجبلين وتكثر انهاره واعظمها النهر الكبير في عكار ويسميه القدماء نهر ايلوتروس *Elautherus* ومن ضفته الشمالية تبثدي البقعة وهي سهل فسح اشبه بهل البقاع في لبنان الشرقي

سميت طرابلس بهذا الاسم اي البلاد الثلاثة (تريبوليس) *Tripoli* لان مهاجري ثلاث مدن فينيقية وهي صور وصيدا وارواد بنوها وكان كل حي من احياء هؤلاء المهاجرين يفصله عن الآخر سور على ان اسم المدينة الفينيقي غير معروف على وجه الصحة وهذه التسمية اقرب الى الرومية واهل طرابلس لم تؤسس الا قبل المسيح بسبعائة سنة بعد تأسيس ارواد وقد جاء بعد بنائها من العصور بين والصيديين والارواديين دولة السالوقيين الرومية فامتلكوها في جملة ما ملكوه من بلاد الشام ثم الرومان فزبنوها وانشأوا فيها ابنية ضخمة اتت عليها كلها الزلازل المربعة التي اصابتها في عصور مختلفة والى جاء الصليبيون الى طرابلس كان حاكمها ابن عمراز من الحكام المستقلين بها فبدأ الكونت ريموند سان جيل من ملوك الصليبيين بحصارها سنة ١١٠٤ م وذلك بانشاءه حصناً سماه الافرنج مون بلغرينوس *Mon Bellegrinus* وسماه المسلمون سان جيل اوصان جيل ولم تؤخذ المدينة الا بعد خمس سنين وذلك باحراقها ومن جملة ما ذهب في حريقها طعاماً للثوار مكتبة عربية مهمة كان فيها في بعض الروايات مئة الف مجلد وفي رواية اخرى اكثر من ذلك بكثير ودام حكم الصليبيين في طرابلس ١٨٠ سنة ارتقت في خلالها كما يقول مؤرخوهم على الرغم مما كان يتخلل تلك المدة من المصائب والحروب الاهلية واستعادها منهم سنة ١٢٨٩ السلطان قلاوون الصالحى سابع ملوك المماليك البحرية في مصر والشام وبنائها في الداخل بعيدة عن الساحل كما مر آنفاً

ودخلت طرابلس في الحكم العثماني على عهد السلطان سليم يوم فتح الشام وظلت مدة تعلق وتسفل بحكم الاقطاعات شأن سائر المقاطعات والولايات وكانت مدة مركز اياالة ثم الحقت بولاية سورية يوم تأسيس الولايات وكان حظها ان تتبع بيروت يوم سلخت هذه عن دمشق واصبحت ولاية برأسها

تحتوى طرابلس من السكان على نحو ثلاثين ألف نسمة وفي اعمالها زهاء ١٥٠ ألفاً ومساحة قضائها ١٩١ كيلومتراً مربعاً ومساحة قضاء عكار ٢٨٥ وقضاء الحصن ٥١٣ وقضاء صافيتا ٤١٤ كيلومتراً والعنصر الغالب فيها المسلمون ثم يحميهم اهل الاديان الاخرى ويقال ان اصل سكان طرابلس من جالية العجم ولذلك غلبت عليهم طبائع اشبه بطبائع الفرس من حيث الابهة والتأني

كان المأمول ان ترقى مدينة طرابلس الشام لاتصالها بخط حديدي عريض مع بلاد الداخلية طوله من طرابلس الى حمص ١٠٥ كيلومترات ولكننا رأينا هذه المرة على تلك الصورة التي رأيناها عليها منذ نحو عشر سنين لم تكد تخطو خطوة تتحقق ان تذكروا لاشي من الموبقات الجهرية التي زادت فيها بدخول الاجانب وانتشار الحرية وكان بعضها موجوداً من قبل على صورة سرية لقلنا ان طرابلس هي منذ بضع سنين

ومن الغريب ان بعضهم لاحظ بان نفوس سكانها لم تزد زيادة تذكر في العهد الاخير مع ان اهلها ليسوا اكثر من سائر مدن سورية وقرائها في حب الهجرة . ولولا قليل من الصحف انشئت فيها عقيب الدستور لكان يصح ان يقال ان الحركة العلمية لم تنل بجالها ابصاراً . وقد اثر هذه السنة ماشهود من النقص في حاصلات البلاد الداخلية لرداءة المواسم فخف اضداد الغلات من طرابلس وكانت بجبالها التي تنقل الحبوب اليها في السنين الفائرة من جهات عكار والحصن وصافيتا وحمص وحماة وسلمية اكثر حركة منها اليوم بسكنتها الحديدية الجديدة ولكن هذه السنة لا تنفاس عليها سائر السنين مادامنا موقنين بان الارتفاع بطيء الحصول كالانحطاط ولا بد من قضاء دور الحضارة في الحضارة والسكك الحديدية اذا مدت في الاصقاع المقفرة اعمرتها فما مالك بقطر مخضب البقاع والرباع جيد التربة ذكي الماء والهواء واسع المادة تجود فيه اكثر الغلات والثمرات .

اللهم ان طرابلس ستكون بمدى بيروت اهم مواني سورية بعد سنين اذا تعاضد اهلها على ما فيه المصلحة تعاضد هم يوم نالوا امتياز سكك حديد طرابلس - حمص وتركوا اشتغال بعضهم ببعض مما هو من شأن البلدان التي لا تعمل لاهلها ينهضون به فلا يجدون تسلياً لهم سوى الاغتياب والتميمة واكل لحوم بعضهم بعضاً وتسفيه آرائهم فنكون عاقبة ذلك التخاذل والنفاشل وذريعة الانحطاط المبهين .

تمثل لنا في طرابلس كل التمثل ان العقلاء من المسيحيين احسنه الا ان فاع بالدستور اكثر من اخوانهم المسلمين فكان واسطة لنهوضهم اذ كانت لديهم مواد الارتقاء موفورة الا قليلاً فلما جاء دور العمل هبوا هبوا محموداً ولولا داء الهجرة الذي نقشه اكثر من غيرهم ولا سيما بسبب الجندية لبلغ اخواننا في الوطن مبلغاً تحسد عليهم حتى الامم الراقية

ففساناً نسمع عن هذا البلد الطيب كل ما يسر القلوب. من دواعي الارتقاء فنقل وقائمه وحوادثها المزعجة وتكسد سوق الفوق الرائجة بما ينال عليها من اموال بعض اغنياء عكار والحضن وصافنيا ممن يقصدون طرابلس ليفجروا فيها ويتخلون برضام عن ملاحظة زروعهم وعمران بلادهم .

واذا صح ما يسعى اليه بعضهم اليوم من نيل امتياز سكة حديدية من حمص الى تدمر والمسافة بينهما لا تقل عن مائتي كيلومتر تحمل القطارات الى طرابلس بغلات الداخلية من شرقي سورية كما ينقل الخط الحلي محاصيل البلاد الشمالية .

وبعد فقد اشتهرت طرابلس من القديم بمصنوعاتها الحريرية ولا سيما الزناوير الطرابلسية اللطيفة وكل صناعاتها قد نازعتها المصنوعات الاوربية اليوم وتوشك ان تبرزها برخص اسعارها وجمالها الظاهري ومهارة المتجربين بها في قاعدة العرض والطلب ولكن اوربا لا تستطيع منازعة طرابلس ولا غيرها من هذه البلاد بمحصولات اراضيها وخصوصاً الثمار والبقول والفلات وفي طرابلس يوجد البرنقال والليمون جودته في صيدا وبافا من بلاد الساحل وقد رأى ارباب الحداثي كيف ربحوا من اراضيهم منذ توفروا على زراعة هذه الشجرة المباركة

خاتمة

هذا ما شاهدناه ولاحظناه في الرحلة بين دمشق والفجاء وحلب الشهباء سطرناه بعد الرجوع الى نصوص علماء التاريخ والجغرافيا من العرب خاصة وذلك بقدر ما سمحت الاحوال وقد استغرقت هذه السباحة عشرين يوماً ولو صرفنا اكثر من هذه الفترة والزمن وتبعنا الاقاليم اقليماً اقليماً والكور الواحدة بعد الاخرى لانينامم الفوائد باضعاف ما اتينا وكنا بما نجمع نستغني بعض الشيء عن الغربيين فيما يتعلق على الاقل بتاريخ هذه البلاد وعمرانها وتقويمها والحمد لله في المباديء والخواتيم



مخطوطات ومطبوعات

المسالك والممالك

نشر علماء المشرقيات مئات من كتب العرب وقلموا ونشروا شيئاً لا وفيه فوائد جمة يتم نقصاً في العلم ويسد ثلثة في الآداب والفنون . ومن عناوا بنشر كتب الجغرافية التي فيها علماء العرب الأستاذ دي غوي الهولاندي نشر في ليدن ثمان في مجلدات لعلماء منوعين في صور بلاد الاسلام وسماها المكتبة الجغرافية العربية كما نشر مستشرقو الاسباب بضعة عشر مجلداً في تاريخ الاندلس وسموها المكتبة الاندلسية ومن جملة تلك المجلدات الثمانية كتاب المسالك والممالك لابي القاسم محمد بن حوقل البغدادي من اهل القرن الرابع وقد اعتمد فيه على كتاب ابي القاسم محمد بن خرداذبة وقدامة بن جعفر الكاتب وابي عثمان عمرو بن بحر الجاحظ وافاض فيه بذكر المفاوز والممالك والاقاليم والبلدان وطبائع اهلها وخواص البلدان في نفسها وذكر جباياتها وخراجاتها ومستغلاتها وذكر الانهار الكبار واتصالها بشطوط البحار وما على سواحل البحار من المدن والامصار ومسافة ما بين البلدان للسفارة والتجار مع ما ينضاف الي ذلك من الحكايات والاخبار والذوادر والآثار .

هذا اقل ما يقال في كتاب المسالك والممالك واهم ما فيه ان مؤلفه رحمه الله كان في الجنر افين . كما كان المسعودي في المؤرخين من رحلوا من بلدهم وضرخوا في طول الارض وعرضها ولذلك تكلم فيما تكلم عنه من البلاد عن ذوق ونظر واختبار بفرج من بلده وطاف كثيراً من اقطار العراق والجزيرة واربينية وخراسان والجبالي وفارس واماوار والنهر والهند والشام ومصر وبرقة وافر بقية والمغرب الاقصى وصقلية والاندلس وغيرها من بلاد الاسلام ولم يمرض للكلام على سائر الاقطار الا بحسب ما بلغه من الثقات عنها ولذلك جاء كتابه من اصح ما كتب في عصره لانه ميز بين الحق والباطل والحالي والعاطل .

والمؤلف طريقة في التأليف والتحز من الوقوع فيما يقع فيه اغلب مؤلفي القرون الوسطى ما لا يكاد يدانيه فيه كثيرون وكانت رحلته في التجارة على نحو ما كان شأن ياقوت الحموي صاحب معجم البلدان من اكبر المساعدات له على احراز هذه الملكة واليك نموذجاً من احترازه خوف السقوط عند صياغة النقد من بعد ان قال في كلام علي بن

« ويحكى عن بعض الغيلان بها ما لا استعجز حكايته لأن المنكر لما لا يعلم اعذر من المقر بما يجهل » وهكذا تجده اذا شئت في الاخبار يقدم بين يدي نجواها قوله ويزعمون او يقال او يروى ليكون المطالع على بصيرة مما يقرأه .

وكتاب المسالك والممالك على صفر حجمه (٤٠٦ ص من قطع الوسط) فيه عدا وصف البلدان ذكر خراجها وثروتها كما مر آنفاً فهو ليس كتاباً في جغرافية الممالك بل في جغرافيتها الاقتصادية والسياسية والطبيعية بدهش المطالع للقريرها وبراءى له ان المؤلف من اهل القرن التاسع عشر او العشرين في اوربا واكثر مذكوره من هذا القبيل مما حققه بنفسه من مصادره لان رحلته وثلثه وبعد نظره مكنته من الاجتماع بالطبقة العالية من الحكام في عصره فوقف على ارتفاع الممالك وما تخرجه البلاد من الخيرات قال : « وفي ذكر البلد ما يدل على ما كان عليه من العناد والعدد ووصف ارتفاعه ما يعرب عن حاله ومكانه و يغني عن ذكر شرفه وشأنه وكذلك كل بلد ذكرته واذكره فالعبارة بارتفاعه وجباياته هي التي تدل على قوته وقوة اهله اذ قوام الدنيا بالمال وهذه عبرة لجميع العقلاء ومراة اسائر الفهماء وان خرج بالخصوص عن بحر العموم في هذه القضية قوم لم نحكم بهم ولم نلغف اليهم . »

واذ كان المؤلف ممن يشتغلون بالمال وتنميته مع العلم والتأليف تراه يستدل احياناً على ثروة قوم ينزل بينهم بالسفاح والاوراق المالية التي لهم فحما ذكر من هذا القبيل انه رأى في ايدي بعض التجار وسمى اسماءهم في صقلية والمغرب وغيرهما سفاح كل سفينة باربعين الف دينار واكثر لصاحبها دين على آخر فاذا كان تاجر واحد له على تاجر آخر مثل هذا القدر فكيف تكون ثروته . واليك هذه القصة التي رواها في غنى اهل سيراك ومنها تعلم عظم نفسه ايضاً وصورة من صور اخلاقه قال : « ولقد رأيت بالبصرة منهم (اهل سيراك) ابا بكر احمد بن عمر السيراكي في سنة ٣٠٥ وقد قدمت عليه بكتاب ممن يعز عليه في مهم له فاخذ الكتاب من حيث لم يخطر الي فقرأه ثم وضعه من يده ولم يعرني لحظاً وسأله في الكتاب مخاطبتي على معانيه واستعلام ماعرض فيه من مخاطبته وما بينهما مما يجب وقوفه عليه من جهتي كالمستشهد بعلمي بعد تعريفي في الكتاب صورتي ومحلي منه ثم اقبل على بعض خدمه وذكر مراجه وحاله فوثبت غيظاً وانا لا ابصر ما بين يدي من شدة مانائي وداخلني باعراذه فكأنه لحظ مكاني فقال : ما فعل الرجل فقيل : ومن هو فقال : صاحب فلان فقيل له : و بصاحب فلان ما فعلت هذا الانتباض لقد خرج

وهو لا يبصر ما بين يديه حنقاً والمبا فقال: علي به فالحقني كتابه وقد بث جماعة غيره في طلي في الطريق التي قصدت له فقال ان الشيخ تألم من خروجك بغير اذنه وعرفناه مظهر لنا منك فانفذنا لردك فقلت: والله لقد رأيت ملوك الدنيا واكثرهم من تحت ايديهم الآلاف من الناس علي اختلاف اطوارهم وتباين احوالهم وهم قطب الصلف فما رأيت رجلاً أكثر زهواً وبأوأ واقبح صلفاً منه فقال: وحق له ذلك هذا رجل اعتل في سنة ٢٨ علة خيف عليه منها فوجى فبلغ ثلث ماله مع شيء استزاده علي الثلث لانه لا وارث له بالف دينار بين مركب قائم بنفسه وآتاه ووكيل معلوم ماعنده وتحت يده بالحسابات الظاهرة والقبوض المعروفة المعلومه من جهاتها واوقاتها الى بر بهار ومتاع من جوهر وعطر في خائباته ومخازنه وقل مركب خطف له الى ناحية من نواحي الهند او الزنج او الصين فكان له فيه شريك او كرمي الا علي حسب التفضل علي المحمول بغير اجرة فالحقني قوله وعدت اليه فاعتذر بما كان وهذا وان زاد على الثلث فلعله اوصو. بنصف ماله فما سمعت ان احداً من التجار ملك هذا المقدار ولا تصرف فيه ولا من ودعيه سلطان لانها حكاية اذا اعتبرت كالتخرافات يستوحش من حكاها منها .»

وكثيراً ما يتعرض المؤلف لخصائص سكان البلاد وعاداتهم وعاداتهم ومن ذلك ما ذكره في فارس من ان الاكراد في عهده كانوا يحكمونها ويجبون خراجها وانهم تغلبوا علي الجزيرة وارمنية مما دل علي انهم هناك الآن منذ عهد ليس بطويل وان معظمهم كانوا في بلاد فارس وما ندرني ما طراً من الاحوال حتى انتشروا في هذا القسم من البلاد العثمانية اليوم فقد قال المؤلف: واما احياء الاكراد بفارس فالكردمانية والرامانية ومدثر وحي محمد بن بشر والبقيلية والبندامرية وحي محمد بن اسحاق والصباحية والاسحاقية والادركانية والديركية والطمادية والزبادية والشهروية والبنداقية والخمسروية والزنجية والصفرية والشهبارية والمهركية والمباركية والاستامهرية والشاهونية والفراية والسلونية والصيرية والازاددخية والبوازخية والمطلبية والمالية والشاهكانية والجليلية هؤلاء المشهورون ولا يتهمياً نقصهم الا من ديوان الصدقات ويزيدون على خمسمائة الف بيت ويخرج من الحي الواحد الف فارس واقل من ذلك واكثرهم يتجمعون في الشتاء والصيف المراعي الا القليل منهم على حدود الصرود واما اهل الجروم فلا يزالون ولا ينفقون بل يترددون فيها لم من النواحي ولم من العدة والبأس والقوة بالرجال والدواب والكرع ما يستعصب علي السلطان امرهم اذا اراد ان يخيفهم . ويزعم ابن دريد انهم

من العرب وانهم من ولد كرد بن مرد بن عمرو بن عامر في حماسه وابو بكر محمد ابن الحسن بن دريد ممن يستنبط علوم العرب واخبارها محتج به ومسلم له ما يدعيه وهم اصحاب اغنام وزمناك والابل فيهم قليلة وليس للاكراد خيل عتاق الا ما عند المازنجان المقيمين بمحدود اصهبان واما دوابهم فبراذين وبهاري وهم على حسن حال ويسار ومذاهبهم في الفنية والنجعة مذاهب العرب ويقال انهم يزيدون على مائة حي وذكرت نيفاً وثلاثين حياً .

وقال في فارس ايضاً : « فاما زيهم والباسهم واحوالهم فالغالب على خلقهم الخفاة وخفة الشعر وسمره اللون واهل الصرود اعبل اجساماً وأكثر شعوراً واشد بياضاً ولم ثلاثة السنة الفارسية التي يتكلمون بها وجميع اهل فارس يفقهونها ويكلم بعضهم بعضاً بها الا الفاظاً تختلف لا تستمع على عامتهم ولسانهم الذي به كتب الحزم واياهم ومكاتبات المجوس فيما بينهم هو الفهلوية التي تحتاج الى تفسير حتى يعرفها الفارسي ولسان العربية الذي به مكاتبات السلطان والدواوين وعامة الناس واما زيهم فكان السلطان زيه الاقبية وقد تلبس سلاطينهم الدراريح وان كانوا فرساً ومن لبس الدراريح منهم اوسع فروجها وعرض جرباناتها وجيوب درار يعهم كجيوب الكتاب والعمائم تحتهما القلائس المرتفعة ويحملون السيوف بمجائل وفي اوساطهم المناطق وخفافهم تصغر عن خفاف اهل خراسان وقد تغير زي سلطانهم في وقتنا هذا لان الغالب على اصحابه لبس الدليل وقضائهم يلبسون الدنيات وما اتسبها من القلائس المشمرة عن الاذنين مع الطيالة والقمص والجباب ولا يلبسون دراعة ولا خفاً بكسره ولا قلنسوة حتى تغطي الاذنين وكتائبهم يلبسون ملابس كتاب العراق ولا يستعملون القباء ولا الطيلسان وثناؤهم بين لبس كتابات وتجار من الطيالة والاردية والاكسية التونسية والحز والعمائم والخف التي لا كسر فيها والقمص والجباب والمبطنات وينفاضلون في جودة الملابس والزي واحد كزي اهل العراق والغالب على اخلاق ملوكهم وخدمهم وائمه منهم والمخالطين للسلطان من عمال الدواوين والداخلين عليهم واستعمال المروة في احوالهم واقامة الوظائف والمطابخ وتحسين الموائد بالمطام وكثرة الطعام واحضار الحلوى والفواكه قبل الموائد والنزاهة عما يقبح به الحديث من الاخلاق الدنية وترك المجاهرة بالفواحش والمباينة في تحسين دورهم ولباسهم وموائدهم والمنافسة فيما بينهم في ذلك والآداب الظاهرة فيهم والعلم السائق في جميعهم واما تجارهم فالغالب عليهم محبة الجمع للمال والحرص فوق من سواهم من اهل الامصار . »

وقال في كلامه على البلاد الشامية مانعه : وطرابلس وهي مدينة كثيرة الخير والغلات والفواكه الجيدة بينة الخصب والرخص وهي قريبة من مدينة بيروت التي على ساحل بحر الروم وهي فرضتها وساحلها وبها يربط اهل دمشق وسائر جندوها والبا يتفرون عند اسنة فارم وليسوا بجاهل دمشق في جفاء الاخلاق وغلظة الطباع وفيهم من اذا دعي الى الخير اجاب واذا ايقظه الداعي اناب ، ولنفس دمشق خاصية بطالها الجاري بها على الخلاف وسمعت عبد الله بن محمد يقول : برج الاسد معوج فاسد مع شرفه وضيائه وقل ما كان طالع بلد فصفت طاعته واستقامت وذكر سمرقند واردييل ومكة ودمشق وصقلية وقال لا تصلح لسلطينها ولا يتقيم سلاطينها بها واكثر هذه المدن فالنذر اثبت ما في نفوسهم والشر اشمل الاحوال عليهم اه وهذا مما يؤخذ على المؤلف ولكن كيف كان الحال لم يحل كتابه من ذكر طبائع اهل البلاد اوردناه للدلالة على ذلك

وقد اجاد المؤلف من وراء الغاية في وصف المسافات بين البلدان بحيث جاء كتابه في عصره بل والى اليوم اشبه بدليل سائح لما عرف من بلاد الاسلام وان اورث ذلك بعض الفصول طولا احيانا ولكن المؤلفات لا تكون كلها سلسلة واحدة في الجودة والفائدة والتسلية . كما اجاد في وصف معادن كل قطر وهوائه وذكر نبذة من تاريخ عمرانه بحيث جاء كتابه لافي الجغرافيا فقط بل في المنيولوجيا (علم الاحداث الجديدة) والكرونولوجيا (التاريخ والسير) والمنيولوجيا (علم الامادن) والايةوغرافيا (علم خصائص الشعوب) والاركيولوجيا (علم الآثار) والنوميسماتيك (علم النقود) وهكذا حوى من كل فن خبرا ولكن مع التثبت والتنقيح على الاغلب وما ذكره في تاريخ بني حمدان امراء الجزيرة وهم الذين خلد مجدهم ابو الطيب المتنبى بشعره لما اخذقه عليه مقدمهم سيف الدولة المشهور من المكارم فقال فيهم ما لم نذكر اننا اطلعنا عليه في شيء من كتب التاريخ مانعه : « لم تزل (نصيبين) على ما ذكرته من اول الاسلام تضمن مائة الف دينار الى سنة ٣٦٠ فاكب عليها بنو حمدان بصنوف الجور وتعجيد الكلف الى ان حمل ذلك بني حبيب وهم بنو عم بني حمدان الى ان خرجوا بذرارهم ومواسيهم وثقلهم في اثني عشر الف فارس على فرس عتيق وسلاح شاك من درع وجوشن مذهب ومقفر مدبج وصيف فارد ورمح خطمي وآلة وعدة على بلد الروم مطلة فقمع بها شوكتهم ويسبون بها ذرارهم ويحربون حصونهم ويغفوضون ديارهم تقدمهم كهذه الغدة لم من جنائب

عناق وبغال فره عليها الخدم والموالي فتصبروا باجمعهم واثقوا ملك الروم من انه
 يدان احسن لهم النظر في ازالهم على كرائم الضياع ونفائس الحباء والمتاع وتخبيرهم في
 القرى والمواشي ورفدهم بالنواحي والمواشي العوامل وعادوا الى بلد الاسلام على بصيرة
 بحضارة وعلم باسباب فساد وخبرة بطرقه ومعرفة بدقه وجهه وقلوبهم تضطرم حقدآ
 ونفور كيدآ وقد كاتبوا من خلفوه ولاطفوا من عرفوه بقصد آل حمدان له فيفعله
 وضياعه فاطعموهم فيما نالوه وعرفوهم ما رجعو اليه وجاؤا فيه من قصد بلاد الاسلام
 واجتياحه واصطلام بتاعه ونواحيه وان الملك ايدم وقوام وانهم عليهم وآوام فلحق
 به كثير من الخلفين عنهم وانتهى اليهم من لم يك منهم فتنوا الغارات على بلد
 الاسلام وافتحوا حصن منصور وحصن زياد وصاروا الى كفرتوثا ودارا فاتوا عليها
 بالسبي والقتل والحقوا اسوارها بالارض وصارت لم تلك عادة وديدنا يخرجون كل سنة
 عنداوان الحصاد الى ان اتوا على رضى نصيبين بنفسها والغربي من ضياعها وتعذوا ذلك
 الى ان وصلوا الى جزيرة ابن عمر فاهلكوا ظاهرها وسمتوا رأس عين واعمالها وساروا
 الى الرقة وبالس وعادوا الى ميا فارقين وارزن فاخربوا قراها وضياعها واحرقوا اشجارها
 وزرعوها الى ان جعلوها كالخاوية على عروشها وتزايدت ثقة الملك بهم والروم الى ان
 جعلوا لم الارزاق والاعطية وصاروا مظاة الملك وفحقوا له المضايق ونقدمو في المسالك
 واطعموه على مر الايام وتعاقب الاعوام وهلاك السلطان والاسلام في انطاكية
 والمصيصة وحلب وطرسوس فدارلم عليها ما كان القضاء قد سبق به والمقدار قد نفذ فيه
 وكان عمده المعروف بناصر الدولة الحسن بن عبدالله بن حمدان الى نصيبين فاكتسح
 اشجارها وبذل ثمارها وغور انهارها واستصفاها عن دخل الى بلد الروم واشترى من
 بعض قوم واغتصب آخرين فملكها الا القليل وجعل مكان الفواكه الغلات والحبوب
 كالقطن والسمسم والارز فصار ارتفاعها اكثر مما كانت عليه وزادت ربوعها فسلما الى
 من بقي من اهلها ولم يمكنهم النهوض عنها وآثروا فطرة الاسلام ومحبة المنشأ حيث
 قضا ايام الشباب على مقاسمة النصف من غلاتها على اي نوع كانت وعلى ان يقدر
 الدخل ويقومه عينا ان شاء او ورقا ويعطي الجواب لمن وجب له حق المقاسمة فيكون
 دون الخمس فلم يزالوا على ذلك معه الى ان الحق الله بسلفه فما بكت عليهم السماء والارض
 وما كانوا منظرين واهلها مع ولده في وقتنا هذا على اقبح ما كانوا عليه مع والده من تقدير
 يستغرق اكثر الغلة وثقوب ما بقي من سهم المزارع بثمن يروونه ويحمل الى مخازنهم واهرائهم

اصابته فيقبض منه ما يحتاج لبذره ويرضخ له ما بقدره متمسكاً لرمقه وعيشه
بالجهد . »

ارشاد الخلق

الى العمل بخير البرق

تأليف الشيخ جمال الدين القاسمي طابع بمطبعة المقتبس سنة ١٣٢٩ ص ١٠٤
كلما تأملنا في حال المسلمين وما بلغه بعض مشايخ الجلود من الضعف العلمي والعقلي
نحكم باننا اليوم كأهل اوربا في القرن الثاني عشر والثالث عشر للميلاد نكابر في
البيدهيات ونحارب المصلحين ونود ان ندخل كل شيء في الدين ومن ذلك ان قوماً جعلوا
ديدهم . الاعتراض على كل شيء يقولون في مثل هذا العصر بتحریم التمثيل وينكرون
العمل بالانبياء البرقية في اثبات الالهة ولذلك ترى دعاة الاصلاح الديني امثال مؤننا
صاحب هذا الكتاب تضيق صدورهم من هذه المماحكات في المحسوسات فيتوفرون على
رد شبههم وافتراءاتهم على الدين الذي صوروه بما اوحى اليهم عقولهم القاصرة

وقد اتى المؤلف بالنقول الصحيحة جاءلاً القتل رائده في حجاج المكابرين وذكر
فتاوى بعض علماء العصر في جواز العمل بالتلغراف بما دل على بعد نظره وتحرره سيفه
بجسه وكأنه ادرك ان بعض المماحكين يرمونه بالاجتهاد وهو يزعمهم مسدود باباً منذ
قرون فقال مبنياً غرضه في جملة . « قد يظن من لاخلق له وبعض الظن ان مراد
دعاة الاصلاح العلمي الآن بالاجتهاد هو القيام بهذه الدعوة له على انفراد
والشدوذ عن اقوال الائمة والغض من كرامة من سلف (نعوذ بالله من الجهل وسوء
الفهم) فان من يفهم هذا لاضل من الانعام . واي عاقل يدعو لتكثير الشيع والفرق
وزيادة الانقسام وانما المراد انهاض هم رواد العلم لتعرف المسائل بادلتها والبحث عن
مداركها و آخذها والتنقيب عن كتب السلف والائمة في الاصول والفروع وتعرف طرق التخرج
والاستنباط وحجج الموافق والمخالف ثم توخي الاقوى فالاقوى دليلاً وتحرري الاقوام
فالاقوام قيلاً كما كان عليه السالف الصالح وثلة من الخلف الناجح والمتأخرون عيال
على المتقدمين في جل علومهم وما ذكروه من كبروزهم وانما التفاوت في ادراك القوي
سلطانه الاصح برهانه وفي الوقوف على مقاصد الشريعة واسرار التشريع ودرك الباب
من الحشو وتمييز الاصيل من الدخيل على ان الخلف في الامور المجتهد فيها الغير المنصوص
عليها سنة جرى عليها الالف ومنهج سلكه الى هذا العصر كبار الخلف » فتنبى الثناء

الاطيب علي الاستاذ المؤلف فهو بعلم قومه بعلمه وذروته وتصانيفه ومقالاته ولا
يفتر عن الاجتهاد في خطه وامثاله من يدكون أسس الخرافات والادهام ويرفعون من
شان العلم والعقل بين اهل الاسلام

كتاب القضاة

الذين ولوا قضاء مصر

تأليف ابي محمد بن يوسف بن يعقوب الكندي وذيله لابي الحسن احمد بن عبدالرحمن
ابن برد نشره الاستاذ رينارد غوتهل من جامعة كولمبيا في نيويورك وطبعه بول كوتنر
في باريز في مدينة رومية العظمى سنة ١٩٠٨ م ص ١٦٧

كان البحث في احوال الشرق من خصائص علماء المشرقيات من الاوربيين وها قد اصبحنا
نرى من الاميركيين ميلا الى الاطلاع على احوال الشرق والنظر في علومه وآدابه وهذا
الكتاب شاهد بذلك فتد طبع طبعة جيدة بحروفها وورقها وكنا نود ان يوفق ناشره الى
تعريته من اغلاط الرسم والتخريف واكثره من الاصل بالطبع فقت الامانة على المؤلف ان
يبقى دأرا على حاله ولكن غلط الناسخ لا يبرر الناس والطابع كان الكاتب لا يرحم القاري
وعلى كل فقد ظهر هذا الكتاب على الاسلوب المتعارف في طبع الغربيين لكننا محلى
بتعليقات بالانكليزية وفهراس في اسماء الرجال والنساء والرواة واسماء المواضع والقبائل
والامم الواردة في متن الكتاب .

واسلوب المؤلف على سبيل الرواية كالمحدثين حسن الاداء يستفيد المطالع منه أهوا
كثيرة ولا سيما في الاقضية الغربية التي صدرت عن حكام مصر وغير ذلك من الحالة
الاجتماعية في القرون الاربعة الاولى في مصر وقد قسم المؤلف كتابه الى سبعة اجزاء
دخل كل واحد منها في بضع زينات والذيل عليه في جزء واحد والاصل المتبقي عذب
كان في دمشق نقل في الخامس من صفر سنة اربع وعشرين وستائة للهجرة وعجيب
حال الكتب في نقلها : كتاب عربي يؤلف في مصر فينقل من دمشق ويعثر عليه اميركاني
فيلتزم طبعه فرساوي وتطبعه مطبعة هليانية

واليك انموذجات تستدل بها على اسلوب المؤلف قال : حدثنا محمد بن يوسف قال
حدثني يحيى بن ابي معاوية حدثني خلف عن ابيه عن جده ان ابا عون عبد الملك بن
يزيد عزل عبد الرحمن بن سالم عن القضاء وولاه الديوان . وحدثنا محمد بن موسى
الحضرمي قال حدثنا ياسين بن يحيى بن بكير قال اهل ابي سالم الحيشاني يقولون انهم

من معافرو فيها وجدت في ديوان نبي أمية براءة زمن^(١) مروان بن محمد فيها بسم الله الرحمن الرحيم من عيسى بن ابي عطاء الى خزان بيت المال فأعطوا عبدالرحمن بن سالم القاضي رزقه لشهر ربيع الاول وربيع الآخر سنة احدى وثلاثين ومائة عشرين ديناراً واكتبوا بذلك البراءة وكتب يوم الاربعاء ليلة خلت من ربيع الاول سنة احدى وثلاثين ومائة وقال في مكان آخر: حدثنا محمد بن يوسف قال حدثنا احمد بن داود ابن صالح قال حدثني محمد بن ابي المغيرة عن ابن وزير عن ابي زين كيدان عبدالاعلى ابن سعيد الجيشاني تزوج امرأة من بني عبدكلال فقام بعض اوليائها في ذلك وانكروه وترافعوا الى ابي خزيمة فقال ما احل ما حرم الله ولا احرم ما احل الله اذا زوجها ولي فالنكاح ماض فارتفعوا الى يزيد بن حاتم وهو الامير يومئذ فقال يزيد ليس عبدالاعلى من اكفائنا وامر اباخزيمة بفسخ نكاحها فامتنع ابو خزيمة من ذلك وفرق بينها يزيد ابن حاتم حدثنا محمد بن يوسف قال حدثني ابن قديد عن عبيدالله عن ابيه قال قال عبدالاعلى بن سعيد الجيشاني لما فرق يزيد بين الكلالية وبينه

وأعلنت الفواحش في البوادي وصار الناس اعوان المريب
 اذا ما عبتهم عابوا مقالي لما في القوم من تلك العيوب
 وودوا لو كفرنا فاستويننا وصار الناس كالشيء المشوب
 وكنا نستطب اذا مرضنا فصار هلاكنا بيد الطبيب

وذكر المؤلف في ترجمة عبدالرحمن العمري الذي ولي قضاء مصر من قبل هارون الرشيد سنة خمس وثمانين ومائة انه كان لا يشدد باطراف الغناء على مغاني اهل المدينة وبرز كثيراً في مجالسه ولا يتحاشى ان يقول هذا غناء ابن سرح وهذا به الدلال وهذا من جيد غناء العريض ولم يكن بمصر مستمعة (لعلها مسمعة) الا ركب اليها بسمع غناءها وربما قوم ما انكسر من غنائها ويرى ذلك من الدين .

ومما كتب عن هذا القاضي العمري من القضايا في مسجد رث واستهدم فأمر ببنائه قوله : « بسم الله الرحمن الرحيم . هذا كتاب امر به القاضي عبد الرحمن بن عبد الله وهو يومئذ ولي القضاء بين اهل مصر في صفر سنة ثمان وثمانين ومائة بما ثبت عنده في المسجد الذي يقال له مسجد عبد الله الذي بالظاهر قبلة الطريق الاعظم الى المسجد

(١) هكذا وردت في الكتاب ولم يعلق عليها ناشره والاقراب انها « براءة ذمة » وكذلك سقط فيما نحسب « اما بعد » قبل فأعطوا

الجامع ويحويه الطريق الذي يسلك الى سوق بربر وشرفه السويقة التي يقال لها سويقة
 مسجد عبدالله علي طريق الموقف وغربه الطريق الذي يسلك منه على الجب الذي
 يقال له جب عبدالله حين رفع الى القاضي عبدالرحمن بن عبدالله نفر من جيرة هذا
 المسجد ان هذا المسجد قد رث وخيف عليه لانكسار خشبه ومعقفه واحتاج الى العارة
 والمرة وانهم قد وجدوا من احتسب في اصلاحه وبنائه وتصيير حوائث تحته في
 حقوقه ليكون غلتها مرمية لما استمهد منه وفي زبته وحصره وأجر مؤذنه وشأه كله .
 فسألوا القاضي عبدالرحمن بن عبدالله ان يأذن لهم في ذلك فدعاهم بالبيعة على ما ذكروا
 واقاموا بيعة وعدلوا عنده وقبل شهادتهم فشهدوا عند القاضي عبدالرحمن بن عبدالله
 ان هذا المسجد الموصوف في صدر هذا الكتاب خيف على سقفه من قبل خشبه واحتاج
 الى العارة والمرة في جدره وان اخجنه التي حوله وما تحت هذا المسجد ليس لاحد فيه
 حق وان الذي طلب عمارته وبنائه واصلاحه وتصيير حوائث تحته في حقوقه ومرة
 ما استرم منه وفي زبته وحصره وأجر مؤذنه وغير ذلك من نوائبه منفة للمسلمين ممن صلى
 فيه وان ذلك ليس بضرر على احد وبعث القاضي عبدالرحمن بن عبدالله نفراً ممن يثق بهم
 فنظروا الى المسجد الموصوف في هذا الكتاب فرفعوا اليه مثل الذي شهد من الشهود في
 هذا الكتاب فلما ثبت عند القاضي ذلك رأى ان يأذن في عماره هذا المسجد الذي وصف
 في هذا الكتاب وبنائه واصلاحه وتصيير الحوائث التي ارادها تحته في حقوقه ليكون
 غلتها في مرمية ان احتاج اليها وما يصلحه في زبته وحصره وأجر مؤذنه وغير ذلك من شأنه
 ويكون فضلاً (؟) ان فضل من غلتها في وجوه الخير . ورفع الى القاضي عبد الرحمن
 ابن عبدالله ان هذا المسجد الموصوف في هذا الكتاب قد اصلح وفرغ من بنيانه
 وحوائثه واتوا بشهود يقال لهم عبدالصمد بن سعيد وعمرو بن اسماعيل بن عمر . الابلي
 ومحمد بن سليمان بن محمد فشهدوا عند القاضي عبدالرحمن بن عبدالله ان هذا المسجد
 الموصوف في هذا الكتاب كان اخاف سقفه من قبل خشبه واحتاج الى العارة والمرة
 في جدره وان كل ما كان تحت هذا المسجد وما فوقه والثلاثة الاخجنه التي كانت حوله
 ملصقة به ان ذلك كله من حق هذا المسجد وحدوده ليس لاحد فيه حق ولا
 دعوى ولا طلبه بوجه من الوجوه وان المجالس التي كانت حول المسجد خارجة منه
 كان يؤدي من يجلس فيها الكرى الى من يقوم بامر هذا المسجد انها على حالها لم
 تدخل في المسجد ولا في حوائثه وعدل الشهود عند القاضي عبدالرحمن بن عبدالله

فقبل شهادتهم وسأل القاضي عبدالرحمن بن عبدالله من حضره من جيرة هذا المسجد الموصوف في هذا الكتاب ان يكتب لم ما ثبت عنده فيه كتباً يضعها عند من يرى ليكون ذلك حجة وقوة وان يولى القيام به رجل من اهل الثقة فولى القاضي عبدالرحمن ابن عبدالله السكن بن ابني السكن القرسي النيام بامر هذا المسجد الموصوف في هذا الكتاب واكرأ حوائثته وان ينفق من كرائها ما رأى من زيته وحصره وأجر مؤذنه ما يحتاج اليه في امره كله وينفق بقية ان بقيت من كرائه حيث رأى من وجوه الخير وجعله في ذلك اميناً وامره بتقوى الله وطاعته والعمل في ذلك بحق الله عليه وانفذ القاضي عبدالرحمن بن عبدالله ان يكتب هذا الكتاب نسخاً تكون وثيقة في هذا المسجد الموصوف في هذا الكتاب فكتب ودفع منها كتاباً الى عبدالله بن وهب بن مسلم القرشي وكتاباً الى حجاج بن سليمان الحميري وكتاباً الى ربيعة بن الوليد الحضرمي وكتاباً الى شعيب بن الليث بن سعد الفهمي وكتاباً الى ابني رجب العلاء بن عاصم الخولاني وكتاباً الى عمرو بن يزيد الفارسي وكتاباً الى ابني زرارة الليث بن عاصم القتباني وكتاباً الى عبدالصمد بن سعيد الانصاري وكتاباً الى محمد بن سليمان بن فليح وكتاباً الى الاسقر عبد الملك بن مالم وكتاباً الى السكن بن السكن المقيم بهذا المسجد وكتاباً الى محمد بن سليمان بن محمد بن عبيد وكتاباً في ديوان القاضي عبد الرحمن بن عبد الله اشهد القاضي عبدالرحمن بن عبد الله الشهور المسلمين في هذا الكتاب انه ثبت عنده ما في هذا الكتاب وامر به وانفذه على ما سمي وفسر فيه وذلك في صفر سنة ثمان وثمانين ومائة هـ .

ومن نكت الكتاب قوله: اخبرني ابو سلمة وان قديداً عن عيسى بن عثمان قال كان زي اهل دهر وجمال شيوخهم واهل الفقه والعدالة منهم لباس القلائس الطوال كانوا بالقرن فيها فابصرهم ابن ابني الليث بتركها ومنعهم لباسها وان يشبهوا بلباس القاضي وزيه فلم ينتهوا . قال ابن عثمان فجلس ابن ابني الليث في مجلس حكمه في المسجد واجتمع اولئك الشيوخ عليهم القلائس فاقبل عبد الغني ومطر جميعاً فضرب رؤوس الشيوخ حتى القوا فلا نسهم قال واخبرني محمد بن ابني الحديد حدثني عتبة بن بسطام قال رأيت قلائس الشيوخ يومئذ في ايدي الصبيان والرعاع يلعبون بها وكانوا بعد ذلك لا يدخلون الى ابن ابني الليث ولا يحضرون مجلسه في قلنسوة . واذ لنا اسمعيل بن اسحق بن ابراهيم بن تميم للجمل واخفت ايام الطوال واهلها فرموا بكل طويلة لم نقصر . مازلت تأخذهم بطرح طوالم والمشي فحوك بالرووس الحسر

حتى تركتهم يرون لباسهم بعد الجمال خطيئة لم تغفر
 يثفرون بكل قطعة خرقه يجدونها من اعين ومخبر
 فاذا خلاهم المكان مشوا بها وتأبطوها في المكان الاعمر
 فلئن ذعرت طولهم فاطال ما ذعرت ومن مروا بها لم يذعر
 كانوا اذا القوا بهن لمفضل امضى عليه من الوشج الاسمر
 كم وسر افقرته كم مفقر اغنيته من بعد جهد مفقر
 ما ان عليك لقيت منهم واحدا او في العجاج مدججا في منفر
 لبسوا الطوال لكل يوم شهادة ولقوا القضاة بمشية يتدختر
 مالي اراهم مطرقين كأنما دمغت رؤوسهم بجعى خير

— — — — —

اخبار وافكار

طول الحياة

نعرب للقراء في الموضوعات المعضلة كل ما نعتز عليه في الجلات الافرنجية واكثرها مما لا نعيد فيه ولا نبدى وآخر ما قرأناه للدكتور نوفيل في المجلة الباريزية المقالة التالية :
 لما نشر خريستوف هوفلاند الطبيب سنة ١٧٩٦ في اينا اول طبعة من كتابه علم اطالة الحياة الانسانية ترجم كتابه الى جميع اللغات حتى العبرانية فهبت على الامم نسائم من روح الرجاء في هذا الباب . فقد كان العلم يبحث عبثا منذ القدم عن حل لهذه المسألة في الحياة واتقاذ الجسم من ضربات الامراض والهلاك ان لم يكن انقاذا ابديا فلا اقل الى اجل معين واهماد المسافة بين المهد والحد على الجملة . وكمن احلام تصورها عقول علماء متافع الاعضاء في القرن الماضي فذهبت تصوراتهم ادراج الرياح وظل البشر لا يعرفون ما يحتاجوه لهم الغد من الافدار على الحياة . بيد ان هوفلاند فتح للدروس الحياتية مهجا جديدا باثباته ضرورة الجري في الحياة على قواعد مقررة في علم الصحة الطبيعية والاخلاقية التي ابان حقائقها وسن طرائقها الى انه لم يبد الا قوانين نظرية استند فيها الى معلومات مختلف في نتائجها من حيث الاسباب الحقيقية في الموت والمبادي الاولى في علم الامراض وطبائعها وعلاها « الباثولوجيا » : ولم تكن الطرق التجريبية قد

احدثت وكانت اعمال المعامل الكيماوية محصورة في نطاق ضيق وعلم الجراثيم المرضية غير معروف

جاء لوانهوك في القرن الماضي وقال ان في احشاء الانسان والحيوان احياء دقيقة اكتشفها بعض الاكتشاف بواسطة عدسية مكبرة ثم قام معاصر هوفلاند من رجال الدانيمرك الطبيعى مولر واستخدم المجهر الذي ترى به هذه الاحياء الضارة على جليتها واتم اهرنبرغ سنة ١٨٣٣ هذه الابحاث وابان بعض خصائص النقايعات على اختلاف ضرورها ولكن كل ما عرف الى ذاك العهد لم يكن شيئاً مذكوراً بالنسبة للارتفاع الذي ارتقاه علم الجراثيم .

فكان باستور مبدأ الدور الحقيقي لعلم الجراثيم الذي كان هوفلاند واتباعه اوضحوا مقدماته فقرر ان لبس للحياة العدو حقيقي واحد شديد العداوة مخادع مهلك يبحث لا يكاد يقع تحت اليد ونعني به تلك الحلمة الطفيلية التي تبث بالمرض على اختلاف ضروره وتتمدد على الدوام بارسالى رسل الحمام الى الاجسام بحيث بات يرجى ان يتوصل البشر ذات يوم بالقواعد التي سنها ويسننها العلم ان يتيسر للناس انقاء الازواج خفيفها وشديدها . وهذه الاماني قد تحققت منذ نحو نصف قرن قليلاً قليلاً حتى لقد طال معدل الحياة الانسانية خمس سنين في الذكور وستاً في الاناث

ففي الجداول التي اخذت من الاحصاءات الأكيدة في العالم القديم والحديث ان في كل ١٠٠ وفاة ٤٢ لم تنكح تحدث لو عمدارباها الى المداواة في الزمن اللازم لها وان نصف الامراض لا تنشأ الا من جهل المصابين بها وعدم حيطتهم وقلة المعرفة في تطبيقهم او الاهمال الذي يفهمهم . ولو كتب لا ٤٢ وفاة في المئة ان ينبغي من امراضهم لطال معدل الحياة في الجنسين خمس عشرة سنة . وهذا التقرير لا يدخل فيه التعديل الذي وقع في اسباب التطهير وان كان مختلفاً في بعض الاحوال ولكن نشأ عنه من عدة وجوه منافع عظيمة ويجب النظر الى الامراض التي يظن انها عضالة اليوم وربما كانت في المستقبل مما يمكن تلافيه قبل الوقوع فيه ثم ان سن الثمانين التي يصاب صاحبها بالضعف لا محالة ويصبح في انتظار القضاء الالهي عليه قد خف تأثيرها بما قرره من شتكوف من ان الشيخ مريض يستطيع ان يحتفل جذلاً بمرور المئة سنة على ولادته ولذلك امثال كثيرة . قال الدكتور فيشر من كلية يال ان طول الحياة في ام عواصم اوربا كانت كما يلي : طالت الحياة في انكلترا من سنة ١٨٨١ — ١٩٠٠ ١٤ سنة في الذكور و ١٦ سنة

الاناث وفي فرنسا كان معدل طولها من سنة ١٨٨١ - ١٩٠٣ - ١٠ في الذكور و ١١ في الاناث وفي المانيا من سنة ١٨٧٧ - ١٩٠٠ كانت الزيادة ٢٥ - مرة للذكور و ٢٩ للاناث وفي الدانيمرك طال معدل الحياة في مدة ٥٧ سنة ١٣ سنة في الرجال و ١٥ في النساء وفي السويد طال المعدل ١٧ في الرجال و ١٥ في النساء خلال ٦٧ سنة ٠ وظلت مدة الحياة خلال ثلاثين سنة في بلاد الهند على وتيرة واحدة ٠ وهذه النتائج هي ولا جرم ابنة علم الصحة وقد رقي هذا العلم جداً في المانيا وفرنسا وانكلترا وهو من ان في ما يكون في بلاد الهند ٠ واستنتج الدكتور فيشر من ذلك ان ابن اليوم يعيش اكثر من اجداده على الرغم من كثرة عمله وشدائده فقد كان معدل الحياة في القرن السادس عشر ٢١٦٢ والقرن السابع عشر ٢٥١ وفي القرن الثامن عشر ٣٣٦٦ وفي القرن التاسع عشر ٣٩٠٧ ولم يزد معدلهما في هذا القرن العشرين ٠

وهذا التقرير قد قدم الى اللجنة التي عينها مجلس النواب في الولايات المتحدة فهو بمثابة مستند رسمي مهم للغاية ولكي ما في احصاءاته من النظر ببعض الاحايز فان المقابلات بين الحالة الماضية والحاضرة التي حوته تجعل له مقاماً واهل السويد اطول البلاد اعماراً واقصرها الهند وبعبارة أخرى معدل الحياة فيها وهاك جدولاً آخر في طول الحياة عند

الام المختلفة

المملكة	احصاء	ذكور	اناث
السويد	١٨٩١ - ١٩٠٠	٥١٦٩	٥٣٦٦
الدانيمرك	١٨٩٥ - ١٩٠٠	٥٠٦٢	٥٣٦٣
فرنسا	١٨٩٨ - ١٩٠٣	٤٥٠٧	٤٩٦١
بريطانيا العظمى	١٨٩١ - ١٩٠٠	٤٤٦١	٤٧٦٧
الولايات المتحدة	١٨٩٣ - ١٨٩٧	٤٤٦١	٤٦٦٦
ايطاليا	١٨٩٢ - ١٩٠٢	٤٢٦٨	٤٣٦١
المانيا	١٨٩٩ - ١٩٠٠	٤١٦٠	٤٤٦٥
الهند	١٩٠١	٢٣٦٠	٢٤٦٠

وهذه الارقام تختلف باختلاف الحالة الجوية والاجتماعية وان كانت عبارة عن تقديرات اخذت في اوقات تكاد تكون متقاربة ويختلف معدل الحياة ايضاً اذا نظرنا الى البلاد التي يهاجر منها اهلها او يهاجرون اليها فانه بطول ويقتصر على نسبة الاختلاف

الذي يعرض لصحة المتقنين من الادميين و يقول فيشر ان الراحة والسعادة تعطيل حبال الآجال لاجرم ان من بلغوا المئة من الناس لم يكونوا كلهم اغنياء ولكن من لم يحرموا شيئاً من اسباب الراحة هم اقرب الى طول الاعمار من الفقراء فترى الموت اقل حركة في احياء الاغنياء في باريز منه في احياء الفقراء والفاقة

ولا يخفى ان الرجل او المرأة الذي هو بمن من الحاجة يطعم الطعام الجيد ويلبس اللباس الحسن وينزل المسكن الصحي ويمتنع عن كل ما يؤذي صحته هو اقل عرضة الامراض من التمس الذي لا يجري على نظام مطرد في معيشته ولا يكتسى كساءً واثقاً ولا يتناول الطعام الذي يسد جوعته وينزل على الدوام في منازل فطرة غير طاهرة . والامثلة على ذلك كثيرة في المدن الكبرى لان عملة المعامل يعيشون بالقرب من الطبقة العليا والوسطى حيث الرفاهية .

وانك لتري اكفان الموتى تخرج من بيوت الحاويج في غلاسكو اكثر مما تخرج من بيوت سادت فيها الدعة والبغطة . ويكون المالكون في نيويورك وسائر المدن الصناعية الآهلة بالسكان على نسبة ما يتعاطون من الصناعات ويكون طرز معيشتهم في بيوت من التجار وارباب الصناعات ١٢٦١ في الالف ومن المستخدمين والموظفين ١٣٦٥ ومن ارباب الصنائع الحرة ومن العملة والخدمة ٢٠٠٢ ومن الصناعات ما يهلك به اربابها كثيراً كالصناعات التي ينبعث عنها غاز متواصل او روائح نتنقز منها النفس وان الدوام المتواصل على تطهير الاماكن والمدن قد ادخل الطمحة الى حيث كانت مفقودة اقليلاً فنشأ من ذلك ان الارقام التي يوردونها بالقياس الى زمن لتغير كثيراً في كل احصاء يقع في الخمسين سنة .

وهكذا نرى ان معدل الموت في خمس وعشرين سنة نزل في برلين من ٣٣ في الالف الى ١٦ وفي مونيخ من ٤١ الى ١٨ وفي واشنطن من ٢٨ الى ١٩ وفي نيويورك من ٢٥٤ الى ١٨٦ وفي اليابان حيث لا يجري احصاء الا في كل قرن كان معدل الموت ٤٥ في الالف فأخذ يختلف بين ٢٠١٤ و ٣٢٦٦ وبدعي ان العوارض والحوادث التي تصيب الحياة فينشأ عنها هلاك كثيرين للحروب والمصائب والفتن وغير ذلك قد يكثر بها معدل الموت ولكن ذلك لا يضر في هذه الاحصاءات لان الميعاد اكثر من الخسارة

والربح نشأ بالعلم لان الاولاد كانوا في الماضي يموتون كثيراً بفضل الوسائط الصحية

الجديثة صاروا يرجون البقاء أكثر من اجدادهم ولطالما كان الخناق والحجارة والتواء الاعصاب والسعال وغير ذلك من امراض الطفولية تهلك الاولاد فلما اخترع المصل والطعيم وطرق التدوي الحلقية وارتقت الجراحة وكثر استعمال الكوكابين والديجيتالين ومضادات السميات ومضادات الفساد والمورفين خلصت نفوس كثيرة من الموت

وكان السل في الدهر الغابر يبر من الامراض العضالة فاصح وان كان يهلك به كثير من الى اليوم من الامراض التي يتأتى التوفي فيها وما برح يعصي على العلم ويقضي على اكثر من يقضي عليهم الجدري والحمل التيفوئيدية والخناق والسرطان والزائدة الدودية والتهاب السحايا واذا خضعت العناية بالصحة يرجى ان يقل عدد الهالكين بالسل ٧٥ في المئة لاسيما في مسائل العدوى منه والنجاة منها وهكذا الحال في ذات الرئة التي تكثر بكثرة تناول المشروبات فيهلك به ١١ في المئة من الناس واذا تركت اسبابه ينزل معدل الهالكين به كثيراً والحمل التيفوئيدية قد قل الهالكون به منذ شرسنين ومتى عرف الناس كيف يتعامون الماء الملوأ وبيعدون عن لسع القباب لبشرانهم لا يبقى له اثر في الوجود . وسيكون كذلك نصيب الحمل القرمزية التي كادت تكشف جراثيمها ومثل ذلك الجدري متى وقع تطعيم الناس كلهم وقد كان الناس في القرن الثامن عشر يموتون به قبل جز (طيب انكليزي اخترع الطعيم) كثيراً بحيث لا يقل الهالكون عن ٥٠ مليوناً ولا يزال يموت به قلائل جداً . وبذلك عرفت ان بعض الامراض العادية يمكن انتاؤها بشائناً وان غيرها يقل الرجاء في شفائها مثل التهاب البريتون والسرطان وربما اخترع العلم لها ادوية تستأصلها من النك بالبشر كما استأصل غيرها من الاوضاع والالوجاع

وقال جان فينو في كتابه فلسفة طول العمر ان الخوف من الموت كثيراً ما يهلك المرء قبل الاوان فان المرء اذا بلغ قدراً من العمر يأخذ يتوقع الحمام كل ساعة ويزهد في الحياة فتسوء تغذيته ونومه ويجلب بيده رسل الهلاك فلهذا بالبعين والثمانين المئ في المئة سنة لاحالة وقد جرى كثير من الشيوخ على هذا النمط في الحياة فكانت النتيجة ان بلغوا المئة بصحة ونشاط ومن ارهبه تصور الموت يموت فيكون قد اخضع على امته شيئاً من حقوقها فيه وانهمر بها ضرراً اقتصادياً ففي مليون ونصف من الموتي كل سنة يمرض ثلاثة ملايين ينقطعون عن الاعمال فيضرون بلادهم وذويهم مثال ذلك انك تجد في الولايات المتحدة ٥٠٠٠٠٠٠ مصاب بالسل نصفهم لا يعملون عملاً اصلاً والنصف الآخر

يعمل نصف عمل وفي هذه الولايات ايضا نحو هذا القدر من المصابين بامراض في اجسامهم اتتهم من الاعمال التي يهاطونها والرجل الصحيح في الجملة يضرب عن العمل خمسة ايام في السنة لوقوعه في امراض عادية كالصداع ووجع الفرس والزكام فيضرب بذلك الحالة الاقتصادية فلو عرف كل امرئ واجباته نحو المجتمع لما اتى ما يضر بصحته بثاناً ورأى ذلك من فروض الادبية والحكومات والبلديات والمشرعون مسؤولون عن كثير من الامراض التي تحدث من المسكرات والدخان لان الافراط كثيراً ما يؤدي بصاحبه الى القبر . والحكومات في الغالب تنشط هذه الاصناف من المكيفات مخافة ان تصاب ميزانياتها بنقص في الديون العمومية او انحصار الدخان .

ولم تنتظم اساليب العمل في المعامل والمصانع الا منذ زمن قريب وكذلك لم تحدد اعمار العاملين والعاملات من البنين والبنات ولم ينظر في تقليل ساعات العمل والراحة الاسبوعية وبعض الامتيازات الا في بعض البلاد حصوات عليها تقابات العمال من المجالس النيابية بالوسائل الكثيرة .

وانهاك القوى وعدم توفر اسباب الراحة والصحة في المدارس وغير ذلك من اسباب طول الحياة لم ينظر فيها وزراء الامم ومجالس معارفها الا منذ عهد قريب وكذلك كل ما يوفر على البالغين قوتهم فقد اطلقت الحربية المفرطة للناس بعملون ما يشاؤون حتى اكبد الدكتور فيشر ان ٥٠ في المئة يفقدون ١٠ في المئة من قوتهم الحيوية لانهم يسبتون استجمالها ولا يقتصدون فيها فن هذا الافراط يورث صاحبه اولاً اضطرابات عضوية ثم يفتني بامراض عضالة يعقبها الموت لا محالة

وبعد فان الواجب لاطالة الحياة ان تراعى قواعد الصحة كل الرعاية فلتطويل حبل الاجل ينبغي انهاء الامراض على اختلاف ضروبها وعدم التعرض لاقبل الاوجاع اذ ربما كانت مقدمة للعظيم منها والحياة اشبه بسفينة لا تنجو من تأثير الانواء الا اذا كانت متينة من الاساس الى الرأس فالواجب على الابوين والمجتمع ان ينميا بصحة الطفل منذ الولادة على الاجل والصحة وان لا يسمحوا بزواج المجانين والمدمنين كما يفعلون في ولاية انديانا فان الحكومة تحظر هناك كل الخطر زواج المتهوين وقدماء السكيرين وكل من يخشى ان يكون تسلمهم ضعيفاً هنبلأ وتشدد في ذلك كل التشديد ولا تغفر في ذلك عن احد وليس معنى هذا ان يسن قانون يسمح به للوالدين ان يعلقوا من اولادهم كل من لا يرجى فيه ان يعيش بقوة كما كانت الحال عند بعض القدماء ولكن العناية يجب ان

تصرف بحيث يقوى بالاساليب المختلفة كل طفل ضعيف وبأقوى منه ممر حسن البنية نافع في المجتمع

لمعدل الحياة دوران الاول الطفولية والثاني الشيخوخة فالاولاد قد يعتنى بصحتهم في السنين الاولى من حياتهم اكثر مما يعتنى الشيخوخة فلو طبق هؤلاء على انفسهم نظام الصحة وطردوا من رؤوسهم الازهام لطالت اعمارهم ورجى لها الهناء كما يرجى للاولاد واحد - من ما يجب في هذا الباب الرياضة الجسمية والحياة في الخلاء والابتعاد عما يهلك القوى

والموت يرصد الاقوياء والضعفاء على السواء وكل سبب صحي ينفع الاولاد ينفع الشيخوخة لا محالة . حقيقة يجب ان نتمثلها جميع العقول ابدأ وان تذكر في البيوت امام الصغار والكبار يأخذ كل فرد نفسه بمراعاتها ولن تعرف حسنات المدنية الا متى رأى كل انسان من واجبه ان يعين على ابطال مقاومات الحياة في كل صقع وناد . و يعلم الناس اجمع ان الحياة مسعود سلمته الطبيعة الى ايدي الانسان وعهدت اليه انقاذه وتثمينه والانتفاع به وقيمة الطفل فالبائع فالشاب فالكهل فالشيخ فالمرم في الاقتصاد هي هكذا :

سن	قيمه الاقتصادية
من الولادة الى سن الخامسة	٤٠٠ فرنكاً
من ٥ الى ١٠	٤٠٠٠ ف .
من ١٠ الى ٢٠	١٠٠٠٠ ف
من ٢٠ الى ٣٠	٢٠ الى ٣٠ الف ف
من ٣٠ الى ٤٠	١٠ الف ف فنازلاً
من ٤٠ الى ٥٠	٣٠٠٠ فرنك فنازلاً

بمعنى انه كلما زادت سنة في حياة الفرد أو اشهر تزيد ثروته المجموع وسعادته، وهناؤه والله يعلم وانتم لا تعلمون .

اشجار الغابات

نشر في انبركا كتاب مهم للغاية يخدم دروس تربية اشجار الغابات خدمة عظيمة وصف فيه مؤلفه المستر دوير بجلاء تام جميع عطور العالم منسقا لها احسن لتسيق وقد صرف المؤلف خمس عشرة سنة متوالية في تأليف مصنفه فزار الحدائق والفارس وغابات

العالم بأسره وبحث في خزائن الكتب عامة، مثل مكتبة باريز ولندن وبرلين وپترسبورج ولیدن ومدرید وفلورنسة وعشرين غيرها . وسيكون تأليفه خمس مجلدات ظهر الاول منها وسيكون الاخير فهرساً عاماً وتكتب الاصطلاحات بعدة لغات ومنها اليابانية والافادات التي حواها الكتاب قد استلزمت اجحاثاً عظيمة بذل الجهد الجيد في الحصول عليها فانك تسقط في هذا المصنف على ما لا يخاطرك ببال من الاستعلامات ومنه تدرك مثلاً ان في ايطاليا ٢٥٠ حديقة للنبات وان النباتات التي وصفها هوميروس وفرجيل صالحة وان دانتى وسرفانتس وشكسبير قد عبروا احسن تعبير عن عامة الزهور التي تكثراً عليها وكان للشعراء اشجار يستحسنونها وذكرها كان يستحبه منها كيني وشيلر وفيكتور هوغو ولامارتين وغيرهم من كتاب الامم . وفي هذا السفر افادات مهمة عن رموز الغابات ولغة الاشجار والاشجار المشهورة .

البلاط الصناعي

جر بوا في همبورغ بلاطاً جديداً اصناعياً وهو يحتوي على محلول كلورور المغنيسيا اضعيف اليه مسحوق المغنيسيا ايضاً ونشارة الخشب يجفف فتأتي منه طبقة غليظة للغاية ومتينة كالخشب تحفظ الحرارة اكثر من البلاط الطبيعي ومنظره يشبه الفسيفساء .

المدفع الهائل

انشأت انكلترا مدفعاً بحرياً جديداً قطره ٤٠٦ امتار مربعة ويقذف ١٠٨٠ كيلو منها ٦٣ كيلومتر من المواد الملتبئة الى مسافة ٢٦ كيلومتراً وقذائفه تخرق اعظم بوارج ذريذنوت المصفحة . ويعمل الاميركان مدفعاً يقذف مقذوفاته الى بعد ٢٦ كيلومتراً وقذائفه ١٢٠٠ كيلو فيها ٧٠ كيلو مواد منفجرة

السنور

كان للسنور في كل زمان شأن واجي شأن فكان العامة يكتسبون بفروه في القرون الوسطى بالغرب واصبح فروه بمجودة تحضره العالمي من احسن ما يلبس وقد اخذ هذا العهد فرو الكلب ينافس فرو الثعلب في اسواق التجارة . ويرغب الصيادلة في فرنسا وفي الغابة السوداء في اقتناء السنابير البرية ليتداوى بها المصابون بداء المفاصل . وكان للقطط قديماً موقع مهم في اعياد الشعب يستعملونها في ملاهيهم فيعاقونها على الذبح وينظرون الى المهاوي تخرق وكان بعض الامم يعتقدون ان دفن قطط حية في اساس بناية تعرف بها بمائة البناء . وكان ينظر الى القطط السوداء عندهم بان فيها سراً من

السحر . وكان المصريون ينظرون الى القطط بانها حيوان مقدس والمسلمون والهنود يحترمونها كل الاحترام . وقد صورها المصريون في كل عصر وعنوا باخراجها من اماكنها المختلفة . وللقطط منافع عظيمة في قتلها الجرذان والظاهر انها تنبأ بالمطر يعرف ذلك من انتفاشها وتنظيفها ووبرها ووضعها رجلها على اذنبا .

المدن العظمى

ليست الحواضر والعواصم ابنة اليوم وتأسس ساعة فقد تنبأت العصور السالفة بما سيكون من شأن المدن العظمى فكانت بابل مدمرة وعدد سكان رومية في القرن الثاني مليون نسمة وكان في قرطاجنة دور ذات سبع او ثمانى طبقات وقد سن قانون في رومته على عهد قزوف لمنع تغطية الجور بالابنية وكان سكان ميلان في القرن الثالث عشر ٢٥٠ ألفا فضاقت المنازل بسكانها فاخذوا يفكرون في التخلص مما صارت اليه حالتهم وكان معظم الشعب يسكن في ثكن عظيمة

لا جرم ان سهولة المواصلات الحديثة واختراع السكة الحديدية قد دعت الى هجرة الناس من الارياف والمزارع الى المدن والعواصم وكلما كبر حجم مدينة زادت اقدام المهاجرين اليها ففي المانيا زادت القصبات المحتوية على الف نسمة من سنة ١٨٧٥ - ١٩٠٥ مرة ونصفا في المئة والمدن المتوسطة التي فيها ٢٠٠ الى ١٠٠٠٠٠ زادت ٣٤ في المئة والمدن العظمى التي فيها ثلثمائة الف ٣٠٠ ضعف في المئة واكثر ولا ميركا التمدح المثل في انشاء المدن الحديثة فلم يكن في شيكاغو سنة ١٨٣١ سوى ١٠٠ ساكن وها هي الآن وفيها مليونان ساكن . وفي المدن الحديثة يخرج السكان من وسط المدينة لتحل محلهم البيوت التجارية . وكانت المدن في القرون الوسطى ذات زوايا مخططة وشكلها اليوم على شكل النجم ويصل كل يوم الى مدينة اندرا اربعمائة الف انسان من الضاحية ولها خمسون كيلومترا من الخطوط الحديدية للضاحية فقط ومدينة نيو يورك مثال نقاط الاتصال في المدن فان محطة خطوط هودسون بنائة ذات ٢٢ طبقة فيها ٥٠٠٠ نافذة واتساع رقعة المساكن وازدياد عدد السكان في المدن العظمى ينمو آ آ الدوم بنمو المواصلات وتسهيلها

الصحافيون والادباء

لم يكن الصحفيون في اوربا اصحاب اعتبار عند رجال الادب في اوائل القرن الثامن عشر ولما لما كان الفيلسوفان روسو وديدرو يشجعان عليهم وكان الشعراء

فافر اذا جرى ذكر الصحافيين بغناظ ويشتم ولقد تردد بريسو كثيراً قبل ان يدخل سلك الصحافة المخطط وما العلة في مقت الصحافة اذ ذاك الا لانها كانت توسع مجالاً كبيراً لنقد الكتب الحديثة وكان الصحافيون نقاداً لا يبينون حسنات الكتب المؤلفة بل يكتفون بايراد سيئاتها واذا حدث ان اثنوا على كتاب فلا يلفتون نظر الناس الى تلاوته ثم ان كتاب الصحف لم يكونوا من الطراز الاول بقراءتهم حتى ان جريدة العلماء في فرنسا التي كانت الى الجدة والفائدة ايل لم يكن بين مؤازريها من امتاز في العلم ولكن صحافة فرنسا خصوصاً دخلت عليها بعض تعديلات من سنة ١٧٥٠ الى ١٧٨٠ ولما عمت أصول الدعوة ونشر الافكار رأى الصحافيون ان جرائدهم احسن الوسائل للتأثير في نفوس الامة وهكذا اتسم أفتى الصحافة حتى غدا بعزها اليوم من كان ينقز منها امس واصبح مؤازروها في الغرب يتأهلون بمقالاتهم فيها لاعلى المناصب العلمية والسياسية

النفس الاسبانية

كتب احد من اقاموا طويلاً في اسبانيا مقالة في « المجلة » الفرنسية وصف بها اخلاق الاسبانيين فقال انهم اقاموا بينهم وبين اوربا سداً كسد الصين عاشوا وراءه بمعزل عن معظم ما في ديار الغرب من مرافق الحياة واسباب المدنية وهم يفخرون باعتزالهم هذا وقل ان ساح احدهم الى فرنسا وانكثروا او ايطاليا اللهم الا اذا كان من الاسبانيين نزلاء بونس ايرس عاصمة الجمهورية الفضية واذ للجهل الذي عم الطبقات هناك الا قليلاً تروي جرائد اسبانيا عن ممالك اوربا اواماً وحرافات اشبه بما يروى عن بلاد الواق واق وأجوج وأجوج ولذا ترى صحفهم حتى الراقية منها مملوءة بالمطاعن فيمن يدعو قومه الى الاخذ عن الفرنسيين او عن الانكليز في الحضارة لان الاسبانيين موقنون بان عندهم كل شيء

دل التاريخ على ان اسبانيا زلتها امم مختلفة منهم التارتاريون واللوذيتانيون والابريون والسليونيون والقرطاجيون والرومانيون والويزغوتيون والعرب والجيثانيون وان كل هذه الامم صارت شيئاً من اخلاقها وعاداتها لم تطلع اسبانيا الى الحياة انتمزحها بعضها الى بعض (حدث في الممالك الاسبانية وعناصرها) لا غترزال كل فريق في صقع اصقاع البلاد لا يخاطب غيره ويرى انفسه في عزلة . ويقال على الجملة ان اهل اسبانيا من حيث التركيب الطبيعي والاخلاقي ينقسمون الى اربعة اقسام وهم الباسكيون في الشمال والقسثاليون والاراغونيون في الوسط والكتالانيون في الشرق والاندلسيون في الجنوب . والاندلسيون

من اجل الاجناس واطولهاقامات واحسنها تراكيب ولا سيما سكان الوادي الكبير الذي كان له شأن على عهد العرب وفيه سيرانيفادا تغلب النخافة على السكان وتظهر فيهم السحنات العربية كل الظهور . وفي اهل الاندلس من الافراط في الحرية والتساهل في الاخلاق مالا تجد له مثيلاً في الإصقاع حتى لقد يكثر فيهم الفحش واولاد النغول ويقل فيهم الزواج واقليم كاتالونيا هو الاقليم الوحيد في اسبانيا الذي دخل في الحياة الجديدة وتوفر اهلها على الزراعة والصناعة والتجارة مما ومن يذهب من قشتالة او الاندلس الى كاتالونيا فكأنه فارق الموت ودخل في طور الحياة وسينفض الكاتالانيون غداً باسبانيا كما نهض البيونيون امس بايطاليا

وذكر الكاتب ان الشحاذة في اسبانيا شائعة أكثر من جميع بلاد اوربا وان الشحاذين والشحاذات يطلبون الصدقات بسلاطة وقديدون الى من لا يعطيهم كأن لم جعلاً يتقاضونه من الغريب خاصة وربما رشق بعض الفتيات من لم به الزهن شيئاً بالحجارة . وتشكو الصحف الكاثوليكية من ضعف الاعتقاد في الافراد ولا سيما في الرجال وبسي الاسبانيون معاملة الحيوانات لقلة تربيتهم لا لشراسة في طباعهم الاصلية فانهم من اخضع الناس للقوة والاحكام يؤدون الانارات والخراج على صورة فاحشة ولا ينسون بنت شقة وقلم تعهد لم ثورة على الحكومة الا في كل قرن والمرأة غير موقرة كثيراً في اسبانيا كما هي في سائر اصقاع الغرب . قلنا ومعظم هذ الاوصاف نطبق على بلادنا العثمانية ولا عجب بعد هذا اذا رأينا مراكش لم تتأثر بالمدينة المغربية على قريبا من جوار اوربا فان اسبانيا وهي قطعة من هذه القارة كانت لصله الدين واللغة والجنس الى بالتشبه بالاوربيين .

اردياء النوم

كتب احد نطس الاطباء في مجلة الصحة يقول الظاهر ان لحالة المعدة دخلا كبيراً في النوم ومن المعلوم انه يحدث أرق بعد الهضم المتعذر او نوم ثقيل قليل الراحة فان الحركة وظائف الاحشاء دخلاً مهماً في اضطرابات النوم فالواجب ان تمتع عمق أصبوا بالارق المشروبات المخمرة وفي كثير من الاحوال يمنع عنهم الشاي والقهوة على ان استعمال هذين المنشطين اوائل النهار لا يضر بالصحة . اما المرضى المهابون بفقر الدم فانهم يشفون من الارق بنجلب التعاس الى جفونهم بان يقيلول وقت الظهر فتساعدهم قيلولة النهار على النوم نوماً هنيئاً في الليل وتجب للعنابة بفرف النوم فان من اعتادوا ان

يناموا في كل فصل والنوافذ مفتحة يؤكدون انهم ينامون نوماً جيداً يعوض اجسامهم ما فقدته في اتعاب النهار . والاستمواء من انفع ما يجلب الكرى الى عيون المورقين والمصابون ببعض الامراض العصبية وهم عرضة للأرق بكون لهم من العمل العقلي المنظم بعد راحة مطلقة قليلة نتائج حسنة فينامون نوماً هادئاً مقوياً يحتاج اليه اجسامهم

باريز ومسبقها

نشر احد هم في المجلة مقالة في هذا الشأن جاء فيها ان باريز كانت بعدد سكانها في سنة ١٨٠٠ ثاني عاصمة في العالم فكان سكانها نصف مليون ولم نفقها غير لندرا وسكانها مليون واحد ثم تجيء بعد باريز موسكو وما زالت احوال العمران تزيد وينبسط ظله حتى اصبحت في العهد الاخير مدينة لندرا وسكانها سبعة ملايين ومدينة نيو يورك ٤٧٦٦٨٨٣ ثم تجيء برلين وفيينا وطوكيو وغيرها من المدن ليس لها شأن في القديم يذكر فقد كانت في اوائل القرن الماضي اكثر مدن اميركا سكاناً مدينة فيلادلفيا وسكانها لا يتجاوزون ٨٩١ الفاً وهكذا زادت العواصم كلها بسكانها زيادة خارقة باريز لم تتجاوز الثلاثة ملايين في حين كان اللائق بها ان تكون ثاني مدينة بعد لندرا فاذا ظلت العاية بها فائزة لا تعمر ان تسمي بعد عقود من السنين من اصغر العواصم فنقل رغبات اهل الارض في بقعدها ولا تعود بلد النور وتنازعها في ثروتها التي يجلبها اليها السباح من القارات الخمس غيرها من العواصم الكبرى فستميل الى النزول فيها علماء باريز والمغتربين من ابنائها لكثرة ما تبذله لهم من المال وعندها تسقط هذه العاصمة سقوطاً مريعاً

ويرى بعضهم ان قلة الرغبة في نزول الحواضر واعتزال الناس على الاشتغال باعمالهم الزراعية في الترى والدمسكر هو خير للبلاد وابقى لان كثرة ازدحام الاقدام والانفاس مضرة بالصحة العامة والاحسن ان يتقاعدوا ولكن هذه النظرية تعالج بشيء واحد وهو ان تبذل العناية بانور الصحة اكثر مما تبذل الآن ويضاف الى باريز ما في ظاهرها من القرى والمدن بحيث تعد منها وحكومتها حكومتها لا بدفع ابناءؤها رسوماً (عوائد) ولا غيرها فتدخل في باريز تلك الحقول الواسعة والحراج الغناء في الضاحية ويساعد ذلك على تكبير ساعاتها العامة المفيدة في صحة السكان وبذلك تحفظ باريز مكانتها في اقطار العالم المتحضر لان ما تعده انكلاترا من العدد لمسنة بل لندرا من اعجب ما سمع ومن ذلك ادارة جر المياه اليها فانها تستكون كفيلاً سنة ١٩٤٠ باروا ستة عشر مليوناً من

السكان وكذلك ترى نيويورك ان سكانها سيتجاوزون سنة ١٩٤٠ احد عشر مليوناً . وهكذا ترى الافرنج يفكرون الى ما بعد عشرات من السنين ونحن نقول « ولك الساعة التي انت فيها »

مدارس المؤوفين

اذا عرض لاحد العملة عارض اثناء عمله كأن يفقد عضواً من اعضائه او ذراعاً او يداً او ساقاً او عينا فان بلاد الغرب تكفلت لمن أصيبوا بهذه العاهات ان تعلم ساعات يكسبون بها رزقهم في الباجيك أنشئت عدة مدارس لهذه الغاية بفضل مال جاد به احد محسنيها واسمه باستور من اعضاء مجلسها النيابي فيعلمون من نكبوا من العملة بفقد احد اعضائهم في زمن قصير صناعة تقوم بميشهم كالتجديد والمقوى . والمنافض (الفرشيات) ومما سمح الارجل مما يعمل على ايسر وجه بدون ان يكون عامله تام الاعضاء فيوزع الجدد لمبتورة اعضاؤهم بحسب قابليتهم على فروع مختلفة فمنهم من يستخدم في صنع السروج او منهم في الاحذية وآخر في الخطاطة وبعضهم في الاعمال الحسائية . وكل صناعة تجرى تحت نظر معلم اكبر يعين نوع العمل ويراقبه ويدفع اجوره بعد الثلاثة الاشهر الاولى من التعلم وتطول مدة تعلم الاجدم او الاكثع بقدر ما يستطيع استخدام اصابه او بعضها فقط فان من فقد السبابة (الشاهدة) يتعذر عليه العمل فتدبر صبره يتوصل الى استخدام ما يقوم مقامها من اصابه ومن فند يديه يتوصل الى ان يعمل بسرعة منافض للثياب وغيرها مما يشابهها وفي مونيخ و برنسدان ومهمبورغ من بلاد المانيا مدارس كثيرة للمؤوفين وانتشر هذا النوع من المدارس في الدانيمرك ويرد عهد انتسابها الى سنة ١٨٧٤ وقد بلغ عدد من انقذتهم من العملة بتعليمهم ما يلزمهم نحو ستة آلاف فمنهم من جعلت له ايد صناعية وآخر اذرة والنساء في مدارس المؤوفين في فرنسا يعملن علياً وكوات (اباجور) ونيجا

الزواج

تبين من احصاء وقع في لولايات المتحدة سنة ١٩١٠ ان فيها نوعاً عجيباً من الزواج تكون بشرته سوداء على اختلاط دمه بالدم الابيض فقد كانوا فيما مضى يقسمون الزواج الى اربعة انواع اكتورن Octoron وربع زنجي وخلامسي واسود وتكاد هذه المميزات الآن تفقد بنة ويحلها جنس يشبهها ليس هو الجنس الزنجي الخالص السليم بل مؤلف تأليفاً آخر يدخل في دمه الثلث من دم ايض ولكن لونه لا يشاهد محسوساً

ويوصف هذا النوع من الزوج بظهور لون جلده • وان لون الزنجي في لوزيانا وأوديان الجديدة لمشرب مشبع أكثر مما كان عليه لون اجداده قبل حرب الغاء الرقيق او من الزوج الوردين من افريقية وسواده يلم أكثر من زوج الكونغو وسببهاؤه افريقية ظاهرة بعض الظهور واشداقه كبيرة وشعره اقل صوفاً • ويصعب تعيين اسباب هذه الخصائص ولكن معظمها ناشئ من تغيير شروط الحياة • والزنجي الاميركي هو في العادة اقل قوة من الزنجي الاصلي واقل تمحلاً من الزنجي القديم • وزعم احد الباحثين في خصائص الزوج انه ربما لا يوجد في شمالي اميركا زنجي واحد يكون دمه خالصاً وان الزوج ليسوا زوجاً حقيقية وان جميع السود قد تبذلت دماؤهم وسخاناتهم • ومنذ تحرير العبيد الغيت الطريقة التي كانت متبعة في الزواج بانه لا يسمح الا بزواج المناسبين في القوة ولذلك ضعفت تراكيب الزوج الطبيعية • وشعر الزوج انفسهم بذلك حتى قل تزاوجهم بالبيض والهنود ولكن هذا النوع من السود قد تغلب اليوم ويرجي ان يعود بالتحسين مع الزمن الى سابقى قوته ورجوليته

كانون التبريد

اكتشف كراهام بل مخترع التلغراف ومصالح امور كثيرة في الطيارات السماوية اكتشافاً جديداً يتبدد به الانسان في شهور القيظ وهو داخل حجرته فصنع ما سماه كانون التبريد والجليد فكان يتبردها في شهر آب الماضي في مدينة واشنطن بينما كان الناس يضيئون من الحرارة ذرعاً وذلك بان صنع آلة عجيبة سهلة يتأق لكل امرئ ان يعملها بدون كلفة وذلك لان المخترع اذاع سرها ولم يأخذ بها امتيازاً كسائر المخترعات وهوانه وضع على اطار نافذة الغرفة مروحة على شكل المراوح المتعارفة لتحرك على الدوام بجري كهربائي ويتأق اخذ الجري من آلة المصباح الكهربائي فيحدث من ذلك زيج ليليل تحكم جريانه الى أنبوب واسع يدخل منه الى صندوق متسع بعض السعة تجعل فيه كتلة من الجليد ويخزق الصندوق خرقين يجري فيهما الجري الجليدي الذي ينشر في الغرفة التي تكون مغلقة ويكون من الهواء البليل الناشئ من المروحة والماء على الجليد رطوبة غريبة تنشيط النفس وتقوي الحس • ونظام هذه الآلة بثقة قليلة ولا تتطلب من انواع الاحتياط الا ان ينير جليدها كل يوم • وسيتوفر الاستاذ المخترع على بسط اختراعه أكثر من ذلك وادخال تعديلات عليه ليتمكن معها كل انسان من استعماله ويكون للفنادق ومحال القهوة حظ كبير من هذه الآلة الجديدة يبردون بها زبائنهم وضيوفهم

دروس السيسمولوجيا

السيسمولوجيا علم حديث الزلزلة فما من احد يعلم على التحقير اسباب الزلازل وكيفية انتشارها على سطح الكرة والاشارات التي يتأتى الانتباه بها للزلازل قبل وقوعها وهذه الابحاث لا تتم من تصاب بلادم بالزلازل تغادها هذه الاحداث الجيولوجية وتراوحها بل منهم الانسانية لانها تقاسي منها الاهاويل ولذا اخذ العلماء منذ ربيع قرن يبحثون في اسرار الزلازل وآخر مؤتمر عقد في منشستر ناب فيه كثير من اهل هذا الشأن في الامم ولا سيما من الممالك التي يكثرون فيها اجهزة ارضية فشرح احد الاميركان اسباب زلزال سان فرانسيسكو وشرح احد اليابان اسباب زلازل بلاده فتبين لي الجملة الآن ان الارض تهتز في اي نقطة كانت كل نصف ساعة على الاقل وتنبلي هذه الهزات غالباً في مناطق معينة فقد حدث في يابان منذ سبع سنين ٨٣٣١ زلزالاً اي نحو الف زلزال في كل عام وهي تحدث في محيط من الارض لا يتجاوز بضعة مئات من الكيلومترات المربعة ولكن الاهتزازات لنحو الى الارض كلها الى ابعاد نائية . وبعد ان اُصيب يابان بزلزال بوكوهاما في شباط سنة ١٨٨٠ اجمع رأي العلماء على ضرورة انشاء جمعية دولية تبحث في سر الزلازل واقامتها فعمامة الامم الى الاشتراك وفي المقدمة رويها وايطاليا . وقد اقترح احد اساتذة ستراسبورغ (المانيا) ان يقيم مكتب للزلازل يعمل بمائة وثلاثة وثلاثين قطراً مختلفاً على تبادل الملاحظات وينشر كل سنة فهرس بالزلازل وبمعنى بوضع مصورات الزلازل تكون مستنداً دائماً لوضع الاسلاك الجبرية وانشاء البيوت فتعين فيها النقط التي تخلو من خطر الزلزال وبفضل هذا العمل المشترك يظن بانه بات يرجى عمماً قريب ان يتنبأ بالزلازل قبل وقوعها ويحمي ما ينشأ عنها من المزار

الاسرة في اميركا

ظهر بالبحث والاستقراء ان نساء الولايات المتحدة ولا سيما من كان منهن من الاميركيات الاولى هن اقل النساء ثناءً وان غير الاميركيات من تزييلات الولايات المتحدة هن اكثر ثناءً وفي مقدمتهن المرأة البولونية فان معدل اولادها ٦١٢ ومعدل الاميركيات البيض ٢٦٧ ويحيى بالكثرة بعد البولونيات نساء الله بك ثم الالمان ثم الانكليز .

ابادة الجرذان

معلوم ان الجرذان تضرر بالحقول في سني الجذب خاصة وتؤكل كل الحبوب والنباتات

وقد كان معمول ارباب الزراعة على النمس يربونه ويدربونه على التهام الجرذان ولكن النمس يسقط ايضا على الطيور وغيرها من الهوام النافعة وربما كانت القطط والكلاب انتفع في اباداة الجرذان خصوصا اذا كانت هذه قريبة من تلك لصيدها على ايسر سبيل . وقد اعتمد بعضهم على كربونات الباريوم في تسميم الجرذ وآخرون على سم دانيس وهذا السم يسري من التسمم به الى غيره من الجرذ السليم فلا تلبث ان تهلك عن آخرها خصوصا اذا وقع تحضيره في الاماكن التي يجري التسميم بها لانه ظهر انه يفسد بعد شهرين من عمله فاذا حمل الى القاصية ضاعت فائدته ولم الآن يبحثون في اقرب الطرق للانتفاع به فاذا صحت تستخدم الزراعة والنبات خدمة مهمة

النساء العاملات

انشأوا في الغرب منازل للفقراء الرجال من العملة يستأجرونها بثمن بجس جدا وفيها مرافق الحياة واسباب الراحة وقد كانت انكلترا سابقة غيرها في هذا السبيل فانشأت بلدينا منشستر وغلاسكو فنادق للعاملات فيها مئات من الغرف تكري الواحد منها في الليلة من ٢ الى ٢١ فلسا وترجع البلدية اربعة بالمئة من ريع هذه الفنادق التي تساعد العاملات وتنفكر بلدية لندنرا في انشاء مثل هذه الفنادق كما سبق لها ان انشأت وانشأ الافراد بيوتا رخيصة

احصاء الجنسين

تبين من الاحصاءات الاخيرة ان عدد النساء لا يزيد كثيرا عن عدد الرجال في ألمانيا والزيادة ثمانمائة الف امرأة فقط وما قبل من قلة الزواج لم يصح لان ٩٠ في المئة من النساء يتزوجن ولكن العجيب ان يلد في العادة اولاد ذكور أكثر من الاناث وموت الممرضات يؤدي ابدا الى نقص الذكور من الاطفال

شرب الشفة

ما برحت الشعوب المتحضرة تبحث منذ الازمان الموهلة بالقدم في الطرق القريبة لجلب المياه الى المدن فقد كان حمورابي يوزع المياه على بابل من احواض جعلها وطل هذه المدينة وعيون المياه في صور واحواضها في القدس كانت من اهم ما عرفه القدماء في توزيع المياه للشفة وان مجرى الماء الذي أنشئ في جزيرة ساموس هو اليوم من اجل اعمال الصناعة في هذا الباب وكان الرومان يتفنون في جر المياه وما شوهدهم من آثارهم والمجاري التي اقاموها في كثير من انحاء مملكتهم تدل على براعة زائدة . ولطالما

كان ابقراط ابو الطب يحذر معاصريه من اخطار المياه القذرة الملوثة وتابعه على رأيه كثير من الاطباء وقد كانوا في اوربا خلال الذرون الوسطى يحضرون القاء القذر في الشوارع العامة والآبار وكان معدل ما يلزم الرجل كل يوم في المدن من الماء ١١٤ لتراً في رومية في حين ان الباويزي اليوم يصرف ٢٠٠ لتر والهندي ١٨٠ والفيتاني ١٠٠ لتر والماء الذي يستعمل في الصناعات غير محتاج الى التصفية والتطهير بالنفقات الباهظة ولذا ينصح علماء الصحة ان يجري الماء الى العواصم الكبرى في مجرىين مختلفين على الاقل احدهما لشرب الشفة يكون طاهراً نقياً والاخر للصناعات والسقيا والرش يكون ماؤه عادياً

الحرف والحياة

تبين من احصاء جرى في بلاد الانكليزان رجال الكنيسة اقل موتاً من جميع ابناء الحرف والمهن واكثر الناس موتاً اعملة الذين لم يتعلموا منهم تلي الاصول وبعد الكهنة والقسس يمي ارباب الحدائق والمزارعون بطول اعمارهم وقلة زيارة الحمام لهم وبعد ذلك يكون دور الميكانيكيين والوقادين في الخطوط الحديدية . وتطول اعمار ارباب الصناعات النظيفة الذين يتناولون ويكثر فيها المعلمون . واهل الصناعات التي تستلزم قوة كثيرة ويتعرض اصحابها للمخاطر مستخرجو الحطب من الغابات والبحرية فانهم يموتون اكثر من غيرهم ومثل ذلك يصيب ارباب الصناعات التي تؤدي الى السكر كباعة الخمر وتجارها

الهلام النباتي

الهلام او الجلوتين نوعان منه ما يستخرج من الحيوان ومنه ما يستخرج من النبات فالاول يكون باغلاء جلود الحيوانات والعظام والاورار والغضاريف في الماء الحار والثاني يستخرج من مواد متنوعة نباتية بطريقة مشابهة اثلثك وتصدر زوج اليوم هلاماً من نبات لا يستعمل غذاء بل يدخل في استعمالات اخرى فاذا صفي وبيض يستعمل في قتل الجوخ وفي بعض استحضارات اخرى ويستخرجونه من الخث (نبات الماء) الذي يكثر على شواطئ نروج فاذا حل جزء من عشرين جزءاً من هذا الهلام يكون منه هلام جيد ويباع حبوباً صغيرة لونها اسمر تصفر وتبيض فاذا حلت بالماء تنتفخ الحبات وكثير من انواع الخث الحلوة الطعم تحتوي على هلام يستعمله الفقراء في اوربا غذاء ويمسكون منه رُبا وهو منتشر كثيراً في بلاد يابان ويصدرون منه خارج بلادهم

ويزرع الخث في ارخيل يابان واشتهرت جزيرة يزو بهلامها ويمزج الجلاتين الياباني في الحساء الصيني المعمول بالسنتونو وبيع منه في يابان بما قيمته مليونان ونصف من الفرنكات

موسطو القرائح

كتب ما كس نوردو من علماء الاسرائيليين مقالة في المجلة الباريزية تحت هذا العنوان فقال ما محصله : احسن ماتيه الفطرة لطفل منذ يوم ولادته ان تجعل له قريحة رائقة فهي اجمل الهبات بل أكد التعاويذ في نيل سعادة الحياة من الغناء والثروة . لا جرم ان القريحة تزين مشاهد العالم أكثر مما يزينها شرف المولد وجلالة المراتب فيها تستميل العواطف العادية في تصور الحقيقة الى عواطف انس وهوى وبها تتسع الثقة في القوة العاملة في شخصية المرء .

ولك ان تحكم على قدر القرائح وتأثيراتها بما يصيب العطاء وارباب المكانة في هذا العالم من الفرح والحب فيتوفرون عليها اذا احسنت بها اليهم الفطرة فقد كانت الملكة فيكتوريا صاحبة انكلترا تجد سبيلاً بين مشاغلها الكثيرة من تولي امر ٣٥٠ مليوناً من البشر ان ترمم على الورق والمقوى الرسم الملون (Aquarelle) وكان ابن عمها ملك البرتغال يصور الاقشة والاقشة التي تخرج من مناقشه اذا عرضت في المعارض تعرف من بين غيرها ويدرئ الناقدون ان يبدأ تحت عن الصولجان ساعات لتمسك المنقش . وترى الامبراطور غليوم يرسم ويصور وينظم بعض الاناشيد والاغاني في آونة الفراغ وخال والدته الدوق ارنست الثاني ساكس كوبورغ قد ألف قصة باناشيد ابرزها للناس في دار التمثيل بقصره باسم مستعار وكان يجيد لذة بين مشاغله ان يمثل التمثيل المنمحت . وكان ماكسيميليان امبراطور المكسيك النعس الحظ شاعراً وقصائده الغنائية تهمله بالغيرة وباحقية جهاده . واصدرت الارشيدوقة لويزدي توسقان مجلداً في الشعر بدل على انه كان في رأسها الاصب مكان للاوزان والقوافي الشعرية .

واذا نزلنا قليلاً في درجات ارباب العروش ونظرنا الى اهل الطبقة الاولى في المجتمع نجد خواة البدائع والفنون كثيراً عديداً فان الكونت بوست الذي يعزوا الى نفسه المشكلة النمساوية المجرية كان يكتب بالفرنسوية قصائد رفيعة نفيساً عن اضراض عالية والدوقة ولية المعهد دوزيس تعمل نصفاً وهياً كل حصة .

والعقائل الكبريات في باريز منذ بضع سنين ردهة سنوية يسقط الناظر في قائمتها على جميع اسماء الذبيلات ونساء الكبراء ولا يقبل فيها غير رسوم رسمتها اناملهن وبتباري الاشراف مبتهجين امام ما صهته ايدي ازواجهن البيضاء

ولجميع الاعمال الحرة ايضا مجتمعات قدره المحامين والقضاة والاطباء والمثليين والصحافيين يعرضون فيها ثمرات حبهم للصنائع النفيسة من نقش ورسم وحفر ومنها يستدل على مبلغ ولوعهم بالرياضات البدنية ولوعهم بتشغيل عقولهم . لا جرم ان جميع غواة الشعر والموسيقى والفنون ينظرون انصراف اذهانهم الى هذه الصناعات الجميلة خارجا عن علمهم يتلهون بها فقط زيادة على ما أخذوا انفسهم به من الاعمال . ما دل على ان القريجة الصغيرة او النصف القريجة تعد من البركات اذا نمت لذاتها فقط ولما فيها من النفع ولما لها من الوق . ولكن اذا اضاف امثال هذه الطبقة الى عملهم طمعا وطبعاً جاء منهم اناس يفضون ويأسون لانهم لم ينجحوا فيما هم بسبيله فنجاح من استمدوا لهذه الصناعات بالقطرة وبرزوا فيها فاقبل الناس عليهم واعجبوا بما ترمسه بدهم الصناعات . القريجة كائن يقوم بما يقوم به من العمل في العادة احسن من السواد الاعظم الذي يحاول الحصول على ذلك الاستعداد . والمادة الاصلية في القريجة القدوة والتقليد ويتأق للقريجة ان تعلم الى حد محدود وفي مكنة كل رجل اعتيادها ان يجعل له قريجة وما القريجة الا بتعمدها وهي صورة حية من آثار النظر فيها والقريجة تشهد في عهدنا بحيث يأتي من كل اثنين واحد ذو قريجة ولكن الانتفاع من ثمراتها انتفاعاً مادياً غير مضبوط بل يتعلم كما يعلم الناس ما يؤهلهم لاخذ الشهادة العالية في مبادئ العلوم فينال الشهادة المتعلمون ولكن لا يضمن لهم رزقهم منها بل هي اداة لتدوينهم

ويجب ان لا يعتقد من يستطيع نظم بيت انه شاعر ولا من يمس القلم والريشة انه مصور او نقاش فان هذا الاعتقاد حمل كثيرين على اعتقاد الكفاية في انفسهم وعينوا على الدهر لانه لم يعطهم حقهم من النجاح وهموا بانه يستحيل عليهم ان يبرزوا مما لم يتقنوه اتقان النابغين له ولا يقدر قدر ذلك الا من يدخل المخازن وقاعات الصناعات فيرى اذعياء هذه الصناعات يعرضون ما خطوا ورسوموا وبش ما يريدون ان يشتهروا به ثمناً ولو قليلاً ويحشرون انفسهم في عداد العالمين والناخبين . وليت اراك الادعياء علم ما لا يعلمون التمسوا رزقهم من خدمة محال القهوة او صنع الاحذية اذا ارفعوا رؤوسهم في صناعاتهم بدون ان يؤهوا انفسهم بان لم تخرجة حسنة وبدأ صناعاتاً .

وترى الدعوى ايضاً اكثر شيوعاً في الادب فان هشرين الفا من الناس يدعون الشعر والكتابة وقليل منهم من لم يكتب وينظم ويؤلف قصة او قصيداً وهم متوسطون فيما يخطون وبقي تسعة اعشارهم خاملين لا شهرة لهم الا في دائرتهم الضيقة وهم يقاسون من الالم يوم يحكم الناس على المجيدين منهم ويشهدون الكتيبين واعلانات دور التمثيل والجرائد والمجلات لا تذكر الا غيرهم من النابيين النابغين وهم قلائل يواتيهم الحظ ويحمل جمهوراً كبيراً ولا غرو فالمجيدون في الآداب كالمجيدون الخارقين للعادة سيمتص الصناعات النفيسة اندر من الغراب الاععم والكبوت الاحمر .

وبعد فاطلب اكل من تريد له الخير ان تعرى نفسه كل التعرية من القرينة كلها فذلك خير له من ان تكون له قرينة تافهة يرافقها طمع فيه وهو طمع بضر بالنابيين ولا يفيد الآخرين من الخاملين

الفيل في الكونغو

يقدر عدد الفيلة في افر بقية من ثلثائة الى اربعمائة الف فيل يقتل منها كل سنة نحو خمسين الفا لاختد العاج منها وقد اتخذت اساليب كثيرة لوقايتها مخافة ان ينقرض نسلها فحظرت بعض حكومات افر بقية من الاوربيين صيدها بالنار او بشراك وان يقتل اناسا وصارها التي يكون نابها اقل من خمسة كيلوغرامات وعلى الفيلة في معظم اصقاع افر بقية يحمل الناس اثقالهم فيحمل الواحد منها ما لا يحمله ثلاثون او اربعون زنجياً والفيل في افر بقية كما هو في الهند .مورد ربح لصاحبه يساوي الواحد ٢٥٠ ليرة ودخله من ١٥ الى ٢٠ ليرة وهو يحرق الارض ويفتح الطرق وله غير ذلك من الفوائد

صناعات النساء

تزداد الصناعات التي ينصرف اليها النساء في بلاد الغرب اليوم بعد اليوم ويقبآن خاصة في الصناعات الاجتماعية . ولقد ابرزن في هذا الباب صفات فائقة وكانت جذوة هذا النور منبعثة من المانيا والنمسا . فقد عهدت بعض مدن النمسا مثل فينا وغراز وراغ ولبرغ ويرون الى النساء مناظرة العمل في الصناعات التي يشتغل بها العاملات من بنات جنسهن خاصة وانشأ مجلس ولاية بومرانيا في المانيا مهنة جديدة للنساء يعهد اليهن ان ينشرن بين سكان الحقول مبادئ تربية الاولاد (Puériculture) والاقتصاد الاهلي وحفظ الصحة والعمل البدوي وغير ذلك . وهينت مدينة اونا بروك في المانيا امرأة للعناية بالفقراء والنظر في احوالهن ورأت بلديا كمال في المانيا ان تعتمد

على النساء لمقاومة الكحول واتخاذ من أسيديا بتعاطيها فعينت عشر نساء لمعونة المدمنين والتأثير فيهم فاسفر عملهن عن احسن النتائج . وعينت حكومة الدانيرك احدى الاوانس مفتشة على مطاعم المدارس في القرى .

ويزداد تعيين النساء في الشرطة بصفة مساعدات وقد انشأت فنلندا — وهي مرئقية جداً من حيث الاصلاحات الاجتماعية وان كانت مضطهدة من حيث احكامها — سنة ١٩٠٧ اثماني وظائف لمعاونة رجال الشرطة تولاهن النساء وهن يقبضن رواتب كرواتب الرجال واهما يعهد به اليهن اتقاذ النساء . والبنات مما يطرأ على اخلاقهن وارجاعهن الى حظيرة العمل الشريف ومحاربة الاتجار بالريقق الابيض وان يعملن العجوزات والاولاد الذين لم يرزقن حظاً من التأديب في اماكن لائقة وقد ظهرت فوائد ذلك كله حتى ان فنلندا عازمت ان ننشي وظائف مثل هذه في جميع بلادها وما زالت المدارس الزراعية للبنات تشكاث في معظم بلاد الغرب وبها تهيأت مهن جديدة لمن فان الجمعية الزراعية في جنوب اقليم سواب من المانيا قد انشأت مزرعة لتربية الطيور *Poultry* على الاصول الحديثة عهدت بادارتها الى امرأة وتقام فيها دروس خاصة بالنساء فقط .

واحدثت نظارة التجارة في انكلترا عدة وظائف لمديرات لمكاتب وسطى لاستخدام عملة للزراعة . وشعرت بعض البلاد الالمانية بان النساء يقتضي عليهن العوم والسباحة ولكن قلة الاساتذة من بنات جنسهن متمعن عن هذه الرياضة الجسدية المهمة فانشأت جمعية هناك تعلم الفتيات اللاتي عقدن العزم على تعلم السباحة وبعد ان يفحصن ينلن شهادات مؤدنة بكفاءتهن . والنساء في المانيا شأن كبير في بيع الكتب فان عددهن فيها بلغ ١٢٠٠٠ اي اكثر من ربع من يشتغلون بهذه التجارة . وقد اخذ النساء في المانيا في العهد الاخير يحترفن بالتجارة وصنع الجعة والنقش والتجليد والحلاقة والخياطة وعلى كثرة من كن منذ زمن يتعاطين الصناعتين الاخيرتين كان من المتعذر عليهن في المانيا ان يعملن بحسابهن اما الآن فهن في حل مما يردن .

وفي فيينا نساء يصنعن الزجاج و ينلن بصناعته شهادات تؤذن بكفاءتهن ومن النساء من يتعلمن صناعات الساعات . ومن النساء النبيلات في انكلترا من افتحن اوهاام محيطهن وقمن لادارة المشروعات الاقتصادية وكثيرات منهن الآن مديرات لفنادق وكبرى . ولبعضهن محال لتص التجهيز والغسيل وعمل المريات . وقد احدث النساء في اميركا حرفة جديدة وهي تنظيم اللمهرات فيعهد الى بعضهن ان يقمن بلوازم ليالي الانس

والفرح . وكثر عدد النساء المستخدمات في السكك الحديدية وادارات البريد حتى عمدت بروسيا مؤخراً ان تقبل باستخدام النساء في بعض الخطوط الحديدية على شرط ان تكون ساعات عملهن مساوية لعمل الرجال ولكنهن يقبضن نصف الاجور التي يتقاضونها . وفي هولاندة قامت مؤلفة للاناشيد الوطنية فاصبحت مديرة جوقة مشهورة وبزت الرجال في هذا الشأن . وهكذا يعمل الغريون رجالهم ونسائهم كل بحسب قوته وغنائه فتي يطرس الشرقيون على آثارهم في النافع من هذه المدنية المدهشة

الحس في النبات

يظن بعضهم ان النبات لا احساس له كما للاحياء وذلك لانهم ينظرون اليه بالعين المجردة فيقع في نفوسهم انها احط في الاحساس من نباتات الجروانت اذا عمدت الى نبات الالوده *Scilla* الكنادي الذي يطلع في المياه العذبة ويتأقلم له ان يعيش بدون جذوع وتزعت منه ورقة بمقص وفحصتها بالمجهر ووضعتها في صحفة فيها نقاط ماء لانتابت ان ترى فيها خلايا مستطيلة قليلاً فيها عدة اجسام مدورة خضرة وجيوب الكلووروفيل كل ذلك ساكن لا يتحرك حتى اذا مضت خمس دقائق او عشرا وخمس عشرة دقيقة ترى فيها تلك الجيوب تتحرك حركة قليلة اولاً ثم تزيد وتتراى لك الجيوب تسير على طول الصفحة يتبع بعضها بعضاً ثم تعود الى عملها الاول في دقيقتين ثم في دقيقة هكذا تدور في كل خلية ومنها ما يذهب ذات اليمين ومنها ذات الشمال ومنها يسير بسرعة ومنها يبطئ كل هذا مما يدل دلالة ظاهرة على وجود الحس في النباتات واعظم تلك الجوارح فيها النظر الذي به ترى الور ولا تميز بين المرئيات كما هو الحال في ديدان الارض وشمك البولان (الحمار) والمرجان وغيرها التي ليس لها حاسة النظر ولكنها تشعر بالاحتكاك الذي ينالها من اشعة الشمس اذا أصيب بها ومانعها للحجوانات لماذا نسله عن النباتات . ومن السهل ان نبين تأثير النور في النبات وذلك بان نغرس نباتاً في مكان ليس له سوى نافذة واحدة من جهة واحدة فترى سوقها وهي تنمو تنجح نحو النافذة مما يدل كل الدلالة على انها تحب الشمس وهذا الحس من السوق بالنور يوجد في الجذع ولكن هذا لا يحب النور ويهرب منه شأن من قويت فيهم حاسة النظر فانهم يستظلون من الشمس عندما تحمي جمرتها واوراق النبات لتعرض للريح في النهار وهي تنام في الليل فتغير حركتها من النبات ابرى فيها ذلك محسوسا وكثيرا زهر العسل وعصيفرة *Chevreuille Capucine* والخت او نبات الماء يسهل ان يدرس فيها تأثير المور

واللس هو من الحواس المشهودة في النبات وترى المستحبة *Sensitive* لا وفي لس
يترك ورقاتها بعضها فوق بعض وبعلى اوراقها نحو الاسفل وقد عللوا ذلك بان هذا
النبات متى مس بغادر الماء حواسها ليذهب الى الساق فينقبض هذا وهناك نبات آخر
اسمه طراد الذباب *Dionée attrap-mouche* هو من النباتات التي
تلحق الاجسام المجاورة مثل الكرم والبطيخ فانه اذا لم يجد في جواره ما يعرش عليه
يخرج مستقيماً . وفي الزهور ايضا اجناس كثيرة تحس باللس . والدوق يوجد في
النبات ولا سيما في الخت او نبات الماء فانه محسوس فيه فاذا وضع في الماء اجزاء ذات
طبايع مختلفة لا يجلب الخث اليه وذلك بان يخرج في سطحها محنترأ ماعده . اثبت
العلماء النظر واللس والدوق للنبات ور بما لا يلبثون بعد البحث ان يثبتوا لها قريبا الشم
والسمع فسيحان من خلق من خلقه . انا سايفكرون الليل والنهار في تحليل هذه الكائنات
وزهدنا في كل نافع فاحنقنا كل علم .

الجنس الابيض

البحث في اجناس البشر من اهم المباحث الحاضرة ويقولون ان الجنس الابيض
يسعى ليكون حاكما على بقية الاجناس وان يكونوا تحت سلطته ومنكم وهذا من الابحاث
الاستعمارية فكل جنس من الابيض يطالب استماره هؤلاء وهذا ما حد بالسيوجونيين
ان يتجشم الصعوبات والاسفار الشاسعة ليوفى الى حل هذه المشكلة العظيمة . قال بعد
توطئة لهذا البحث هل في وسع الجنس الابيض ان يسكن البلاد القطبية ؟ كلا هذا امر
مستحيل اذ الاقليم هناك يبيض جسم الابيض حتى يقتله . والابيض قليل النسل بالنسبة
الى هؤلاء ولكنه يبنى بتر بيتهم اولاده وكذلك يستحيل على الابيض ان يقوم بالاعمال
المعادمة في البلاد الحارة

فوق الاوربي اهل هذه الاجناس باعنائهم بصحته والثوقي من الامراض ولكنه
لا يمكنه ان يعيش في اقليمهم كما قدمت سابقا . ان الاختلاط ببقية الاجناس مفيد
جدا ونرى نتيجه الحسنة في سبيريا من اختلاط الروسيين بالجنس الاصفر المغولي ولكي
نستحكم روابط المودة بينهم يجب على الجنس الابيض ان يعاملهم معاملة حسنة بالمساواة
والاحترام ولا ينظر اليهم نظرا الاحتقار ومن الخطأ ان ننظر الى جنس الاصفر والاسود
والاحمر ونحكم عليهم بالنقص في جسد وعقلهم اذ ربما فاق الابيض فهذه الامة الصينية
واليابانية هي اليوم غير هابا لاس وكما لك الزوج لا يطول امرهم وهم على هذه الحال من التأخر

ان هؤلاء يتأثرون ويخفون في صدورهم بغضاء عدم ما يقرأون في جرائدنا وكبرنا الحملات الفادحة التي نعملها للحط من اقدارهم ولا بد ان يأتي يوم قريب ونرى انفسنا تحت حكومة هذه الاجناس وسلطتهم . بلزمننا زمن لمعرفة معنى الاخاء الحقيقي حتى نتلطف مع هؤلاء ونعاملهم معاملة حسنة اذ الانسانية تقضي علينا ان نعامل المخلفات باحترام ورفق . لاجل احترام هذا المبدأ يجب ان نبحث ونتدين بدين يكون عاماً للبشر خالياً من الوضع والبدع الجنسية ويمكن ان تكون هذه الديانة المسيحية ولكن بعض اربابها يتكالبون في الاستيلاء على مراكش والكونغو وغيرهما من البلاد .

الفنادق في سويسرا

كان عدد الفنادق في سويسرا سنة ١٨٨٩ ١٠٠٠ فندق تحتوي على ثمانية وخمسين ألف سرير وفي تقويم سنة ١٨٩٩ بلغ مجموع الفنادق ١٩٠٠ و ١٠٥٠٠ سرير وهذه الفنادق تشغل في عرصاتها ٣٤٠٠٠ ألف عامل منهم ١٤٠٠٠ ايدأبون كلى العمل طول السنة . رأس مال هذه الفنادق ٨٠٠ مليون فرنك صرف منها ٥٠٠ لاجل تشييد البناء ومجموع الواردات في كل سنة ١٩٠ مليوناً فاذا اعتبرنا هذا الرأس مال مأخوذاً بالفائدة تكون الخسارة خمسة في المائة بالنسبة الى الواردات .

خاتمة السنة السادسة

يختم المقتبس اليوم عامه السادس لانشائه في القاهرة والثالث لصدوره في دمشق ويحمد الله على ان جعل اعوامه الثلاثة في ربوع الشام لا تقل عن اعوامه الثلاثة الاولى في ربوع مصر بتحقيق المسائل واشباع الموضوعات ونقل اوضاع الغربين والشرقيين المحدثين منهم والمقدمين ومراعاة ما اخذ النفس به على قدر الامكان من عدم التعرض للابحاث الدينية والسياسية لكون مقالاته ومباحثه ثابتة في الجملة لا يغيرها تبدل النزعات المذهبية والاهواء الحزبية او الشعوية والاستعمارية

وهنا نعاهد القراء على بذل الطاقة في هذه الخدمة الشريفة مستعينين بالله وموآزرين بالكرام الاعلام الذين جعلوا من هذه المجلة حديقة يانعة بثمار دروسهم وابحاثهم . وقد زدنا هذه السنة القادمة في صفحات مجلد السنة ١٦٠ صفحة فدخل المجلد في السنة المقبلة في ٩٦٠ صفحة بدلاً من ٨٠٠ بحيث يصيب كل جزء ٨٠ صفحة . والله نسأل المعونة والمداية والعفو عما طغى به القلم من الخطيئات والهفوات

فهرس المجلد السادس .

من المقنيس

صفحة	صفحة
١٦٠ الاقوياء . طبعامهم	(١)
٤٩٩ أكبر صد	١٧٤ ابجاث واقترحات في التشريع
١٥٢ أكبر مرسة	المصري الحالي (كتاب)
٤٩٩ الاكتشافات المقبلة	٥٤٢ ابن زيدون وابن جهور
١٣٠ الاكحول . قتلاه	١٣٥ آثار مصرية
١٤٨ الالمان . انتشارهم	١٣٥ الآداب الانكليزية
٦١٠ المانيا . الانوموبيل	٦٤ اديسون . فلسفته
٦٤ المانيا . الفناء فيها	١٤٥ الآذان . طنينها
١٣٧ المانيا كلياتها	٧٧٢ ارشاد الخلق (كتاب)
٤٢٨ اميركا . ادراكهم فيها	٥٦١ الاركيولوجيا
٦١٣ اميركا . دور المطالعة فيها	٦٠٦ و٢٣٠ الاسبرانتو . لغتها
٧٩١ اميركا . الاسرة فيها	٦٦٩ الاسهمار الالمانى
٧٣٢ » . كلياتها	٤٩٨ الاستقلال المادي
١٥٣ الام . ثروتهم	٤٩٩ الامر السويدي
٤٩٦ الام العاملون فيها	٦٦٢ الاسفنج
٥٠٠ » . نوابهم	٦٨١ اسماء الاضداد . رسالة فيها
٢٢٤ أمة السواب	٢٣٦ الاسماك . حفظها
٤٩ الامة تحبو	٦١٠ انسان من خشب
١٦٠ الانسان والمدنية	٢٣٤ الاشتراك والبلديات
٤٤٠ الاميركان . تجارهم	٦٦٨ اصلاح اجتماعي
٤٢٧ » . عميانهم	٧٣٧ الاصلاح . اعداؤه
٢٢٤ انكسار . والسلام	٢٦١ الاطفال . حدائقهم ومدارسهم
٦٨٠ » . والشاي	٥٠١ افرقية الجديدة
٧٥٠ » . الصيد فيها	١٥١ الافيون .

صفحة	صفحة
٣٦٥ البرجان	١٥٨ انكلترا . الفقر فيها
٢٢٠ بزوخ جديد	٢٣٦ » . مدارس الشعب فيها
٧٧ البساط المذفي	١٥١ » . اموالهم
٦١٣ بطرسبرج . المدرسة الافرنسية فيها	٢٣٢ الانكليزية الافرنسية
٦٣٠ البعثة العلمانية	٢٤٩ الاوائل
٥٠٥ البكتريا	٧٧ الاوريون . هجرتهم
١٤١ » تلقيح التربة بها	٢٩٨ اوغست كوزت وفلسفته
٧٨٤ البلاط الصناعي	٢٤٨ الاولاد . رعهم
١٤٢ بندقية بدون صوت	١٥٢ « الصغار . مطاعمهم
١٣٦ بوليفيا . برباتها	٤٣٩ « كتبهم
٤٩٣ بين اوربا واميركا	٢٣٣ « والكسب
٣٨٥ « بلاد الاراميين والفينيقيين	٥٠٣ « مستقبلهم
٦٢٦ و ٦٨٧ و ٧٤٣ بين الفيجاه والشماء	٧٦ . الاهوية . تبدلها
٤٣٨ بين القاهرة والرأس	٥٥٦ ايطاليا . تجدوها
ت	ب
٤٨٨ تاريخ آداب اللغة العربية (كتاب)	٥٠٠ بابل . الجراحة فيها
٧٣٥ « حرب فرنسا والمانيا .	٤٩٦ باريز . التمثيل فيها
٤٩٠ التاريخ الكبير (كتاب)	٦١٠ « جامعتها
٦١٥ تاريخ التمدن الاسلامي (كتاب)	٦١٢ . « ميناء بحرية
٥٤٧ « اليعقوبي (كتاب)	٧٨٨ « ومستقبلها
٧٩٠ التبريد . كانه	٤٢٨ الباسون . اغانهم
٢٣٢ الثاؤب	٦٠٦ البحر الميت . حوضه
٧٢٩ التربة السوداء	٦٠٨ بحيرة تشاد
٦٥ التصوير الشمسي . اصله	٧٢٨ بختنصر . قصره
٥٩٤ التعليم . احاليه الجديدة	٥٥٤ بدائع الصنائع (كتاب)
٥٩٨ « الاهلي	٤٨٥ البدنح . يجهت في نوع منه

صفحة	صفحة
٢٩٢ الجنسان . احصاؤهما	٣٧٩ التعليم في مصر (كتاب)
٤٤١ الجو . جالته	٦١ التعليم الدينيوي
ح	٥٥٠ تقويم البلدان (كتاب)
٣٧١ حاضر الاسلام ومستقبله (كتاب)	٤٤٠ التفراغ اللاسكي
٥٠٠ حبوب السوجا	٦١١ التلفون في الابعاد السابعة
١٧٤ حديقة الجنان في تاريخ لبنان (كتاب)	٧٣١ التمثيل والمؤلفون
٦٠٧ الحرب . المناظيد فيها	١٦١ توارخ المكتشف والمستعمر من
٧٣١ » العثمانية الايطالية	البلاد والجزر في العالم
٧٩٣ 'الحرف والحياة'	٦١٤ توجيه للنظر الى علم الاثر (كتاب)
٤٩٦ الحروب . صرعاها	ث
٦٧٠ الحروب . نتائجها	٦١٦ ثلاث مجلات
١٤٥ الحس . عضو جديد له	١٥٠ الثلج . ازالته
١٥٨ الحبة في الاسلام	ج
١٤٤ الخلافة . آله جديدة لها	١٧٣ الجاذبية وتعليلها (كتاب)
١٥١ الحمام . اكبر مزرعة له في العالم	١٥٢ الجرذان
٦٦٦ الحمامات	٧٩١ » . اباوتها
٦٥ و ٧٧٧ الحياة . طولها	١٤٦ الجغرافيا : تعليلها
(خ)	٤٩٦ الجلد الصناعي
٧٣٢ الخلاء . العودة اليه	٦٥٠ الجماعات . قانونهم
(د)	٤٩٤ الجمال . نهضته
٦١٢ الدائمارك . الجماعات فيها	٦٥٠ الجماعات . قانونهم
١٧٥ دروس الصرف والنحو (كتاب)	٤٥٩ الجمعيات . ترجمة قانونها وشرح
٣٢١ دقائق عربية	المغمض منه
١٧٤ دليل السلام (كتاب)	٥٨ الجمعية الخلدونية
١٣٦ الدماغ . قراءته	٦١ » الخيرية الاسلامية بمصر
٦٠٧ الدور الحجري . الفنون فيه	٧٩٩ الجنس الابيض

صفحة	صفحة
سكر جديد ٥٠٠	(ذ)
٦٧٩ السكك الحديدية الصينية	٥٠٤ الذهب . محصوله
٢٢٣ سلك بحري	١٧١ ذيل تلي طبقات الحنابلة (كتاب)
٦٦٣ السمك الاحمر	(ر)
٦٨٠ السمك . فن تكثيره	١٤٤ الراد يوم . ثمه
٨٠٠ السنة السادسة . خاتمتها	١٣٦ » » المداواة به
٢ » » فائقها	١٤٢ الرأس . شعره
٧٢ » الهجرية . رأسها	٣٥٠ و ٤٥٠ و ٥٢٥ رسائل الانتقاد
٧٨٤ السنور	٤٩٠ رسائل مختلفة
٧٦ السوربون . طلبتهم	١٣٤ الرهبات
١٤٩ » » النسر عندهم	٧٣٣ روسيا : الجنسية فيها
٢٢٤ السويد والشرق	١٤٩ » الحركة التجارية فيها
٢٤١ سويسرا . التربة فيها	٦١٢ » المرض فيها
٨٠٠ » » الفنادق	٢٢٦ رومانيا . التعليم فيها
٤٢٨ » » والغرباء	(ز)
٥٠٣ » قوة الماء فيها	٦٦٥ الزخافات ذات العرف
١٧٣ سيرة الفاتح (كتاب)	٣٨١ زراعة القطن (رسالة)
٧٩١ السيسمولوجيا . دروسها	٤٦٩ الزلزلة العظمي
٦٠٥ السينماتوغراف الناطق	٧٨٩ الزنوج
(ش)	١٥٠ الزهور . ساعة منها
٥٢١ الشرطي والورق	(س)
٧٩٢ الشفة . شربها	٤٤٤ السراسرة والزيادة
٧٣٩ الشمس . انفجتها	٥٥٩ السجناء . نادهم
(ص)	٦٦٦ السرطان البحري
٣٨٢ الصاحي (كتاب)	٥٥٩ السفر . الراحة فيه
٤٣٢ الصحافة الانكليزية	٥٦٠ السكر الآسيوي

صفحة	صفحة
٦٦٢ العصر الحجري	٢٤٤ الصحة . درس فيها
٥٤ العفة	٧٨٥١ الصحافيون والادباء
٦٦٨ عم العلم	٧٣١ الصناعة . عاهاها
٦٠٧ العمال الليليون	١٤٠ صور ثغنى وثكلم
٢٤٨ العمل اليدوي	١٤٤ الصيد . شباكه
٥٠٣ العمى والحرف	٦٠٦ الصين اتباها
٤٢٩ العناصر . حكايتها	٤٩٨ » الجديدة
٢١٩ العين الكهربائية	٥٠٣ » . رقيها الصناهي
(غ)	٦٠٩ الصينيون . غداثرم
٧٨٣ الغابات . اشجارها	(ض)
٢٤ غابات سورية	٥٠١ الضعفاء . مدرستهم
٢٣٣ غابة تحت الارض	(ط)
٧٨ الغذاء . تدبيره	١٣٣ الطباعة
٤٩٤ الغرب . الزوايح فيه	٤٧٠ » والصحافة التركية مختصر
٥٨ : الغرف . تطهيرها	تاريخها
(ف)	٤٣٩ طرابلس . سكتها
٨٩ و ١٧٧ و ٢٧٥ الفتوى في الاسلام	٦٧٣ » وبرة
٣٢٩ الفروق	٥٩٠ الطفل . امه في مشهد الحريق
٤٣٨ فرنسا . موظفوها	٦٠٨ الطيور انتقاها
٢٣٣ الفرنسيين . انتهم	(ع)
١٧٣ فصل القضاء (كتاب)	١٧٦ العادات (كتاب)
٦٦٣ الفنادق . صناعتها	٥١٠ » ابياتها
٧٧ الفنادق . مدرستها	٧٣٢ العالم المتحضر . صحفه
١٠ و ١١٧ في ارض الجليل	٨٧ . عبر الاردن (كتاب)
٥٧٣ في خمسين قرنا	١٦٤ العرب . نزنهم
٧٢٧ في القطار	٣١٤ » . مشاهيرهم وصناعات

صفحة	صفحة
١٣٣ » الرائب	(ق)
٥٥٩ » طهارته	٥٠٤ القدم . كبرها والرياضة
١٤٣ اللحم الاحمر واللحم الابيض	١٥٣ القراءة . الجبرنها
٦٥ اللغات . تعلمها	٧٩٤ القرائح . متوسطوها
٢٣٥ لغة دولية مزدوجة	٢٦٣ قرطاجة والعرب
٦١٧ اللغة الانتقادية . كتبها	١٤١ قفل يفتح بصوت صاحبه
٢٣١ » الموقفة	(ك)
٥٠١ لندرا . مكتبتها	٢٢٨ كارنيجي والسلام
(م)	١١٥ » . معزله
٧٦ الماء . شجرته	٣ كتاب البئر
٥٦٧ ماذا يقال الطابور ام التابور	٢٠٩ » المدهش
٤٤٠ مالطة . حماها	٧٧٣ » القضاة (كتاب)
٦١٥ المجازات النبوية (كتاب)	٥٠٣ الكتب . تصويرها
٤٩٥ المجانين . ميقاتهم	٢٢٠ » . صرطها
٢٢٧ المجلات . احتكارها	٣٨٣ كتب مختلفة
٤٩٧ مجلة فريدة	١٥٠ » . رسائل والمجلات
١٧٢ مجموعة المحررات السياسية (كتاب)	٦١٥ الكلاب . الانتفاع بها بعد التربية
٦٦٧ المخاضرات والمسارعات	٢٢٣ » . لجمها
٧٨٥ المدن العظمى	١٩٨ الكلمات الدخيلة
٧٨٤ المدفع الهائل	٦٦٤ الكلبيات الروسية
٣٨٣ مدينة العرب (كتاب)	٥٩٣ » . الاميركية
٢٢٨ المرأة والرجل	٧٩٦ الكونغو . القيل فيها
٥٦٠ » . اصلاح زيبها	٦٠٩ الكونغوشويسية . مستقبليها
٥٣١ » . نفسها	(ل)
٧٦٦ المسالك والممالك (كتاب)	١٧٦ لباب الخيار في سيرة المختار (كتاب)
٢٢٩ المسترليون . اصلهم	٢٢٠ اللبن . تعقيمه

صفحة	صفحة
٧٩٦ » • صناعاتهن	٦١١ » • جنازاتهم
٧٣٠ النشر • ادبه	٤٩٣ المطاط
٤٩٥ النصرانية والوثنية	٥٠٤ المطالبات بمحقوقهن
٧٣٤ نظام القضاء والادارة (كتاب)	٤٢٧ مطبعة بدون حبر
٤٩٢ النظر • تربية •	٧٣٥ مطبوعات مختلفة
٧٨٦ النفس الاسبانية	٧٣٠ المطر الصناعي
٣٦ » الانكليزية	٧٣٣ المحمرون • مننداهم
٤٨٨ نهج البلاغة (كتاب)	١٤٥ المغنطيسية • سفينة لرصدها
٧٨٧ النوم • اردياؤه	٥٥٨ المقعدون والصناعة
(و)	٤٩١ مكتبة الاسكندرية • حريقها
٣٨٢ الواجبات (كتاب)	٦٠٩ الملاحة • تاريخها
١٧٥ وجوب الحماية عن مضار الرقية (كتاب)	١٤١ المنازل • آلة لتطهير هوائها
٦٦٦ الوقت • الافتصاد فيه	٢٣٣ المنازل • أجورها
٥٢٣ الولايات المتحدة • سكانها	٨٣ المنهج الاحمد (كتاب)
٤٢٨ » • » • عمرانها	١٥١ المواشي والمراعي
٦١٠ » • » • قوتها •	٦٠٧ الموت جوعاً
٢٤٧ الولد • لغته	٦٠٦ المؤقر النسائي السادس
(هـ)	١٥٠ الموسيقى عن بعد
٦٦٥ الهجرة الايطالية	٦١٠ موسيقى المستشفيات
٦٦ » النبوية • اسبابها	٧٨٩ المؤوفون • مدارسهم
٥٥٤ هرباً من الثلوج	(ن)
٧٩٣ الهلام النباتي	١٤٤ الزبات • تعجيل نموه
٢٢٨ الهدى • سكانها	٧٩٨ » • الحس فيه
١٤٣ الهواء • طبقاته العليا	٦١٢ زواج • التعليم فيها
٦٧٩ الهيتيون	٧٩٢ القساء العالمات
٦١٠ الهيجون العام	٦٦٩ » • سجونهن

(ي)

صفحة

٤٩٤ اليابان . ادبياتها

٥٩٥ اليابان . التعليم الادبي فيها

٢٢٦ اليابان الحديثة

٧٨ اليابان . المعارف فيها



